

سلسلة: شراب التسليم مع النبي الكريم ﷺ

وَأَحْسَنُ كَلِمَاتِهِ

« إِنَّ شَانِعَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ »

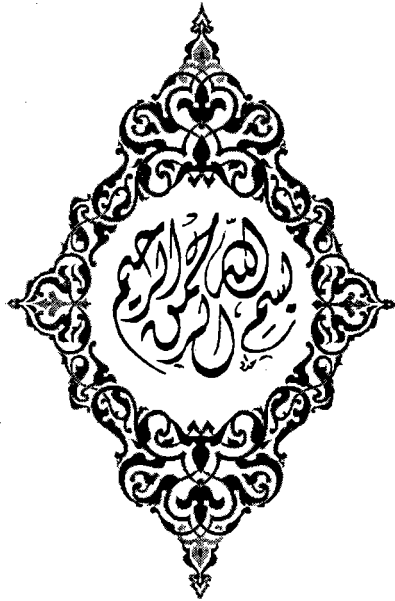
تأليف

الشيخ الدكتور نور محمد بن حريز بن العفاني

المجلد الرابع

الناشر

دار العفاني



وَأَحْسَنُ كَلِمَاتِهِ

« إِنَّ شَيْئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ »

المجلد الرابع

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٦/٢٢٦٩١	رقم الإيداع
------------	-------------

دار العفاني

٣ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

٠١٢/٥٧٧٥٧١١/ت - ٠٢/٥١٠٨٢٥٧/ت

فرع بني سويف - برج الري - حي الرمذ - بجوار مجمع المحاكم - بني سويف

٠٨٢/٢٣١٧٣٤٤/ت



بَلْ هِيَ حَرْبٌ
عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْإِسْلَامِ

الصليبي سمير جعجع، قائد القوّات الصليبيّة بلبنان يسبُّ الرسول ﷺ والمسلمين

تقدّمت المحامية «مي الخنساء» ببلاغ إلى النائب العام اللبناني، تُطالب فيه بالتحقيق مع كلِّ من «سمير جعجع» قائد القوّات اللبنانيّة المسيحيّة، والمسؤولين عن موقع القوّات على الإنترنت، لنشرهم مقالاً يتضمّن سبّاً مُقدّماً للمسلمين سنّةً وشيعةً وللرسول ﷺ، وهاجم المقال - الذي حصلت «الأهرام العربي» على نسخةٍ منه «حسن نصرالله» الأمين العامّ لحزب الله، ووصّفه بالكاذب والمخادع، وأنه يضحكُ على المسلمين بادّعاء أنه قادرٌ على محاربة إسرائيل، متناسين أن إسرائيل قادرةٌ على إبادة كلِّ العرب، وعلى تدمير السدِّ العالي لإغراق مصر، وعلى تدمير «طهران»، وعلى الوصول إلى غرفة نوم الرئيس السوري «بشار الأسد»!!.

ووصّف المقال المسلمين سنّةً وشيعةً بأنهم «مهايل»، وأنهم كائناتٌ لم تصلِ بعدُ إلى درجة «القرْد» على مقياس «دارون».

كما وُصف الرسول ﷺ بالفاظِ نَعِفٌ عن إعادة نشرها.

□ وختم القول: «إنَّ الخداعَ الذي يُمارسه «حسن نصرالله» وحزبه على هؤلاء المساطيل يُعتبر تافهاً إذا ما قورنَ بأساطير محمد بن عبدالله».

«مي الخنساء» أوضحت للأهرام العربي أن المقال منشورٌ على موقع القوّات اللبنانية «www.Lebanese - forces.org»، وهو يُمثّل جريمةً طبقاً لقانونِ العقوبات اللبناني، وقد طلبت في البلاغ المقدّم منها بتوقيف «جعجع» والمسؤولين عن الموقع وإحالتهم إلى المحاكمة أمام القضاء

المُخْتَصُّ، ومطالبتهم بدفع تعويضٍ مئة مليون دولار، يتمُّ توزيعُ ٨٠٪ منه على عائلاتِ شهداءِ وأسرىِ المقاومة، و١٠٪ يُسلَّمُ لدار الفتوى، ومثلها إلى المجلس الشيعيِّ الأعلى، تُخصَّصُ لطباعةِ كُتُبٍ عن سيرة الرسول الأكرم ﷺ»^(١).

□ وقبل «سمير جعجع» بعشراتِ السنين كانت الحربُ اللبنانيةُ الصليبية العاشرةُ.

* الحرب الصليبية العاشرة:

سمَّأها بهذا الأستاذ «أحمد بهاء الدين» (العربي - العدد ٢١٣ - أغسطس ١٩٧٦) حربٌ شابٌ لهولها الأطفالُ من المسلمين، قدَّمت أكثرَ من خمسين ألفاً من القتلى - تسعون في المئة منهم من المسلمين -، وثلاثمئة ألفٍ جريح، وهم ألوفٌ لم يخسرِ العربُ مجتمعينِ نصفَهُم في حروبهم الأربع مع إسرائيل!

صليبية... سلوكٌ أوغادها ومجرمها من المارون صليبي، تفكيرُهُم صليبي، حلُّمُهُم صليبي... أسفروا عن وجوههم الكالحة، وباطنهم العفنُ يقودُهُم:

١ - «حزبُ الكتائبِ اللبنانيِّ» الذي يتزعمه «بيير الجميل»^(٢)، و«بشير

الجميل».

□ يقول «بيير الجميل»: «إنَّ مهمةَ الكتائبِ في لبنانَ مهمةٌ رسوليةٌ».

(١) مجلة «المختار الإسلامي» (العدد ٢٨٧) غرة رجب ١٤٢٧هـ - ٢٦ يوليو ٢٠٠٦م - كلمة

المحرر تحت عنوان «موقع لسمير جعجع يسبُّ الرسول والمسلمين».

(٢) وقد ذهب قريباً إلى ربِّه ليجد عاقبة عمله كاملةً.

٢- «تنظيمُ النمر» يقودهم «كميل شمعون» رأسُ الأفعى المارونية.

□ صرَّحَ هذا القَدْرُ للصحفي «جي سيتون» مندوب «نوفيل ابرز فاتور» الفرنسية قائلاً: «يوجد في شَرْقِنَا هذا فِئْتَانِ مِنَ المِسيحيين، المِسيحيون الأحرار الذين لم يَقْبَلُوا أبداً بأن تكونَ لأحدِ سُلْطَة عليهم، والمِسيحيون الآخرون الذين خَضَعُوا للخلفاءِ المسلمين، وأدَّوا الجزيةَ في سبيلِ البقاءِ على قيد الحياة، وهؤلاء الذين يرفضون الحمايةَ الإِسْرَائِيلِيَّةَ جزءٌ من هذه الفئة الثانية، فهم ليسوا من العِرْقِ اللبْنَانِي، وإنني أعتقدُ بأننا - على الأقل - يهودٌ مثْلهم» (نقلًا عن الجمهورية - القاهرة - ٦/٨/١٩٧٨ م)^(١).

٣- «جبهة حُرَّاسِ الأَرز»، وهي الجَنَاحُ العسْكَرِيُّ لحزب «الطلِيعَة التبادعية» الذي يقوده الشاعرُ الصليبيُّ الكارهُ للإسلام «سعيد عقل».

٤- «حزب التحرير الزغرتاوي» يقودُ جيشه «طوني سليمان فرنجية».

٥- «الرابطَة المارونية».

٦- «فتيات مارون».

٧- «فتيان مار نهرا».

٨- «جبهة الموت لأعداء مارون».

المارون تحالفوا من المِسيحيين القادمين من أوروبَّا في القرون الوسطى خلالَ الحربِ الصليبية، وهم الآنَ ألدُّ أعداء المسلمين. . يُشكِّلون نسبة ١٧٪ من سُكَّانِ لبنان، ويُشكِّلُ المسلمون المستضعفون ٦٥٪ من سكان لبنان.

(١) «الحرب الصليبية العاشرة» حلمي محبّد القاعود (ص ١٥٢). - دار الاعتصام.

□ صليبيون حتى النخاع... «سعد حدّاد» و«سامي شدياق» وهما يقومان بعملية تصفية للمسلمين في جنوب لبنان، والاتصال الدائم مع «مناحم بيجين» رئيس الوزراء الإسرائيلي في ذلك الوقت، والأب «شربيل القس» أو «الأباتي شربيل» كما يطلقون عليه في لبنان، هو أكثر تعبيراً عن صليبيته، وله الزيارات المتكررة إلى الفاتيكان، وسافر إلى إسرائيل عن طريق قبرص، واجتمع بالمسؤولين الإسرائيليين، وحصل منهم على كميات من الأسلحة والذخائر، كما حصل على مساعدات مادية قدرت بثلاثة ملايين دولار، فحوّل الأديرة في جبال لبنان إلى ترسانة أسلحة، وقام بتدريب سبعة آلاف راهبٍ مارونيٍّ، اشتركوا في القتال في الحرب الصليبية العاشرة العنيفة الشرسة والضارية في لبنان^(١).

□ وتبقى مذابح مخيم «تل الزعتر» في شهر يوليو ١٩٧٦ دليلاً قاضحاً على الجرائم البشعة للمارون ضد المسلمين.. لقد ظل المخيم صامداً مدة ثلاثة وخمسين يوماً، بعد أن صدّ سبعين هجوماً عنيفاً تحت أقسى الظروف.. وبعد سقوط المخيم كانت المذابح المروعة.. الموارنة ومعهم جيش «حافظ الأسد» الخائن، وتنضم إليهم منظمة «أمل» الشيعة.

□ قال «حافظ الأسد» لكمال جنبلاط: «لن نسمح لكم أن تتغلبوا على الانعزاليين أبداً.. فقال له جنبلاط: إنهم أعداء العروبة والإسلام! قال الأسد: هذا لا يمنع من أننا سنمنعكم بالقوة من أن تنتصروا على الانعزاليين»^(٢).

(١) نفس المصدر السابق (ص ٣٤).

(٢) «الحرب الصليبية العاشرة» (ص ٧٤)، ومجلة الإذاعة والتلفزيون ٢/١٠/١٩٧٦.

□ سوف نتوقف لحظاتٍ عند المجزرة التي قادتها الكتائبُ والمارون يومَ ٧ ديسمبر ١٩٧٥، والتي أُطلق عليها مذبحة «السبت الدامي» - (راجع «روزاليوسف»، رسالة عاجلة من بيروت بقلم «بكر الشرقاوي» - العدد ٢٤٨١ - بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٧٥).

فقد تمَّ في هذا اليومِ وخلالَ دقائقَ قليلةٍ ذبحُ ٣٠ مسلماً - كما تُذبحُ الشاة - في قلب الشوارع، وقد كان المارون يسألون من يمرُّ بهم قبلَ هذه المذبحة عن دينه، فإذا عرفوا أنه مسلم قالوا له: «سُبَّ رَبِّكَ».. فإذا سبَّ اللهَ وهو في رُعبٍ شديدٍ، عادوا وقالوا: «سُبَّ محمداً نبيك».. فإذا سبَّ - وكان سبه مُقدِّعاً وفاحشاً في كلِّ ما طُلب منه -، اعتقوه وجعلوه يمرُّ!

هذا ما كان يحدثُ أيامَ الهدوء النسبيِّ - كما يذكرُ مراسلُ «روزاليوسف»..
أمَّا ما حدثَ بعد ذلك في يومِ «السبت الدامي»، فتشعرُ له الأبدان:

□ على سبيل المثال:

- أمٌ عجوزٌ كانت تعبرُ الشارعَ مع ابنها، التقطوه وذبحوه أمامها من الوريد إلى الوريد؛ ولم يرحموا ضراعتها!

- زوجةٌ مسلمةٌ صغيرةُ السنِّ، اصطادوها هي وزوجها، بقروا بطنه وفقؤوا عينيه، ثم أجهزوا عليه بضربةٍ بلطةٍ فوق رأسه، ثم عادوا واستداروا لها وغمدوا «السونكي» في فرجها من فوقِ ملابسها وقالوا لها: «هاي ليكي يا مسلمة»!

- ولدٌ كتائبيُّ (١٦ سنة) راح يدفعُ أمامه رجلاً مسلماً وهو يوجهُ الرشاشَ إلى بطنه.. سقط الرجلُ على الأرضِ بعد أن تعثرَ من الرعبِ،

أمسك هذا الصبيُّ الرجلَ من شعره، وسَحَبَ سَكِينًا طويلاً من حزامه، وراح يذبحُ الرجلَ من رقبته حتى تمكَّن من فصلها في النهاية أمام «سينما ريفولي» بساحة البرج!! .

- إحراق المصاحف.. فقد كانت سيارةً متوجِّهةً إلى سورية على الطريق الدولي في منعطفٍ «عاريًا»، وتَحْمِلُ مصاحفَ مطبوعة، وأوقَفَها الكتائبون، وقلَّبوا المصاحفَ على الأرض، وأشعلوا فيها النار بعد ذبح سائقها! (١) .

وسَجَّلَتْ كلُّ وكالاتِ الأنباءِ إمدادَ إسرائيلِ بالسلاحِ للمارون والكتائب.

وذكرت وكالةُ الأنباءِ الفرنسيةِ في نبأٍ عاجلٍ لها من لبنان: أن من المرتزقةِ الأقباطِ المصريين كانوا يعملون في صفوفِ قواتِ «حزبِ الوطنيين الأحرار» برئاسة «كميل شمعون» .

ولك أن تتخيَّلَ أن القواتِ السوريَّةَ الخائنةَ لله ورسوله التي قاتلت بجانبِ المارون، كانت أربعين ألفَ رجلٍ ومعهم سَبْعُمئةُ دَبَّابةٍ، وأن نفقاتها يومياً على الأقل كانت مليون دولار، تُساندُ (١٥,٠٠٠) من قواتِ المارون الصليبيين، و(١٢,٠٠٠) مقاتلٍ من قواتِ الجيشِ اللبناني الرسميِّ بقيادة العميد «حنّا سعيد» انضمتْ أغلبيَّتها إلى الجبهةِ الصليبية .

□ يقول كميل شمعون: «لا خلاص لأحداثِ لبنان ووقفِ القتال، سوى إخراجِ الفلسطينيين من لبنان، وقتل من يتبقَّى منهم، وإقامةِ لبنان الحر

(١) «الحرب الصليبية العاشرة» (ص ٢٥-٢٦).

الذي لا ينتمي لا للعروبة ولا للإسلام» .

* كلهم البابا «أوربان الثاني» :

كلُّ صَلِيبِيٍّ هنا في أرض العرب لا يَقلُّ عن البابا «أوربان الثاني»
و«بطرس الناسك كيو كيو» - أي : الضئيل كما كان مواطنوه يُسمُّونه - و«التر
المفلس» ، كلُّهم يَحْمَلُ حَقْدًا رهيبًا للإسلام .

يذكر التاريخ أن «بطرس الناسك» اجتمع بشمعون بطريك القدس ،
وشكى شمعون أحوال المسيحيين^(١) ، وأجابه بطرس قائلاً : «اعلم - أيها
الأب المقدس - أنه لو كان لدى الكنيسة في روما والملوك في الغرب أي مُخْبِرٍ
حَذِرٍ وموثوقٍ يُخْبِرُهُم بالمصائب التي تُكابدونها^(٢) ، لكانوا سيحاولون
حتمًا تقديم العلاج بالسرعة الممكنة وبالقول والفعل لمصاعبكم هذه ، ولذلك
اكتبُ أنت بكلِّ اجتهادٍ إلى البابا العظيم وإلى الكنيسة في روما ، واكتبُ
أيضًا إلى ملوك وأمراء الغرب ، وصادق على الرسالة بخاتم سلطانك
الكهنوتي ، وبالحقيقة - إنني لمداواة رُوحِي - لن أتوانى عن الاضطلاع بهذه
المهمة»^(٣) .

وهكذا كتب بطريك القدس الخائن الرسالة ، وسلّمها لبطرس الناسك
الذي سلّمها بدوره للبابا أوربان الثاني .

(١) على حدّ زعمه الباطل الذي يُصوِّره «وليم» رئيس أساقفة «صُور» وكبير مستشاري ملك
القدس في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» (ص ١٦٣) .

(٢) وهذا كذب .

(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» (ص ١٦٤) .

□ ودعا البابا أوربان الثاني الجماهير الصليبية وخطبهم في مؤثرهم وهو على باب كنيسة «كليرمون» في نوفمبر (١٠٩٥ م - شوال ٤٨٨ هـ) قائلاً: «يا شعب الفرنجة! شعب الله المحبوب المختار، لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أبناءٌ مُحزَنَةٌ تُعَلِنُ أَنْ جَنَسًا لَعِينًا - أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنِ اللَّهِ - قَدْ طَغَى وَيَغَى فِي تِلْكَ الْبِلَادِ - بِلَادِ الْمَسِيحِيِّينَ -، وَخَرَّبَهَا بِمَا نَشَرَهُ فِيهَا مِنْ أَعْمَالِ السَّلْبِ وَالْحِرَاقِ، وَلَقَدْ سَاقُوا بَعْضَ الْأَسْرَى إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ الْأَخْرَ بَعْدَ أَنْ عَذَّبُوهُمْ أَشْنَعَ تَعْذِيبٍ، وَهَمْ يَهْدِمُونَ الْمَذَابِحَ وَالْكَنَائِسَ بَعْدَ أَنْ يُدْنِسُوهَا بِرِجْسِهِمْ، وَلَقَدْ قَطَّعُوا أَوْصَالَ مَمْلَكَةِ الْيُونَانِ، فَانْتَزَعُوا مِنْهَا أَقَالِيمَ بَلَغَ مِنْ سَعَتِهَا أَنْ الْمَسَافِرَ فِيهَا لَا يَسْتَطِيعُ اجْتِيَازَهَا فِي شَهْرَيْنِ كَامِلَيْنِ.

عَلَى مَنْ تَقَعُ تَبِعَةُ الْإِنْتِقَامِ لِهَذِهِ الْمَظَالِمِ، وَاسْتِعَادَةِ تِلْكَ الْأَصْقَاعِ، إِذَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ؟! أَنْتُمْ يَا مَنْ حَبَاكُمُ اللَّهُ - أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ آخَرِينَ - بِالْمَجْدِ فِي الْقِتَالِ وَبِالْبِسَالَةِ الْعَظِيمَةِ، وَبِالْقُدْرَةِ عَلَى إِذْلَالِ رُؤُوسِ مَنْ يَقِفُونَ فِي وُجُوهِكُمْ!؟.

أَلَا قَلِيكُنَّ مِنْ أَعْمَالِ أَسْلَافِكُمْ مَا يُقَوِّي قُلُوبَكُمْ - أَمْجَادِ شَارِمَانَ وَعَظْمَتِهِ، وَأَمْجَادِ غَيْرِهِ مِنْ مَلُوكِكُمْ وَعَظْمَتِهِمْ -، فَلْيُثِرْ هَمَّتِكُمْ ضَرِيحُ الْمَسِيحِ الْمَقْدَسِ رَبِّنَا وَمُقَدِّنَا، الضَّرِيحُ الَّذِي تَمْتَلِكُهُ الْآنَ أُمُّ نَجَسَةٍ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمَقْدَسَةِ الَّتِي لُوْثَتْ وَدُنِّسَتْ، لَا تَدْعُوا شَيْئًا يَقَعْدُ بِكُمْ عَنْ أَمْلَاكِكُمْ أَوْ مِنْ شُؤُونِ أُسْرِكُمْ، ذَلِكَ بَأَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ الَّتِي تَسْكُنُونَهَا الْآنَ - وَالَّتِي تُحِيطُ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا الْبِحَارُ وَقُلُلُ الْجِبَالِ - ضَيِّقَةٌ لَا تَسْعُ لِسَكَّانِهَا

الكثيرين، تكادُ تعجزُ عن أن تجودَ بما يكفيكم من الطعام، ومن هذا يذبحُ بعضكم بعضاً، ويلتهمُ بعضكم بعضاً، وتتحاربون ويهلكُ الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

ظهِرُوا قلوبكم إِذْنُ من أدرانِ الحِقدِ، وأفضُوا على ما بينكم من نزاعٍ، واتخذوا طريقكم إلى الضريحِ المقدَّسِ، وانتزعوا هذه الأرضَ من ذلك الجنسِ الخبيثِ، وتملكوها أنتم، إنَّ «أورشليم» أرضٌ لا نظيرَ لها في ثمارِها، هي فردوسُ المباحِجِ.

إن المدينةَ العظيمةَ القائمةَ في وسط العالمِ تَسْتغِيثُ بكم أنْ هُبُوا لِإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلةِ راغبين متحمسين، تتخلَّصوا من ذنوبكم، وثقوا أنكم ستنالون من أجل ذلك مجداً لا يَفْنَى في السماوات»^(١).

□ يقول «وليم» - رئيسُ أساقفةِ «صور» - في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» بعض ما جاء في موعظة البابا - حسب روايته -: «إنَّ مَهْدَ عقيدتنا وموطنَ ربِّنا وأمَّ الخلاصِ يَسْتولي عليها الآن بكلِّ قوَّةٍ شعبٌ بدون ربٍّ، إنه ابنُ لجاريةٍ مصرية^(٢)، وهو يفرضُ شروطاً مفرطَةً في شدَّتِها على الأبناءِ الأُسرى للمرأةِ الحرَّةِ^(٣)، وذلك على الرَّغمِ من أنه هو المستحقُّ لهذه الأحوال.

(١) انظر «قصة الحضارة» لول ديورنت (١٥/١٥ - ١٦) الترجمة العربية بقلم محمد بدران، وكتاب «وثائق الحروب الصليبية» للدكتور محمد ماهر حمادة - مؤسسة الرسالة.

(٢) أي: المسلمون باعتبار أن أمهم هاجر أم إسماعيل ﷺ.

(٣) أي: سارة زوجة ﷺ أم إسحاق ﷺ.

لقد اضطَّهد عرقُ السراسنة^(١) الشِّريرُ التابعُ للمعتقداتِ الخُرَافيةِ^(٢) النَّجِسةِ - لسنواتٍ عديدةٍ وبكلِّ عُنْفٍ واستبدادٍ - الأماكنَ المقدَّسةَ حيث ارتكزت أقدامُ ربِّنا، وأخضعَ المؤمنونَ لرغباته، وحكَّم بالعبودية عليهم، ولقد دَخَلت الكلابُ الأماكنَ المقدَّسةَ، وجَرى تديسُ المقدَّساتِ، وإذلالُ الناسِ عبدةِ الربِّ.

إنَّ معبدَ الربِّ الذي طَرَدَ منه - بغيرته - الذين باعوا واشتروا، حتى لا يُصبحَ بيتُ أبيه مَغارةً للصَّوَصِ، قد جُعِلَ بيتًا للشياطينِ.

إنَّ مدينةَ مَلِكِ الملوكِ التي نَقَلت إلى الآخرين مبادئَ عقيدةِ عصماءَ، تُدْفَعُ عليي الرِّغمِ من إرادتها لتكونَ خاضعةً لدعاوىِ الشعوبِ المُنحَطَّةِ.

كما أن «كنيسةَ القيامةِ» المقدَّسةَ - مكانَ الاستراحةِ الأخيرةِ للربِّ النَّائمِ -!! تتحمَّلُ حكمَهم، وقد دنَّستها قذارَةُ الذين ليس لهم نصيبٌ في القيامةِ^(٣)، بل مُقدَّرٌ عليهم أن يُحرقوا للأبدِ كالقَشِّ بآلسِنَةِ النيرانِ السَّرْمَديَةِ.

لِنذهبْ إلى نجدةِ إخواننا، لِنقطعْ قيودَهم، ولِنطرحْ عنهم ربَطَهم، اذهبوا وليكنِ الربُّ معكم، وجَّهوا أسلحتكم التي لَطَّختموها بشكلٍ محرَّمٍ في ذبحِ بعضِكُم بعضاً إلى أعداءِ العقيدةِ وأعداءِ اسمِ المسيحِ.

عليكم أن تكبِّحوا بكرائيةِ قوميةِ غطرسةِ الكفِّرةِ^(٤) الذين يُحاولون

(١) أي: العرب المسلمون.

(٢) يقصدون بذلك الإسلام.

(٣) يعني: المسلمين.

(٤) أي: المسلمين.

استعباد الممالك والإمارات والقوى، وأن تُهاجموا بكلِّ قوتكم أولئك العاقدي العزم على تدمير الاسم المسيحي، وإلا فسيحدث أن كنيسة الرب - التي تُكابِدُ الآن من نير العبودية المُجحفَة - ستُعاني خلال فترة قصيرة من خسارة العقيدة، وستتصرُّ خرافاتُ الوثنيين^(١) . . . ولقد رأى بعضكم بأمرٍ عينيه هذه الأشياء التي نتحدّثُ عنها الآن، ويعرفُ نوعَ المحنة التي يعيشُ إخواننا فيها، وإنَّ كتابهم الذي أحضره باليد «بطرس» الرجلُ المُبجلُّ الموجودُ معنا هنا ينطقُ بمحتوى هذه الرسالة ذاتها.

وبناءً عليه نقومُ واثقين برحمة الربِّ، وبسلطانِ الرُّسلِ المباركين - بطرس وبولس - بمنح المسيحيين المؤمنين الذين يحملون السلاحَ ضدَّ المُلحدين^(٢)، ويتولَّون للقيام بأعباءِ هذا الحجِّ مغفرةً للعقوباتِ المفروضةِ عليهم بسببِ خطاياهم، وليثقِ الذين سيرحلون إلى هناك بتوبةٍ صادقةٍ أنهم سيلاقون التكفيرَ عن آثامهم، وسيجنون ثمارَ الجزاءِ السَّرمديِّ، ونضع في الوقتِ نفسه تحتَ حمايةِ الكنيسةِ وحمايةِ بطرس وبولسِ المباركينِ جميعَ الذين سيُباشرون هذه المهمةَ بحماسةِ الإيمانِ ويتولَّون قتالَ المُلحدين^(٣).

□ يقول أسقفُ صور: «ويمكن القولُ بالفعل بأن قولَ الربِّ كان يتحقَّقُ حيث يقول: «ما جئتُ لألقي سلاماً بل سيفاً»^(٣).

فماذا فعل الصليبيون باتباع محمد ﷺ في الحملة الصليبية؟! .

(١) يعني المسلمين.

(٢) يقصد المسلمين.

(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» (ص ١٦٩ - ١٧٣).

عندما دخلوا «أنطاكية» عام ٤٩١هـ قتلوا وأسروا وسبوا ما لا يدرکه
حصراً^(١).

□ يقولُ صاحبُ كتاب «أعمال الفرنجة»: «إن الإنسان لم يكن يسيرُ
في الطرقات إلاَّ على الجثث، وقد تعفنت كلها تحت شمسِ يونيو
وحارته»^(٢).

□ وعندما هاجموا «معرة النعمان» سنة ٤٩١هـ، واضطُرَّ أهلها
للاستسلام مقابلَ أمانٍ أخذوه، غدر الفرنجةُ بأهلها، ونهبوا ما وجدوه،
وقدَّر عددُ القتلى من المسلمين بأكثرَ من عشرين ألفاً، بينما يُقدِّرهم ابنُ
الأثير بمئة ألف^(٣).

□ أما في بيت المقدس:

فقد فاقت وحشيتهم كلَّ وصف، ارتكبوا فيها ما قد استنكره مؤرِّخو
الإفرنج أنفسهم.

□ روى شاهدُ عيانٍ منهم ما فعله قومه عندما دخلوا بيت المقدس،
فقال: «إن النساءَ كنَّ يُقتلن طعناً بالسيوف والحِراب، وكان الأطفالُ
يُختطفون بأرجلهم من أئداءِ أمهاتهم، فيُقدَف بهم من فوقِ الأسوار، أو
تُهشم رؤوسهم بدقِّها بالأعمدة، وذُبح سبعون ألفاً من المسلمين الذين بقوا
في المدينة»^(٤).

(١) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي (ص ١٣٥).

(٢) «نور الدين محمود» لحسين مؤنس (ص ٥٩).

(٣) «الكامل في التاريخ» (١٨٧/٨).

(٤) «قصة الحضارة» (٢٥/٤) لول ديورانت - ترجمة محمد بدران - طبعة لجنة التأليف

□ وذكر الراهب «روبرت» بيت المقدس بعد فتحها فقال: «كان قومنا يجوبون الشوارع والبيادين وسطوح المنازل؛ ليرووا غليلهم من التقتيل، كانوا كاللبؤات التي خُطفت صغارها، يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ، ويُقطعونهم إرباً إرباً».

كانوا يشنون أناساً كثيرين بحبل واحد بُغية السرعة، ويا للغرابة أن تُذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلمة بأقصى سلاح، من غير مقاومة!! .
كان قومنا يبقرون بطون الموتى، ليخرجوا منها قطعاً ذهبية، فكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجنث»^(١).

□ قال ابن الأثير: «قتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم كثيرٌ من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان، وجاور ذلك الموضع الشريف»^(٢).

□ يقول «وليم» أسقف صور: «لقد كان بالفعل حكمُ الله القويم»^(٣) الذي قضى على الذين دنسوا حرم المسيح بطقوسهم الخرافية، وجعلوه مكاناً غريباً بالنسبة لأهله المؤمنين: أن يكفروا عن خطاياهم بالموت، وأن يطهروا الأروقة المقدسة بسفك دمائهم.

وبات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع، فقد انتشرت أشلاء الجنث البشرية في كل مكان، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى، ولم يكن مشهد الجنث التي فصلت الرؤوس عنها والأضلاع

(١) «حضارة العرب» لغوستاف لوبون (ص ٣٢٥).

(٢) «الكامل في التاريخ» (١٨٩/٨).

(٣) بل هو - والله - حكمُ الشيطان الرجيم.

المتبورة المتناثرة في جميع الاتجاهات هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهَبُ من ذلك هو النظرُ إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطَّخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم . . إنه منظر مشؤوم جلب الرعب لجميع من واجهوه»^(١) .

□ يقول «وليم» أسقف صور: «طاف بقية الجنود خلال المدينة بحثاً عن التعساء الباقين على قيد الحياة، والذين يُمكن أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت، وسُحب هؤلاء على مرأى من الجميع، وذُبحوا كالأغنام، وتشكَّل البعض في زُمرٍ، واقتحموا المنازل حيث قبضوا على أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم، وقُتلت هذه الضحايا، أو قُذفت من مكان مرتفع حيث هلكت بشكل مأساوي»^(٢) .

(١) «تاريخ الحروب الصليبية» (ص ٤٣٣).

(٢) «تاريخ الحروب الصليبية» لوليم أسقف صور.

بل هي حرب على الإسلام

* من أوريان الثاني إلى البابا يوحنا بولس الثاني :

اسمه «كارول فوجيتلا» من بولندا . . . وُلد في ١٨ مايو ١٩٢٠م، وفي ١٤ أكتوبر ١٩٧٨ انتُخب «كارول» باباً للكرسي الرسولي للفتيكان، وهو أولُ بابا غير إيطالي يتمُّ اختياره منذ ٤٥٠ سنة، وسمي بالبابا «يوحنا بولس الثاني».

* رأي «يوحنا بولس الثاني» في القرآن :

□ رأي البابا في القرآن أنه مقتبسٌ من التراث المسيحي^(١) ، فقد قال البابا في حوارٍ له مع صحافيٍّ إيطاليٍّ : «أيُّ شخصٍ يقرأ القرآن - وهو على درايةٍ مُسبَّقةٍ بالعهد القديم والجديد - ، سيلحظُ بوضوحٍ : سياقَ الاختزالِ الذي تعرَّضَ له التنزيلُ الإلهيُّ المسيحيُّ، ومن المحالِ ألاَّ يصطدمَ المرءُ من عدمِ الفهمِ الذي يظهرُ في القرآن بوضوحٍ لما قاله الله عن نفسه : أولاً : عن طريق الأنبياء في العهد القديم، ثم لما قاله بصورةٍ نهائيةٍ في العهد الجديد عن طريق ابنه، وبالفعلِ إن كلَّ هذا الثراءِ الخاصِّ يكشفُ الله عن ذاته، والذي يُمثِّلُ تراثَ العهد القديم والجديد، قد تُركَ جانباً في الإسلام»^(٢) .

* رأي البابا في إله المسلمين :

□ يقول هذا القزمُ : «إنَّ اللهَ القرآنيَّ تُطلقُ عليه أجملُ الأسماءِ

(١) انظر كتاب «الفايتكان والإسلام» للدكتورة زينب عبدالعزيز - دار الكتاب العربي ٢٠٠٥ .

(٢) «كلام في الممنوع . . . الاختراق اليهودي للفايتكان» (ص ١٤ - ١٥) لمحمد عبدالحليم

المعروفة في اللغة الأسبانية، لكنه في نهاية المطاف إله يظل غريباً عن العالم، إنه إله عبارة عن إله جلاله (كبرياء) فحسب، وليس إلهاً متواصلاً مع البشر (عمانوئيل). - الله معنا - إن الإسلام ليس دين فداء، وهو لا يُعطي أية مساحة للصليب ولا للبعث»^(١).

* عداوة دفينّة أبدية :

من أين جاءت هذه العداوة الدفينّة من الصليبيين في الشرق أو الغرب عرباً كانوا أم عجماً لكل ما يمتُّ إلى الإسلام ونيه المسلمين بصلّة؟! حتى كأنّ الشعر الجاهليّ «لَقَيْطَ بْنَ يَعْمَرَ الْإِيَادِي» يعينهم حين قال :

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْتَوْنَ الْحَرَابَ لَكُمْ لَا يَهْجَعُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَعًا
خُرُوعِيُونَهُمْ كَأَنَّ لِحَظَّهُمْ حَرِيْقُ غَابٍ تَرَى مِنْهُ السَّنَا قَطْعًا

□ يقول «غوستاف لوبون»: «لقد تجمعت العقدة الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكت خلال قرونٍ سحيقة، حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي»^(٢).

هل خبت هذه الروح التي لا تطيق سماع اسم محمد ﷺ أو المسلمين من أتباعه؟! .

والله ما خبت يوماً روح العداوة للنبي محمد ﷺ وأتباعه، بل هي في ازدياد، وما وقع في البوسنة والعراق فاق محاكم التفتيش في الأندلس، أو

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) مقدمة «التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي»، تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب «مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية» (ص ١١) هذبّه محمد العبدّة - دار ابن حزم .

إبادة الهنود في أمريكا الشمالية .

□ يَصِفُ «كافين رايلي» في كتابه «الغرب والعالم» المذبحة التي تَمَّتْ للمسلمين يومَ سقوطِ القُدسِ على أيدي الصليبيين بقوله : «بعد أن سَقَطت المدينةُ وَقَعَتِ المذبحةُ ؛ إذ ذُبِحَ كلُّ المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً، فيما عدا الحاكمَ وحرسَه، الذين تمكَّنوا من اقتداءِ أنفسهمَ بالمال، وتمَّ اصطحابُهم إلى خارجِ المدينة .

وفي مَعْبَدِ «سليمان» وحولَه، خاضت الجيادُ في الدمِ حتى الرُكْبِ واللجامِ، فقد كان حُكْمُ اللَّهِ عادلاً ورائعاً، ففي هذا المكانِ نَفْسِه ارتفعت هَرَطاتُ هؤلاءِ المُجْدِفِينَ^(١) في حقِّ اللَّهِ الذي يَتَلَقَّى فيه دماءَهم الآن» .

وقد نَظَمَ الصليبيون يومَ ذاكِ مواكبَ النصرِ إلى كنيسةِ القبرِ المقدَّسِ، وهم يَبْكُون من شدةِ الفرحِ، وَيُغَنُّونَ أغانيَ الشكرِ للربِّ «يسوع» :

أَيُّهَا اليَوْمُ الجَدِيدُ

أَيُّهَا البَهجَةُ

أَيُّهَا الفَرَحُ الجَدِيدُ الدائمُ

ذَلِكَ اليَوْمُ خالِدَةٌ ذِكْرَاهُ

طَوَالَ القُرُونِ الآتِيَةِ

حَوْلَ كُلِّ عَذَابِنَا وَمِصَاعِينَا

إِلَى فَرَحٍ وَبَهجَةٍ

(١) يعني بذلك المسلمين . . والمجدفين أي الضالين .

ذلك اليوم تثبتت أكيدٌ للمسيحية

وسحقٌ للوثنية

وتأكيدٌ لإيماننا»^(١) .

ويومَ أن عادت القدسُ على يدِ البطل «صلاح الدين الأيوبي» ما نسيَ الصليبيون له هذه، ويومَ اجتاحت جحافلُ الصليبِ الفرنسيُّ أرضَ سوريا، فأقدم الجنرالُ الصليبيُّ الحاقد «غورو»، ووضعَ قدمه على قبرِ «صلاح الدين» قائلاً: «قُمْ يا صلاح الدين، ها قد عدنا» . . وقالها الجنرال «إِلنبي» عند دخوله القدس: «الآن انتهت الحروبُ الصليبية» .

* الصليبيون الإنجليز عند دخولهم الهند:

يوم أن احتلَّ البريطانيون الهندَ، فعلوا بالمسلمين ما يفوقُ الوصفَ، وخذُ على سبيلِ المثال:

□ يقولُ المؤرِّخُ الأمريكي «إدوارد توماس»: «سيق ٨٥ جندياً إلى المحكمةِ العسكرية، تحتَ مراقبةِ الحُرَّاسِ، وحُكِمَ عليهم جميعاً بأن تُعرَّئى أجسادُهم جميعاً، وأن يُكبَّلوا بالأصفاد، وأن يُترَكوا بلا طعام، وكان منظرًا مؤلماً، ارتجفت له قلوبُ الرفقاء، إذ كان بينهم من خدَم هؤلاء الصليبيين خِدَماتٍ جلييلة، ومنهم من حاربَ في صفوفهم، ولقِيَ الشدائدَ والأذى في سبيلِ إرضائهم .

(١) «عندما حكم الصليب» (ص ١٦ - ١٧) لأبي إسلام أحمد عبدالله - بيت الحكمة - القاهرة.

ولكنهم كانوا جميعاً يتمنون إلى دين الإسلام؛ ولذا فقد صدر القرارُ أن يموتوا هكذا جوعاً وعطشاً وذلةً، وهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم مكبلون في القيود أمام أعين الجميع، حتى علّق اللورد «كايننج» - حاكمُ الهند العام - على هذا الحكم الذي شارك في إصداره بقوله: بلغ هذا الحكم من السفاهة مبلغاً لا يوجد له نظيرٌ في تاريخ الهند»^(١).

□ يقول المؤرّخ الأمريكي «إدوارد توماس» عن مذابح الإنجليز للمسلمين بالهند: «لقد تطوّرت مذابحُ الإنجليز، حتى باتوا لا يكتفون بالشنق، بل كانوا يُغلِقون عليهم بيوتهم، ثم يُشعلون فيها النار؛ فيصرون رماداً».

□ وكتب «دلين لين» مدير صحيفة «تايمز أو إنديا» نقلاً عن أجندة أحد الجنود: «كان المسلمون يحاطون بجلود الخنازير، ثم يُخيّطونها عليهم، أو يدلكونهم بشحومها، ثم يُشعلون فيهم النار وهم أحياء، كما كان يُجبرُ المسلمون على أن يفعلَ أحدهم الفاحشة في أخيه».

وسوف تظلُّ هذه التصرفاتُ وصمةً عارٍ على جبين المسيحيين الإنجليز لا تمحى على مرّ الأيام».

□ ونقلاً عن سطورٍ من كتاب قائدِ قوَّات الجيش البريطاني في الهند (٤١ سنة)، كتب يصفُ حالَ مدينة «دلهي» يوم أن دخلها في ٢٤ سبتمبر ١٨٥٧ فقال: «لقد كانت «دلهي» في الحقيقة مدينة الأهوال، ليس بها داع ولا مُجيب، فلا صوت إلا صوتُ سنابك الخيل، ولم يَقعُ بصرنا على عرقٍ

(١) المصدر السابق (ص ٢٤-٢٥).

ينبض، أو عينٍ تَطْرِفُ، لم تكن هناك إلا جُثُّ هَامِدَةٌ مَبْعَثَةٌ هنا وهناك، وقد كانت في أوضاعٍ مختلفةٍ ضَيَّعَهَا صِرَاعُ الْحَيَاةِ مَعَ الْمَوْتِ فِي أَدْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ.

كُنَّا لَا نَتَكَلَّمُ إِلَّا هَمْسًا؛ حَتَّى لَا نُزْعِجَ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءَ الَّذِينَ كَانُوا مُسْتَغْرِقِينَ فِي نَوْمَةِ الْمَوْتِ، إِنَّ مَا رَأَيْنَاهُ مِنَ الْمُنَاطِرِ كَانَتْ هَائِلَةً مُفْزِعَةً، وَكَانَتْ مُؤَسِفَةً مُحْزَنَةً، وَقَدْ كَانَتْ بَعْضُ الْجُثِّ تَنْتَهَشُهَا «كِلَابٌ»، وَكَانَ عِنْدَ بَعْضِهَا «نِسْرٌ» يَرْفِرُ بِجَنَاحِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَطِيرَ، فَلَا يَسْتَطِيعُ، لِفِرْطِ الشَّبَعِ وَالثَّقْلِ.

لَقَدْ كَانَ مَنْظَرًا مَهِيئًا مُوَحِّشًا لَا يُمَكِّنُ تَصْوِيرَهُ، وَكَأَنَّ خَيْلَنَا قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الدُّعْرُ، فَكَانَتْ تَجْفَلُ وَتَنْتَفِخُ مَنَاخِرُهَا، وَقَدْ كَانَ الْمَحِيطُ كُلُّهُ مُرَوِّعًا، يَغْضُ بُرُوحًا مُضْرَةً تَبْعَثُ الْأَمْرَاضَ»^(١).

□ وَيُسَجَّلُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ حَسِينُ الْمَدِينِي - أَحَدُ شُهَدَاءِ الْعِيَانِ - سُلُوكَ الصَّلِيبِيِّينَ الْإِنْجِلِيزِيِّينَ قَائِلًا: «إِنِّي لَا أَجِدُ وَصْفًا أُعْبِرُ بِهِ عَنِ أَعْمَالِ الْبِشَاعَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ خِسَّةٍ وَدَنَاءَةٍ ارْتَكَبَهَا أَهْلُ الصَّلِيبِ، فَقَدْ أَمَرُوا خَوْنَةَ السَّيْخِ أَنْ يَفْعَلُوا أَفْعَالًا شَادَّةً قَبِيحَةً مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ، وَعَلَّقُوا رُؤُوسَ الشَّهَدَاءِ وَجَسَّهَمَ عَلَى الْأَشْجَارِ، وَحَوَّلُوا مَسْجِدَ «شَاهِ جِهَانَ» إِلَى مَكَانٍ لِلْقِمَامَةِ».

□ وَقَالَ الشَّيْخُ «فَضَلَ حَقَّ خَيْرِ أَبَادِي» أَحَدُ عُلَمَاءِ الْهِنْدِ الْكِبَارِ: «بِهَذِهِ الرُّوحِ الْحَبِيثَةِ - رُوحِ التَّشْفِيِّ وَالْإِنْتِقَامِ - أَنْهَالُوا عَلَى «دَلْهِي» وَأَهْلِهَا يَدْمُرُونَ

(١) «المسلمون في الهند» لأبي الحسن الندوي (ص ٧٦-٧٧) - دار الفتح - دمشق.

ويقتلون وينهبون، حتى بلغ عدد قتلى المسلمين (٢٧) ألفاً، وتحولت معظم أحيائها أنقاضاً، والمساجد خراباً، وتكدست الجثث في الشوارع، وجرت الدماء في الساحات أنهاراً.

□ ويقرر «إدوارد توماس» فظاعة الصليبيين وخستهم فيقول: «في دلهي» قبض على الملك وأسرته جميعاً، وسيقوا مُقيدين في ذلة وانكسار، وفي الطريق أطلق الضابط الصليبي «هيدسين» الرصاصة على ثلاثة من أبناء الملك، ثم قطعوا رؤوسهم، ثم سَوَّلت للذين يدعون الحضارة نفوسهم بالبشاعة إلى حدّ تشمئز منه النفوس، فحين قدّموا الطعام للملك وهو في السجن، كانت مفاجأة مذهلة عندما كشف الغطاء، فلم يجد طعاماً، بل وجد رؤوس أبناء الثلاثة.

وهنا تمالك الشيخ الضعيف نفسه في رباطة جأش وقال: «إن أبناء التيموريين البواسل يأتون هكذا إلى آبائهم محمّرة وجوههم». ثم أخذوا الرؤوس، وعلّقوها على بوابة كبيرة في «نيودلهي» تُسمّى الآن «فوني درواز» أي: «بوابة الدماء».

□ يقول المؤرّخ «سبنسر بول» شاهداً على جرائم أهل الصليب: «إن الإنجليز عندما استولوا على «دلهي» نصبوا المشانق في الشوارع، وصلّبوا (٣٠٠٠) رجل مسلم، كان منهم (٢٩) من الأسرة الحاكمة».

□ ولعلّ أفضل تلخيص لموقف عبدة الصليب من أتباع محمد ﷺ، هو ذلك الطلب الذي تقدّم به القائد الإنجليزي «الفرنسين نكلسون» إلى سيده

«إدوار كايننج» الحاكم العام للهند: «علينا أن نسنَّ قانوناً يُبيحُ لنا إحراقَ المسلمين وسلخَ جلودهم؛ لأن نارَ الانتقام لا تشفي الغليل، ولا تُخمدُه، بالشَّنقِ وحده».

* محاكم التفتيش في أسبانيا: (من سنة ١٥٥٢ إلى سنة ١٦٠٩م):

فَعَلَ فِيهَا الصَّلِيبِيُّونَ مَا تَقَشَعِرُّ لَهْوَلَهُ الْأَبْدَانُ: «آلاتٌ لتكسير العظامِ وسَحَقِ الْأَجْسَادِ، كانوا يبدؤون بسَحَقِ عِظَامِ الْأَرْجُلِ، ثم عِظَامِ الصَّدْرِ والرَّاسِ وَالْيَدَيْنِ، حتى تأتي الآلةُ على البَدَنِ المَهْشَمِ كُلِّهِ، فيُخْرَجُ مِنَ الْجَانِبِ الْأَخْرَى كِتْلَةً وَاحِدَةً.

□ وصندوقٌ في حجمِ رَأْسِ الْإِنْسَانِ تَمَامًا، تُوَضَعُ فِيهِ رَأْسُ الْمُعَذَّبِ بَعْدَ أَنْ يُرْبَطَ بِالسَّلَاسِلِ مِنْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، ثم تُقَطَّرُ عَلَى رَأْسِهِ نُقْطٌ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ ثُقْبِ أَعْلَى الصَّنَدُوقِ، فَتَقَعُ عَلَى رَأْسِهِ بِانْتِظَامٍ، حَتَّى يَلْفِظَ أَنْفَاسَهُ مَجْنُونًا، وَآلاتٌ لَتَقْطِيعِ اللِّسَانِ، وَأُخْرَى لَتَمْزِيقِ أَثْدَاءِ النِّسَاءِ وَسَحْبِهَا مِنَ الصَّدُورِ بِوَسْاطَةِ كَلَالِيبِ، وَمَجَالِدِ مِنَ الْحَدِيدِ الشَّائِكِ لِضَرْبِ الْمُعَذَّبِينَ وَهَمَّ عَرَايَا حَتَّى يَتَنَاثَرَ اللَّحْمُ عَنِ الْعِظَمِ.

كَانَتْ تَصْدُرُّ أَحْكَامُ الْإِعْدَامِ بِالْجَمْلَةِ بِصِفَةِ يَوْمِيَّةٍ ضَدَّ الْمُسْلِمِينَ رَمِيًّا بِالرِّصَاصِ فِي مَهْرَجَانَاتٍ ضَخْمَةٍ يَحْضُرُهَا الْقِسَاوِسَةُ وَرِجَالُ الدَّوْلَةِ وَالْأَهَالِي، وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْمَلِكُ يَحْضُرُ بِنَفْسِهِ لِيَبَارِكَ عَمَلَ الْكَنِيسَةِ!

أَمَّا عَائِلَاتُ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ يَتَمُّ حَرْقُهُمْ فِي مَحَارِقِ ضَخْمَةٍ أَسْمَوْهَا «مَوَاكِبِ الْمَوْتِ».

□ يَقُولُ الْمَوْرِّخُ «لورنتي»: «أَلْقَتِ مَحْكَمَةُ التَّفْتِيشِ أَكْثَرَ مِنْ

(٣١, ٠٠٠) نَفْسٍ فِي النَّارِ وَ (٢٩٠, ٠٠٠) عَقُوبَةٌ تَلِي الْإِعْدَامَ.

أما عن عقوبة الإلقاء في النار، فقد أُقيمت محارقٌ عدَّةٌ في الميادين العامة بالمدن الكبيرة، وكانت تُنظَّمُ لها مهرجاناتٌ واحتفالات، يشهدها الأحرارُ وأبناء الكنيسة والملوكُ أحياناً، كأنها أعيادٌ يَطْرَبُ لها الناس، ولا يَجِدُونَ في مناظرها ما يدْعُو إلى الضيق والاشمئزاز»^(١).

وَمِنَ آلَاتِ التَّعْذِيبِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الصَّلِيبِيِّينَ - الَّذِينَ نَزَعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ، فَلَمْ تَبْقَ مِنْهَا ذَرَّةٌ وَاحِدَةٌ فِي صُدُورِهِمْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»^(٢)، - فَمِنْ وَسَائِلِ تَعْذِيبِهِمْ: غُرْفٌ صَغِيرَةٌ فِي حِجْمِ الْإِنْسَانِ، بَعْضُهَا رَأْسِي، وَبَعْضُهَا أَفْقِي، كَانَتْ مُخَصَّصَةً لِلسَّجْنَاءِ يَقْضُونَ فِيهَا حَيَاتَهُمْ إِلَى الْمَمَاتِ، ثُمَّ تَبْقَى الْجِثُّ فِي سِجْنِهَا الضَّيِّقِ حَتَّى تَبْلَى وَيَتَساقَطَ اللَّحْمُ عَنِ الْعِظْمِ، وَتَبْقَى الْهَيْكَلُ الْبَشَرِيَّةُ فِي أَغْلَالِهَا سَجِينَةً.

□ وَمِنَ آلَاتِ التَّعْذِيبِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْوَحُوشِ آلَةُ تُسَمَّى «السَّيْدَةَ الْجَمِيلَةَ»، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ تَابُوتِ تَنَامُ فِيهِ صُورَةٌ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ مَصْنُوعَةٌ عَلَى هَيْئَةِ الْإِسْتِعْدَادِ لِعِنَاقٍ مِنْ يَنَامُ مَعَهَا، وَقَدْ بَرَزَتْ مِنْ أَعْضَائِهَا سَكَكِينٌ حَادَّةٌ، كَانُوا يَطْرَحُونَ الشَّابَّ الْمَعْدَبَ فَوْقَ الصُّورَةِ، ثُمَّ يُطَبِّقُونَ عَلَيْهِ بَابَ

(١) «الاضطهاد الديني في المسيحية» (ص ٤٠) لتوفيق الطويل - الزهراء للإعلام العربي القاهرة.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرک» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٤٦٧).

التابوت، حتى يتمزق جسد الشاب ويقطع إرباً.

* ومن أعداء رسول الله ﷺ: الصليبيون الفرنسيون الذين احتلوا الجزائر وفعلوا بها الأفاعيل:

إرهاب صليبيٌ قدرٌ يدلُّ على نفوسٍ منحطّةٍ مُجرمةٍ لا تمّتُ إلى الإنسانيةِ بصِلّةٍ، تحاول فرضَ العقيدةِ الصليبيةِ على مُسلمي الجزائرِ جبراً وبمباركة الكنيسة! .

ففي عام ١٨٣٢م أعلن القائد «روفجيو» عن تحويل مسجد «القشاوة» - أجمل مساجد الجزائر، والذي يقع بالحلي الأوروبي وسط مدينة الجزائر - إلى كنيسة.

وتحدّد ظهرُ يوم ١٨ ديسمبر ١٨٣٢م لإنجازِ هذا العمل، وتقدّمت في الموعدِ المحدّد إحدى طائراتِ الجيش، أنزلت فرقةً من سلاح المهندسين، توجّهت مباشرةً إلى محاصرةِ أبوابِ المسجد «بالبلط» و«الفؤوس»، وبدخلِ المسجدِ أربعةً آلافِ مسلم، كانوا قد اعتصموا داخلَ المسجد خلفَ متاريس.

ثم اندفعتِ القوةُ العسكريةُ تسقيها سناكي البنادق، فخرّ المسلمون جرحى وصرعى تحت أرجل الجنود، واستمرت هذه المذبحة طوال الليل، حتى إذا جاء الصباح صار الجامعُ «كاتدرائية الجزائر».

وما أن انتهى الجنودُ من وضعِ الصليبِ على كلِّ بابٍ من أبوابِ المسجد، وفي نشوةِ هذا الانتصار، داروا على أعقابهم صوبَ مسجد «القصبة»، فدخله الضباطُ والجنودُ، وأقاموا فيه شعائرهم الدينية.

□ وتَزَعَمُ الْقَسُّ «شوسيه» - الوكيلُ العامُّ لأسقفِ الجزائر - قيادةً طابورهم، يُرْتَلُونَ أَنْشُودَةَ الْغُفْرَانِ . . وَأَعَدَّ هَذَا الْقَسُّ لِنَفْسِهِ مَنبِرًا لِلوَعظِ، وَأَتَى لَهُ بِمَنبِرٍ أَثْرِيٍّ مِنْ مَسْجِدٍ يُقَالُ لَهُ: «الْمَقْدَسُ»، وَوَقَفَ سَكْرَتِيرُ الْحَاكِمِ «يُوجُو» يَقُولُ: «إِنَّ آخِرَ أَيَّامِ الْإِسْلَامِ قَدْ دَنَتْ، وَفِي خِلَالِ عَشْرِينَ عَامًا، لَنْ يَكُونَ لِلْجَزَائِرِ إِلَهٌ غَيْرُ الْمَسِيحِ، وَنَحْنُ إِذَا أَمْكَنَّا أَنْ نَشْكَّ فِي أَنْ هَذِهِ الْأَرْضُ تَمْلِكُهَا فَرَنْسَا، فَلَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَشْكَّ - عَلَى أَيِّ حَالٍ - أَنَّهَا قَدْ ضَاعَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ لِلأَبَدِ . . أَمَا الْعَرَبُ، فَلَنْ يَكُونُوا مِلْكًا لِفَرَنْسَا إِلَّا إِذَا أَصْبَحُوا مَسِيحِينَ جَمِيعًا»^(١).

□ وانظر إلى نموذج من خِسة الصليبيين الفرنسيين وبشاعةِ مذابحهم للمسلمين التي وصفتها التقاريرُ الرسميةُ التي أرسلت إلى العاصمة «باريس»: «جريمةٌ شنعاءٌ، وهي إبادةُ قبيلةٍ بأكملها، تحت دعوىِ اتهامِ أحدِ أفرادها بارتكابِ جريمةِ سرقةٍ، ثم تحقُّقٌ بعد أن تَمَّتْ عمليةُ الإبادةِ أن المتهَمَ بريءٌ!!» .
وبناءً على تعليمات الجنرال «روفجيو» خرجت قوةٌ من الجنود من مدينة الجزائر في ليل ٦ أبريل ١٨٣٢، وانقضت قبيل الفجر على أفراد القبيلة، وهم نيامٌ تحت خيامهم، فذبحتهم جميعاً بغير ما تميِّز في الأعمار والأجناس، وعاد الفرسانُ الفرنسيون من هذه الحملة، وهم يحملون رؤوسَ القتلى على أسنَّةِ رماحهم»^(٢).

(١) «الجزائر الثائرة» لكوليت جانسون، وفرانسين - ترجمة محمد علوي الشريف (ص ٤١) دار الهلال، وراجع أيضاً «ثورة الجزائر» لجوان جليسي ترجمة عبدالرحمن صدقي (ص ٧٨) - إصدار الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٢) «الجزائر الثائرة» (ص ٢١).

□ وباتت عملياتُ إبادةِ الجزائريين المسلمين شيئاً يستحقُّ الفخرَ والتهنئةَ والمباركةَ من الكنيسة، فكتبت إحدى الصحفِ الفرنسيةِ «مثلاً» في أكتوبر ١٨٣٦م قائلة: «أُرسلت إلى باريس مؤخرًا عشرون رأسًا، ليلبغَ عددُ الرؤوس التي وصلت إلى معسكرِ العملياتِ ثمانية وستين رأسًا، وهي معلقةٌ على سناكي البنادق، إنها لصفقةٌ عظيمةٌ وبدايةٌ طيبةٌ تفتحُ لنا الطريق».

□ ويُعلق الجنرالُ الفرنسيُّ «شارنجارنييه» قائلاً: «إن رجالي وجدوا التسليحةَ في قطعِ رقابِ المسلمين من رجالِ القبائلِ الثائرةِ في بلدتي «الحراش» و«بورقية»...».

□ وانظر إلى بشاعةِ اللثامِ: في تقريرِ كَنَسِيٍّ جاءت هذه السطور «أمَّا باقي الغنيمة، فقد عُرِضت في سوق «باب عزون»، حيث عُرِضت أساورُ النساءِ وهي ما زالت تُحيطُ بمعاصِمهنَّ المقطوعة، والأقراطُ تتدلَّى من قطعِ لحمِ آدميٍّ، وقد بيعت بأكملها ووُزِعَ ثمنها».

* مجرمون أبالسةٌ أعداءُ لرسولِ الله ﷺ :

يَقْفُ رَسولُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْأَلُ الْعَسْكَرِيْنَ الصَّلِيبِيِّينَ الْفَرَنْسِيِّينَ عَمَّا اقْتَرَفُوا مِنْ مَذَابِحَ لِاتِّبَاعِهِ فِي الْجَزَائِرِ . . . أَبالسةٌ فرنسيون أبادوا المسلمين . . . سيسألهم الله عز وجل عما اقترفوا من مذابح عام ١٨٤١م وما بعدها في الجزائر، منهم الجنرالُ الصليبي «يوجو» الذي تولَّى الحُكْمَ في الجزائر، يُعاوِنُه الجنرال «بليسيه»، والجنرال «سانت أرنو» و«شانجارجنييه» و«دي هيريسون» و«مونتانيك» و«لاموريسير» و«كافينياك» . . . شياطينُ الإنسِ

وفرنسا في جزائر الإسلام.

□ يقول الصليبي «سانت أرنو» في خطابٍ لأسرته بفرنسا: «لقد أحرقنا فيها^(١) كلَّ شيءٍ، دمرنا كلَّ شيءٍ، الحربُ أوَّاهُ منها، ما أكثرَ مَنْ هلك فيها من نساءٍ وأطفالٍ هاجروا إلى جبالِ «الأطلس»، فقَصَّوْا نَحْبَهُمْ بين ثلوجها، بتأثيرِ البردِ والبؤسِ!!».

□ وكتب في رسالةٍ أخرى لزوجته عام ١٨٤٣م يقول: «لقد كنتُ في قبيلةِ «البزار»، فأحرقتُ أفرادها جميعاً، ونشرتُ حولهم الخرابَ، أنا الآن عند «السنجا»، أعيد فيهم الشيءَ نفسه، ولكن على نطاقٍ واسعٍ».

□ ويقول «مونتانيك» في كتاب له بعنوان «رسائل جندي»: «إنَّ أولادَ سعدٍ كانوا قد تركوا نساءهم وأولادهم جميعاً في «الأحراج»، وقد كان يُمكنني أن أقضيَ عليهم جميعاً، ولكن لم يكن عدُّنا كافياً للتفرغ لهذا.

لقد كانت مذبحهً شنيعةً حقاً، كانت المساكنُ، والخيامُ في الميادين، والشوارعُ، والأفنيةُ التي انتشرت عليها الجثثُ، في كلِّ مكان، وقمنا بعملِ إحصائيةٍ في جوٍّ هادئٍ بعد الاستيلاء على المدينة، فبلغَ عددُ القتلى من النساء والأطفال (٢،٣٠٠)، أما عددُ الجرحى، فلا يكادُ يُذكر، لسببِ يسير، هو أننا لم نترك جرحاهم على قيد الحياة»

□ وكتب الكونت «دي هيريسون»: «فظائعُ لا مثيلَ لها، أوامرُ بالشنقِ تصدُرُ من نفوسِ كالصخر، وقلوبِ كالحجر، أوامرُ بالرَّميِ بالرصاصِ أحياناً، وباستعمالِ السيفِ أحياناً أخرى في أناسٍ مساكين، جُلُّ ذنبيهم أنهم

(١) أي: في الجزائر.

يَسْتَطِيعُونَ إِرْشَادَنَا إِلَى مَا نَطْلُبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يُرْشِدُونَا إِلَيْهِ..

□ ثم تحكي «كوليت جانسون» مؤلفة كتاب «الجزائر الثائرة» فتقول: «وَتَصِلُ الْحَالُ عَلَيَّ هَذَا الْمَنَوَالِ حَتَّى عَامَ ١٨٤٥ م، إِذْ تَبْلُغُ الْهَمَجِيَّةُ شَأُوهَا، وَتَنْدَثِرُ الْمُثَلُّ الْإِنْسَانِيَّةَ وَتَتَلَاشِي، وَيَجْتَاجُ الْجَزَائِرُ لَوْنٌ جَدِيدٌ مِنْ أَلْوَانِ الْبَرْبَرِيَّةِ، وَالْحِسَّةِ، وَالْإِجْرَامِ، وَالْوَحْشِيَّةِ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ الْعُزْلَ. فِي ذَلِكَ الْعَامِ أُدْخِلَ نِظَامُ «الْإِبَادَةِ» لِلْقَضَاءِ عَلَى الشَّعْبِ الْجَزَائِرِيِّ، «طَرِيقَةَ جَهَنَّمَ»، وَمَا أَدْرَاكَ مَا جَهَنَّمَ!!

وقد نشأت هذه الطريقة - أول ما نشأت - عن محض الصدفة، ولكن سرعان ما أصبحت نظاماً من أنظمة الجيش المعمول بها في مهمته ضد المسلمين.

ففي يونيو (١٨٤٥) كانت قبيلة «أولاد الرياح» قد تلقت من القائد الفرنسي أمراً بالتسليم، ولكن القبيلة بدلاً من الامتثال للأمر، لاذت بالفرار إلى المغاور والكهوف لتستأنف الجهاد والمقاومة، فلما ضيق القائد «بليسيه» الخناق على أفراد القبيلة، وهم في بطن أحد الكهوف، واشترطوا عليه سحب القوات الصليبية ليخرجوا إليه، رفض هذا الشرط، وقرّر أن يصب عليهم نار جهنم؛ ليصلوها سعيراً، وأتى للقلم أن يصف هذا المشهد الجبار العاتي؛ فالقوات الفرنسية تتقدم تحت جنح الليل البهيم صوب فجوة الكهف يسدونها بالمتاريس، ثم يقذفون النار بداخلها ويشعلونها من حولها، وهؤلاء هم المسلمون المعتصمون في جوف الكهف، تنطلق منهم الأناث والصرخات، فتصم الأذان، وتولول النساء، ويصرخ الأطفال،

وتَنَعِقُ الحيوانات، وتَحترقُ الصخور؛ فتتفجرُ منها الأتربةُ تخنقُ الجموع.. وتتناثرُ الجنادل، فتصيبُ الرؤوس، وتنفجرُ الذخائر، فيعمُّ الدمار، وتتشرُّ جثُّ الموتى، وبرغم كلِّ هذا، ما زال الرجالُ يجاهدون للخروج من بطنِ الأرض، فتنطبقُ عليهم، ويقبرُهم الجماد.

□ ثم تستطرد كاتبةُ «الجزائر الثائرة» فتقول: «ويقبلُ الصباحُ، وتتولَّى فرقةٌ من الجنود الفرنسيين - يتدلَّى الصليبُ على صُدورهم - مُعَايَنَةَ الأتُونِ الذي صبَّوا فيه النيرانَ في أثناء الليل، فيرتدُّ منهم البصرُ من هولِ ما يرون، ففي مدخلِ الغورِ انتشرت هياكلُ ثيرانٍ وحميرٍ وخِرَافٍ حَدَّتْ بها الغريزةُ صَوْبَ مخرجِ الكهف، لاستنشاقِ الهواءِ الذي عُدِمَ بالداخل، وتكدَّست بين هذه الحيوانات، ومِنَ تحتها جثُّ رجالٍ ونساءٍ وأطفال، وشوهد رجلٌ ميّتٌ وهو جاثٍ على رُكبتيه، وقد أمسكت يده قرَنَ ثورٍ نافقٍ، وبجواره امرأةٌ ميّتةٌ تحتضنُ بين ذراعيها طفلها الميّتَ، مما يدلُّ على أن الرجل قد اختنق وهو يدافع عن امرأته وطفله اللذين اختنقا أيضاً من هجوم الثور عليهما أثناء الحريق.

وفي سراديبِ هذه المغاورِ الفسيحة، وجدَ الجنودُ الفرنسيون (٧٦٠) جثَّةً، أخرجوا منها (٦٠) مسلماً يُعانون سكرةَ الموت، ما لبثَ أربعون منهم أن قَضَوْا نَحْبَهُم، وعشرةٌ منهم حَمَلَتُهُم سيارَاتُ الإسعافِ، والباقون أُطلق سراحهم ليعودوا إلى مساكنهم، عِبْرَةً لِمَن لا يعتبر، ولم يبقَ من حُطامِ الدنيا سوى الدَّمعِ القاني يذرفونه على الدمارِ العميم»^(١).

(١) «الجزائر الثائرة» (ص ٢٨ - ٣٠).

□ وكان الذي أمر بهذا هو المارشال «يوجو» في أمره إلى القائد «بليسيه» ١١ يونيو سنة ١٨٤٥ م: «إذا احتَمَى هؤلاء الرَّعَاعُ فِي الكهوف، فافعلوا بهم ما فعله «كافينياك» من قبل، وأحرقوهم حَرَقَ الثعالب».

* هيلاسلاسي الصليبي الأثيوبيُ عدوُ الله ورسوله والمسلمين:

استولت الحبشةُ عن «أريتريا» المسلمة بتأييدٍ من فرنسا وإنجلترا، فماذا فعلت فيها؟! .

صادرت معظم أراضيها، وأسلمتها للإقطاعيين من الحبشة، كان الإقطاعيُّ والكاهنُ مُخَوِّكَيْنِ بقتلِ أيِّ مسلمٍ دون الرجوع إلى السُّلْطَة، فكان الإقطاعيُّ أو الكاهنُ يُسْتَنْقُ فَلَاحِيَهُ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُ.

فُتِحَتْ لِلْفَلَاحِيْنَ الْمُسْلِمِينَ سِجُونٌ جَمَاعِيَّةٌ رَهِيْبَةٌ، يُجَلَّدُ فِيهَا الْفَلَاحُونَ بِسِيَّاطٍ تَرِنُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ كَيْلُو غَرَامَاتٍ، وَبَعْدَ انْزَالِ أَفْظَعِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ بِهِمْ كَانُوا يُلْقَوْنَ فِي زَنْزَانَاتٍ بَعْدَ أَنْ تُرْبَطَ أَيْدِيهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ، وَيُتْرَكُونَ هَكَذَا لِعَشْرِ سِنِينَ أَوْ أَكْثَرَ، وَعِنْدَمَا كَانُوا يَخْرُجُونَ مِنَ السِّجُونِ كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْوُقُوفَ؛ لِأَنَّ ظُهُورَهُمْ قَدْ أَخَذَتْ شَكْلَ الْقَوْسِ.

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ اسْتِلامِ «هَيْلاسلاسي» السُّلْطَةَ فِي الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ إِمْبْرَاطُورًا لِلْحَبَشَةِ وَضَعَ خُطَّةً لِانْهَاءِ الْمُسْلِمِينَ خِلَالَ خَمْسَةِ عَشْرَ عَامًا، وَتَبَاهَى بِخُطَّتِهِ هَذِهِ أَمَامَ الْكُونْغْرَسِ الْأَمْرِيكِيِّ.

□ سُنَّ تَشْرِيعَاتٍ لِإِذْلَالِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْهَا: أَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْكَعُوا لِلْمُوْظَفِيِّ الدَّوْلَةِ وَالْأَيُّقْتَلُوا.

□ أَمْرٌ أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهُمْ لِأَقْلٍ سَبَبٍ، فَقَدْ وَجِدَ شَرْطِيٌّ قَتِيلًا قُرْبَ

قرية مسلمة، فأرسلت الحكومة كتيبة كاملة قتلت أهل القرية كلهم، وأحرقتهم مع قريتهم، ثم تبين أن القاتل هو صديقُ المقتول، الذي اعتدى على زوجته، وحاول أحد العلماء - واسمه «الشيخ عبدالقادر» - أن يثور على هذه الإبادة، فجمع الرجال، واختفى في الغابات، فجمعت الحكومة أطفالهم ونساءهم وشيوخهم في أكواخ من الحشيش والقصب، وسكبت عليهم البنزين وأحرقتهم جميعاً.

ومن قبضت عليه من الثوار كانت تُعذبه عذاباً رهيباً قبل قتله، من ذلك إطفاء السجائر في عينيه وأذنيه، وهتك عرض بناته وزوجته وأخواته أمام عينيه، ودق خصيته بأعقاب البنادق، وجره على الأسلاك الشائكة حتى يفتت، وإلقاءه جريحاً قبل أن يموت لتأكله الحيوانات الجارحة، قبل أن تربطه بالسلاسل حتى لا يقاوم.

□ أصدر «هياسلاسي» أمراً بإغلاق مدارس المسلمين، وأمر بفتح مدارس مسيحية، وأجبر المسلمين على إدخال أبنائهم فيها ليصبحوا مسيحيين.

□ عين حكماً فجرة على مقاطعات أريتريا، منهم واحد عينه على مقاطعة «جمة»، ابتداء عمله بأن أصدر أمراً أن لا يقطف الفلاحون ثمار أراضيهم إلا بعد موافقته، وكان لا يسمح بقطعها إلا بعد أن تتلف، وأخيراً صادر ٩٠٪ من الأراضي، أخذ هو نصفها، وأعطى الإمبراطور نصفها، ونهب جميع ممتلكات المسلمين.

□ وأمرهم أن يبنوا كنيسة في الإقليم فبنوها. ثم أمرهم أن يعمرُوا كنيسة عند مدخل كل قرية أو بلدة. ولم يكتب بذلك، بل بنى دوراً

للعاهرات حول المساجد ومعها الحانات التي يَسْكُرُ فيها الجنودُ، ثم يدخلون إلى المساجد ليبولوا بها ويتغوّطوا، ويُراقصوا العاهرات فيها وهم سُكاريٌّ .
 كما فرض على الفلّاحين أن يبيعوا أبقارهم لشركة «أنكودا» اليهودية فكافاه الإمبراطورُ «هياسلاسي» على أعماله هذه بأن عينه وزيراً للدخلية .
 وكانت حكومة الإمبراطور تلاحق كلَّ مثقّفٍ مسلمٍ لتزجّه في السجن حتى الموت، أو تُجبره على مغادرة البلاد حتى يبقى شعبُ «أريتريا» المسلم مُستعبداً جاهلاً وغير ذلك كثيراً»^(١) .

هذا مع العلم بأن نسبة المسلمين في أثيوبيا بلغت ٧٥٪ من سكانها، فلعنةُ الله على «هياسلاسي» ومن هو على شاكلته .

* السّفاحُ الصليبيُّ عدوُّ رسولِ الله ﷺ : «جوليوس نيريري» :

كيف لا يكون الصليبي «جوليوس نيريري» عدوًّا لله ورسوله والمسلمين - بل والبشرية جمعاء -، ولم تجفَّ بعدُ دماءُ المسلمين في «زنجبار» يومَ أباد (١٢, ٠٠٠) مسلم، وألقى (٤, ٠٠٠) آخرين في عرضِ البحر^(٢) .

* التحالفُ الصليبيُّ الوثنيُّ وعلى رأسه «تشارلز تايلور»، يقتل ٢٥ ألف مسلم في ليبيريا :

تقع ليبيريا على ساحل الجنوب الغربيِّ من القارة الإفريقية، ويحدّها جنوباً المحيطُ الأطلسي، وعددُ سكانها ٣ ملايين نسمة، ٣٥٪ مسلمون، و٢٥٪ نصاريٌّ، والباقي وثنيون .

(١) «كفاح دين» للشيخ محمد الغزالي (ص ٦٠ - ٨٠) مُلخّصاً .

(٢) «عندما حكم الصليب» (ص ١٢) .

□ والإسلامُ أسبقُ من النصرانية في هذه البلاد وأقدمُ رسوخاً .
وتعرّض المسلمون في التسعينات ١٩٩٤م لمجازرٍ إبادةٍ وتشريدٍ
واعتداءٍ على الأعراسِ وسلبٍ للممتلكات .

وشنت مجموعةٌ وثنيةٌ متمردةٌ حاقدةٌ على الإسلام والمسلمين تحت
اسم «الجبهة الوطنية الليبيرية» بقيادة الصليبي الكريه عدو الإسلام
ورسول الله ﷺ «تشارلز تايلور» هجوماً شرساً من «ساحل العاج» بحثاً عن
كل ما هو مسلمٌ أو إسلاميٌ للقضاءِ عليه .

وفي حوارٍ مجلة «الدعوة» مع الشيخ «سيكو أبو بكر» ممثل «حركة
إنقاذ مسلمي ليبيريا» في المملكة السعودية، أوضح أن مُحصَّلة المحنة من
الضحايا والأضرار المادية والمعنوية كالاتي :

١ - قتل ما لا يقلُّ عن ٢٥ ألف مسلمٍ شرَّ قتلَةٍ، حيث أُحرقَ الدعاةُ
والأئمةُ بإشعالِ النيرانِ فيهم بعد صبِّ البنزينِ عليهم، وفُصِّلت رؤوسُهم
عن أجسامِهم، وقُطعتِ ألسُنُ وأذانُ المؤذنينِ أحياءً، وبُقِرت بطونُ
الحوامِلِ . . فضلاً عن المذابح الوحشيةِ البشعةِ التي ارتكبت في أكثر من
مكان .

٢ - وجودُ عشراتِ الآلاف من المفقودين والجرحى والمصابين .

٣ - تشريدٌ وإخراجٌ أكثر من ٧٠٠ ألف مسلم من ديارهم، وهم
موجودون الآن لاجئين في الدولِ المجاورةِ مثل غينيا وسيراليون .

٤ - اغتصابٌ عددٍ كبيرٍ من النساءِ والفتياتِ المسلمات .

٥ - هدمُ المساجدِ ومنازلِ المسلمين ومؤسساتِهم التعليميةِ والاقتصاديةِ،

وسرقةٌ ونهبٌ كلٌّ ممتلكاتِ المسلمين - بما في ذلك المكتباتُ الإسلامية العامة -، مع تدنيسِ المصاحف^(١) .

* الصليبيُّ القذر «يعقوب غاؤون» وإرادته القضاء على المسلمين في نيجيريا :

في عام ١٩٦٧م قام الصليبيُّ «يعقوب غاؤون» بانقلابٍ دمويٍّ في نيجيريا علنوا الصليبي «جويبي إيرونسي»، وكان «غاؤون» ممثلاً الكنيسة العالمية، وكان هدفه القضاء على الوجود الإسلامي في نيجيريا، حتى لو استدعى ذلك قيام حرب أهلية في البلاد، وهذا ما حدث بالفعل في عام ١٩٦٧م عندما اشتعلت الحرب الأهلية في نيجيريا، والتي ذهب ضحيتها أكثر من مليون نيجيري، ولقد ساعد «غاؤون» الحركة الانفصالية في إقليم «بيافرا» التي أبادت آلاف المسلمين^(٢) .

* وفي «تشاد» ذبح الصليبيون الفرنسيون ٤٠٠ من خيرة علماء المسلمين: عندما احتلَّ الفرنسيون «تشاد» في أوائل القرن العشرين الميلادي، ذبح الفرنسيون الصليبيون ٤٠٠ من خيرة المسلمين وعلمائهم في مذبحه «ككب» الشهيرة . . فلعنةُ الله على الكافرين .

* نشيد الصليبيين الإيطاليين البغاة عند احتلالهم لليبيا :

كان الجنديُّ الصليبيُّ الإيطالي ينادي بأعلى صوته، حين كان يلبسُ

(١) «وجاء الدور على الإسلام» لرضا محمد العراقي (ص ٨٤) - دار طويق للنشر والتوزيع .

(٢) المصدر السابق (ص ٧٥) .

بذّة الحرب قادمًا إلى ليبيا:

أمّاه...

أتمّي صلاتك.. لا تبكي...

بل اضحكي وتأملّي...

أنا ذاهب إلى طرابلس...

فرحًا مسرورًا...

سأبذل دمي في سبيل سحّ الأمة الملعونة...

سأحارب الديانة الإسلامية...

سأقاتل بكلّ قوتي، لمحو القرآن^(١)

* عبّاد البقر من أشدّ الناس عداوةً للنبي ﷺ:

قتل الجيش الهندي في «بنجلاديش» - عبّاد البقر الذي كان يقوده

اليهود - عشرة آلاف عالم مسلم بعد انتصاره على جيش باكستان عام

١٩٧١م، وقتل مئة ألف من طلبة المعاهد الإسلامية، وموظفي الدولة،

وسجن خمسين ألفًا من العلماء وأساتذة الجامعات، وقتل ربع مليون مسلم

هندي هاجروا من الهند إلى باكستان قبل الحرب، وسلب الجيش الهندي ما

قيّمته (٣٠ مليار روبية) من باكستان الشرقية التي سقطت من أموال الناس

والدولة^(٢).

(١) «قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أيدوا أهله» (ص ١٠) لجلال العالم - مكتبة ابن

تيمية.

(٢) «مأساة بنجلاديش» لمحمد خليل الله (ص ٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣).

* في ولاية «جامو وكشمير» المسلمة:

□ كتب أحد رموز الهندوس وكتّابهم المدعو «أمير شبح الهندوسي» الحقيّرُ مقالاً يستهزئُ فيه بالإسلامِ وبتاريخ الإسلامِ وبأمةِ الإسلامِ، وقال: «حياة المسلمين أقربُ إلى حياة الحيوان»^(١).

كَمْ مِنْ هَمٍّ يَرْكَبُ نَاصِيَةَ الْقَلْبِ وَيَقْوُدُ زِمَامَهُ!! وَكَمْ مِنْ دَمْعَةٍ حَرِيٍّ تَخُطُّ وَسْمًا عَلَى الْخَدِّ بَعْدَ أَنْ حَوَّلَ الْهِنْدُوسُ - عَبَادُ الْبَقْرِ - أَرْضَ كَشْمِيرٍ إِلَى جَحِيمٍ مُسْتَعْرِ يَلْتَهُمُ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ، يَقْتُلُ الْأَبْرِيَاءَ، وَيَهْتِكُ الْأَعْرَاضَ، وَيَهْدِمُ الْمَسَاجِدَ!!.

□ يقول الشيخ «إعجاز الإسلام» عن الجرائم التي قام بها الهنود في كشمير: «إنه لا يوجد لها مثيل في تاريخ العدوان والظلم.. قاموا بقتل الأبرياء، وذبح الشباب أمام آبائهم وأمهاتهم، كما اعتدوا على الذكور من الشباب، وقاموا بتصفيتهم، وهدموا أعراض النساء المسلمات جماعياً، ونهبوا الأموال، وأحرقوا البيوت والمتاجر، وهناك أكثر من خمسين ألفاً من المسلمين في زنانات التعذيب، وتم قتل أكثر من واحد وعشرين ألفاً، وهناك أكثر من ٢٥ ألف معوق، وكل ذلك جرى مؤخراً»^(٢).

□ سيطر الاستعمار البريطاني على ولاية «جامو وكشمير»، ثم اشترى من طائفة (الدوجرة) الهندوسية «كشمير» بمبلغ ضئيل قدره سبعة ملايين

(١) «مأساة إخواننا المسلمين في كشمير المسلمة» (ص ٧٠) للدكتور فهد حمود العصيمي - دار

النشر الدولي.

(٢) المصدر السابق (ص ٤٩).

ونصف مليون روية، أي قد بيع النفر الواحد بسبع رويات، وهي تعادلُ ثلثَ الدولار الأمريكي، وتلك الاتفاقيةُ لبيعِ الولاية تُسمى اتفاقية «أمترس»، وليس لهذه الاتفاقية أية مكانةٍ من الناحية القانونية والحلُقِيَّة.

ولمَّا تمكَّن المسلمون من إنقاذِ ثلثِ الولاية، وأسَّسوا الحكومةَ الحرَّةَ لولاية «جامو وكشمير» المسلمة في ٢٤ من أكتوبر عام ١٩٤٧، واضطَّرَّ الملكُ الهندوسيُّ «هري سنغ» إلى الفرارِ من عاصمةِ الولاية إلى «جامو»، وقَدَّم خلالَ فراره إلى الحاكم العامِّ للهند طلبًا للموافقةِ على انضمامِ الولاية للهند، وصَدَرَ قرارُ الأمم المتحدةِ بإجراءِ استفتاءٍ لتقريرِ مصيرِ الولاية بانضمامِها إلى باكستان أو الهند - وذلك في ٥ من يناير عام ١٩٤٩ م -، وماطلت الهندُ لعلمها مُسَبِّقًا بما تكونُ عليه نتيجةُ الاستفتاء، إذ إن نسبةَ المسلمين في كشمير ٨٥٪ من سكانها.

□ لقد ارتكب الهنود عبَادُ البقر من الجرائمِ البشعةِ ما يفوقُ الوصفَ وما لا تفعله الوحوشُ الضارية.

ففي قرية «كنان بوش بورا» ليلة ٢٣ فبراير ١٩٩١، حين دخل القرية مئاتٌ من جنود الكتيبةِ الرابعةِ «لراجيوت رايلفز» التابعة للفرقة ٦٨ مشاة في تلك الليلة الباردة، وأوقفت كلَّ الأولادِ والرجالِ في ملابسِ نومهم في العراءِ وهم يَقشَعِرُونَ من البرد، بينما بدأ الجنودُ يَنْهَبُونَ وَيَحْرِقُونَ وَيَغْتَصِبُونَ، فحطَّموا الأبوابَ، وطافوا بالبيوت بيتًا بيتًا، واغتصبوا على الأقل (٥٣) امرأة، كانت أكبرهن سنًّا «جانا» التي تبلغ من العمر ٨٠ سنة والتي تعرَّضت لاغتصابٍ جماعيٍّ هي وزوجةُ ابنها، وأصغرهن تعرَّضًا لاغتصابٍ هما الفتاة «ميشرا» البالغة من العمر ١٣ سنة وأختها البالغة من

العمر ١٨ سنة، واغتصبوا «ظريفة» التي تبلغ من العمر ٢١ سنة وهي في الأيام الأخيرة من حملها، ووضعت مولودها بعد ثلاثة أيام من الحادثة، وقالت: «أحيا فقط لكي يكبر ابني ويثأر لي»^(١).

□ وعلى سبيل المثال انظر إلى موجز عن العمليات الإجرامية الوحشية للجيش الهندوسي البربري الغاشم في ولاية «كشمير» المسلمة منذ يناير ١٩٩٠م حتى يناير عام ١٩٩٢م:

- عددُ الشهداء من مُسلمي «كشمير» رجالاً ونساءً وأطفالاً على أيدي الجنودِ الهندوس: ٣٩ ألف شهيد.

- عددُ الجرحى من الرجال والنساء والأطفال: ٥٠ ألف جريح.

- عددُ الطلاب الذين قد حُرِّقوا أحياءً في مدينة «كباره» في أكتوبر ١٩٩٠م: ٢٠٠ طالب.

- عددُ الطلاب الذين قد حُرِّقوا أحياءً في المدارس الابتدائية الأخرى: ٥٠٠ طالب.

- عدد المسلمين من الرجال والنساء والأطفال في السجون ومراكز التفتيش «في كشمير»: ٥٠ ألف سجين.

- عددُ المسلمين الذين قد حُرِّقوا أحياءً في بيوتهم: ٦٠٠ مسلم.

- عددُ المسلمين المهاجرين من «كشمير»: ٢٠ ألف مهاجر.

- عددُ النساء المسلمات اللاتي قد هُتكت أعراضهن جماعياً: ٣ آلاف

امرأة مسلمة.

(١) المصدر السابق (ص ٨٧).

- عدد النساء المسلمات التي قد وُجِدَتْ جُثَثُهُنَّ فِي «نهر جهلم» بعد هَتِكِ أَعْرَاضِهِنَّ: ٣٥٠ امرأة مسلمة.

- عدد الشابات المسلمات اللاتي استشهدن بسبب هتك أعراضهن جماعياً: ١٥٠ مسلمة.

- عددُ النساءِ الحواملِ اللاتي قد وُضِعْنَ قَبْلَ الموعِدِ بسببِ هتكِ أَعْرَاضِهِنَّ جماعياً: ١٥٠ مسلمة.

- عدد البيوت والدكاكين التي قد حُرِقَتْ بالبترين والبارود في مساكن المسلمين: ٢٠ ألف دكان ومنزل.

- عددُ المستشفيات والمدارس والكليات التي قد حُرِقَتْ بالبترين والبارود: ٥٠٠.

- عددُ الأَنْعَامِ التي قد حُرِقَتْ حَيَّةً: ١,٠٠٠ من المواشي.

- قيمةُ الحبوبِ الغذائية التي قد حُرِقَتْ: ١,٠٠٠ مليون دولار.

- قيمةُ البساتين والغابات التي قد حُرِقَتْ: ١,٠٠٠ بليون دولار.

الجيشُ الهِنْدُوسِيُّ القَدِرُ فِي «كشمير» يَغْتَصِبُ وَيَحْرِقُ وَيَدْمُرُ وَيَقْتُلُ وَيَسْرِقُ كَأَحْطَ مَا يَفْعَلُ البَشَرُ.

* أما هدم المساجد في الهند:

فقد قام الهِنْدُوسِيُّ فِي ٦/١٢/١٩٩٢ بهدم المسجد «البابري» وإقامة مبعدي وثني مؤقت على أنقاضه لإلههم «راما» الذين زعموا أنه وُلِدَ فِي مَكَانِ المَسْجِدِ، وَلَمَّا هَبَّ المَسْلَمُونَ مُسْتَنْكِرِينَ لِهَذَا فِي مَنَاطِقِ الهِنْدِ قَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافِ مُسْلِمٍ، وَعَشْرَاتٌ مِنْهُمْ أُحْرِقُوا أَحْيَاءً.

* عودة أخرى إلى «كشمير»:

لقد قتل الهندوس أكثر من ١٢٠ ألفاً من المسلمين في سنواتٍ أربعٍ فقط.

* وإسلاماه:

□ ويذكر الشيخ «نفيس كشميري» رئيس «اللجنة السياسية لتحريك المجاهدين» الاعتداء الهنديّ الغاشمَ على قرية «كونن بوشه بوره»، فيقول: «إنهم أخرجوا الرجال في الحادية عشرَ ليلةً من بيوتهم، ودخلوا على النساءِ - وكنّ ثلاثاً وخمسين امرأةً مسلمةً -، فعاثوا في أعراضهن هتكاً، كان الرجال مقيدين خارجَ القرية لا حولَ لهم ولا قوّة، والنساءُ يصرخنَ بأعلى أصواتهنّ: «وا إسلاماه وإسلاماه».. وما يذوبُ منه القلبُ كمدّاً وألمّاً أن الجنودَ قاموا بهتكِ أعراضِ النساءِ جماعياً، ثم قاموا بقتلهنَّ وألقوا بجثثهنَّ في الأنهار، وأن جثثَ مئاتٍ من النساءِ المسلماتِ قد وُجدت في نهرٍ «جهلم»..»^(١).

□ ومن جرائمِ هؤلاء الكفرةِ عبَادِ البقر: تعليقُ الرجالِ والنساءِ في الأشجارِ من رؤوسهم حتى الموت أو الجنون.

□ ودُكرت مجلة «آسيا واطش» الهنديةُ في تقريرها الشاملِ في مايو ١٩٩١ ميلادية: قيامَ القواتِ الهندوسيةِ يوم ٢٣ فبراير ١٩٩١م باقتحامِ البيوتِ في قرية «كونان بوشبورا» والقيامِ باغتصابِ كافةِ النساءِ والفتياتِ من ١٣ إلى ٨٠ سنة.

(١) «مأساة إخواننا المسلمين في كشمير المسلمة» (ص ٥٠).

□ وذكر الشيخ «أحمد القطان» أنه تمَّ في يومٍ واحدٍ قتلُ نصفِ مليونِ مسلمٍ في وضح النهار بدون أن يعلمَ العالمُ، وقتها كان العالمُ الإسلاميُّ غارقاً في سماعِ أغاني كوكب الشرق وفيروز^(١).

* الهندوس واليهود:

التاريخ يُعيدُ نفسه . . . مثلما شهدَ اليهودُ للمشركين بأنهم أهدى سبيلاً وأصحُّ ديناً كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٥١] . . . سافر «شيمون بيريز» - دجَّالُ اليهودِ - إلى الهند، وقال هناك: «غاندي هو بمثابة نبيٍّ للإسرائيليين»^(٢).

أما موضوعُ مباحثاتِ «بيريز» مع القادةِ الهنودِ، فهو: «التصديُّ للأصولية الإسلامية»، ويؤكد القادةُ الكشميريُّون أن عدداً من جنرالاتِ الجيش الصهيوني يُشرفون على حرب الإبادة التي يمارسها الجيشُ الهنديُّ ضدَّ الشعبِ الكشميري^(٣).

□ ولقد قال «بنيامين نيتانياهو» - أحد وزراء حكومة «شامير» السابقة - لصحيفة «هاآرتس» الصهيونية: «إن ديمقراطية الهند وإسرائيل تُواجهُ بربريةَ العرب والمسلمين في آسيا وأفريقيا»^(٤).

(١) المصدر السابق (ص ٧٦).

(٢) المصدر السابق (ص ١٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص ١٥٢).

(٤) المصدر السابق ص (١٥١ - ١٥٢).

□ ولا تعجب! فالكُفْرُ مِلَّةٌ واحدة.. «وعندما أرادت الهند أن تُمزقَ دولة باكستان، اختارت لجيشها قائداً يهودياً، مع أن عدد اليهود في الجيش الهندي لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة»^(١).

* تركستان المسلمة والدُّبُّ الروسيُّ عدوُّ الله ورسوله ﷺ القياصرةُ منهم والشيوخيون :

بلاد التُّركستان «وهي الجمهورياتُ الإسلاميةُ في الاتحاد السوفيتي سابقاً.. وهي «تركستان الغربية»، أما «تركستان الشرقية»، فقد استولت عليها الصينُ عام ١٨٨١م.. أما تركستان الغربية، فقد استمرت حروب الدبِّ الروسيِّ لها مُتصلةً لفترةٍ دامت (٣٤٨) سنة، بدأت في عام (١٥٥٢م) باحتلان «قازان»، وتوقَّفت عام ١٩٠٠م بالوصول إلى «بامير» على حدود الصين.

هذه الدولة التي دخلها الإسلام سنة ٢٣٢هـ بإسلام خاقانها «ستوق بوغراخان» ووزرائه وقواد جيشه، وأصبح دينها الرسمي الإسلام، وكوّنت إمبراطوريةً عظيمةً خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وكانت «موسكو» تُسمّى شيخة «الموسكوف» وحكّامها يدفعون الجزية للمسلمين.

وتغيّرت الأيامُ بإخلاق المسلمين إلى الترف والحياة الدنيا، وهجم عليها «إيقان الرابع» - كناز موسكو - المدعو والمعروف بـ «إيقان الرهيب» على رأس مئتي ألف جنديٍّ وعددٍ كبيرٍ من رجال الدين والمهندسين المدنيين الألمان المستأجرين بالمال، وحاربهم أهل قازان، ودام القتال أربعين يوماً،

(١) المصدر السابق (ص ١٥٣).

تَلَفَ فِيهِ نِصْفُ الْجَيْشِ الرَّوسِيِّ الْمُهَاجِمِ، لَكِنْ تَمَكَّنَ الْمُهَنْدِسُونَ الْأَلْمَانُ مِنْ نَسْفِ جُسُورِ الْقَلْعَةِ بِالْبَارُودِ، ثُمَّ احْتَلُّوْهَا.. وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ سَقَطَتْ «قَازَان» عَاصِمَةُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي ١٥ أَوْتُونِ سَنَةِ (١٥٥٢م)^(١).

وَانْطَلَقَ الرَّوسُ الْقِيَاصِرَةُ الَّذِينَ كَانَتْ مَسَاحَةُ بِلَادِهِمْ عَامَ (١٤٣٠م) لَا تَزِيدُ عَلَى (٤٠٠٠٠) كَمِ ٢، حَوْلَ مَوْسَكُو.. انْطَلَقُوا بِوَحْشِيَّتِهِمُ الْبَرْبَرِيَّةِ الصَّلِيبِيَّةِ حَتَّى أَخَذُوا مِنْ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ مَسَاحَةً تَزِيدُ عَلَى ١٠ مِلْيُونِ كَمِ ٢.

□ يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ الْجُنْرَالُ الرَّوسِي - جَلَّادٌ «طَشْقَنْد» - عَمَّا شَهِدَهُ بِأَمٍّ عَيْنَهُ عِنْدَ سَقُوطِ «طَشْقَنْد»: «إِنَّ مَدِينَةَ «طَشْقَنْد» كَانَتْ مُسْتَعْدَةً بِأَكْيَاسِ الرَّمَالِ فِي شَوَارِعِهَا، وَكَانَتْ الْمَقَاوِمَةُ عَنِيفَةً جَدًّا، وَقَدَمَاتٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَهُمْ يُهَاجِمُونَ جَمَاعَاتٍ أَوْ مُفْرَدِينَ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَسْتَسْلِمُوا - بَلْ مَاتُوا عَلَى أَسِنَّةِ الرَّمَّاحِ -، وَرَأَى جُنُودُنَا «الرُّوس» الَّذِينَ اجْتَازُوا الشَّوَارِعَ مَقَاوِمَةً عَنِيفَةً وَقِتَالًا شَدِيدًا، وَلَمْ تُبَسِّطْ أَيْدِينَا عَلَى مَجْتَمِعِ «أَوْتَاد» إِلَّا بَعْدَ أَنْ سَبَّحَ جُنُودُنَا فِي بَحَارٍ مِنَ الدَّمَاءِ»!!!^(٢).

□ جَاءَ فِي كِتَابِ «الْخَطَرُ الْإِسْلَامِي عَلَى الدَّوْلَةِ السُّوفِيَّتِيَّةِ» لِمَوْلَيْهِ «الْكَسَنْدَرُ بَنِيْجَسْت» وَ«مَارِي بَرُوكْسُوب»: «اعْتَبَرْتُ «رُوسِيَا» ثَغْرًا أَوْرَبِيًّا الشَّرْقِيِّ، كَمَا كَانَتْ أَسْبَانِيَا «الْأَنْدَلُس» ثَغْرًا أَوْرُوبَا الْغَرْبِيِّ - أَي: دَوْلَةُ الْمَوَاجِهَةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ -، وَالتِّي تَحْمِي أَوْرُوبَا مِنَ الْخَطَرِ الْإِسْلَامِيِّ».

وَالتَّارِيخُ الرَّوسِيُّ يَقُومُ عَلَى مَقُولَةٍ تَزْعُمُ أَنَّ رُوسِيَا أَنْهَكَتْ نَفْسَهَا فِي

(١) «تَرْكِسْتَانُ بَيْنَ الدَّبِّ الرَّوسِيِّ وَالتَّتِينِ الصِّينِيِّ» (ص ٢٥-٢٦). - دَارُ الدَّعْوَةِ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ.

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (ص ٣١-٣٢).

كفاح بطوليٍّ ضدَّ المسلمين دارِ عِدَّةِ قرونٍ، ولكنه لم يذهبْ هَبَاءً، فقد أنقذَ هذا الكفاحُ أوروبا التي استطاعت - بفضلِ الحمايةِ الروسيةِ - أن تَمضيَ في تطويرِ حضارتها الرائعة، ولكنَّ الثمنَ كانَ فادِحًا؛ لأن روسيا تقهرُ برابرةَ آسيا!!!.

كانَ عليها أن تهبطَ لمستواهم، وتبنيَ أساليبهم مثل: الحكم الاستبدادي، والأساليب الهمجية، وفقدان الحرية.

هذه هي الصورةُ التي تُقدِّمُ في الأدب الروسي.. روسيا هي الفارسُ الذي قتلَ التَّنينَ الآسيويَّ المسلم، وأنقذَ «الأميرة» أوروبا؛ ومن ثمَّ للفارسِ حقُّ السيادةِ على الأوربيين الصغار، وامتيازِ تحضيرِ الآسيويين الروس المتوحِّشين مقابلَ الدَّورِ الذي لَعِبَهُ في قهرِ المسلمين!!!.

ولكنَّ الحقيقةَ مخالفةٌ لهذا الزعمِ تمامًا، فقد كان المسلمون في قِمَّةِ الرُّقيِّ والحضارة، وكان الروسُ في قِمَّةِ التخلفِ.

ومنذ الغزو القيصريِّ الروسيِّ لبلادِ التركستانِ إلى بدايةِ الثورةِ الشيوعيَّةِ، كان القياصرةُ الروسُ الصليبيون أعداءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَهْدِفُونَ إلى التخلُّصِ النهائيِّ من المسلمين بالأساليبِ القذرةِ الآتية:

١ - الإبادةُ بالطردِ الجماعي، وهي سياسةٌ قاسيةٌ بربرية، وقد استُخدمت مع قبائلِ الشركس، ومسلمي «أبخازيان» وجزئيًّا مع تَتَارِ القَرَمِ الذي أُجبروا على الهجرةِ إلى الدولةِ العثمانية عام (١٨٦٥م) ليحلَّ محلَّهم الروسُ والجورجيُّون.

٢- الإبادة بالقتل الجماعي، مثل المذابح التي قام بها الجنرال الصليبي القذر «سكوبولوف» ضد التركمان عام (١٨٨١م).

٣- الابتلاع من خلال عمليات التنصير للمذهب «الأرثوذكسي»، وهي سياسة طبّقوها مع تترار «الفولجا» في القرن السادس عشر، ثم في القرن التاسع عشر.

لقد استخدم الروس أبشع وأحطّ الوسائل مع المسلمين، وصودرت أوقافهم، واختفى ما بين سنة ١٧٣٨م إلى سنة ١٧٥٥م (٤١٨) مسجداً من مجموع ٥٣٦ مسجداً، وكانت عقوبة الإعدام هي جزاء من يدعو إلى الإسلام، وما بين ١٨٦٥م و(١٩٠٠م) - أي خلال خمسة وثلاثين عاماً - اعتنق أكثر من مئة ألف تترارٍ المسيحية قهراً، وحين انتهى حكم القياصرة عام ١٩١٧م، أصدر «لينين» أمراً في إبريل عام ١٩١٨ بالزحف إلى البلاد الإسلامية، وأخذت الدبابات تُحصدُ المدن حصداً، وتلك القلاع والحصون، وتهدمُ البيوت والمنازل على رؤوس أصحابها.

وبعد استيلاء الشيوعيين على «القرم» عام ١٩٢٠م، أخذ الروس يطبقون سياسة الهدم والتهجير والتشريد الجماعي لمسلمي القرم، التي كان عدد سكانها في ذلك الحين يُقاربُ الخمسة ملايين نسمة، ونتيجة للمعارك الدموية والضغط السياسي والحصار الاقتصادي أُجبر مسلمو القرم على الهجرة بغرض إيواء اليهود بدلاً منهم؛ ولم يبقَ من سكان لبلاد بعد عام (١٩٤٠م) سوى (٤٠٠,٠٠٠) مسلم.

لقد هُدمت المساجد والمدارس، وحوّل بعضها إلى كنائس، ولم يبقَ

من (١٥٥٨) مسجداً إلا (٧٠٠)، حُوِّلت من بعدُ إلى دُورٍ للهو، أو مَقَاهِ، أو دورٍ للسينما والمسرح، أو مستودعاتٍ للذخائر، أو إستطبالاتٍ للخيوول.. أو متاحف!!!.

□ وجاء في «تقرير لينين» الذي نشرته جريدة «أزفتسيا» أن عدد الذين ماتوا من الجوع في القرم (٤٧, ٠٦٩) فرداً.

□ وجاء في أقوال «لينين» عن بلاد القرم «المسلمين»: «إن أكل لحم الإنسان لم يكن من الحوادث التي يُستغربُ لها، أو يبدو عجيبياً في بابه»!!^(١).

□ وتفرَّق المسلمون في بلاد القرم بحثاً عما يسدُّ رمقهم ورمق عيالهم.. حتى الحشائشُ والعشب، وإذا لم يعثروا على هذا ولا ذاك تساقطوا صرعى.

□ وتقولُ بعضُ الروايات: «إن المجاعة وصلت إلى حدٍّ أن بعضَ النساءِ كُنَّ يقتلن أولادهنَّ ويأكلن لحومهم، ثم يجمعون العظام في ركنٍ يبكيها.

* أغربُ من الخيال: «ستالين» عدوُّ رسول الله ﷺ والمسلمين ينفي ما يزيد عن (١,٥) مليون مسلم عن بلادهم:

وصدر في ديسمبر عام ١٩٤٣، قرارٌ عن «مجلس السوفييات الأعلى» برئاسة «ستالين» عدوُّ رسول الله ﷺ ينصُّ على ما يلي:

١ - جمهورية «شيشان» المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي يبلغ عدد

سكانها (٨٠٠,٠٠٠) نسمة.

(١) المصدر السابق (ص ٦٢)، نقلاً عن «كارثة القرم» لولي شاه.

٢ - جمهورية «قرة - شاي بالقار» المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي يبلغ عدد سكانها (٣٥٠,٠٠٠) نسمة .

٣ - جمهورية «القرم» المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي يبلغ عدد سكانها (٤٠٠,٠٠٠) نسمة .

هذه الجمهوريات يجبُ محوؤها لتعاونها مع العدو^(١)، وسكانُ هذه الجمهوريات من النساء والرجال والشيوخ والأطفال سيُطردون من بلادهم إلى المناطق الشمالية من روسيا^(٢) .

وأصبح هذا القرارُ ساريَ المفعول في الثالث والعشرين من فبراير ١٩٤٤م، وأذيع على العالم في الخامس والعشرين من يونيو ١٩٤٦م .

فلعنةُ الله على «ستالين» الشيوعيِّ العَفِنِ الذي نفى أكثرَ من مليون ونصف مليون مسلم عن بلادهم إلى «سيبيريا» أكثرَ من ثلاثة عشرَ عاماً، فعادوا بعد موته في ٩/١/١٩٥٧م .

□ لقد قَدَّرَ بعضُ المراقِبينَ والمُطَّلِعينَ أنه تمَّ إغلاقُ (٩٠,٠٠٠) مسجدٍ في جميع أنحاءِ الاتحادِ السوفيتي، كما يقول «فور محمد خان» في كتابه «القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظلِّ الحكم الروسي والصيني» .

* أعداءُ الله ورسوله ﷺ من الروس - سواءً القياصرة أم البلاشفة - :

* «إيفان الرهيب» (١٥٤٧ - ١٥٨٤م) :

تولَّى الحكمَ في الفترة من (١٥٤٧ - ١٥٨٤م) إيفان الرابع المعروف

(١) أي: الدولة العثمانية .

(٢) أي: يُنقَوْنَ إلى سيبيريا .

تاريخياً بإيفان الرهيب لدمويته، وقد قام باجتياحاتٍ كبرى للمناطق الإسلامية في القوقاز وآسيا الوسطى.

وفي عام (١٥٨٤م) هاجمَ الروسُ بقيادة «إيفان الرهيب» منطقة «القرم» إلا أن استبسالَ تارها ودَعَمَ العثمانيين لهم أَفْشَلَ الهجوم، وألْحَقَ الهزيمةَ للمرةِ الأولى بإيفان الذي مات في العام نفسه تُشِيعُه لعناتُ اللاعنين بما فعل بالمسلمين^(١).

* القيصر بطرس الأول :

«لَمَّا ثارت «أستراخان» ضدَّ القيصر بطرس الأول، قَمَعَ ثورتها بشدَّة، وارتكب مذبحه رهيبةً بحقَّ المسلمين التتار»^(٢).

* الإمبراطورة «تسارينا آنا» (١٧٣٨ - ١٧٥٥) :

«في عهدِ هذه الإمبراطورة اللعينة، دَمَّرَ الروسُ في «قازان» وحدها (٤١٨) مسجداً ومركزاً دينياً من أصل (٥٣٦)، وشنَّ القياصرةُ حملاتٍ اضطهادٍ ضدَّ المسلمين التتار في القوقاز، لدرجة أن المؤرِّخين يُشَبِّهون تلك الفترةَ بفترةِ التطهير العرقيِّ والديني التي شَنَّها «جوزيف ستالين» في العهد الشيوعي ضدَّ المسلمين، وتنوَّعت أساليبُ القهرِ القيصري من قمع وتهجير المسلمين، ثم فرضوا التنصيرَ القسريَّ، لقد كان القانونُ القيصريُّ يُحرِّمُ اعتناقَ أيِّ دينٍ غير المسيحية الأرثوذكسية، واستبدلت السلافية بكل اللغات العربية والتركية والفارسية»^(٣).

(١، ٢) «محنة الشيشان» لشعبان عبدالرحمن (ص ٧٢) دار الوفاء.

(٣) المصدر السابق (ص ٧٣).

* مرةً أخرى مع ستالين اللعين.. ومن أولى منه بقعر الجحيم؟! :

الدُّبُّ الأحمر، لكأننا نوجّه إهانةً مباشرةً إلى فصيلة الدُّبِّ، وأولى به أن يُوصَفَ بأنها «خنزيرٌ أحمر»، وإن كان دونَ مستوى الخنازير، لفظاً ومعنى، وشكلاً وحقيقةً، وعَرَضاً وجوهرًا.

لقد ولَّغ في دماء المسلمين - في روسيا - كالكلبِ العقور.. ففي أقلِّ من نصفِ قرنٍ، لَقِيَ أكثرُ من عشرينَ مليونَ مسلمٍ مصرعهم، وتقولُ الإحصائيات: إن «ستالين» وحدهَ خلالَ حكمه الذي دام زهاءَ ثلاثين عاماً، قَتَلَ أكثرَ من أحدَ عَشَرَ مليونَ مسلمٍ، لقد كان هذا الكلبُ العقورُ لا يتلذذُ إلاً بالقتل الجماعي، وبمنظرِ حماماتِ الدم التي كان يُشرفُ عليها^(١).

وليله ليلٌ سُكْرٍ وعَرَبِدَةٍ:

□ وبرغم ذلك كتب الأستاذ «خالد محمد خالد» في جريدة «المصري» إثر هلاك الطاغية في الرابع من مارس ١٩٥٧م مقالةً ضافياً تحت عنوان «طَبَتْ حَيًّا وَمَيِّتًا يا ستالين!»^(٢).

□ ستالين الذي كان التهجيرُ الثاني في فبراير ١٩٤٤م لأهل الشيشان إلى سيبيريا على يديه، «وكان التهجير إلى مناطق سيبيريا القارة المتجمدة والتي تصلُ درجةُ الحرارةِ فيها إلى (٥٠) درجةً تحت الصفر، ففي الشعب الشيشاني كلُّه (٢، ١ مليون)، وقد مات (٥٠٪) من الشعب الشيشاني أثناء

(١) «الذين طغوا في البلاد» (ص ١١٥ - ١١٦) لمحمد عبدالله السمان - الكلمة الطيبة - للنشر

والتوزيع.

(٢) المصدر السابق (ص ١١٧).

هذا التهجير القسري من الأطفال والنساء بسبب سياسة التجويع حتى الموت، لقد كانت وسائل التهجير في غاية القسوة، فقد جمع الشعب الشيشاني بأكمله في محطات القطارات دون السماح لهم بحمل أي شيء من المتاع مجردين من كل شيء - حتى المال - تحت طلقات الرصاص وتهديد الحراب، وحُسر الناس في عربات القطارات الخاصة بالبضائع والحيوانات إلى أراضي البراري في شمال جمهورية «قازاخستان» دون طعام ولا ماء ولا كساء، وكل من يرفض تنفيذ الأوامر يُقتل مباشرة أمام الناس بوحشية تُرهب من يرى ويسمع. . . أما أهالي الجبال - أصحاب العزائم الشديدة - فقد جمِعوا في إسطبلات الخيول، وسُكب عليهم البترول وأُحرقوا أحياءً، ومن بين المواقع التي أُحرق فيها أعداد لا حصر لها قريه «خياخي» التي ما زالت شاهدة على هذه الأحداث الجسام»^(١).

□ قال هذا الدب الأحمر «ستالين» في أخريات حياته: «انتهيت أنني لا أثق بأحدٍ حتى ولا بنفسى»^(٢).

□ فلعنتم الله على هذا الصليبي الشيوعي ستالين.

(١) «محنة الشيشان» لشعبان عبدالرحمن (ص ٧٥، ٧٦). و«الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين» لمصطفى دسوقي كسبة - هدية مجلة الأزهر الذي القعدة ١٤١٥هـ (١٠٤) «تاريخ النفي ورد في خطاب خرتشوف السري - فبراير ١٩٥٦م - كان في مارس ١٩٤٤م، وتقول المصادر الغربية: إنه كان في ٢٠ فبراير عام ١٩٤٤م.

(٢) «ستالين» لبسام العسيلي نقلًا عن «الذين طغوا في البلاد» (ص ١١٨).

* وإسلاماه.. وإسلاماه:

* مسلمو البشناق - البوسنة والهرسك وكوسوفو -، ووحشية الصرب والكروات الصليبيين أعداء الله ورسوله ﷺ:

الصليبيون في البوشناق من القديم هم وحوش ضوارٍ وأفاع، وذئابٌ وثعالب، بلغوا أقدَرَ درجاتِ الانحطاطِ البهيميِّ.. أقاموا من المجازر ما يعجزُ الخيالُ عن تصوُّره.. هم أعداءُ رسولِ اللهِ ﷺ حقًّا، وإن لم يكونوا هم أولَ أعدائه، فليس على ظهرِ الأرضِ للرسولِ ﷺ عدوٌّ، هم الذين أذاقوا مسلمي البوسنة والهرسك وكوسوفو أشدَّ أنواعِ العذابِ في الدنيا في هذا القرن.. هم الذين اغتصبوا النساءَ جماعياً.. إن رجالَ الدينِ الأرثوذكس كانوا هم أنفسهم يُحرِّضون الجنودَ على اغتصابِ المسلمات.. وللعلم، فإن الصربَ الأرثوذكس تابعون لكاتدرائيةِ الإسكندرية وللبابا شنودة!!.

□ تقول إحدى الصبايا المسلمات التي اعتدي عليها مخاطبةً العالم الإسلامي: «إن عجزتُم عن مدِّنا بالسلاح للدفاع عن شرفنا وديننا، فأمِدُّونا بحبوبٍ منع الحمل حتى لا تتعاطم المصيبة»^(١).

□ والمقابرُ الجماعيةُ التي ستظلُّ وصمةً عارٍ لأوروبا الصليبية، كلُّها أقدَرُ من محاكم التفتيش.

(١) انظر «ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى» للدكتور عدنان النحوي (ص ٩٦). دار النحوي -، و«البوسنة والهرسك - القضية والمأساة» لعبدالعزیز المهنا، وكتاب «الصراع في يوغوسلافيا ومستقبل المسلمين» لعبدالله عاصم إسمائش.

لنرجع إلى الوراء قليلاً، ونسأل التاريخ عن قذارة الصرب والكروات.

□ قبل الحرب العالمية الثانية تم هدم (١٧٠ ألف) مسجد، وقُتل (٢٤ ألف) مسلم، وتشرَّدت مئات الآلاف من المسلمين.

□ وقد نشرت صحيفة «لوتون» الفرنسية في أحد أعدادها الصادرة في أبريل سنة (١٩١٩م) حديثاً لرئيس العلماء المسلمين في يوغسلافيا قال فيه: «إنه في السنة الأولى من حكم الصرب تم إحراق وتدمير (٢٧٠) قرية، وقتل آلاف المسلمين»^(١).

* الصليبيُّ ملكُ الصرب «كرال بيتر»:

تتحدث الوثائق والبيانات الدقيقة عن المجازر البشعة الكثيرة التي ارتكبت بحق مسلمي كوسوفو والبوسنة في تلك الفترة بقيادة ملك الصرب «كرال بيتر».. وإليك واحدة من تلك المجازر البشعة الكثيرة التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى.

□ يروي عالم يوغسلافي مشهور «برانكو هورفان» - وهو كرواتي من «زغرب» - في كتابه «مسألة كوسوفو»: «أن ملك يوغسلافيا في الفترة ما بين الحربين مرَّ في طريقه من «كوسوفو» إلى «ماكدونيا» بحشد من المسلمين تحت رقابة الجنود الصربيين، فسأل مساعديه: من هؤلاء؟ قالوا: إنهم مسلمون. قال: إن هؤلاء لا فائدة للملكة منهم، ويجب أن يُبادوا جميعاً،

(١) «جمهورية البوسنة والهرسك والحقد الصليبي الصهيوني على المسلمين» لام القعقاع

ولكن من دون أن نخسر تكلفة الذخيرة والرصاص، اقتلواهم بالخشب على حافة الطرقات.. ونفذت أوامره على الفور، فكانت المجازر الجماعية سلوكاً عادياً في تلك الفترة»^(١).

وما زال المسلمون المتقدمون في السن يذكرون مواقع بعض هذه المجازر التي لم يكن عدد الضحايا فيها يقل عن ثمانية آلاف مسلم في المذبحة الواحدة من المذابح الكثيرة، كان الجيش الصربي يمر ببعض القرى المسلمة فيحرقها بكل ما فيها من بشر وحيوانات ومنازل.. وفي مناسبات أخرى كانوا يصفون الذكور ويعدمونهم جميعاً دون استثناء.

وعلى صعيد آخر هدموا مساجد المسلمين، وحوّلوا بعضها إلى ملاه، وانتهكوا مقابرهم، وحوّلوها إلى ملاعب كرة^(٢).

* مذابح للمسلمين في الحرب العالمية الثانية من قبل عصابات «التشتيك» الصربية والصليبي «دراجا ميخائيلوفتش» وزير حربية يوغسلافيا عدو الله ورسوله ﷺ :

عندما دخلت القوات الألمانية وسائر قوات «المحور» في الحرب العالمية الثانية أراضي «يوغسلافيا»، ونشأ عن ذلك تشكيل مجموعات مقاومة تمثلت في قسمين: الجيش اليوغسلافي أو «التشتيك»، و«جيش التحرير الوطني» يقوده «جوزيف بروز تيتو» - الكرواتي الأصل - الذي أصبح أميناً عاماً للحزب الشيوعي، وتكوّنت قوة ثالثة هي «الاستابشا»، وهي حركة

(١) المصدر السابق (ص ٣١).

(٢) المصدر السابق (ص ٣١-٣٢).

مؤيِّدةً للنازية، ودار التنافسُ بين هذه القُوَى الثلاثُ، وأدَّى ذلك إلى حربٍ أهليَّةٍ نُفِّذت فيها عملياتُ إبادةٍ منهجيةٍ ضدَّ المسلمين، حتى بَلَغَ عددُ الضحايا التي قَتَلها «التشنيك» بحدودِ نصفِ مليونِ شخصٍ في البوسنة والهرسك وسنجدق وكوسوف كما يذكر الأستاذ «عبدالله عاصم» في كتابه^(١)، ولكنَّ الأرقامَ تختلفُ من مصدرٍ إلى مصدرٍ، وربَّما كان العددُ النصفُ مليونٍ يمثلُ الضحايا في المناطق كُلِّها.

□ ويذكر سماحةُ الحاج «محمد أمين الحسيني» في كلمته عن البوسنة والهرسك في مجلة «فلسطين» أن عددَ القتلى أربى على مِئتي ألفٍ، وأن هذه الفاجعة كانت بتوجيه «دراجا ميخائيلوفتش» وزيرِ حربية يوغوسلافيا ورئيسِ العصابات الصربية للقضاء على المسلمين في «سنجدق بني بازار»، وعلى المسلمين والكاثوليك في «البوسنة والهرسك»، وذلك على إثرِ الخلافِ الشديدِ بين الصرب وكرواتيا ورغبةٍ كلِّ منهما بالتوسُّعِ وضمِّ عناصرِهِم الموزَّعين في البوسنة والهرسك وغيرها إليهم.

لقد استنجد أهلُ البوسنة والهرسك آنذاك بكلِّ مَنْ يعرفونه لمساعدتهم على النجاة من المجازرِ المروعة التي يرتكبها الصربُ ضدَّ المسلمين العزَّل، فاتَّصلوا بسماحةٍ مفتي فلسطين الحاج «محمد أمين الحسيني»... واهتم سماحتهُ بالأمر أثناء وجوده في ألمانيا، ويقول سماحتهُ: «لقد كنتُ في روما في ١٩ كانون الأول سنة ١٩٤٢م، حينما اتَّصل بي السيد «مصطفى بوصولا جيتش» البوشناقي الطالبُ في جامعة روما، وأنبأني بالمجزرةِ

(١) «الصراع في يوغوسلافيا» (ص ٣١-٣٥).

الوحشية التي اقترفت ضدَّ المسلمين في منطقتي بوسنة وهرسك من قبل عصابات «التشتيك» الصربية، ثم تابعت الأنباء المحزنة تُفصّل تلك الفظائع الرهيبة»^(١).

وكان للشيخ «أمين الحسيني» جهدٌ مشكور مع الحكومة الألمانية والإيطالية، ووافقت الحكومة الألمانية على تجنيد الشبان المسلمين وتسليحهم للدفاع عن أنفسهم وعن عائلاتهم داخل بلادهم، وتكوّنت فرقتان مدرّبتان: فرقة «خنجر» وفرقة «قاما»، بلغ عدد جنودهما ٣٧ ألفاً، كما تكوّنت فرقة من الشرطة والحرس، حتى بلغ مجموع المجاهدين كلّهم بحدود مئة ألف. . . . وقفت هذه القوى في وجه السّفّاح «ميخائيلوفتش» قائد المجازر والمذابح، لمّا حاول العودة إلى الاعتداء على المسلمين، فاستطاعوا بذلك إيقاف المجازر عن جميع مسلمي البلقان، وقد كتب سماحة المفتي الحاج «محمد أمين الحسيني» إلى «مصطفى النحاس باشا» يُطلّعه على تفاصيل عمليات الإبادة، ويطلبُ منه التدخل مع ملك يوغوسلافيا الملك «بطرس» الذي كان مقيماً في مصر، فقام مصطفى النحاس بجهدٍ طيّب، وزار الملك، وهدّد بإخراج جميع اليوغوسلافيين من مصر إذا استمرت هذه الاعتداءات. . . . ولقد كان «ميخائيلوفتش» من أتباع الملك»^(٢).

لَعَنَ اللَّهُ ميخائيلوفتش وأسكنه الله سقر جزاء ما فعل بأتباع رسول الله

ﷺ .

(١) «ملحمة البوسنة والهرسك» (ص ٧٠، ٧١).

(٢) انظر المصدر السابق (ص ٧١-٧٤).

□ ونُشِيرُ هُنَا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَذَابِحِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا الْمُسْلِمُونَ أَثْنَاءَ الْحَرْبِ الْعَالِمِيَّةِ الثَّانِيَةِ - وَذَلِكَ فِي شَهْرِ سِبْتَمْبَرِ سَنَةِ ١٩٤١ م حِينَ كَانَ الرِّجَالُ فِي الْحَرْبِ، قَامَ الصَّرْبُ - الَّذِينَ يُكْتَبُونَ لِلْمُسْلِمِينَ حَقْدًا وَغِلًّا شَدِيدَيْنِ - بِجَمْعِ حَوَالِي تِسْعَةِ آلَافِ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ مِنْ بَعْضِ الْمَدَنِ، ثُمَّ حَشَدُوهُمْ فِي سَهْلٍ «فُوجَا»، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِمُ النَّارَ، فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ أَلْقَوْا بِهِمْ فِي نَهْرِ «دَرِينَا»، ثُمَّ كَرَّرُوا الْمَذْبَحَةَ مَرَّةً أُخْرَى فِي شَهْرِ دَيْسَمْبَرِ مَعَ مَا يَقْرُبُ مِنْ (٣٠ أَلْف) مُسْلِمٍ آخَرِينَ، حَيْثُ كَانَتْ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ عِشْرِينَ تَحْتَ الصُّفْرِ، وَمَارَسُوا مَعَهُمْ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْعَنْفِ، حَيْثُ كَانُوا يَفْتِكُونَ بِالْأَطْفَالِ، وَيَبْقِرُونَ بَطُونَ النِّسَاءِ، ثُمَّ يُلْقَوْنَهُمْ فِي النَّهْرِ الَّذِي تَحْوَلُ إِلَى مَقْبَرَةٍ مِثْلَجَةٍ مَغْمُورَةٍ بِدَمِ الْمُسْلِمِينَ الْأَبْرِيَاءِ.

لَقَدْ كَانَتْ الْحَرْبُ الْعَالِمِيَّةُ الثَّانِيَةُ مِنْ سَنَةِ (١٩٤١ م - ١٩٤٥ م) - وَالَّتِي رَاحَ ضَحِيَّتُهَا مِائَاتُ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي إِبَادَةِ جَمَاعِيَةٍ مِنْ سَفَّاحِينَ وَقَتْلَةٍ مِنْ تَشْتِيكِ الصَّرْبِ وَاسْتِثَاشِ «مَنْظِمَةِ فَاشِيَّةِ كِرَوَاتِيهِ يَنْظِمُهَا الْيَهُودُ» - مِنْ أخطرِ المراحلِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي يُوغِسْلَافِيَا.

وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ نَظَّمُ الْجُنْرَالَ الصَّرْبِيَّ «مِيخَائِيلُوفْتَش» فِي (٢٠/١٢/١٩٤١ م)، عَمَلِيَّاتِ قَمْعِ وَإِبَادَةِ رَسْمِيَّةٍ بِأَمْرِ رَسْمِيٍّ مِنْهُ بِرَقْمِ (٣٧٠)، وَذَلِكَ غَدْرًا بِالْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ أَمَرَ عَصَابَتَهُ بِذَبْحِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَكْرَةٍ أَيْبَهُمْ، وَخِلَالَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ ذُبِحَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥٠ أَلْفَ شَهِيدٍ) - مِنْهُمْ الْأَطْفَالُ وَالنِّسَاءُ وَالشُّيُوخُ وَالشَّبَابُ -، وَمَنْ لَمْ يَمُتْ ذَبْحًا مَاتَ غَرَقًا أَوْ تَحْتَ الْأَنْقَاضِ أَوْ حَرَقًا.

□ وتكوّنت منظمةٌ عالميةٌ للتنصير في أوروبا، وقال رئيس المنظمة آنذاك - ويدعى «جورج» - : «ينبغي محاربة الإسلام في نفوس المسلمين المقيمين في أوروبا» .

□ وقال أيضاً : «إنّ الملايين العشرة من المسلمين المقيمين في أوروبا هديةٌ بعثها الله لنا» .

وخرجت وسائلُ الأعلام توعزُ لمن تبقي من المسلمين بعد هذه المجازر باعتناق المسيحية حرساً على سلامتهم^(١) .

□ لقد مارس الصربُ والكرواتُ الشيوعيون والصلبيون مع المسلمين كلَّ ما تفتق عنه الذهنُ الشيطاني للتنكيل بهم .

* هذا أولُ قربانٍ في هذا العيد :

لما دخلت الكتائبُ الصليبيةُ مدينةَ «فوتشا بوم» يومَ عيدِ الأضحى سنة (١٩٤٢م) ، أخذ أميرُ الكتائبِ مفتي المدينة ، وثبت سنابك الخيلِ على رجلِي المفتي بالمسامير ، ثم ركبَ ظهره إلى المسجد حيث ذبح المفتي على عتبة المسجد قائلاً : «هذا أولُ قربانٍ في هذا العيد»^(٢) .

* مذابحُ على نهر «درينا» ، وتجميدُ الكاتبِ الشيوعيِّ «إيفوندريس» صاحبِ جائزة «نوبل» عدوِّ الله ورسوله لها :

قتل الصربُ على جسور نهر «درينا» في يوم عيد الأضحى سنة (١٩٤٢م) حوالي (٢٢ ألف) مسلم ، كما قتلوا إبان الحرب العالمية الثانية ما

(١) «جمهورية البوسنة والهرسك» (ص ٣٢-٣٤) .

(٢) «جمهورية البوسنة والهرسك والحقْد الصليبي الصهيوني على المسلمين» (ص ٥٧) .

يزيدُ على (٢٤٠ ألف) مسلم في نفس المنطقة. . ووراءَ هذه المجازر الأصباعُ اليهودية»^(١) .

فقد كتب أحدُ كُتَّابِ اليهود - وهو الكاتبُ الشيوعيُّ «إيفوندريس» كتاب «جسر على نهر درينا» وقد طُبِعَ للمرة التاسعة حتى سنة ١٩٥٣م، وتُرجم الكتاب إلى لغاتٍ كثيرة، ونال الجائزةَ اليهوديةَ المسماةَ «نوبل» ولا عجب أن يلقى الكتابُ كلَّ هذه الدِّعَايةِ والرَّوَّاجِ إذا عَلِمنا أنه يتهجمُ على الإسلام والمسلمين، وخاصةً شعبَ البُشناقِ البطل الذي صَوَّرَهُ الكاتبُ اليهوديُّ أشنعَ تصوير، ناسباً لهم وللإسلام الأعمالَ الوحشية، معتمداً على الأكاذيبِ والخُرَافات، وقد سارعت السلطاتُ اليوغسلافيةُ الشيوعيةُ إلى تشجيع الناس على اقتناء الكتاب، بل وسَخَّرت صحافياتها وإذاعاتها للإطراء على الكاتب الذي حَبَّدَ القتلَ الجماعيَّ، وأشاد بالمذابح التي ذهب ضحيتها عشرات الألوف من البشناق المسلمين، وبارك ذبح المسلمين^(٢) .

□ يقول الكاتب الدكتور عدنان النحوي: «وفي بداية نوفمبر سنة ١٩٢٤م، وقعت أبشعُ جرائم الإبادة في قُرَى «صاهوييتش» و«بافينو بوليا» في مقاطعة «بيلوا بوليا»، حيث ذبح رجالُ الجبل الأسود (٦٠٠) مسلم في ليلةٍ واحدة، كانت أجسامُ الرجال الأحياء تُمزَّق، والعيون تُخرق، والآذان تُقَطَّع، وأجزاء من الجسم تُفصل، والأجهزة الداخلية - كالمعدة وغيرها - تُخرج، وتُرسمُ علامةُ الصليبِ بالسكاكين على الأجسام^(٣) . . ثم يتبع ذلك

(١) «الدعوة» - ٢٠ شوال سنة ١٤١٢هـ.

(٢) «جمهورية البوسنة والهرسك» (ص ٧٣-٧٤).

(٣) نفس المصدر (٨٧-٨٨).

احتفالاتٌ حيوانيةٌ يقيمها المجرمون^(١) .

ومن الوسائلِ البشعةِ للتعذيبِ: سَلْخُ جِلْدِ الْوَجْهِ وَالرَّأْسِ وَالظَّهْرِ لِلْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، إِشَارَةً مِنَ الصَّرْبِ الْمَجْرَمِينَ إِلَى انْتِقَامِهِمْ مِنْ حِجَابِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ . . . وَكَذَلِكَ سَلْخُ جِلْدِ الْيَدَيْنِ إِشَارَةً إِلَى انْتِقَامِهِمْ مِنْ وَضُوءِ الْمُسْلِمِ وَغَسْلِ يَدَيْهِ عِنْدَ الْوَضُوءِ^(٢) .

وَذُبِحَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ضِفَافِ نَهْرِ «دَرِينَا»، حَتَّى يُظْهَرَ لَهُمُ الْمَجْرَمُونَ الصَّرْبُ أَنَّهُ لَمْ يَعْذُ لَهُمْ جُسُورٌ تَرْبِطُهُمْ بِالْمُسْتَقْبَلِ .

وَكَانَ يُلْقَى بِالْمُسْلِمِينَ أَحْيَاءً فِي آبَارٍ طَبِيعِيَّةٍ، وَيُضْرَبُ الْأَطْفَالُ الضَّعْفَاءُ عَلَى الصَّخُورِ، وَيُذَبِّحُ بَعْضُهُمْ وَيُلْقَى فِي الْأَنْهَارِ، أَوْ تُلْقَى الْجُثَثُ دُونَ دَفْنِ أَشْهُرًا عَدِيدَةً .

أَعْدَادٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّاجِينَ لَا يُعْرِفُ مَصِيرَهُمْ، قَصَصٌ مُرْعَبَةٌ تَقْشَعْرُ مِنْهَا الْأَبْدَانُ، وَتَشِيبُ لَهَوْلِهَا النَّوَاصِي، وَتَرْتَجِفُ الْقُلُوبُ وَتَتَجَمَّدُ الدَّمَاءُ، وَتَتَكْتَمُ الْعُنَاصِرُ الصَّرْبِيَّةُ عَلَى هَذِهِ الْجَرَائِمِ، وَتُعَاقِبُ مَنْ يَحَاوِلُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا، وَتُزِيلُ آثَارَ أَمَاكِنِهَا، وَعَجِيبٌ لَهُمْ - وَهُمْ يَدْعُونَ انْتِسَابَهُمْ لِدِينِ - الْأَ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُمْ وَيَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَأَنَّ الْحِسَابَ الْحَقَّ عِنْدَهُ وَالْعَذَابَ الشَّدِيدَ لِلْمَجْرَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! .

نَبَشُوا قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَزَالُوهَا، وَحَرَقُوا الْكُتُبَ، وَدَمَّرُوا الْمَكْتَبَاتِ،

(١) «البوسنة والهرسك» لو كالة الأنباء الإسلامية (ص ١٦)، و«ملحمة البوسنة والهرسك» (٧٨).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٢)، و«ملحمة البوسنة والهرسك» (ص ٧٨، ٧٩).

وغيروا أسماء الشوارع .

* عدوُّ الله ورسوله القسيس الشاعر «نيقوس» وديوانه «انتقام الجبل» :

لقد سجَّل القسيسُ الشاعر «نيقوس» في ديوانه «انتقام الجبل» - أي :

الجبل الأسود - الأعمال الإجرامية التي قام بها الصربُ مُنْطَلِقِينَ من الجبل
الأسود.. هذا القسيسُ يُسوِّغُ كلَّ جرائمِ الذبحِ في المسلمين مثيراً كلَّ
النعراتِ الجاهلية، وأهدى ديوانه هذا إلى القائدِ الصربيِّ الأعلى لأولِ
عُدوانِ صربيٍّ ضدَّ مُسلمي البوسنة، وأسوأَ حالاتِ الإبادةِ لمسلمي البوسنة
كما صورها ديوان «انتقام الجبل» وقعت عشيّة رأسِ السنةِ الأرثوذكسية..
أيُّ دينِ هذا؟! أيُّ عيدٍ هذا؟! أيُّ حضارةٍ هذه؟! وظلَّت ذكري ليلةِ رأسِ
السنةِ الأرثوذكسية يُحييها الصربيون بمذابحَ جديدةٍ في المسلمين كلِّما واتتهمُ
الفرصةُ لذلك، وخاصةً خلالَ سِنِي الحربِ العالمية الثانية (١٩٤١م -
١٩٤٥م)^(١) .

لم تكن أعمالُ التصفيةِ مقتصرةً على مُسلمي البوسنةِ والهرسك،
ولكنها طالت المسلمين في كلِّ أرضِ البلقان، حيث كانت أيدي النصارى
الصربِ تنالهم، ففي (٨/١/١٨٠٧م) دخل المجرمون الصربُ مدينةَ
«بلغراد»، وأشعلوا المذابحَ بالمسلمين وغيرهم، وهدموا المساجدَ والمدارسَ
والقبورَ، ولم تشهدْ بلغرادَ ليلةً مثلَ تلكِ الليلةِ في تاريخها المليءِ
بالمآسي^(٢) .

(١) «البوسنة والهرسك» لوكالة الأنباء الإسلامية (ص ١١-١٢).

(٢) «ملحمة البوسنة والهرسك» (ص ٧٧-٧٨).

* السَّفَاحُ الكُرَوَاتِيُّ «تيتو» جَزَّارُ المسلمین الشیوعی عدوُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ :

في عام (١٩٤٥)م أصبحت يوغوسلافيا جمهوريةً شيوعيةً تحت قيادة «تيتو»، وهنا بدأ فصلٌ جديدٌ من العنف والإرهاب ضدَّ المسلمين، فقد خدَع المقاطعات الإسلامية، ومنَّاهَا بالاستقلال بعد الحرب، وقَاتَلَ المسلمين حتى انتصر الحلفاءُ ومعهم «تيتو»، فكانت المكافأةُ أن اعترف «تيتو» بالاستقلال الذاتي لجمهوريات يوغسلافيا وبقومياتها ما عدا المسلمين في البوسنة والهرسك، واعترف بقومية الصُّرب والكروات، وتجاهلَ قومية البشناق المسلمين. . . كان الجميعُ يتمتعُ بحرياتٍ شخصيةٍ ما عدا المسلمين الذين كانت تُقامُ لهم المجازرُ بلا سبب، وكان يُزجُّ بهم في السجونِ بِتُهَمٍ مُفتَعلة، ففي سنة (١٩٤٧م) حُكِمَ على اثني عشرَ عالمًا بالسَّجنِ مُدداً تتراوحُ بين سنتين وخمسةَ عشرةَ سنةً مع مصادرة أملكهم.

وفي سنة (١٩٤٩م) حُوكِمَ بعضُ الشبابِ المسلمِ بتهمةٍ «محاولة قلبِ نظامِ حكمِ تيتو»، وأُعدِمَ منهم مَنْ أُعدم، وسُجِنَ كثيرٌ منهم حيث قاسوا داخلَ السجونِ صنوفًا من العذاب، فأصيب بعضهم بالجنون والبعض الآخر بالعمى، أو تكسير العظام، وكلُّ ذنبيهم أنهم نادوا فيما بينهم بإقامة شعارِ الإسلام وتركِ الإلحاد^(١).

وفي ظلِّ الحكمِ الشيوعي أُلغي ما كان يُسمَّى بمجلسِ العلماءِ المسلمين في كلِّ من سيراييفو واسكوب والجبل الأسود وبني بازار.

(١) «محاضرة الطالب اليوغوسلافي» في جامعة أم القرى.

وكان للمسلمين أربعَ عَشْرَةَ مدرسةً ثانويةً، واحدةٌ منها للبنات في سيراييفو سنة (١٩٣٣م) ومدرسةٌ شرعيةٌ ثانوية، وأكاديميةٌ إسلاميةٌ لإعداد المثقفين كلُّها أُلغيت.

كان للمسلمين محكمةٌ شرعيةٌ في كلِّ مركزٍ يضمُّ عددًا من المسلمين يتجاوز الخمسةَ آلاف، وكانت صلَّتْهم بالأزهر الشريف والعالم الإسلامي قويةً، ولكنَّ في عهدِ الحُكم الشيوعيِّ أُلغيت المحاكمُ الشرعيةُ، ومُنِعَ تحكيم الشرع الحنيف في مسائلِ الأحوال الشخصية والموارث. وصدُورت المجلات والصحف الإسلامية.

ومن القوانين التعسُّفية التي أصدرتها الشيوعية: قانونُ إجبار المسلمات على السفور، وتشجيعُ الفتياتِ المسلمات على الفساد والانحلال^(١)، وصدورُ قانونِ إرغام المسلمين - سواءً في الجيش أو منازل الطلبة وكتائب العمل - على أكل لحم الخنزير وشحمه، وصدورُ أوامرٍ بهدم المساجد أو استخدامها كمخازن للغلال أو لأغراضٍ أخرى، ولا بد من الإشارةِ إلى وسائلِ التعذيب التي استخدمها الشيوعيون ضدَّ المسلمين الذين أوقعهم سوءُ حظِّهم تحت الحُكم الشيوعيِّ الباغي^(٢).

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أن هذه الوسائلَ الوحشيةَ هي من وحي التوراة والتلمود، وهي من صنْع اليهود، وتدلُّ على أن أصابع الصهيونية الخفية وراءها.

(١) نشرة من هيئة الإغاثة العالمية.

(٢) «الافعى اليهودية في معاقل الإسلام» عبد الله التل (ص ١٢٢ - ١٢٣).

نُهبت أموال المسلمين وأراضيهم، وسَلِمَت للنصارى الأرثوذكس، ثم بدأت أعمالٌ تَهْدِفُ إلى إفقار المسلمين، وإجبارهم على اعتناق المسيحية، أو الرحيل عن البلاد^(١).

لقد هاجر قرابة ستة ملايين مسلم بعد الحرب العالمية الثانية من يوغوسلافيا فراراً بدينهم^(٢).

أعدَّ برنامجٌ لإرغام المسلمين على الإلحاد بالقوة والقهر، ومن يرفض الارتداد عن دينه يُقتل.

كما أُلغيت المدارس الخاصة بالمسلمين، والتي كانت تُنفق عليها الأوقاف الإسلامية، والمدارس الثانوية التي يُعنى فيها بتدريس العلوم الدينية عنايةً كاملة، وأُلغيت الكتاتيب، وكان عددها قبل الشيوعية (٨٩٧) تضم (٤٣) ألف طفل و (٩٤٦) معلماً سنة ١٩٣٥ م.

وهذه نصُّ المذكرة التي رَفَعها رئيسُ جماعة «الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية» إلى الأمم المتحدة:

«نتشرف برفع هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقرة، باسم الشعوب الإسلامية التي ترسُفُ في أغلالِ الذلِّ والعبودية تحت وطأة الحكم الشيوعي الذي امتدَّ سلطانه حتى شَمَلَ البلاد الواقعة بين شبه جزيرة البلقان والمحيط الهادي.

(١) «محنة الإسلام في يوغوسلافيا» - نشرة رقم ١٧ - بيروت سنة ١٩٦٢ م (ص ١٤).

(٢) شريط كاسيت - محاضرة للشيخ «سلمان العودة» عن أوضاع المسلمين في البوسنة والهرسك.

وَيُقِيمُ عَلَى هَذِهِ الرَّقْعَةِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مِليُونٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَحْوَالٍ وَظُرُوفٍ تَفُوقُ فِي فِظَاعَتِهَا وَقَسْوَتِهَا أَظْلَمَ عَصُورِ التَّارِيخِ الْغَابِرَةِ^(١).

حَتَّى إِنْ الْأَجْيَالَ الْمُقْبِلَةَ سَتَسْتَحِي وَتَخْجَلُ مِنْ مَدِينَتِنَا الْحَدِيثَةِ الْمَعَاصِرَةِ، وَمِنْ نُظْمِنَا السِّيَاسِيَةِ وَالْخُلُقِيَّةِ وَالْفَلَسْفِيَّةِ جَمِيعًا، عِنْدَمَا نَذْكُرُ هَذِهِ الظُّرُوفَ الْقَاسِيَةَ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا مِئَةُ مِليُونٍ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ، دُونَ أَنْ تَتَحَرَّكَ الْهَيْئَاتُ الْعَالِمِيَّةُ لِنَجْدَتِهِمْ. . تِلْكَ الْهَيْئَاتُ الَّتِي أُسِّسَتْ لِحِمَايَةِ الْكِرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلِضْمَانِ أَبْسَطِ الْحُرِيَّاتِ الَّتِي نُوْمِنُ وَتُوْمِنُونَ مَعَنَا بِوَجُوبِ تَوْفُرِهَا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى دِينِهِمْ أَوْ جِنْسِهِمْ أَوْ لَوْنِهِمْ أَوْ لُغَتِهِمْ، فَإِنَّ هُنَاكَ قَاسِمًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ جَمِيعًا - وَهُوَ الْإِنْسَانِيَّةُ -، إِنْنَا نَجَارُ بِالشُّكُوفِ لِدَيْ هَيْئَتِكُمْ الْمَوْقَرَّةِ ضِدَّ نِظَامِ الْحُكْمِ الْمَفْرُوضِ بِقُوَّةِ السِّلَاحِ عَلَى هَؤُلَاءِ النَّاسِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْحُكْمِ يَسْعَى إِلَى هَدْمِ كُلِّ مَا بَتَّهَ يَدُ الْإِنْسَانِ مِنْذُ أَلْفِ السِّنِينَ، وَيَحَاوِلُ أَنْ يَدُوسَ بِأَقْدَامِهِ كُلَّ مَا قَدَّسْتَهُ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنْذُ الْقَدَمِ لِيَخْلُقَ عَالَمًا جَدِيدًا خَالِيًا مِنَ الْإِعْتِقَادِ بِاللَّهِ، لَا عِبَادَةَ فِيهِ إِلَّا لِلْقُوَّةِ الْغَاشِمَةِ وَالْمَادَّةِ الْفَانِيَةِ.

إِنْ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مِليُونٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُهَدَّدٌ كِيَانُهُمْ فِي بِلَادٍ كَانَتْ يَوْمًا مَا مَرَكَزًا لِلْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - بِلِ الْحَضَارَةِ الْعَالِمِيَّةِ جَمْعًا - .
وَهَذِهِ أَمْثَلَةٌ لِاضْطِهَادِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ دَابَّتِ الشُّيُوعِيَّةُ عَلَى مَحَوِّ مَعَالِمِ دِينِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ.

(١) «الافعى اليهودية في معاقل الإسلام» عبدالله التل (ص ٢٢٦-٢٢٧).

أباد الشيوعيون في يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة (٢٤) ألف مسلم - (١٥) ألف من مقاطعة طوزلا، (٣) آلاف من مدينة سرايفو، (٦) آلاف من ماكدونيا وكوسوفا -، أتوا بهم إلى مدينة «دويرونيك» ثم أبادوهم.

هدم المساجد، وتحويلها إلى دورٍ للهو، واستخدامها في أغراضٍ أخرى، وإقفال المدارس الدينية، فقد هدموا في مدينة «زغرب» في يوغوسلافيا جامعاً عظيماً، وأغلقوا في مدينة «سرايفو» الأكاديمية الإسلامية العليا للشريعة الإسلامية وجميع المدارس الدينية باستثناء واحدة فقط أبقوا عليها للدعاية^(١).

قتل رجال الدين، أو نفيهم، أو الحكم عليهم بالأشغال الشاقة، أو منعهم من الحقوق السياسية، بل الحقوق الإنسانية، وإيجاد أية عقبة أخرى تحول بينهم وبين مزاولتهم لمهنتهم، ففي يوغوسلافيا قتلوا مفتي كرواتيا فضيلة الشيخ «عصمت منقشي» والعالم الفاضل الشيخ «مصطفى حبيتش»، وحكموا بالأشغال الشاقة مدداً مختلفة على (١٢) عالماً دينياً بعد محاكمةٍ صوريةٍ في مدينة «سرايفو»، منهم فضيلة الشيخ «قاسم دوراجا» شيخ علماء البوسنة والهرسك، وفضيلة الشيخ «عبدالله دروبسيوفتش» وكلاهما من علماء الأزهر.

قتل الزعماء السياسيين أو نفيهم.. من أمثال ذلك في يوغوسلافيا:

(١) «الافعى اليهودية في معاقل الإسلام» عبدالله التل (ص ٢٣٠).

حكمت محكمة «اسكوب» في «ماكدونيا» سنة ١٩٤٧م على سبعة عشر زعيماً ألبانياً من الألبانيين المقيمين في يوغوسلافيا، وفي نفس السنة حكمت محكمة «بريشينا» على ٣٧ من الأعيان ثلاثة منهم بالإعدام، والباقي بالأشغال الشاقة.

وفي سنة ١٩٤٩م - أي بعد انفصال يوغوسلافيا من دول الكومينفورم - حكمت محكمة سراييفو على ١٣ زعيماً من الممتن إلى جمعية الشبان المسلمين المنحلة أربعة منهم بالإعدام، والباقي بالأشغال الشاقة.

- منع المسلمين من التمتع بالنظم الإسلامية في دائرة الأحوال الشخصية، فقد ألغيت المحاكم الشرعية في كل أنحاء البلاد التي تحكمها الشيوعية، وفي يوغوسلافيا نشرت جريدة «نوفودوب» الصادرة في سراييفو - بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٤٦م - قانوناً بإلغاء المحاكم الشرعية في جميع أنحاء يوغوسلافيا، ومعنى ذلك خروج الأسرة الإسلامية من دائرة توجيه الشريعة الإسلامية إلى دائرة القوانين الشيوعية التي تُنادي بالإباحية التامة، وانحلال روابط الأسرة.

- هذا إلى جانب نهب البلاد الإسلامية، ونقل ثرواتها إلى مقاطعات أخرى وتمزيق أوصال كل بلد إسلامي، وخلق قوميات مستقلة على أساس اللهجات بقصد تشتيت المسلمين، وخلق منازعات مصطنعة بينهم.

- ثم نذكر أن الشيوعيين يقومون بشتى أنواع الدعاية اللادينية دون أن يسمحو بالدعاية الدينية.

- من أمثال ذلك قيام الشبيبة الشيوعية وجماعة الملحنين الرواد

بمظاهراتٍ لادينيةٍ صاحبةٍ في مواسم الأعياد الإسلامية، ويهينون كلَّ ما يُقدِّسه المسلمون.

بناءً على ما سبق، نتشرفُ برفع هذه الشكوى إلى هيئتك الموقرة رجاءً بحثها، واتخاذ قرارٍ فيها يردُّ لئمة مليون مسلم حقوقهم الطبيعية والإنسانية، ويرفع عنهم هذه المظالم البشعة لئتمكَّنوا من الاشتراك مع غيرهم من بني الإنسان من بناء عالمٍ أفضل يسوده العدلُ والحريةُ والمساواة، ويكون أساسه تمتع كلِّ شعبٍ بحقِّ تقرير مصيره.

هذا وتقبلوا فائق الاحترام.

القاهرة يناير سنة ١٩٦٥ م.

محمد عبداللطيف دراز^(١).

* وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه:

مذابح المسلمين في البوسنة والهرسك سنة ١٩٩٢:

أعلن الصربُ ضمَّهم البوسنة والهرسك وعاصمتها سراييفو إلى يوغوسلافيا الجديدة، وكان ذلك في منتصف مارس سنة ١٩٩٢ م، وتفجَّر الموقفُ في البوسنة والهرسك في ٥ رمضان ١٤١٢ هـ (٩ مارس سنة ١٩٩٢ م) عندما أعلن راديو كرواتيا عن معارك يشنها الصربُ في جمهورية البوسنة والهرسك، وازداد القتالُ ضراوةً عندما دخل الصربُ بالمدفعات والدبَّاباتِ بلدةَ «بوسانسكي برود»، فأخلى الجيشُ الصربيُّ المدينةَ من كلِّ

(١) «جمهورية البوسنة والهرسك» (٣٤ - ٤٠).

سكّانها، وأحرق ٨٠٪ من مبانيها، وفي ١٨ رمضان ١٤١٢ هـ (٢٢ آذار ١٩٩٢م) بدأ قصفُ مدينةِ سراييفو.

وامتدَّ الاعتداءُ واتَّسع على المسلمين، وازداد وحشيَّةً وضراوةً وجنوناً، وما أتى يومُ ٢١ رمضان (٢٥ مارس) حتى عمَّ القتالُ جميعَ مُدنِ البوسنة والهرسك، وتشرَّد أكثرُ من سبعين ألفَ مسلمٍ بعد أن هُدِّمَتِ منازلُهم ونَجَّوا بأرواحهم.

وأرسل رئيسُ جمهوريةِ البوسنة مئةَ رسالةٍ إلى زعماءِ العالمِ الإسلاميِّ والدولِ الأخرى، فلم يتلقَ إلاَّ ثلاثَ رسائلٍ^(١).

ووجدَ الصربُ الدعمَ العلنيَّ الكاملَ من الجيشِ اليوغوسلافيِّ الاتحاديِّ الذي كان أقربَ ما يكونُ لجيشِ صرْبِي. . . وبدأتِ المذابِحُ الوحشيةُ للأطفالِ والرجالِ العُزَلِ المدنيِّينَ، وشهدتِ عدَّةُ مُدنٍ عدَّةَ مذابِحٍ رهيبةٍ في شهرِ شوَّالِ، كان من أشدها ما تمَّ في مدينةِ «بيلينيا».

وفي ٢٥ شوالِ ١٤١٢ هـ (٧ إبريل ١٩٩٢م) أعلنتِ النمسا والولاياتُ المتحدةُ الأمريكيَّةُ والمجموعةُ الأوربيَّةُ اعترافها بجمهوريةِ «البوسنة والهرسك»، وازداد عددُ الدولِ المعترِفةِ، حتى بلغ في منتصفِ إبريلِ ٢٧ دولةً. . . ولم يُبالِ الصربُ بكلِّ هذا، لم يُبالوا بفرعِ الطفلِ الذي يذبحونه والشيخِ الذي يُقطِّعونه، ومَضَوْا في جريمتهم تزدادُ كلَّ يومٍ وحشيَّةً.

واشترك في الجريمة جميعُ أنواعِ الأسلحةِ التي يملكها الصربُ أو

(١) «كتاب البوسنة والهرسك» (ص ٣١) لوكالة الأنباء الإسلامية - إيتا.

الجيشُ الاتحاديُّ، من دباباتٍ وطائراتٍ وقاذفاتٍ وأسلحةٍ خفيفةٍ وثقيلةٍ، حتى الخناجرُ والمُدَيُّ الكبيرةُ والصغيرةُ اشتركت في صنْعِ الجريمةِ، وحتى الفؤوسُ ومختلفُ وسائلِ التعذيبِ.

بلغ عددُ القتلى في اليوسنة والهرسك - حسبَ تصريحِ وزيرِ خارجيتها في مؤتمرِ وزراءِ خارجيَّةِ الدولِ الإسلاميَّةِ في «جُدَّة»، في ٩ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ، ٣ ديسمبر ١٩٩٢م - : مئةٌ وعشرين ألفَ قتيلٍ تقريباً.

كانت عملياتُ الذبحِ بالمُدَيِّ واسعةَ الانتشارِ، يُقَيِّدُ الشابُّ الأعزلُ، ويُلقَى أرضاً، ثم يُذبحُ، ثم يُلقى في نهرٍ أو في أكوام، أو يُمَثَلُ بالجُثَّةِ تمثيلاً قَدِراً نستحي من وصفه، أو يُقَطَّعُ إرباً إرباً.

كانت عملياتُ الذبحِ والتمثيلِ تشملُ الشبابَ والشيوخَ والأطفالَ والنساءَ، والصورُ التي توزَّعُها وكالاتُ الأنباءِ تقشعُرُ منها الأبدانَ. كان الاعتداءُ على النساءِ واغتصابُهنَّ يُمثَلُ عمليةً مخططاً لها، تتبَّأها قيادةُ الصربِ النصرانيةِ وجنودُها، وتنزلُ التعليماتُ الرسميةُ المشدَّدةُ بها. والأعجبُ أنَّ رجالَ الدينِ الأرثوذكس كانوا هم أنفسهم يُحرِّضون الجنودَ على اغتصابِ المسلمات^(١).

□ ونشرت الصحفُ الأجنبيَّةُ قصصاً مُفرَّعةً عن هَوْلِ هذه الجرائمِ،

(١) «البوسنة والهرسك - القضيةُ والمأساة» عبدالعزيز المهنا. (ص ٦٩)، والكتابُ يروي مآسي كثيرةً في صفحاتٍ متعددة، وكذلك كتابُ «وكالةُ الأنباءِ الإسلاميَّة»، وكتابُ رضا العراقي، وكتابُ الصراعِ في يوغوسلافيا ومستقبلِ المسلمين لعبدالله عاصم إسمائيش.

وتقول إحدى الصبايا التي اعتدي عليها مخاطبة العالم الإسلامي: «إن عجزتم عن مدنا بالسلاح للدفاع عن شرفنا وديننا، فأمدونا بحبوب منع الحمل حتى لا تتعاطم المصيبة».

امتد الاعتداء على المساجد التاريخية ودور العلم وتهديتها وقتل من فيها، وكم قتلوا من أئمة فيها، ثم يعلقون جثثهم على المنابر أو الشجر، أو يمثلون بهم بصورة يتفجر الحقد منها.

الهجرة الواسعة التي تهدف إلى تفريغ الأرض من سكانها المسلمين بعمليات الإبادة الوحشية أو التهجير:

كان أهل البوسنة يُضطرون بالقوة والتهديد إلى ترك منازلهم وأثاثهم وثوراتهم، وربما كان يأخذ رجال الصرب النصارى توقيعهم على التخلي عن ذلك كله مقابل خروجهم أحياء.

لقد امتد اللجوء إلى دول أوروبا، حيث تلتقف المؤسسات النصرانية الأعداد الهائلة لتحوّلهم إلى النصرانية تحت ضغط الحاجة أو تحت تأثير الإغراء، ولقد كان العدد الأكبر من اللاجئين من الأطفال، وربما تجاوزت نسبتهم ٦٠٪ من مجموع اللاجئين، إنهم الأطفال الذين فقدوا آباءهم، أو نُزِعوا منهم حتى يبقى الآباء في ميدان القتال، ونسبة أخرى عالية كانت من النساء الصبايا أو الأيامي والشكالي، ممن نجين بأرواحهن أو بشرفهن أو تركن أزواجهن وأبنائهن في ساحات القتال.

لقد مزقت العائلات المسلمة بين قتلى ومقاتلين ولاجئين، افترق الابن

عن أبيه والزوجة عن زوجها في متاهةٍ مُظلمةٍ تَلْفُها الأعاصير، وربما تجاوزَ عددُ الذين أرغموا على تركِ منازلهم ١,٥ مليون^(١).

وحاصر الصربُ عددًا من المُدن كان من أهمها «سراييفو»، وعَطَّلوا الكهرباء والمياه ومصادر الحياة لينشروا الموتَ والهلاكَ فيها.

كلُّ هذا يَتِمُّ على مَسْمَعٍ ومرأى العالم المتحضِّر الذي يتحدثُ في مؤسساته عن حقوقِ الإنسان، هذه المؤسساتُ المتحضِّرةُ التي تغضبُ وتَشغُلُ العالمَ بسببِ خطفِ رجلٍ أو بِضعةِ رجال، إنها تَغضبُ وتَعْتَبِرُ هذا إخلالاً بحقوقِ الإنسان، وتعتبرُ إسقاطَ طائرةٍ هنا جريمةً كبيرةً وإسقاطها هناك مسألةً بسيطةً.. قضيةُ رجلٍ أو طائرةٍ تستدعي الحصارَ والحربَ والويلَ والثبور، وقضيةُ شعبٍ كاملٍ يُبادُ لا يستدعي التدخلَ العسكريَّ، ولا الغضبةَ الإنسانيةَ، ولا تَحْرُكُ لجانِ حقوقِ الإنسان:

قَتَلَ امْرِئٍ فِي غَابَةٍ جَرِيمَةٌ لَا تُغْتَفَرُ
وَقَتَلَ شَعْبًا آمِنًا مَسْأَلَةٌ فِيهَا نَظَرُ

عالمٌ كأنَّما تَموجُ به الوحوشُ الضواري والأفاعي والذئابُ والثعالبُ، وَيَطْلَعُ هؤلاء بمبادئٍ برآقةٍ كلَّ يومٍ: حقوقِ الإنسان، النظامَ العالميَّ الجديد، الديمقراطية، الحرية، حرية الأديان.

في بلاد المسلمين يجبُ إعطاءُ المسيحيِّ حُرِّيَّةَ دينه وإقامةَ كنائسٍ ولو لم يكن من أهل البلاد، إذا منعتَ ذلكَ فهذه جريمةٌ كبيرةٌ واعتداءٌ على حقوقِ الإنسان وحريةِ العبادة، وأنت لا تمنعُه عادةً إلا بصورةٍ قانونيةٍ، أو

(١) «وكالة الأنباء الإسلامية - إينا - البوسنة والهرسك» (ص ٥٠).

لأنهم مفسدون في الأرض، أما في البوسنة والهرسك، فتهدم المساجد وتُحرق ويُقتل المصلّون والأئمة والعلماء، ويُعلّقون على الأشجار والأعمدة، أو يُقَطِّعون ويمثّل بأجسادهم، وتغتصب النساء، ويزيد عدد القتلى على (١٣٠) ألف قتيل، وتمزق العائلات، ويقطع الأطفال، ويحرك رجال الكنيسة كل هذه الجرائم والعالم أعمى أصم أبكم، والخائن العميل الصليبي «بترس غالي» أمين عام الأمم المتحدة، عدو رسول الله ﷺ يصرّح في ٢٤/١٠/١٤١٢هـ: «إن توسيع عمليات حفظ السلام ونشر قوات الأمم المتحدة في البوسنة والهرسك ليس أمراً عملياً»^(١) . . ثم يطلب توسيع ذلك في موزامبيق!!! .

* عدو الله ورسوله ﷺ السفّاح والجزّار البربري رئيس الصرب الصليبي سلوبودان ميلو سيفيتش:

فعل هذا الوغد بالمسلمين أقدر وأنكى ما فعل صليبي في هذا القرن، هذا الكافر الفظ غليظ القلب الذي لا يحركه بكاء يتيم، ولا تقضه استغائه أرملة أو بقّر بطن حامل أو اغتصاب الفتيات حتى بعد موتهن، الذي لا يبالي بأنين الشيوخ . . يشبهه بعض السياسيين بهتلر .

لقد ولد هذا الحاكم عام سنة ١٩٣٠م في بلجراد العاصمة، ولم يكمل تعليمه الجامعي، وانخرط في قوات الأنصار أثناء الحرب العالمية الثانية، وتدرّج داخل صفوف الحزب الشيوعي حتى صار عضواً في اللجنة المركزية بفرع الحزب في صربيا وأخر السبعينات، ثم صار عضواً في برلمان صربيا ثم

(١) «البوسنة والهرسك» لوكالة الأنباء الإسلامية (ص ٢٩).

في مجلس رئاستها، وفي عام ١٩٨٧م تولّى «سلوبدان» قيادة رابطة الشيوعيين في صربيا، إلى أن قفز إلى الرئاسة الأولى عام ١٩٨٨م^(١).

□ يقول السياسيون: «إنه «الميكافيلي» الذي لا يعرف معنى الحقيقة، أو في أحسن الأحوال القيصر الصغير، حيث استطاع أن يوظف ملكاته الشخصية كخطيب حماسي مفوهٍ لشحذ همم الناس، ولعب في ذلك على وترين حسّاسين لدى الصرب:

أولاً: الوتر القومي . ثانياً: الوتر الديني .

كان هذا الكافر يخرج على الناس مرتدياً مسوح الأرثوذكسي المتدين، ويخطبهم بآيات من الكتاب المقدس، ويذكّرهم بما تعرّض له الأرثوذكسيون الصربيون على يد الأتراك والكاثوليك، ومرة أخرى تكون «كوسوفو» هي الضحية، فيخاطب الناس مشيراً إلى موقعة كوسوفو التي هُزم فيها أجداده أمام الأتراك، ويقيم احتفالات ضخمة في كوسوفو نفسها، ويطالب بتطهيرها من المسلمين الذين استوطنوها - حسب زعمه - منذ هزيمة أجداده، وبدأت حملات العنف والمجازر تُقام للشعب الألباني، وحاول كسب أوروبا إلى صفه بأن ادّعى أن حملته العدوانية على ألبان كوسوفو إنما يحمي بها البوابة الجنوبية الغربية من خطر الأصولية الإسلامية!! .

وسعى «سلوبودان ميلوسيفيتش» دكتاتور الصرب إلى أي سلوك من شأنه أن يبعث الحقد الأسود في نفوس النصارى ليحفّزهم على الانتقام من المسلمين، فمن أعجب الأمور أن يُخرج حاكم الصرب تابوت الأمير

(١) «الشرق الأوسط» - العدد (٤٩٥٦) - الثلاثاء ٢٣/٦/١٩٩٢م (ص ٦) مقال أسعد طه.

«لازار» آخر حُكَّامِ دَوْلَةِ الصَّرْبِ مِنْ قَبْرِهِ، وَيَطُوفُ بِهِ فِي جَمِيعِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي يُقِيمُ فِيهَا شَعْبُ الصَّرْبِ فِي يُوغوسْلَافِيَا، لَقَدْ مَرَّ ٦٠٠ سَنَةً عَلَيَّ زَوَالِ عَرْشِ الْأَمِيرِ «لَازار» الَّذِي انْهَزَمَ سَنَةَ ١٣٨٩ مَ أَمَامَ الْفَتْوحِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَسَقَطَ حُكْمُ الصَّرْبِ الَّذِي كَانَ يَتَوَلَّاهُ «لَازار»، وَلِهَذَا سَلَكَ حَاكِمُ الصَّرْبِ ذَلِكَ السَّلُوكَ الْاسْتَفْزَازِيَّ لِيُذَكِّرَ الصَّرْبَ بِذُلِّ الْهَزِيمَةِ وَضُرُورَةِ إِعَادَةِ مَجْدِ الدَّوْلَةِ الصَّرْبِيَّةِ، وَقَدْ رَافَقَتْ هَذَا الطَّوْفَ هَتَافَاتٌ بِوَجُوبِ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَطَرْدِ مَا يُطَلِّقُونَ عَلَيْهِمُ «الْعُثْمَانِيِّينَ».

* وَهَذِي نَمَازِجٌ مِمَّا فَعَلَ هَذَا الْخَنْزِيرُ بِالْمُسْلِمِينَ:

المذبحة الكبرى في مدينة «مبيلينا»:

تَقَعُ مَدِينَةُ «مَبِيلِينَا» عَلَيَّ بَعْدَ (٢٥٠) كِيلُومِترٍ مِنَ الْعَاصِمَةِ سِيرَايِفُو «يُشَكِّلُ الصَّرْبُ ٦٠٪ مِنَ السَّكَّانِ، وَالْمُسْلِمُونَ ٤٠٪»، اقْتَحَمَتِ الْمَلِيشِيَّاتُ الصَّرْبِيَّةُ الْمُسَلَّحَةُ بِقِيَادَةِ «الْكُومَانْدَانَتِ أَرْكَان» - الَّذِي يَدَّعِي أَنَّ الْجَيْشَ يَخْضَعُ لِسُلْطَتِهِ -، اقْتَحَمَتِ الْحَوَاجِزَ الَّتِي أَقَامَهَا الْمُسْلِمُونَ لِلدَّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيَّ وَسَطَ الْمَدِينَةِ، وَفِي أَيَّامِ عِيدِ الْفَطْرِ الثَّلَاثِ ارْتَكَبَ الصَّرْبُ أَشْنَعَ مَجْزَرَةٍ عَرَفَهَا التَّارِيخُ، وَهَاجَمَ الصَّرْبُ بُيُوتَ الْمُسْلِمِينَ الْعُزَّلَ، وَقَتَلُوا (١٥٠) شَخْصًا أَكْثَرَهُمْ مِنَ الْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشُّيُوخِ، وَدَخَلُوا الْقُرَى الْمُحِيطَةَ بِالْمَدِينَةِ، وَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ، وَاعْتَدَوْا عَلَيَّ الْحَرَائِرِ أَمَامَ ذَوِيهِمْ، وَبَقَرُوا بَطُونَ الْحَوَامِلِ، وَأَخْرَجُوا الْأَجِنَّةَ، وَأَلْقَوْا بِهَا فِي الشُّوَارِعِ، وَحَرَقُوا الْمَنَازِلَ بَيْنَ فِيهَا مِنَ الْأَبْرِيَاءِ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنْ نَقْلِ جَرَّاحِهِمْ إِلَى الْمُسْتَشْفَاتِ، كَمَا أَمَرُوا الْمُسْتَشْفِيَّاتِ أَنْ لَا تَقْبَلَ جَرَّاحِي

المسلمين، وتركت الجثث تملأ الشوارع عدة أيام^(١).

□ المجازر اليومية في العاصمة سيرايفو:

حاصر الجيش الاتحادي عاصمة المسلمين سيرايفو، وغدت المجازر تُرتكب فيها يومياً، والمدينة هدف لقصف الطائرات والدبابات.

- شكّل الصرب منظمات إرهابية من القناصة تدرّبوا على أيدي اليهود، فاعتلوا أسطح المنازل، وكانوا يصطادون المسلمين بأسلحتهم ورشاشاتهم، وذهب ضحية هذه الأعمال الإرهابية أعداد كبيرة من المسلمين.

□ في مدينة «زخورنيك»:

دخل الجيش الاتحادي، واحتجز ثلاثة آلاف مسلم من بينهم نساء وأطفال، وجعلوهم رهائن مهددة بالقتل بعد أن أملوا شروطهم على المسلمين.

- أذاع راديو «زغرب» أن المليشيات الصربية دخلت معارك ضدّ المسلمين.

- ترددت أنباء بوقوع اشتباكات ضدّ المدن الآتية: «بوسكانسكي برود» شمال البوسنة، «فوتشا» جنوب شرق العاصمة، و«موستار».

استولى الجيش الاتحادي على «زخورنيك» وبها ٦٠٪ من السكان من المسلمين وعددهم عشرة آلاف مسلم.

(١) تقرير من رابطة العالم الإسلامي / هيئة الإغاثة الإسلامية في ١٦/١٠/١٤١٢ هـ -

- صرّحت هيئة الإذاعة البريطانية في تقرير لها عن «سراييفو» أن الآلاف من أهالي البوسنة والهرسك يفرون من القتال الضاري الذي تشهده الجمهورية، وأن الفارين لا يعرفون إلى أين يتجهون بعد أن تدخل الجيش الاتحادي إلى جانب الصرب في قتالهم، فأصبحوا محاصرين من كل جانب.

* ما أشبه اليوم بالبارحة !! :

ومثلما فعلت الكتائب الصربية في عيد الأضحى سنة ١٩٤٢م في مدينة «فوتشا بوم» وذبحوا مفتي المسلمين على عتبة المسجد، جاء دور أبنائهم ليقطفوا آثار آبائهم حذو القذة بالقذة، وها هم يعاودون الكرة بعد أن أعدوا العدة منذ ٤٠ سنة لمعركة تاريخية مقدسة مع المسلمين - كما يسمونها -، ففي مدينة «بيلينا» شمال شرق البوسنة نجا فقط ثلاثة من أعضاء المجلس التنفيذي للحزب الإسلامي (SDA)، وأما الآخرون فقد ذبحوا، ورُسمت على جثثهم صلبان صربية أرثوذكسية بالسكاكين، وقد وقعت المذبحة إثر هجوم القوات الصربية المكونة من المرتزقة المجرمين المدربين على أيدي الإسرائيليين، وسبق الهجوم قصفٌ عنيفٌ بالمدافع وبالتنسيق مع الجيش الاتحادي بعد آخر صلاة التراويح في رمضان من السنة الجارية ١٤١٢هـ، وعقب خروج المصلين من المسجد أخذت القوات الصربية اثنين من المصلين، وذبحتهما على باب المسجد، ثم أطلقت النار على الآخرين، عندئذ هرع المصلون إلى داخل المسجد، فألقى الصرب القنابل في داخله، ثم قضاوا الحاجة على جثث القتلى المسلمين !! .

ويبدو أن الذي يُخَطِّطُ لهم أحدُ شياطين بني إسرائيل، فقد نقل تليفزيون بلغراد هذا المشهدَ المروِّعَ، وبثَّه في نشرةِ الأخبار بعد أن عرَّض القتلى في الكنيسة بدلاً من المسجد المُهدَّم، وعلَّق على الصورة بأن المسلمين المدعومين من الخارج هكذا يُعاملون أفرادَ الشعبِ الصِّربي في البوسنة والهرسك!! وأنَّ هذا هو مصيرُ ما يزيدُ على مليونِ صربي، ولمنع هذه المجزرة ناشدَ جميعَ شبابِ الصِّربِ سرعةَ الالتحاقِ بمراكزِ المتطوعين لإنقاذ الصرب الأبرياء!!.

وفي إثرِ هذه المذبحة هاجرَ ما يزيدُ عن ٤٠ ألفاً من المدينة فراراً بدينهم وعرضهم، ثم بدأ قصفُ ثلاثِ مُدنٍ حدوديةٍ أخرى هي: زرونك وفيتشغراد وفوتشا ذات الأغلبية المسلمة، وذلك مع القصف المستمرِّ على سيرايفو، والتركيزِ على الأحياءِ القديمةِ ذاتِ الآثارِ العثمانيةِ الإسلامية.

وفي مدينة «زرونك» وحدها أسرَّ الصربُ المرتزقةُ ثلاثةَ آلافِ مسلمٍ كما أحرقوا نصفَ مدينةِ «فوتشا»، وفي جميعِ هذه المُدن اغتصب الصربُ كثيراً من النساءِ المسلمات، وكانوا يُجبرون الرجالَ على خلعِ الملابس، فمن وجوده مختوناً [أي: مسلماً] قتلوه ورسموا على جثتهِ الصليبَ بالسكين.

ولم يَسلمَ مسجدٌ من المساجدِ في هذه المدن التي دَنسوها من عدوانهم وكُفْرهم وبغيهم. . . وقد قُتل في هذه المذابح ٦٠ شخصاً، ومثَّل بجثتهم، فلم يتمكنَ الشهودُ من تحديدِ هويةِ القتلى، فقد اقتلع الصربُ عيونَ القتلى، وقطعوا آذانهم، وأحياناً يقومون بإحراقِ الجثة.

□ مذبحه كوبرس :

مدينة واقعة على بعد ٩٠ كيلو متر من سيراييفو، استولت عليها قوات كرواتية، وقد ذكر راديو بلغراد أن مئات الأشخاص قد قتلوا.

□ مذبحه دونمي فاكوف :

شهدت قتالاً عنيفاً، حيث نصب الصرب كميناً لخمسة حافلات ثقيلة عمالاً مسلمين من سيراييفو كانوا في طريقهم للانضمام إلى المسيرة السلمية التي أعلن المسلمون عن تنظيمها لتأييد قرار المجموعة الأوربية باستقلال البوسنة، ففتح الصرب نيرانهم على الحافلات الخمسة مما أدى إلى مصرع الكثيرين وإصابة الكثيرين بإصابات خطيرة.

وطريقة الذبح كما وصفها شاهد عيان: يُجمع المسلمون، ويقيدون بالسلاسل، ويذهب بهم على حافة النهر، ثم يتم الذبح بالسكين كالنجاج، مدعين أن الرصاصة خسارة في المسلم!

□ يروي مفوض جمهورية البوسنة والهرسك في دول الخليج قصصاً مروعة ومخازي يندى لها تاريخ البشرية، ووصمة عار في جبين القرن العشرين، فيقول حسين عمر سباهيتش: «يروي شهود العيان الذين نجوا من سكاكين ومناشير العصابات الصربية المسماة «تشتنيك»^(١) قصصاً بشعة منها: قام «تشتنيك» بإحراق المسلمين داخل مساجدهم وبيوتهم في جنوب شرق البوسنة، وكانوا يمثلون بالقتلى بعد ذبحهم بالسكاكين، ويقطعون أثناء النساء بعد اغتصابهن، كانوا يبقرون بطون الحوامل للتمثيل بالأجنة

(١) مجلة المجتمع ٢٤ شوال سنة ١٤١٢ هـ (العدد ٩٩٨).

أو يُلقون بهم أحياءً في الماء المغلي، أو يشوونهم شيّ الذبائح، ويُرسلون هذه الرؤوس المشوية هديةً لذويهم، كما كانوا يقطعون رؤوس الرجال ويشوونها ويرسلونها هديةً إلى قاداتهم.

وقد استطاعت جريدة «المسلمون» أن تدخل قُرى ومدن البوسنة والهرسك، وشاهد مؤفدها «فراج إسماعيل» أكبر محطة لتكرير النفط في الجمهورية، وقد قصفتها الدبابات الصربية، وقُدرت الخسائر بأكثر من مئة مليون دولار، وتعدُّ هذه المحطة شريان الحياة الرئيسي في البوسنة، حيث تُولّد بواسطتها معظم الطاقة الكهربائية، وقال شاهد عيان: إنه شاهد من التلفزيون الكرواتي أن سيراييفو تحترق معظمها.

وفي مدينة «بيلينا» ذبحت المليشيات الصربية إمام المسجد، وأطلقت النيران على المصلين، وقاموا بالتمثيل بالجثث، ورفع العلم الصربي على المثذنة.

يقيم الصربُ معسكراتٍ للسبايا النساء، حيث يتعرّضن للمعاملات الوحشية والاعتصاب، كما قاموا بتقطيع أنداء بعضهن.

وشهد أيضاً مندوبُ جريدة المسلمون مذبحاً في قرية «جورنية تولبية» والتي ذُبح فيها ٢٠٠ مسلم، معظمهم من النساء والأطفال، وقد دمروا القرية تماماً.

أذاع رئيس بلدية «زفورنيك» الواقعة قرب الحدود الصربية في الإذاعة «سيراييفو» أن المدينة تعرّضت لهجوم وحشي من قبل المليشيات الصربية المسلحة والجيش الاتحادي اليوغسلافي، علماً بأن المدينة بها ٦٠٪ من

المسلمين، وأنه لا شيء يَمْنَعُ هذه المليشيات من ارتكاب جرائمها ضدَّ المسلمين، وأن عمليات النهبِ والسلبِ واسعة النطاق^(١).

□ وقال الرئيسُ «علي عزت»: «إن قواتِ الصربِ احتجزت في هذه المدينة- زفورنيك- ثلاثة آلاف مسلم، وتهددُ بقتلهم».

أصدر اتحاد الطلاب العرب والمسلمين في مدينة «زغرب» بكرواتيا البيان التالي: «نُعَلِّمُكم أن المسلمين يتعرَّضون في البوسنة والهرسك للذبح، واغتصاب الحرائر، وتدنيس وتدمير بيوت الله، وإلقاء القنابل وسط المساجد، وإطلاق النيران على المصلين، بل إن المليشيات الصربية تقضي حاجتها على جثث المسلمين»^(٢).

أقيمت معسكرات للفارين بدينهم من مذابح دكتاتور الصرب في كرواتيا، ولكن نقلت وكالات الأنباء أخبارَ ترحيل الأطفال المسلمين إلى ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا، وأن المليشيات الصربية لا تتصدى لهذه الأتوبيسات كما تتصدى للمهاجرين الآخرين، وكذلك وجد القساوسة يقومون بتنصير المسلمين ويطرحون إغراءات التنصير على المسلمين مستغلين ظروفهم الصعبة، وبعضهم يعرض استضافة الأطفال في كنائسهم^(٣)، ومن لم يستجب لهذه العروض يتعرض لسرقة أطفاله، فقد اشتكى الكثير من المسلمين من اختفاء أطفالهم من المعسكرات.

(١) الدعوة العدد ١٣٣٧، ١٣ شوال سنة ١٤١٢هـ.

(٢) الإغاثة الإسلامية ٦ ذو القعدة سنة ١٤١٢هـ.

(٣) «المسلمون» العدد ٣٨١.

قام الصربُ بتلغيم نَفَقِ «برادين» الواقع على الطريق السريع بين مدينتي «سراييفو» و«موستار»، وأدى ذلك إلى إغلاقِ كافةِ المداخلِ المؤديةِ لمدينةِ «سيرايفو» ومنعِ دخولِ الطعامِ ورجالِ الصحافةِ والإعلامِ، وتعرضُ العاصمةُ لمجاعة.

□ صرَّحَ الدكتورُ «عادل بترجي» رئيسُ «لجنة البر» بالندوة العالمية للشباب أنه قد قُتِلَ في «سيرايفو» قرابةُ خمسةِ آلافِ مسلمٍ^(١).

هناك ملفٌ فظيعٌ من الصورِ والمنشوراتِ أحضرها أحدُ أعضاءِ «لجنة البر» المنبثقةِ من الندوة العالمية للشباب الذين مكثوا عدةَ أسابيعٍ في كرواتيا على مقربةٍ لما يجري في جمهورية البوسنة والهرسك، وفي هذا الملفُّ الصربيون يُمزقون المصاحف، ويبقرون بطون النساء، ويضعُ الصربيُّ قَدَمَهُ على رَقَبَةِ المسلم ثم يذبحه، ويقول له: «هل ترى الجنة أم النار؟».

اعتصم بعضُ المسلمين في أحدِ المساجدِ يَبْكُونَ من هَوْلِ ما رأوا، فهُدِمَ المسجدُ على رؤوسهم، وفي مدينة «يانيا» شتق الصربيون إمامَ المسجدِ ومؤذنه، ثم أذاعوا من ميكروفوناتِ المسجدِ الأغانيَ القوميةَ لإذلالِ المسلمين^(٢).

سَقَطَتِ مدينةُ «برتشكو» وفيها واحدٌ وأربعونَ ألفَ وسبعمئةَ مسلمٍ

(١) محاضرة للدكتور عادل البترجي مسجلة على شريط كاسيت في ذي الحجة سنة ١٤١٢هـ.

(٢) محاضرة للشيخ عائض القرني. انظر كل هذا الملف في كتاب «جمهورية البوسنة والهرسك» (ص ٥٥-٦٦).

بعد أن استبسل جنودُ محمد ﷺ وهم يُردِّدون «لا إله إلا الله» تحت قصفِ المدفعية الثقيلة .

وفي إحدى القرى دخلوا مدرسةَ أطفالٍ لا تتجاوزُ أعمارهم العاشرة، وقتلوه عن بكرة أبيهم، ثم اتجهوا إلى القرية، ولم يتركوا بها طفلاً أو امرأة إلا قتلوه، وهرب البعض، ولكنَّ «جماعاتِ الصقورِ البيضاء المتوحشة» من الصربيين كانت في انتظارِ الهاربين من القرية، فأكملت المذبحة^(١) .

* تقريرٌ موجزٌ عما خلفته الحربُ في غضون ٣ أسابيع^(٢) :

□ أسفرت الحربُ الصربيةُ خلالَ ثلاثةِ أسابيعٍ عن :

١ - ثلاثةِ آلافِ قتيلٍ وعشراتِ الآلافِ من الجرحى .

٢ - تشريدِ أكثرِ من (٣٥٠,٠٠٠) مهاجرٍ نزحوا عن منازلهم إلى

كرواتيا .

٣ - اغتصابِ مئاتِ النساءِ ثم قتلهن، واختطافِ بعضهن، والهربِ

بهن إلى صربيا .

٤ - تدميرِ ١٦٠ ألفِ منزلٍ في المدن والقرى الإسلامية .

٥ - تدميرِ مئاتِ المساجدِ بالقصفِ، وإحراقِ متعمدٍ لمحتوياتها .

٦ - تدميرِ عشراتِ المصانعِ ومحطاتِ الكهرباءِ والمرافقِ الحيويةِ

الأخرى .

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) تقرير لجنة مسلمي البوسنة والهرسك بالندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤١٢/٧/٢٢ هـ

انظر كتاب «البوسنة والهرسك» (ص ٧٠ - ٧١) .

- ٧- تدمير مئات المدارس وعشرات المستشفيات .
- ٨ - سقوط عشر مدُنٍ وعديدٍ من القرى بأيدي الصرب، ونهب المحلات والبنوك، وسرقة أغراض المسلمين وأموالهم من منازلهم، ونقلها إلى صربيا، ثم بيعها هناك .
- ٩ - تدمير عشرات الجسور التي كانت تمتدُّ فوق أنهار البوسنة وكانت تربطها بكرواتيا .
- ١٠ - إصابة مصفاة البترول الوحيدة في الجمهورية وإحداثِ أضرارٍ ماديةٍ جسيمةٍ، علماً بأن المصفاة كُلفت ٦٠٠ مليون دولار .
- ١١ - ذكرت جريدة «المدينة» أن الوزير النمساوي لوزارة الداخلية صرَّح بأن عدد اللاجئين من كافة الجمهوريات اليوغسلافية بلغ (١,٣٠٠) مليون نسمة منهم (٧٠٠ ألف) من البوسنة والهرسك فقط خلال الأسابيع القليلة الماضية^(١) .
- ١٢ - اعتقلت قوات القائد الديمقراطي للحزب الصربي «كراجيتش» الإرهابية (٢١٨) مسلماً في بلدة «فوتشتشت» وحرمتهم من الأكل .
- ویرسلُ الصليبيون المجرمون رسائلَ إلى المسلمين تقول: «تقبَّلوا تهانينا بمناسبة العيد، وتبريكاتنا باستقلال الجمهورية، والاعتراف الدولي» .
- * السفاح الصربي الخنزير يستعين باليهود :
- لا عجب أن نرى الجرائم البشعة التي يندى لها جبين الإنسانية

(١) جريدة المدينة ذو القعدة سنة ١٤١٢هـ، وجريدة عكاظ ٢٦/١١/١٤١٢هـ .

تستشري على أرض يوغوسلافيا، إذا استعان شيطانُ الصرب «سلوبدان ميلوسيفيتش» بشياطين اليهود.. لا عجب إذا عَلِمْنَا أن يوغوسلافيا يعيشُ على أرضها أقليةً يهوديةً تعدادها (٥٥٠٠) يهودي^(١)، وهذه نماذجُ من أساليبِ التعذيب التي تُبعت في الخمسينات والستينات من هذا القرن العشرين، أما الآن فقد تفتقت الوحشية اليهودية الصليبية عن اختراع وابتكارِ أساليبٍ أشدَّ وحشيةً وأكثرَ إمعاناً في الاستهانةِ بالإنسان الذي يُعتبر في نظرِ التوراة والتلمود حيواناً يحلُّ ذبحه أو ركوبه، واستخدامه لتحقيقِ أهدافِ الشعب المختار!

- ١ - دَقُّ مساميرٍ طويلةٍ في الرأسِ حتى تصلَ إلى المخ^(٢).
- ٢ - إحراقُ المسجون بعد صبِّ البترولِ عليه وإشعالِ النارِ فيه.
- ٣ - جعلُ المسجون هدفاً يتدربُ الجنودُ عليه في إطلاقِ الرصاصِ.
- ٤ - وضعُ أغطيةٍ معدنيةٍ على الرأسِ، وتمريرُ التيارِ الكهربائيِّ فيها لاقتلاعِ العيون.
- ٥ - صبُّ الزيتِ المغليِ على جسمِ المعتذبِ.
- ٦ - ضربُ المعتذبِ على أعضائه التناسليةِ.
- ٧ - إدخالُ شعيرِ الخنزيرِ في فتحةِ العضوِ التناسليِ، وإدخالُ قضيبِ حديديٍّ ساخنٍ في الأماكنِ الحساسةِ من الجسمِ.
- ٨ - تمشيطُ الجسمِ بأمشاطٍ حديديةٍ حادةٍ.

(١) «الدعوة» العدد ١٣٣٨، ٢٠/١٠/١٤١٢ هـ.

(٢) «الأفعى اليهودية» لعبدالله لتل (ص ١٢٦).

٩ - صبُّ موادَّ حارقةٍ وكاويةٍ في فم المسجون وأنفه وعينه بعد ربطه ربطاً محكماً.

١٠ - تسميرُ أذني المسجون في الجدار حتى يَظُلَّ واقفاً ليلاً ونهاراً.

١١ - خياطةُ أصابع اليدين والرجلين، وشبكُ بعضها إلى بعض.

١٢ - ربطُ الرأسِ في طرفِ آلة ميكانيكية وباقي الجسم في آلةٍ أخرى، ثم تُدارُ كلُّ منهما في اتجاهين متعاكسين، فيتمددُ الجسمُ وينفصلُ الرأسُ عن الجسد نتيجةً للجذب المعاكس للآلتين.

١٣ - خَلَعُ الأظافرِ، والنومُ على الثلج شتاءً بلا ملابس، والضربُ بالكرابيج حتى يتساقطَ اللحمُ ويبرزَ العظم.

□ انظر إلى قذارة السِّفاحِ الصليبيِّ الصربيِّ ويهود: فحادثُ تسمُّمِ الأطفالِ بالألبانِ الشهير الذي وُضِعَتْ فيه موادُّ سامةٌ في خزاناتِ المياه التابعة لبعضِ المدراسِ الابتدائية. . لا يفعلُه إلاَّ وحشٌ كاسر لا ينتمي إلى البشر، بل هو إلى الخنازير أشبه، وأوردت الأنباء وقتها أن هذا السُّمُّ قد تمَّ استيراده خصيصاً من إسرائيل^(١).

* الصربيُّ الصليبيُّ «شيشل» يقترحُ إبادةَ الألبان:

حَقْدُ أسودٍ بثه هذا الصليبيُّ الصربيُّ الزعيمُ «شيشل» الذي يُشكِّلُ امتدادَ المليشياتِ الصربيةِ القوميةِ في الحرب العالمية وزعيمُ «تشتنيك» حين يُعلنُ مراراً عن استحالةِ التعايشِ الصربيِّ الإسلامي، واقترح إبادةَ الشعبِ

(١) «الشرق الأوسط» الثلاثاء ٢٣/٦/١٩٩٢م (ص٦).

الألباني في كوسوفو إذا رفض مغادرة أراضيهِ^(١) .

* الصليب في القلبين يُشرفُ على قتل المسلمين :

□ يقول الشيخ «سلامات هاشم» رئيسُ «جبهة تحرير مورو الإسلامية»: «إنَّ السلطاتَ الفلبينيةَ كلّها من النصارى الذين يكرهون المسلمين، ويعدُّونهم العدوَّ الأولَ لهم» .

□ ثم قال: «يُمكنُ القولُ: إن عددَ الشهداء - منذ بدأت الحرب في عام ١٩٧٠م - هو (٣٢٦, ٨٤٥) شهيداً ومفقوداً من الرجال والنساء والأطفال حتى نهاية ١٩٩١م، أمّا عددُ الشهداء الذين استشهدوا في ساحاتِ الجهاد، فهو (٧٨٦, ٢٤) من الرجال والنساء»^(٢) .

* البوذِيُّون أعداءُ رسولِ اللهِ ﷺ في «كمبوديا» يطردون المسلمين من المدن، ويُدبرون المذابحَ البشعةَ لهم :

قررت الحكومةُ الكمبوديةُ منَعَ وجودِ المسلمين في العاصمةِ «فنوم نيه»، وتهجيرَ جميعِ العائلاتِ المسلمةِ إجبارياً إلى القرى النائية، وإجبارهم على العيشِ في منازلِ الصفيحِ والأخشاب، وذلك خوفاً على البوذية من المدِّ الإسلامي ! .

وتمَّ ترحيلُ المسلمين بطريقةٍ مهينةٍ إلى القرى والنجوعِ النائيةِ خلفَ نهرِ «الميكونج» في منطقةٍ تُسمَّى «رس كيو»، وقد وَضعتِ الحكومةُ في المنطقةِ أكثرَ من ثلاثةِ آلافِ عائلةٍ مسلمةٍ في حالةٍ سيئةٍ للغاية .

(١) «جمهورية البوسنة والهرسك» (ص ١١٢-١١٣) لام القعقاع .

(٢) «وجاء الدور على الإسلام» (ص ١٥٤) .

ويتذكر المسلمون في «كمبوديا» المذابح الإجرامية التي قامت بها عصابات «الخمير الحمر» أواسط السبعينات ضدّهم، حيث إن هذه العصابات قامت بقتل عشرات الآلاف من المسلمين وسَطَّ تعميم إعلامي واسع، فلم يعرف أحد هذه المذابح إلا بعد فرار بعض المسلمين الناجين من المذابح إلى الدول المجاورة لكمبوديا^(١).

والكفر ملّة واحدة.. والحقد على الإسلام والمسلمين ونبيهم ﷺ شعار القوم ودثارهم.. فلعنة الله على الجميع.

* الصليبيون آكلو لحوم المسلمين:

□ يقول «رانسيمان» في كتابه عن الحروب الصليبية: «كان الجيش في «معرّة النعمان» يعاني الجوع بعد أن نفذت المؤن التي استولى عليها من الجوار، ولم يكن له من سبيل سوى أن يأكل لحوم البشر»، «وهذا درك لا ينحدر إليه الحيوان» - على حدّ قول مترجم ذلك الكتاب..

ثم قال «رانسيمان»: «فراح فرسان المسيح يشؤون جثث قتلاهم من الرجال والصبيان المسلمين ليأكلوها».. واللهم لا تعليق!.

□ وقد كتب المؤرّخ «راؤل دي كاين» المرافق للفرنج قائلاً: «في مدينة «المعرّة» كان رجالنا يقومون بغلي شبان الوثنيين^(٢) في أزمات، ويوثقون الأطفال على الأسياخ ويأكلونهم مشويين».

وما أكثر الوثائق الموجودة عن قصص آكلي لحوم البشر التي ارتكبتها

(١) المصدر السابق (ص ١٥٧-١٥٨).

(٢) أي المسلمين.

جنود «الفرنجية» الصليبيون في مدينة «المعرة» عام ١٠٩٨م، وحتى القرن التاسع عشر كان يمكن العثور عليها في كتابات المؤرخين الأوربيين، وهو ما نُطالعه في كتاب «تاريخ الحروب الصليبية» للمؤرخ «ميشو» الفرنسي المنشور فيما بين ١٨١٧ - ١٨٢٢م (راجع المجلد الأول ص ٣٥٧، ٥٧٧)، و«بلوغرافيا الحروب الصليبية» صفحات (٤٨، ٧٦، ١٨٣، ٢٤٨).

أما في القرن العشرين، فقد تمَّ التعتيمُ على مثل هذه الحقائق، إذ لا نكاد نجد لها أثراً، اللهم إلاّ عبارة «رانسيمان» السالفة الذكر، وما أكثر ما اعتادوا التعتيمَ عليها^(١).

الصليبيون عارُّ الإنسانية ورجسها ودنسها وتنتها ووحلها، والمسلمون عبيرُ الوجود وطهره وطيبه.

* «يلتسين» المجرمُ الروسيُّ عدوُّ الرسول ﷺ والإسلام وما فعله بأهل الشيشان :

شنَّ «يلتسين» الدبُّ الروسيُّ حملةً إبادةٍ على الشعب الشيشانيِّ، شاركه فيها رئيسُ وزرائه السَّقَّاحُ المجرمُ «فلاديمير بوتين»، وهذه بعضُ آثارِ الحربِ الروسيةِ في الشيشان التي خلفتها الجولة الأولى (١٩٩٤ - ١٩٩٦م) من الحربِ الشيشانية، وما تلا ذلك من عملياتٍ سرّيةٍ وحمّلاتٍ إعلاميةٍ ضدَّ الشيشانِ وشعبها، هي في الحقيقة استمرارٌ للحربِ الروسيةِ التي بدأتها روسيا فوراً إعلانِ الشيشانِ استقلالها سنة ١٩٩١م.

(١) «حرب صليبية بكل المقاييس» للأستاذة الدكتورة زينب عبدالعزيز (ص ١٢) - دار الكتاب العربي - دمشق، القاهرة.

□ أولاً: خسائر فادحة في الأنفس:

ففي الشيشان - التي لا يزيدُ تعدادُ سكَّانها عن مليونٍ وثلاثمئة ألفِ نسمةٍ - قُتلَ الروسُ منهم أربعين ألفَ مدنيٍّ، وفُقدَ ألفانِ من السكان، أُلقتِ المخابراتُ الروسيةُ القبضَ عليهم في بيوتهم وفي الشوارع، ولم يُعرفِ مصيرُهم حتى هذه اللحظة.

وعلاوةً على القتلى، خَلَفَتِ الحربُ ٧٤ ألفَ مُعاقٍ منهم ١٩ ألفَ طفلٍ، وفُقدَ منهم ألفانِ حاسةَ الإبصار، وألفٌ وخمسمئةٍ فُقدوا السمعَ والنطق، وفي الشيشان ١٢ ألفَ طفلٍ يتيمٍ فُقدوا آباءهم، ومن الشيشانيين ٣٥٪ دُمِّرت منازلهم، فأصبحوا بلا مأوى، و ٨٥٪ لا يجدون عملاً، وبين كلِّ عشرةِ أسرى شيشانيةٍ هناك تسعةُ أسرى لا تجدُ ما يكفي لطعامها اليومي، وبدأ الناسُ بالفعل يأكلون علفَ الماشية، فقد دُمِّرت الحربُ المصانعَ وقُتلتِ معظمَ حيوانات المزارع.

□ ثانياً: تدميرُ البنيةِ الأساسيةِ للنظامِ التعليمي:

كان تدميرُ النظامِ التعليميِّ أولَ ما استهدفته القواتُ الروسية في الحرب، فقد دُمِّرت الجامعةُ الشيشانيةُ إلى جانب ثمانيةِ معاهدٍ فنيةٍ للدراسات العليا، وأربعةِ مدارسٍ فنيةٍ متوسطة، وأربعةِ مراكزٍ للأبحاث، إلى جانب التدميرِ المتعمدِ لِقاعاتِ المحاضراتِ والأرشيفِ الوطنيِّ والمُتحفِ الوطني.

□ كارثةٌ بيئيةٌ وصحيةٌ:

دُمِّرت القواتُ الروسيةُ أبارَ البترول، فتدفَّقت آلافُ الأطنانِ المشتعلةِ

منه في حدائق لَوَّثَ الهواءَ والتربةَ، وأحدثت كارثةً بيئيةً لا تقلُّ عن كارثةِ الكويتِ في حربِ الخليجِ الثانيةِ.

وتدهورت الأوضاعُ الصحيةُ للشعبِ الشيشانيِّ، خصوصاً بين الفئاتِ الضعيفةِ والأكثرِ فقراً من النساءِ والأطفالِ وكبارِ السنِّ، نتيجةً لسوءِ التغذيةِ وتدنيِّ الخدماتِ الصحيةِ، وافتقارِ النظافةِ والمرافقِ الصحيةِ، والتلوُّثِ البيئيِّ الذي أصابَ المياهَ والهواءَ.

ولذلك ارتفعت نسبةُ الوفياتِ بين الأطفالِ (١٢٠ من كل ألفِ طفلٍ يموتون)، وطبقاً لأبحاثٍ دوليةٍ أُجريت، وُجدَ أن كلَّ ثانيِّ طفلٍ مولودٍ يموتُ في شهره الأول، وأن الأطفالَ الشيشانيين يُعانون من الأنيميا وفقدانِ سوائلِ الجسمِ، ويُولدُ كثرةً من الأطفالِ مرضىً وضعافِ البنيةِ ومشوهينَ. وهناك قصورٌ في الخدماتِ الصحيةِ للحواملِ والتوليدِ، فقد دَمَّرَ الروسُ المستشفياتَ متعمدين، ولا توجدُ في المستشفياتِ الباقيةِ سوى (٦, ٦٪) من الاحتياجاتِ المطلوبةِ للأطفالِ.

وفي السنتينِ السابقتينِ للجولةِ الثانيةِ من الحربِ، انخَفَضَ معدَّلُ المواليدِ مرتينِ ونصفَ مرةٍ عن معدَّلاتها الطبيعيةِ السابقةِ.

ويوجدُ نقصٌ هائلٌ في الأدويةِ والأدواتِ الطبيةِ، حتى أصبحت الحُقنةُ الواحدةُ يتكرَّرُ استخدامها لمرضىٍ آخرينَ.

وهناك يأسٌ عامٌ ورعبٌ دفينٌ يُطلُّ من عيونِ الأطفالِ الذين رَوَّعَتْهم أحداثُ الحربِ واجتثَّتْهم من بيوتهم وحياتهمِ المستقرةِ، وألقت بهم في الملاجئِ، وأصبحت الكثرةُ الزالبةُ منهم لا يعرفون طريقهم إلى المدارسِ

التي دمرتها الروس .

النساء الشيشانيات مُشكلاتهنَّ الصحية أكثرُ حرَجًا - خصوصاً الحوامل منهن - ، فقد دُمّرت المؤسساتُ التي كانت ترعاهن ، وأول ما يُعانين منه إصاباتُ الجهازِ الهضميِّ التي تؤديُّ إلى الوفاة بنسبة ٨٠٪ ، هذا إلى جانب أمراضِ الكبدِ الفيروسيّة وسرطاناتِ الدم ، وقد وُجد أن امرأةً من كلِّ خمسةٍ نساءٍ حواملٍ تحتاجُ في الولادةِ إلى عمليةٍ قيصرية .

استشرى مرضُ الدرّن الرئوي (السَّل) بشكلٍ وبائي ، ولا يوجدُ مكانٌ للعلاج ، وإذا وُجد المكانُ فلا يوجدُ أطباءٌ ولا أدويةٌ كافية ، فالمستشفياتُ كلّها تقريباً محطّمةٌ ، والتي لم يتمَّ تحطيمُها معطّلةٌ ، أو لا تعملُ بكاملِ طاقتها ، خصوصاً بعد رحيلِ هيئةِ الصليبِ الأحمرِ الدوليّة على إثرِ مقتلِ ستةٍ من موظفيها على يدِ عملاءِ المخابراتِ الروسيّة .

* الروسُ الكفّرةُ مصاصو الدماء :

يُطلقُ الروسُ على الشيشانيين المسلمين لقب «مصاصي الدماء»!!
والروسُ أولى الناس بهذا ، وهم - واللّه - وحوشُ البشريّة وأعداءُ رسولِ اللّه ﷺ بل وأعداءُ الحياة ، وإليك أنموذجاً صغيراً من مجازيرهم :

□ مجزرة قرية سامشكي :

للشيشانيين تقاليدٌ راسخةٌ في كرمِ الضيافة ، وعشقِ الحريةِ والمساواة ، وروحِ الفروسية ، مما تردّد صداه في الأدبِ الروسيِّ الكلاسيكيِّ والكتاباتِ الأخرى ، وفي الحربِ التي فرّضتها الحكومةُ الروسيّة عليهم تصرّفوا بشجاعةٍ وكانوا أبطالاً شرفاءً ، فلما انتهت الجولةُ السابقةُ من الحربِ

وأُبرمت اتفاقية سلامٍ بينهم وبين القوات الروسية، نَفَّذُوا بُنُودَهَا بِأَمَانَةٍ وشرفٍ، وأفرجوا عن جميع الأسرى الروس دون أن يَمَسُّوا أحداً منهم بسوء، أما الروسُ، فكانوا أبعدَ ما يكونون عن الأمانة والشرف، فلم يعبؤوا بتنفيذ الاتفاقية التي وقَّعوها، لم يَفُوا بوعودهم وعهودهم، وكان لديهم ألفاً سجينٍ مدنيٍّ قتلوهم بلا محاكماتٍ ولا توجيه تهمٍ إليهم.

وكان سلوكُهم في الحرب سلوكَ قتلَةٍ وقُطَاعِ طَرِقٍ لا سلوكَ محارِبين، وفيما يلي نموذجٌ واحدٌ من مئات الجرائم التي ارتكبوها أثناء الحرب في حقَّ المدنيين:

فقد قامت القواتُ الروسيةُ في ٥ إبريل ١٩٩٥م باقتحام قرية «سامشكي» الشيشانية، وأوقعوا بالأهالي المسلمين مجزرةً وحشيةً.

□ يقول شهود العيان: «توجَّهنا إلى القرية بعد خروج الروس منها لتتحقق من خبرٍ شاع في المنطقة بأن مجزرةً ما حدثت في مدرسة أطفال القرية، فلما وصلنا إلى المدرسة هالنا منظرٌ عشراتٍ من جُثثِ الأطفال ممزقةٍ بالرصاص في أرجاءِ المدرسة، وكان هناك نساءٌ من أمهاتِ الأطفال وأقاربهم يحاولونَ جَمْعَ الأشلاءِ المبعثرةِ لدفنها، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى منزلٍ أشار إليه الأهالي، فدخلناه لِنُفَاجَأَ بمشهدٍ مروِّعٍ لجُثثِ أطفالٍ مشنوقين بأسلاكٍ كهرباء، معلَّقين في سقفِ المنزل، كانت عيونُهم جاحظةً ووجوهُهم متورمةً.. لقد هرب هؤلاء الأطفال من مجزرةِ المدرسة، ولكن تبَّعهم الجنودُ الروسُ إلى حيث عثروا عليهم مختبئين في ذلك المنزل، فأمسكوا بهم وسنقوهم هناك، ولم يكتفِ الروسُ بقتلِ الأطفالِ فقط، وإنما

قاموا بإحراق ثلاثين جثة رأيناها مبعثرة حول المنزل المنحوس».

□ فماذا فعل الروس بعد المجزرة؟ لقد أحاطوا القرية بسياج، ومنعوا الدخول إليها لمدة ثلاثة أيام في محاولة لإخفاء معالم جريمتهم، ولكن يبدو أنه لم يكن لديهم الوقت الكافي لطمس كل آثار المجزرة، فأشعلوا النار في جثث الأطفال قبل أن يرحلوا (انظر في هذه الواقعة تقارير منظمة العفو الدولية في نوفمبر ١٩٩٥م).

□ وفي الجولة الثانية من الحرب التي بدأت في سبتمبر ١٩٩٩م - ولا تزال تطوراتها المأساوية تطالعنا حتى اليوم -، ارتكبت القوات المسلحة الروسية جرائم وحشية ضد المدنيين، عرفنا أطرافاً منها، وخفي عنا الكثير من حقائقها وتفصيلها؛ وذلك بسبب التعتيم الإعلامي الذي تفرضه السلطات الروسية بالقوة والتهديد بالقتل، فالصحفيون الروس ممنوعون من دخول أراضي الشيشان، أو التحدث مع الشيشانيين، وقد صرح بعضهم أن تهديدات بالقتل وجهت إليهم من مصادر أمنية إذا تحايّلوا على الدخول إلى الشيشان أو نشروا أخباراً أو صوراً عن الحرب غير تلك التي تنشرها السلطات الرسمية في أجهزة إعلامها.

□ وفي ٣٠ ديسمبر ١٩٩٩م أفرجت السلطات الروسية عن سبعة من الصحفيين الأجانب تمكّنوا من دخول الشيشان، وأذاعوا أخباراً عن وجود مقابر جماعية ومجازر وقعت في بلدة «خان يورت»، فقَبضت عليهم السلطات الروسية وحجزتهم عدة أيام بحجة التحقيق معهم لدخولهم إلى الشيشان بدون تصريح رسمي، وصادرت الأفلام التي كانت معهم، ولكن تمكّن بعضهم من تهريب بعض صور للقتلى وللمقابر الجماعية.

□ في «الأوبزرفر» البريطانية قصةُ المأساةِ التي تَعِيشُهَا قَرْيَةُ «سامشكي» مرةً ثانيةً في الحربِ الحاليةِ بعدَ مرورِ أربعةِ أعوامٍ على مجزرتِها السابقةِ، فقد قامتِ الصحفيةُ «إميلدا جتلمان» بتحقيقٍ تحت عنوان «أسرار الحرب الانتقامية: الرعب في الشيشان محجوب عن العالم»، تحكي فيه قصةَ القرية من خلال مأساةٍ حَلَّتْ بِأَسْرَةٍ فِيهَا تَقُولُ: («مدينا عبد الرحمانوف» فتاةٌ شيشانية كَسَرَ الرُّوسُ ساقَها في الحربِ السابقةِ، وفي هذه الحربِ قَطَعُوا ساقَها وذراعَها جميعاً، إنها فتاةٌ في الثانيةِ والعشرين من عمرها، مكثتِ المرةَ الأولى خمسةَ أشهرٍ في المستشفى بعد هجومِ إبريل ١٩٩٥م، وهي ترقدُ الآن في المستشفى للمرةِ الثانيةِ غارقةً في أوجاعٍ لا تُحتمَلُ، أُجريت لها عدَّةُ عملياتٍ جراحيةٍ، ولكنها لم تنجح، وهي لا تدري كم من الوقتِ ستبقى في المستشفى.

والدةُ «مدينا» عمرها ٤٢ سنةً واسمُها «خافا» كانت تعملُ محاسبةً في مصنعٍ تعليبِ أغذيةٍ، تقول: كنتُ أجهزُ طعامَ العشاءِ في مطبخٍ مُظلمٍ بدونِ كهرباءٍ ولا غازٍ، عندما رأيتُ الطائراتِ الروسيةَ تُحلِّقُ فوقَ القريةِ في الشهرِ الماضي، فأسرعتُ أنا وابنتي إلى مخبئٍ أسفلِ البيتِ، هو غرفةٌ صغيرةٌ كُنَّا نحفظُ فيها محصولَ البطاطسِ، وكنا قد أعددناه لناويٍ إليه أثناءَ الغاراتِ في الحربِ السابقةِ، ولم تَزَلِ الشموعُ موجودةً به، كانت أصواتُ الانفجاراتِ تَصُمُّ الأذانَ، فكنا لذلك صامتين أثناءَ القصفِ، وبين الغارةِ والأخرى كُنَّا نتحدثُ أحياناً ماذا سنفعلُ إذا نَجَوْنَا من هذه الحربِ؟ وكيف سيكونُ الحالُ إذا قُتِلْنَا؟.

«سامشكي» التي كانت رمزاً للدمار التي أحدثته القواتُ الروسيةُ في

الحرب الشيشانية الأولى، أصبح سكّانها أشدَّ رُعباً من القصفِ هذه المرة، ولذلك اتفقت إدارة القرية مع القواتِ الروسية أن تُخْلِى القريةَ من المتمرّدين في مقابلِ ضمانِ من القواتِ الروسية ألاّ تهاجمَ القريةَ. تقول «خافا»: «كنا نعرفُ أنه ليس عندنا متمرّدون ولا مسلّحون فيما عدا بعضَ صبيانٍ كانوا يلبسون زيَّ المقاتلين ويمشون مزهوئين في القرية، وقد اقتنعوا بالرحيل عن القرية والالتحاقِ بالمقاتلين في «جروزني»، وعلم الروسُ بالأمر، ومع ذلك قدّفوا القريةَ بوابلٍ من القنابل»، وهكذا قالت «إيمان أفديفيا» عندما تحدّثنا إليها في عربةِ قطارٍ قديمةٍ هي ملجؤها في «إنجوشيا» بعد خروجها من القرية لتعيشَ فيها مع أطفالها الأربعة).

□ وتمضي «إميلدا جتلمان» في استكمالِ قصةِ «سامشكي» المنكوبة، فتكتب على لسان لاجئٍ آخر كان يعملُ بالشرطة الشيشانية هو «وحيد دربيشيف»: «حدث أعنفُ هجومٍ روسيٍّ علينا يوم ٢٣ أكتوبر استمرَّ لمدة ساعةٍ ونصفٍ متواصلةٍ، كانت الصواريخُ تُمزقُ سكونَ الليل في القرية وتساقطُ علينا من كلِّ ناحية، وفي الصباح خرجنا إلى قائدِ القوّاتِ الروسيةِ المرابطِ خارجَ القرية، فقالت لنا: «لقد كان خطأً»، ووعد ألاّ يتكرّرَ هذا الخطأ، وكان علينا أن نقبلَ الوعد، فلم يكن في مقدورنا الخروجُ من القرية والرحيلُ إلى «إنجوشيا»؛ لأن الطريقَ الذي كان مفتوحاً لسفَرِ اللاجئيين أغلقه الروسُ بحُجةٍ أنهم لا يستطيعون التمييزَ بين الأهالي وبين الإرهابيين، وفي ٢٥ أكتوبر عاد الروسُ لقصفِ القرية مرةً أخرى، وفي هذا الهجوم ارتفع عددُ الضحايا كثيراً، وغضب الأهالي، فذهبوا يشكّون إلى إدارة القرية، فقيل لهم: «لا حيلةَ لنا مع الروس إنهم يعدّون ويخلفون».

استمرَّ القصفُ بعد ذلك لعدةِ أيامٍ دون انقطاعٍ والأهالي قابعون في المخابئ لم يجرؤ أحدٌ على الخروجِ أثناءَ النهار، كانت المحلاتُ التجاريةُ مغلقةً، ولم يذهب أحدٌ إلى العمل، فالمصانع أيضاً كانت مغلقةً.

□ وتمضي «إميلدا جنتلمان» تستكملُ قصةَ قرية «سامشكي» على ألسنةِ أهلها في المهجر: «بعيداً في إنجوشيا التقيتُ بالطفل «رستم دربيشيف» ١٢ سنة كانت أسرتهُ قد أرسلته إلى إنجوشيا ليعيشَ في خيمةٍ مع إخوته الثلاثة.. يقول: بدأ الروس يقصفون القرية، ثم دخلوها وقتلوا ابنةَ عمّتي، وقتلوا جدّي برصاصةٍ في ظهره، وكذبوا علينا عندما قالوا: إنها كانت حادثةً، لقد بدأتُ أكرهُ الروسَ من قلبي.

ويعقبُ «وحيد أبو رستم» يصفُ الهجومَ الذي قُتل فيه ابنةُ أخته: بدأ الهجومُ الساعة ١٩، ٨ مساءً يوم ٢٦ أكتوبر، واستمرَّ طول الليل.. كلُّ شيء في القرية كان يحترق.. لم نكن قد تمكّنا من إعادةِ قطعِ الماشية من الحقول.. وكان الروسُ يقتلون كلَّ شيءٍ حيٍّ يتحركُ على الأرض.. قتلوا البقرَ والكلابَ والقِطَطَ لم يتركوا شيئاً.. في تلك الليلة قُصف منزلُ أختي فأصيبت في رأسها وعمودها الفقريّ، وقُتل ابنتها على الفور.. في الصباح أسرعْتُ إلى منزلِ أختي، فحملتها إلى المستشفى.. ولكنني وجدتُ المستشفى مليئةً بالجرحى.. رأيتُ الجحيمَ في المستشفى: أكوامٌ من البشر بدون أذرعٍ وبدون أرجلٍ، وأنينٌ يفوقُ الاحتمال.. نصّحني الطبيبُ أن نذهبَ إلى مستشفىٍ أخرى، فأخذتها وذهبتُ، وكانت الطائراتُ الروسيةُ تحومُ فوق رؤوسنا.. كانت أختي تُهلوسُ ودرجةُ حرارتها مرتفعةً، وتقول

في أنين: «كانت ابنتي بجانبني طوال الوقت فأين ذهبت.. أين ذهبت؟» .
 □ في ذلك الصباح أُصيبت «مدينا» عندما خرجت من مخبئها تُحضرُ بعضَ مياهٍ للشرب، تقول أمها: «توقفتِ الغارةُ ذلك الصباح، وظننا أن هذا كان نهايةَ الهجومِ فخرَجنا، وعندئذٍ استأنف الروسُ غاراتهم من جديد، وكان منزلنا أولَ منزلٍ تُصيبه القذائف.. استعنت بجارٍ لنا، حملناها في سيارته، وذهبنا نبحثُ عن مستشفى، ولكن الطائراتِ كانت تَقصِفُ طريقنا والسيارةُ تسيرُ بسرعةٍ كبيرةٍ، وظننا أن نهايتنا قد اقتربت» .

□ يتذكرُ أهالي قرية «سامشكي» المتقدمون في العمر أنها كانت قريةً جميلةً آمنةً ترقدُ في أحضانِ النهرِ وتمتلئُ حقولها بأشجارِ التفاح، أما اللاجئون العائدون منها حديثاً، فإنهم يقولون: «إنها أبشعُ الأماكنِ وأكثرها خراباً»، ويقول أحدُهم واسمه «حسبو اللاطوف»، عمره ٦٣ سنة، رحلَ منها الأسبوعَ الماضي: «الذين قرروا البقاءَ في القرية يلاقون أسوأَ معاملةٍ وأقسى اضطهادٍ من الجنودِ الروس، فهؤلاء الجنودُ لديهم تعليماتٌ لتطهيرِ القريةِ من سكانها.. إنهم يُفتشون البيوتَ كلَّ يوم، ويقرؤون كلَّ ورقةٍ فيها بحجةِ البحثِ عن أسلحةٍ، ويقتحمون البيوت المهجورة، فيسرقون كلَّ ما فيها لا يتركون شيئاً من الدقيقِ أو الأجهزة الكهربائية.. حتى لعبِ الأطفال» .

سكانُ قرية «سامشكي» عشرةُ آلافٍ، هربَ نصفُهم لاجئين، وأما الباقي، فبعضُهم من كبار السنِّ أقعدَهم العجزُ، والآخرين فضلوا البقاءَ في وطنهم مع خطرِ الموتِ على عذابِ اللجوءِ والتشردِ .

* بُوْتِينُ الرَّئِيسِ الرَّوْسِيِّ عَدُوَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَعَدُوَّ الْحَيَاةِ:

الْمَتَعَطِّشُ لِلثَّارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَصَابَتُهُ الَّذِينَ اغْتَالُوا كُلَّ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ فِي الشَّيْشَانِ - وَخَاصَّةً عَاصِمَتَهَا جِرُوزْنِي - بِجَيْشِ رُوسِيٍّ نِظَامِيٍّ لَا يَقِلُّ عَنْ نِصْفِ مِلْيُونٍ، كَمَا قَالَ الْمَجَاهِدُ «خَطَّابٌ» - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَعَلَى رَأْسِ الْأَبَالِسَةِ مِنْ عَصَابَةِ «بُوْتِينِ» الْجَنْرَالِ «أَنَاتُولِي كَفَاشْنِي» رَئِيسُ الْأَرْكَانِ الْقَاتِلِ: «لَا بَدَّ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ مِنْ اسْتِثْصَالِ الدَّاءِ مِنْ جَذْوَرِهِ قَبْلَ أَنْ تَسْتَشْرِيَ الْعَدُوُّ فِي كُلِّ مَكَانٍ».

و«فِيكْتُور كَازَانْتْسِيْف» قَائِدُ قَوَاتِ مَنْطِقَةِ شِمَالِ الْقَوَقَازِ (٥٤ سَنَةً، كُولُونِيلِ جَنْرَالِ)، رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَشْتَرِكْ فِي الْحَرْبِ السَّابِقَةِ، وَلَكِنْ أُصِيبَ فِيهَا ابْنُهُ بِجُرْحٍ بَلِيغٍ، رُبَّمَا يَفْسُرُ عُنْفَهُ وَحَدَّثَهُ، إِنَّهُ يَجِيدُ الْوُقُوفَ أَمَامَ الْكَامِيرَاتِ وَالْحَدِيثِ إِلَى التَّلْفَازِ، وَكَثِيرًا مَا صَرَّحَ قَائِلًا: «لَقَدْ تَعَلَّمْنَا مِنَ الشَّيْشَانِيِّينَ أَشْيَاءَ، وَجَاءَ دَوْرُنَا لِنَعْلَمَهُمُ الْكَثِيرَ».

و«فِلَادِيمِير شِمَانُوف» قَائِدُ الْجَبْهَةِ الْغَرْبِيَّةِ (٤٢ سَنَةً، جَنْرَالِ بَنْجَمَةِ وَاحِدَةٍ)، كَانَ مِنْ قَادَةِ الْحَرْبِ السَّابِقَةِ، وَعِنْدَمَا قِيلَ لَهُ: «كُنْ رَحِيمًا بِالنِّسَاءِ الْبَرِيئَاتِ»، قَالَ سَاخِرًا: «عَنْ أَيِّ نِسَاءٍ بَرِيئَاتٍ تَتَحَدَّثُونَ؟! لَيْسَ فِي الشَّيْشَانِ إِلَّا مُجْرِمُونَ»... إِنَّهُ مِنْ أَشْرَسِ الشَّخْصِيَّاتِ فِي الْجَيْشِ الرَّوْسِيِّ، وَيَكْرَهُ الشَّيْشَانِيِّينَ كَرَاهِيَّةَ عَمِيَاءَ.

و«جِينَادِي تَرُوشِيْف» قَائِدُ الْجَبْهَةِ الشَّرْقِيَّةِ (٥٢ سَنَةً، جَنْرَالِ بَنْجَمَتَيْنِ)، مِنْ قَادَةِ الْحَرْبِ السَّابِقَةِ، كَانَ مَعْتَادًا عَلَى التَّفَاوُضِ مَعَ الْأَهَالِيِّينَ لِإِقْتِنَاعِ الْمُتَمَرِّدِينَ بِالْخُرُوجِ مِنْ بَلَدِهِ مَا، فَإِذَا خَرَجُوا دَكَّهَا بِالْمَدَافِعِ كُنُوعٍ مِنْ

العقوبات الجماعية، فهو رجلٌ لا يرحمٌ ولا يرعى شرفَ الكلمة.
أسقط المجرمون القنابلَ الإنشطاريةَ - زنةَ خمسمئة كيلو جرام من
المتفجرات -، وأسقطت الطائراتُ الروسيةُ قنابلَ النابالمَ المحرمةَ دولياً،
وقنابلَ الغازِ السامِّ، والأسلحةَ غيرَ التقليدية ذاتَ الدمارِ الشاملِ.
وقدَّرت المصادرُ الشيشانيةُ حجمَ خسائرِ الشيشان في الحصارِ بين
حربيّ ٩٤-٩٩ بنحو ٢٥٠ مليار دولار.

لم يرحم العدوُّ الروسيُّ الهمجيُّ أيَّ شيءٍ، وسوّى بالأرضِ المساكنَ
والمستشفياتِ والمؤسساتِ والمصانعِ، وأصبح الشعبُ في العراءِ.
أجهزتِ الحربُ حتى ٩/٩/١٩٩٦م على كلِّ شيءٍ تقريباً:

هنا ١١٠ آلاف راحوا شهداءَ، وبقيَ ١٥ ألفاً من الجرحى بينهم ١٤
ألفاً من الأطفالِ، وتفشّت أمراضُ الحربِ، وأبرزها مرضُ الصدر الذي
افترس ٥١٠٠ شخص، ٧٠٪ منهم رجال، وهذا هو المسجّل فقط.. ولم
يبقَ في المدينة حَجْرٌ على حجر، واختفت كلُّ مظاهرِ الحياة.

والغريبُ أن الغربَ الصليبيَّ الذي كان يُدينُ ويُنددُ بالموقفِ الروسيِّ
قدّمَ لروسيا مساعداتٍ في الحربِ (ما بين سنة ٩٤ - ٩٦) بلغت (٥, ١١)
مليار دولار.. فماذا يكون الحالُ إذن في هذه الحربِ التي انقلب فيها موقفُ
الغربِ الصليبيِّ مئةً وثمانين درجةً لصالحِ الموقفِ الروسيِّ على الصعيدِ
السياسيِّ والإعلاميِّ؟! .

وهل يُصدّقُ عاقلٌ في هذه الدنيا ما يقوله الدبُّ الروسيُّ - بل قل
الشیطان - عن المسلمِ الشيشانيِّ بأنه هجميُّ، ومصّاصُ دماءٍ، وقاطعُ طريقٍ،

وقائدُ عصاباتِ لصوص، وإرهابيٌّ، وبربري، وكما يَصِفُهُم كتابُ وزارةِ الداخليةِ الروسيةِ «النظام الإجرامي من ١٩٩١ إلى ١٩٩٥ م»؟! .

الفكرةُ الأساسيةُ للكتاب تتركزُ حولَ تصويرِ الشيشان بأنها دولةٌ عبيد، وأحدُ فصولِهِ يحملُ عنوانَ «عبيد القرن العشرين»، وهو محاولةٌ للتأثير على القارئ، بل حَمَلِهِ على الاعتقادِ بانحطاطِ أخلاقِ الشيشانيين، حيث يَصِفُهُم بالوحشيةِ والساديةِ والتعصبِ والفاشية، بل يَتَّهَمُهُم بأنهم مسؤولون عن إدمانِ الشبابِ الروسيِّ للفودكا وإغرائهم بالإفراطِ فيها .

الكتابُ حافلٌ بمثلِ هذه الاتهاماتِ والسببِ المُقذعِ دون تقديمِ أدلةٍ أو وقائعٍ تُثبِتُ هذه الاتهاماتِ، وتتلخَّصُ رسالةُ الكتابِ في آخرِ عبارةٍ وردت به: «لقد نَفَدَ صَبْرُ الشَّعْبِ الروسيِّ . . فمن لهؤلاءِ المجرمين لكي يوقوهم عند حدودهم؟» .

□ وفي الصحافة كتب «ميخايل بارسكوف» في «أخبار موسكو» (٢٠ يناير ١٩٩٦ م) يقول: «الشيشانيُّ قادرٌ فقط على القتل، فإذا لم يَسْتَطِعْ ذلك فإنه يسطو، فإذا لم يَسْتَطِعِ السطو يسرق، وليس هناك نوعٌ آخرٌ من الشيشانيين خلاف ذلك» .

□ هنا ما يقوله الدبُّ الروسيُّ «بوتين» وعصابتُهُ أبالسَةُ البشرِ . . ولكنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُهُم . . حتى إذا أخذهم لم يُفْلِتْهُمْ لإجرامِهِم في حقِّ المسلمين أتباعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

* عَدُوُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ الْمُتَعَصِّبُ الرَّوسِيُّ الْأَحْمَقُ «جيرنيوفسكي» :
□ يقول المتعصبُ الروسيُّ «جيرنيوفسكي» الذي ظَهَرَ أخيراً بقوةٍ

على المسرح السياسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي: «إن جميع مصائب روسيا آتية من الجنوب»^(١) ، ولابد من حملة صليبية يشنها الجيش الروسي للوصول إلى شطآن المحيط الهندي والبحر المتوسط.

□ ويقول أيضاً: «الجنس التركي الملعون (!!) هو الجنس الذي هدد أوروبا - ولا يزال -، وهو الجنس الذي دمر «القسطنطينية»، وقرع أبواب «فيناء»، وشن حرب إبادة على العرق السلافي»^(٢).

□ وفي مقابلة مع هذا الحاقد العنصري، يقول: «ستطرح تجزئة تركيا وإيران وأفغانستان بوصفها دولا مُصطنعة لا آفاق لها، خذ تركيا مثلاً: ققيل خمسة قرون ركب الأتراك خيولهم ويموا صوب الغرب، حيث كانت تزدهر الإمبراطورية البيزنطية بعلومها وفنونها، الآن هناك «استنابول» بدلاً من القسطنطينية، إنه اغتصاب أراضي الغير، ينبغي أن تعود الأمور إلى نصابها، وأن يتحد العالم المسيحي مجدداً في القدس، وأن تصدح في القسطنطينية أجراس الكنائس. . إذا لم نتحرك نحو الجنوب فإنهم^(٣) سيصعدون إلى الشمال، وليس ثمة خيار ثالث»^(٤).

□ يقول الأمير «شكيب أرسلان»: «إن الروح الصليبية لم تبرح كامتة في صدور النصارى كُمون النار في الرماد، وروح التعصب لم تنفك مُعلجة في قلوبهم حتى اليوم كما كانت في قلب «بطرس الناسك» من

(١) أي: من المسلمين.

(٢) جريدة «الحياة» ١٩٩٤/٥/٦.

(٣) المسلمون.

(٤) جريدة «الحياة» ١٠/٥/٩٤، وكتاب التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي مقدمة لمحمد العبد (ص ١٢ - ١٣).

قَبْلُ، وَإِنَّ مَا يَدْعُوهُ الْفَرَنْجَةُ عِنْدَنَا فِي الشَّرْقِ تَعْصَبًا مَذْمُومًا، هُوَ عِنْدَهُمْ فِي بِلَادِهِمُ الْعَصَبِيَّةُ الْجَنْسِيَّةُ الْمُبَارَكَةُ وَالْقَوْمِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ»^(١).

* «غودفروا كورت» الصليبي وكتابه «الصليب والهلال»:

□ يقول «غودفروا كورت» في كتابه «الصليب والهلال» الذي كتبه في سنة ١٨٨٩ م: «إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ عَمِلَ مَا لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَعْمَلَهُ - بَلْ مَا لَمْ يَجْرُؤْ أَنْ يَعْمَلَهُ - دِينَ آخَرَ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ الصَّلِيبَ تَغَلَّبَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَمَامَهُ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ أحيانًا فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ، وَكَانَ الصَّلِيبِيُّونَ يَقُولُونَ فِي قِتَالِ الْإِسْلَامِ: هَكَذَا يَرِيدُ اللَّهُ، وَنَحْنُ يُمْكِنُنَا أَنْ نُعِيدَ الْيَوْمَ الْعِبَارَةَ نَفْسَهَا، وَأَنْ نَحَارِبَ الْعَدُوَّ الَّذِي حَارَبَهُ آبَاؤُنَا».

□ وَلَا يَزَالُ التَّارِيخُ يَذْكُرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ دَعَا الْأُورِيِّينَ إِلَى حَرْبِ صَلِيبِيَّةٍ هُوَ الْبَابَا «سَلْفِيسْتَرُ الثَّانِي» - وَذَلِكَ سَنَةَ ١٠٠٢ م -، ثُمَّ جَاءَ الْبَابَا «غْرِيغُورِيُوسُ السَّابِعُ»، فَاسْتَنْفَرَ جَمِيعَ مُلُوكِ أَوْرِبَا لِحَرْبٍ دِينِيَّةٍ ضِدَّ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ سَنَةَ (١٠٧٥).

□ وَلَمَّا سَقَطَتْ «عَكَا وَصُور»، كَتَبَ الْبَابَا «نِيْقُولَا الرَّابِعُ» كِتَابًا تَارِيخِيَّ ١٢٩١/٨/٢٣ إِلَى «فِيلِيْبِ لُويِيلِ» مُلِكِ فَرَنْسَا، يُظْهِرُ لَهُ بِهِ أَلَمَهُ، وَيَسْتَنْجِدُهُ لِيَجْمَعَ كَلِمَةَ مُلُوكِ النَّصَارَى، وَيَنْتَقِمَ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ الْبَابَا مَاتَ قَبْلَ تَحْقِيقِ أَمَلِهِ^(٢).

□ وَتَقَدَّمَ الْبَابَا «أَكْلِيمَا نَدُوسُ الْخَامِسُ» إِلَى «جَاكِ دُومُولِيَه» رَئِيسِ

(١) «حاضر العالم الإسلامي» (١/١٣٧).

(٢) «تعليقات الأمير شكيب أرسلان على مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية» (ص ٢٨).

نظام الفرسان الهيكليين «فرسان المعبد أو فرسان الهيكل» «الداوية» بترتيب برنامج لمحاربة المسلمين، وذلك سنة ١٣٠٧م، فأشار هذا الرئيسُ بجمع كلمة النصرانية على قتال المسلمين، وأنه لا يجب أن يقلّ الجيشُ عن خمسة وستين ألف مقاتل، وأن يكون معززاً بأسطول يرسو في مياه قبرص^(١).

□ وكتب البابا «سيلفيورس» إلى السلطان «محمد الخامس» سنة ١٤٦٣م يدعوهُ أن يتنصر، وقال له: «بقليل من الماء على بدنك تتعمدُ وتصيرُ نصرانياً خادماً للإنجيل، فإن فعلتَ هذا لا يكونُ على وجه الأرض ملكٌ يمكنه أن يفوقك في المجد والاقْتدار»^(٢).

* الصليبيُّ المجرم «بيوس الخامس»:

ما أسمعَ هذه الرسالة، وما أقلَّ عقولَ هؤلاء القُسس!! .

□ ومن أعداء المسلمين المتعصبُ الصليبيُّ القذر «البابا بيوس الخامس» الذي جمع جيوشَ فرنسا وإسبانيا والبنديقية وملوكها لمحاربة العثمانيين والانتصارِ عليهم في خليج «ليانت»^(٣) سنة ١٥٧١م.

ومن أراد التوسُّع في عمل الصليبيين ضدَّ الإسلام، فليقرأ كتاب «مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية»، يستوي في ذلك الرجال والنساء.. وما أمرُ «إيزابيللا» ملكة أسبانيا، و«كاترينا الثانية» إمبراطورة روسيا - الألمانية الأصل - منا ببعيد.

(١) المصدر السابق (ص ٣٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٤).

(٣) خليج ما بين شبه جزيرة المورة وبقية شمال اليونان عند مدينة ليانت.

□ ضَعَّ إِلَى جَانِبِ هَؤُلَاءِ الْأَفْعَى الْيَهُودِيَّةِ عَدُوَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بَدَأَ مِنْ «هَرْتَزَل»، وَبَيْنَ جُورِيُونَ، وَمَنَاحِمَ بِيَجِينِ، وَشَارُونَ، وَرَابِينِ، وَمُوفَازِ، وَكَيْسَنْجَرٍ... وَلَا نَنْسَى الْأَفْعَى عَدُوَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «جُولِدَا مَائِير» الَّتِي وَصَفَهَا «بَيْنَ جُورِيُونَ» فِي مَذْكَرَاتِهِ بِأَنَّهَا «الرَّجُلُ الْوَحِيدُ فِي إِسْرَائِيلِ»، وَهِيَ الَّتِي طَافَتْ بِدَوْلِ الْغَرْبِ، وَجَمَعَتْ الْمَالَ لِقِيَامِ دَوْلَةِ «إِسْرَائِيلِ»... عَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ.

* أَمْرِيكََا عَدُوَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ«عَاصِفَةُ الصَّحْرَاءِ» أَوْ «الْمَجْدُ لِلْعَذْرَاءِ»
(Ave Mary):

لَقَدْ كَانَ الْأَسْمُ الْكُودِيَّ لِمَعْرَكَةِ الْعِرَاقِ كَفِيْلًا بِأَنْ يَفْهَمَ أَيُّ غَيْبٍ مَرَامِيهِ، كَانَ «Ave Mary»، وَتَعْنِي «الْمَجْدُ لِلْعَذْرَاءِ»، فَهَؤُلَاءِ السَّقَلَةُ الْفُجَّارُ نَسَبُوا لِلْعَذْرَاءِ الطَّاهِرَةِ مَا هِيَ مِنْهُ بَرَاءٌ^(١).

□ وَقَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ عَبَّاسٌ: «إِنَّ الْأَسْمَ الرَّمْزِيَّ لِحَرْبِ تَدْمِيرِ الْعِرَاقِ لَيْسَ «عَاصِفَةُ الصَّحْرَاءِ»، بَلِ «الْمَجْدُ لِلْعَذْرَاءِ - Ave Mary»، كَانَتْ هَذِهِ التَّرْتِيلَةُ الْكَنِسِيَّةُ فِي تَحِيَّةٍ وَتَمْجِيدِ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ هِيَ الصَّيْحَةُ الَّتِي أُطْلِقَتْهَا السَّقَاحُ «شَوَارْتِسْكَوْف» مَعَ أَوَّلِ صَارُوخٍ فِي حَرْبِ الْخَلِيجِ، وَلَقَدْ كَتَبُوا عَلَى صَارُوخِ مَنَهَا: «إِنْ كَانَ مُحَمَّدُهُمْ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعَائِهِمْ، فَلْيَدْعُوا الْمَسِيحَ».

وَفِي مَخِيَأِ «الْعَامَرِيَّةِ» فِي بَغْدَادِ قُتِلَ مِائَاتُ الْمَدِينِيِّينَ، مِنْ بَيْنِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ طَقْلٍ بِصَارُوخٍ مِنْ صَوَارِيخِ الْمَجْزَرَةِ الْأَطْلَسِيَّةِ فِي حَرْبِ

(١) «بَغْدَادُ عُرُوسُ عَرُوبَتِكُمْ» (ص ٢٢٣ - ٢٢٤) لِلدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ عَبَّاسٍ - مَكْتَبَةُ مَدِيُولِي

الخليج»^(١).

قبل دخول أمريكا العراق قَدَّمَ «رامسي كلارك» شكوى جنائية ضدَّ الولايات المتحدة الأمريكية لتسببها في موت أكثر من مليون ونصف مليون شخص - بينهم (٧٥٠,٠٠٠) طفل دون الخامسة - عن طريق عقوبات الإبادة الجماعية.

□ ماذا فعلت أمريكا بالعراقيين في حرب الكويت قبل غزوها واحتلالها للعراق نفسه؟! هذا ما يقصُّه علينا الدكتور محمد عباس في كتابه «بغداد عروس عروبتكم» (ص ٢١٨ - ٢٢٠): «يقول الطيار الأمريكي «ريتشارد وايت» عن الغارات الجوية على العراق: إنها كانت «تكاد تُشبهُ إضاءة المصباح في المطبخ ليلاً، فتتلقُ الصراصيرُ مسرعةً فتقتلها».

□ لم يكن القرارُ قرارَ الأمم المتحدة، كان قرارَ أمريكا المجرمة، ولقد نشرت صحيفةُ «الإنديبننت» أن «صدام حسين» قال للأمين العام للأمم المتحدة: «إن قرارات الأمم المتحدة كانت في الواقع قرارات أمريكية، وليست ما يُريده مجلس الأمن». . . فرد عليه: «أوافقك الرأي».

أظهرَ شريطُ فيديو متطورٌ التقط ليلاً المجندين العراقيين سيئي الحظِّ والنار تطلقُ عليهم في الظلام، وبعضهم قد تمزَّق بفعل قنابل المدفعية.

□ وكتب «جون بالزار» من صحيفة «لوس أنجيلوس تايمز» يقول: إن العراقيين كانوا: «مثلَ قطعٍ من الغنم أُخرج من حظيرته، كانوا مصعوقين

(١) «إني أرى الملك عارياً» للدكتور محمد عباس (ص ١٥٨).

ومرتعين، استيقظوا فرعين فارين من خنادق النار، كانوا يُذبحون واحداً بعد الآخر على أيدي مهاجمين لا يستطيعون رؤيتهم أو فهمهم، ومزقت بعضهم انفجارات قذائف مدفعية عيار (ثلاثين ملم)، وسقط جندي وتلوئى على الأرض وحاول النهوض، ولكن انفجاراً آخر مزقه إرباً.

□ الطيار الأمريكي المجرم «رون بالاك» يفخر قائلاً: «عندما عدتُ جلستُ على جناح الطائرة ورُحْتُ أضحك، ربما كنتُ أسخرُ من نفسي، أتسللُ إلى هناك، وأضربُ هنا، وأضربُ هناك، اقترب رجلٌ مني وربتُ كلُّ منَّا على ظهر الآخر، ثم قال: يا إلهي، ظننتُ أننا قصفنا مزرعةً، بدا وكان أحداً قد فتح بوابة حظيرة الخراف».

□ أما القرصان الضابط «براين ووكر»، فقد كان يتطلع إلى المزيد من نفس النوع من القتل حيث قال: «لا يوجد ما يمكن أن يُخرجهم من أماكنهم مثل الآباتشي - طائرة هجومية -، سيكون الأمر مثل صيد البط».

أحدث العرضُ الشامل للأسلحة المتطورة مجزرةً جماعيةً لعدوٍ لا حول له ولا قوة، استعملت الجيوشُ الأمريكيةُ والبريطانيةُ قاذفةً صواريخ من طراز «MLRS»، وكلُّ عربةٍ من هذا النوع تستطيعُ إطلاقَ اثني عشرَ صاروخاً لمسافةٍ تزيدُ على عشرين ميلاً، ويُطلقُ كلُّ صاروخٍ من هذا النوع ثمانية آلاف قنبلةٍ مضادةٍ للأفراد».

□ في المراحل الأخيرة من الحرب أُطلقَ الجيشُ الأمريكيُّ عشرة آلاف قذيفة «MLRS»، في حين أطلقت القواتُ البريطانيةُ ٢٥٠٠ قذيفةً أخرى.

□ قنابل «روك» - أي العنقودية - تحتوي الواحدة منها على (٢٤٧) قنبلة يدوية ضد الأفراد تنفجر إلى ألفي شظية عالية السرعة كالموسى تمزق الأشخاص» .

□ ويقول: «بدأت هذه المرحلة من المذبحة عندما رصدت الطائرات الأمريكية أرتالاً من الرجال اليائسين في طوابير من العجلات العسكرية والمدنية متجهة صوب العراق، كان العراقيون وقتها يلتزمون بمطالب الأمم المتحدة بالانسحاب من الكويت، غير أن هذا الانسحاب الواضح لم ينقذهم، وتعاقبت الطائرات الأمريكية على شن الغارات، فكانت المذبحة كاملة. . هوجم العراقيون الهاربون، وأسره الكوييتيون بلا رحمة بالقنابل العنقودية التي تقطع اللحم البشري قطعاً صغيرة. . كانت المجزرة جهنمية، واستمرت ساعات عدة، وتناثرت الجثث والأشلاء المقطعة في كل مكان، وتحجرت بعض الجثث في العجلات، واحترق بعضها الآخر، ولم يتبق من الوجوه سوى الأسنان» .

□ علّق ضابط الاستخبارات العسكرية المقدم «بوب نجنت» أنه لم يشاهد مثل هذه المجزرة حتى في «فيتنام» .

□ ووردت تقارير بأن قوات التحالف استعملت البلدوزرات لدفن الآلاف من قتلى العدو في الخنادق، وأثناء تقدمها قُتل جنود عراقيون كثيرون بدفنهم أحياءً .

□ العقيد الأمريكي «لون ماغارت» يُقدر أن القوة التابعة له قتلت ٦٥٠

عراقياً^(١) . . ومثالاً على البربرية الأمريكية:

(١) «بغداد عروس عربيتكم» (ص ٢٢) للدكتور محمد عباس - مكتبة مدبولي الصغير .

□ تحت عنوان «المجد للشيطان» كتب الدكتور محمد عباس قائلاً:

«كان ما حَدَثَ في مخبأِ العامرية مجدداً للشيطان، وأيُّ مجد!

هاجمت طائرةٌ أمريكيةٌ من نوع «الشيخ» ملجأَ العامرية بصاروخٍ موجهٍ بالليزر مُحدثاً فتحةً في السطحِ والسقفِ، وانفجر في مستشفى الملجأِ، وبعد أربع دقائق وُجِّه صاروخٌ آخرٌ عبرَ الفتحةَ نفسها التي أحدثها الصاروخُ الأولُ، وأغلق انفجارُ الصاروخِ الثاني الأبوابَ الفولاذيةَ التي يبلغُ وزنها ستة أطنانٍ وسُمكها نصفَ مترٍ، وأحرق مئاةً عدةً من الأشخاصِ، في الطابقِ الأعلى، تبخَّرَ كثيرون منهم بالحرارةِ، التي بلغت درجتها آلافاً عدةً والمتولدةً من الانفجارِ، وكان مصيرُ مئاةٍ عدةٍ من الأشخاصِ الغليانَ حتى الموتِ في مياهِ المراحلِ الضخمةِ المدمرةِ في الانفجارِ.

لا يُعرفُ على وجهِ التأكيدِ عددُ المدنيين الذين قُتلوا في ملجأِ العامرية في تلكِ الليلةِ، كان السَّجِلُ المدوَّنَةُ به أسماءُ الأشخاصِ الذين احتموا بالملجأِ قد أُودع في الملجأِ نفسه ولم يُعدْ له أثرٌ، ولكن من المعروف أنه قبل تلكِ الليلةِ، كان (١٥٠٠) شخصٍ يُوقَّعون عند دخولِ الملجأِ كلِّ ليلةٍ، وعُثر بعدَ المجزرةِ على أحدَ عشرَ شخصاً قُذِفَ بهم خارجَ الملجأِ، وبعد ساعاتٍ عدةٍ مرعبةٍ استُخرجت من البنايةِ البقايا السوداءُ المشوهةُ لأربعمئةٍ وثلاثةِ أشخاصِ، وقُدِّرَ أن مئاةً عدةً من الأشخاصِ قد احترقوا وتبخَّروا ولم تُعدْ ثمةً وسيلةً لتحديدِ هويَّتِهِم أو حتى عددهم، ووصفَ شهودٌ - منهم «تام دالي» العضو العمالي في البرلمانِ البريطاني - أثارَ النساءِ والأطفالِ المتفحمةً على جدرانِ الملجأِ، تفحمت طَبَعَاتُ أقدامٍ وأيديٍ صغيرةٍ على الجدرانِ والسقوفِ، وانطبعت على جدرانِ الطابقِ الأسفلِ عند علامةِ الماءِ في

الخزانات المتفجرة آثار اللحم البشري على ارتفاع خمسة أقدام»^(١) .
 * جرائم الإبادة الأمريكية للمسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها:

إن هذه الصفحات تُكتبُ بدموع العين ودماء القلوب . . كلُّ سطرٍ فيها يُنطقُ بالبربرية والوحشية الأمريكية . . كلُّ حرفٍ فيها يُكتبُ بالقتابل العنقودية المحرمة دولياً . . وإذا جُمعت مذابح المسلمين في كلِّ مكان، فهي ضئيلةٌ بالنسبة لما حَدَثَ ويَحْدُثُ في العراق وأفغانستان، والسلاح الأمريكي في فلسطين يُسيلُ أنهارَ الدماء المسلمة، والقتلُ الوحشيُّ والجماعيُّ للأطفال والشيوخ، بل ودفنُ المسلمين أحياءً، والاعتصابُ الجماعيُّ للفتيات والنساء، وما سجنُ «أبو غريب» منَّا ببيعيدٍ . . قتلُ الأخضر واليابس، وقتلُ الحياة كأشبع ما يكونُ القتلُ: بقرُّ بطونِ الحوامل، واعتصابُ الحرائر، وذبحُ الشيوخ والأطفال، والشذوذُ مع الرجال . . رأسُ الأفعى أمريكا تُهددُ العالم، ونحنُ قطعانُ تُساقُ إلى المجزرة . . أجسادنا أجسادُ ممزقةٌ بمخالبِ الوحوشِ الأسطورية .

□ لقد فعلت أمريكا بالبشر ما لا يُصدِّقه عقل، يقول «تشموسكى» عن القتل الذي يُمارسه الأمريكيون غلاظُ الأكباد: «لم يكن عملُ القوَّات التي حركناها هو القتل العاديُّ، ولكن كان بصفةٍ رئيسيةٍ القسوة والتعذيب الساديُّ: تعليقُ النساءِ من أقدامهن بعد قطع أئدائهن وتقشيرِ بشراتهن، قطعُ رؤوس الناس وتعليقها على خوازيق، وضربُ الأطفال بالحوائط» .

(١) المصدر السابق (ص ٢٢٤-٢٢٥).

لا تكتفي فِرْقُ الموت بقتلِ المواطنين، بل تَفْصِلُ رؤوسهم وتَضَعُهَا على خوازيق.. تَنْزِعُ أحشاءَ الرجال، وتَقَطِّعُ أعضاءَ ذكورتهم، وتَضَعُهَا في أفواههم.. ولا يكتفي الحرسُ الوطنيُّ باغتصابِ النساء، بل يقطع أرحامهنَّ، ولا يكتفي بقتلِ الأطفال، بل يَسْحَبُهُمْ على الأسلاكِ الشائكةِ، أمامَ أعينِ آبائهم»^(١).

□ واللَّهِ لو أن شياطينَ الإنسِ والجنَّ اجتمعوا لدمارِ قُطرٍ ما زادوا على ما فعلته أمريكا بأهلِ العراقِ وأفغانستان.. وهي رأسُ الشرِّ ضدَّ المسلمين في كلِّ مكان.. فلعنةُ اللَّهِ على النصارى الصليبيين الذين روَّعوا ديارَ المسلمين وملئوها دماءً ودموعاً.. واللَّهُ حسيبهم، وهو المنتقمُ منهم.. وإنَّ غدًا لموعدهم قريباً.

* القسُّ المجرمُ عدوُّ اللَّهِ ورسوله ﷺ : زكرياً بطرس، أقدرُ أهلِ الأرض :

نعم.. هو أقدرُ أهلِ الأرضِ وأنتنهم وأقبحهم وأفجرهم، وأشدُّ أعداءِ النبي ﷺ، ما نال في عصرنا أحدٌ من نبينا ما نال، وما حقد أحدٌ على نبينا ما حقد هذا اللئيمُ، وما افتري أحدٌ على نبينا ما افتري هذا الخنزيرُ عارُ البشرية الذي يبثُّ سمومه على قناته «الحياة» وهو عدوُّ الحياةِ والبشرية.. واللَّهُ لو لقيته يوماً لثارتُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ثأراً يقربني من رسولِ اللَّهِ ﷺ مثلما فعل «صلاح الدين» مع الفارسِ اللص «أرناط».

□ إنَّ نهايةَ هذه الأكاذيبِ المتفشية، ونهايةَ هذه الغطرسةِ العنصريةِ وتلكِ الثرثرةِ المنشورة، نهايةُ كلِّ هذا سُمِّ مصفَى يتسرَّبُ في شرايينِ هذا

(١) «بغداد عروس عربتكم» (ص ٣٣).

الوغدِ الذميمة القميء «زكريا بطرس» .

□ وهذه أمثلة لرؤوسِ شبهاته التي يبثها سامةً على القناة . . وهذه الأكاذيبُ سُفردُ لها رداً خاصاً . . فانظرُ إلى قُبْحِ الرجلِ وسُومِهِ ، تعلمُ سرَّهُ وطويئتهِ وسوءَ سرِّه وعلانيته . . وهذه السمومُ جَمَعها فضيلةُ الشيخ «أبو إسلام أحمد عبد الله» من كل تسجيلات هذا المجرم تمهيداً للردِّ عليها .

* تحريف القرآن :

- ١- هل مخطوطة «سمرقند» هي نفسها القرآن الحالي؟ .
- ٢- انظر بعينك إلى سورة «الولاية» في مصحف الشيعة بإيران .
- ٣- قرآن واحد أم أكثر؟ .
- ٤- الإلتقان في تحريف القرآن .
- ٥- هل القرآن معصوم؟ .
- ٦- المتناقضات في القرآن .
- ٧- قضية النسخ والنسخ في القرآن .
- ٨- الشيعة والقرآن .
- ٩- مصحف محرّف يُغرقُ الأسواقَ اليمينية .

* تجسد الله وصفاته :

- ١٠- الله جالس على حيوانات .
- ١١- الله له صورة وكفان .
- ١٢- الله يلعب استغماية ويغير صورته أمام الناس .

- ١٣ - اللَّهُ يَضْحَكُ وَيَهْتَزُّ عَرْشُهُ .
- ١٤ - اللَّهُ يَمْسَحُ الظَّهْرَ يَمِينَهُ .
- ١٥ - اللَّهُ لَهُ صُورَةٌ وَلَهُ يَدٌ .
- ١٦ - اللَّهُ لَهُ إِبْهَامٌ وَأَنْمَلٌ وَأَصَابِعٌ .
- ١٧ - اللَّهُ دُمُهُ خَفِيفٌ وَيَضْحَكُ .
- ١٨ - اللَّهُ لَهُ يَدٌ يَمِينِي .
- ١٩ - اللَّهُ يَسْطُ يَدَهُ .
- ٢٠ - اللَّهُ يَنْزِلُ لِلسَّمَاءِ الدُّنْيَا .
- ٢١ - اللَّهُ لَهُ خَمْسُ أَصَابِعٍ .
- ٢٢ - اللَّهُ لَهُ قَدَمٌ وَيَضَعُهَا فِي جَهَنَّمَ .
- ٢٣ - اللَّهُ لَهُ يَمِينٌ .
- ٢٤ - اللَّهُ يُتَفَقُّ بِيدٍ وَيَحْمِلُ مِيزَانًا بِيَدِهِ الْآخَرَى .
- ٢٥ - كَيْفَ سَتَرَى اللَّهُ الْآلَا مَحْدُودَ بَعِيَّتِكَ الْمَجْرَدَةَ يَا مُسْلِمَ ؟ .
- ٢٦ - اللَّهُ مَكْسُوفٌ وَيَضَعُ رِداءً عَلَى وَجْهِهِ .
- ٢٧ - اللَّهُ يَهْرُولُ وَيَرْكُضُ .
- ٢٨ - اللَّهُ لَيْسَ أَعْوَرَ .
- ٢٩ - اللَّهُ «سَكْسِي» وَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ أَمَامَ النَّاسِ .
- ٣٠ - اللَّهُ يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ وَيُرِيهِمْ شَكْلَهُ الْحَقِيقِي .
- ٣١ - الْمُسْلِمُونَ يَزُورُونَ اللَّهَ وَيَجْلِسُونَ مَعَهُ .

- ٣٢- الله خلق آدم على صورته .
- ٣٣- الله ينزل للعباد ليقضي بينهم .
- ٣٤- الله يجلسُ على ديك ويتحدث معه (كو كو كو وووو) .
- ٣٥- الله ميلٌ ويسأم .
- ٣٦- الله يقف أمام المسلم بينه وبين القبلة ، فلا تَبزُقوا أمامكم .
- ٣٧- الجنة والنار يتحاوران ، والله يتدخلُ في الحوار ، ويضعُ رجله في جهنم .
- ٣٨- محمد رأى الله بعينه أكثر من مرة (لماذا لم تصفه لنا يا أستاذ؟) .
- ٣٩- الله يقبَلُ ويضحك لمن استلقى على دابته .
- ٤٠- الله له يَدَا وَيَدَيْنِ وَأَيْدٍ ، وَوَجْهًا وَعَيْنًا وَأَعْيُنًا^(١) .
- ٤١- الرعدُ هو منطقُ الله ، والبرقُ هو ضحكُ الله .
- ٤٢- الله ينزل يوم الجمعة راكبًا على جمل وعليه إزار .
- ٤٣- الله يتجلَّى للناس عامةً ، ويتجلَّى لأبو بكر خاصةً .
- ٤٤- الله جالس على كرسيٍّ من ذهبٍ محفوفٍ بمنابرٍ من ذهبٍ مكللةٍ بالجواهر .
- ٤٥ - لغةُ حملة العرش هي الفارسية ، وكلام الناس يوم القيامة السريانية .
- ٤٦- محمد رأى الله قدميه على خضرة ودونه ستر من لؤلؤ .
- ٤٧- الله له حقو (خَصْرُ) ، تتعلقُ به الرحمُ والله يتكلم مع الرحم .
- (١) كذا قال . . وواضحٌ لحنه القبيح في كلِّ كلامه الخبيث الفاجر .

٤٨ - يجلسُ على العرش والعرشُ له أطيظٌ وصريرٌ من ثقله، ويشبهه الراكب على الرحل.

٤٩ - حَمَلَةٌ عرشُ الله هم أوعال (حيوانات)، وهم فوق بحرٍ بعد السماء السابعة.

٥٠ - حَمَلَةٌ العرش إنسان وثور وأسد، لهم أجنحةٌ، إذا حركوا أجنحتهم فهو البرق.

٥١ - ينزل للسماء الدنيا بروحه فتنتفض روحه وتنتفض الملائكة.

٥٢ - الله يدنو ويقترِبُ ويتدلَّى كالحفّاش.

٥٣ - الله يتحسر.

٥٤ - الله يرمي ويقتلُ ويُقاتل ويحارب في الحروب.

٥٥ - الله ينفخُ في الفروج (تعالى الله عما تقولون).

٥٦ - الله يأتي ويجيء ركباً على غمامة.

٥٧ - الله يشمُّ رائحةَ فم الصائم، ويحب رائحةَ فمه أكثرَ من المسك.

٥٨ - يستوي على العرش.

٥٩ - الله يشعرُ بالأسف.

٦٠ - الله يتبشّش كما يتبشّش الناسُ عند استقبال الغائب عند

عودته.

٦١ - الله يُبغضُ ويكرهُ الناسَ ويفرضُ على جبريل أن يُبغضهم

ويكرههم.

- ٦٢- الله يتجلّى للجبل ، ويتجلّى في صورة نار، ويتجلّى في شجرة .
- ٦٣- الله له خنصر (إصبع من أصابع اليد).
- ٦٤- الله يتردد (سبحان الله عما يصفون).
- ٦٥- الله يعجب ويتعجب (سبحان الله).
- ٦٦- الله مخادع، يخادع الناس .
- ٦٧- الله زارع ويزرع .
- ٦٨- الله طيب .
- ٦٩- الله ماكر ويمكر .
- ٧٠- يُشبهون نورَ الله بمشكاة فيها مصباح ، والمصباح في زجاجة يوقدُ من شجرةٍ مزيتةٍ بزيت .
- ٧١- إله الإسلام جاهل ولا يعلم .
- ٧٢- الله ضعيف الذاكرة وينسى .
- ٧٣- الله نَعَجَةٌ وشاةٌ وبقرةٌ وثور (تعالى الله عما تصفون).
- ٧٤- الله يأمرُ بالفسق .
- ٧٥- الله يُبدّلُ كلامه ويغيّرُ رأيه .
- ٧٦- الله يردحُ لأبو لهب وامراته حماله الحطب (منذ الأزل وفي اللوح المحفوظ).
- ٧٧- تسبيحٌ وتهليلٌ حول العرش كصوتِ دويِّ النحل .
- ٧٨- عرشُ الله معلقٌ عليه قناديلٌ، وتدخل فيها الأرواح التي هي في

جَوْفِ طَيُورٍ خَضِرَاءَ .

٧٩ - اللَّهُ يَصَلِّي؟ .. ماذا يقول؟ .. ولمن يصلي؟ .. وصلاته مثل

صلاة محمد؟ .

٨٠ - الحجر الأسود يمين الله ، والله يصافح الناس بيمينه .

٨١ - كلتا يدي الله يمين وأناسٌ جالسون عن يمينه على منابرٍ من نور .

٨٢ - الله يقفُ أمامَ المسلمِ عندما يصلي ، والذين كانوا يبصقون كانوا

يبصقون على الله .

٨٣ - الله يمسكُ خُبْزَةً بيده كما يمسكُ الإنسانُ خبزته .

٨٤ - البشرُ يُقرضون الله أموالاً .

٨٥ - الله له جد؟ يا ترى من أبوه وأمه؟! .

٨٦ - الله يستشيرُ الملائكة في خلق آدم والملائكة تعترض على الله؟؟ .

٨٧ - الله يرسلُ الشيطانَ مع الملائكة لمحاربةِ الجن وقتلهم ، لأنه فشل

في خلقهم وأفسدوا في الأرض؟ .

٨٨ - إله الإسلام يُحللُ الكذبَ وإنكارَ ذاتِ الله .

٨٩ - إله الإسلام يشرع ويحلل ، يُزيّنُ شهوةَ النساءِ للمسلمين .

٩٠ - الناس يُقرضون الله أموالاً وهدائقَ ونخيلاً ويدخلون الجنة!!! .

* أخلاق نبي الإسلام ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ :

٩١ - محمد يقتل زوجَ صفيّة بنتِ حبيّ وأباها وعمّها وكلّ قومها

ويأخذها لنفسه .

٩٢ - محمد يشتهي زينبَ بنتَ جحش (امرأة ابنه بالتبني زيد بن

الحارثة) ويتزوجها .

٩٣ - محمد يحلل الدعارة .

٩٤ - طريقُ الجنة هو السرقةُ والزني .

٩٥ - واللَّه إنكن لأحبُّ الناس إلي .

٩٦ - التمتعُ بالنساء .

٩٧ - محمدٌ قليلُ الأدبِ ويسبُّ ويلعن .

٩٨ - ثكلتك أمك .

٩٩ - محمدٌ يعرِّي ابنته فاطمة أمام العبيد .

١٠٠ - آية المتعة .

١٠١ - محمد يزني مع ماريا القبطية .

١٠٢ - الطلاق والمحلل وتدوُّقُ العسيلة .

١٠٣ - محمد يشتهي النساء، ويأتي نسائه، ويحلل شهوة النساء

بشرط إتيان الأهل .

١٠٤ - محمدٌ يمج في الماء، ويغسل قدميه ويتوضأ، ثم يأمرُ الناس أن

تشربَ منه .

١٠٥ - الرسولُ يأكلُ مما ذُبح للأنصاب والأوثان وزيدٌ يرفض .

١٠٦ - محمد تزوجَ ميمونة وهو مُحرم .

١٠٧ - مضاجعةُ الحائض .

١٠٨ - إذا تزوج العبدُ بغير إذن سيده كان عاهراً .

- ١٠٩ - كان يرفعُ يديه حتى يُرى بياضُ إبطيه .
- ١١٠ - مفعولُ الفياجرا والرسول .
- ١١١ - إِنْ رَبِكُ لَيْسَارِعُ فِي هَوَاكَ ، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي تَهَبُّ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ .
- ١١٢ - فَاتَزَرَّتْ وَهِيَ حَائِضٌ ثُمَّ يَبْأَشِرُهَا .
- ١١٣ - يَبْأَشِرُ عَائِشَةَ وَهُوَ صَائِمٌ .
- ١١٤ - يَمصُّ لِسَانَ عَائِشَةَ وَهُمْ صَائِمٌ .
- ١١٥ - يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بَغُسلٍ وَاحِدٍ .
- ١١٦ - أَكشَفِي عَن فِخْذِيكَ .
- ١١٧ - اضْطَجَعَ مَعَ امْرَأَةٍ فِي الْقَبْرِ .
- ١١٨ - قَائِمَةٌ بِأَسْمَاءِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ .
- ١١٩ - مَنْ عَقَدَ عَلَيْهِنَّ وَلَمْ يَدْخُلْ بِهِنَّ .
- ١٢٠ - مَنْ خَطَبَهُنَّ وَلَمْ يَعْقِدْ عَلَيْهِنَّ ، أَوْ عَرَّضْنَ نَفْسَهُنَّ ، أَوْ عَرَّضْنَ عَلَيْهِ .
- ١٢١ - سراريه .
- ١٢٢ - كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ وَهُوَ فِي لِحَافِ عَائِشَةَ .
- ١٢٣ - مَاتَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَفَتَرَ الْوَحْيُ وَحَاوَلَ مُحَمَّدٌ الْإِنْتِحَارَ مَرَارًا .
- ١٢٤ - أَفْخَاذُ خَدِيجَةَ وَبِرْهَانَ الْوَحْيِ .
- ١٢٥ - مُحَمَّدٌ يَصْلِي وَيَغْمِزُ أَفْخَاذَ عَائِشَةَ لِتَغْلِقَ رِجْلَيْهَا وَإِذَا قَامَ بِسَطْتَهُمَا .
- ١٢٦ - مُحَمَّدٌ يُصَلِّي مِنْ غَيْرِ وُضُوءٍ .

- ١٢٧- أمر بالوضوء بماءٍ مخلوطٍ بحيضٍ ولحمِ كلابٍ ونتاجةٍ .
- ١٢٨- يحكُّ النخامةَ والمخاطَ والبُصاقَ بيده .
- ١٢٩- محمدٌ لا يضمنُ دخولَ الجنة .
- ١٣٠- المرأةُ لها قُبْلٌ شهوي ، والرجل له ذَكَرٌ لا يثنى .
- ١٣١- اقرأ عن الجنسِ والدعارة في الجنة وفي محضرِ الله القدوس .
- ١٣٢- غَسَلَ فرجَه ، وتمضمض ، وذلك يده بالحائط .
- ١٣٣- يتبرزُ أمامَ الناسِ ويأمرُهم أن يأتوه بثلاثة أحجار .
- ١٣٤- محمدٌ يستغفرُ ويتوبُ في اليوم أكثرَ من سبعين مرةً .
- ١٣٥- باعدِ بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب .
- ١٣٦- فاغفر لي ما قدّمت وما أخرت .
- ١٣٧- يقول : إنه سيد الناس يوم القيامة (اقرأ واحكم بنفسك) .
- ١٣٨- الخطيئة مورثة في الإسلام .
- ١٣٩- تحليلُ شرب الخمر في القرآن .
- ١٤٠- ألا خمرته؟ .
- ١٤١- الرسولُ خير في الخمر .
- ١٤٢- كان الناسُ يَنبذون لمحمد .
- ١٤٣- يأمرُ عائشةُ أن تأتيه بالخمر في المسجد .
- ١٤٤- يُنبذُ له الزبيبُ في السقاء .
- ١٤٥- يُنبذُ له يوم الإثنين ، ويظلُّ يشربُ منه إلى يوم الأربعاء .

- ١٤٦ - محمد يتوضأ بالنيذ .
- ١٤٧ - محمد يأمر باللواط ومباشرة الرجل للرجل والمرأة للمرأة .
- ١٤٨ - عشرة ما بينهما ثلاثة ليالي (نظام البوي فريند ، والجيرل فرند) .
- ١٤٩ - لبيد بن الأعصم اليهودي يسحرُ محمداً (النبي المسحور) .
- ١٥٠ - الإسلام يُحلّل نكاح الرجل ابنته من الزنى أو أخته من الزنى أو بنت ابنه من الزنى .
- ١٥١ - زواج المتعة .
- ١٥٢ - انكح وادفع الأجر .
- ١٥٣ - النساء يهبن أنفسهن وأجسامهن لمحمد (الزنى حلال عليه وحرام على غيره) .
- ١٥٤ - ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ [الأحزاب: ٥١] .
- ١٥٥ - آيات شيطانية في القرآن يتكلم بها محمدٌ ويسجد للأصنام .
- ١٥٦ - محمدُ الشكاك يشكُّ في الوحي (حتى بعد مرور ١٤ سنة من رسالته) .
- ١٥٧ - تأخذُ فلوس وتبقى مسلم؟ (المؤلفة قلوبهم) .
- ١٥٨ - دعارة في المسجد على زمن الرسول .
- ١٥٩ - محمد يصلي على حمار .
- ١٦٠ - محمد يصلي إلى مؤخرة الحيوانات .
- ١٦١ - محمد كان ينافق ويرائي المشركين بالحجر الأسود .

- ١٦٢ - محمد مبتكرُ سكوك الغفران .
- ١٦٣ - محمدٌ يحترقُ العُميان وَيَعْبَسُ في وجوههم .
- ١٦٤ - محمدٌ يطردُ الفقراء .
- ١٦٥ - يأمرُ الناسَ أن يأكلوا جيفةَ حمارٍ ميتٍ (لاحظ ألفاظ محمد القدرة).
- ١٦٦ - لا يسمحُ لأحدٍ أن يكلمه إلا بعد أن يدفعَ له نقود .
- ١٦٧ - محمدٌ يُغري ويفتن الرجال بالنساء لكي يغزوا .
- ١٦٨ - يقبلُها على الناس ، ولا يقبلها على ابنته .
- ١٦٩ - يأمرُ الناسَ بالوضوءِ بلحم الإبل .
- ١٧٠ - محمدٌ المقملُ تفلي رأسه امرأة .
- ١٧١ - تحتَ سريره قَدح يبول فيه بالليل .
- ١٧٢ - يقرأُ القرآنَ ورأسه في حجر عائشة وهي حائض .
- ١٧٣ - محمدٌ يشتهي طفلةً فوق الفطيم .
- ١٧٤ - الرسول يمصُّ لسانَ علي بن أبي طالب ، ويُغذيه من ريقه المبارك .
- ١٧٥ - محمدٌ يلبسُ مرطَ عائشة وهو مضطجعٌ كاشفًا فخذيته .
- ١٧٦ - محمدٌ عريان ويحضنُ ويُقبَلُ الرجال .
- ١٧٧ - محمدٌ يصلي من غيرِ وضوء .
- ١٧٨ - محمدٌ يأكل لحم الميتة .

١٧٩ - محمدُ ابنُ السُّوقَةِ يَقُولُ لِأَمِيمَةِ بِنْتِ النِّعْمَانِ: «هَبِي لِي

نَفْسِكَ».

١٨٠ - مُحَمَّدٌ كَانَ يَبُولُ جَالِسًا أَمَّ وَاقِفًا؟ .

١٨١ - مَزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ مُحَمَّدٍ .

١٨٢ - الْكُذْبُ حَلَالٌ فِي الْإِسْلَامِ .

١٨٣ - تَتَّبِعُونَ رَسُولًا فَاسِقًا .

١٨٤ - كَانَ يَتَنَخَّمُ وَالنَّاسُ يَأْخُذُونَ نَخَامَتَهُ وَيَدْلِكُونَ بِهَا وَجُوهَهُمْ

وَجُلُودَهُمْ وَيَتَبَارَكُونَ بِفَضْلَاتِهِ!! .

١٨٥ - مُحَمَّدٌ يُصَلِّي بِالنَّعْلَيْنِ!! .

١٨٦ - مُحَمَّدٌ يَكْسِرُ كَلَامَ رَبِّهِ الَّذِي نَهَاهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى الْمَيْتِ وَأَنْ يُقِيمَ

عَلَى الْقُبُورِ، وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُؤَبِّخُهُ .

١٨٧ - حَلَالٌ عَلَى مُحَمَّدٍ وَحَرَامٌ عَلَى النَّاسِ! .

١٨٨ - مُحَمَّدٌ يُسْمَحُ بِدُخُولِ الْجَمَلِ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ!! .

* نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ :

١٨٩ - رَحْمَةٌ إِلَهَ الْإِسْلَامِ الشَّيْطَانِي طَبَقًا لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ .

١٩٠ - نَصُّ الْوَثِيقَةِ الْعَمْرِيَّةِ .

١٩١ - قَطَعَ الْيَدَ فِي رِبْعِ دِينَارٍ أَوْ بِيضَةٍ .

١٩٢ - مُحَمَّدٌ يَقْطَعُ الْأَيْدِيَّ وَالْأَرْجُلَ وَيَسْمِرُ الْأَعْيْنَ بِمَسَامِيرٍ .

١٩٣ - يَقْتُلُ الرِّجَالَ، وَيَقْسِمُ النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ وَالْأَمْوَالَ .

١٩٤ - يُقاتل جميع الناس حتى يقولوا: إنه رسول الله، وإلا قتلهم وأخذ أموالهم.

١٩٥ - أسلموا تسلموا . . وإجلاء اليهود من الأرض .

١٩٦ - كان يأمرُ بقتل الناس وحرَقهم .

١٩٧ - مقتلُ كعب بن الأشرف .

١٩٨ - أمرُ برجم ماعز بن مالك (لاحظ ألفاظ محمد القدرة) .

١٩٩ - من بدل دينه فاقتلوه .

٢٠٠ - كان يحرقُ النخيلَ والزرع .

٢٠١ - يأمرُ بقتل النساء والأطفال .

٢٠٢ - محمدٌ يشقُّ أمَّ قرفة بين جَمَلين .

٢٠٣ - قتلُ أبي رافع بن أبي الحقيق وهو نائم .

٢٠٤ - قتلُ كنانة بن الربيع (زوج صفية بنت حيي) وسرقةُ كنزه .

٢٠٥ - اغزوُ تغنموا بناتِ الأصفر ونساءَ الروم .

٢٠٦ - حتى الكلاب أمرُ محمد بقتلهم .

٢٠٧ - إنما الأرضُ لله ورسوله .

٢٠٨ - من رابنا ضربنا عنقه .

٢٠٩ - إلى كل مسلمٍ يهودياً أو نصرانياً .

٢١٠ - الله يضعُ ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى .

٢١١ - يهوديٌ خلفيٌ تعالِ اقتله .

٢١٢- لأخرجنَّ اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب .

٢١٣- محمدٌ يلعن اليهودَ والنصارى .

٢١٤- كلُّ مسلمٍ يموتُ يُلقِي اللهُ مكانَه بالنارِ يهودياً أو نصرانياً .

٢١٥- لا تبدؤوا اليهودَ والنصارى بالسلام .

٢١٦- الجنة تحت ظلال السيوف .

٢١٧- نُصرت بالرعب ، وأُحِلَّت لي الغنائم .

* التمتع بالأطفال والشذوذ :

٢١٨- فتوى مُفاخدة الصغار .

٢١٩- قصة زواج الطفلة عائشة .

٢٢٠- يُجلس الأطفال في حجره فيبولون عليه .

٢٢١- الرسولُ يمصُّ لسانَ الحسنِ وشفَّته .

٢٢٢- إباحةُ زواج الأطفال في القرآن .

٢٢٣- استمناء الصائم بيدِ الطفلة الصغيرة .

٢٢٤- جواز التفخيذِ والتمتع حتى بالرضيعة وإتيانِ المرأة في دبرها .

٢٢٥- محمد يشتهي طفلة فوق الفطيم .

٢٢٦- الرسولُ يمصُّ لسانَ عليِّ بن أبي طالب ويُغذيه من ريقه

المبارك .

٢٢٧- محمد يلبسُ مرطاً عائشة وهو مضطجعٌ كاشفاً فخذه .

٢٢٨- يأتيه الوحي وهو في ثوبِ عائشة .

- ٢٢٩- محمدٌ في لحافٍ عائشة .
 ٢٣٠- محمدٌ عريانٌ ويحضنُ ويُقبلُ الرجال .
 ٢٣١- فما رئي بعد ذلك عرياناً .
 ٢٣٢- محمدٌ يتكحلُّ كالنساء .
 ٢٣٣- الرسولُ الحنيثُ يحنيُّ شعره الطويل الذي يبلغ كتفيه .
 ٢٣٤- الرسولُ ينامُ على أفضادِ الرجالِ وينفخ .
 ٢٣٥- نكاحُ البطيخةِ والإكرنجِ والاستمنا .
 ٢٣٦- كان يدخلُ على أزواجِ النبي في بيته مخنثٌ .
 ٢٣٧- جوازُ الصلاةِ خلفِ المخنثِ .
 ٢٣٨- محمدٌ وزاهر .
 ٢٣٩- يجوزُ ذلكُ شرعاً . . . الإسلام لا يمنعني .
 * رأسُ الأفعى الصليبيةِ المصريةِ بطريكِ الأرثوذكس :

□ من خطابِ «البابا شنودة» لشعبِ الكنيسةِ في مصر نقرأ ما يلي :
 «يجبُ مضاعفةُ الجهودِ التبشيريةِ الحالية، إذ إن الخُطةَ التبشيريةَ التي وُضعت
 على أساسِ اتفق عليه للمرحلةِ القادمة، هو زحزحةٌ أكبرِ عددٍ ممكن من
 المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألا يكونَ من الضروريِّ اعتناقهم
 المسيحية، فإنَّ الهدفَ هو زعزعةُ الدين في نفوسهم، وتشكيكُ الجموعِ
 الغفيرةِ منهم في كتابهم وصدقِ محمد، ومن ثمَّ يجبُ عملُ كلِّ الطرقِ
 واستغلالُ كلِّ الإمكاناتِ الكنسيةِ للتشكيك في القرآن، وإثباتِ بطلانه
 وتكذيبِ محمد .

وإذا أفلحنا في تنفيذ هذا المخطط التبشيري في المرحلة المقبلة، فإننا نكون قد نجحنا في إزاحة هذه الفئة من طريقنا، وإن لم تكن هذه الفئات مستقبلاً معنا فلن تكون علينا.

غير أنه ينبغي أن يراعى في تنفيذ هذا المخطط التبشيري أن يتم بطريقة هادئة لبقة وذكية، حتى لا يكون ذلك سبباً في إثارة حفيظة المسلمين أو يقظتهم»^(١).

هذا الذي جاب الأرض شرقاً وغرباً دعوة إلى التنصير.. وهو المسؤول الأول عما يفعله الأرثوذكس بالمسلمين وعلى رأسهم الصرب، فكلمة منه واحدة كان يستطيع أن يمنع مجازر الصرب للمسلمين، ولكنه لم يفعل، ولن يفعل مع أي مجزرة للمسلمين.

وللأرثوذكس في مصر الكذب الفاجر بادعاء اضطهاد المسلمين لهم وحرمانهم من المناصب العليا في الدولة.

وهذه نسبتهم في مصر سنة ٢٠٠٦ من موقع لا يُحابي ولا يُجامل المسلمين في أي يوم من الأيام، وهو موقع جهاز المخابرات الأمريكية يوليو ٢٠٠٦.

<https://www.cia.gov/cia/publications/factbook/print/eg.html>

عدد سكان مصر في يوليو ٢٠٠٦ هو:

Population: 78.887.007 (july 2006 est).

(١) انظر كامل الخطاب في كتاب «قذائف الحق» للشيخ محمد الغزالي.. وانظر «أجنحة المكر الثلاثة» لعبدالرحمن حسن بن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق.

نسبة النصارى المصريين في يوليو ٢٠٠٦ هو:

Religions: Muslim (mostly Sunni) 90% Coptic 9%. Other Christian 1%

عدد النصارى الأقباط (المصريين) في يوليو ٢٠٠٦ هو أقل من: ١, ٧

مليون مسيحي قبطي .

ينقسمون إلى ثلاثة طوائف كبرى هي: الأرثوذكس (٧ طوائف)، والكاثوليك (٧ طوائف)، والإنجيليين (٧٣ طائفة)، وعشرات الطوائف الصغرى مثل الأدفستست، وشهود يهوه، وكنيسة الله الخمسينية، والعلم المسيحي، والمورمون وغيرهم^(١) .

□ يقول الدكتور محمد عمارة: «إن الأرقام - التي لا تكذب ولا تُجاملُ - تُعلن أن الأقلية القبطية - التي لا تتعدى الثلاثة الملايين - هي الحاكمة الفعلية في المجتمع المصري - الذي يزيدُ تعدادُه على الستين مليوناً!! - فهم يملكون ويمثلون:

- ٢٢,٥٪ من الشركات التي تأسست بين عامي ١٩٧٤م و١٩٩٥م!! .

- ٢٠٪ من شركات المقاولات في مصر .

- ٥٠٪ من المكاتب الاستشارية .

- ٦٠٪ من الصيدليات .

- ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة .

- ٣٥ Percentage من عضوية غرفة التجارة الأمريكية وغرفة

(١) نقلاً عن مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر - لابي إسلام أحمد عبدالله .

التجارة الألمانية .

- و٦٠٪ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية (متدئى رجال الأعمال

المصريين والفرنسيين) .

- و٢٠٪ من رجال الأعمال المصريين .

- و٢٠٪ من وظائف المدراء بقطاعات النشاط الاقتصادي بمصر .

- وأكثر من ٢٠٪ من المستثمرين في مدينتي «السادات»، و«العاشر من

رمضان» .

- و٩، و١٥٪ من وظائف وزارة المالية المصرية .

- و٢٥٪ من المهن الممتازة والتميزة - الصيادلة والأطباء والمهندسين

والمحاميين والبيطريين .-

أي أن ٩، و٥٪ من سكان مصر - الأقباط - يملكون ما يتراوح بين ٣٥٪

و٤٠٪ من ثروة مصر وامتيازاتها!! . .

تُرى كم هي نسبةُ الأقباطِ في الأُمِّيَّةِ وفي سُكْنَى المقابرِ وفي البطالةِ

وفي المعتقلاتِ وفي المقتولين من التعذيب؟! . وكم نسبُهم في الجامعات؟! .

وكم نسبُهم في أصحابِ البلايين؟! . وكم نسبُهم في أصحابِ الملايين؟! . .

كم نسبُهم؟! .

كم نسبةُ الكنائسِ إلى عددِ السكان؟ . . وأيُّهما أكثرُ: نسبةُ الكنائسِ أو

نسبةُ المساجد؟! . ولماذا لم يتطرقِ الأقباطُ إلى هذه التساؤلاتِ قط؟! .

إن نسبةَ الكنائسِ إلى السكانِ أعلى من نسبةِ المساجدِ، فحسبَ التقريرِ

الاستراتيجي للأهرام لعام ١٩٩٩ ، فإن هناك كنيسة لكل سبعة عشر ألفاً قبطي ، بالمقابل هناك مسجد لكل ثمانية عشر ألف مسلم .

□ ويُعلّق الدكتور عمارة على ذلك قائلاً: «إذا كانت نسبة الكنائس لعدد النصارى تكاد أن تساوي نسبة المساجد لعدد المسلمين ، فإن الواقع يقول: إن الكنائس مفتوحة على مدار النهار والليل . . والمساجد تُغلق عقب الصلاة .

ومنبر الكنيسة حرٌّ كل الحرية ، ومنبر المسجد مؤمَّمٌ ، لا يرقاه إلا من ترضاه وترضى آراءه «الأجهزة»! . . والشباب القبطي المتدين ينام في بيته آمناً ، ونظيره المسلم يعيش في رُعبِ قوائم «الاشتباه»! . . وأروقة الكنائس مفتوحة أمام التبثّل النصراني - وحتى الرهينة - ، بينما الشاب المسلم إذا أراد الاعتكاف بالمسجد في رمضان ، لا يُتاح له ذلك إلا إذا تقدم بصورة البطاقة إلى «الأجهزة الأمنية»^(١) .

* المسرحية الملعونة «كنت أعمى والآن أبصر»:

مسرحية ساقطة ملعونة أجازها كاهنٌ أو كهنةٌ ساقطين على مسرح «بيت العبادة» الذي حوّله أبناء الأفاعي - كما وصف أمثالهم عيسى عليه الصلاة والسلام - إلى مغارة لصوص . . مثلت المسرحية المجرمة التي تسيء إلى الإسلام أبلغ إساءة ، مثلت في إحدى الكنائس في مدينة الإسكندرية هذه المسرحية كلها إجراماً وبداءةً وكذباً تُسفه الإسلام وتحتقره وتزدرية .

(١) «هل أصبح المسلمون في مصر هم الأقلية» (ص ٢٩ - ٣١) للدكتور محمد عباس - كتاب

إِنَّ مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْمَسْرُوحِيَّةِ السَّاقِطَةِ إِسَاءَةٌ لِلْإِسْلَامِ نَفْسِهِ، إِسَاءَةٌ فَاجِرَةٌ، لِلْإِسْلَامِ وَلَيْسَ لِلْإِرْهَابِ، الْإِسْلَامُ الْمَتَمَثِّلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ مَبَاشِرَةٌ... نَعَمْ... الْإِهَانَةُ مُوجَّهَةٌ لِلْإِسْلَامِ: لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلِلرَّسُولِ الْعَظِيمِ ﷺ (١).

إِنَّ هَذِهِ الْمَسْرُوحِيَّةَ السَّافِلَةَ لَيْسَتْ سِوَى قِمَّةِ جَبَلِ الثَّلْجِ الْعَائِمِ الَّذِي يَخْتَفِي مَعْظَمُهُ... هِيَ الْمَفْضُوحُ وَمَا تُخْفِيهِ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ... كَمَا أَنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِسِيَاقٍ يَتَّصِلُ فِيهِ الدَّخْلُ بِالْخَارِجِ وَالْمَاضِي بِالْحَاضِرِ فِي مَنْظُومَةِ شَيْطَانِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنْذُ «يُوحِنَا الدَّمَشْقِي» حَتَّى الْآنَ، سِيَاقُ الْمُوَامَرَةِ، سِيَاقُ الْغَارَةِ عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، سِيَاقُ تَبْرِيرِ الْجَرَائِمِ الَّتِي يُوشِكُونَ عَلَى ارْتِكَابِهَا فَيُيَادِرُونَ بِالتَّمْهِيدِ وَالتَّبْرِيرِ لَهَا، وَفِي هَذَا السِّيَاقِ الْمُتَّصِلِ يَقُولُ خَنْزِيرٌ مِنْ خَنْزِيرِهِمْ فِي مَجَلَّةِ «صَوْتُ مِصْرَ الْحُرِّ»: «أَنَا الْقَبْطِيُّ الْفِرْعَوْنِيُّ صَاحِبُ الْأَرْضِ، أَنَا الْقَبْطِيُّ الشَّامِخُ صَاحِبُ هَذَا الْوَطَنِ الَّذِي سُلِبَ مِنِّي مِنْذُ الْغَزْوِ الْأَسْبَانِيِّ وَإِلَى الْآنَ، وَسِيرِحْلُ قَرِيبًا كَمَا رَحَلَ مِنْ أَسْبَانِيَا، فَلَمْ تُعَدِ النَّعْرَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَهَا جَاذِبِيَّتُهَا الْآنَ فِي جَوْأُ أَصْبَحَ الْغَرْبُ الْمُتَحَضَّرُ يَفْهَمُ أَنَّ الْعَرَبَ جُرْبٌ».

فَأَيُّ كَذِبٍ فَاجِرٍ وَخِسَّةٍ وَانْحِطَاطٍ، وَهَلْ رَأَى النَّاسُ كَذِبًا أَكْثَرَ وَقَاحَةً وَفُجْرًا؟! كَذِبُ الْمَاضِي وَكَذِبُ الْحَاضِرِ وَكَذِبُ التَّارِيخِ... كَذِبُ يُيَارِزُونَ فِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَتَفَوَّقُونَ.

(١) المصدر السابق (ص ١٠).

(٢) المصدر السابق (ص ١١، ١٢، ١٣).

□ «هذه الفتنة التي أشعلها أعداءُ الله وأعداءُ الرسل وأعداءُ البشر ليست طارئاً قطع ما اتصل . . بل هي انحراف ممتدٌ عبرَ التاريخ، ذلك أن هذه الحملة العدوانية الشرسة - المتمثلة في تصوير الإسلام ونبية ﷺ في صورةٍ بالغة البشاعة ومغايرة تماماً للحقيقة وقائمة على التلفيق والكذب - حملةٌ تعفنت عبرَ القرون حتى أصبحت أشبهَ بالمستنقع الآسن التي تغرفُ منه الميديا الغربية والمسيحية الصهيونية، وينشرونها عبرَ وسائلهم المختلفة على أنها حقائق . . ينشرونها أيضاً عبرَ عملائهم وجواسيسهم من أقباط مهجراً في الخارج وعلمانيين وشيوعيين وقوميين في الداخل .

نعم، الحملة لا تقتصرُ على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها . . الحملة سلسلةٌ طويلة تمتدُّ من «يهودا الإسخربوطي» إلى كاهن الكنيسة الساقط . . الحملة تضمُّ الآلاف والملايين .

الحملة تضمُّ خنازيرَ مثل «جيري فالويل» و«بات روبرتسون» و«فرانكلين جراهام» و«جيري فاينز» و«روبرت أوف كيتون» و«بترس المكرم»، والتي لا تزيدُ أقوالهم عما جاء في المسرحية الملعونة .

إن عواءَ الذئاب ونباح الكلاب والخنازير على الإسلام لم يتوقف أبداً، والمسرحية السافلة التي مثلت في مغارة اللصوص لم تكن استثناءً، بل استمراراً لحملة شيطانية بدأت منذ غزوة «مؤتة» ولم تنقطع، ولكنها لم تؤثر في الإسلام أبداً، فقد شكَّلت تلك الحملة النجسة العفنة موردَ الماء الوحيد لقطعان العلمانيين والقوميين والشيوعيين في بلادنا . . وإذا عُرف المنبعُ

النَّجِسُ بَطْلُ الْعَجَبِ»^(١) .

□ جاء في النصِّ الحرفيِّ من حَيْثِيَّاتِ حَكْمِ مَحْكَمَةِ الْقَضَاءِ الْإِدَارِيِّ بِتَارِيخِ ٣ فَبْرَايِرِ ١٩٨٢ فِي التَّظَلُّمِ الْمُقَدَّمِ مِنَ الْبَابَا شَنُودَةِ ضِدِّ قَرَارِ رَيْسِ الْجُمْهُورِيَّةِ بَعْزَلِهِ مِنْ مَنَصِبِهِ: «إِنْ الْبَابَا شَنُودَةُ حَيْبِ الْأَمَالِ، وَتَنَكُّبِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي تُمْلِيهِ عَلَيْهِ قَوَانِينُ الْبِلَادِ، وَاتَّخَذَ مِنَ الدِّينِ سِتَارًا يُخْفِي أَطْمَاعًا سِيَاسِيَّةً، كُلُّ أَقْبَاطِ مِصْرَ بَرَاءٌ مِنْهَا»^(٢) .

وَإِذَا بِهِ يَجَاهَرُ بِتِلْكَ الْأَطْمَاعِ وَاضِعًا بَدِيلًا لَهَا - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ - بِحَرًّا مِنَ الدِّمَاءِ تَغْرُقُ فِيهِ الْبِلَادَ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا، بِأَذَلِّ قُصَارَى جَهْدِهِ فِي دَفْعِ عَجَلَةِ الْفِتْنَةِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ وَعَلَى غَيْرِ هَدْيٍ، فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْبِلَادِ، غَيْرَ عَابِيٍّ بِوَطْنِ يُؤْوِيهِ وَدَوْلَةٍ تَحْمِيهِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ قَدْ خَرَجَ عَنْ رَدَائِهِ الَّذِي خَلَعَهُ عَلَيْهِ أَقْبَاطُ مِصْرَ»^(٣) .

وَلَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ يَوْمًا فَيُرْعَوِي مَاذَا فَعَلَ الرُّومَانُ بِبَطْرِيْقِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ قَبْلَ دُخُولِ الْمُسْلِمِينَ لِمِصْرَ، وَكَمْ سَنَةً أَجْبَرَهُ الرُّومَانُ عَلَى الْإِخْتِفَاءِ وَالتَّشْرُدِ، وَمَنْ الَّذِي رَدَّهُ إِلَى مَنَصِبِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ الطَّيِّبُونَ الَّذِي يَعْبَقُ نَشْرُهُمْ وَعَبِيرُهُمْ وَأَرِيحُهُمْ فَيَعْطُرُ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا، وَالْكَوْنَ كُلَّهُ، وَيُضْفُونَ بِقِيَمِهِمُ الَّتِي اسْتَمْدَوْهَا مِنْ دِينِهِمْ وَنَبِيِّهِمْ ﷺ جَمَالًا وَنُورًا وَأَلْقَا عَلَى الْكَوْنَ كُلَّهُ.

(١) المصدر السابق (ص ٤٢ - ٤٤) .

(٢) بل والله شركاؤه فيها .

(٣) المصدر السابق (ص ٦٨ - ٦٩) .

* الجامعاتُ التبشيريةُ في ديارِ المسلمين .. الكارهُةُ لله ورسوله ﷺ وعلى رأسها «الجامعة الأمريكية»:

مغاراتُ وأوكارُ لصوصٍ من المنصرِّين الذين يُسمَّونهم «المبشِّرين» .. لا يريدون إلاّ تذيبَ الهويةَ الإسلاميةَ وقطعَ الصلةَ بين أبناءِ المسلمين ورسولهم ﷺ والتأسي به .

ولقد ذكرنا أن المبشِّرين إذا لم يستطيعوا أن يُنصِّروا المسلمين ، فتَنصَّبُ جُهودُهُم إلى أن يتركَ المسلمُ دينَه حتى يعيشَ بلا دينٍ ولا رسالةٍ ، فيسهلُ السيطرةُ عليه وتوجيهُه حسب مخططاتهم الخبيثة ، ففي المؤتمرِ التبشيريِّ الذي عُقد في القدس سنة ١٩٣٥ صرَّحَ القسُّ «صموئيل زويمر» بما يلي :

«إن مهمةَ التبشير التي ندبَّتكم دولُ المسيحيةِ للقيام بها في البلادِ المحمدية ، ليست هي إدخالُ المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هدايةً لهم وتكريماً ، وإنما مهمَّتكم أن تُخرجوا المسلمَ من الإسلام ليصبحَ مخلوقاً لاصلةً له بالله ، وبالتالي لا صلةَ تربطُه بالأخلاقِ التي تعتمدُ عليها الأمم في حياتها ، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعةَ الفتحِ الاستعماريِّ في الممالكِ الإسلامية ، وهذا ما قمتم به في خلالِ الأعوامِ المئةِ السالفةِ خيرَ قيام ، وهذا ما أهنؤكم عليه ، وتهنؤكم دولُ المسيحيةِ والمسيحيون جميعاً من أجله كلَّ التهنئة .

لقد قبضنا - أيها الإخوان - في هذه الحِقبةِ من الدهر - من ثلثِ القرنِ التاسعِ عشرَ إلى يومنا هذا - على جميعِ برامجِ التعليمِ في الممالكِ الإسلاميةِ المستقلَّة ، أو التي تخضعُ للنفوذِ المسيحيِّ ، أو التي يحكُمها المسيحيون حُكماً

مباشراً، ونَشَرْنَا فِي تِلْكَ الرَّبْوَعِ مَكَامِنَ التَّبْشِيرِ الْمَسِيحِيِّ وَالْكَنَائِسِ وَالْجَمْعِيَّاتِ، وَفِي الْمَدَارِسِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تُسَيِّرُ عَلَيْهَا الدُّوْلُ الْأَوْرَبِيَّةُ وَالْأَمْرِيكِيَّةُ وَفِي مَرَاكِزٍ كَثِيرَةٍ.. إِنْكُمْ أَعْدَدْتُمْ بَوْسَائِلَكُمْ جَمِيعَ الْعُقُولِ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى قَبُولِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي مَهَّدْتُمْ لَهُ كُلَّ التَّمْهِيدِ (إِخْرَاجِ الْمُسْلِمِ مِنَ الْإِسْلَامِ)، إِنْكُمْ أَعْدَدْتُمْ نَشْأً لَا يَعْرِفُ الصَّلَاةَ بِاللَّهِ، وَلَا يَرِيدُ أَنْ يَعْرِفَهَا، وَأَخْرَجْتُمْ الْمُسْلِمَ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تُدْخِلُوهُ فِي الْمَسِيحِيَّةِ، وَبِالْتَّالِي جَاءَ النِّشْءُ الْإِسْلَامِيُّ طَبَقًا لِمَا أَرَادَهُ لِهَ الْاِسْتِعْمَارِ، لَا يَهْتَمُّ بِالْعِظَائِمِ، وَيُحِبُّ الرَّاحَةَ وَالْكَسْلَ، فَإِذَا تَعَلَّمَ فَلِلشَّهْوَاتِ، وَإِنْ تَبَوَّأَ أَسْمَى الْمَرَاكِزِ ففِي سَبِيلِ الشَّهْوَاتِ»^(١).

وَمِنْ وَسَائِلِ الْغَزْوِ الصَّلِيبِيِّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ: التَّرْكِيزُ عَلَى إِفْسَادِ الْمَرْأَةِ وَإِبْعَادِهَا عَنِ دِينِهَا، وَكَذَلِكَ الْعَمَلُ عَلَى إِفْسَادِ أبنَاءِ الْحُكَّامِ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِإِنْشَاءِ مَعَاهِدَ وَمَدَارِسَ خَاصَةً لَهُمْ، يَقُومُ عَلَى تَرْبِيَّتِهِمْ صَلِيبِيُونَ حَاقِدُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ لِيَجْتَالُوهُمْ عَنِ دِينِهِمْ^(٢)، وَمَا أُنْشِئَتْ كَلِيَّةُ

(١) «جذور البلاء» لعبدالله التل (٢٧٥-٢٧٦).

(٢) وهؤلاء الخبثاء قد يفتحون بعض أبواب الخير للمسلمين، ليوقعوهم في ما هو أعظم وأخطر.. واستمع معي إلى هذه القصة: قال بعضُ الدعاة: (ذهبنا إلى الدعوة في «نيجيريا»، فوجدنا مسجداً في إحدى القرى، فسألنا: مَنْ بَنَى هَذَا الْمَسْجِدَ؟ فَقِيلَ: بَنَاهُ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ.. فَتَعَجَّبْنَا، وَقَلْنَا: سُبْحَانَ اللَّهِ! نَصْرَانِيٌّ يَبْنِي مَسْجِدًا؟! فَقِيلَ لَنَا: لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ لَقَدْ بَنَى مَدْرَسَةً لِأَوْلَادِنَا أَيْضًا.. فَذَهَبْنَا إِلَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، وَوَجَدْنَا فِيهَا مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَوْلَادِ جَالِسِينَ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَخْتَبِرَهُمْ.. فَكَتَبْنَا عَلَى «السُّبُورَةِ»: مَنْ رَبُّكَ؟ فَرَفَعَ الْأَوْلَادُ أَصَابِعَهُمْ طَلَبًا لِلْإِجَابَةِ.. فَاخْتَرْنَا صَبِيًّا مِنْهُمْ، فَقَامَ وَقَالَ: رَبِّي الْمَسِيحُ).. وَلَا تَعْلِيْقَ!!.. مِنْ كِتَابِ: «قِصَصُ رَائِعَةٍ مِنَ الْأَشْرَطَةِ»، لِمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى مَفْرُوحٍ (٩٢)، ٩٣- ط: دَارُ الْعَاصِمَةِ).

«فكتوريا» على يد «كرومر» إلا لإفساد هؤلاء الأبناء وتغريبهم ليفكروا بعقلية الغزاة الصليبيين، وهذا ما صرح به اللورد «لوبد» الممثل البريطاني في مصر، فقد قال في خطبة له في كلية «فكتوريا» بالإسكندرية سنة ١٩٣٦ عن طلبة هذا المعهد: «كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية، بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ، فيصيروا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا عليها»^(١).

* وعن الدور التبشيري الخطير القدر الذي تلعبه الجامعة الأمريكية بمصر، يُحدثنا البطل «عبدالقادر الحسيني» في تجربة خاصة معه فيقول: «تدعي إدارة الجامعة الأمريكية بالقاهرة أنها علمية محضة، وليس لها أدنى علاقة بالتبشير، وهي تتبرأ مما حصل في المعادي حيث يسكن أساتذتها المبشرون، وفيهم من أرسل خصيصاً على حساب أحد الموسرين الكبار للتبشير، وادعاء الجامعة أنها علمية ليس صحيحاً، وإليك حجتي وأدلتى الواضحة:

من هو رئيس الجامعة؟:

رئيس الجامعة هو الدكتور «شارلز واطسون» مبشر، ووالده وأمه مبشران، فهو من سلالة مبشرين، وإني أستشهد على ذلك بكتابه المسمى: «حروب صليبية مسيحية في مصر»، ويعني بهذا الحروب الحملة التبشيرية، وقد قال في مقدمة ذلك الكتاب: «أهديه لأمي وأبي اللذين قضيا حياتهما مبشرين في مصر».

(١) انظر «مجتمعتنا المعاصر» (ص ٢٩٤) للدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس، نقلاً عن كتاب التبشير والاستعمار.

ويوجه فيه الدعوة إلى أهل الخير والإحساس، ليروا الانتصارَ الباهرَ لأعمال التبشير في مصر، كما أنه يوجه إلى المبشرين كلمة مؤداها: «أنهم هم الذين سوف يتم تنصير مصر بأكملها على أيديهم»، وبذلك يتوجون رؤوسهم بأكاليل الظفر والفخار، جزاء لهم على جهادهم المقدس.

□ أو تدري ماذا يقول هذا المبشر أيضاً في كتابه المشار إليه؟ إنه يقول: «إن للمسلمين طقساً دينياً هو أساس الإسلام، وهذا الطقس هو الحج، ويجب على كل مقتدر أن يؤديه، وهو عبارة عن الذهاب إلى الكعبة، حيث تقام طقوس دينية مخزية، وهذا المكان - الكعبة - قلب العالم الإسلامي، وكر لصوص تؤتى فيه جميع أنواع المخازي الأخلاقية (كذا)، ولكنه يجعل بين المسلمين رابطة متينة يخاف منها».

وبعد... فهذا رئيس الجامعة الأمريكية الدكتور «شارلز واطسون» كما تراه في كتاب واحد من كتبه... والآن إليك غير هذا الرجل من أقطاب الجامعة:

هناك قسم في الجامعة الأمريكية يسمونه «مدرسة اللغات الشرقية» يؤمه الأجانب، ويرأسه الدكتور «جوفري» وهو رجل لاهوتي، وهذا القسم إن هو إلا معهد لتدريب المبشرين وتعليمهم اللغة العربية، وكيفية مهاجمة الإسلام مهاجمة علمية فنية، ومن يزر مكتبة الجامعة ويرى الكتب التي نقلت من هذا القسم إليها يحقق صدق قولي.

وهذه الكتب تؤلف الآن قسماً كبيراً من المكتبة، وكلها تبشيرية، بعضها يبحث الحركات التبشيرية - تاريخها ونجاحها وأعمالها - في الشرقين

الأدنى والأقصى، وبعضها يبحث في كيفية التنصير، والبعض - وهو أكثرها - يحتوي على شتائم في الإسلام والمسلمين.

والدكتور «جوفري» رئيس هذا القسم هو مبشر الجامعة الأكبر، ويليه المستر «مولر»، وكلاهما قاطن بالمعادي، حيث المبشر «بطرس عيان» صديقهم الأعزُّ وبطل الحادثة المشهورة.

والدكتور «جوفري» يُصَلِّي بطلبة الجامعة أيام الآحاد وهم مُجبرون على الاستماع لطعنه في الإسلام والمسلمين ونيبهم، بل في المذاهب المسيحية التي لا تتفق مع مذهبه، وأذكر أنه قال يوماً في إحدى عظاته وعنوانها: «النبي الكاذب»: «إن محمداً لا يمكن أن يكون نبياً؛ ولأن مستوى أخلاقه العادي (كذا)، إذ أباح لنفسه أن يتزوج من عدة نساء (كذا)، كما اختص نفسه بأثمن أسلاب الحرب، فهو رجل شهواني (كذا)».

وفي عظةٍ أخرى ألقاها هذه السنة، أتانا ببراهين واهية ليقتنعا بأن القرآن ليس من كلام الله، كما أنه ليس كله من كلام محمد؛ لأنه أدخل عليه كثير من الآيات التي ثبت علمياً أنها لا يمكن أن تكون من روح محمد. هذا عدا ما يقوله في الدروس اليومية التي يسمونها «علم الأخلاق وفلسفة الديانات، وعلم النفس وعلم الاجتماع» من الافتراءات والشتائم، مما لا يتلفظ به مسيحي؛ لأن الدين المسيحي نفسه دين سماحة ولطف، أما ما يفعله هؤلاء فتحامل وشتائم وسباب وبث كراهية وإشعال حروب، فالإسلام في رأيهم دين وحشي بربري، يبحث على القتال والسلب والنهب، ولن يرتقي الشرق ويسعد حالاً إلا إذا تخلص من هذا الدين،

والكثلكة لديهم عبادة أوثانٍ وخرافاتٍ وأساطيرٍ مضرّةٍ مخلةٌ بالآداب..
إلخ.

أكتفي بهذا القدر الآن مشيراً إلى أن هذه الحركة التي تقوم بها الجامعة الأمريكية غيرُ محمودة، بل هي تَخَلُقُ رُوحاً سيئةً في البلاد، فالواجبُ على كلِّ وطنيٍّ - مسلماً كان أم مسيحياً - أن يحاربَ هذه الفكرة ليعيشَ المسلمون والمسيحيون أهلُ هذا البلد وغيره من الأقطار هاتين آميناً».

عبدالقادر الحسيني

خريج الجامعة الأمريكية بمصر

وقد كان للبطل الفلسطيني المحبُّ لدينه ورسوله ﷺ أكبر الأثر في فضح هؤلاء الدجاجلة الصليبيين، إذ إنه في حفلةٍ تخرّجه من الجامعة الأمريكية بعد انتهاء دراسته، وعندما نوديَ على اسمه ليصعد إلى منصة التكريم ويتسلم شهادة التخرّج، ألقى قبلةً مُدوّيةً عن نشاط الجامعة التبشيريِّ وكُرهِهم للإسلام ونبية ﷺ، وأنه لا يُشرّفه تسلُّم هذه الشهادة.. وأسقط في أيدي القوم بعدما فضحهم هذا البطلُ الغيور على دينه.

وعلى إثر ذلك اتصلت إدارة الجامعة بالإنجليز والأمريكان، الذين اتّصلوا بدورهم بالحكومة المصرية وأخبروها بالأمر، وطلبوا منها إخراج عبدالقادر من مصر، فما كان من الحكومة المصرية إلا أن أصدرت قراراً يقضي بوضعه في سجن الأجنب كإجراء احترازي، ثم بطرده من مصر خلال أربع وعشرين ساعة، وبعد ذلك أصدرت الحكومة المصرية قراراً موقّعاً من رئيس الوزراء الطاغية «إسماعيل صدقي» بإخراج عبدالقادر

وترحيله إلى فلسطين في تموز ١٩٣٢ م^(١).

أسكنه الله فسيح جنانه وكتب له الشهادة إن شاء الله بعد أن سقط
البطل في ساحة القتال على أبواب القدس.

(١) انظر «الصراع مع الصليبيين» (ص ٢٧٤-٢٧٦).

مؤتمرات المُبشِّرِين

مرَّت أعمال المُبشِّرِين في مراحلٍ تكاملت فيها خُططُهم وبرامجُهم وأعمالُهم الراميةُ إلى تحقيقِ أهدافهم، وأخذوا خلالَ هذه المراحلِ يُعدِّلون فيها ويُحسِّنون، فيحذفون أشياءً ويضيفون أخرى، وجعلوا يُطوِّرون وسائلهم، ويبتكرون فيها أشياءً جديدةً تُوصِّلُ إليها حيلُ الذكاء والتجاربُ والاختباراتُ ورصدُ نتائج الأعمال، أو تُرشِدُ إليها مداوراتُ الآراءِ في المؤتمرات التي يعقدونها لهذه الغاية.

ولمَّا كانت مؤتمراتهم تُمثِّلُ جانباً مُهمًّا من تاريخ التبشير والمُبشِّرِين، اقتضى البحثُ في تاريخ التبشير عَرْضَ أمثلةٍ موجزةٍ منها، وفيما يلي طائفةٌ من ذلك:

١ - المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القاهرة سنة (١٩٠٦م):

كان «زويمير» رئيسُ إرسالية التبشير في البحرين أوَّلَ مَنْ ابتكر فكرةَ عقدِ مؤتمرٍ عامٍّ يجمعُ إرسالياتِ التبشير البروتستانتية، للتفكير في مسألة التبشير بين المسلمين.

وفي سنة (١٩٠٦م) أذاع اقتراحه، وأبان الكيفية التي يكونُ بها، فوضعت هذه الفكرةُ على بساطِ البحثِ في «ميسور» من ولاية «كرناكا» في الهند، نظراً إلى أنَّ هذه الولاية كانت ذات أهميةٍ كبرى عند المُبشِّرِين فيما يتعلَّقُ بالمسائل الإسلامية، لوجودِ مدرسة «عليكرا» هناك.

ثم عُرِضَ الاقتراحُ على مؤتمر التبشير الذي كان ينعقدُ في مدينة

«مدراس» الهندية كلَّ عشر سنوات، فأقرَّ المؤتمرون عقدَ المؤتمر الذي قَدَّمَ «زويمر» الاقتراحَ بشأنه.

ولما تقرر عقدُ المؤتمر شرَّعَ المبشِّرُ «زويمر» مع زميلٍ له يَعُدَّان ما يلزمُ لتأليفِ لجنةٍ مؤقتةٍ تضعُ جدولَ أعماله، وتدعو المبشِّرَين المنتشرين في كلِّ البلادِ للاشتراك فيه.

وفي اليوم الرابع من شهرِ نيسان «إبريل» من سنة (١٩٠٦م) تم انعقادُ المؤتمر في القاهرة، وحَضَرَ فيه ممثلون عن إرسالياتِ التبشيرِ الأمريكية، والإنكليزية، والإسكتلندية، والألمانية، والهولندية، والسويدية، وعن إرسالية التبشير الدانمركية الموجودة في بلاد العرب.

□ وانتُخب «زويمر» رئيساً للمؤتمر، وقد تناول جدولُ أعمالِ المؤتمرِ مداولةَ المسائل التالية:

- ١- ملخَّص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم.
- ٢- الإسلام في إفريقية.
- ٣- الإسلام في السلطنة العثمانية.
- ٤- الإسلام في الهند.
- ٥- الإسلام في فارس.
- ٦- الإسلام في الملايو.
- ٧- الإسلام في الصين.
- ٨- النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين

العوام.

٩- الارتداد.

١٠- وسائل إسعاف الذين يُضطهدون بسبب تركهم للإسلام.

١١- شؤون نسائية إسلامية.

١٢ - موضوعات تتعلق بتربية المبشرين، والعلاقات بينهم، وكيفية

التعليم في الإسلام.

□ ومن البحوث التفصيلية التي دارت في المؤتمر: الصعوبات التي تحُولُ دونَ تبشيرِ المسلمين العوام، والوسائل التي يمكنُ استجلابهم بها، وتُحِبُّ المبشرين إليهم، وقد وُجِّهَ المؤتمرون لضرورة استخدام الوسائل التالية في التبشير:

أ- استخدام وسيلة العزفِ بالموسيقى الذي يميل إليه الشرقيون كثيراً.

ب- عرض مناظرِ الفانوسِ السحري على المسلمين.

ج- تأسيسُ الإرساليات الطيبة التي يجبُ أن تَبَثَّ بينهم.

د - ضرورةُ تعلُّمِ المبشرين لهجاتِ المسلمين العامية، واصطلاحاتها

نظرياً وعملياً، وضرورةُ دراستهم للقرآن حتى يَقِفُوا على ما يحتويه.

هـ - أن يخاطبَ المبشرون عوامَ المسلمين على قَدْرِ عقولهم ومستوى

علمهم.

و - ينبغي أن يُلقِيَ المبشرون الخُطْبَ على عوامِ المسلمين بأصواتٍ

رخيمة، وبفصاحة، وينبغي أن يَخْطُبَ المبشِّرُ وهو جالس، ليكون تأثيره

أشدَّ على السامعين، وأن لا تتخلَّلَ خطاباته كلماتٌ أجنبيةٌ عنهم، وأن يبدُلَ

عنايته في اختيارِ الموضوعات، وأن يكونَ بصيراً بآياتِ القرآنِ والإنجيلِ،

عارفاً بمحلِّ المناقشة، وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية.

ز- ضرورة كونِ المبشِّرِ خبيراً بالنفس الشرقية.

وناقشَ المؤتمرُ الصعوباتِ التي يُلاقِيها المبشِّرون لدى تبشيرِ المتنورين من المسلمين، وهذه الصعوباتُ هي التي جعلت المؤتمرَ يبحثُ في الوسائلِ التي يكونُ لها تأثيرٌ ما على عقيدةِ الأجيالِ الناشئةِ الإسلاميةِ المتنورةِ.

□ وهنا قال أمين سر المؤتمر: «إن الخُطَّةَ العدائيةَ التي انتهجها الشُّبَّانُ المسلمون المتعلِّمون ضدَّ المبشرين؛ اضطرتَّ المبشرين في القطرِ المصريِّ إلى محاولةِ إعادةِ ثقةِ الشُّبَّانِ المسلمين بهم، فصار هؤلاء المبشرون يُلقون محاضراتهم في موضوعاتٍ اجتماعيةٍ وحُلقيةٍ وتاريخيةٍ، ولا يستطيعون فيها إلى مباحثٍ دينيةٍ، رغبةً في جلبِ قلوبِ المسلمين إليهم».

وأنشؤوا بعدَ ذلك في القاهرة مجلةً أسبوعيةً اسمها: «الشرق والغرب»، افتتحوا فيها باباً غيرَ ديني، وأخذوا يبحثون فيه أموراً تتعلقُ بالشؤون الاجتماعية والتاريخية، وأسَّسوا أيضاً مكتبةً لبيعِ الكُتبِ بأثمانٍ قليلةٍ، والغرضُ من ذلك اجتلابِ الزبائن، ومحادثتهم أثناء البيع.

□ وبعدَ ثلاثِ سنواتٍ فقط تَسَنَّى للمبشرين أن يتوصَّلوا إلى النتائجِ

التالية:

الأولى: أنهم عَرَفوا أحوالَ البلاد، وأفكارَ المسلمين، وشُعورهم، وعواطفهم، وميولهم.

الثانية: أنهم حَصَلوا على ثقةٍ عددٍ من المسلمين بهم.

الثالثة: أن المبشرين تحقَّقوا أنهم بتظاهرهم في وِدَادِ المسلمين، وميلهم إلى ما تَطْمَحُ إليه نفوسهم من الاستقلال السياسي والاجتماعي والنشأة القومية، يمكنهم أن يدخلوا إلى قلوبهم.

ثم عَرَضَ أمينُ سرِّ المؤتمر اقتراحاً بتأسيس مدرسة جامعة تشترك فيها المؤسسات التبشيرية كلها؛ على اختلاف مذاهبها، لتتمكَّن من مزاحمة الجامع الأزهر بسهولة، وتتكفَّل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية، وقال: «إن في الإمكان مباشرة هذا العمل في دائرة صغيرة».

ثم اقترح أحدُ المندوبين في المؤتمر أن تُراجَعَ المؤلفات التي قَدَّمَ عليها العهد لإصلاحها، واستخدامها في تبشير المسلمين المتنورين، الذين اقتبسوا علومهم في المعاهد العصرية، مثل مدرسة أكسفورد وبرلين، وأشار إلى وجوب تخفيف اللهجة في المجادلات الدينية.

ثم بَحَثَ المؤتمرُ بعد ذلك في مسألة إرساليات التبشير الطبية، فقام المستر «هارير» وأبان عن وجوب الإكثار من الإرساليات الطبية، لأن رجالها يحتكُّون دائماً بالجماهير، ويكون لهم تأثيرٌ على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين.

ثم قام الدكتور «اراهارس» طبيب إرسالية التبشير في طرابلس الشام، فقال: إنه قد مرَّ عليه اثنان وثلاثون عاماً، وهو في مهنته التبشيرية عن طريق الطب، فلم يَفْشَلْ إلاَّ مرتين فقط، ذلك عَقِبَ مَنَعَ الحكومة العثمانية أو أحدِ الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضور إليه.

□ وأورد إحصاءً لزبائنه فقال: «إن (٦٨) في المئة منهم مسلمون،

ونصف هؤلاء من النساء».

□ ثم قال: «يجب على طيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا في لحظة واحدة أنه مبشرٌ قبل كل شيء، ثم هو طيبٌ بعد ذلك».

ثم تكلم المبشرُ الطيبُ الدكتور «تبانى»، وذكر الصعوبات التي يلقاها الطيبُ في التوفيق بين مهنتي التبشير والطب، كما حدث معه هو، إلا أن ما بذله من الجهود قد أعانه على النجاح، حتى تمكن من تأسيس مستشفى التبشير عن طريق التبرعات، وكان أول متبرع لهذا المستشفى التبشيري رجلاً من المسلمين.

□ وخطب الأستاذ «مبسون» بعد ذلك، فتحدث عن فضل الإرساليات الطبية، ومما قاله: «إن المرضى والذين يُنازعهم الموت بوجهٍ خاصٍّ لا بدَّ لهم من مراجعة الطيب، وحسن أن يكون هذا الطيبُ في جانب المريض حينما يكون في حالة الاحتضار، التي لا بد أن يبلغها كلُّ واحدٍ من أفراد البشر».

□ ثم خطبت المبشرة «أناوستون»، فتحدثت عن إرسالية التبشير الطبية في مدينة طنطا قائلة: «إن ثلاثين في المئة من الذين يُعالجون في مستشفى هذه الإرسالية، هم من الفلاحين المسلمين، وأكثرهم من النساء».

وتحدث المؤتمر عن الأعمال النسائية في التبشير، وكان لهذا الأمر اهتمامٌ كبير من قبل الأعضاء؛ لأنه خاصٌّ - كما قالوا - بنصفِ مُسلمي العالم.

□ فقالت المبشرة «ولسون»: «إن النساء المبشرات يستعن في الهند بالمدارس وبالعيادات الطبية، وزيارة قرى الفلاحين، لينشرن أفكارهن بين طبقات الناس».

ثم حَتَّتِ الْمَبْشُرَةُ «هلداي» على الرفقِ بِالْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ .

□ ثم تناوَبَ الْحَدِيثَ عِدَّةً مِنْ لِمَشْرَاتٍ، فَتَحَدَّثَتْ عَنْ نِجَاحِهِنَّ فِي الْمَنَاطِقِ الَّتِي انْتَدَبْنَ لِلتَّبْشِيرِ فِيهَا، وَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: «إِنَّ الْمُسْلِمَاتِ الْفَارْسِيَّاتِ يُظَهَرْنَ مِيلاً شَدِيداً لِلْعِلْمِ، بِالرَّغْمِ مِنْ جَهْلِهِنَّ بِاتْسَاعِ نِطَاقِهِ، وَهَنْ يَعْتَقِدْنَ أَنَّ الَّذِي يَعْرِفُ جُغْرَافِيَةَ الْبِلَادِ نَابِغَةٌ» .

□ ثم انتقل المؤتمرُ إلى بحثِ مَوْضُوعِ «تربية النساء اللاتي يتطوعن للتبشير» . . وناقش المؤتمرُ بعد ذلك بعضَ وسائلِ التبشيرِ الْحَكِيمِ، فَعَرَضَ الْمَبْشُرُ الْقَسِيسُ «هاريك» على المؤتمرِ نَتَائِجَ أبحاثِهِ الَّتِي أَجْرَاهَا فِي بِلَادِ السُّلْطَنَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، فَكَانَ مِمَّا عَرَضَهُ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ تُرْجَى مِنْ اسْتِخْدَامِ وَسِيلَةِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْجِدْلِ الَّتِي وَضَعَهَا الْمَبْشُرُ الدُّكْتُورُ «فاندر»، وَذَكَرَ أَنَّ نَشْرَ الْكُتُبِ التَّبْشِيرِيَّةِ بِدُونِ مَنَاقِشَةٍ أَوْ مِجَادَلَةٍ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ وَأَعْمُ نَفْعاً، وَقَالَ: «إِنَّ الْجِدْلَ وَالْمُنَاطَرَةَ يُبْعِدَانِ الْمَحَبَّةَ لَتِي لَهَا وَقَعٌ كَبِيرٌ عَلَى قُلُوبِ الْأَغْيَارِ . . فَاَلْمَحَبَّةُ وَالْمِجَامَلَةُ هُمَا آلَةُ الْمَبْشُرِ؛ لِأَنَّ طَرِيقَ الْاِعْتِقَادِ غَايَتُهُ دَائِمًا هِيَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ» .

وَأَكَّدَ الْمَبْشُرُ «هاريك» على أنه يجبُ على الْمَبْشُرِ أَنْ يَتَحَلَّى بِمَبَادِيِ الدَّعْوَةِ الَّتِي يُبْشِرُ بِهَا، قَبْلَ أَنْ يُعْنَى بِالْأُمُورِ النَّظَرِيَّةِ .

□ ثم عَرَضَ الْمَبْشُرُ الْقَسِيسُ «ثرونتن» على المؤتمرِ بعضَ النِّظَرِيَّاتِ الْأُولِيَّةِ فِي أَسَالِيْبِ التَّبْشِيرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَنْتَجَ مِنْهَا الْقَوَاعِدَ التَّالِيَةَ:

القاعدة الأولى: يجبُ على الْمَبْشُرِ أَنْ لَا يُبْشِرَ نِزَاعًا مَعَ مُسْلِمٍ .

القاعدة الثانية: يجبُ على الْمَبْشُرِ أَنْ لَا يُحَرِّضَ الْمُسْلِمَ عَلَى الْمَوَافَقَةِ وَالتَّسْلِيمِ بِالْمَبَادِيِ الَّتِي تَخَالِفُ دِينَهُ إِلَّا عَرَضًا، وَبَعْدَ أَنْ يَشْعُرَ الْمَبْشُرُ بِأَنَّ

الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توافرت في ذلك المسلم .
القاعدة الثالثة: إذا حدث سوء تفاهم حول المبادئ التي يدعى المسلم إلى الاعتقاد بها، فيجب أن يُزال في الحال، ولو أفضى الأمر إلى ترك المناقشة.

□ ثم أكد أسقف «لاهور» ضرورة استخدام الوسائل اللينة في التبشير، فكان مما رآه ما يلي:

- ١ - أن المبشر الذي يعدُّ نفسه لمجادلة المسلمين في أمور الدين، يجب أن تتفوق فيه الصفات الخلقية والاستقامة التامة على المزايا العقلية.
- ٢ - أن يكون صحيحَ الجمالة، وأن يضعَ الأملَ بالفوزِ على خصمه نُصبَ عينيه.

ثم أبدى استنكاره لقسوة التعاليم القديمة، وأنها كانت ترمي إلى التغلب على العدو، لا إلى اكتساب مودته.

□ ثم قال: «ويظهر لي أن كثيراً من إخواننا المبشرين يريدون أن يُبشروا الناس برشقهم بالحجارة».

□ وختم كلامه بقوله: «يجب على المبشر أن يتدرَّع بالصبر والسكينة، وأن يكون حاكماً على عواطفه إلى الغاية القصوى، وأن لا يُخالج نفسه أقلَّ ريب في أنه هو الذي سيفوز».

□ ثم انتهى المؤتمر، وختمه رئيسه المبشر «زويمر» فقال: «إن انعقاد هذا المؤتمر كان بالتقريب نتيجة لأعمال «شبان التبشير المتطوعين»، أما البحث في أحوال العالم الإسلامي وتبشيره، فقد سبق الخوض فيه في مؤتمر

وَأُحَمَّدًا... إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

«كفلند»، وهذه الخريطة التي نراها أمامنا الآن موسومةً باسم «خريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر» قد بعثت الأمل في قلوب ألوفٍ من الطلبة في مؤتمر «ناشفيل» الذي انعقد في شهر فبراير (شباط) الماضي (أي: من سنة ١٩٠٦م)، والتبشير متوقفٌ على وجود زُمرةٍ من المبشرين المتطوعين الذين يقفون حياتهم ويضحونها في هذا السبيل».

ثم ختم كلامه راجياً أن يكون لندائه صدئى في المدارس والجامعات في أوروبا وأمريكا.

٢ - مؤتمر «إدنبرج» التبشيري:

في شهر أيلول (سبتمبر) من سنة (١٩١٠م) انعقد مؤتمر «إدنبرج» التبشيري، وكان للمسائل الإسلامية حظٌ كبيرٌ من مداولات أعضائه، وقد تفرغت فيه لجنتان من أهم لجانه للبحث في أمر الإسلام والمسلمين، وكيفية القيام بمهام التبشير بينهم.

□ وقد نُشرت أعمال هذا المؤتمر في تسع مجلدات، وتحدثت ثلاث مجلات تبشيرية عن بعض ما جرى فيه من بحوث، وهي:

١ - «مجلة الشرق المسيحي» التابعة لجمعية التبشير الشرقية الألمانية.

٢ - «مجلة العالم الإسلامي» التبشيرية الإنكليزية.

٣ - «مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية» التابعة لجمعية التبشير في

«بال» بسويسرا.

□ وقد جاء في مجلة «العالم الإسلامي» الفرنسية التبشيرية لدى حديثها عن هذا المؤتمر: «وأعمال مؤتمر إندبرج لم تكن حبراً على ورق، بدليل أن المؤتمر الاستعماري الألماني الذي عُقد عقب مؤتمر إندبرج التبشيري اهتم بأمر إرساليات التبشير الجرمانية، حتى خيل إلى الناس أن هذا المؤتمر الاستعماري السياسي تحول إلى مؤتمر تبشيري ديني».

ونشرت «مجلة الشرق المسيحي» التابعة لجمعية التبشير الشرقية الألمانية مقالة بقلم الميستر الألماني «فون لبيوس» تحت عنوان «دخول التبشير العام في طور جديد»، ذكر فيها أهمية مؤتمر إندبرج الذي أبان عن ارتقاء في أعمال المبشرين، وقد حضر في هذا المؤتمر مئتان ألف مندوب، منهم بعض كبار السياسيين في دول عالمية كبرى.

واقتبس صاحب هذه المقالة من مستندات مؤتمر «إندبرج» أن عدد جيش المبشرين البروتستانت قد بلغ (٩٨٣٨٨) ثمانية وتسعين ألفاً وثلاثمائة وثمانية وثمانين، تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها خمسة ملايين ونصف المليون، يُضاف إلى ذلك أعداد كثيرة أخرى من رجال ونساء وطلاب وأساتذة وأطباء وممرضات وغيرهم.

وقد كان هذا كله في سنة (١٩٠٢م)، ومن يقارن بينه وبين ما وصل إليه إحصاء العاملين في مهمات التبشير سنة (١٩١١م) يلاحظ ارتقاءً باهرًا؛ لأن عدد إرساليات التبشير العامة في هذه السنة قد بلغ (٣٨٣٨)، وأما الإرساليات التي هي في الدرجة الثانية، فقد بلغ عددها (٣٤٧١٩)، وعدد الأساتذة والتلاميذ قد بلغ مليوناً ونصف المليون تقريباً، ووصل عدد الجامعات والكليات إلى ثمانية وثمانين، وصار لدى المبشرين خمسمائة

واثنتان وعشرون مدرسةً دينيةً لتخريج المبشرين، هذا إلى جانب حشدٍ كبير من المدارس العليا والابتدائية والمستشفيات والصيدليات، ويُشرفُ على إرساليات التبشير نحو ألف جمعيةٍ ما بين جمعياتٍ عموميةٍ عاملة، وجمعياتٍ لإعانتها، وجمعياتٍ أخرى.

□ وجاء في «مجلة العالم الإسلامي» الإنكليزية التبشيرية التابعة لإرسالية البحرين ما يلي: «ومجلتنا تستحسن الاهتمام الشديد الذي أبداه مؤتمر «إدنبرج»، وستجتهد في متابعة البحث والمداولة في المسائل التي بحث المؤتمر فيها».

□ وقد نشرت هذه المجلة مقالةً بقلم المبشر المستر «تشارلس وطسون» تحت عنوان «العالم الإسلامي» قال فيها: «إن من الخطأ الحكم على مؤتمر «إدنبرج» بأنه لم يهتم بالمسائل الإسلامية. . فقد كان المؤتمر مؤلفاً من ثماني لجان، اختصت الأولى والرابعة منها بالتوسع في بحث المسألة الإسلامية، أما مهمة اللجنة الأولى، فهي أن تبحث في المسائل الإسلامية من الوجهة الخارجية، وفي إيجاد ميدانٍ عامٍّ مشتركٍ لأعمال المبشرين، واختيار خطة الهجوم والغارة، وتقرير هذه اللجنة يتضمن إحصاءً متعلقاً بالمسلمين وعددهم ومبلغ ارتقائهم في كل قطر؛ ثم تناولت اللجنة البحث في الأمور الاجتماعية الإسلامية التي تُمهّد السبيل لتحويل المسلمين عن دينهم، فحضت جمعيات التبشير على توسيع نطاق التعليم الذي يُشرف عليه المبشرون، وحصرت قراراتها بجُمليتين اثنتين:

□ وقد جاء في الجملة الثانية منهما ما يلي: «إن المسائل الإسلامية في

الشرق على الخصوص صار لها مكان هام في أعمال المبشرين، عقب الانقلابات التي حدثت في بلاد الدولة العثمانية وفارس، ولذلك أصبح من مقتضيات الظروف أن تقوم إرساليات التبشير بعمل ينطبق على المسائل الإسلامية.

□ وقالت اللجنة الثالثة في تقريرها: «اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأروبيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية، يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها».

وتداولت اللجنة الخامسة في كيفية تعليم المبشرين وتربيتهم، وألححت على ضرورة تعليم الذين يقومون بالتبشير في البلاد الإسلامية دين الإسلام ولغة البلاد.

□ وجاء في تقرير اللجنة الثامنة قولها: «الأمر الذي لا مرية فيه أن المهمة الصعبة التي يقوم بها المبشرون في البلاد الإسلامية لم تظهر في غاية الصعوبة إلا لأنه يعسر على جمعية تبشير واحدة أن تقوم بها، ولكن وحدة العمل ستكون أحسن وأسرع حل لهذه المعضلة في إكمال مهمة التبشير».

□ وتحديث «مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية» التابعة لجمعية التبشير في مدينة «بال» بسويسرا عن مؤتمر «إدنبرج» في سلسلة مقالات، ومنها مقالة بقلم المبشر «شلاثار»، وجاء فيها ما يلي: «ولما انتهت اللجنة السابعة من أعمالها قال «اللورد بلفور» رئيس الشرف: «إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً

من العقبات ، وعلى هذا فنحن في حاجةٍ إلى لجنةٍ دائمةٍ يناطُ بها التوسطُ والعملُ لِمَا فيه مصلحةُ المبشرين» ، فأجيب «اللورد بلفور» إلى اقتراحه ، وتألّفت لجنةٌ مختلطةٌ ، ولجنةٌ لمواصلةِ العملِ»^(١) .

* نتائج مؤتمر «إدنبرج» :

وعلى إثر انتهاء أعمالِ مؤتمر «إدنبرج» تألّفت لجنةٌ لمواصلةِ الأعمالِ التي بدأ بها ، وانبثق عن هذه اللجنة فروعٌ كثيرة ، بعضها للإحصائيات ، وبعضها للنشر والمطبوعات ، وبعضها للتربية والتعليم ، وآخرٌ لحسمِ المشكلاتِ بين المبشرين ، وفرعٌ خاصٌ لدراسةِ علاقاتِ المبشرين بالحكوماتِ (أي : الاستعمارية) ، كما خُصّصَ أحدُ الفروعِ لدراسةِ العقباتِ التي تحوّلُ دونَ التبشيرِ بين المسلمين .

وفي شهرِ أيار (مايو) من سنة (١٩١١م) اجتمعت لجنةٌ مواصلةِ أعمالِ المؤتمر ، وبحثت في طرائقِ التربية والتعليم التي ينبغي للذين يقومون بمهمةِ التبشير بين المسلمين أن يتبعوها ، وقرّرت أن تنتهزَ الفرصَ ، وتتفعّلَ بالظروفِ السانحة ، وأن تنشرَ مجلةً مشتركةً تصدرُ سنة (١٩١٢م) مرةً في كلِّ ثلاثةِ أشهرٍ .

□ وتقول مجلة «العالم الإسلامي» الإنكليزية التبشيرية : «إنَّ أوَّلَ ما يُنفَّذُ من قراراتِ مؤتمر «إدنبرج» إنشاءُ مدرسةٍ تبشيريةٍ مشتركةٍ بين كلِّ الفرقِ البروتستانتية ، وتكونُ خاصةً بتعليمِ مبشري الأقطار الإسلامية ، وهذه المدرسةُ يُحتفلُ بافتتحها في خريف سنة (١٩١١م) وتقبّلُ النساءَ والرجالَ ،

(١) وهذا يكشف لنا العلاقة الوثيقة بين التبشير والاستعمار .

وتُعلَّمُ فيها اللغةُ العربية والعلومُ الإسلامية، وتاريخُ الأوضاعِ الإسلامية، والأمورُ الاجتماعيةُ التي اقتبسها المبشِّرون من بلاد الإسلام، وسيكونُ لهذه المدرسةِ مكتبةٌ تحتوي على أمهاتِ الكتبِ العربيةِ وغيرِ العربيةِ المتعلِّقةِ بالإسلام.

٣ - مؤتمر «لكنو» التبشيري:

في مطلعِ سنة (١٩١١م) انعقدَ في الهندِ مؤتمرُ «لكنو» التبشيري، وتداول المؤتمرون أموراً كثيرةً تتعلقُ بالعالمِ الإسلامي، وكيفيةِ إحكامِ الخناقِ عليه، وتفكيكِ أواسِرِ وحدةِ المسلمين.

□ فكان ممن تكلمَ فيه المبشِّرُ القسيسُ «سيمون»، فتحدث عن فكرةِ الجامعةِ الإسلامية التي تُهيمنُ على الشعوبِ المسلمةِ في مختلفِ بلادِ الإسلام، ثم قال: «ولكنَّ عبثاً يَني هؤلاءِ آمالهم على الجامعةِ الإسلامية؛ لأنَّ التربيةَ غيرَ الإسلاميةِ قد انبثت في دمايهم بفضلِ مدارس التبشير».

□ وتحدَّثَ في المؤتمرِ المبشِّرُ الأستاذُ «مينهف» فكان مما قاله: «ينبغي لإرسالياتِ التبشير أن تحتكَّ بالمسلمين، وتتسلَّحَ بالمعدَّاتِ الكافيةِ لقتالهم، وأن لا تخشَى ذلك كما كانت تفعلُ حتى الآن، وينبغي لهم أن لا تكونَ أعمالهم لاهوتيةً فقط، بل ينبغي أن يَطْرُقوا أبوابَ الطبِّ والصناعةِ وكُلِّ الأعمالِ التي يتفوقُ فيها الأوربيُّ على الشرقي».

□ أما المبشِّرُ الأستاذُ «استوردُ كروفورد»، فقد علَّقَ في المؤتمرِ المذكورِ

أهمية كبرى لدى تبشير المسلمين على أسلوب التدرج والصبر، ثم قال: «إن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطراً من المدينة المسيحية، ويدخلونها في ارتقائهم الاجتماعي، وما دامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل؛ فإن الاستعداد لاقتباس المسيحية يتولد فيها من غير قصد منها».

وفي تقرير المبشر القسيس «ويلسون» ما يفصح عن أن «ويلسون» هذا لا يشك في أن التربية الغربية هي بمثابة قوة تنحل بها عرى الروابط الإسلامية.

□ وقال المبشر القسيس «جون تكل» في تقريره: «إن الوقوف على أسباب نمو الإسلام يُمهّد للحصول على وسائل توقيف تياره».

ثم أورد بعض مقترحات تتعلق بالاحتياجات التي يجدر بالمبشرين اتخاذها، وأهمها ضرورة زيادة القوى البشرية الاختصاصية.

□ أما القرارات التي دونها هذا المؤتمر التبشيري في محضر جلساته، فقد كان منها ما يلي:

١ - يُعقد المؤتمر مرة أخرى في القاهرة سنة (١٩١٦م)، وإذا طرأت أمور سياسية، أو أمور أخرى تحول دون اجتماعه في هذه المدينة، فيُعقد في لندن.

٢ - مؤتمر «لكنو» يوافق مؤتمر إرساليات التبشير الذي عُقد سنة (١٩١٠م) على ضرورة حصر الجهود في القارة الإفريقية، دون أن تُمسّ الجهود التي تُبذل في البلاد الأخرى.

ولذلك فهو يرى أنه يجدر بالجمعيات التبشيرية، أن تتكاتف وتتعاصد لكي تؤلف سلسلة قوية من إرساليات التبشير، تطوف كل إفريقيا، وتؤسس مراكز قوية في الأماكن التي هي موطن الخطر.

ويجب أن يكون إخراج هذه الفكرة إلى حيّز الفعل موضع بحث أهم وأوسع مما كان في السابق، سواء من جهة تربية المبشرين، أو من جهة حسن اختيارهم، الأمر الذي يُحتم اتخاذ التدابير بلا تأخير لإتمام المشروعات التي بوشربها.

٣ - ويرى المؤتمر أنه من الضروري العاجل تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير، تكون عامة لكل الفرق البروتستانتية، ويشدد بلزوم التدقيق التام في انتقاء المبشرين الأكفاء الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية، وبلزوم تعليمهم اللغة العربية بوجه خاص.

٤ - مؤتمر القدس التبشيري:

كان القسيس الدكتور «صمويل زويمر» رئيس إرسالية التبشير في البحرين منذ مقدمه إلى الشرق في أوائل القرن العشرين، إلا أن نشاطه التبشيري الزائد وسعيه لعقد مختلف المؤتمرات التبشيرية، جعله يرتقي في المراتب بين المبشرين، حتى صار رئيس المبشرين في الشرق، وحتى صاروا يُلقبونه بـ «الرسول المختار إلى العالم الإسلامي»، أي: حامل رسالة تحويل المسلمين عن دينهم.

فمن المؤتمرات التبشيرية التي دعا إليها هذا القسيس: مؤتمر «القدس»

الذي تم انعقاده برئاسته في نيسان سنة (١٩٣٥م) إبَّانَ الاحتلالِ البريطاني لفلسطين .

وبعد أن شرح أعضاء المؤتمر العقباتِ الكثيرةَ التي اعترضت سبيلَ المبشرين، والتي لم تَسْمَحْ لهم بأن يُخْرِجُوا المسلمين عن دينهم، ويدخلوهم في المسيحية، وبعد أن خَطَبَ كثيرٌ منهم خُطْبَهُم اليائسة، قام «زويمر» رئيس المؤتمر، وألقى على المؤتمرين الخطبة التالية^(١) : «أيها الإخوانُ الأبطال، والزملاءُ الذين كَتَبَ اللهُ لهم الجهادَ في سبيلِ المسيحية، واستعمارها لبلادِ الإسلام، فأحاطتكم عنايةُ الرَّبِّ بالتوفيقِ الجليلِ المقدَّس، لقد أدَّيْتُمُ الرسالةَ التي نِيَطت بكم أحسنَ أداءٍ، ووَفَّقْتُم لها أسمى توفيق، وإن كان لِيُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ - مع إتمامِكُم العملَ على أكملِ الوجوه -، لم يَفْطِنُ بعضُكم إلى الغايةِ الأساسيةِ منه، إنني أُقِرُّكم على أن الذين دَخَلُوا من المسلمين في حظيرةِ المسيحيةِ لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتُم أحدَ ثلاثة :

- إما صغيرٌ لم يكن له من أهله مَنْ يَعْرِفُهُ ما هو الإسلام .
 - أو رجلٌ مستخفٌّ بالأديان لا يبغي غيرَ الحصولِ على قُوَّتِهِ، وقد اشتدَّ به الفقر، وعزَّتْ عليه لُقْمَةُ العيش .
 - وَاخْرُ يبغي الوصولَ إلى غايةٍ من الغاياتِ الشخصيةِ .
- ولكنَّ مهمةَ التبشيرِ التي ندبْتُم دولَ المسيحيةِ للقيام بها في البلاد

(١) انظر كتاب «جذور البلاء» لعبدالله التل (ص ٢٧٥).

المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإنَّ في هذا هدايةً لهم وتكريماً، وإنَّما مهمتكم أن تُخرجوا المسلمَ من الإسلام، ليصبحَ مخلوقاً لا صلةَ له بالله، وبالتالي فلا صلةَ تربطه بالأخلاق التي تعتمدُ عليها الأممُ في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعةَ الفتحِ الاستعماريِّ في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلالَ الأعوامِ المئةِ السالفةِ خيرَ قيام، وهذا ما أهنؤكم عليه، وتُهنؤكم دولُ المسيحيةِ والمسيحيون جميعاً عليه كلَّ التهنئة.

لقد قبضنا - أيها الإخوان - في هذه الحِقبةِ من الدهرِ من ثُلثِ القرنِ التاسعِ عشرَ إلى يومنا هذا على جميعِ برامجِ التعليمِ في الممالكِ الإسلامية، ونشرنا في تلكِ الربوعِ مكامنَ التبشيرِ، والكنائسِ، والجمعياتِ، والمدارسِ المسيحيةِ الكثيرةِ التي تُهيمُنُ عليها الدولُ الأوربيةُ والأمريكيةُ، والفضلُ إليكم وحدكم أيها الزملاء.

إنكم أعددتُم له بوسائلِكُم جميعَ العقولِ في الممالكِ الإسلاميةِ إلى قبولِ السيرِ في الطريقِ الذي مهَّدتم له كلَّ التمهيد.

إنكم أعددتُم شباباً في ديار المسلمين لا يعرفُ الصلَّةَ بالله، ولا يريدُ أن يعرفها، وأخرجتم المسلمَ من الإسلام، ولم تُدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشءُ الإسلاميُّ طبقاً لما أَرادَه له الاستعمارُ، لا يهتمُّ للعظائم، ويحبُّ الراحةَ والكسل، ولا يُصرفُ همَّه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلَّم فللشهوَات، وإذا جمَعَ المالَ فللشهوَات، وإن تبوأَ أسمى المراكزِ فللشهوَات، ففي سبيلِ الشهواتِ وجودٌ بكلِّ شيء.

إِنَّ مَهْمَتَكُمْ تَمَّتْ عَلَى أَكْمَلِ الْوَجْهِ، وَانْتَهَيْتُمْ إِلَى خَيْرِ النَّتَائِجِ، وَبَارَكْتُمْ الْمَسِيحِيَّةَ، وَرَضِيْتُمْ عَنْكُمْ الْإِسْتِعْمَارَ، فَاسْتَمِرُّوا فِي أَدَاءِ رِسَالَتِكُمْ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ -بِفَضْلِ جِهَادِكُمُ الْمُبَارِكِ- مَوْضِعَ بَرَكَاتِ الرَّبِّ.

وبهذه الكلمات انتهت خطابه، وما أحسبُ هذا الخطابَ بحاجةٍ إلى أي تعليق عليه، ولكنني لستُ أدري ما هو هذا الربُّ الذي تُلتمسُ بركاته ثواباً على تضليل الناس، وإخراجهم من دينهم وعقائدهم بالله وبرسالته، وغمسهم بالشهوات والموبقات والردائل؟! .

* ويكفيني عن أيِّ تعليق قولُ الله تعالى في سورة «الجاثية/ ٤٥ مصحف/ ٦٥ نزول): ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقد بلغ القسيسُ «زويمر» الخامسة والثمانين، ومات سنة (١٩٥٢م) دون أن يظفرَ بما كان يصبو إليه، إلا أنه قد لقي عند ربِّه جهنمَ وبئسَ المصير، إذ كرس حياته لتضليل أهل الإيمان، وتحويلهم عن صراطِ الله.

٥- مؤتمرات أخرى:

وما يزال المبشرون يعقدون المؤتمرات لتطوير وتحسين وسائلهم لتنصير العالم الإسلامي.

□ ومن هذه المؤتمرات مؤتمرُ كنسي عُقد في ولاية «كولارادو» بأمريكا في عام (١٩٧٧م)؛ وموضوع هذا المؤتمر هو ما يلي: «العمل على اكتشاف

وتحديد المسؤوليات المسيحية في أمريكا الشمالية تجاه تنصير المسلمين .
 وهذا المؤتمر امتداداً لمؤتمراتٍ أُخرى عُقدت لهذا الغرض في «لوزان»
 عام (١٩٧٤م) بهدف تنصير شعوب العالم .
 وتمَّ اختيارُ المرشَّحين لهذا المؤتمر من المبشرين المهتمين بتنصير المسلمين .
 وكان الإحساسُ السائدُ بين المشاركين في المؤتمر أنه يجبُ تغييرُ طريقةِ
 العملِ الرئيسة وفقاً لوضعِ العالمِ الإسلاميِّ المعاصر؛ وأنه يجبُ قبولُ مبدأِ
 قُدرةِ الله وسيطرته وتحكُّمه ، لإزالة الشكِّ الذي لدى المسلمين الذي يرى أن
 العالمَ المسيحيَّ يُشجِّعُ بقوةٍ عمليةَ توجيهِ العالمِ الإسلاميِّ إلى العِلْمانية .
 ووافق المشتركون في المؤتمر على أنَّ الموقفَ المتشدِّدَ تجاهَ العالمِ
 الإسلاميِّ لن يُعينَ في عمليةِ تنصيرِ العالمِ الإسلاميِّ ، لذلك فهم يعتقدون
 أنه يجبُ العملُ على إيجادِ جوٍّ وُدِّيٍّ بينهما .

□ ومن مقررات هذا المؤتمر ما يلي :

- ١ - يجبُ بذلُ الاهتمامِ الكافي والتركيزُ بقوةٍ على زرعِ جالياتٍ
 مسيحيةٍ في قلبِ العالمِ الإسلاميِّ ، وهم سيحاولون بدورهم تطويرَ وإيجادَ
 وسائلَ منهجيةٍ جديدةٍ أكثرَ ملاءمةً عند تقديم الإنجيل للمسلمين .
 ويجبُ الاهتمامُ الشديدُ باستخدامِ الآياتِ القرآنيةِ ذاتِ الصلةِ بهذه
 الموضوعات ، وخاصةً في المراحلِ الأوليةِ لعمليةِ التنصير .
- ٢ - بناءُ وزرعُ الكنائسِ التي تهتمُّ بالمتنصرين ، والترتيباتِ الخاصةِ
 بهم ، والشعائرِ الدينية .

إلى غير ذلك من مقررات .

مجالات أنشطة المبشرين

١ - التحدي المباشر للإسلام عن طريق المناظرة لعلماء

المسلمين:

كان المجال الأول الذي بدأ به المبشرون (المنصرون) هو مجال التحدي المباشر للإسلام، عن طريق المناظرة لعلماء المسلمين.

وقد بدأ هذا التحدي القس «فاندر» أحد مؤلفي كتاب «ميزان الحق» عمدة المبشرين والمستشرقين في مناظراتهم للمسلمين.

وتصدى له في الهند الشيخ «رحمة الله الهندي» (الكيرانوي) (١٢٣٣ هـ) صاحب كتاب «إظهار الحق».

قامت بينهما مناظرة علنية في (١١ رجب سنة ١٢٧٠ هـ) الموافق لـ (١٠ نيسان ١٨٥٤ م) في مدينة «أكبر آباد آكره» إحدى مجالات النشاط التبشيري في الهند، وقد حضر هذه المناظرة ولاة المديرية، وموظفو الشكنة الإنكليزية من الإنكليز، وعدد كبير من أعيان البلد ووجهائه.

وقد أسفرت هذه المناظرة في يومها الأول عن اعتراف القس «فاندر» بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل.

وفي اليوم التالي تزايد عدد الذين حضروا المناظرة من الحكام الإنجليز والمسيحيين والهنادك والسيخ، وظهر ضعف القس «فاندر» في المناظرة وظهر تعنته.

وفي اليوم الثالث لم يعد القس إلى مجلس المناظرة التي لم تنته، وكان

كلّما علم بوجود الشيخ - رحمه الله - في مكانٍ غادره^(١) .
ثم عدل المبشرون عن مثل هذه المواجهة الصريحة، وانطلقوا في
المجالات الأخرى غير المباشرة .

٢ - مجال الخدمات الصحية :

وكان ذلك بتأسيس المستشفيات والمستوصفات التبشيرية، وتوجيه
الأطباء المتقّلين، والمستوصفات المتقلّة، وقد تحمّلوا في ذلك مشقات
الدخول في أصعب الأماكن الإفريقية، وغيرها .
وقد وجّهوا اهتمامات كبرى لتنصير المسلمين في مجال خدماتهم
الطبية، في معظم بلدان العالم الإسلامي الكبرى والصغرى، واستثمروا
مؤسساتهم الطبية استثماراً اقتصادياً واسعاً مع قيامهم بمهمّات التنصير .

٣ - مجال تأسيس الكنائس والأديرة والرهبنات :

وذلك في كل بلد إسلامي يوجد فيه نصارى، ولو لم يتجاوزوا عدد
أصابع اليدين، لتكون هذه المؤسسات الدينية بؤرةً للتنصير، ومسوّغاً
للادعاءات المستقبلية بحقوق تاريخية في بلاد المسلمين .

٤ - مجال تأسيس المدارس :

وذلك في المرحلة دون المرحلة الجامعية التي هي من اختصاص
المستشرقين، وقد أسسوا في هذا المجال مدارس كثيرة في بلدان العالم

(١) انظر ما كتبه الشيخ «أبو الحسن الندوي» في مجلة البعث الإسلامي بعددها الممتاز رمضان
وشوال من سنة (١٤٠٢هـ) .

الإسلامي، مِنْ دُورِ الحِصَانَةِ حَتَّى شَهَادَةِ الدِّرَاسَةِ الثَّانَوِيَّةِ، وَاتَّقَنُوا بِنَاءَهَا وَنِظَامَهَا، وَاجْتَذَبُوا إِلَيْهَا أَعْدَادًا هَائِلَةً مِنْ أَبْنَاءِ وَبَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا إِخْرَاجُ أَجْيَالٍ مُتَنَكِّرَةٍ لِدِينِهَا، وَأُمَمَتَهَا، وَأَوْطَانِهَا، تَابِعَةٌ لِلغَرْبِ، مُتَشَبِّهَةٌ بِذِيُولِ الحِضَارَةِ الأُورِيبِيَّةِ وَبِرِيقِ أَلْوَانِهَا، مَعَ مَا فِيهَا مَعَ انْحِلَالٍ وَفَوْضَى خُلُقِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ، دُونَ الأَخْذِ بِعَوَامِلِ النِّهْضَةِ المَادِّيَّةِ الحَقِيقَةِ.

وَمِنِ الأَمْثَلَةِ عَلَيَّ ذَلِكَ: مَا تَكشِفُهُ الإِحْصَائِيَّاتُ عَنِ وُجُودِ قُرَابَةِ (١٤٠) مَدْرَسَةٍ طَائِفِيَّةٍ وَأَجْنِبِيَّةٍ فِي الأَرْدَنِ فِي السَّبْعِيَّاتِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ المِيلَادِيِّ الجَارِي، وَعَدَدُ الطُّلَّابِ وَالتَّالِمَاتِ فِيهَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا، مَعْظَمُهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ وَبَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَالمُعَلِّمُونَ وَالمُعَلِّمَاتُ فِيهَا مَعْظَمُهُمْ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ.

٥ - مَجَالُ الخِدْمَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ:

كُدُورِ الأَيْتَامِ، وَالعَجَزَةِ، وَالأَرَامِلِ، وَالمَطْلُوقَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

٦ - مَجَالُ العِلَاقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ:

فَمِنْ ذَلِكَ الصَّلَاتُ الوُدِّيَّةُ الشَّخْصِيَّةُ وَالصَّدَاقَاتُ وَالزِّيَارَاتُ العَائِلِيَّةُ، وَالعِلَاقَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ وَالاِقْتِصَادِيَّةُ وَالثَّقَافِيَّةُ المُخْتَلِفَةُ، وَاتِّخَاذُ هَذِهِ الأُمُورِ وَسِيلَةً لِإِفْسَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ.

٧ - اسْتِغْلَالُ الأَزْمَاتِ وَالكَوَارِثِ الفَرْدِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ:

وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ بِتَصِيدِ اللِّقْطَاءِ وَالمُشْرَدِّينَ وَالمُشْرَدَّاتِ وَأَصْحَابِ الأَزْمَاتِ المُخْتَلِفَةِ مِنْ أَبْنَاءِ وَبَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ فَقَدُوا أَهْلِيهِمْ فِي

الحروب، والفتن، والمجاعات، والكوارث الطبيعية، والأزمات الأخرى، وإيوائهم لتنصيرهم.

ومن أمثلة ذلك: الحملات المكثفة التبشيرية لتنصير أطفال المسلمين اللاجئين في الصومال، التي نشرت الصحف عنها في عام (١٤٠٢هـ).
والحملات التبشيرية لتنصير أطفال لاجئي الأفغان في باكستان، الذين فرّ بهم أهلهم، خوفاً عليهم من التدمير الشيوعي الأحمر، وقد نُشر عنها في عام (١٤٠٣هـ).

وهذه الحملات تأتي تحت قناع هيئة «الصليب الأحمر».

وكذلك الحملات التبشيرية لتنصير أطفال من إندونيسيا، ليكونوا إذا كبروا مبشرين بالنصرانية بين ذويهم، وقد أسموا هذا المشروع بمشروع «الأسر البديلة».

وحصل ما هو أشنع من ذلك في أطفال المسلمين اللبنانيين، وذلك في الفتن السياسية التي قامت بين الطوائف اللبنانية المختلفة، في السبعينات، وأوائل الثمانينات من القرن العشرين الجاري، إذ كانوا يلتقطون ليؤخذوا إلى معسكرات وملاجئ التنصير، أو إلى القتل.

ونشرت الصحف أن بعض النصارى اللبنانيين باعوا ألفين من أطفال المسلمين في لبنان إلى المؤسسات التنصيرية في أوروبا وأمريكا.

ونشرت الصحف أيضاً ما يُثبت أن هناك منظمات سرية يُشرف عليها قساوسة لشراء أطفال من أبناء المسلمين، بغية أخذهم إلى معسكرات التنصير.

٨ - تأسيسُ الإذاعات :

وهي الإذاعاتُ الخاصةُ بالدعوةِ إلى النصرانية، ونشرِ الإنجيلِ بصورةِ علنيةٍ ظاهرة، أو بصورةٍ خفيةٍ متوارية.

□ ومن هذه الإذاعات :

١ - إذاعة «مونت كارلو».

٢ - إذاعة «صوت الغفران».

٣ - إذاعة «مركز النهضة».

٤ - إذاعة «قبرص» في نيقوسيا.

٥ - إذاعة «فييا» بجمهورية السيشيل في المحيط الهندي.

٩ - توزيعُ المطبوعات والنشورات الداعية إلى النصرانية :

وذلك بيئها بين صفوفِ المسلمين، مقرونًا بالأساليب الودية، والوعد بتلبية المطالب.

والمبشرون بالنصرانية يستغلون إمكاناتهم الواسعة المادية والعلمية والبشرية، لطبع ملايين الكتب، والرسائل، والنشورات، وتوزيعها بين المسلمين.

ومع ما لديهم من أموالٍ وفيرة، تُحوَّل إليهم فوائد ودائع المسلمين في البنوك الغربية، الذين يُودعون أموالهم فيها، ولا يأخذون فوائدها الربوية، وهم بذلك قد ساعدوا أعداء الإسلام بأموالهم مرتين.

١٠- الإغراء بين الجنسين:

وذلك بتصيد الشباب عن طريق الفتيات الحستاوات المرضيات بصدقاتهن الخاصة، والأسرات للنفوس، والباذلات أجسادهن ولو بطرق محرمة.

١١- تأسيس الجمعيات والمنظمات والنوادي:

ومن مجالات أنشطة المبشرين بالنصرانية، الجمعيات والمنظمات والنوادي ذات النشاط الاجتماعي أو الأدبي أو الثقافي، أو الفني أو الرياضي. □ ومن هذه المنظمات ما يلي:

١- منظمة «نداء الرجاء» بمدينة «شتوتكارت» الألمانية.

٢- منظمة «بعثة الصداقة» التي لها فروع في لبنان، وهولندا، وألمانيا، وفرنسا، وأمريكا.

٣- منظمة «مركز الشبيبة النصراني» ومركزها الرئيسي بألمانيا الغربية، ومؤسسها «فالتر فاشرمان» الألماني الجنسية. . إلى غيرها من المنظمات.

١٢- المساعدة على افتتاح أكبر عدد ممكن من دور الخمر:

وقد تم ذلك في بلدان العالم الإسلامي، لنشر معاقرة الخمر بين المسلمين.

وقد لاحظ المتبعون في السودان أن الكنيسة والمؤسسات التبشيرية وراء تعطيل أي مشروع لتحريم الخمر، فعندما أعلن مجلس منطقة أم درمان تحريم بيع الخمر، قامت الكنيسة بمعارضة ذلك، واضطرت، ودفعت

الأموال الطائلة لتعطيل تنفيذ القرار.

١٣ - الاهتمام بالمجتمعات الإسلامية النامية والنائية:

تهتم حركات التنصير بالمجتمعات النائية والنامية، والتي تكثر فيها الأمية، ویتشر فيها الفقر والمرض، لاستغلال حاجاتهم والبؤس الذي يعانون منه، الأمر الذي قد يسهل عليهم بيع دينهم لتحصيل الغذاء والدواء والكساء، والعمل الذي يحصلون عن طريقه أرزاقهم. ويقنع المنصرون بمن يتنصر طمعاً بتأمين حاجاته، لا عن إيمان بالنصرانية، ولا عن اعتقاد بصحتها.

١٤ - استغلال أشرطة «الكاسيت»:

واستخدمت حركات التنصير - مع انتشار آلات التسجيل على نطاق واسع في العالم - طبع أشرطة «الكاسيت» وحشوها بما يريدون بثه من أفكار، وتوزيعها في مجالات أنشطتهم.

١٥ - تأسيس منظمات سرية تعمل في الخفاء:

ومن أمثلة هذه المنظمات السرية ما أعلنته الصحف السودانية في أواخر السبعينات من أن سلطات الأمن السودانية اكتشفت خلية سرية تعمل في الخفاء لبث الدسائس والأفكار المعادية للإسلام، والداعية إلى النصرانية، وذلك إذ داهمت هذه السلطات وكر خلية من خلايا هذه المنظمة في «الخرطوم» العاصمة السودانية.

وزعيم هذه الخلية طيب سويسري يعمل في «الخرطوم»، وهي تابعة لمنظمة دولية مركزها في «بازل» بسويسرا، ولهذه المنظمة فروع في ألمانيا،

والنمسا ولبنان .

وحين تَمَّت مدهامةُ هذا المركزِ عُشرِ علي (٢٠٠) ألف كتابٍ من الكتبِ المعادية للدين الإسلامي، والمحرفَةِ له، والمشوِّهةِ لصورتهِ الحقيقيةِ، والداعيةِ إلى الردَّةِ عنه .

وضُبطت فيه أيضاً كمّياتٌ كبيرة من الأشرطة التي سُجِّلت فيها موضوعاتٌ وأحاديثٌ مناوئةٌ للإسلام، وبعضها يشتملُ على تلاواتٍ شبيهةٍ بالتلاواتِ القرآنيةِ - وهي ليست قرآناً - بل معاديةً ومناقضةً له، بُغيةً تضليلِ عوامِّ المتتمين إلى الإسلام في إفريقيةٍ وغيرها، حيث الجهلُ بالإسلام منتشر .

وذكرت الصحفُ السودانيةُ أنّذٍ أن رئيسَ هذه المنظمةِ هو الألماني «فالتر فشرمان»، وأنه كان قد بعثَ بخطابٍ إلى الطبيبِ السويسريِّ مديرِ الخليةِ في «الخرطوم» يدعو فيه إلى تكثيفِ النشاطِ للحدِّ من المدِّ الإسلامي .

١٦ - مجالُ المسابقاتِ بأنواعها :

ومن هذه المسابقاتِ الإعلانُ عن مسابقاتٍ عن طريقِ المراسلة، ومضامينُ هذه المسابقاتِ تتطلبُ التعرفَ على موضوعاتٍ يُهمُّ المبشِّرينَ التعريفُ بها .

وتُرصدُ لهذه المسابقاتِ جوائزٌ ماديةٌ وعينيةٌ قيِّمة، بُغيةً شدِّ انتباهِ الناسِ إليها، وتحريكِ مطامعِ ذوي المطامعِ للمشاركةِ فيها .

١٧ - تأليفُ الكتبِ :

وهي الكتبُ المعدةُ لتكونَ مراجعَ للبحوثِ الدينية، ومنها الكتبُ

التالية :

- ١ - «مِيزَانُ الْحَقِّ» مُؤَلَّفٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ .
- ٢ - «تَنْوِيرُ الْأَفْهَامِ، فِي مَصَادِرِ الْإِسْلَامِ» .
- ٣ - «الْهَدَايَةُ» مُؤَلَّفٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ .
- ٤ - «مَقَالَةٌ فِي الْإِسْلَامِ» .
- ٥ - «الْبَاكُورَةُ الشَّهِيَّةُ فِي الرِّوَايَاتِ الدِّينِيَّةِ» .
- ٦ - «دَعْوَةُ الْحَقِّ» .
- ٧ - «أَصُولُ الْإِيمَانِ» .
- ٨ - «الصَّلِيبُ فِي الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ» .
- ٩ - «دِينُ الْمَسِيحِ لَمْ يَنْسَخْ» .
- ١٠ - «شَخْصِيَّةُ الْمَسِيحِ فِي الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ» .

١٨ - مَجَالُ الْفَنَادِقِ الْعَالِمِيَّةِ الْكُبْرَى :

وَذَلِكَ بِاسْتِغْلَالِ الْفَنَادِقِ الْعَالِمِيَّةِ الْكُبْرَى ذَاتِ الْفُرُوعِ فِي مُعْظَمِ عَوَاصِمِ الْعَالَمِ، وَدَسَّ مَا يُمْكِنُ عَنْ طَرِيقِهَا مِنْ غَزْوِ تَبْشِيرِيٍّ صَلِيبِيٍّ، وَسُلُوكٍ غَرْبِيٍّ يَخْدُمُ مَصَالِحَ الْإِسْتِعْمَارِ الْغَرْبِيِّ، وَيُحَوِّلُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَفَاهِمِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنْوَاعِ سُلُوكِهِمُ الْإِسْلَامِيَّ .

١٩ - اسْتِخْدَامُ الْأَسْوَاقِ الْمَجْمُوعَةِ «السُّوْبَرِ مَارَكْت» :

يَتِمُّ ذَلِكَ بِاسْتِغْلَالِهَا لِتَرْوِيجِ مَا يَخْدُمُ أَفْكَارَ الْغَزَاةِ، وَيُشَجِّعُ عَلَى مَحَارَسَةِ أَنْوَاعِ سُلُوكِهِمْ وَطَرَائِقِ حَيَاتِهِمْ .

٢٠ - إنشاءُ معاهدٍ لإعدادِ المنصرِّين المتخصِّصين بتنصيرِ

المسلمين:

مثل: «معهد صمويل زويمر» الذي أنشئ في شمال «كاليفورنيا»، وقرروا إنشاءَ معهدٍ آخرَ، ورصدوا له مليارَ دولارٍ أمريكي.

وهنالك مجالاتٌ كثيرةٌ أخرى قائمة، أو يمكن أن تتفتقَ أذهانُ أعداءِ الإسلامِ لاستخدامها.

التأزرُّ بين المبشِّرين والمستعمرين

١ - تابعت مخططاتُ المبشِّرين الهادفةُ إلى محوِ الإسلامِ من الوجودِ، وتمزيقِ وحدةِ المسلمين، واتَّسعت دوائرُ أعمالِهِم وملاحقتِهِم للإسلامِ في كلِّ بلدٍ اتساعاً كبيراً، ولكنهم لم يظفروا بكلِّ ما يُريدون تحقيقه داخلَ المجتمعاتِ الإسلامية، عن طريقِ أعمالِهِم ونشاطاتِهِم الخاصةِ المنفصلةِ عن الحكوماتِ الاستعمارية، فلجؤوا إلى هذه الحكوماتِ يلتمسون منها العونَ والتأييدَ المالي والسياسي والعسكري.

فراَت الدولُ الاستعماريةُ جيوشَ المبشِّرين كَنزاً ثميناً لها، فقررت أن تُدعِّمها في أهدافِها التبشيرية، لتستخدمها في الأهدافِ الاستعمارية.

وقد كان المبشِّرون الذين يَفِدُّون إلى البلادِ الإسلامية، يأتون أولَ الأمرِ متستَّرين بأسماءٍ مختلفة، فإذا استقرُّوا في البلادِ أخذوا يَقومون بالتبشيرِ على مقدارٍ وسعِهِم، فإذا وجدوا من الدولِ الإسلاميةِ مراقبةً لهم وتدمراً من

أعمالهم وملاحقة لتصرفاتهم لجؤوا إلى قناصلهم طالبين حمايتهم، وكان المسؤولون في القنصليات الأجنبية يدافعون عنهم ويحمونهم بوصفهم من رعاياهم، وكلما ضعفت الدول الإسلامية إمام نفوذ الدول الأجنبية زادت هذه الدول في دعم المبشرين داخل البلاد الإسلامية، وفي حمايتهم وتأييدهم.

ومن أمثلة ذلك: لَمَّا أَرَادَ الخديوي «إسماعيل باشا» أن يُغلقَ مدارسَ المبشرين البروتستانت في مصر؛ لأن هؤلاء كانوا يتدخلون في السياسة، ويثيرون الاضطرابات في البلاد، ويزيدون مشاكل الحكومة، تدخلت في الأمر قنصليتان تابعتان لأكبر دولتين يومئذ، فأيدتا المبشرين، وحملتا الحكومة المصرية على أن تتقيد بالخط الهمايوني (أي: بالدستور) الذي ينص على احترام الحرية الدينية، علماً بأن احترام الحرية الدينية لا يتعارض مع الأمر بإغلاق مدارس تبشيرية أجنبية، تحاول أن تَعَبَثَ بعقائد المسلمين وتُخْرِجَهُم عن دينهم، ولكن سياسة دعم المبشرين هي التي حرّضت الدول الأجنبية على أن تتدخل لصالح التبشير هذا التدخل السافر.

٢ - ويكشف سياسة التآزر بين المبشرين والمستعمرين ما جاء في الكتاب المثوي للمبشرين اليسوعيين، بعد أن أُمسَتْ سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وهو قولهم: «أجل، لقد كنا نَعْتَمِدُ على مساعدة فرنسا الظاهرة، والآن ها هي فرنسا هنا».

٣ - وفي المؤتمر الذي أقامه المبشرون على ظهر الباخرة «غالف» في البحر الأحمر، صرّح حاكم إفريقيا الشرقية: بأنه يجب على الحكومة وعلى

المبشرين أن يشتركوا في العمل ضد الإسلام.

٤ - وفي سبيل مؤازرة المبشرين للدول الاستعمارية المتربّصة، أخذ المبشرون يفتعلون داخل البلاد الإسلامية الأسباب التي تقود إلى الحرب؛ لأن الحرب ستضعف الدول الإسلامية، ومن خلال ذلك يجد المبشرين منافذ واسعة لهم، كي يقوموا بمهمة التبشير بين المسلمين على ما يحبون، ويحاول المستعمرون من جهتهم تحقيق أهدافهم الاستعمارية، بينما يحاول المبشرون تحقيق أهدافهم التبشيرية.

وهذا ما أعطى الحروب التي كانت تُشن ضد العالم الإسلامي صفةً دينيةً صليبيةً، بما في ذلك الحروب التي شنتها الدول الأوروبية على الحكومات الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

□ يقول المبشر «لورانس براون»: «وكذلك شنت الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين حروباً عدوانيةً على الحكومات المسلمة، ثم انتزعت منها أراضٍ ضمتها إلى سلطانها هي، ولقد كانت النتائج في أحوال كثيرة غير سارة لبعض الشعوب التي استعبدت، وخصوصاً من المسلمين، ولكن هذه الشعوب لم تصل بعد إلى درجة تشعر فيها بأنها أصبحت أقليات مضطهدة».

□ ويقول «وليم كاش» في كتاب صغير له: «قبل هذه التطورات التي طرأت على العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى، كان المبشرون قد اتخذوا مراكز استراتيجية في العالم الإسلامي، واستطاعوا في أثناء الثورات والحروب والاضطرابات أن يتابعوا عملهم بهدوء وثبات، ولقد

كُتِبَ هَذَا الْكِتَابُ الصَّغِيرَ لِيَدُلَّ عَلَى هَذِهِ التَّطَوُّرَاتِ الَّتِي حَدَثَتْ، وَلِيُبَيِّنَ لِلْكَنَائِسِ تِلْكَ الْحَاجَةَ الْمُلْحَةَ لِلتَّقَدُّمِ بِمَشْرُوعِهَا فِي يَوْمِ الْفُرْصَةِ السَّانِحَةِ». .
 وَقَبْلَ أَنْ يَحْتَلَّ الاستعمارُ الإِيطَالِيُّ «إِرْتْرِيَا» اسْتَعْدَمَ الطَّلِيَانُ الْمَبْشِرَ الطَّلِيَانِي الْأَب «سَابِيْتُو» لِيَتَعَ لِهِمْ «عَصَب» مِنَ الْأَرِيْتَرِيِّينَ، فَفَعَلَ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الْبَدَايَةُ لِلَاِحْتِلَالِ الاستعماري .

وَكَذَلِكَ كَانَتْ لِلْمَبْشِرِينَ أَدْوَارٌ كَثِيرَةٌ مِمَّاثِلَةٌ فِي التَّمْهِيدِ لِلاستعمارِ، كَمَا كَانَ لِلدُّوَلِ الاستعماريةِ أَدْوَارٌ كَثِيرَةٌ فِي مَسَاعِدَةِ الْمَبْشِرِينَ وَمُؤَاذَرَتِهِمْ وَحَمَايَتِهِمْ لَهُمْ، وَخُطُّطُ الْعَمَلِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يُكْمَلُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

٥ - وَنَجِدُ الْآنَ بَعْدَ اسْتِقْلَالِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الاستعمارِ الْمَبْشِرِ، نَشَاطًا كَبِيرًا لِلْمَبْشِرِينَ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةٍ مِنَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا النِّشَاطُ تُدْعِمُهُ الدُّوَلُ الاستعماريةِ الْكَبْرَى، مِنْهُ نَشَاطُ الْمَبْشِرِينَ فِي إِفْرِيقِيَّةِ، وَنَشَاطُ الْمَبْشِرِينَ الْكَبِيرِ فِي إِنْدُونِيْسِيَا، إِذْ تَتَزَايَدُ فِيهَا الْإِرْسَالِيَّاتُ التَّبْشِيرِيَّةُ تَزَايَدًا كَبِيرًا.

نَشَرَتْ صَحِيفَةُ «وَاشَنْطِن بُوْسْت» فِي عَدَدِهَا الصَّادِرِ فِي (٧/٩/١٩٧٣م) تَعْلِيْقًا بِعَنْوَانِ: «تَعَاظُمُ التَّنْصِيرِ فِي إِنْدُونِيْسِيَا» أَشَارَتْ فِيهِ إِلَى اِزْدِيَادِ عَدَدِ الْكَنَائِسِ فِي أَوْسَاطِ إِنْدُونِيْسِيَا الْمُسْلِمَةِ.. وَذَكَرَتْ أَنَّ «جَاوَه» - وَهِيَ أَكْثَرُ الْجُزْرِ اِزْدِحَامًا بِالسَّكَّانِ، إِذْ تَبْلُغُ نِسْبَةُ عَدَدِ سَكَّانِهَا (٦٥٪) مِنْ مَجْمُوعِ سَكَّانِ إِنْدُونِيْسِيَا - أَصْبَحَتْ تَرَبَةً صَالِحَةً لِنَشَاطِ الْإِرْسَالِيَّاتِ التَّبْشِيرِيَّةِ، وَقَدْ تَضَاعَفَ عَدَدُ كُنَائِسِ الْبُرُوتِسْتَانْتِ وَالْكَاثُولِيْكَ فِي «جَاوَه الْوَسْطَى وَالشَّرْقِيَّة» إِلَى أَرْبَعَةِ أَضْعَافٍ مَا كَانَ عَلَيْهِ.. وَيَبْلُغُ عَدَدُ أَعْضَاءِ كَنِيسَةِ «جَاوَه الشَّرْقِيَّة» وَحَدَهَا (٢١٠٠٠) وَاحِدًا وَعَشْرِينَ أَلْفَ

شخص . . ورغم ما يواجه رجال التبشير في بعض المناطق الإسلامية من مقاومة وإعراض، إلا أنهم بالإغراء المادي المسيحي استطاعوا أن يتغلبوا على هذه المصاعب.

□ وقالت الجريدة: «إنه توجد في إندونيسيا الآن جريدتان إحداهما للبروتستانت، والأخرى للكاثوليك».

□ وقالت: «إن المسيحيين الذين تبلغ نسبتهم (٥٪) من مجموع سكان البلاد يسيطرون على بعض المرافق».

وأعدت الصحيفة إلى الأذهان أن طلائع البعثات التبشيرية دخلت إندونيسيا في عام (١٥٠٠م) مع البرتغاليين الذين استعمروا جزر البهارات . . وقد استمرت الحملات التبشيرية وبعثاتها تتوالى على البلاد في مختلف العهود التي مرت بها^(١).

ومع تزايد النشاط التبشيري في إندونيسيا أخذت الأموال تتدفق عليها من دول الغرب ومن أمريكا بالذات، ومعظم هذه الأموال لخدمة أهداف المبشرين الرامية إلى تنصير الشعب المسلم في إندونيسيا.

٦ - وما يدلُّ على أن التبشير تمهيدٌ للاستعمار ومقدمةٌ له، ما جاء في خطاب القسيس «زويمر» الذي ألقاه في مؤتمر القدس التبشيري، الذي سبق بيانه، إذ قال فيه للمؤتمرين: «وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح

(١) مقتبس من مقال كتبه الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، نشر قسم منه في جريدة أخبار العالم الإسلامي، العدد ٣٥٣ في ٢٤/١٠/١٣٩٣ هـ.

الاستعماري في الممالك الإسلامية».

□ ويقول المبشر «لورنس براون» - وهو أحد أقطاب المبشرين في العالم -:
«... ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع
والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي».

□ وتقول مجلة «العالم الإسلامي» الإنكليزية: «إن شيئاً من الخوف
يجب أن يُسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب، منها: أن
الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل هو دائماً في ازديادٍ
واتساع، ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أركانه الجهاد، ولم
يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً».

٧ - ويكشف سياسة التآزر بين المبشرين والمستعمرين ما جرى في

المؤتمر الاستعماري الألماني.

فقد نشرت «مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية» التابعة لجمعية
التبشير في مدينة «بال» بسويسرا مقالة ذات شأنٍ عن موقف إرساليات
التبشير في المؤتمر الاستعماري الألماني، ومما يزيد في أهمية هذه المقالة أنها
مكتوبة بقلم المبشر «م. ك. اكسفلد» صاحب التقرير عن الفرع المختص
بالإسلام في المؤتمر الاستعماري المذكور، وهو أيضاً أمين سر جمعية التبشير
في برلين.

□ قال صاحب المقالة: «إن المؤتمر الاستعماري امتاز بمزيتين:

الأولى: أنه بحث في الشؤون الصناعية والاقتصادية.

الثانية: إجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلى

الأعمال الأخلاقية والدينية في سياسة الاستعمار الألماني .
 واستشهد بقول «شنگال» رئيس غرفة التجارة في «همبرغ» : «إنَّ نموَّ
 ثروة الاستعمار متوقفٌ على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات ،
 وأهمُّ وسيلة للحصول على هذه الأمانة إدخال الدين المسيحي في البلاد
 المستعمرة ؛ لأن هذا هو الشرطُ الجوهرِيُّ للحصول على الأمانة المنشودة ،
 حتى من الوجهة الاقتصادية» .

ثم حَضَّ «اكسفنلد» على تقدير عمل المبشرين ، وإحلاله في محلِّه
 اللائق به ، وعندما أخذ المؤتمر الاستعماريُّ يبحثُ في أعمالِ فرعهِ الرابعِ
 الخاصِّ بالمسألة الإسلامية ، أفاض المبشرون المشتركون في المؤتمر ، وتوسَّعوا
 في القول ، حتى خيَّلَ للجميع أن المؤتمر الاستعماريُّ تحوَّل إلى مؤتمر تبشيري .

□ وجاء في قرارات المؤتمر الاستعماري المذكور ما يلي : «إن ارتقاء
 الإسلام يُهدِّدُ نموَّ مستعمراتنا بخطرٍ عظيم ، ولذلك فإن المؤتمر الاستعماريُّ
 ينصحُ الحكومةَ بزيادة الإشرافِ والمراقبة على أدوارِ هذه الحركة» .

والمؤتمر الاستعماريُّ - مع اعترافه بضرورة المحافظة على خُطَّةِ الحِيادِ
 تماماً في الشؤون الدينية - يُشيرُ على الذين في أيديهم زمامُ المستعمراتِ أن
 يقاوموا كلَّ عملٍ من شأنه توسيعُ نطاقِ الإسلام ، وأن يُزيلوا العراقيلَ من
 طريقِ انتشارِ المسيحية ، وأن يتفَعوا من أعمالِ إرسالياتِ التبشيرِ التي تُبثُّ
 مبادئَ المدنيَّةِ ، خصوصاً بخدماتهم التهذيبيَّةِ والطبيَّةِ .

ومن رأيِ المؤتمر «أن الخطرَ الإسلامي يدعو إلى ضرورة الانتباه لاتخاذ
 التدابير - من غيرِ تسويقٍ - في كلِّ الأرجاء التي لم يصل إليها الإسلامُ بعد» .

□ وجاء في خطابِ ألقاه الأستاذ «باكر» أحدُ أعضاءِ المؤتمرِ الاستعماري الألماني: «إنَّ السِّياسَةَ التي يَنْبَغِي الجريُّ عليها في معاملةِ المسلمين، تُحْتَمُّ علينا وَضَعُ خُطَّةٍ جديدةٍ في مَجْرَى سِياسَةِ حُكومتنا... والمبشرون هم الذين اختصُّوا وحدهم بالاهتمامِ بأمرِ الإسلام، والبحثِ في شؤونه في كلِّ مستعمراتنا الألمانية إلى هذه الأيام الأخيرة... وأنا لا أرى أن تَظَلَّ الحالةُ على ما هي عليه، بل من رأيي أن تَتَقَلَّ أزمَةُ السِّياسَةِ الإسلاميَّة منذُ الآن وبعد الآن إلى يدِ الحكومةِ في مستعمراتنا، ويجبُ على حُكومتنا في هذه الخطة الجديدة التي أُشير إليها أن تَسْتَعينَ بالوجهةِ الوطنيَّة لا بالوجهةِ الدينيَّة، كيما تتوصَّلُ إلى مقاصدها».

□ ثم قال: «وأنا أقرُّحُ على حُكومتنا أن تَضَعُ خُطَّةً موطَّدةَ الأركان في الأمور الآتية:

الأول: في الخُطَّةِ العامَّةِ للنظامِ الإداريِّ والدينيِّ.

الثاني: في علاقةِ الشرعِ الإسلاميِّ بالقوانين الأوربية.

الثالث: في نظامِ التعليمِ».

□ ثم خَتَمَ خطابه بقوله: «يجبُ علينا بالرغم من العنايةِ برعايةِ الإسلام أن نهتمَّ بمقاومةِ انتشاره في مستعمراتنا على قَدْرِ الإمكان، وليس هنالك غيرُ واسطةٍ واحدةٍ توصلُّنا إلى هذه الغاية، وهي إنشاءُ مراكز ثابتةِ الأركان، كما تفعلُ إرساليات التبشير».

٨ - ويكشفُ سياسةُ التآزرِ بين المبشِّرين والمستعمرين ما قاله القسُّ

اليسوعي «مببوز» في معرض حديثه عن سياسة فرنسا الدينيَّة في الشرق: «إنَّ

الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر، لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه، ولقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح الحرب الصليبية، وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها، وكان من غايات الامتيازات الأجنبية دائماً أن تحتفظ فرنسا بالدور الذي يلعبه رهبانها، وقد اعترفت لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى، وكثيراً ما اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين»^(١).

٩ - ويكشف سياسة التآزر بين المبشرين والمستعمرين الكتاب الذي أصدرته لجنة التبشير الأمريكي، والتي تهتم بالاستفادة من الحروب في أعمال التبشير في عام (١٩٢٠م).

□ وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب: «من أبرز الأمور المتعلقة بدخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى، أن الآراء والمبادئ التي كانت تهدف إليها الإرساليات التبشيرية، قد تبنتها الآن الأمة الأمريكية، ثم أعلنت أنها هي أهدافها الأخلاقية، وغاياتها من خوض تلك الحرب، إن هذه المبادئ التبشيرية قد سميت الآن أسماء سياسية فقط»^(١).

(١) أخذاً مما نقله الطاهر المعموري في بحثه الذي تحدّث عنه عبدالله الرفاعي في جريدة المسلمون (العدد: ٦٣) تاريخ (١٠-١٦) شعبان ١٤٠٦هـ.

الأموال التي تُجمع للتصير مع إعداد المنصرين ووسائل التنصير

(١) إينا «نيويورك»: ذكرت مجلة أمريكية أن ما تمّ جمعه خلال العام الماضي من تبرّعاتٍ لأغراضٍ كنسيّةٍ من غربٍ أوروبياً وشمالٍ أمريكا بلغ (١٥١) بليون دولار، وذلك لتمويل النشاط الكنسيّ في إفريقية، ولدى المؤسسات التنصيرية (١٩٠٠) محطة إذاعةٍ وتلفزيون، ولديهم أربعة ملايين وعشرون ألفاً منصرّاً متفرّغاً، وأربعمئة مجلةٍ دوريةٍ مسيحية^(٢).

(٢) وجاء في مقال كتبه: «د. كامل الدقس»^(٣): «إن مجلس الكنائس العالميّ رصد (١٣٠) بليون دولار أمريكي لتنصير قارة آسيا وأفريقية، وقد رصدوا لجزيرة «جاوة» وحدها بليون دولار، لكي تكون مسيحيةً بحلول سنة (٢٠٠٠م)، وقد جمع «بيل جراهام» زعيم البروتستانتين في أمريكا بليوناً من دولاراتٍ أمريكيّ لتمويل مشروعاته التنصيرية في إفريقية وآسيا؛ ولدى الفاتيكان ميزانيةٌ ضخمةٌ للتصير، قدّرها بعض الاقتصاديين بأنها تجعل من العالم الثالث أغنى دول العالم»^(٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) نقلاً عن إحدى صحف المملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: جريدة «الندوة» العدد (٩٣٨٦) الخميس ٩/٥/١٤١٠هـ.

(٤) انظر: «أجنحة المكر الثلاثة» (٨٩: ١١٨) للعلامة عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني.

* ولنختم أخيراً بهذا الخبر: «بيت الساحر»:

□ قال الشيخ عمر سليمان الأشقر - حفظه الله -: «في حديقة عامة في مدينة «روما» في إيطاليا مبنى مسجد يُشبهُ مساجدَ المسلمين، كُتِبَ عليه «بيت الساحر»، لم يُبْنَ لتقام فيه الصلاة، ويرتفع من مئذنته صوتُ المؤذّنِ منادياً إلى الصلاة والفلاح، ولكنه شُيّد للصدّ عن دينِ الله، وتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

تدخلُ ذلك المبنى الذي دُعي بـ «بيت الساحر»، فلا تخطو خطوة إلا قبالك أمرٌ مُفزعٌ مرعبٌ مصنوعٌ بطريقةٍ سحرية، وهكذا يرتبطُ اسمُ المسجدِ بالسّحرِ والسّحرة، حتى تنفّر نفوسُ الذين لا يعرفون حقيقةَ المسجدِ ورسالتِهِ من كلِّ مسجد، فيصدُّ الناسُ عن الهداية والرشاد.

ولم يكتفِ مُشيدو هذا المبنى بمثلِهِ بالحيلِ السّحريةِ المرعبة، بل نصّبوا فوقه صوراً ثلاثة أشخاصٍ صنّعوا ليتحرّكوا في دائرة، صورة امرأةٍ عربية، يتبعها عبدٌ، وخلفهما عربيٌّ يمسكُ بسوطٍ غليظٍ ملاحقاً المرأةَ والعبدَ ليهويَ عليهم بسوطه.

وفي البناء الذي سمّوه «بيت الساحر» مئذنةٌ، تُفتحُ فيها نافذةٌ بين الفينة والفينة لتبرزَ من خلالها صورةُ امرأةٍ عربيةٍ جميلة.

إنها مشاهدٌ يرادُ لها أن تغرسَ في نفوسِ مشاهديها صوراً مشوهةً للمسلمين، فالغربيون الذين جعلوا المرأةَ سلعةً يُداسُ عفافُها باسم «الحرية والحضارة والرقى» يسمّون المسلمين بظلم المرأة!!.

والغربيون الذين لا يزالون بين الفينة والفينة يقيمون أعراساً حمراً لكلِّ من كان لونه أسوداً، يعيروننا بأننا نقهرُ ونسرقُ الجنسَ الأسود!!.

والمرأة في المثذنة صورة يُراد لها أن تُقرَّر في نفوس من يُشاهدونها أن المرأة تَعيشُ في الأغلال والقيود، فلا يؤذَنُ لها أن تخرج إلى سعة الحياة. لقد حاولتُ أن أعترضَ لدى القائمين على ذلك المبني، ونقلتُ تألّمي لإحدى السفارات الإسلامية مطالباً تدخلهم لإيقاف هذا الباطل، ولا أدري هل لا يزال «بيت الساحر» يقوم بدوره في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، أم أنه أُوقِفَ وأزيل، فقد كانت رؤيتي له من عشر سنوات تقريباً.

لقد وصل الغربيون إلى مراحل متقدمة في تشويه صورتنا في عقول الذين لا يعرفوننا، وبخاصة شبابهم الذين يخشون عليهم من الإسلام. وقد اطلعتُ في الوقت الذي شاهدتُ فيه ما دَعَوَه «بيت الساحر» في مجلة «العربي» الكويتية في عددها (٣٦٤) مارس ١٩٨٩ على مقال كتبه الأستاذ «عبدالرحمن حمادي» تحدّث فيه عن تشويه صورة الإسلام في نفوس الناشئة عن طريق الأفلام التي تُبدلُ فيها الأموال والجهود الهائلة لتحقيق هذا المقصد الخبيث.

وقد تحدّث الأستاذ «عبدالرحمن» عن ثلاثة أفلام من هذا النوع، الأول منها يسمى بـ «القط الطائر».

□ يقول الأستاذ في حديثه عن هذا الفيلم: «أذكرُ أنني في بيروت بقيتُ أسبوعاً أحاولُ الدخولَ للصالة التي تُعرضُ فيلم «القط الطائر»، وما نجحتُ إلا بالحصولِ على بطاقةٍ من السوق السوداء؛ ولقد ذهلتُ حينما اكتشفتُ أنني أمام أحدِ أسوأ الأفلامِ عدائيةً وتشويهاً لصورة العربي.

الفيلمُ من إنتاج شركة «مترو غولدن ماير» الشهيرة، وهو موجهٌ للأطفال والناشئة أساساً، بيد أنه بتقنياته وطرافة موضوعه يجعلُ الكبار

- قبل الصغار - يتسابقون لمشاهدته، ويتحدثُ عن قِطِّ صغيرٍ جميلٍ يأتي من كوكبٍ بعيدٍ - كلُّ سكَّانه من القِطط -، وهذا القِطُّ يملكُ قوةَ خارقةً في السيطرة على الأشياء، وذلك بسوارٍ مُعلَّقٍ في عنقه.

ويسعى عالمٌ أمريكيٌّ للاستفادة من السَّوارِ بعد أن يُقيمَ علاقةَ صداقةٍ مع القِطط، وهدفُ العالمِ الأمريكيِّ أن يحلَّ مُشكلةَ المجاعاتِ في العالمِ الثالث (لنلاحظ الصورة المشرقة للإنسان الغربي)، بيدَ أن عِصابةً خطيرةً تظهرُ فجأةً، وتُحاولُ السيطرةَ على السَّوارِ لتسيطرَ به على العالمِ، وهذه العِصابةُ تلبسُ اللباسَ العربيَّ التقليدي، وتتسلَّحُ بالسيوفِ المعقوفة، ويتخاطبُ أفرادها بأسماءِ إسلاميةٍ عربيةٍ «أحمد - محمد - جعفر»، لكن «لابدَّ للشرِّ العربيِّ أن يَنْهزم» - كما يقول الفيلم -، وذلك من خلال تصدِّي العالمِ الأمريكيِّ للعِصابةِ «المسلمة» وتدميرها.

إنه فيلم لا يذكر العربَ مباشرةً، ولكن من الواضح أنهم ما صنعوه إلا ليشوِّهوا من خلاله صورةَ العرب، وليُقنعوا أطفالهم وناشئتهم - قبل بالغيبم - أن الخطرَ في العالمِ مصدره العرب، وعلى الغربِ أن يسعى لتدميرِ هؤلاء العربِ قبل أن يدمروا العالمَ.

□ ويتحدثُ الكاتبُ عن الفيلم الثاني فيقول: «هو من إنتاج شركة «مترو غولدن ماير» أيضاً، يتحدثُ عن رحلةٍ علميةٍ لعلماءٍ أمريكيين في منطاد، ومعهم مساعدةٌ شقراءٌ جميلة، وفي رحلتهم يتعرَّضُ منطادُهم لِعُطلٍ، فيقعون في أسرِ جماعةٍ من المتوحِّشين آكلي لحوم البشر في إفريقيا، بيدَ أنهم بعدَ سلسلةٍ من المغامراتِ ينجحون في الهربِ بمنطادهم، وقد همَّ الأفاقةُ بطهيهم وأكل لحومهم.

ثُمَّ يَصِلُ بِهِمْ مِنْطَادُهُمْ إِلَى صَحْرَاءَ شَاسِعَةٍ، وَيُحَلِّقُ فَوْقَ مَدِينَةِ
إِسْلَامِيَّةٍ تَرْتَفِعُ فِيهَا الْمَآذِنُ بِكَثْرَةٍ، وَحِينَ يَرَى سَكَانَهَا الْمَنْطَادَ يَظُنُّونَهُ شَيْطَانًا
سَمَاوِيًّا، فَيَخِرُّونَ سَاجِدِينَ بَرُعَبٍ، وَيَهْرَعُ الْمُؤَذِّنُونَ لِلْمَآذِنِ يُكَبِّرُونَ
وَيَبْتَهَلُونَ لِلَّهِ أَنْ يَصُدَّ عَنْهُمْ هَذَا الشَّيْطَانِ .

وَيَهْبِطُ الْعُلَمَاءُ بِمَنْطَادِهِمْ لِيَتَزَوَّدُوا بِالْمُؤُونَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي
تَسْرَحُ فِيهَا الْجِمَالُ، وَيَعِيشُ سَكَانُهَا وَسَطَ الْقَاذوراتِ وَالْبَهَائِمِ، وَالَّذِينَ مَا
إِنْ يَطْمَئِنُوا إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْهَابِطِينَ عَلَيْهِمْ بَشَرٌ مِثْلَهُمْ، حَتَّى يَقُودَهُمْ إِلَى
أَمِيرِهِمْ فِي قَصْرِهِ الْكَبِيرِ .

وَالْأَمِيرُ الْمُسْلِمُ هَذَا مُحَاطٌ بِالْحَرِيمِ وَرِجَالِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَيَقْرَأُ
الْقُرْآنَ، وَيَرْتَكِبُ الْفَوَاحِشَ - هَكَذَا يَقُولُ الْفِيلْمُ -، وَمَا إِنْ تَقَعَ عَيْنَاهُ عَلَى
الْمُسَاعِدَةِ الشَّقْرَاءِ حَتَّى يَسِيلَ لُعَابُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَيُقَرَّرُ اغْتِصَابُهَا وَضَمُّهَا إِلَى
حَرِيمَةِ (النَّرَاجِعِ الْأَفْلَامِ الَّتِي حَلَّلَهَا الدُّكْتُورُ جَاكُ شَاهِينِ، وَكَيْفَ أَنهَا تُصَوَّرُ
الْعَرَبِيَّ شَبَقًا)، ثُمَّ تَدُورُ مَغَامِرَاتٌ يُجَابُهُ فِيهَا الْأَمْرِيكِيُّونَ سُكَّانَ الْمَدِينَةِ
الْمُسْلِمَةِ الَّذِينَ كَلَّمَا شَعَرُوا بِالْهَزِيمَةِ سَجَدُوا مُبْتَهَلِينَ لِلَّهِ أَنْ يَنْصُرَهُمْ، وَفِي
النَّهَآيَةِ يَنْجَحُ الْعُلَمَاءُ فِي إِنْقَازِ مُسَاعِدَتِهِمُ الشَّقْرَاءَ (بِالطَّيْرَانِ بِهَا)، وَقَدْ
أَوْشَكَ الْأَمِيرُ الْمُسْلِمُ أَنْ يَفْتَرِسَهَا .

إِنَّهُ فِيلْمٌ مَمْلُوءٌ حَقْدًا وَعُدْوَانِيَّةً عَلَى الْعَرَبِ، وَلَا يُوفِّرُ وَسِيلَةً فِي تَشْوِيهِ
الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مُصَوِّرًا إِيَّاهُمْ بِصُورَةٍ أَسْوَأَ بِكَثِيرٍ مِنْ صُورَةِ أَكْلِي لِحُومِ
الْبَشَرِ الْمُتَوَحِّشِينَ، وَخِلَافًا لِمَا عَهَدْنَا فِي هَذَا النُّوعِ مِنَ الْأَفْلَامِ، لَا يَنْتَهِي
الْفِيلْمُ بِتَدْمِيرِ الْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ، بَلْ يَتْرُكُهَا فِي مُحَاوَلَةِ إِقْنَاعِ نَاجِحَةٍ
لِلْمَشَاهِدِ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبَ خَطَرٌ قَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، يَجِبُ أَنْ تَتَكَاتَفَ الْجُهُودُ

لصدّه وإنهائه .

□ أما الفيلمُ الثالثُ فهو: «مغامرات في مصر» للثنائي «بود سبنسر» و«ترانس هيل»، حيث مغامراتهما الشيقةُ هذه المرةُ تدورُ على أرضِ «مصر»، وتبدأُ بهبوطهما في «مطار القاهرة الدولي» بكلِ حادثِهِ وحضارِيتهِ وسَعتهِ، ثم ينتقلانِ لمدينةِ «القاهرة» التي هي عبارةٌ عن خيمٍ وإبلٍ تسيرُ في شوارعِ صحراويةٍ، وأناسٌ بعباءاتهم العربيةِ التقليديةِ يُحاربون بالسيوفِ المعقوفةِ ويمتطون الإبل، ويهربون عند سماعِهِم أصواتَ الطلقاتِ الناريةِ من مسدسِ سبنسر وهيل !!» .

□ ويقولُ الأستاذُ «عبدالرحمن» في خاتمةِ مقاله: «وحتى أفلامُهُم التي تظاهروا فيها بالحياديةِ، لم يخرجوا فيها من أسْرِ نظرتِهِم العدائيةِ للعربِ، ومحاولاتِهِم الدائبةِ لتشويهِهم، كما في فيلمِ «عملية ميونخ»، فقد عُرضَ الفيلمُ في جميعِ الأقطارِ العربيةِ وفي «إسرائيل»، كفيلمٍ تحدّثَ بحياديةٍ عن «عملية ميونخ» الشهيرةِ، لكنَّ الحقيقةَ أنَّ الهمسَ استمرَّ على العربِ طوالَ مشاهدِ الفيلمِ بشكلٍ غيرِ مباشرٍ، قد لا ندركُهُ نحنُ العربِ، لكن يدركُهُ المشاهدُ الغربيُّ الذي هيأتهِ السينماُ الأمريكيةُ والغربيةُ بصورةٍ سابقةٍ عن العربِ، فقائدُ العمليةِ العربيُّ مثلاً حينما يفشلون بالتفاوضِ معه أو جعله يَلِينُ، يُرسلون له مضيضةً شقراءَ، وسرعانَ ما يَلِينُ أمامها، ويكادُ يستسلمُ لها وللمطالبِ التي تنقلُها . . ويعلنُ الفيلمُ مرةً أخرى أن العربيَّ لا يستطيعُ مقاومةَ شَبَقِهِ تُجاه الأنثى، وهي الصورةُ التقليديةُ عن العربيِّ في السينماِ الغربيةِ والأمريكيةِ» . (١)

(١) «جولة في رياض العلماء»، للشيخ عمر سليمان الأشقر (ص ١٢٣-١٢٧).

* دَعَاةُ السُّفُورِ وَالتَّبْرِجِ وَالإِبَاحِيَّةِ :

أُنكِي مَكِيدَةً ضِدَّ الحِجَابِ - وَهُوَ مِنْ ثَوَابِتِ هَذَا الدِّينِ الطَّاهِرِ - ،
وَنَزَعَاتُ شَيْطَانِيَّةٍ سَافِلَةٍ ، وَتَخَانِيثُ المَدِينَةِ الأُورُبِيَّةِ الشَّاذَّةِ ، وَمَدِينَةُ الدِّجَالِ
القَبِيحَةِ ، تُظَهِّرُ التَّبْرِجَ وَكَأَنَّهُ أَجْمَلُ الأَشْيَاءِ يَقُودُهَا شَيْطَانُ الإِنْسِ مِنْ أَقْرَامِ
التَّغْرِيْبِ ، وَأَبْوَابُ الإِفْرَاجِ التِّي :

تُرْمَرِمُ مِنْ فُتَاتِ الكُفْرِ قُوْتًا وَتَلْعَقُ مِنْ كُؤُوسِهِمُ الثَّمَالَةَ
تُقَبِّلُ رَاحَةَ الغَرِيبِ دَوْمًا وَتَلْتُمُ دُونَ مَا خَجَلِ نِعَالَهُ

□ شَيْطَانُ مِنْ شَيْطَانِ الإِنْسِ خَبِيْثَةٌ تَبْتَدِعُ فِكْرَةَ عَرَضِ الآثَامِ مَكْشُوفَةٌ
فِي أَجْسَامِهَا . . شَيْطَانٌ تَتَأَلَّى أَنْ تُفْسِدَ الآدَابَ الإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا بِفَسَادِ خُلُقِ
وَاحِدٍ ، هُوَ حَيَاءُ المَرَأَةِ .

□ كُلُّ مِنْهُمْ جَزَّارٌ يُرِيدُ أَنْ يَسْلُخَ المَرَأَةَ مِنْ ثِيَابِهَا لِيَمْضِيَ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ

إِلَى المَوَاحِيْرِ .

□ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الشَّيْطَانِ أَنْ يُحَوِّكُوا جَمَاعَةَ المُسْلِمِيْنَ إِلَى سَائِمَةِ تُسَامُ ،
وَقَطِيعِ مَهْزُوزِ اعْتِقَادِهِ ، غَارِقِ فِي شَهْوَاتِهِ ، مُسْتَغْرِقِ فِي مَلذَّاتِهِ ، مُتَبَلِّدِ فِي
إِحْسَاسِهِ ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا .

□ يُرِيدُ دُعَاةُ الفِتْنَةِ هَؤُلَاءِ أَنْ يَزْجُوا بِنِسَاءِ المُسْلِمِيْنَ إِلَى مَدَارِجِ الفِتْنَةِ

وَيَسْعَوْنَ إِلَى إِشَاعَةِ الفَاحِشَةِ وَنَشْرِهَا ، وَزَلْزَلَةِ نِقَاءِ الأَعْرَاضِ ، وَفَتْحِ أَبْوَابِ
الأَطْمَاعِ إِلَى اقْتِحَامِهَا بِدَعَوَاتِ آثَمَةٍ ، وَشَعَارَاتِ مُضَلَّلَةٍ تَرْفَعُهَا عَقُولُ
صَغِيرَةٍ ، وَأَفْكَارُ مَرِيضَةٍ لِمُخْتَثُونَ وَشَوَازِدُ يَدْعُونَ لِإِسْقَاطِ الحِجَابِ وَخَلْعِهِ ،
وَنَشْرِ التَّبْرِجِ وَالسُّفُورِ ، وَالعُرْيِ ، وَالخَلَاعَةِ ، وَالاخْتِلَاطِ .

□ يريدون أن يُخْرِجُوا المرأةَ المسلمةَ من طَهْرِهَا وَعِفَّتِهَا وَحَيَاتِهَا لِتُصْبِحَ
أُنْثَى مُتَرَجِّلَةً تَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ نَظْرَةَ الرَّجُلِ إِلَى الْأُنْثَى .

□ كَلِمَاتٌ شَيْطَانِيَّةٌ تَخْرُجُ كَأَنَّهَا فَحِيحُ الثَّعْبَانِ ، وَبَعْضُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ
هِيَ أُنْيَابُ الثَّعْلَبِ وَصَلَاةُ الثَّعْلَبِ حِينَ يَتَظَاهَرُ بِالتَّقْوَى أَمَا الدَّجَاةُ .

□ كَلِمَاتٌ خَادِعَةٌ تُقَالُ لِلْغَافِلَاتِ ، هِيَ أُخْتُ الْكَلِمَةِ الَّتِي تُقَالُ سَاعَةً
إِنْفَاذِ الْحُكْمِ لِلْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِالشَّنَقِ .

□ نُشِرَتْ صَحِيفَةٌ «المصري اليوم» يَوْمَ الْخَمِيسِ ١٦ نَوْفَمْبَرٍ تَحْتَ بَابِ
«قَضَايَا سَاخِنَةَ» لِلْمَحْرُورَةِ «فَتْحِيَّةُ الدِّخَاخِنِيِّ» تَصْرِيحَاتٍ لِفَارُوقِ حَسَنِ
وَزِيرِ الثَّقَافَةِ الْمِصْرِيِّ . . وَبَدَأَتْ الْمَحْرُورَةُ مَوْضُوعَهَا كَالتَّالِيِ : «اعتبر فاروق
حسني وزير الثقافة حجاب المرأة تأخرًا وعودةً للوراء، وقال في تصريح
خاص لـ «المصري اليوم»: «النساء بشعرهن الجميل كالورود التي لا يجب
تغطيتها وحجبها عن الناس» .

□ وَقَالَ : «الحجاب يعود بنا إلى الخلف وبسببه لن نتقدم، ومصر
المحروسة يجب أن تكف عن تقليد العرب - ربّما على اعتبار أننا أحفادُ
فراعنةٍ - ، لأن مصر - التي تخلفت بلبس الحجاب - كانت في وقتٍ من
الأوقات قطعةً من أوروبا!!» .

وَاسْتَرْسَلَ الْوَزِيرُ فِي تَصْرِيحَاتِهِ الَّتِي حَمَلَتْ مَعَانِيَّ أَنَّ الْحِجَابَ هُوَ
حِجَابُ الْقَلْبِ ، وَاللَّبْسُ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالتَّصْرِيفَاتِ ، وَالبِنَاتُ عَلَى الْكُورْنِيشِ
مَعَ الْأَوْلَادِ وَهُنَّ بِالْحِجَابِ ، وَأَنَّ الْجَرَائِمَ تُرْتَكَبُ الْيَوْمَ بِاسْمِ الْحِجَابِ
وَالنَّقَابِ ، وَسِنْغَافُورَةَ تَقَدَّمَتْ وَعَمْرُهَا مِئَةٌ سَنَةٍ فَقَطْ ، وَنَحْنُ تَخَلَّفْنَا

بسبب الحجاب^(١) .

□ وقال: «الدينُ الآنُ أصبحَ مرتبطاً بالمظاهرِ فقط، رغمَ أن العلاقةَ الإيمانيةَ بين العبدِ وربِّه لا ترتبطُ بالملايس . . . اعتقدُ أن الأمرَ ليست له علاقةٌ بالتقوى والورع، وإلاً فما تفسيرُ مشاهدةِ مناظرِ الشبابِ والبناتِ على الكورنيشِ وعددٍ كبيرٍ منهن محجَّبات . . . إن الجرائمَ اليومَ تُرتكبُ باسمِ النقابِ والحجابِ»^(٢) .

□ وقال: «العالمُ يسيرُ للأمام، ونحن لن نتقدَّم طالما بقينا نُفكِّرُ في الخلفِ، ونذهبُ لنستمعَ إلى فتاوىِ شيوخِ بـ (ثلاثةِ مليم)» .

□ واستطرد: «نحن عاصرنا أمهاتنا وتربينا وتعلَّمنا على أيديهنَّ عندما كُنَّ يذهبنَ للجامعاتِ والعملِ دون حجاب، فلماذا نعودُ الآنَ إلى الوراة؟»^(٣) .

□ وفي «الأهرام العربي» كان «موضوعُ الغلاف» في العدد (٥٠٥) الصادر في ٢٥/١١/٢٠٠٦ تحت عنوان «وزير الأزمات . . . ومشايخ التكفير . . .!!» جاء: «من جديد تُطلُّ على مجتمعاتنا العربية تلك الأفكارُ الشاردة، وكأننا على قدرٍ مع تلكِ الهمومِ الثقيلة . . . فهذا هو أقدمُ وزيرٍ بالحكومة المصرية «فاروق حسني» وزير الثقافة، رغمَ كِبَرِ سنِّه - ٦٨ عاماً، فهو من مواليد ١٩٣٨م - يُجدِّدُ أفكاره القديمةَ عن الحجابِ والزيِّ الإسلاميِّ

(١) جريدة «الأسبوع» العدد (٥٠٣) - ٢١ من شوال ١٤٢٧هـ - ١٣ من نوفمبر ٢٠٠٦م

(ص ٥) تحت عنوان «وزير الثقافة يسخر من الحجاب» للمحررة نفيسة عبدالفتاح .

(٢) جريدة «العربي» العدد (١٠٣٤) (ص ١٤) ١٩/١١/٢٠٠٦ .

(٣) المصدر السابق .

للمرأة رافضاً - مثلما رَفَضَ قديماً - تلك الحِشْمَةَ وذلك الوقارَ الذي تَرَبَّتْ عليه مجتمعاتنا التي تُعرفُ جيِّداً كلمة «العيب» .

وكأننا به من جديدٍ يُفجِّرُ أزمته القديمة حين ضحك هازئاً للمذيع على شاشة التلفزيون المصري منذ أكثر من عشرِ سنواتٍ مُعلِّقاً على سؤالٍ عن عدم زواجه قائلاً: «امرأة واحدة لا تكفي . . . وإن الفنان مثل الفراشة ينتقل من زهرة إلى زهرة . . . ، وبهذا المفهوم كثرت زهورُ الوزير وربما زهراته» .

□ وقولُ فاروق حسني إنكارُ معلومٍ من الدين بالضرورة وثابتٍ من ثوبت الإسلام، والحجابُ فرضٌ بالكتابِ والسنةِ وإجماعِ علماءِ الأمة .

□ وتبعه في مقالته كظيظٌ من زحامِ المعدومين المجهولين من أهلِ الرِّيبِ والفتنِ، المُستغربين المُسيرين بحملِ الأقلامِ المتلاعبِ بدينِ اللهِ وشرِّعه، يختالون في ثيابِ الصحافةِ والإعلامِ، وقد شَرَحُوا بالمنكرِ صدراً، فانبَسَطت ألسنتهم بالسوءِ، وجرتِ أقلامُهم بالسُّوأى، وجميعُها تلتئمُ على معنى واحدٍ: التطرفُ الجنوني في مزاحمةِ الفِطْرةِ، ومنازعةِ الشريعةِ، وجرُّ أذيالِ الرذائلِ على نساءِ المسلمين، وتفرغِهِنَّ من الفضائلِ، بدعوتهم الفاجرةِ في بلادِ الإسلامِ إلى التبرُّجِ والاختلاطِ و«خلعِ الحجابِ»، ونداءاتهم الخاسرةِ من كُلِّ جانبٍ بتفعيلِ الأسبابِ لخلعهِ من البقيةِ الباقيةِ في نساءِ المسلمين، اللائي أسلمنَ الوجهَ لله - تعالى - وسلَّمنَ القيادةَ للنبيِّ محمدٍ ﷺ .

(١) «الأهرام» العربي - العدد (٥٠٥) (ص ٤٢) بتاريخ ٢٥/١١/٢٠٠٦ .

(٢) جريدة «العربي» - العدد (١٠٣٤) (ص ١٤) .

□ وهؤلاء الرُّمَّةُ الغاشُونَ لِأُمَّتِهِمْ، المشؤومون على أهلِيهِمْ وبنِي جِنْسِهِمْ، بل على أَنفُسِهِمْ، قد عَظَمَتِ جَرَآءُتُهُمْ، وتلَوْنَ مَكْرَهُمْ بكلماتٍ تخرُجُ من أفواهِهِمْ، وتَجْرِي بها أَقلامُهُمْ؛ إذ أخذوا يهدِمُونَ في الوسائل، ويخترقون سدَّ الذرائع إلى الرذائل، ويتفحِّمون الفضائل، ويهوِّنون من شأنها، ويسخرون منها ومن أهلها.

□ كلُّ هذا البلاء المتناسل، واللغو الفاجر، وسَقَطِ القولِ المتأكلِ تفيضُ به الصحفُ حتى يَقِيلَ ذُوو الفَسَالَةِ المُستَغْرِبُونَ إلى هذه الغاية الأئمة: تفرنج المرأة.

□ وإذا خلع الحجاب فلا تسأل عن انكسارِ عيونِ أهلِ الغيرة، وتقلُّصِ ظلِّ الفضيلةِ وانتشارِ الرذيلة، والتحللِ من الدِّين، وشيوعِ التبرُّجِ والسُّقُورِ والتهتُّكِ والإباحيةِ بين الزناةِ والزواني وأن تَهَبَ المرأةُ نَفْسَهَا لِمَنْ تَشَاءُ. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

□ قال مجاهد: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ قال: الزناة، ﴿أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾، قال: يزني أهلُ الإسلامِ كما يزنون، قال: هي كهيئة ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَهَّنَ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

□ يريدون وأقعاً إباحياً أثيماً، وانتصاراً فاجراً للرذيلة، وتجاوزاً لحدود الله، وانتهاكاً لحُرْمَاتِ شرعه المطهر.

وإذا كان هؤلاء الذين في قلوبهم مرضٌ يابون إلاَّ الإعلانَ بهدمِ ثوابِ الدين، وإعلانِ المنكر، وهضمِ المعروفِ والصدِّ عنه، فلا بدَّ من كلمةٍ حقِّ

ترفعُ الضَّيْمَ عن نساءِ المؤمنين، وتدفعُ شرَّ هؤلاءِ المستغربينِ المُعتدينِ على الدينِ والأُمَّةِ، فلا بدَّ من صوتِ جهيرٍ بإحسانٍ يبلِّغُ الحاضرَ والباديَ، إقامةً لشعيرةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، الذي به يُنَافِحُ عن الدينِ، وَيُنصَحُ للمسلمين عن التردِّي في هُوَّةِ صيحاتِ العابثين، وبه تُحْرَسُ الفضائلُ، وتُكَبَّتُ الرذائلُ، ويؤخَذُ على أيدي السفهاءِ الأجراءِ المستغربينِ وأتباعِهِم الأجراءِ من سَدَجَةِ الفُسَّاقِ، أتباعِ كلِّ ناعقٍ الذين يُفوقون سِهَامَهُم لاستلابِ الفضيلةِ من نساءِ المؤمنين.

هؤلاءِ تعرَّوا من كلِّ فضيلةٍ، وعادوا رسولَ اللَّهِ ﷺ في الطعنِ في الثوابِ من دينه، فلزامٌ أن نُعرِّيَهُم ونفضَحَهُم.. والجزاء من جنس العمل.

□ مجلة «روزاليوسف» - ومعروفٌ توجَّهها البغيضُ الكارَةُ لثوابِ الإسلامِ، الساخرُ منها أبداً وعلى الدوامِ، الشانئُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ - يصدرُ عدُّها (٤٠٩٤) يتصدَّره عنوان «الإرهاب.. بالحجاب»:

- «حماستنا في الدفاع عن موقفِ فاروقِ حسني ضدَّ هجمةِ التطرُّفِ والتطاولِ عليه» بقلمِ رئيسِ التحرير (ص ٥).

- كيف تجرَّأ أحمدُ عمر هاشم وأعلن «دولةِ الحجاب» من قاعةِ كبارِ الزوَّارِ في مجلسِ الشعبِ (ص ١٢)؟ وانظروا إلى مقالِ عبدِ اللَّهِ كمالِ بروزاليوسف (٤٠٩٤): «إنَّ الاختلافَ مع الحجابِ له ما يُبرِّره.. وينبغي توضيحُه في النقاطِ التالية:

١ - في الذهنيةِ العامةِ، أنه تمَّ التخلُّصُ من الحجابِ في غضونِ سقوطِ دولةِ الخلافةِ العثمانيةِ، ومع صُعودِ المدِّ الحداثيِّ.. ومن ثمةِ فإنَّ العودةَ إليه

تُعِيدُ فِي الْأَذْهَانِ هَذِهِ الذِّكْرَى الْأَلِيمَةَ . . لِمَجْتَمَعٍ تَمَّ فِيهِ حَجْبُ النِّسَاءِ خَلْفَ سِتَارٍ بَعِيدٍ . . وَظَلَّتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ مَجْرَدًا جَارِيَةً أَوْ زَوْجَةً . . أَوْ كَأَيِّ كَمٍّ مَهْمَلٍ .

٢ - إن هناك مَنْ يَحَاوُلُ الرِّبْطَ بَيْنَ الْمَسْتَوَى الدِّينِيِّ لِلْمَرْأَةِ وَبَيْنَ مَا تَرْتَدِيهِ . . فِي حِينٍ أَنْ ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

٣ - إن الْحِجَابَ إِذَا كَانَ يُعَبِّرُ عَنِ التِّزَامِ دِينِيٍّ، إِلَّا أَنَّهُ زِيٌّ . . تَبْدُو لَهُ أَبْعَادٌ طَائِفِيَّةٌ . . لِأَنَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمِصْرِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْمِصْرِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الشَّكْلِ .

٤ - إن الدَّعْوَةَ لِلْحِجَابِ تُمَثِّلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ مَدْخَلًا إِلَى إِبْعَادِ الْمَرْأَةِ عَنِ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ . . وَتَقْوِيضِ مَشَارِكَتِهَا . . وَإِرْجَاعِهَا إِلَى الْوَرَاءِ .

٥ - الْقَوْلُ بِأَنَّ الْحِجَابَ فَرِيضَةٌ . . هُوَ أَمْرٌ خَطِيرٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ خِلَافٌ عَمِيقٌ حَوْلَ ذَلِكَ . . وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ فَرِيضَةٌ قَدْ يَدْفَعُ إِلَى عُنْفٍ وَتَوْتَرٍ إِذَا مَا رَأَى فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ يَنْبَغِي تَطْبِيقَ الْفَرِيضَةِ»^(١) .

□ روزاليوسف في حوارها مع وزير الثقافة المصري: «هل ترى في الفترة المقبلة أن الحجاب كقطعة قماش سيكون مقدسًا مثل علم الدولة لا يجوز الاقتراب منه؟»^(٢) .

□ وفي بيانٍ أصدَرَهُ ١١٣ من الكُتَّابِ وَالْفَنَّانِينَ وَالْمُتَّقِنِينَ قَالُوا عَنْ حَدِيثِ فَارُوقِ حَسَنِيِّ بِأَنَّهُ: «لَمْ يَخْرُجْ عَنْ كَوْنِهِ مَجْرَدَ رَأْيٍ شَخْصِيٍّ فِي

(١) انظر مقال عبدالله كمال «الإرهاب بالحجاب» (ص ١٢ - ١٩) روزاليوسف عدد (٤٠٩٤) .

(٢) «روزاليوسف» عدد (٤٠٩٤) (ص ٢٧) .

قضية لا تمثل جوهر الدين وأهدافه»^(١)!! .

وعلى نفس النهج كان بيان حزب التجمع اليساري الخط، والحزب الدستوري ويمثله ممدوح قناوي^(٢) .

□ وعلى نفس الخط سار محمد مستجاب، ويوسف القعيد الذي قال: «إن الحجاب يدعو للتفرقة» .

□ ودكتور عبدالأحد جمال الدين ممثل الأغلبية بالبرلمان يقول: «إن الحجاب قضية خلافية بين علماء الدين»! فثار عليه الأعضاء من كافة الاتجاهات، خاصة من داخل الحزب الوطني ذاته، وهو ما دعا دكتور سرور إلى إنهاء كلمته^(٣) .

□ المكارثيون الجدد يعلنون الحرب على كل من يتمسك بالشوابت ويمارسون الإرهاب الفكري^(٤) .

□ حسين فهمي الممثل في برنامج (٩٠ دقيقة) على قناة المحور، يدافع عن موقف فاروق حسني ويقول: «إن الفتاة المحجبة معاقة ذهنياً»، ثم ينفي كل ما قاله في الصحف^(٥) .

□ وتقول إقبال بركة: «السؤال الآن أصبح، هل أتجيب أم أنتقب؟! الخطوة خطيرة وتعيدنا للوراء، وأتوقع أن يتفشى النقاب كما النار في

(١) «روزاليوسف» عدد (٤٠٩٤) (ص ٣٠) .

(٢) المصدر السابق (ص ٣١، ٣٢) .

(٣) جريدة «الأسبوع» - العدد ٥٠٥ (ص ٣) - ٦ من ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٧/١١/٢٠٠٦ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) «الأهرام العربي» عدد (٥٠٥) (ص ٥٧) تحت عنوان «أصداء» .

الهشيم؛ لأننا لدينا عقليات هشة وفارغة، وتستطيع أن تملأها بما تشاء من أفكار.

□ ثم قالت حين سُئلت: «كيف ترين الفترة المقبلة في معركة الحجاب والنقاب؟»

فأجابت: ما لم يتفرض المثقفون المصريون من سباتهم العميق وما لم يخلعوا عنهم رداء اللامبالاة والسلبية، ستواصل مرحلة الإحلام في مصر، وانظر ماذا حدث في القضية الأخيرة.. أين أصدقاء فاروق حسني وزير الثقافة الذين كانوا يحيطون به ليل نهار إحاطة السوار بالمعصم، لماذا لم يهبوا للدفاع عنه؟ إنها السلبية في الشخصية المصرية، وأن يفضلوا الابتعاد عن المشاكل»^(١).

□ «وأضافت - إقبال بركة - أنها تشعر بحزن عميق عند رؤيتها للشارع المصري المليء بالمحجبات، وترى أن دورها كمفكرة وكاتبة وصاحبه قلم، يلزمها أن تجتهد وتحاول أن تصل لأي حقيقة مؤرقة للعقل، فهذا أمر سام لا ينبغي أن تلم عليه، وأفادت أنها تشعر بحالة رضا مع نفسها، ومع الله تشعر أنها سوف تجازي خيراً على ذلك».

والدكتورة الكاتبة نوال السعداوي التي أعلنت أكثر من مرة عن وجهة نظرها في رفض الحجاب والاستناد دائماً أننا نحيا في مجتمع ذكوري يريد أن يطمس النساء^(٢).

(١) «روز اليوسف» عدد (٤٠٩٤) (ص ٤١-٤٣).

(٢) جريدة «الأسرة العربية» عدد (٢٩٨٥) (ص ٤) الاثنين ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٦ - ٦ من ذي

□ وجمال البنا يقول: «بناتُ حسن البنا لم يكنَّ يرتدين الحجابَ أو النقابَ!! فيما نسبَه إليه عاصم حنفي نقلاً عن حمدي رزق نقلاً عن جمال البنا شقيق الشيخ حسن البنا^(١) .

□ وعندما سُئل: هل قضيةُ الحجابِ تُعلي من شأنِ العنصريَّةِ الدينية؟ قال جمال البنا: «بالطبع؛ لأن الحجابَ كان دائماً مطَّلباً للرجل في كلِّ الأديان؛ لأنه يدخلُ من باب السيطرةِ على المرأةِ ليس إلأى، وقد تخلَّصت منه كلُّ الأديان السماوية، ما عدا الدينَ الإسلاميَّ الذي كُلمَّا تخلَّص منه رجع له مرةً أخرى»^(٢) .

□ وعلى نفسِ الخطِّ سارت مديحة يسري التي قالت: «تزوَّجت من قُطبٍ صوفي^(٣)، ورفض أن أرثدي الحجاب»^(٤) .

□ وسارت على نفسِ الخطِّ سكيئة فؤاد، وفريدة الشوباشي، وإنعام محمد علي المخرجة، وسلمى الشماع، وهالة حشيش رئيس قناة النيل للأخبار، وسمية الألفي تؤمن بحجابِ الأخلاق!! والمستشار سعيد العشماوي - وما أدراك ما العشماوي -! اقرأ له مقالة «الحجاب فريضة سياسية» بروزال يوسف عدد (٤٠٩٤) (ص٦٢ - ٦٤)، وارجع إلى كتابه «حقيقة الحجاب وحُجَّة الحديث»، ومقال «وفاء حلمي» في «العربي» العدد (١٠٣٤) (ص١٤) .

(١) «روز اليوسف» عدد (٤٠٩٤) (ص٧١) .

(٢) المصدر السابق (ص٤٥) .

(٣) تعني الشيخ إبراهيم شيخ الحامدية الشاذلية .

(٤) «روز اليوسف» عدد (٤٠٩٤) .

□ وعن تولَّى كِبَرَ هذا التجرُّو على ثوابتِ هذا الدين والدعوة إلى التبرج ومناصرته جريدة «الفجر» في العدد (٧٧) الصادر في يوم الإثنين ٢٧/١١/٢٠٠٦م وقولهم: «تقرير شارك فيه محررو الفجر ووافقوا عليه»، وظهرت العناوينُ الوقحة التي تدلُّ على سوءِ طويَّةٍ من قالوها ومرضِ قلوبهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وانظر إلى بعض هذه العناوين:

- وزير مجلس الشعب السابق^(١) يقول: «إن البنتَ التي تحترمُ دينها تتَّجهُ للحجاب»، و«الأهالي» تسألُ سوزان مبارك عن رأيها فيما قال ورجمه المحصنات؟^(٢).

- زكريا عزمي يقول: «نصف نساء الوزراء محجَّبات والناسُ تسأل: ولماذا لا يتحجَّبُ النصف الآخر؟.. بل ولماذا لا تتحجَّبُ السيدة الأولى ومن حولها؟»^(٣).

- «لو كان رمزاً للفضيلة لدَعَوْنَا الرجالَ إليه أيضاً.. الرذيلة تحت الحجاب» مقال لمحمد الباز بنفس الجريدة (ص ٤).

- ومقال عادل حمودة - وما أدراك ما عادل حمودة -: «الحجاب ليس دليلاً على الفضيلة.. أحياناً!» (ص ٥).

- ومرةً أخرى يقول جمال البنا: «إن شقيقه حسن البنا لم يكن يهتمُّ

(١) يعنون: كمال الشاذلي.

(٢) جريدة «الفجر» العدد (٧٧) مقال «النظام يركع للإخوان».

(٣) المصدر السابق (ص ٣).

كثيراً بمشكلةِ الحجابِ وغطاءِ الرأسِ؛ لأن الأمور كانت طبيعية على الفطرة. فقال له المحرر عبدالحافظ سعد: وهل أمر حسن البناء بناته بالحجاب وغطاءِ الرأسِ أو طلبه منهن؟ قال: مطلقاً الإمام حسن البناء لم يطلب من بناته أن يتحجبن، وكان يتركهن على حريتهن؛ لأنه علمهنَّ صحيح الإسلام.

□ ويضيف البناء: «إن بعض بنات العائلة لم ترتد أية واحدة منهن الحجاب، وكان هذا أمراً عادياً للغاية».

□ وقبلها قال: «الحجاب ليس فرضاً إسلامياً»^(١).

- ومقال آخر لمنال لاشين: «الفاسدون يدافعون عن الحجاب» (ص ٧)، ومقال أكرام القصاص في نفس الصفحة.

- والمقال الفاجر الساخر لوائل عبدالفتاح - عامله الله بما يستحق :-
«إعلان الدولة الدينية .. الحزب الوطني الديمقراطي يقدم مسرحية الموسم: «إحنا بتوع الحجاب» .. وقال فيه: «هل الحجاب هو بديل «المني جيب»؟ ليس صحيحاً بالطبع .. كما أنه ليس الفرض السادس في الإسلام .. إنه اختيار شخصي .. والمشكلة ليست فيه أو في الموديل الذي تختاره امرأة من موديلاته الحديثة لكن في أن يكون الموديل الوحيد .. أن يكون علاقة الإيمان الوحيدة، علاقة الفصل العنصري بين المسلمين والمسيحيين ..»^(٢).

(١) جريدة «الفجر» - العدد (٧٧) (ص ٦).

(٢) انظر هذا المقال القبيح للجاهل وائل عبدالفتاح - جريدة «الفجر» عدد ٧٧ (ص ٩).

- ومقال «الدنيا تحت النقاب.. رجل وامرأة وخطيئة» ليسرا زهران (ص ٨).

- ومقال نبيل عمر: «برلمان الغيبوبة والعودة إلى الوراثة» (ص ٩).

- ومقال إبراهيم خليل «اليوم ذبح فاروق وغداً مصر» (ص ١٠).

- وممدوح البلتاجي وزير الإعلام السابق يقول: «يجب ألا نتوقف عند مسائل شكلية كالحجاب، ولكننا نُحذِرُ من وقوع فتنٍ طائفيةٍ في مصر»^(١).

- وكلام إسماعيل منتصر في مجلة «أكتوبر»: «حجاب فاروق حسني مسرحية رديئة.. لعب فيها الجميع أسوأ أدوارهم بلا استثناء»^(٢).

﴿هكذا قال دعاة التغريب والسفور والتبرج.. وحسابهم على الله. ونقول لهم: «هذه دناءة وسقوط وتبذل وسُعارٌ ونزوات، ووقاحةٌ وخلاعةٌ وخزيٌّ وعار، وإنكارٌ للمعلوم من الدين بالضرورة».

﴿ونقول: لو كان العارُ والتبرجُ في بئرٍ عميقةٍ لقلبها الشيطانُ مئذنةً ووقف يؤذُنُ عليها.. ليس أقطعُ من الزلزلةِ المرتجةِ تشقُّ الأرضُ إلا تبرجِ المرأةِ.

إذا خرجت المرأة من حدودِ دينها وشريعتهَا وتبرَّجت، فلا يبقى منها إلا أنثى مجردةٌ تجر يدها الحيوانيَّ المتكشَّف.

وهي حين تُطالعُ مرآتها لتتبرَّجَ وتخرجَ في زينتها، تنظر إلى خيالها في المرأةِ بأهواءِ الرجالِ لا بعينِ نفسها.

(١) جريدة «الفجر» (ص ٩) نقلاً عن ندوة «شركاء التنمية».

(٢) مجلة «أكتوبر» العدد (١٥٧٠) (ص ٤-٥).

لا تنظر المتبرجة - حين تبرج - في مرآتها إلا ابتغاء أن تتعهد من جمالها ومن جسمها مواقع نظرات الفجور وأسباب الفتنة، وما يستهوي الرجل وما يفسد العقبة عليه، فكان المتبرجة وخيالها في المرأة رجل فاسق ينظر إلى امرأة، لا امرأة تنظر إلى نفسها، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

لقد كان العري وتكشف السوات، والخصف من ورق الجنة ثمرة لمعصية الله، وفي مواجهة مشهد العري الذي أعقب خطيئة آدم، ومواجهة العري الذي كان يزاوله المشركون في الجاهلية، يذكر السياق في هذا النداء نعمة الله على البشر، وقد علمهم ويسر لهم، وشرع لهم اللباس الذي يستر العورات المكشوفة، ثم يكون زينة بهذا الستر وجمالاً، بدل قبح العري وشناعته.

واللباس: قد يطلق على ما يوارى السواة، وهو اللباس الداخلي. والرياش: قد يطلق على ما يستر الجسم كله ويتجمل به، وهو ظاهر الثياب، كما قد يطلق «الرياش» على العيش الرغد، والنعمة والمال، وهي كلها معانٍ متداخلة متلازمة.

* قال تعالى: ممتناً على عباده باللباس والزينة: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

* وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ..﴾

[الاعراف: ٢٦]. الآية؛ فهناك تلازمٌ بين شرعِ اللهِ اللباسِ لسترِ العوراتِ والزينةِ، وبين التقوى، كلاهما لباسٌ، هذا يسترُ عوراتِ القلبِ ويُزيئُهُ، وذاك يسترُ عوراتِ الجسمِ ويُزيئُهُ، وهما متلازمان، فعن شعورِ التقوى لله والحياءِ منه ينبثقُ الشعورُ باستقباحِ عُريِ الجسدِ والحياءِ منه، ومن لا يسترُ من الله ولا يتقاهُ، لا يُهمُّه أن يتعرَّى وأن يدعوَ إلى العريِّ.. العريِّ من الحياءِ والتقوى، والعريِّ من اللباسِ وكشفِ السوءةِ! .

إِنْ سَتَرَ الْجَسَدِ حَيَاءً لَيْسَ مَجْرَدَ اصْطِلَاحٍ وَعُرْفٍ بَيْئِيٍّ، كَمَا تَزَعُمُ الْأَبْوَابُ الْمُسَلِّطَةُ عَلَى حَيَاءِ النَّاسِ وَعَفَّتْهُمْ لِتَدْمِيرِ إِنْسَانِيَّتِهِمْ، وَفَقَّ الْحُطَّةَ الْيَهُودِيَّةَ الْبَشْعَةَ لَتِي أَعْلَنْتَهَا مُقَرَّرَاتُ حُكْمَاءِ صَهْيُونَ، إِنَّمَا هِيَ فِطْرَةٌ خَلَقَهَا اللَّهُ فِي الْإِنْسَانِ، ثُمَّ هِيَ شَرِيعَةٌ أَنْزَلَهَا اللَّهُ لِلْبَشَرِ، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى تَنْفِيزِهَا بِمَا سَخَّرَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ مُقَدَّرَاتٍ وَأَرْزَاقٍ، وَاللَّهُ يُذَكِّرُ بَنِي آدَمَ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ فِي تَشْرِيعِ اللَّبَاسِ وَالسُّتْرِ؛ صِيَانَةً لِإِنْسَانِيَّتِهِمْ مِنْ أَنْ تَتَدَهَوْرَ إِلَى عُرْفِ الْبَهَائِمِ، وَفِي تَمْكِينِهِمْ مِنْهُ بِمَا يَسِّرُ لَهُمْ مِنَ الْوَسَائِلِ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الاعراف: ٢٦].

* إِنَّ التَّبْرَجَ كَبِيرَةٌ مُهْلِكَةٌ:

● جَاءَتْ أُمِيمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: «أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ، وَلَا تُسْرِقِي، وَلَا تُزْنِي، وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكَ، وَلَا تَأْتِي بِيَهْتَانٍ تَفْتَرِيهِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ، وَلَا تَنُوحِي، وَلَا تَتَبَرَّجِي تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^(١).

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني.. وقال الهيثمي في «المجمع»: «رجاله ثقات».. وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩٦/٢).

* والتبرجُ يَجلبُ اللعنَ والطرْدَ من رحمةِ الله:

● قال رسولُ الله ﷺ: «سيكونُ في آخرِ أمتي نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، على رؤوسهنَّ كأسنمةِ البُختِ، العنوهنَّ فإنهنَّ ملعوناتٌ»^(١).

* والتبرجُ من صفاتِ أهلِ النار:

● قال رسولُ الله ﷺ: «صنفانِ من أهلِ النارِ لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربونَ بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مُميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسهنَّ كأسنمةِ البُختِ المائلة، لا يدخلنَّ الجنةَ، ولا يجدنَّ ريحها، وإنَّ ريحها ليوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا»^(٢).

* التبرجُ نفاق:

● فقد قال رسولُ الله ﷺ: «خيرُ نساءكم الودودُ الولودُ، المواتيةُ المواسية، إذا اتقنَ الله، وشرُّ نساءكم المتبرجاتُ، المتخيلاتُ، وهنَّ المنافقاتُ، لا يدخلُ الجنةَ منهنَّ إلا مثلُ الغرابِ الأعصم»^(٣).

والغرابُ الأعصم: هو أحمرُ المنقارِ والرَّجلين، وهو كنايةٌ عن قلةِ مَنْ يدخلُ الجنةَ من النساءِ؛ لأن هذا الوصفَ في الغريبانِ قليل.

* والتبرجُ تهتكٌ وفضيحة:

● قال رسولُ الله ﷺ: «أيما امرأةٍ وضعتُ ثيابها في غيرِ بيتِ زوجها

(١) صحيح: انظر «الصحيحة» (٢٦٨٣) . . والبخت نوع من الإبل.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه البيهقي في «الكبرى»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٣٠).

فقد هتكت سترَ ما بينها وبين الله عزَّ وجلَّ»^(١) .

* والتبرجُ فاحشة ومقتٌ، فالمرأة عورة، والشيطانُ يأمرُ بهذه الفاحشة . . قال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾

[البقرة: ٢٦٨].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩].

* والتبرجُ سنةٌ إبليسية؛ فقصه آدمٌ وحواءُ مع إبليس تكشفُ لنا مدى حرصِ إبليس على كشفِ السوءات، وهتكِ الأستار، وإشاعةِ الفاحشة، وأن التهتكِ والتبرجِ هدفٌ أساسي له، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾ [الاعراف: ٢٧].

فإبليسُ إذن هو مؤسسُ دعوةِ التبرجِ والتكشِف، هو زعيمُ زعماءِ ما يُسمى بتحريرِ المرأة، وهو إمامُ هؤلاء المتبرجاتِ الداعياتِ إلى التبرجِ عدواتِ رسولِ الله ﷺ: صفية زغلول، وهدى شعراوي، ودرية شفيق، وسيزا نبراوي . . والكشفُ طويل . . في مقدمته قاسم أمين .

والتبرجُ طريقةٌ يهودية، واليهودُ هم أصحابُ الباعِ الأكبرِ في التبرجِ .

● قال رسول الله ﷺ: «فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أولَ فتنَةٍ بني

(١) صحيح: رواه أحمد والأربعة إلا النسائي . . وحسنه العلامة شعيب الأرناؤوط في

«المستد» (٤١/٦) .

إسرائيل كانت في النساء» (١) . . . (٢)

إنَّ الذين يُريدون تعريةَ المرأة من حِجابها ونقابها، يريدون تعريتها من تقواها، وحيائها، بل وتعريتها من دينها.

وهؤلاء لا بدَّ أن يُعريهم ويفضحهم كلُّ صادق، حتى يعلم كلُّ غافل أن هؤلاء المسوخين المشوهين، ما هم إلا صبيانٌ لإباحية الغرب، وأقزامٌ تُرممُ من فُتاتِ مدرسة العُريِ الصليبية، وتشربُ من كؤوسهم حتى الثمالة، ينعقُ هنا الأقزام، وتتصدى دولةٌ صليبيةٌ كبرى لفتاة مسلمة تريد ارتداءَ الحجاب، وتمنعها من دخولِ المدرسة، دولةٌ صليبية كفرنسا ترتعشُ من حجاب امرأة ارتدته لباساً وريشاً؛ تعبيراً عن لباس التقوى لباطنها . .

قَمَرٌ تَوَشَّحَ بِالسَّحَابِ
غَبَشٌ تَوَغَّغَلَ حَالِمًا بِفَجَاجِ غَابِ
فَجَرٌ تَحَمَّمَ بِالنَّدَى
وَأَطَّلَ مِنْ خَلْفِ الْهَضَابِ
الْوَرْدُ فِي أَكْمَامِهِ
أَلْقَى اللَّالِيَّ فِي الصَّدْفِ
سُرُجٌ تُرْفَرِفُ فِي السُّدْفِ
ضَحِكَاتُ أَشْرَعَةٍ يُورِّجُهَا الْعُبَابُ

(١) رواه مسلم .

(٢) انظر «الحجاب لماذا؟» لشيخنا محمد إسماعيل المقدم - طبع دار ابن الجوزي .

وَمَرَا فِئُ بِيضَاءُ
 تَبْضُ بِالنَّقَاءِ الْعَذْبِ مِنْ خَلِّ الضَّبَابِ
 مِنْ أَيِّ سِحْرِ جَنَّتِ أَيْتَهَا الْجَمِيلَةُ؟
 مِنْ أَيِّ بَارِقَةِ نَيْلَةٍ
 هَطَلَتْ رُؤَاكَ عَلَى الْخَمِيلَةِ فَانْتَشَى عَطْرُ الْخَمِيلَةِ؟
 مِنْ أَيِّ أَفْقِ ذَلِكَ الْبَرْدِ الْمُتَوَجِّعِ بِاللَّهِيْبِ
 وَهَذِهِ الشَّمْسُ الظَّلِيلَةُ؟
 مِنْ أَيِّ نَيْعِ غَاقِلِ الشَّفَتَيْنِ تَدْلِعُ الْوُرُودُ؟
 مِنْ الْفَضِيلَةِ
 هِيَ مُمَكِّنَاتٌ مُسْتَحِيلَةٌ
 قَمَرٌ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ
 يَلْمُهُ الْعُشْبُ الضَّيِّيلُ
 وَلَيْسَ تَدْرِكُهُ الْقِبَابُ
 قَمَرٌ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ
 سُكُونُهُ فِي الْأَضْطِرَابِ
 وَيُعَدُّهُ فِي الْأَقْتِرَابِ
 عَيْبٌ يَمُدُّ حُضُورَهُ وَسَطَ الْغِيَابِ
 وَطَنْ يَلْمُ شَتَاتَهُ فِي الْأَغْتِرَابِ
 رُوحٌ مُجَنِّحَةٌ بِأَعْمَاقِ التُّرَابِ

وَهِيَ الْحَضَارَةُ كُلُّهَا
 تَنْسَلُّ مِنْ رَحِمِ الْخَرَابِ
 وَتَقُومُ سَافِرَةً
 لِتَخْتَزِلَ الدُّنَا فِي كَلِمَتَيْنِ
 (أَنَا النَّقَابُ)
 الْحُسْنُ أَسْفَرُ بِالْحِجَابِ
 فَمَا لَهَا حُجْبُ النُّفُورِ
 نَزَلَتْ عَلَيَّ وَجْهَ السُّفُورِ وَأَهَا.....
 أَرَأَيْتَ حَتَّى الزُّهُورِ
 تَضِيرُ عَاصِمَةَ الْعُطُورِ؟
 أَتَعَفُّ عَنِ رَشْفِ النَّدَى شَفَةَ الْبُكُورِ
 أَيْضِيقُ دَوْحٌ بِالطِّيُورِ؟
 يَا لِلْغَرَابَةِ
 لَا غَرَابَةَ
 أَنَا بِسَمَّةٍ ضَاقَتْ بِفَرَحَتِهَا الْكَابَةِ
 أَنَا نَعْمَةٌ جَرَحَتْ خُدُودَ الصَّمْتِ
 وَأَزْدَرَّتِ الرُّتَابَةَ
 أَنَا وَقَدَّةٌ مَحَتِ الْجَلِيدَ
 وَعَبَّاتٌ بِالرُّعْبِ أَفْتَدَةَ الذُّنَابِ

أَنَا عَفَّةٌ وَطَهَارَةٌ بَيْنَ الْكِلَابِ
 الشَّمْسُ حَائِرَةٌ
 يَدُورُ شِرَاعُهَا وَسَطَ الظَّلَامِ
 بَغَيْرِ مَرَسَى
 اللَّيْلُ جَنٌّ بِأَفْقِهَا وَالصُّبْحُ أَمْسَى
 وَالْوَرْدَةُ الْفِيحَاءُ تَصْفَعُهَا الرِّيحُ
 وَيَحْتَوِيهَا السَّيْلُ دَوْسًا
 وَالْحَانَةُ السَّكْرَى تُصَارِعُ يَقْظَتِي
 وَتَصُبُّ لِي أَلْمًا وَيَأْسًا
 سَأَعَادِرُ الْمَبْعَى الْكَبِيرَ وَلَسْتُ أَسَى
 أَنَا لَسْتُ غَانِيَةٌ وَكَأْسًا
 نَعْلَاكِ أَوْسَعُ مِنْ فَرَنْسَا
 نَعْلَاكِ أَطْهَرُ مِنْ فَرَنْسَا كُلِّهَا
 جَسَدًا وَنَفْسًا
 نَعْلَاكِ أَجْمَلُ مِنْ مَبَادِي ثَوْرَةٍ
 ذُكِرْتَ لِتُنْسَى
 مُدِّي جُدُورِكَ فِي جُدُورِكَ
 وَأَتْرُكِي أَنْ تَتْرُكِيهَا
 قَرِي بِمَمْلَكَةِ الْوَقَارِ

وَسَفَّهِيَ الْمَلِكَ السَّفِيهَا
 هِيَ حَرَّةٌ مَا دَامَ صَوْتُكَ مَلءَ فِيهَا
 وَجَمِيْلَةٌ مَا دُمْتَ فِيهَا
 هِيَ مَا لَهَا مِنْ مَالِهَا شَيْءٌ
 سَوَى (سيدا) بَنِيهَا
 هِيَ كُلُّهَا مِيرَاثُكَ الْمَسْرُوقُ
 أَسْفَلْتُ الدُّرُوبِ
 حَجَارَةُ الشَّرَفَاتِ
 أَوْعِيَّةُ الْمَعَاصِرِ
 النَّفْطُ زَيْتُ الْعَطْرِ
 مَسْحُوقُ الْغَسِيلِ
 صَفَائِحُ الْعَرَبَاتِ
 أَصْبَاغُ الْأَطَاغِرِ
 خَشَبُ الْأَسْرَةِ
 زَيْبِقُ الْمِرَاةِ
 أَقْمَشَةُ السَّائِرِ
 غَازُ الْمَدَائِفِ
 مَعْدَنُ الشَّفَرَاتِ
 أَضْوَاءُ الْمَتَاجِرِ

وَسِوَاهُ مِنْ خَيْرِ سَبِيلٍ بِغَيْرِ آخِرٍ
 هِيَ كُلُّهَا أَمْلاكُ جَدِّكَ
 فِي مَرَاكِبِشَ
 أَوْ دِمَشْقَ
 أَوْ الْجَزَائِرَ
 هِيَ كُلُّهَا مِيرَاثُكَ الْمَغْصُوبُ
 فَاعْتَصِبِي كُنُوزَ الْاِعْتِصَابِ
 زَادَ الْحِسَابُ عَلَى الْحِسَابِ
 وَأَنْ تَسْدِيدُ الْحِسَابِ
 فَإِذَا ارْتَضَتْ.. أَهْلًا
 وَإِنْ لَمْ تَرْضَ
 فَلْتَرْحَلْ فَرَنْسَا عَنْ فَرَنْسَا
 نَفْسَهَا
 إِنْ كَانَ يُزْعِجُهَا الْحِجَابُ^(١)

(١) قصيدة «الحسن أسفر بالحجاب» نقلًا عن مجلة هاجر ملحق «مجلة المختار الإسلامي لنساء المسلمين» العدد الأول ربيع الأول ١٤١١ هـ (ص ١٧).

* قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [٣١] قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [٣٢] قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١-٣٣].

□ من عجيب ما روي من حال المشركين الذين خوطبوا بهذه الآيات أول مرة، ووجه إليهم هذا الاستنكار الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ...﴾: ما رواه الكلبي قال: «لَمَّا لَبَسَ الْمُسْلِمُونَ الثِّيَابَ، وَطَافُوا بِالْبَيْتِ، عَيَّرَهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِهَا... فَتَلَّتِ الْآيَةَ».

* فانظر كيف تصنع الجاهلية بأهلها، ناس يطوفون ببيت الله عرايا، فسدت فطرتهم، وانحرفت عن الفطرة السليمة التي يحكيها القرآن الكريم عن آدم وحواء في الجنة: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، فإذا رأوا المسلمين يطوفون بالبيت مكسوين في زينة الله التي أنعم بها على البشر؛ لإرادته بهم الكرامة والستر، ولتنمو فيهم خصائص فطرتهم الإنسانية في سلامتها وجمالها الفطري، وليتميزوا عن العري الحيواني الجسمي والنفسي، إذا رأوا المسلمين يطوفون ببيت الله في زينة الله وفق فطرة الله، عيروهم!!

هكذا تصنع الجاهلية بالناس، هكذا تمسخ فطرتهم، وأذواقهم، وتصوراتهم، وقيمتهم، وموازينهم، وماذا تصنع الجاهلية الحاضرة بالناس

في هذا الأمر غير الذي فعلته بالناس في جاهلية المشركين العرب، وجاهلية المشركين الإغريق، وجاهلية المشركين الرومان، وجاهلية المشركين الفرس، وجاهلية المشركين في كل زمان وكل مكان؟! .

ماذا تصنع الجاهلية الحاضرة بالناس إلا أن تُعريهم من اللباس، وتُعريهم من التقوى والحياء؟ ثم تدعي أن هذا رقي وحضارة وتجديد، ثم تُعير الكاسيات من الحرائر العفيفات المسلمات، بأنهن رجعيات.. تقليديات.. ريفيات.

المسخ هو المسخ، والانتكاسُ عن الفطرة هو الانتكاس، وانقلاب الموازين هو انقلاب الموازين، والتبجحُ بعد ذلك هو التبجح، ﴿أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

وما الفرقُ كذلك في علاقة هذا العري، وهذا الانتكاس، وهذه البهيمية، وهذا التبجح، بالشرك، وبالأرباب التي تشرع للناس من دون الله؟ .

لئن كان مُشركو العرب قد تلقوا في شأن ذلك التعري من الأرباب الأرضية، التي تستغلُّ جهالتهم، وتستخفُّ بعقولهم لضمانِ السيادة لها في الجزيرة؛ فإنَّ مُشركي اليوم ومشركاته يتلقون في هذا عن الأرباب الأرضية كذلك، ولا يملكون لأمرهم رداً.

□ إنَّ بيوت الأزياء ومُصمِّمها وأساتذة التجميل ودكاكينها، لهي الأرباب التي تكمن وراء هذا الخبل الذي لا تُفوق منه نساءُ الجاهلية الحاضرة، ولا رجالها كذلك.

□ إن هذه الأرباب تُصدرُ أوامرَها، فتُطيعُها القُطعانُ والبهاائمُ العاريةُ في أرجاءِ الأرضِ طاعةً مزريةً صاغرةً، تُطيعُ تلك الأرباب، وإلا عُبِّرت من بقية البهاائم المغلوبة على أمرها.

□ ومن الذي يَقْبَعُ وراءَ بيوتِ الأزياء، ووراءَ دكاكينِ التجميل، ووراءَ سُعارِ العُريِّ والتكشُّف، ووراءَ الأفلام، والروايات، والمجلات، والصحف التي تقوِّدُ هذه الحملةَ المسعورة؟ الذي يَقْبَعُ وراءَ هذه الأجهزة كُلِّها يهود؛ يهودٌ يقومون بخصائصِ الربوبية على البهاائم المغلوبة على أمرها.

□ إن قضيةَ اللباس ليست مُنفصلةً عن شرعِ الله ومنهجه للحياة، ومن ثمَّ ذلك الربطُ بينها وبين قضية الإيمان والشرك في السياق.

□ إنها ترتبطُ بالعقيدة والشريعة بأسباب شتى.

□ إنها تتعلقُ قبلَ كلِّ شيءٍ بالربوبية، وتحديدِ الجهة التي تُشرعُ للناس في هذه الأمور، ذاتِ التأثيرِ العميقِ في الأخلاق والاقتصادِ وشتى جوانبِ الحياة، كذلك تتعلقُ بإبرازِ خصائصِ الإنسانِ في الجنس البشري.

□ وبعد ذلك عندنا جاهليون يقولون: «ما للدين والزي؟ ما للدين وملابسِ النساء؟ ما للدين والتجميل؟»! إنه المَسْخُ الذي يُصيبُ الناسَ في الجاهلية في كلِّ زمان، وفي كلِّ مكان!!

□ ولأن هذه القضية التي تبدو فرعيةً، لها كلُّ هذه الأهمية في ميزانِ الله، وفي حسابِ الإسلام لارتباطِها أولاً بقضية التوحيد والشرك؛ فإن السياقَ يُعقِّبُ عليها بإيقاع قويٍّ مؤثِّر، يُوقِّعُ به عادةً في مواقفِ العقيدة

الكبيرة . . إنه تعقيبٌ بتنبية بني آدم إلى أن بقاءهم في هذه الأرض محدودٌ مرسومٌ؛ وإنه إذا جاء الأجل، فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.

□ يقول سيدنا الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم: «التبرج جاهلية

مُتَنَّة:

* قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

[الاحزاب: ٣٣].

وقد وصف النبي ﷺ دعوى الجاهلية بأنها مُتَنَّة، أي: خبيثة، وأمَرنا بنبذها، وقد جاء في صفته ﷺ في التوراة أنه ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الاعراف: ١٥٧].

فدعوى الجاهلية شقيقةُ تبرج الجاهلية، كلاهما مُتَنَّةٌ خبيثة، حرَّمه علينا رسولُ الله ﷺ، وقال ﷺ: «كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهلية موضوعٌ تحتَ قدميَّ»^(١).

سواءً في ذلك: تبرجُ الجاهلية، ودعوى الجاهلية، وحُكْمُ الجاهلية، وظنُّ الجاهلية، وحميةُ الجاهلية، وربا الجاهلية.

* التبرج تخلفٌ وانحطاط:

إِنَّ التَّكْشِفَ وَالتَّعْرِیَّ فِطْرَةٌ حَيَوَانِيَّةٌ بَهِيمِيَّةٌ، لَا يَمِيلُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ إِلَّا وَهُوَ يَنْحَدِرُ وَيَرْتَكِسُ إِلَى مَرْتَبَةٍ أَدْنَى مِنْ مَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي كَرَّمَهُ اللَّهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِفِطْرَةِ حُبِّ السِّرِّ وَالصِّيَانَةِ، وَإِنْ رُؤْيَةُ التَّبَرُّجِ وَالتَّهْتُكِ وَالفُضِيحَةِ جَمَالًا مَا هِيَ إِلَّا فِسَادٌ فِي الْفِطْرَةِ، وَانْتِكَاسٌ فِي الذُّوقِ، وَمَوْشَرٌّ

(١) متفق عليه.

على التخلف والانحطاط»^(١) .

□ فانظر كيف باء بها الذي توَلَّى كِبْرَهُ، ودعا المرأة إلى كشفِ رأسها؛ لأن شَعْرَهَا كالورود! وانظر كيف مَدَحَهُ الفرنسيون بقولهم: إنه «أفضلُ وزيرِ ثقافةٍ في العالم، وهو وزيرٌ مستنيرٌ يَرُدُّ جحافلَ التخلف!» وتابعه الكثير. . . وقد أظهرت هذه الفتنةُ الكثيرَ والكثيراتِ ممن يحبونَ أن تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا، تصيحُ إحدى الممثلات بهذا الوزير في مهرجان القاهرة السينمائي عام ٢٠٠٦م مناديةً عليه قائلةً له: «يا كايدهم»!

رسام كاريكاتوري «مصطفى حسين» - يرسمُ حالَ الناس سنة ٢٠٠٢٨
وقد ظهرت بنتٌ كاشفةٌ عن بطنها، وفي الرسم يقول صاحبها لها - أو تقول هي له -: «تصور»، إنه كان هناك من ٢٢ سنةً فتنةً أو مشكلةً الحجاب»، وكأنه يُعربُ عن أمله في أن تتبرجَ النساءُ في المستقبلِ حتى تُصبحَ الدعوة إلى الحجاب وقد ذهبت أدراجَ الرياح، ونقول له: ذلك ظن الجاهلية، ﴿وَوَظَّنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

* ونقول لهم جميعاً: ﴿قُلْ مَوْتُوْنَا بِغِيظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

□ نقول للمحجبات^(٢) والمنتقبات هذه القصيدة «لآلئ الأصداف»

(الحجاب):

إِلَيْهَا

تلك الرَّافِلةُ في جِلْبَابِهَا الهَادِيِ الفَضْفَاضِ، تُطَاوِلُ السَّمَاءَ رِفْعَةً وَسُمُوًّا،

(١) «الحجاب لماذا» (ص ٢٤-٢٥).

(٢) لشقيقي عبد الله بن حسين العقاني - حفظه الله ..

وَتَفُوقُ الْجِبَالِ رُسُوحًا وَثَبَاتًا، وَتُشَابَهُ الطُّيُورَ رِقَّةً، وَتُمَائِلُ الْغَيْوُثَ طُهْرًا،

تَقْتَفِي أَثْرَ خَدِيجَةَ، وَتَسْتَشْرِفُ دَرْبَ فَاطِمَةَ..

إِلَيْهَا.. أَهْدِي هَذِهِ الْخَاطِرَةَ..

رُوحٌ يُجَنِّحُهَا الْهَدْيُ،

فَتَبْدُ سَفْسَافَ الضَّلَالِ،

تَطِيرُ تَرْفُلُ فِي الْفَضَاءِ،

تَسْمُو... وَتَحْتَضِنُ السَّمَاءَ..،

يَلْتَمُ الْوَجْهَ الرَّيَّابُ..

وَلَالِي تَأْوِي إِلَى أَصْدَافِهَا،

وَتَعِيشُ طُهْرَ الطُّهْرِ بَيْنَ شِغَافِهَا،

مُتَسِّرَاتٍ عَنِ ذَنَابِ الْبَحْرِ،

عَنْ زَبَدٍ يَمُورُ بِهِ الْعِبَابُ.

وَقُلُوبُ نَخْلَاتٍ

تَقِيضُ رَهَافَةَ..،

وَتَذُوبُ مِنْ فَرَطِ الْحَيَاءِ،

تَغُوصُ فِي أَكْمَامِهَا،

وَتُظَلُّ مِنْ خَلْفِ الْهَضَابِ

وَجَدَّأَوَّلُ تَسْرِي رَوَافِدُ شَهْدِهَا،

مَا بَيْنَ صَفْصَافٍ وَغَابِ.

تَسَابُ بَيْنَ زُهُورِهِ وَظِلَالِهِ،
لَتُنْمَقَ الْجَنَّاتِ فِي الصَّخْرِ الْيَبَابِ..
هِيَ أَنْتِ، يَا أُمَّاهُ،
يَا أُخْتَاهُ، يَا بِنْتَاهُ، يَا...،
هِيَ أَنْتِ،
يَا كُلَّ النِّسَاءِ بِأَعْيُنِي،
يَا سِرَّ أَسْرَارِ الْحَيَاةِ بِمُهْجَتِي،
يَا رَبَّةَ الطُّهْرِ الْعَتِيقِ بِعَالَمِي،
هِيَ أَنْتِ،
يَا ذَاتَ الْحِجَابِ.

أَنْتِ الْحَضَارَةُ صَدَّقِينِي،
فَالْحَضَارَةُ - فِي حَقِيقَتِهَا - الْعُلَا،
فَوْقَ الْجُسُومِ وَطِينِهَا...،
فَوْقَ النُّفُوسِ وَغِيَّهَا...،
وَحُشَّاشَةُ الْمَجْدِ الْفَلَاحِ.
مَاذَا يَعُوقُكَ
إِنْ سَمَوْتَ إِلَى الذُّرَا،
فِي ذَلِكَ الثَّوْبِ الَّذِي،

يَسْمُو... وَيَقْطُرُ عَفَّةً...
 وَيَشِي بِذَا السَّمْتِ الْوَقُورِ...
 عَنِ الْفَضِيلَةِ وَالصَّلَاحِ؟!
 أَنَا لَسْتُ أُدْرِي،
 كَيْفَ يَرْتَبِطُ التَّقَدُّمُ عِنْدَنَا،
 بِتَبْرِجِ الْحُمْرِ الرَّقِيعِ...
 وَبِالتَّهْتِكِ.. بِالنُّبَاحِ؟!
 أَمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ عِفْتَنَا
 بِقَبِيحِ فُجُورِهِمْ؟!
 وَيَلْبَسُونَ عَلَى الْوَرَى،
 بِالزُّورِ... بِالدَّجَلِ الرَّخِيسِ...
 وَبِالصِّيَاحِ؟
 فَلْيُخْبِرُونِي،
 أَيْنَ كَانَ تَمَدُّنُ الْعُرِيِّ الدَّنِيِّ بِغَرْبِهِمْ؟
 أَيَّامَ عَشْنَا الدِّينِ مَلْحَمَةً،
 وَرَفْرَفَ - مِنْ حَضَارَتِنَا -
 عَلَى الدُّنْيَا جَنَاحِ؟!
 وَإِذَا رَأَوْا فِي الْعُرِيِّ أَصْلَ حَضَارَةٍ!
 فَهَلِ ارْتَقَى عُرِيُّ الْبِهَائِمِ رِبْوَةً؟!

وَقَدْ اعْتَلَّتْ،
 أَعْلَى ذُرَا الْعُرْيِ الْمُبَاحِ؟!
 وَالْهَفَفَ قَلْبِي،
 حِينَ يُصْبِحُ مُجَدِّنَا
 رَهْنَا بِعَارِيَةِ وَغَانِيَةِ وَرَاحِ!!!
 تَبًّا لِمَجْدِ
 نَعْتَلِيهِ بِعُرَيْنَا،
 وَنَعُودُ مِنْهُ بِعَارِنَا،
 بِالْعُرْيِ يَلْتَزِمُ السَّفَاحُ!!!
 لَا تَذْهَلِي أُخْتَاهُ،
 لَا تَتَعَجَّبِي لِبِدَائِهِمْ،
 فَشِعَارُ أَرْبَابِ الْفُسُوقِ تَبَّحُّ،
 مَذْكَانَتِ الدُّنْيَا،
 فَمَا رَضَعُوا حَيَاءَ الْآيِ،
 أَوْ خَفَرَ الصِّحَاحُ.
 فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ
 تَتِيهُ بِعُرِيهَا،
 مِنْ قَوْمِ لُوطٍ طُغْمَةٌ،
 وَتَعْبِيرُ الطُّهْرِ الْعَقِيفِ بِطُهْرِهِ!

وَتَوَدُّ لَوْ تَنَفَّى
مِنَ الدُّنْيَا طَهَارَتَهَا،
وَلَوْ تَنَدُّ الصَّبَاحُ !!!
فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ
يُعْرَبُ دُ أُسْوَدُ،
وَيُجَاهِرُ الكَذَابُ يَنْشُرُ زُورَهُ،
وَتُفَاخِرُ الدُّنْيَا - بِسَوَاتِنِهَا - سَجَاحُ !!
لَا تَحْزِنِي،
هِيَ رِدَّةُ الْأَخْلَاقِ...،
نَكْسَةٌ عَقْلِيهَا...،
فِي وَجْهِ طُوفَانِ الجُسُومِ،
وَتُورَةُ الشَّهَوَاتِ،
وَالعُهُرِ الصُّرَاحُ !!!
هِيَ جَاهِلِيَّةٌ قَرْنَنَا العِشْرِينَ،
تُعْلَنُ عُرْيَهَا،
وَتُسَقِّهُ المُتَطَهِّرِينَ لِطَهْرِهِمْ،
وَهُنَالِكُمْ
مِنَ أَلْفِ عَامٍ «بِتُّهَا»،
طَافَتْ بَيْتِ اللَّهِ عَارِيَةً،

وَعَيْرَتِ الْوَشَاحَ!
 فَلْيُخْبِرُونِي
 أَيُّنَا رَجْعِيَّةٌ؟!
 تَهْفُؤُ إِلَى طَبَعِ الْبَهَائِمِ رُوحُهُ!
 بَلْ أَيُّنَا ارْتَكَسَتْ إِلَى
 دَرَكِ الْبَهَائِمِ ذَاتُهُ؟!
 وَمَضَى يُدَسُّ كُلَّ سَاحٍ!
 هِيَ سَنَةُ الشَّيْطَانِ،
 أَسْكَنَهَا شِغَافَ قُلُوبِهِمْ،
 فَعَدَّوْا بِهَا بَيْنَ الْوَرَى،
 يَسْتَحْقِرُونَ «جِهَادَهُ» لِجِهَادِهِمْ،
 يُحْيُونَ سَنَةَ غِيِّهِ،
 وَيَطْوِرُونَ فَنُونَهَا،
 وَيَجِدُّونَ لِشَرِّعِهِ،
 مَا رَاحَ أَدْرَاجَ الرِّيَّاحِ!!!
 هِيَ خِسَّةٌ، وَنِخَاسَةٌ،
 يُسْبِي الْحَرَائِرَ زُورَهَا،
 وَيَقُودُهَا
 نَحْوَ الشَّوَارِعِ وَالْمَتَاجِرِ كَالدَّمَى،

بَلْ كَالرَّقِيقِ بَعْرِهَا وَطَلَانِهَا،
سَلَعُ يُبَاعُ عَقَافُهَا،
لَمَنْ اشْتَرَى،
وَمَنْ اكْتَرَى،
وَمَنْ اسْتَبَاحَ!!!

أَخْتَاهُ

لَا تَسْتَيْسِي،
مِنْ تُرَّهَاتِ هُرَائِهِمْ،
وَعَوَائِهِمْ،
فَلَكُمْ تَزِيدُ تَبْقُظُ الرَّاعِي
عَوَاءَاتُ الذَّنَابِ.
لَا تَفْزَعِي لِذُخَانِهِمْ،
فَهُمُ الذُّخَانُ لِمَجْمَرٍ،
حَقْدًا تَمِيزُ نَارَهُ،
تَحْتَ التُّرَابِ!
لَكِنَّا الْيَاقُوتُ،
تَصْقُلُهُ مَجَامِرُ نَارِهِمْ،
تَنْفِي الدَّخِيلَ الْغَثَّ،

تَسْتَصْفِي مَعَادِنَهُ الصَّلَابُ.

لَا تَحْزِنِي،

وَلتَفْرَحِي،

فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ،

أَنِّي ارْتَضَى،

وَلتَفْقَهِي:

لَا تُنْجِسُ الْأَنْهَارَ أَذْيَالُ الْكِلَابِ،

لَا تُنْجِسُ الْأَنْهَارَ أَفْوَاهُ الْكِلَابِ^(١)

□ ونقول أخيراً خيراً أمةٍ أُخرجت للناس:

مَتَى تَعِينَ وَنَارُ الشَّرِّ تَسْتَعِرُّ

مَتَى النِّجَاةُ وَقَدْ لَمَّتْ بِنَا الْعَبْرُ

مَتَى يَعُودُ إِلَى مَحْرَابِهِ عُمَرُ؟!

وَأُمَّةُ الْحَقِّ لَا سَمْعَ وَلَا بَصْرَ؟!

يَا أُمَّةَ الْحَقِّ وَالْآلَامُ مُقْبِلَةٌ

مَتَى الْخِلَاصُ وَقَدْ طَمَّتْ مُصِيبَتُنَا

مَتَى يَعُودُ إِلَى الْإِسْلَامِ مَسْجِدُهُ

أَكُلَ يَوْمَ يُرَى لِلدِّينِ نَازِلَةٌ

(١) السبت ٤ من ذي القعدة سنة ١٤٢٧هـ (٢٥/١١/٢٠٠٦م).

□ وما أروعَ قولَ القائلِ :

إِنَّا سَمِعْنَا أُخْتَنَا شَيْئًا عَجَابُ قالوا كلامًا لا يَسْرُ عن الحِجَابِ

قالوا خِيَامًا عَلَّقْتَ فَوْقَ الرَّقَابِ

قالوا ظِلَامًا حَالِكًا بَيْنَ الثِّيَابِ قالوا التَّأخُّرُ والتَّخْلُفُ فِي النَّقَابِ

قالوا الرَّشَاقَةَ والتَّطَوُّرُ فِي غِيَابِ

نادوا بِتَحْرِيرِ الفِتْنَةِ وَأَلْفُوا فِيهِ الكِتَابِ رَسَمُوا طَرِيقًا لِلتَّبْرُجِ لَا يُضِيعُهُ الشَّبَابُ

يَا أُخْتَنَا هُمْ سَاقِطُونَ إِلَى الحَضِيضِ إِلَى التُّرَابِ

يَا أُخْتَنَا هُمْ سَافِلُونَ بِغِيهِمْ مِثْلَ الكِلَابِ يَا أُخْتَنَا هَذَا عَوَاءُ الحَاقِدِينَ مِنَ الذَّنَابِ

يَا أُخْتَنَا هَذَا نُبَاحٌ لَا يُوَثِّرُ فِي السَّحَابِ

يَا أُخْتَنَا صَبْرًا تَذُوبٌ بِبَحْرِهِ كُلُّ الصَّعَابِ يَا أُخْتَنَا أَنْتِ العَفِيفَةُ والمُصَوَّنَةُ بِالحِجَابِ

يَا أُخْتَنَا فِيكَ العَزِيمَةُ والنَّزَاهَةُ والشَّوَابِ

فَالنَّارُ مَثْوَى الظَّالِمِينَ لَهُمْ عِقَابُ وَاللَّهُ يَكشِفُ ظُلْمَهُمْ يَوْمَ الحِسَابِ

وَالجَنَّةُ المَأْوَى وَيَا حُسْنَ المَأَبِ

وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ؟!

الثناء على رسول الله ﷺ

من

أكابر مُفكّري الغرب

وهل يخفى القمر؟!!

لا يستطيعُ أيُّ مُنْصِفٍ أن يحجُبَ الحقيقةَ والنورَ . . . ومَن يحاولُ حَجْبَ النورِ فهو كمن يحاولُ بكفِّ طفلٍ صغيرٍ أن يُخْفِيَ شُعاعَ الشمسِ أو ضوءَ القمرِ أو إدراجَ الشمسِ في قبرٍ أو كهفٍ من كهوفِ الزمنِ . . . ولقد مدَحَ وأثنى على رسولِ اللهِ ﷺ كثيرٌ من مُفكِّري الغربِ، وعدَلتُ في عنوان هذا الفصل عن تسميته «المنصفون للنبي ﷺ في الغرب» . . . فإن قولَ بعضِ أهلِ الفكرِ فيه بأنه كان «عبقرياً، عظيماً، ما شهدت مثله البشرية، أو مُصلِحاً عظيماً ما جاء مثله مدَى الأيامِ في بلادِ العرب» . . . هذا ليس إنصافاً، بل حطاً من مرتبته، فهو رسولُ اللهِ ﷺ إلى الناسِ كافةً، وهو خاتمُ النبيينِ . . . وأيُّ إنكارٍ لهذه المرتبةِ والمنزلةِ ليس إنصافاً، فتمامُ الإنصافِ الاعترافُ بنبوِّته الخاتمةِ والدخولُ في دينه .

● قال رسولُ اللهِ ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة، لا يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أُرسِلتُ به، إلَّا كان من أصحابِ النارِ»^(١) .

وأيُّ ثناءٍ على الإسلامِ والقرآنِ أذكرُه هنا، فهو ثناءٌ على رسولِ اللهِ ﷺ، فلا يمكنُ الفصلُ بين الرسولِ ﷺ، وبين الدينِ العظيمِ الذي جاء به، وبين الكتابِ المبينِ والذِّكْرِ الحكيمِ الذي أنزلَ عليه .

ولكنْ قبلَ الشروعِ في بيانِ أقوالِ هؤلاء؛ لا بدَّ من ذِكرِ أصلِ وقاعدةٍ

(١) رواه أحمد ومسلم .

في غاية الأهمية . . وهي أن الإسلام ليس بحاجة إلى شهادة غيره من أهل الملل الأخرى، ذلك لأن «الإسلام يعلو ولا يُعلى» - كما قال الحبيب المصطفى ﷺ^(١)، وإنما أوردنا شهادتهم من باب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦]، وليكون كلامهم حجة على أنفسهم أولاً، ثم حجة على بني قومهم ثانياً عند الله تبارك وتعالى غداً . . وقد كفانا الله سبحانه بإسلامنا العظيم عن شهادة أي ملّة ونهج آخر.

* قال سبحانه مُتَمَتِّناً عَلَى عِبَادِهِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونحن - بحمد الله - نكتفي ونرضى بما رضى لنا به ربنا العظيم جلّ جلاله، ولو فرَضْنَا أن الكلمات القادمة في مدح الإسلام ونبيه ﷺ لم تصدر من هؤلاء، فإن نبينا ﷺ لن ينقص قدره، ولن ينزل - قيد شعرة - من سموه . . وسيظل دينه - رغم أنف الدنيا كلها - هو الدين الحق المصان من التبديل والتحرif . . وسيظل محمد ﷺ - شاء المتكبرون أم أبوا - خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث بالحق من عند رب العالمين، وشريعته الغراء ناسخة لجميع الشرائع من قبله . . ومن زكاه الله عز وجل لا يحتاج لتزكية من فوق التراب . . وكيف وهو الشاهد على الأمم والرسل يوم القيامة!!

فذكرنا لكلام هؤلاء إذن ليس احتجاجاً به، ولا تعظيماً له، وإنما هو زيادة في الحجة والبيان . . على أن مدح هؤلاء له ﷺ مدح ناقص . . إذ لا

(١) حسن: رواه الدارقطني (٢٥٢/٣) والبيهقي (٢٠٥/٦) . . وحسنه الألباني في «صحيح

يتمُّ المَدْحُ والتعظيمُ إلاَّ بالدخولِ في دينه والانصياعَ لأمره.. واللهُ المستعان، وعليه التُّكلان.

وها نحن نَشْرَعُ في ذكرهم:

* جورج برنارد شو:

كاتبٌ ومفكِّرٌ أيرلنديٌّ، وُلِدَ عام ١٨٥٦ في مدينة «كانيا»، وتُوفِّيَ عام ١٩٥٠، اشتهرَ بِنقدهِ اللادعِ للمجتمعِ البريطانيِّ، وخاصةً في عصرِ الملكة فكتوريا (تُوِّجَت ملكةً عام ١٨٣٧، وتُوفيت عام ١٩٠١)، وقد بلغت الإمبراطوريةُ البريطانيَّةُ أوجَهاً في العصرِ الفِكْتوري، كذلك اشتهرَ «برنارد شو» بِنقدهِ للغربِ بوجهِ عام، وقد حَصَلَ على جائزة «نوبل» في الأدب عام ١٩٢٥ م.

□ يقول جورج برنارد شو: «لقد كنتُ دائماً أحتفظُ لدينٍ محمدٍ عندي بأعلى التقدير، وذلك بسببِ حيويتهِ المدهشة، إنه الدينُ الذي يبدو لي أنه يَمْتَلِكُ القُدرةَ على استيعابِ تغيُّرِ أطوارِ الحياة، بما يجعلُهُ مَحَلَّ إعجابٍ لكلِّ العصور.

لقد دَرَسْتُ محمداً - ذلك الرجلَ العجيبَ -، وفي رأبي أنه أبعدُ ما يكونُ عمن يُسمَّى «ضد المسيح»^(١)، ويجبُ أن يُسمَّى: «مُنقذُ الإنسانيَّة». إنني أعتقدُ لو أن شخصاً مثله تولَّى الحُكْمَ المُطلقَ للعالمِ المعاصرِ، لَنَجَحَ في حلِّ مشاكله بطريقةٍ تجلبُ له ما هو في أشدِّ الحاجةِ إليه من سلامٍ وسعادة.

-He must be called the Savior of Humarity.

(١)

لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً في أوروبا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولاً في أوروبا اليوم»^(١).

□ وله مؤلف أسماه «محمد» أحرقتَه السلطة البريطانية. قال برنارد شو: «إنَّ العالمَ أحوجُّ ما يكونُ إلى رجلٍ في تفكيرٍ محمد، هذا النبيُّ الذي وَضَعَ دينَه دائماً موضعَ الاحترامِ والإجلالِ، فإنه أقوى دينٍ على هضمِ جميعِ المدنيَّاتِ، خالداً خلودَ الأبدِ، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدينَ على بيّنةٍ، وسيجدُ هذا الدينُ مجاله الفسيحَ في هذه القارة - يعني أوروبا -، وإذا أراد العالمُ النجاةَ من شروره، فعليه بهذا الدينِ، إنه دينُ السلامِ والتعاونِ والعدالةِ في ظلِّ شريعةٍ متمدِّنةٍ محكمةٍ، لم تنسَ أمراً من الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزانٍ لا يُخطئُ أبداً، وقد ألفتُ كتاباً في «محمد»، ولكنه صوِّدَ لخروجه عن تقاليدِ الإنكليزِ».

* هاملتون جب :

يُعتبر واحداً من أكبرِ المستشرقين الإنجليزِ في العصر الحديث، وهو عضوُ المجمعِ العلميِّ العربيِّ في دمشق ومجمعِ اللغةِ العربيةِ في القاهرة، وهو أستاذُ الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ بجامعة «هارفارد» الأمريكية، ومن كبارِ محرري وناشري «دائرة المعارف الإسلامية».

□ يقول «هاملتون جب» في كتابه: «الإسلام إلى أين؟»: «لا يزالُ لدى الإسلامِ فضلٌ آخرٌ يبذلُه من أجلِ قضيةِ الإنسانيةِ، فهو يقفُ - على كلِّ حالٍ - أقربَ إلى الشرقِ أكثرَ من موقفِ أوروبا منه، كما أنه يمتلكُ تقاليدَ

رائعةً فيما يتعلّق بالتفاهم والتعاون بين أجناس البشر، فلم يُحرز أيُّ مجتمعٍ آخرَ - غير إسلامي - مثلَ هذا السَّجِلِّ من النجاح في التوحيد بين ذلك القَدْرِ الهائل والمتنوع من الأجناس البشرية بتحقيق المساواة أمام القانون، وتكافؤ الفرص للجميع.

ولا يزال الإسلامُ قادراً على تحقيق مُصالحةٍ بين عناصرِ الجنسِ البشريِّ وتقاليدها التي تستعصي على التصالح^(١).

وإذا قُدِّرَ أن يحلَّ التعاونُ يوماً ما محلَّ التعارضِ القائم بين المجتمعاتِ الكبيرة في الشرق والغرب، فإنَّ وساطةَ الإسلامِ تُصبحُ شرطاً لا غنى عنه، إذ يكمنُ بين يديه - إلى حدِّ كبير - حلُّ المشكلةِ التي تواجهُ أوربا في علاقتها بالشرق^(٢).

* مايكل هارت :

عالمٌ أمريكيٌّ معاصرٌ، يتمتعُ بسعةٍ تخصصه في مجالاتٍ علميةٍ متعددةٍ مثل الفلكِ والرياضياتِ والفيزياءِ، كما أنه مُحامٍ ومؤرِّخٌ من الهواة، يعملُ في وكالةِ أبحاثِ الفضاءِ الأمريكيةِ المعروفةِ اختصاراً باسم: «ناسا».

□ يقول «مايكل هارت» في كتابه: «المائة: تصنيف لأعظم

- If ever the opposition of the great societies of East and West is to (١) replaced by cooperation, the mediation of Islam is an indispensable condition. In its hands Lies very largely the solution of the problem with which Europe is faced in its relation with East.

- H. Gibb: Whither Islam?, London, 1932, P. 379

(٢)

الشخصيات أثراً في التاريخ» - وقد وضع محمداً رسولَ الله على رأس هذه القائمة -: «إِنْ اخْتَارِي مُحَمَّدًا لِيَكُونَ عَلَيَّ رَأْسَ الْقَائِمَةِ لِأَعْظَمِ الشَّخْصِيَّاتِ الْعَالَمِيَّةِ فِي التَّارِيخِ، قَدْ يَدْهَشُ بَعْضَ الْقُرَّاءِ، كَمَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَحَلَّ تَسْأُولٍ مِنْ بَعْضِ الْآخَرِ، لَكِنَّ مُحَمَّدًا كَانَ هُوَ الْإِنْسَانَ الْوَحِيدَ فِي التَّارِيخِ الَّذِي بَلَغَ أَعْلَى دَرَجَاتِ النِّجَاحِ عَلَيَّ الْمُسْتَوِيِّينَ الدِّينِيَّ وَالْدُّنْيَوِيِّ.»

لقد استطاع محمدٌ - رغم أنه جاء من أصولٍ متواضعة^(١) - أن يؤسسَ وينشرَ واحدةً من أعظمِ دياناتِ العالمِ، كما أصبحَ زعيماً سياسياً ذا تأثيرٍ هائلٍ، واليوم - وبعدَ مرورِ ثلاثةِ عَشْرَ قرناً على وفاته - لا يزالُ تأثيرُهُ قوياً واسعَ الانتشارِ.

إنَّ أغلبَ الشخصياتِ المذكورةِ في هذا الكتابِ «المئة» تميَّزُ بأنها وُلدت وتربَّت في مراكزِ الحضارةِ، ونشأت في أُممٍ عاليةِ الثقافةِ، أو ذاتِ أهميةٍ عظمى في السياسةِ، لكنَّ محمداً وُلدَ عام ٥٧٠ في مدينةِ «مكة»، جنوبَ بلادِ العربِ التي كانت آنذاك منطقةً متخلِّفةً بين بلادِ العالمِ، وبعيدةً عن مراكزِ التجارةِ والفنِّ والمعرفةِ، ولقد أصبحَ يتيماً وهو في السادسةِ من عُمره، ونشأ في بيئةٍ متواضعةٍ، وكان أغلبُ العربِ آنذاك وثنيينَ يعبدونَ آلهةً كثيرةً، وعندما بَلَغَ محمدٌ الأربعينَ مِنْ عُمره صارَ مقتنعاً بأنَّ الإلهَ الواحدَ الحقَّ - اللهَ - يُكَلِّمُهُ، وأنه اختاره لنشرِ الدينِ الحقِّ، غيرَ أن تلكَ الجيوشَ العربيَّةَ الصغيرةَ - وقد وَحَّدَها محمدٌ لأولِ مرَّةٍ في التاريخِ، ونَفَخَ

(١) بل هو أشرفُ الناسِ نسباً ﷺ.

فيها الإيمان بالإله الواحد الحقُّ رُوحاً جديدة - ما لبثت أن قامت بسلسلةٍ من الفتوحات تُعتبر واحدةً من أكثرها مدعاةً للدهشة في تاريخ البشرية، وعلى الرغم من أن القوة العدديّة للعرب في ميدان المعركة لا يُمكن أن تكون محلّ مقارنةٍ مع القوة العدديّة الهائلة لخصومهم، فإنّ أولئك العرب المتحمسين سرعاناً ما فتحوا كلَّ بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين، وفي عام ٦٤٢ كانت مصرُ قد انتزعت من قبضة الإمبراطورية البيزنطية، بينما تم سحْقُ الجيوش الفارسيّة في المعارك الحاسمة: في «القادسية» عام ٦٣٧، و«نهاوند» عام ٦٤٢.

لكنّ هذه الفتوحات العظيمة - التي تَمَّت تحت قيادة صاحبيّ محمد الحميمين وخليفته المباشرين، وهما أبو بكر وعمرُ بن الخطاب - لم تكن هذه الفتوحات نهايةً لزحف العرب، ففي عام ٧١١ اكتسحت الجيوشُ العربيّة شمال إفريقيا بالكامل حتى وصلت إلى المحيط الأطلسي، ومن هناك استدارت شمالاً، فعبرت مَضِيقَ جبل طارق، ثم سحقت مملكة «القوط الغربيين» في أسبانيا، ولقد بدأ آنذاك أن المسلمين على وشك أن يسحقوا أوروبا المسيحية بالكامل، ولكن أخيراً - وفي عام ٧٣٢ - هزم الفرنجة جيشاً إسلامياً كان قد زحف إلى قلب فرنسا، وذلك في معركة «بواتيه» الشهيرة.

وعلى الرغم من ذلك، فإنّ أولئك البدو القبليين الذين نفخت فيهم كلمات النبي رُوحاً جديدة، قد استطاعوا خلال أقلّ من قرنٍ من الحرب أن يُقيموا إمبراطوريةً تمتدُّ من حدود الهند إلى المحيط الأطلسي، وكانت أكبر

الإمبراطوريات التي عرّفها العالم.

وخلال القرون المتلاحقة، كان من الطبيعي أن يستمر الدين الجديد في الانتشار بعيداً فيما وراء الحدود الأصلية للفتوحات الإسلامية. ويعتق هذا الدين حالياً عشرات الملايين في إفريقيا وآسيا الوسطى، وأيضاً في باكستان وشمال الهند وأندونيسيا، ولقد كان هذا الدين الجديد عاملاً لتوحيد أندونيسيا.

ونظراً لأن عدد المسيحيين في العالم يُقدَّر تقريباً بضعف عدد المسلمين، فقد يبدو غريباً أن يُوضَعَ محمدٌ في القائمة قبل عيسى، لكن هناك سببان رئيسان لهذا القرار:

أولهما: أن محمداً لعب دوراً هاماً أبعد أثراً في نشر الإسلام وبيانه أكثر مما فعله عيسى في المسيحية، فعلى الرغم من أن عيسى كان مسؤولاً عن المبادئ الأساسية للسلوك والتعاليم الأخلاقية في المسيحية، فإنّ القديس «بولس» كان هو المسؤول عن وضع قواعد اللاهوت المسيحي، وناشر المسيحية الأولى، ومؤلف الجزء الأكبر من أسفار العهد الجديد.

أما محمدٌ، فقد كان هو المسؤول عن وضع قواعد الإسلام والمبادئ الأساسية والتعاليم الأخلاقية، وبجانب هذا، فقد لعب الدور الرئيسي في نشر العقيدة الجديدة وترسيخ الممارسة الدينية للإسلام، والقرآن يُمثلُ كلماته بالضبط إلى حد بعيد، على حين أنه لم يبق لنا مثل هذا التصنيف التفصيلي لكلمات المسيح وتعاليمه.

وربما كان التأثير النسبي لمحمد على الإسلام أكبر من التأثير المشترك

ليسوع المسيح والقديس بولس على المسيحية، وعلى المستوى الديني الخالص، يُمكن أن يكون تأثيرُ محمدٍ في تاريخ الإنسانية مثل تأثيرِ عيسى - وأكثر من هذا..

وعلى العكس من عيسى، فإن محمداً كان زعيماً دنيوياً كما كان زعيماً دينياً، وفي حقيقة الأمر وبصفته القوة المحرّكة للفتوحات العربية، يمكنه أن يكون أكثر الزعماء السياسيين تأثيراً عبر كلِّ العصور، وقد يمكن القول: إن كثيراً من الأحداث التاريخية الهامة كان محتمماً وقوعها حتى دون وجود الزعيم السياسي المعين الذي وجهها، ولكن مثل هذا القول لا يمكن أن ينطبق على الفتوحات العربية، فلم يحدث مثل ذلك قبل محمد، ولا يوجد سبب يدعو للاعتقاد بأن تلك الفتوحات كان يمكن حدوثها دون محمد.

إن الفتوحات الوحيدة في تاريخ البشرية - والتي يمكن مقارنتها بالفتوحات العربية -، هي فتوحات «المغول» في القرن الثالث عشر، والتي يرجع الفضل فيها إلى تأثير «چنكيزخان»، لكن فتوحات المغول - رغم امتدادها أكثر من الفتوحات العربية - لم يكتب لها الدوام، ويحتلُّ المغول اليوم نفس المساحة التي كانوا فيها قبل عصر «چنكيزخان».

إن هذا يختلف تماماً عما حدث للفتوحات العربية، إذ تمتدُّ من العراق إلى المغرب سلسلة متصلة من الأمم العربية، لم تتحد فقط في إيمانها بالإسلام، ولكن وحدها أيضاً لغتها العربية وتاريخها وثقافتها، وفوق ذلك، نرى أن الفتوحات العربية التي حدثت في القرن السابع، لا تزال

تَلَعَّبُ دَوْرًا هَامًا فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ حَتَّى الْيَوْمِ^(١) .

وَبِسَبَبِ هَذَا الْجَمْعِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ بَيْنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، أَرَى أَنْ مُحَمَّدًا مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُعْتَبَرَ أَعْظَمَ الشَّخْصِيَّاتِ الْبَارِزَةِ أَثْرًا فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ^(٢) .

* بَرْنَارْدُ لُوَيْسُ :

وُلِدَ عَامَ ١٩١٦، وَحَصَلَ عَلَى الدِّكْتَوْرَاةِ مِنْ جَامِعَةِ «لَنْدُن» عَامَ ١٩٣٩م، وَهُوَ أَسْتَاذُ دَرَاثَاتِ الشَّرْقِ الْأَدْنَى بِجَامِعَةِ «بَرْنِسْتُون»، وَأَسْتَاذٌ زَائِرٌ فِي كَالِيفُورْنِيَا وَكُولُومْبِيَا وَإِنْدِيَانَا، وَعُضْوٌ شَرَفٍ فِي الْجَمْعِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ التَّرْكِيَّةِ، وَعُضْوٌ الْجَمْعِيَّةِ الْفَلْسَافِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْمَعْهَدِ الْمَلَكِيِّ لِلشُّؤُونِ الدُّوَلِيَّةِ، وَعَدَدٌ آخَرَ مِنَ الْجَمْعِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ .

□ كَتَبَ «بَرْنَارْدُ لُوَيْسُ» عَنِ الْإِسْلَامِ يَقُولُ: «أَرْسَلَ اللَّهُ الْمَلَكَ جَبْرِيلَ لِيُمْلِيَ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَبِهَذَا يُكْمِلُ الْقُرْآنُ سِلْسَلَةَ الْوَحْيِ الَّتِي سَبَقَتْ إِلَى أَنْبِيَاءِ الْيَهُودِ وَإِلَى عَيْسَى، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ مُحَمَّدٌ أَعْظَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتَمَهُمْ، وَيَكُونُ الْقُرْآنُ هُوَ «الْكِتَابُ» الْأَخِيرَ وَالتَّعْبِيرَ الْكَامِلَ عَنِ إِرَادَةِ اللَّهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَيَاةِ النَّاسِ .

إِنَّ الْمَسِيحِيَّةَ فِي إِخْلَاصِهَا إِلَى «إِنْسَانٍ - إِلَهٍ» إِنَّمَا تُلْهِمُ مُثَلًّا عَلِيًّا دُنْيَوِيًّا،

- It is this unparalleled combination of secular and religious influence (١) which I feel entitles Muhammad to be considered the most influential single figure in human history.

- M. Hart: the 100: A Ranking of the Most influential persons in History, pp. 33-40

بينما الإسلامُ في إخلاصِهِ للقرآن، إنما هو حضارةٌ، إذ لا يُمكنُ فصلُ محتواه الدينيِّ عن تنظيمِ حياةِ البشر، ذلك التنظيمُ الذي كان يُوضعُ موضعَ التنفيذِ فوراً بمجردِ التنزيلِ .

لقد كان «قيصر» هو إلهَ روما الإمبراطورية، وبالنسبة للمسيحيِّ، يَعترفُ بأنَّ «يُعطَى ما لقيصرَ لقيصر، وما للهَ لله»، أما بالنسبة للمسلم، فإنَّ اللهَ هو قيصر^(١)، لن يعترفَ بأيِّ مصدرٍ آخرَ للسلطةِ سوى اللهِ .

ويَتَّفِقُ المسلمون وغيرُ المسلمين - بوجهٍ عامٍّ - على إعطاءِ كلمةِ «الإسلام» معنى «التسليم لله»، وبخاصةِ استسلامِ المؤمنِ لمشيةِ الله، ولقد فَهِمَ الإسلامُ - في نظرِ محمدٍ نفسه، وفي نظرِ المسلمين الأوائل - على إنه ليس ديناً جديداً، وإنما هو استمراريةٌ تمثلُ المرحلةَ الأخيرةَ في الصِّراعِ الطويلِ بين الشُّركِ والتوحيد، ولقد كان الأنبياءُ الكثيرون الموحِّدون وتلاميذهم - الذين شاركوا في هذا الصِّراعِ قَبْلَ محمدٍ -، كانوا جميعاً مسلمين، وتدلُّ كلمةُ «الإسلام» على الدينِ الحقِّ الذي دعا إليه كلُّ المرسلين الذين اختارهم اللهُ .

واليهوديةُ مثلُها مثلُ المسيحية، كانت كلُّ منها مرحلةً سابقةً في نفسِ سلسلةِ الوحيِ الإلهيِّ، وكانتا في أولِ أمرهما ديارتينِ صحيحتين، ولكنَّ بالنسبة للمسلمين فإنَّ بعثةَ محمدٍ قد نسختهما، فما كان فيهما من حقٍّ، قد

(١) يقصد أن المسلم يعتقد أن الله سبحانه هو الحاكم الأوحد.. ولكن المسلم لا يمكن أن يُشبه الله جل جلاله بقيصر أو غيره.. تعالى الله عن ذلك.. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ﴾

احتوته رسالة النبي، وما كان فيهما من غير الحق، إنما جاء نتيجة لما لحق بهما من تحريف.

وعلى المستوى الديني، يُعتبر الإسلام هو النهاية، ولكن من الجهة التاريخية يمكن النظر إليه باعتباره بداية، فقد كان تأسيساً لدين جديد، وإمبراطورية جديدة، وحضارة جديدة^(١).

وهنا نقطة هامة كان بناءً عليها قدر محمدٍ مختلفاً جذرياً عما قُدِّرَ لعيسى والأنبياء الآخرين، وهي أن حياته قد تميّزت بالنجاح الزمني، ومن المؤكّد أنه لم يكن في بدء رسالته إلا داعية متواضعاً ومضطهداً - مثل بقية رسل الله -، ولكنه بدلاً من أن يُقاسى الاستشهاد، فإذا به يرتفع إلى السلطة^(٢)، إنَّ الإسلام منذ بدايته وهو مرتبطٌ بممارسة السلطة السياسية، والذي حدّث أنّ جماعة المسلمين بالمدينة كوّنت أيضاً دولة، ثم كان على الأحداث التي تعقّب ذلك أن تجعل منها نواةً لإمبراطورية.

لقد كان الله في نظر المسلمين هو المصدر الأسمى للسلطة، ومنه استمدّ النبي سلطته وشريعته في نفس الوقت، ولقد كان النبي هو مبلغ وحي الله، ورسول العناية الإلهية، والرئيس المفوض من الله لقيادة جماعة

(١) - La fondation d'une nouvelle religion, d'un nouvel empire, d'une nouvelle civilisation.

(٢) - L' Islam, des ses debuts, s'engagea dans l'exercice du pouvoir politique. Il se trouvait que la communauté musulmane de Medine constituait aussi un Etat; les evenements qui allaient suivre devaient en faire le noyau d'un empire.

المؤمنين، لقد علّم يسوعُ المسيحيين أن يُعطوا لقيصرَ ما لقيصر، وأن يُعطوا لله ما لله، وخلالَ ثلاثةِ قرونٍ من الصراعات والاضطهادات، توطّد بصلابةِ هذا الفصلِ بين السلطتينِ الدينيةِ والزمنيةِ في العقيدةِ المسيحيةِ وممارستها، ولقد أقامت الديانةُ المسيحيةُ مؤسساتها المنفصلةَ عن مؤسساتِ الدولة، إذ أقامت الكنيسةَ وطبقةَ الكهنوتِ المسيحي.

ولقد حدّث التغييرُ الكبيرُ مع تحوُّلِ الإمبراطور الروماني «قسطنطين» إلى المسيحية، وابتداءِ علاقاتٍ سيئةٍ في صدرِ المسيحيةِ بين الكنيسةِ والدولة^(١).

إن هذا الفصلَ بين السلطتينِ (الدينيةِ والزمنيةِ) غيرُ موجودٍ على الإطلاقِ في الإسلام، كما أن هناك زوجينِ من الكلماتِ مثل: «دنيويٌ نجسٌ، ودينيٌ»، «رُوحِيٌّ، وزمنيٌّ»، لا يوجدُ لهما مكافئٌ في العربيةِ الفصحى، وفي «روما» كان «قيصر» هو الله، وفي المسيحية تقاسمَ قيصرُ واللهُ المسيحيةَ، أما في الإسلام، فاللهُ هو قيصر.

وعندما مات محمد، كانت بعثتهُ الروحيةُ والنبويةُ قد اكتملت، وكانت مهمتهُ - التي حدّدها الله - هي: استعادةُ التوحيدِ الحقيقيِّ الذي علّمه الأنبياءُ السابقون - لكنه ما لبث أن تعرّضَ للتحريفِ والفسادِ، ثم القضاءُ

- Cette separation de deux pouvoirs n'existe nullement dans l' Islam; (١) d'ailleurs, des couples de mots tels que "profane et religieux", "spirituel et temporel" n'ont pas d'equivalents en arabe classique. A Rome, Cesar Etait Dieu; dans la chretiente, Dieu et Cesar se partageaient le pouvoir. Dans l' Islam, dieu est Cesar.

على الوثنية، وتبليغ الوحي الذي جَدَّدَ الدينَ الحقيقيَّ والشريعةَ الإلهيةَ، وكان هذا ما فعله محمدٌ أثناءَ حياته، وعند موته عام ١١هـ - ٦٣٢م كانت إرادةُ الله قد أُوحيَ بها كاملةً إلى البشرية، ولن يكون بعد ذلك نبيُّ أو وحيٌّ آخر.

وإذا كانت المهمةُ الروحيةُ قد انتهت، فلا تزالُ هناك مهمةٌ دينيةٌ أخرى يجبُ تحقيقُها، ألا وهي الحِفاظُ على الشريعةِ الإلهيةِ، والدفاعُ عنها، وإخضاعُ بقيةِ البشريةِ إلى الدين^(١)، ولقد تَطَلَّبَ إنجازُ مثلِ هذا العملِ ممارسةَ قوةٍ سياسيةٍ وعسكريةٍ، أو باختصارٍ ممارسةَ سيادةٍ داخلِ دولة^(٢).

ويُزعمُ أحياناً أن الدينَ الإسلاميَّ قد فُرضَ بالقوة؛ لكنَّ هذا القولَ غيرُ صحيحٍ - ولو أن عملياتِ الفتحِ قد ساهمت إلى حدٍّ كبيرٍ في امتدادِ الإسلامِ والعروبةِ -، فبعد وفاة النبيِّ بقرنٍ، وفي إمبراطوريةٍ واسعةٍ يحكمُها ورثةُ محمدٍ، وتضمُّ العديدَ من الأقطارِ والشعوبِ، كان الإسلامُ هو الدينَ السائدَ، وكانت اللغةُ العربيةُ تحلُّ سريعاً محلَّ اللغاتِ الأخرى، وتفرضُ نفسها، وخاصةً في الإدارةِ والتجارةِ والتعليمِ.

لقد قامت حضارةٌ أصيلةٌ مستوحاةٌ من العقيدةِ الإسلاميةِ، وامتتعةٌ بحمايةِ الدولةِ الإسلاميةِ، ومدعمةٌ بثراءِ اللغةِ العربيةِ، حضارةٌ تنمو وتتسعُ

(١) - L'accomplissement d'une telle tâche exigeait l'exercice d'une pouvoir politique et militaire - en un mot, d'une souverainete - au sein d'un Etat.

(٢) - On Pretend parfois que la religion islamique s'est imposee par la force. Cela est inexact.

وتعيشُ طويلاً وقد صنَّعها الرجالُ والنساءُ من مختلفِ الأعراقِ والدياناتِ، وقد اصطبغ كلُّ شيءٍ فيها بالعروبةِ والمبادئِ والقيمِ الإسلامية^(١).

* الفيلسوف الشهير لاون تولستوي الروسي :

تولستوي (١٨٢٨ - ١٩١٠) مؤلَّفٌ قصصِيٌّ، اشتغل بالإصلاح، وهو كاتبٌ روسيا الأعظم، ثار على الزعماءِ من حُكَّامِ «واكليروس»، فمهَّد السبيلَ للثورةِ ولانتشار الشيوعية.

□ قال في كتابه «الإنسان والحياة»: «وقد صدَّقتُ عائلةَ النبيِّ محمدٍ برسالته، وكذلك عليُّ بنُ أبي طالبٍ وزيدٌ، وانضمَّ إليه أبو بكرٍ وخديجةُ بنتُ خويلدٍ - وهي أولُ مَنْ أسلم من النساءِ -».

□ إلى أن قال: «إنَّ محمداً نبيَّ الإسلامِ - الذي آمن به الآن أكثرُ من مِئتي مليونِ نفسٍ -، قد قام بعملٍ عظيمٍ جداً، فإنه هَدَى الوثنيين - الذين قَضَوْا حياتَهُم بالحروبِ الأهليةِ وسَفَكَ الدماءَ وتقديمِ الضحايا البشرية - إلى معرفةِ الإلهِ الواحدِ، وأثار أبصارَهُم بنورِ الإيمانِ، وأعلن أن جميعَ الناسِ متساوون أمامَ اللَّهِ سبحانه.

والحقُّ الذي لا مراءَ فيه، أن محمداً قام بعملٍ عظيمٍ وانقلابٍ كبيرٍ في العالمِ».

□ وقال في كتابه «حكم محمد»: «ومن أراد أن يتحققَ ما عليه الدينُ الإسلاميُّ من التسامُحِ، عليه أن يُطالعَ القرآنَ الكريمَ بامعانٍ، ذلك الكتابُ

- Bernard Lewis: L'Islam d'hier a Aujourd'hui, pp. 9-11, 16, 20 (1)

الذي جاء به محمد، وقد جاءت فيه آياتٌ كريمةٌ تدلُّ على رُوح الإسلام السامية، فمنها الآية الكريمة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ٢].

□ يقول الدكتور عبدالحليم محمود: «ومن مآثره الكريمة أنه حينما رأى الحَمَلَةَ الظالمة على الإسلام، وعلى رسول الإسلام ﷺ، كتب رأيه في هذا الدين الذي أعجب به، وتحدّث عن رسوله الذي نال إكباره، وكان جزاؤه على ذلك - أي على كلمة الحق التي يدينُ بها - أن حرّمه البابا من رحمة الله، فكان ذلك - كما يقول الشيخ محمد عبده مخاطبًا الأديب الكبير -: فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعترافٍ منهم - أعلنوه للناس - أنك لستَ من القوم الضالّين».

□ يقول «تولستوي»: «لا ريبَ أن النبيَّ محمدًا ﷺ من كبار (عظماء) الرجال المُصلِحين الذين خَدَمُوا الهيئةَ الاجتماعيةَ خدمةً جليلةً.

ويكفيه فخراً أنه هدَى أُمَّةً برُمَّتْها إلى نورِ الحقِّ تَجَنَّحُ (تخضع) للسكينة والسلام، وتُفضِّلُ عيشةَ الزهد، وتكفُّ عن سفكِ الدماء وتقدّم الضحايا البشرية.

ويكفيه فخراً أنه فتح لها طريقَ الرقيِّ والتقدّم والمدنية، وهذا عملٌ عظيمٌ لا يفوزُ به إلا شخصٌ أُوتِيَ قوّةً وحكمةً وعِلْماً، ورجلٌ مثله جديرٌ

بالاحترام والإجلال»^(١) .

* توماس كارليل الإنجليزي :

توماس كارليل (١٧٦٢ - ١٨٠٥م) مستشرق إنجليزي، أحد كبار كتّاب الإنجليز، أخذ العربية في بغداد، وكان أستاذاً للعربية في «كمبردج» بريطانيا.

و«كارلايل» أحد كبار كتّاب الإنجليز، شاعريُّ النزعة والفطرة، متحرّر من الرياء والخبث، يتتبع البطولة، فيكتب عنها ويمتدحها، ويحبُّ الناس في السموِّ بأنفسهم إلى منازل الأبطال - أو على الأقل إلى التشبه بهم -، وقد أثار كتابه: «الأبطال» إعجاباً في ميدان الفكر العالمي، وترجم إلى كلِّ اللغات الحية، وحينما ترجمه محمد السباعي - رحمه الله - إلى اللغة العربية، أثار الكثير من الإعجاب، وقد كان لأسلوب الأستاذ «السباعي» البارع أثرٌ في انتشار الكتاب، ومن لم يقرأه لمعانيه قرأه لأسلوبه، وفي هذا الكتاب فصلٌ مستفيضٌ عن حياة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -، نقتطفُ منه ما يلي :

□ «من العار أن يصغى أيُّ إنسانٍ متمدِّنٍ من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين: «إن دين الإسلام كذبٌ، وإن محمداً لم يكن على حق» .

لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المُخجلة، فالرسالة التي

(١) «أوربا والإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود (ص ٦٤ - ٦٥) - دار المعارف، و«آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب» (ص ١٢٠) للأستاذ أنور الجندي - مؤسسة الرسالة.

دعا إليها هذا النبيُّ، ظَلَّتْ سراجاً منيراً أربعةَ عَشَرَ قرناً من الزمان، لملايين كثيرةٍ من الناس، فهل من المعقول أن تكونَ هذه الرسالةُ التي عاشت عليها هذه الملايينُ وماتت، أكذوبةً كاذبةً، أو خديعةً مُخادع؟ ولو أن الكَذِبَ والتضليلَ يَرُوجانِ عند الخَلْقِ هذا الرَّوَّاجَ الكبيرَ، لأصبحت الحياةُ سُخْفًا وعبثًا، وكان الأجدربها ألاَّ توجد.

هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيعُ أن يَخْلُقَ ديناً، ويتعهدهَ بالنشرِ بهذه الصورة؟! .

إن الرجلَ الكاذبَ لا يستطيعُ أن يَبْنِيَ بيتاً من الطوب، لجهله بخصائصِ موادِّ البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يَبْنِيهِ إلاَّ كومةً من أخلاطِ هذه المواد، فما بالكَ بالذي يَبْنِي بيتاً دعائمه هذه القرونُ العديدة، وتَسْكُنُهُ هذه الملايينُ الكثيرةُ من الناس؟! .

وعلى ذلك، فمن الخطأ أن نَعُدَّ محمداً رجلاً كاذباً متصنِّعاً متذرِّعاً بالحيلِ والوسائلِ لغايةٍ أو مَطْمَعٍ، أو يَطْمَحُ إلى درجةِ مَلِكٍ أو سلطانٍ أو غير ذلك من الحقائقِ والصغائرِ. وما الرسالةُ التي أداها إلاَّ الصدقُ والحقُّ الصُّرَّاحُ، وما كَلِمَتُهُ إلاَّ صوتُ حقٍّ صادقٍ صادرٍ من العالمِ المجهولِ.. . كلاً، ما محمدٌ بالكاذبِ، ولا الملقِّقُ، وإنما هو قطعةٌ من الحياةِ قد تَفَطَّرَ عنها قلبُ الطبيعةِ، فإذا هو شهابٌ قد أضاء العالمَ أجمعَ، ذلك أمرُ الله.. . وذلك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ من يشاء.

أحبُّ محمداً لبراءةِ طبعِهِ من الرياءِ والتصنُّعِ، ولقد كان ابنُ الصحراءِ، مستقلاً الرأي، لا يَعمَدُ إلاَّ على نفسه، ولا يَدَّعي ما ليس فيه،

ولم يكن متكبراً ولا ذليلاً، فهو قائمٌ في ثوبه المرقع، كما أوجده الله يُخاطبُ بقوله الحرُّ المبينِ أكاسرة العجمِ وقياصرة الرومِ، يُرشدُهم إلى ما يجبُ عليهم لهذه الحياةِ والحياةِ الآخرة.

وما كان محمدٌ بعاشقٍ قط، ولا شابٌ قوله شائبةً لعبٍ ولهو، فكانت المسائلُ عنده مسألةً فناءٍ وبقاءً. . أما التلاعبُ بالأقوالِ، والعبثُ بالحقائقِ، فما كان من عادته قط.

ويزعمُ المتعصبون أن محمداً لم يكن يريدُ بدعوته غيرَ الشهرةِ الشخصيةِ ومفاخرِ الجاهِ والحياةِ والسلطانِ. . كلاً وأسمِ الله، وأيم الله، لقد كان في فؤادِ ذلك الرجلِ الكبيرِ، ابنِ القفارِ والفلواتِ، المتوقِّدِ المُقتلِّينِ، العظيمِ النفسِ، المملوءِ رحمةً وخيراً وحناناً وبراً وحكمةً وحجىً: أفكارٌ غيرُ الطمعِ الدنيويِّ، وأهدافٌ ساميةٌ، (ونواياه) غيرُ طلبِ الجاهِ والسلطانِ، وكيف وتلك نفسٌ صافيةٌ كبيرةٌ، ورجلٌ من الذين لا يُمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين، فبينما ترى آخرين يرضون بالاصطلاحاتِ الكاذبةِ، إذ ترى محمداً لم يرضَ أن يلتفَعَ بمألوفِ الأكاذيبِ، ويتوشَّحَ بمتبَعِ الأباطيلِ، لقد كان منفرداً بنفسه العظيمةِ وبحقائقِ الأمور.

ويزعمُ الكاذبون أن الطمعَ وحبَّ الدنيا هو الذي أقام محمداً وآثاره!! حُمقٌ وسخافةٌ وهوسٌ إن رأينا رأيهم، أيةُ فائدةٍ لرجلٍ على هذه الصورةِ في جميعِ بلادِ العربِ، وفي تاجِ قيصرٍ ووصولِجانِ كسرى جميعاً ما بالأرضِ من تيجانِ؟! .

لم يكن كغيره يرضى بالأوضاعِ الكاذبةِ، ويسيرُ تبعاً للاعتباراتِ

الباطلة، وَلَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَتَّشِحَ بِالْأَكَاذِيبِ وَالْأَبَاطِيلِ .

لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، وبخالقِ الكونِ والكائنات، لقد كان سرُّ الوجودِ يَسْطَعُ أَمَامَ عَيْنِهِ بِأَهْوَالِهِ وَمَحَاسِنِهِ وَمَخَافِهِ .

لهذا جاء صوتُ هذا الرجلِ منبعثاً من قلبِ الطبيعةِ ذاتها . . ولهذا وَجَدْنَا الْأَذَانَ إِلَيْهِ مُصْغِيَةً، وَالْقُلُوبَ لِمَا يَقُولُ وَاعِيَةً .

لقد كان زاهداً متقشفاً في مَسْكِنِهِ وَمَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَلْبَسِهِ وَسَائِرِ أُمُورِهِ وَأَحْوَالِهِ، فَكَانَ طَعَامُهُ عَادَةً الْخُبْزَ وَالْمَاءَ، وَكَثِيراً مَا تَتَابَعَتِ الشُّهُورُ وَلَمْ تُوقَدْ بِدَارِهِ نَارٌ .

فهل بعد ذلك مَكْرُمَةٌ وَمَفْخَرَةٌ؟ فَحَبِّدْنَا مُحَمَّدٌ مِنْ رَجُلٍ مَتَقَشِّفٍ، خَشِنِ الْمَلْبَسِ وَالْمَأْكَلِ، مُجْتَهِدٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، دَائِبٍ فِي نَشْرِ دِينِ اللَّهِ، غَيْرِ طَامِعٍ إِلَى مَا يَطْمَعُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ رَتْبَةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَوْ سُلْطَانٍ .

ولو كان غيرَ ذلك، لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَلْقَى مِنَ الْعَرَبِ الْغِلَاطِ احْتِرَاماً وَإِجْلَالاً وَإِكْبَاراً، وَلَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَقُودَهُمْ وَيُعَاشِرَهُمْ مُعْظَمَ وَقْتِهِ، ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ حِجَّةً وَهُمْ مَلْتَفُونَ حَوْلَهُ، يَقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ . . لقد كان في قلوبِ العربِ جَفَاءً وَغِلْظَةً، وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ قِيَادَتَهُمْ وَتَوْجِيهِهِمْ، لِهَذَا كَانَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَرْوِيضِهِمْ وَتَذْلِيلِهِمْ بَطَلًا - وَأَيْمَ اللَّهِ - .

ولولا ما وَجَدُوا فِيهِ مِنْ آيَاتِ النُّبْلِ وَالْفَضْلِ لَمَا خَضَعُوا لِإِرَادَتِهِ، وَلَمَا انْقَادُوا لِمَشِيئَتِهِ .

وفي ظَنِّي أَنَّهُ لَوْ وُضِعَ قَيْصَرٌ بَتَاجِهِ وَصَوْلَجَانِهِ وَسَطَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بَدَلُ هَذَا النَّبِيِّ، لَمَا اسْتَطَاعَ قَيْصَرٌ أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، كَمَا اسْتَطَاعَ هَذَا النَّبِيُّ

في ثوبه المرقع».

□ وقال (ص ٧) منه: «لقد أصبح من العار على أي متمدن أن يُصغيَ إلى ما يُظنُّ من أن دينَ الإسلام كذب، أو أن محمداً كذاب، وقد آن لنا أن نحاربَ ما يُشاعُ من مثلِ هذه الأقوالِ السخيفة، فهل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيعُ أن يُوجدَ ديناً؟! واللَّه إن الرجلَ الكاذبَ لا يستطيعُ أن يبنيَ بيتاً من الطوب».

□ وقال (ص ٥٣) منه - تحت عنوان: تأثير الإسلام على العرب، وفضله عليهم -: «لقد أخرج الله العربَ بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحيا به من العربِ أمةً هامةً، وهل كانت إلا فتنةً من جائلةِ الأعراب، خاملةً فقيرةً تجوبُ الفلاة، منذُ بدءِ وجودها لا يُسمع لها صوت، ولا تُحسُّ منها حركة، فأرسل الله لهم نبياً بكلمةٍ من لدنه، ورسالةٍ من قبله، فإذا الخمولُ قد استحال شُهرةً، والغموضُ نباهةً، والضَّعةُ رفعةً، والضَّعفُ قوةً، وسع نوره الأنحاء، وعمَّ ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرنٌ بعد هذا الحادث، حتى أصبح لدولةِ العربِ رجلٌ في الهند ورجلٌ في الأندلس، كلُّ ذلك بنورِ الفضلِ والنُّبلِ والمروءةِ والبأسِ والنجدةِ وروثِ الحقِّ والهدى، وما زال للأمةِ العربيةِ رقيٌّ في درجِ الفضلِ، وتعرُّجٌ إلى ذُرئِ المجد، ما دام مذهبها اليقين، ومنهاجها الإيمان».

وقد وصفَ المستشرقُ المذكور (محمداً) أكملَ وصفٍ، وأثنى عليه أعظمَ الثناء في كتابه «الأبطال»، فقد أسهب في وصفِ عبقريته وبطولته في نبوته.

* قولتير :

بعد أن كُتِبَ «قولتير» مسرحيته الشهيرة «التعصب أو محمد النبي»، ووَصَفَه بأنه كان «دَجَّالًا، ومستبدًا، تُحرِّكه الشهواتُ الحسِّيَّةُ، ومتعطِّشًا للدماء». . . تراجع «قولتير» رويدًا رويدًا عن أباطيله في الإسلام ونبِيَّه.

لقد جَمَعَ «القاموسُ الفلسفيُّ» لـ «قولتير» مقالاته في مختلفِ الموضوعات، مرتبةً ترتيباً أبجدياً، ونجَّد في «المجلد السابع» من هذا القاموس حديثاً عن القرآن، يقول فيه «قولتير»^(١) : «لا يزال القرآن في واقع الأمر يشتهرُ إلى اليوم بأنه الكتابُ الأكثرُ تميّزاً وسموّاً، الذي كُتِبَ بهذه اللغة «العربية»، لقد أَلصَقْنَا بالقرآنِ ما لا نهايةَ له من السفاهاتِ التي لم تكن به على الإطلاق، لقد كان هذا موجَّهًا بالدرجةِ الأولى ضدَّ التُّركِ الذين أصبحوا من أتباعِ محمدٍ، فكُتِبَ رُهْبَانُنَا الكثيرَ من كُتُبِ المطاعينِ هذه، إذ لم تكن هناك وسيلةٌ تُمكنُهُم من مواجهةِ فاتِحِ القسطنطينيةِ خلافَ ذلك، كما أن مؤلِّفينا والذين هم في كثرتهم الهائلة أكبرُ عدداً من جنودِ الإنكشارية، لم يجدوا صعوبةً تُذكرُ في جعلِ نساءنا تقفُ في صفِّهم»^(٢).

-
- En effet, l'Alcoran passe encore aujourd'hui pour le livre le plus elegant et le plus sublime qui ait encore ete écrit dans cette langue. Nous avons impute a l'Alcoran une infinite de sottises qui n`y furent jamais.
- ils leur persuaderent que Mahonet ne les regardait pas comme des (٢) animaux intelligents; qu` elles etaient toutes es- chaves par les lois de l'Alcoran; qu`elles ne possedaient aucun bien dans ce monde, et que dans l` auter elles n`avaient aucun part au pardin. Tout cela est une faussete, evidente; et tout cela a ete cru fermement.

لقد أقنعوهنَّ بأنَّ محمداً لم يعتبرهنَّ ضمنَّ الحيواناتِ الذكية، وأنهنَّ جميعاً إماءٌ وفقَ شريعةِ القرآن، ولن ينلنَّ أيَّ خيرٍ في هذه الحياة، وفي الحياةِ الأخرى لا نصيبَ لهنَّ في الفردوسِ على الإطلاق!

من الواضح أن كلَّ هذا كذبٌ وبطلانٌ اعتقدوا فيه بكلِّ قوة.

كان يكفي مع ذلك قراءة السورتين - الثانية والرابعة - من القرآن، حتى يهتدي الناسُ إلى الحق، ففيهما التشريعاتُ التالية^(١) التي ترجمها كلٌّ من:

(١) ذكر «قولتير» ثماني مجموعات من الآيات نوردها كما هي، مع بيان اسم السورة ورقم الآية في الهامش:

[١]

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

[٢]

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرْبُصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

[٣]

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمَّ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا.. ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٢٩-٢٣٠].

[٤]

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا .. وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٤-٣٥].

[٥]

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ..

«دي رير» الذي عاش مدةً طويلةً في القسطنطينية، و«ماراكي» الذي لم يَزُرْهَا أَبَداً، ثم «سال» المستشرقُ (الإنجليزي) الذي عاش خمسةً وعشرين سنةً بين العرب.

إن في هذا ما يكفي لعملِ مُصَالِحَةٍ بينِ النِّسَاءِ ومُحَمَّدِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْهُنَّ أَبَداً بِمِثْلِ تِلْكَ الشَّدَةِ الْمَزْعُومَةِ، كَمَا أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُدِينَهُ عَلَى عَقِيدَتِهِ فِي الْإِلَهِ الْوَاحِدِ، فَهَذِهِ هِيَ كَلِمَاتُ السُّورَةِ رَقْمِ (١١٢) تَقُولُ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ (١).

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً.. وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿

[النساء: ٣-٥].

[٦]

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ.. وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ١٩-٢٠].

[٧]

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ.. وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

[٨]

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.. فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾

[البقرة: ٢٣٣].

- Ces paroles dis - je, lui ont soumis l' Orient encore plus que son epee. (١)

إنني أقول: إن هذه الكلمات أخضعت له الشرق أكثر مما فعل سيفه .
وفي كلمة موجزة، فإن شريعته صالحة، وعقيدته تدعو إلى
الإعجاب»^(١) .

□ كذلك كتب «فولتير» مقالاً جاء في «المجلد الثامن» من قاموسه
الفلسفي، بعنوان: «المحمديين»، قال فيه مخاطباً مواطنيه - وخاصة طبقة
الكهنوت الذين يتزعمون حملة التشهير بمحمدٍ ودينه وأتباعه -^(٢) : «أكرر
لكم القول - أيها الجهلة الأغبياء الذين خدعهم جهلة آخرون، إذ أقنعوكم
بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هي ليست شيئاً من
ذلك، ولقد خدعتم في هذا الموضوع، كما خدعتم في موضوعات أخرى
كثيرة:-

أيها الأساقفة والرهبان والقُسس، إذا فرض عليكم الإيمان أن تمتنعوا
عن الطعام والشراب من الساعة الرابعة صباحاً حتى العاشرة مساءً في شهر
يوليو، عندما يحل الصوم في هذا الوقت القاطن، وإذا حرّم عليكم لعب
الميسر والأحلت بكم اللعنة، وإذا حرمت عليكم الخمر تحت التهديد بالجزاء
نفسه، وإذا فرض عليكم الحج مرة في الصحاري المحرقة، وإذا فرض

- DICTIONNAIRE PHIL OSOPHIQUE de VOLTAIRE, TOME VII, PP. (١)

- Je vous le dis encore, ignorants, imbeciles, a qui d'autres ignorants (٢)
ont fait accroire que la religion mahometane est vo- lupteuse et sen-
suelle, il n'en est rien; on vous a trompes sur ce point comme sur tant
d'autres.

عليكم إعطاء ٥, ٢٪ على الأقل من دخلكم السنوي إلى الفقراء، وإذا كنتم معتادين على التمتع بثمانية عشر امرأة، فإذا بمن جاء في ضربة واحدة ليقطع منهن أربع عشرة امرأة (ليبقى منهن أربعة فقط)، فهل تجرؤون بعد ذلك على القول - مخلصين -: إن هذه الديانة ديانة شهوانية؟! .

إنني أمقت الافتراء على الناس، لدرجة أنني لا أقبلُ إصاق التهم حتى بالأتراك - مهما كانت كراهيتي لهم لسوء معاملتهم للنساء، ولعداوتهم للفنون -، لكن هناك من يؤمنون بضرورة القتال دون توقف! وإذا ماتم هدمُ ضلالة، فإنه يوجد دائماً من يعمل على بعثها من رقدتها واستبقائها!«^(١) .

□ لقد دافع «فولتير» عن الإسلام ونبه المسلمين قدر استطاعته، وحسب ما توافر لديه من معلومات ودراسات، وذلك في عصر الاستعمار العاتي وسطوة الكنيسة وشيوع التعصب الأعمى، وإذا كان «فولتير» قد أبطل الفرية التي تزعم أنه لا مكان للمرأة في الجنة، وأنها في الإسلام حكر على الرجال، فمن عجب أن هذا الزعم الباطل لا يزال يتردد إلى الآن في الغرب!! .

□ ففي يناير ١٩٩٣ يسأل شاب مسلم في ألمانيا كاتب هذه السطور عن لرد العلمي على ذلك الزعم الباطل!! .

لقد أجاب «فولتير» عن ذلك قبل أكثر من مئتي عام، وأجاب غيره إجابات أخرى أكثر استفاضة وتنوعاً .

□ ويقول «فولتير» عن الإسلام والقرآن ومحمد: «إن معتقدات بمثل

هذه البساطة قد جذبت بسرعة الاحترام والثقة في دينه، وإن عقيدة الإيمان بوحداية الله دون غموض - والتي هي متوافقة مع الفهم البشري - قد جلبت تحت شريعته جماهير كبيرة من الأمم ما بين الشعوب السوداء في إفريقيا إلى شعوب الجزر المتناثرة في المحيط الهندي.

هذا الدين يُسمى «الإسلام» - أي: الخضوع لإرادة الله -، وهذه الكلمة الفريدة - «الإسلام» -، لا بد لها أن تجلب مهتدين كثيراً إلى هذا الدين (١).

إن الإسلام الذي يعتنقه أكثر من نصف من يعيشون في نصف الكرة الأرضية، ما كان أبداً باستخدام السلاح، وإنما انتشر بالحماس، وبالقدرة على الإقناع، ثم على وجه الخصوص بالمثال الذي ضربته المنتصرون.

فبمجرد أن اجتاز العرب (المسلمون) حدود بلادهم التي لم يكونوا قد بارحوها من قبل حتى ذلك الوقت، فإنهم لم يُجبروا أحداً من الأجانب على الدخول في الإسلام، لقد أعطوا الشعوب التي خضعت لهم حرية الاختيار ما بين أن يكونوا مسلمين، أو أن يدفعوا لهم الجزية. . . وعندما فقدوا حيازتهم بعد ذلك لأقاليم في آسيا استولى عليها الأتراك والتتار، فإنهم جعلوا من قاهريهم مهتدين جُدداً إلى الإسلام، وصار الفوضويون التتار شعباً مسلماً كبيراً، ومن هنا يظهر الواقع أنهم حولوا إلى الإسلام شعوباً أكثر في البلاد التي لم تخضع لهم.

(١) - Ce ne fut point par les armes que l'islamisme s'était dans plus de la moitié de notre hemisphere, ce fut par l'enthousiasme, par la persuasion, et surtout par l'exemple des vainqueurs.

والقليلُ الذي أريدُ أن أقوله إنما يُكذَّبُ تمامًا كلَّ ما يقوله لنا مؤرِّخونا وخطبائنا وأحكامنا المسبقة، ولكنَّ الحقيقةَ لا بد أن تُقال وأن تصفحهم».

□ وفي استعراضٍ مقارنٍ لِمَا يُوجدُ في بعضِ الدياناتِ، يقول «فولتير»: «لا توجدُ أبدًا ديانةٌ لم تأمرُ بإعطاءِ الصدقاتِ، لكنَّ الإسلامَ هو الدينُ الوحيدُ الذي جعلَ منها أمرًا شرعيًّا إيجابيًا لا غنى عنه.

وبينَ القواعدِ السلبيةِ - وأعني بذلكِ التي تحضُّ على الامتناعِ عن فعلِ شيءٍ ما -، سوف لا نجدُ سوى التحريمِ العامِّ على كلِّ الأمةِ المسلمةِ أن تشربَ الخمرَ، وهذا شيءٌ جديدٌ بينَ الدياناتِ، وتشريعٌ خاصٌ بالإسلامِ والمسلمين فقط.

ولربما كان تحريمُ جميعِ أنواعِ الميسرِ والقمارِ هو التشريعُ الإسلاميُّ الذي لا نجدُ له نظيرًا في أيِّ دينٍ آخرَ سوى الإسلام»^(١).

□ وقال في كتابه «محمد»: «إنَّ في نفسِ محمدٍ لشيئًا عجيبًا طريفًا رائعًا، يَحْمِلُ الإنسانَ على الإعجابِ والتقديرِ، ولعمري إنَّ الرجلَ وَقَفَ وحدهُ يدعو إلى الله، ويتحمَّلُ الأذى في سبيلِ هذه الدعوةِ سنواتٍ عديدةً، وأمامه الجُمُوعُ المُشركة، تَعْمَلُ جَهْدَهَا لمعاكسته وقاتلِ فكرته، إنه إذا استحقَّ كلَّ تقديرٍ وتمجيدٍ، ثم إنك لتراه في أدوارِ حياته هو نفسه لا يَسْحَبُ يَدَهُ مِنْ صديقٍ، محبِّبٌ للأطفالِ الذين كان لا يَمُرُّ بهم إلا تَلَطَّفَ معهم ووقفَ بينهم باسمًا متواضعًا، والواقعُ أن المزايا التي كان يَنعُتُهم بها محمدٌ تمحَقُّ الانتقادَ محققًا، ولا تتركُ مكانه إلا الإعجابَ به والتقديرَ لِشخصيته» اهـ.

* إدوارد جيون:

وُلد «إدوارد جيون» في إنجلترا عام ١٧٣٧، كان عضواً في البرلمان، وقد بدأ حياته الأدبية عام ١٧٦١، وظَّهر الجزء الأول من مُصنّفه الضخم «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦، ثم استكمل بقية الأجزاء حتى ظَّهر آخرها عام ١٧٨٨، وقد تُوفِّي في لندن عام ١٧٩٤.

أفردَ «إدوارد جيون» البابَ الخمسينَ من كتابه «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها»، للحديث عن الإسلام، وقد كَتَبَ مُصنّفه هذا في عصرِ حروبٍ وتوسُّعٍ استعماريٍّ، ووسَطَ مخارِفَ تجتاحُ أوربا من قوَّةِ الإسلامِ المتمثِّلةِ آنذاك في الإمبراطورية العثمانية التي كانت قد توسَّعت في بلادٍ أوروبيةٍ كثيرة، فاحتلَّتْ شبهَ جزيرةِ «البلقان»، وهدَّدتْ إيطاليا والفايتيكان، وأخضعت المجرَّ، وحاصرت فييناَ عام ١٦٦٣.

□ فكان الخوفُ من الإسلامِ هو الشغلُ الشاغلَ لصانعي القرارِ في الغرب، وكانت محاولاتُ التشويهِ ونشرِ الأكاذيبِ حولَ الإسلامِ ونبِيَّه هي السلاحُ الرخيصُ في أيديهم، ولم يستطع «جيون» التخلُّصَ من أسْرِ الأفكارِ الشائعةِ حولَ الإسلامِ ونبِيَّه - مثلَ كثيرٍ غيره -، ومع ذلك، فهذا بعضُ ما كتبه: «إن عبقريةَ النبيِّ العربيِّ، وسلوكياتِ أمَّتِه، ورُوحَ ديانَتِه، كلُّ ذلك يتضمَّنُ أسبابَ انحدارِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ الشرقيةِ وسقوطِها، وإنَّ أنظارنا لتتَّجِهُ في دهشةٍ نحوَ واحدةٍ من أكبرِ الثُّوراتِ الجديرةِ بالذكرِ في العالمِ، والتي طَبعتْ بعمقٍ أثراً جديداً وخالداً في أُمِّ الأرض.

□ إنَّ مسيحيِّي القرنِ السابعِ (عند ظهور الإسلام) قد ارتدُّوا. دون أن

يَدْرُوا - إِلَى مَا يُشْبِهُ الْوُثْنِيَّةَ، وَكَانُوا يَحْلِفُونَ - فِي أُمُورِهِمُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ -
 بِالصُّورِ وَالْآثَارِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَمَلَأُ بِالْخِزْيِ كَنَائِسَ الشَّرْقِ، وَبَدَتْ أَسْرَارُ
 التَّثْلِيثِ وَالتَّجَسُّدِ فِي تَنَاقُضٍ مَعَ تَوْحِيدِ اللَّهِ، فَالْمَعْنَى الْوَاضِحُ لِذَلِكَ هُوَ
 الْقَوْلُ بِثَلَاثَةِ آلِهَةٍ مَتَسَاوِيَةٍ، وَتَحْوِيلُ الْإِنْسَانِ «يَسُوعَ» إِلَى جَوْهَرِ ابْنِ اللَّهِ،
 وَكَانَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الطَّوَائِفِ الشَّرْقِيَّةِ فِي هَوَسٍ بِالْبَغِ مِنْ أَجْلِ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ
 جَمِيعَ مَنْ عَدَاهَا مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ يَسْتَحِقُّونَ اللَّوْمَ وَالْخِزْيَ بِسَبَبِ وَثْنِيَّتِهِمْ
 وَشُرُكِهِمْ^(١) .

□ إِنْ عَقِيدَةُ مُحَمَّدٍ خَالِيَةٌ مِنَ الشُّكِّ أَوْ الْغُمُوضِ، وَالْقُرْآنُ شَهَادَةٌ
 مَجِيدَةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَمِنْ الْهِنْدِ حَتَّى مَرَاكِسَ يَشْتَهَرُ الْمُهْتَدُونَ إِلَى دِينِهِ
 بِاسْمِ «الْمُوحِّدِينَ»، وَقَدْ انْزَاحَ خَطَرُ الْوُثْنِيَّةِ بِتَحْرِيمِ الْإِسْلَامِ لِلصُّورِ .

إِنْ مَوَاهِبَ مُحَمَّدٍ تَجَعَّلْنَا نَكِيلًا لَهُ الْمَدِيحَ، إِلَّا أَنْ نَجَاحَهُ رَجْمًا كَانَ هُوَ
 الَّذِي جَذَبَ بِقُوَّةِ انْتِبَاهِنَا إِلَيْهِ، وَإِنْ مَا يَسْتَحِقُّ إِعْجَابَنَا لَيْسَ انْتِشَارَ دِيَانَتِهِ،
 وَإِنَّمَا اسْتِمْرَارِيَّتُهَا^(٢) ، إِنَّ نَفْسَ الْانْطِبَاعِ النَّقِيِّ الْكَامِلِ الَّذِي حَفَرَهُ فِي
 الْأَذْهَانِ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ لَا يَزَالُ مَصُونًا إِلَى الْيَوْمِ - بَعْدَ انْقِضَاءِ اثْنَيْ عَشَرَ قَرْنًا -
 عِنْدَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا بِالْقُرْآنِ مِنْ هِنُودٍ وَأَفَارِقَةٍ وَتُرْكٍ، وَلَوْ عَادَ الرِّسُولَانِ
 الْمَسِيحِيَّانِ - الْقَدِيسُ بَطْرُسُ، وَالْقَدِيسُ بُولْسُ - إِلَى الْفَاتِيكَانِ الْيَوْمَ، فَلَرَبَّمَا
 تَسَاءَلَ عَمَّ يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لَهُ الَّذِي يَعْبُدُونَهُ بِمِثْلِ تِلْكَ الطَّقُوسِ الَّتِي تَكْتَفُهَا

- bigui - The creed of Mahomet is free from suspicion or am ty; the (١)
 Koran is a glorious testimony to the unity of Cod.

- The same pure and perfect impression which he en- graved at Mec- (٢)
 ca and Medina is preserved after the revolutions of twelve centries.

الأسرارُ في هذه الكنائسِ الفخمة! ولعلَّه من الواجبِ عليهما أن يدرُساَ بتمعُّنٍ كتابَ «تعاليم أساسيات العقيدة» الذي تُصدِرُهُ الكنيسةُ، وأن يدرُساَ كذلك شروحَ المفسِّرين وتعليقاتِهِم على ما كتباهُ، وعلى كلماتٍ مُعلِّمِهِما! .

لقد قاوم المسلمون باستمرارٍ غوايةَ النزولِ بجوهرِ إيمانِهِم وعبادتهِ إلى مستوى حواسِّ الإنسانِ وتخيُّلاته، وإن إعلانَ الإسلامِ البسيطَ الثابتَ بلا تغيُّرٍ هو: «أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأن محمداً رسولُ اللهُ» . . إنَّ الصورةَ الذهنيةَ عن الإلهِ لم تَنحطْ على الإطلاقِ إلى صورةٍ صنمٍ يُرى، وإنَّ مظاهرَ التكريمِ للنبيِّ لم تتجاوزَ أبداً معاييرَ الفضائلِ البشرية، ولقد أَبَقَتْ تعاليمُهُ الأخلاقيةُ الحيةُ اعترافَ تلاميذهِ بفضلِهِ في حدودِ العقلِ والدينِ .

لقد أُثيرت في مدارسِ المسلمين الفكريةُ تلكَ الأسئلةُ التي تتعلَّقُ بما وراءَ الطبيعةِ عن خواصِّ الإلهِ وحريةِ الإنسانِ، كما أُثيرت في مدارسِ المسيحيين، لكنها عندَ المسلمين لم تَشغَلْ أبداً عواطفَ الناسِ، ولم تُعكِّرْ صَفْوَ الدولةِ .

إنَّ سببَ هذا الاختلافِ الهامِّ بين الفكرِ المسيحيِّ والفكرِ الإسلاميِّ، يُمكنُ إرجاعُهُ إلى مبدأِ الفصلِ بين الشخصياتِ القائمةِ بأمرِ المُلْكِ، والشخصياتِ القائمةِ بأمرِ الكهنوتِ، أو مبدأِ التوحيدِ بينهما .

لقد كان اهتمامُ الخلفاءِ الذين تَوَلَّوْا الحكمَ بعد النبيِّ، وكانوا أمراءَ المؤمنين: أن يَكْتَبُوا البِدْعَ الدينيةَ، ذلك أن الرَّهْبَةَ وطموحَ الإكليروسِ الزمنيِّ والروحيِّ غيرُ معروفٍ عندَ المسلمين، وإن فقهاءَ الشريعةِ هم مُرشدوهم وفقَ الضميرِ والعقلِ، وهم المُجيبون على الأسئلةِ المتعلقةِ بأمرِ دينِهِم .

ونجد أنه من المحيطِ الأطلسيِّ غرباً إلى أقاصي الهندِ شرقاً يعترفُ بأن القرآنَ هو الدستورُ الأساسي، ليس فقط في مسائلِ الإلهياتِ، ولكن فيما يتعلَّقُ بالقوانينِ المدنيَّةِ والجنائيَّةِ، والقوانينِ التي تُنظِّمُ سلوكياتِ البشرِ.

لقد نفثَ محمدٌ بين المؤمنين رُوحَ الأخوةِ والإحسانِ، وأوصى بممارسةِ الفضائلِ الاجتماعيَّةِ، وكبَّحَ بشريعتهِ وتعاليمه الأخلاقيَّةِ التعطُّشَ إلى الانتقامِ وظلمِ الأرااملِ واليتامى، ولقد توحدتِ القبائلُ التي كانت في عداءٍ تحتَ مظلةِ الدينِ والطاعةِ، وتوجَّهتْ شجاعةُ المقاتلين - التي أنفقتْ هدراً في صراعاتٍ داخلية - نحوَ العدوِّ الخارجيِّ، فانتشرتْ بذلك أمصارُ الأمةِ الإسلاميَّةِ شرقاً وغرباً^(١).

إنَّ سموَّ إحساسِ محمدٍ جعله يحترقُ بهرجِ الملِّك، وكان رسولُ الله ﷺ يُخضعُ نفسه لما تتطلبه حياةُ الأسرةِ من عملٍ، فقد أوقد النارَ، وكَنَسَ المنزلَ، وحلَّبَ الشاةَ، وخصَّفَ بيديه نعليه، ورتق ثوبه، لقد كان قانعاً يأكلُ كما يأكلُ العربيُّ والجنديُّ، وكان في مناسباتٍ قليلةٍ يُولِّمُ لرفاقه في سعةٍ، ولكنَّ الأسابيعَ الكثيرةَ كانت تنقضي ولا يوقدُ في بيته نارَ طعامٍ، وكان يُحرِّمُ الخمرَ، كما يقضي بذلك الدِّينُ، وكثيراً ما كان يُخفِّفُ وطأةَ الجوعِ بكِسرةٍ من خبزِ الشعيرِ^(٢).

- E. Gibbon: Decline and Fall of the Roman Empire, pp. 649, 665-9, (١) 693-5

وانظر «الإسلام في الفكر الغربي» للواء أحمد عبدالوهاب (ص ٣٥-٣٨).
(٢) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية» للأستاذ أنور الجندي (ص ١١٧-١١٨).

تَدْخُلُ، وَيَمْسَحُ بِرُؤُوسِهِ عَرَقَ جَوَادِهِ، وَيُوزَعُ الصَّدَقَاتُ، وَيَتَجَنَّبُ كُلَّ شَيْءٍ يَظْهَرُ فِيهِ بِمَظْهَرِ دُنْيَوِيٍّ، وَكَانَ يَمْنَعُ النَّاسَ أَنْ يَجْعَلُوهُ سَيِّدًا.

* وليم موير :

□ قال «وليم موير»: «امتاز محمدٌ بوضوح كلامه، ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمنٍ قصيرٍ كما فعل محمد».

□ وقد سئل السير «وليم موير» الإنجليزي عن محمدٍ نبيِّ المسلمين، فقال: «كان من عقيدة محمدٍ أنَّ الإنسانَ عاجزٌ عجزاً تاماً أمامَ الله سبحانه، وأنه لا عُذْرَ له بين يديه، ولكنه يعفو عن كثير، ومن عقيدته أنَّ الإنسانَ أخو الإنسان^(١)، وأن يومَ الدينونة لا يُضِيعُ اللهُ مثقالَ ذرَّةٍ على كلِّ عاملٍ مع الله يومَ كان يعيشُ في ظلِّ الحياة^(٢)».

* دوزي :

□ عني «دوزي» في بعضِ فصوله من كتاب «ملوك الطوائف» بالردِّ على ما رَدَّده خصومُ الإسلامِ فقال (ص ٤٠٥): «لو صحَّ ما قاله القساوسةُ من أنَّ محمدًا نبيُّ منافقٍ كذابٍ، فكيف نُعلِّلُ انتصاره؟! وما بال فتوحاتِ أتباعه تترى، وتتلو إحداها الأخرى؟! وما بال انتصاراتهم على الشعوب لا تَقِفُ عند حدٍّ؟! وكيف لا يدلُّ ذلك على معجزةِ هذا الرسول؟! لقد كانوا

(١) بل: «المؤمن» أخو «المؤمن».

(٢) المجلد الرابع من مجلة «الهِلال» - الجزء السابع.

يعتقدون أوّل أمرهم أن خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة، فطالما سمعوا عن معجزات الكنيسة، وانتظروا هذه المعجزة التي تُخلّص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين، ولكنّ انتظارهم هذه المعجزة قد طال، وذهب أدراج الرياح، وأعجب من ذلك أن معجزة أعظم قد حدثت، وكانت معجزة أعظم مما كان يتوهمه القديسون أنفسهم، وأي معجزة أعظم وأروع من أن نرى شعباً كان إلى زمن قليل في غاية من الخمول، ثم ظهر إلى الدنيا فجأة، وظلّ يتقدّم بسرعةٍ لا مثيل لها؟!».

* المؤرخ سيديو الفرنسي:

مستشرق ومؤرخ كبير، وأحد أعضاء «جمعية العلماء الفرنسية»، وُلد عام ١٨١٧م، وتوفي عام ١٨٩٣، وله كتاب «خلاصة تاريخ العرب».

□ ردّ المؤرخ «سيديو» على اتهام النبي ﷺ بالقسوة أو الجبن مما جاء في كتابات خصوم الإسلام فقال: «من التجنّي على حقائق التاريخ ما كان من عزو بعض الكتاب إلى محمد القسوة والجبن، فقد نسي هؤلاء أن محمداً لم يأل جهداً في إلغاء عادة الثأر الموروثة الكريهة التي كانت خطوةً لدى العرب، كخطوة المبارزات بأوروبا فيما مضى، وكأنّ أولئك الكتاب لم يقرؤوا آيات القرآن التي قضى محمد فيها على عادة الوأد الفظيعة، وكأنهم لم يفكروا في العفو الكريم الذي أنعم به على أعدائه بعد فتح مكة، ولا في الرحمة التي حبّأ بها كثيراً من القبائل عند ممارسة قواعد الحرب الشاقة، ولا إلى ما أبداه من أسفٍ على بعض الأحكام المتسرة، وكأنهم لم يعلموا أنّ محمداً لم يسئ استعمالاً ما اتفق له من السلطان العظيم، قضاءً لشهوةٍ

القسوةِ الدنيئة، وأنه لَمْ يَأُلْ جَهْدًا - في الغالب - في تقويم مَنْ يَجُورُ من أصحابه، وكلُّ يَعْلَمُ أنه رَفِضَ بعد غزوة «بدر» رأيَ عمرَ بنِ الخطابِ في قتلِ الأسرى، وأنه عندما حَلَّ وَقْتُ مُجَازَاةِ بني قُرَيْظَةَ تَرَكَ الحُكْمَ في مصيرِهِمْ لحليفِهِمُ القديمِ سعدِ بنِ معاذ، وأنه صَفَحَ عن قَاتِلِ عَمِّه حمزة، وأنه لَمْ يَرَفِضْ قَطُّ ما طُلِبَ إليه من اللطفِ والسماح، وليس بمجهولٍ أن خالدَ بنَ الوليد - الذي كان من أشجعِ قُوَّادِهِ - لَمْ يَسْتَطِعْ أن يَرَعُوِي - بعد إسلامه - عن رُوحِ القسوةِ والصَّوْلَةِ التي كانت تُتْلَازِمُهُ في زمنِ الجاهلية، فلاحَت له الفرصةُ بأن يثأرَ لقرِيبهِ القَتيلِ، فأثخَنَ في بني خُزَيْمَةَ، فأجْمَعَ المسلمونَ على استفْظاعِ عَمَلِهِ، فلمَّا نُبِئَ مُحَمَّدٌ بما صَنَعَ خالد، أُسْرِعَ في ذَمِّه جَهَارًا، فرفع يَدَيْهِ إلى السماء قائلاً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خالد...» .

□ وقال في كتابه «خلاصة تاريخ العرب» (ص ٥٤): عن نومِ عليٍّ رضي الله عنه في فراشِ النبيِّ وحَفِظَ اللهُ له: «دعا محمدُ ابنَ عَمِّه عليًّا، وأمره أن ينامَ على فراشه، مُتَشِحًا بِبُرْدٍ، فدَفَعَ اللهُ شَرَّهُمَ عنه، وهو أولَى أن يَحْفَظَ نبيَّهُ القائمَ بالدعوة له، وأحقُّ أن يَجْعَلَ كَيْدَهُمَ في نحورِهِم، وما زال آخذًا بيمينه، حتى غَنَى له الزمنُ وَصَفَّقَ له الدهرُ» .

□ ثم قال: «وبعدَ ظهورِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الذي جَعَلَ مِنْ قبائلِ العربِ أُمَّةً واحدةً، تقصِدُ مقصدًا واحدًا، ظهرت للعِيانِ أُمَّةٌ كبيرةٌ مدَّتْ جَنَاحَ مُلْكِهَا من «نهر تاج» في إسبانيا حتى «نهر المانج» في الهند، ورفعت على منارِ الإِشَادَةِ أعلامَ التمدُّنِ في أقطارِ الأرضِ أيامَ كانت أوربا مُظْلِمَةً بجهالاتِ أهلِها في القرونِ المتوسطة» .

* المستشرق الإنجليزي «بودلي» :

□ ردَّ المستشرقُ الإنجليزيُّ «بودلي» على الزعمِ القائلِ بأنَّ محمدًا سَرَقَ ما في الإنجيلِ من تعاليم، فقال: «الزعمُ بأنه قد سَرَقَ الإنجيلَ زعمٌ باطل، فإنه ما رأى الإنجيلَ أبدًا، والقولُ باطلًا على ترجمة الإنجيلِ الناقصة التي قام بها ورقةُ بن نوفل لا يَضَعُ أمامه إنجيلًا ليراه، وحتى هذه الترجمة لم يرها، فإنَّ أولَ ترجمةٍ عربيةٍ رسميةٍ للعهدَيْنِ - القديمِ والجديدِ - ظهرت بعد وفاة محمدٍ بعدةِ قرون» .

□ وقال الكولونيل «بودلي» في كتابه «حياة محمد»: «إنَّ محمدًا لم يدع لنفسه صفةً إلهيةً، وإنه صرَّحَ كثيرًا بأنه بشرٌ يوحي إلى، وإن السببَ في سرعة انتشارِ الإسلامِ عن غيره من الأديان، هو عدمُ ادِّعاءِ النبيِّ صفةً إلهيةً، وعدمُ دعوته إلى عبادةِ شخصه، وكذلك تسليمُ القرآنِ بصحَّةِ الدياناتِ المنزَّلة من قبل» .

ونحا باللائمة على الذين لم يفهموا محمدًا وشريعته .

* الكاتبة الإيطالية الدكتورة لورا فيتشيا :

□ دافعت الكاتبةُ الإيطاليةُ الدكتورة «لورا فيتشيا» عن الرسول ﷺ بحماسٍ بالغ، فقالت: «قام أعداءُ الإسلامِ الألداءُ الذين أعماهم الحقدُ والتعصُّبُ، واتَّهموا رسولَ الله ﷺ، ذلك الرجلُ النبيلُ الذي كان يُنظرُ إليه قبلَ الرسالةِ نظرةَ إكبارٍ وإجلالٍ من جميعِ مواطنيه لما تحلَّى به من الأمانةِ والسجايا الكريمة، وكانت هذه التهمةُ التي رموه بها مما لا يقبلُه عقلٌ، ولا يُمكنُ أن يُسلَّمَ به عاقلٌ، فضلًا عن أنها لا تقومُ على أيِّ أساس، وهي تهمةُ

الغشِّ والخداع، وليت شعري كيف أن هؤلاء الناس لم يسألوا أنفسهم إذا كان النبيُّ في الحقيقة كاذبًا، فكيف اجترأ على أن يُوجَّه في القرآن إلى الكذَّابين والخادعين أشدَّ عباراتِ الذمِّ وأقساها؟! وكيف توعدَّهم بالنار وسوءِ العذاب؟! وإذا كان كاذبًا في دعوته - كما يفترون -، فكيف صمد للمقاومة أكثر من عشرِ سنين، وهو في مكة احتمل في أثنائها الشيءَ الكثيرَ من صنوفِ الاضطهادِ والآلام، وهو ذلك الرجلُ الوديعُ الهادئُ الطباعُ؟! وكيف تهيأ له أن ينحازَ إليه طواعيةً واختياراً - بل وبمتهى التحمسِ - جماعاتٌ كبيرةٌ من رجالاتِ قريشٍ ونبلاتهم، وأن ينضُّوا تحتَ لوائه مع غيرهم من السوقةِ والعبيد.

أما تهمةُ القسوةِ التي يوجهونها إليه، فمن السهلِ دَفْعُهَا، لأنَّ محمدًا الذي كان على رأسِ حكومةٍ، ويتولَّى الدفاعَ عن حياةِ الشعبِ وحرِّيته، كان يُحاكِمُ الخارجين على القانونِ بصرامةٍ وشدةٍ اقتضتْهما ظروفُ البيئَةِ التي كان يعيشُ فيها.

ولقد كان محمدٌ - كرسولٍ يدعو إلى الله - رجلاً رحيماً، لئن الجانبَ حتى لأعدائه الشخصيين، وبذلك اجتمعت فيه فضيلتانِ كلتاها أكبرُ الفضائلِ التي يتصورها العقلُ البشريُّ، وهما الرحمةُ والعدالةُ.

وبحسبه أنَّ الحربَ - التي هي أقصى ضروراتِ الحياةِ الإنسانية - قد صارت - بفضلِه - أقلَّ وحشيةً وقسوةً، إذ إنه كان يطلبُ إلى جنوده ألاَّ يقتلوا شيخاً ولا امرأةً ولا طفلاً، ولا يهدموا بيوتاً لم تُتخذْ كمعاقِلِ حربية، وقد أراد أعداءُ الإسلام أن يُظهروا النبيَّ في صورةِ رجلٍ شهوانيٍّ إباحيٍّ، بأن اتَّخذوا من زيجاته المتعدِّدة حِجَّةً لاثَّامه بضعفِ خلقيِّ لا يتفق ومركزِ النبوةِ.

ولكن فاتهم أمرٌ هامٌ لم يحسبوا له حساباً، وهو أن النبي أيام فتوته وعنفوان شبابه لم يتزوج إلا من امرأة واحدة، ولم يتزوج من غيرها حتى ماتت، مع أنه كان يعيش بين قوم سادت فيهم كثرة الطلاق والزواج، وكان يندر أن يقتصر الرجل منهم على زوجة واحدة، ولما فقدت زوجته - وكانت سنه حين ذلك خمسين سنة - تزوج من أخرى، كما عقد زيجاته المختلفة التي كانت في أغلب الأحيان لدواع اجتماعية أو سياسية؛ لأنه كان يريد بهذه الطريقة أن يكتسب إلى صفه رجالاً أو نساءً تقيات، ويرتبط بروابط المصاهرة بأسر قوية، وكان كل ذلك بقصد نشر الإسلام^(١).

* الدكتور وغسطون كرستا الإيطالي :

وُلد في «ترياسته» ١٨٤٠، وتوفي فيها ١٨٩٧ .

□ قال في كتابه «الكياسة الاجتماعية»: «كان محمد يُعلن أنه رسولُ الله تعالى، لإصلاح دين إبراهيم المطهر الذي أفسده أبنائه، وأقام العبادة الزكية التي أنشأها ذلك النبي، ثم فسدت على ممر الزمن، وليؤيد - وهو خاتمة الرسل - ما كان الله أنزله على من سلفه من الأنبياء موسى وداود وإشعيا وعيسى .

إن هذه الجُدران العاديّة، لدليل على قوة عزيمة لمحمد، مثال القيادة ورمز السياسة» .

(١) كتاب «محاسن الإسلام» ترجمة طه فوزي . . انظر «آفاق جديدة للدعوة» (ص ١٢٠ -

* الكونت هنري دي كاستري :

لقد دَرَسَ الكونت «هنري دي كاستري» الإسلامَ دراسةً عميقةً، وكتبَ عنه كتاباً قيماً، ترجمه فتحى زغلول، ونُشر بعنوان «الإسلام سوانحٌ وخواطر».

□ تحدّث الكونت «هنري» في هذا الكتاب عن كثيرٍ من جوانبِ الإسلام، سواءً أكان ذلك فيما يتعلّقُ بالرسول ﷺ، أم فيما يتعلّقُ بالتعاليم الإسلامية، وقد تحدّث - فضلاً عن ذلك - عن آراءِ مواطنيه، خصوصاً القدماءَ منهم في صورةٍ من السخرية والتهمُّم: «وذهبوا إلى أن محمداً وَضَعَ دينه بادعائه الألوهية!».

ومن المستغربات قولهم: «إن محمداً - الذي هو عدوُّ الأصنام ومُبيدُ الأوثان - كان يدعو الناسَ لعبادته في صورةٍ وثَن من ذهب، كما كان يعتقدُ «والكر لوفنجيون»!».

بل لقد أغرق خيالهم في الضلال، فذهبوا إلى أبعدٍ من ذلك، وذهبوا إلى أن صورةَ «ماهوم»^(١) كانت تُصنعُ من أنفُسِ الأحجار والمعادنِ بأحكامٍ صنُع وأدقِّ إتقان!».

□ وبعد أن ذكر الكثيرَ من آرائهم قال: «ولقد أطلنا القولَ في تلك الأضاليل، لأن تاريخَ «إسكندر»^(٢) المذكور لم يُزلِّها، ولأنها تركت أثراً في

(١) المقصود محمد ﷺ.

(٢) ألف القسيس «إسكندر دويون» كتاباً ١٢٥٨م عن محمد، وكان الناس يعدونه تاريخاً صحيحاً للرسول مع أنه ليس كذلك.

الأذهانِ وَصَلَ إِلَى أَهْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَتَشَبَّعَتْ بِهِ أَفْكَارُهُمْ فِي النَّبِيِّ وَكُتَابِهِ .
وَلَكِنْ مَا سِرُّ هَذِهِ الْحَمَلَةِ الشَّعْوَاءِ الشَّعْوَاءِ الضَّالَّةِ الَّتِي تَهْزَأُ بِالْحَقِّ
وَالضَّمِيرِ، وَالَّتِي لَا يُقْرِهَا دِينَ أَيْ كَانَتْ؟! .

□ «لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ: هَلْ كَانَ أَوْلَئِكَ الْمَفْسُورُونَ يَعْتَقِدُونَ صِحَّةَ مَا
يَقُولُونَ؟ لِأَجْنَاهِ جَوَابَ أَهْلِ «نُورْمَنْدَةَ»: «لَا - وَنَعَمْ»، إِذْ مِنْ الْمَحَقِّقِ أَنَّ
الِاخْتِلَافَ بَيْنَ الْمَسِيحِيِّينَ وَالْمُسْلِمِينَ سَهْلٌ لِلْمُنْشِدِينَ مَعْرِفَةَ الدِّينِ الْمَحْمُودِيِّ
عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَقْصِدُونَ الْحَقَائِقَ التَّارِيخِيَّةَ فِي أَنْشِيدِهِمْ،
بَلْ حَفِظَ رُوحَ الْبَغْضَاءِ فِي نَفُوسِ قَوْمِهِمْ .

هَلْ هَذِهِ الرُّوحُ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ تُجَاهَ الْإِسْلَامِ،
اقتصرت على العصور الوسطى؟ كلاً.

فَلَمْ يَزَلْ هَذَا الرُّوحُ سَائِداً عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ، حَتَّى إِنْ الْمُسْتَشْرِقُ «بَرِيدُو»
الإنكليزي أَلْفَ سَنَةٍ ١٧٣٣ كِتَاباً فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ عُنْوَانَهُ: «حَيَاةُ ذِي
الْبَدْعِ مُحَمَّدٍ»! .

وَتَرَجَمَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى لُغَتِنَا، وَجَعَلَ لَهُ مَقْدَمَةً بَيِّنَ فِيهَا مَقْصِدَ الْمُؤَلِّفِ،
فَقَالَ: إِنَّ غَرَضَ وَاضِعِ هَذَا الْكِتَابِ، هُوَ خِدْمَةُ الْمَقْصِدِ الْمَسِيحِيِّ الْحَكِيمِ .

□ ثُمَّ يُعَقِّبُ «الْكُونَتِ» عَلَى ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْحَكِيمَةِ: «أَوْلَئِكَ كُتَّابُ
مَا قَصَدُوا التَّارِيخَ، وَلَكِنَّهُمْ أَرَادُوا خِدْمَةَ الْمَقْصِدِ الْمَسِيحِيِّ الْحَكِيمِ - كَمَا
يَقُولُونَ -، وَكَانَ سِلَاحُهُمُ الْوَحِيدُ فِي تَأْيِيدِ سَوَاقِطِ حُجَجِهِمْ، أَنْ يُشْبِعُوا
خَصْمَهُمْ سَبًّا وَشْتَمًا، وَأَنْ يُحَرِّفُوا فِي النُّقْلِ مَهْمَا اسْتَطَاعُوا» .

ثُمَّ يَأْخُذُ «الْكُونَتِ» فِي الرَّدِّ عَلَى الْاِفْتِرَاءَاتِ، وَمِنْ أَوْلَى هَذِهِ

الافتراءات: أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، كان يقرأ ويكتب، فقرأ التوراة، وقرأ الإنجيل، وأخذ تعاليمه منهما!.

* وقد رد القرآن على هذه الفرية فقال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

□ ويقول «الكونت» في هذا المعنى: «ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان - كما وصف نفسه مراراً - نبياً أمياً، وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه، ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس؛ لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان، على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار، ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد، ذكره «جارسين دي تارس» في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤.

كذلك من الخطأ - مع معرفة أخلاق الشرقيين - أن يستدل على معرفة النبي للقراءة والكتابة باختيار «السيدة خديجة» رضي الله عنها إياه لمتاجرها في الشام، ولم تكن لتعهد إليه أعمالها إن كان جاهلاً غير متعلّم.

فإننا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرؤون ولا يكتبون، وهم - في الغالب - أكثر أمانة وصدقاً.

□ ويقول: «أما فكرة التوحيد: فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لردّها لاحتوائها على مذهب «التثليث»، وهو مناقض لفطرته، مخالف لوجدانه منذ خلقت، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في

حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته.

□ أما صدق الرسول وسمو رسالته، فقد أخذ كثير من رجال الكنيسة ومن رجال الاستعمار يُشككون فيهما، وبرغم الوضوح الواضح في صدق الرسول وفي سمو الرسالة الإسلامية، فإن رجال الدين المسيحيين ورجال الاستعمار لا يزالون يُبدؤون ويُعيدون في ترداد التشكيك.

□ إلى هؤلاء وأولئك يقول الكونت: «والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى، آيات لما سمعها «عُتْبَةُ بن ربيعة» حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، فأمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه «جعفر بن أبي طالب» سورة «مريم»، وما جاء في ولاية «يحيى»، وصاح القسيس^(١): «إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى!». . .

□ قال ناقل هذه الرواية: «كوزان دي بير سوفال»: «فلما كان اليوم الثاني طلب النجاشي جعفرًا، وأشار إليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح، ففعل، واستغرب الملك لما سمع أن «المسيح» عبد الله ورسوله وروح منه نزل في أمه «مريم»، وأعجب أشد الإعجاب بهذه المعاني، وحمى المسلمين، ولم يسلمهم إلى رسل قريش، ولم يفهم من بلاده».

أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه، فظنوا أن هذه الفترات التي يغيب فيها الرسول عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرِقاً في الملا الأعلى،

(١) أي: النجاشي. . . وانظر الخبر في «المسند» (٢٠١/١)، و«السيرة النبوية» (٣٧٥/١).

إنما هي فتراتٌ مَرَضِيَّةٌ، أو هي الصَّرَعُ، وبرغم تكذيبِ الطبِّ لمزاعمهم مستنداً إلى الاختلافِ الكُلِّيِّ بين أعراضِ الصَّرَعِ وأعراضِ الوحي، فقد أعماهم التعصُّبُ عن رؤيةِ الحقيقةِ.

□ وإليهم يقول الكونت: «ومن ذلك الحين - أي البعثة - أخذت شفتاه تنطلقُ بالفاظٍ بعضها أشدُّ قوةً وأبعدُ مرمىً من بعض، والأفكارُ تتدفَّقُ من فمه على الدوامِ، إلى أن يَقِفَ لسانُه ولا يُطِيعه الصوت، ولا يَجِدُ من الألفاظِ ما يُعَبِّرُ به عن فكرٍ قد ارتفع عن مدارِكِ الإنسان، وسما عن أن يُترجمه قَلَمٌ أو لسان.

وكانت تلك الانفعالاتُ تَظْهَرُ على وجهه باديةً، فظنَّ بعضهم أن به جَنَّةً!! وهو رأيٌ باطل؛ لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين، ولم يُشاهدْ عليه قَبْلَ ذلك أيُّ اعتلالٍ في الجسمِ أو اضطرابٍ في القوةِ المادية، وليس من الناس من عَرَفَ الناسُ جميعاً أحواله في حياته كلُّها مثلُ النبي ﷺ، فلقد وَصَلَ المُحدِّثون عنه إلى أنهم كانوا يَعُدُّون الشَّعْرَ الأبيضَ في لِحيتِه، ولو أنه كان مريضاً لَمَا أَخْفَى مَرَضَه؛ لأن المرضَ في مثل تلك الأحوالِ يُعْتَبَرُ أمراً سماوياً عند الشرقيين.

وليست حالةُ محمدٍ ﷺ وانفعالاتُه وتأثيراته بحالةِ ذي جَنَّة، بل كانت مثلَ التي قال نبيُّ بني إسرائيلَ في وصفها: لقد شَعُرْتُ بأن قلبي انكسرَ بين أضلعي، وارتعشت منِّي العظامُ، فصِرْتُ كالنَّشوانِ، لِمَا قام بي من الشعورِ عند سماعِ صوتِ اللهِ وأقواله المقدسة»^(١).

(١) «أوروبا والإسلام» (ص ٥٣-٥٨).

□ ويردُ «الكونت» على اتهامِ النبي ﷺ بتأليفِ القرآن ويقول: «وكيف يُعقلُ أن النبي ﷺ ألَّفَ هذا الكتابَ باللغةِ الفصحى، مع أنها في الأزمانِ الوسطى كاللغةِ اللاتينية، ما كان يَعقلُها إلا القومُ الصالحون»^(١)، وقد شاهدنا أناساً - وكان أكثرهم أميين - قاموا في أمةِ العربِ وادَّعوا النبوةَ - منهم «مُسيلمَة» الذي زعمَ أنه قرينُ محمدٍ ﷺ - أتى بسورٍ سخرَ منها العربُ، ولو لم يكن في القرآن غيرُ بهاءِ معانيه وجمالِ مبانيه، لكفى بذلك أن يستوليَ على الأقطار، ويأخذَ بجامعِ القلوب.

أتى محمدٌ بالقرآن دليلاً على صدقِ رسالته، وهو لا يزالُ إلى يومنا هذا سرّاً من الأسرارِ التي تَعذَّرَ فَكُّ طَلَّاسِمِهَا، ولن يسبرَ غورَ هذا السرِّ المكنونِ إلا مَنْ يُصدِّقُ بأنه مُنزَّلٌ من الله؛ اللهمَّ إلا إذا اعتمدنا على قولِ مُمَجِّدِي الدينِ المسيحيِّ مما كنَّا نرتاحُ إليه أيامَ شببتنا (وهو يرجعُ إلى أن القرآنَ تأليفُ فاتحِ أرادَ تأييدَ سلطته، فجمَعَ من كُتُبِ اليهودِ والمسيحيين قانوناً أودعه بعضَ قواعدِ الأدبِ والدين، وأضافَ إليه قصصَ الوقائعِ العظيمةَ لتأييدِ رسالته).

وعلى كلِّ حال - أي سواءً توصلنا إلى معرفةِ حقيقةِ القرآنِ أم لا -، فلا يُنكِرُ أحدٌ أن مظهرَ محمدٍ كان مظهرَ نبوةٍ بالفعل - بقطعِ النظرِ عن صدقِ تلكِ النبوة - وعدمِ صدقها -، لأن النبوة - من حيث هي - عبارةٌ عن قيامِ رجلٍ يُملي على الناسِ أمرَ ربِّه، ويعتقدُ حقاً أن ما يقوله آتٍ من عندِ الله.

(١) هذا كلام غير صحيح . . فإن العرب كانوا جميعاً فصحاء، ولم يكن عندهم لهجة عامية مثل لهجاتنا اليوم . . بل كل «لغاتهم» كانت فصيحة، كما قال نابغة العربية مصطفى صادق الرافعي في كتابه «تاريخ آداب العرب» (ج ١).

ومحمدٌ - كما قال «إيوالد» عن أنبياء بني إسرائيل - أعتقد أن روحاً من الله استولت على لُبه، فلم يشعر بأن له فكراً خاصاً، بل إنه أُوتيه من عند ربه، واختفت في نظره أنانيته، ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته، ومن ذلك الحين أخذت شفتاه تنطق بالفاظٍ بعضها أشدُّ قوةً وأبعدُ مرمى من بعض، والأفكارُ تتدفقُ من فمه على الدوام، وكانت تلك الانفعالات تُظهر على وجهه، فظنَّ بعضهم أن به جنَّةً، وهو رأيٌ باطل؛ لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين، ولم يُشاهد عليه قبل ذلك أيُّ اعتلالٍ في الجسم، أو اضطرابٍ في القوة المادية».

□ ويقول: «إذن فليس محمدٌ من المبتدعين، ولا من المنتحلين كتابهم، وليس هو نبياً سلاباً - كما يقول «سايوس» -، نعم، قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض المواضع، إلا أن سببه ميسورُ المعرفة، ذلك أن محمداً كان يُلصقُ ديانةَ الإسلام بالديانتين المسيحية واليهودية (كذا)؛ وحينئذٍ لا عجبَ إذا تشابهت تلك الكتبُ في بعض المواضع، خصوصاً إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها، كما أن محمداً هو خاتم الأنبياء»^(١).

□ يقول الدكتور عبدالحليم محمود: «ونختم الحديث عن آراء «الكونت» بهذا الوصفِ الرائع لتلك الساعةِ الأليمة التي فارق فيها الرسولُ عالمنا الدنيوي، ليَلْحَقَ بالرفيقِ الأعلى، ولينعمَ برضوانِ الله، إذ يقول: ولما أحسَّ بقربِ الأجل، ذكَّرَ الفقراءَ، فإنه لم يرغب طولَ حياته في المال،

(١) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية» (ص ١٢٢ - ١٢٤) نقلاً عن «الإسلام سوانح وخواطر»

للكونت هنري ترجمة أحمد فتحي زغلول.

بل كان كلما جمع إليه شيءٌ منه أنفقه في الصدقات، وكان قد أعطى عائشةً مالا يسيراً لتحتفظه، فلما حضره المرضُ أمرَ بإنفاقه على المعوزين لساعته، وغاب في سنةٍ، ولما أفاق سألها إن كانت أنفذت أمره، فأجابته: «كلاً»، فأمر بالنقود وأشار إلى الأسرِ المعوزات، فوزعَ عليهم، وقال: «الآن استراح قلبي، فإنني كنتُ أخشى أن ألاقِي ربي وأنا أملكُ هذا المال».

وكان في مرضه يخرجُ كلَّ يومٍ ليُصليَ الظهرَ بالناسِ، وآخرُ يومٍ خرجَ فيه هو الثامنُ من شهرِ يونية سنة ٦٣٢م، وكانت مشيته مضطربةً، فتوكأَ عليّ الفضل بن العباسِ وعليّ بن أبي طالب، وقصدَ منبرَ الخطابة الذي كان يعظُّ الناسَ عليه قبلَ الصلاة، وحمدَ اللهَ، وأثنى عليه، ثم خطبَ في المسلمين بصوتٍ رفيعٍ سمعه من كان خارجَ المسجد، فقال: «يا أيها الذين تسمعون قولي، إن كنتُ ضربتُ أحدكم على ظهره، فدونه ظهره، فليضربه، وإن كنتُ أسأتُ سمعةً أحدٍ فلينتقم من سمعتي، وإن كنتُ سلبتُ أحداً ماله، فإليه مالي يقتصُّ منه، وهو في حلٍّ من غضبي، فإن الغلَّ بعيدٌ عن قلبي».

ثم نزلَ من على المنبر، وصلى بالجماعة، ولما أراد الانصرافَ أمسكَ به رجلٌ من إزاره، وطلب منه ثلاثة دراهمَ ديناً له، فأذاها على الفور قائلاً: «لخزي الدنيا أهونُ من خزي الآخرة».

ثم دعا لمن حاربَ معه في «أحد»، وسأل اللهَ لهم الرحمةَ والغفرانَ. وكان مشهدُ النبي ﷺ بين المؤمنين في ذلك اليومِ مشهدَ جلالٍ ووقارٍ، والناسُ يلمحون على وجهه تأثيرَ السُّمِّ الذي شربه من يدِ يهوديةٍ خبيرٍ، وقلوبهم مُنفطرةٌ من الوجدِ عليه، ذلك أنه لما كان في واقعة «خبير» قدّمت

إليه يهوديةً - اسمها «زينب» - شاةٌ مَشْوِيَةٌ أضافت إليها سُمًّا، فأخذ منه النبيُّ قِطْعَةً واحدةً بين شفتيه، وأحسَّ بأنها مسمومة، فألقاها، ثم لَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ بعدَ حينٍ، كان يقول: «ما زالت تُعاودُنِي أَكْلَةُ حَئِيرٍ».

وكان أبو بكرٍ رضي الله عنه نفسه يبكي، ويقول للرسول صلى الله عليه وسلم: «هلا افتدينا رُوحَكَ بأرواحنا؟».

ثم أوصله الصحابةُ إلى بيتِ عائشةَ رضي الله عنها، واضطَجَعَ تَعَبًا مهزولاً، وصار المرضُ يشتدُّ عليه، فَتَخَلَّفَ عن الصلاةِ بالمسلمين، وقيل له: «قد جاء وقتُ الظهر»، فأشار إلى أبي بكرٍ ليُصَلِّيَ بالناسِ، فكان من وراءِ هذه الإشارةِ خلافةُ أبي بكرٍ بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

□ وأخبرت عائشةُ رضي الله عنها عن حالةِ الاحتضارِ، فقالت: «كان رأسُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مُسْنَدًا على صدري، وبقرِبِهِ قِدْرُ ماءٍ، وكان يقومُ ليضعَ فيها يَدَهُ وَيَمْسَحَ جَبِينَهُ، ويقول: «ربُّ أعني على تحمُّلِ سكراتِ الموت، اذنُ منِّي يا جبريل، ربِّ اغفرْ لي، واجمعْ بين أصحابي في السماء»، ثم نُقِلَتْ رأسُهُ، ومال ثانيةً إلى صدري»...! (١).

* فارس الخوري اللبناني:

□ يرى «فارس الخوري» أنَّ مُحَمَّدًا أعظمُ عظماءِ العالمِ، إذ يقول:

«لم يجدِ الدهرُ بعدُ بمثله، والدينُ الذي جاء به أوفى الأديانِ وأكملها».

□ ويقول: «إنَّ مُحَمَّدًا أودَعَ شريعتهِ المطهرةَ أربعةَ آلافِ مسألةٍ علميةٍ

(١) «أوروبا والإسلام» (ص ٥٨ - ٦٠).

واجتماعية وتشريعية، ولم يَسَعْ علماء القانون المُنصِفِين إلا الاعترافُ بفضلِ
 الشريعة التي دعا الناسَ إليها باسم «الله»، وبأنها متَّفِقَةٌ مع العلم، مطابِقةٌ
 لأرقى النُّظم.

إن محمداً - الذي يَحْتَفِلُون به - أعظمُ عظماءِ الأرض - سابقهم
 ولاحقهم -، فقد استطاع توحيدَ العربِ بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أمةً واحدةً
 فتحت العالمَ المعروفَ يومئذٍ، وجاء لها بأعظمِ ديانةٍ عَيَّنَت للناسِ
 حُقوقَهُم، وواجباتِهِم، وأصولَ تعاملِهِم على أُسسٍ من أرقى دساتيرِ العالمِ
 وأكملها^(١).

* بشارة الخوري اللبناني:

□ قال صاحب جريدة «البرق» لمناسبة حفلة ذكري مولد الرسول
 محمد ﷺ - نقلاً عن المجلد السابع والعشرين من مجلة «العرفان» -: «إنَّ
 للرسول محمدٍ في عُفْوَانِ شِبابِهِ من المعجزاتِ ما يَقِفُ دُونَهُ الفِكرُ صاغراً،
 ولكنْ له - وهو في حَدائِثِهِ - ما تَصَغُرُ عنده عَظَمَةُ العَظيمِ، وَيَبْطُلُ عنده سِحْرُ
 الساحرِ، إنه وقد أخرج أمةً بأسرها من ظُلُماتِ الجاهليةِ إلى أضواءِ المدنيةِ،
 إنه وقد أبدلَ معائبَ الجاهليةِ بِمحاسِنِ الإسلامِ، إنه وقد أبطلَ وأدَّ البناتِ،
 وحرَّم الزنى، ونَقَّى القلوبَ من العداواتِ، إنه وقد أذلَّ لِسيفِهِ كلَّ سيفٍ،
 ولعرشه كلَّ عرشٍ، إنه - وهو كذلك - ليس في عيني أعظمُ منه، وهو الابنُ
 الناشئُ فقيراً، الدارجُ يتيماً، الحاملُ السَّعدَ في وجهه، والطَّهرُ في قلبه،
 والأملُ في عينيه، والحكمةُ في شفتيه».

(١) «آفاق جديدة للدعوة» (ص ١٢١).

* الدكتور شبلي شمّيل اللبناني :

طبيب لبناني شقيق «أمين شمّيل»، وُلد سنة ١٨٦٠م، وتُوفّي سنة

١٩١٧.

□ كتب إلى صاحب «المنار» - كما ورد في المجلد الثالث العدد العاشر منها - قال: «أنت تنظرُ إلى محمدٍ [كُنْبِيٍّ] وتجعله عظيمًا، وأنا أنظرُ إليه كرجُلٍ وأجعله أعظمَ».

* الدكتور نظمي لُوقا :

□ قال في كتابه «محمد الرسالة والرسول» المطبوع في مصر الطبعة الأولى ١٩٥٩م صفحة (٢٥): «إن موقفَ الناسِ من الوحي واحد، أيًّا كانت الرسالةُ المُوَحَّى بها والرسولُ المخبِرُ عنها، لم يُطلَبْ من رسولٍ قَبْلَ محمدٍ برهانٌ عيانيٌّ على وحيه كي يطالبَ به محمد، فمَن اعترف بوحيٍ من السماءِ إلى رسولٍ من البشر، لَزِمَتْهُ الحُجَّةُ أَنْ لَا يُنكَرَ نزولَ الوحيِ على محمدٍ من حيثُ المبدأ، فوجهُ الامتناعِ هنا غيرُ قائمٍ بمبررٍ نزيهٍ، ومن هنا وَجَبَ النظرُ التزيهُ في رسالةِ محمدٍ، والبحثُ في مضمونها، لنلتمسَ فيها آياتِ الصدقِ التي صدَّقَ الناسُ بِمِثْلِهَا مَن سَبَقَهُ من المرسلين، ولنرى هل فيها ما يدعو للريب، ويبرِّرُ دَمَغَهَا بالزيف أو الدَّجَلَ أو البطلان.

ذلك هو الحدُّ القوَّامُ الذي لا افتتاتَ فيه على إنصاف، ولا ينبغي أن يحيدَ عنه مَن له في النزاهة مَطْمَعٌ».

□ وقال صفحة (٨٨) - منه: «صدَّقَ رسولُ الإسلام، وما غادره

صِدْقُ الْإِلَهَامِ، وَهُوَ الْقَائِلُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكِرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ - وَذَلِكَ أضعفُ الْإِيمَانِ -»، أَجَلٌ - يَا رَسُولَ الْخَيْرِ وَالصِّدْقِ وَالْحَقِّ، فَالنَّاسُ بِخَيْرٍ وَحُكُومَتُهُمْ مَا بَقِيَ لِلْحَقِّ فِي قُلُوبِهِمْ مَكَانٌ، وَلِلْغَيْرَةِ عَلَى الْعَدْلِ فِي قُلُوبِهِمْ الْكَلِمَةُ وَالسُّلْطَانُ».

□ وَقَالَ صَفْحَةُ (٥٦): «إِنْ رَسُولَ الْإِسْلَامِ هُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى النَّاسِ، وَانْبَرَى لِدَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِهِ، مِنْ غَيْرِ مَدَدٍ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الْخَاطِفَةِ لِلْأَبْصَارِ الْخَالِبَةِ لِلْأَلْبَابِ، فَقَدْ أُريدُ لِلنَّاسِ أَنْ يَشْعُرُوا أَنَّ رَسُولَهُمْ مِثْلَهُمْ حَقًّا وَصِدْقًا - كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ «الْكَهْفِ» -، لَا يَمْلِكُ مِنَ الْخَوَارِقِ أَكْثَرَ مِمَّا يَمْلِكُونَ، وَليْسَ لَهُ مِنْ سُلْطَانٍ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ».

□ وَقَالَ صَفْحَةُ (٩٧): «وَلَيْسَ التَّنْظِيمُ الْإِسْلَامِيُّ لِأُمُورِ الدُّنْيَا بِنِظَامٍ مُقْفَلٍ جَامِدٍ، بَلْ هُوَ التَّنْظِيمُ الْجَوْهَرِيُّ الَّذِي لُبَّاهُ قَوْلُ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ الْكَرِيمِ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»، وَ«أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ»، فَمَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ بِتَحْرِيمِ لِسَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْعَقِيدَةِ الرُّوحِيَّةِ، فَلَا بِأَسَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ، مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ ضَرَرٌ لِصَاحِبِهِ، أَوْ إِضْرَارٌ بِسِوَاهِ».

خُلِقَ كَرِيمٌ، وَإِيثَارٌ، وَنَجْدَةٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَاتِّقَاءَ لُغْضِبِهِ فِي مَعَامَلَةِ النَّاسِ، وَإِصْلَاحُ حَالِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ إِضْرَارٍ بِالنَّاسِ، وَحِرْصٌ عَلَى مَصَالِحِ الْجَمَاعَةِ، وَتَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَتَرْفَعُ عَنِ التَّرَفِ وَالْإِسْرَافِ فِي الْبَدَخِ، حَتَّى لَا تَسْتَسَلِمَ الرُّوحُ لَشَهْوَاتِ الْجَسَدِ، فَذَلِكَ هُوَ النَّمُودَجُ الْكَامِلُ لِلْإِنْسَانِ».

□ وقال صفحة ١٠٧: «إذا نظرنا إلى الرسالة الإسلامية، وجدناها أبعد ما تكون عن شُبْهَةِ تَعَلُّقِ الشَّهَوَاتِ، أو إِيَابِحَةِ الْأَهْوَاءِ، أو رِشْوَةِ الْمَنَافِعِ. كان العربُ في الجاهلية أهلَ إِيَابِحَةٍ، لا رَادِعَ لَهُمْ ولا وَازِعَ، قَصَفَهُمْ مُجُونَ، وَلَهُوُهُمْ فَجُورٌ، وَحَيَاتُهُمْ عَدْوَانٌ، وَكَسْبُهُمْ سُخْتٌ، وَلِيْلُهُمْ خَمْرٌ وَميسِرٌ، فكيف يُقالُ [ما يُقالُ] عن دينِ اقْتَلَعَ جُذُورَ هذا كَلِّهِ، ووَضَعَ الْحُدُودَ لِكُلِّ وَجْهِ مِنْ وَجُوهِ النِّشَاطِ الْبَشَرِيِّ؟! إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الدِّينَ وَالتَّنْظِيمَ وَالسُّمُوءَ، فما عسى أن يكون؟!». .

* الشاعر بولس سلامة اللبناني:

□ قال في مقدمة ملحمة المعروفه باسم «ملحمة الغدير» - صفحة (٢٤) -: «إن العروبة المستيقظة اليوم في صدور أبنائها من المغرب الأقصى إلى جزيرة العرب، لأحوج ما تكون إلى التمثيل بأبطالها الغابرين، وهم كثيرون، على أنه لم يجتمع لواحد منهم ما اجتمع لعليٍّ من بطولة وعلم وصلاح، ولم يقم في وجه الظالمين أشجع من الحسين، فقد عاش الأبُّ للحقِّ، وجرَّد سيفه للدفاع عنه، واستشهد الابنُ في سبيل الحرية يوم «كربلاء»، ولا غرَّو، فالأولُ ربيبُ محمدٍ، والثاني فلذة منه».

□ وقال صفحة (٢٦): «مسيحيُّ يَنْحَنِي أَمَامَ عَظْمَةِ رَجُلٍ يَهْتَفُ بِاسْمِهِ مِائَاتُ الْمِلايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها خمس مرات كلَّ يوم، رجلٌ ليس في مواليدِ جَوَّاءَ أعظمُ منه قَدْرًا وأخلدُ ذِكْرًا وأبعدُ أثرًا، رجلٌ أطلَّ من غياهبِ الجاهلية، فأطلَّتْ معه دنياٌ أظْلَمُها بِلِوَاءِ مَجِيدٍ، كَتَبَ عَلَيْهِ بِأَحْرَفٍ مِنْ نُورٍ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ».

□ وقال في «ملحمته» المشهورة صفحة (٤٧) - تحت عنوان «مولد محمد» -:

مَنْ تَرَى ذَلِكَ الصَّبِيَّ الَّذِي إِنْ
مَبَسَّمٌ مِنْ لَالِيِّ الْفَجْرِ أَنْقَى
□ إِلَى أَنْ قَالَ:

هَلْ يَوْمٌ فِي صَفْحَةِ الدَّهْرِ فَذٌّ
لَمْ يَشُبْ ذَلِكَ النَّهَارَ مَسَاءً
وَانزَوَى اللَّيْلُ خَاشِعًا كَيْتِيمٍ
أَرْهَفَ الْكُونَ سَمْعَهُ وَتَمَشَّتْ
وَاسْتَفَاقَتْ جَزِيرَةُ الْعُرْبِ حَيْرَى
أَخْرَسَ النَّاسَ خَطْبُهَا فَتَبَارَوْا
أَيْنَ «وَدٍّ» وَأَيْنَ بَطْشِ «سَوَاعٍ»
وَتَوَالَتْ فِي أَرْضِ فَارَسٍ أَرْزَا
وَارْتَجَّاسُ الْإِيوَانِ هَزَّ قُلُوبَ الْفُرِّ
تُحْفَةُ الْعَالَمِ الْقَدِيمِ وَمَجْدُ الْ
إِنْ تَدَاعَى فشمسُ كَسْرَى كَسُوفٌ
حَلْمُ الْمُوْبِذَانِ بِالنُّورِ يَجْرِي
وَالْخِيُولُ الْعَرَابُ سَيْلٌ أَتَى
أَجْفَلَ السُّورُ فِي الْمَدَائِنِ خَوْقًا
وَإِذَا الْفُرْسُ وَالْمَدَائِنُ صَرَعَى

طَيْبُ الْفَوْحِ رَافِلٌ بِالْبِهَاءِ
فَهُوَ يَوْمٌ مُسْمَرٌ الْأَضْوَاءِ
ضِيَعْتَهُ مَبَاهِجُ الْأَغْنِيَاءِ
فِي الْجَمَادَاتِ نَشْوَةُ الصُّهْبَاءِ
«فَمَنَاءُ» وَ«اللَّاتُ» فِي الدَّقْعَاءِ
فِي اسْتِلَامِ الْآلِهَةِ الصَّمَاءِ
كَانَ ذَلِكَ النَّذِيرُ بَدَأَ انْتِهَاءِ
عُجَسَامٌ فَنَارُهَا فِي انْطِفَاءِ
سِ هَزَّ السَّنَابِلَ الْعَجْفَاءِ
عَيْنَ وَالْفَنِّ وَالْعُلْمِ وَالْبِنَاءِ
مُؤَذِّنٌ بِالنِّهَائَةِ السُّودَاءِ
وَالصَّحَارِي مَرْعَةٌ بِالرُّغَاءِ
ضَابِحَاتٍ فِي مَسْمَعِ الزُّورَاءِ
مِنْ صَهِيلِ السَّوَابِحِ الْجَرْدَاءِ
فِي مَجَالِ السَّنَابِكِ الْحَمْرَاءِ

حُسْبُ الرَّمْلِ ذَلِكُ الْيَوْمِ تَبْرًا
 فَسَهُولُ الْحِجَازِ بَحْرٌ نُضَارٌ
 ضَحْكُ السَّبَسَبِ الْخَلِيٌّ وَشَقَّتْ
 ذَاكَ عُرْسُ الدُّنْيَا وَلَا غُرُوَّ أَنْ
 رَحَّبْتَ بِالْوَلِيدِ جَاءَ يَتِيمًا
 يَا فَقِيرًا وَدُونَهُ الشَّمْسُ عَزَا
 خَلْفَكَ النَّسْرُ وَالسُّهَى وَالثَرِيَا
 فَقَرُّ كَفِّ النَّفْسِ كَنْزُ خَلُودٍ

يُنْبِتُ الْحُلْمَ فِي عَيُونِ الرَّائِي
 مِنْ نَثِيرِ السَّبَائِكِ الصَّفْرَاءِ
 أَمْلُ الْوَرْدِ صَفْحَةُ الدَّهْنَاءِ
 بَثُّ صَلَاهَا وَنَمْتٌ فِي الْكِسَاءِ
 فَهُوَ وَالْفَقْرُ تَوَامٌ فِي رِدَاءِ
 سَوْفَ تَعْلُو مَنَاكِبَ الْجَوَازِ
 سَائِرَاتٌ فِي الرِّكْبِ سَيْرَ الْإِمَاءِ
 هَكَذَا كَانَ مَوْلِدَ الْأَنْبِيَاءِ

* * *

□ وقال فيها (ص ٥٤) تحت عنوان «البعثة»:

وَأَشْبَّ الْغَلَامُ فَامْتَدَّ صِيْتًا
 طَبَعَهُ الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ فَالْأَ
 وَاصْطَفْتَهُ خَدِيجَةٌ لِاتِّجَارِ
 فَاصْطَفْتَهُ لِنَفْسِهَا فَحَبَّاهَا
 كُلَّ عَامٍ يَرْتَادُ غَارَ حِرَاءِ
 يُرْسِلُ الطَّرْفَ فِي السَّمَاءِ كَلَامًا
 ذَلِكَ الصَّمْتُ دُونَهُ جَهْرُ مُوسَى
 فَالصَّلَاةُ الصَّلَاةُ خَفَقَةُ قَلْبِ
 قَالَ عَيْسَى مُلْكُ الْإِلَهِ لَدَيْكُمْ

كَامْتَدَادِ الشُّعَاعِ فِي الدِّيَجُورِ
 رَاءُ تَهْدِي هَدْيِي الصَّبَاحِ الْمُنِيرِ
 عَادَ مِنْهُ وَالرِّيحُ فَيُضُّ بُحُورِ
 شَرْقًا أَنْ تَكُونَ فَوْقَ الْحُورِ
 مُفْعَمَ الرُّوحِ مُلْهَمَ التَّفَكِيرِ
 لَيْسَ تَجْلُوهُ صَنْعَةُ التَّعْبِيرِ
 بِالِدَعَاءِ الْحَمِيمِ فَوْقَ الطُّورِ
 وَهَيَامٌ مُغْلَغَلٌ فِي الشُّعُورِ
 لَوْ نَبَشْتُمْ عَنْ كَنْزِهِ فِي الصُّدُورِ

* * *

هدأ الكونُ وأمَحى الصوتُ حتى
 وإذا صوتُ هاتفٍ يهتفُ: «اقرأ»
 فتهادى محمدٌ وتمشَّتْ
 قال جبريل: يا محمدُ كَبِّرْ
 صفحةُ الكونِ بدَلتْ في ثوانٍ
 فإذا أحمدُ العَظيمُ نبيُّ
 لتُحسَّ الأذانُ همسَ العصورِ
 فيردُّ الصَّدى نداءَ البشيرِ
 في حناياه رِيشةُ المَقرورِ
 باسمِ ربِّ ملءَ الوجودِ قديرِ
 بين مرآتها ضميرَ الدهورِ
 والمجيدُ القرآنُ حلُمُ العصورِ

* صموئيل زويمر الإنكليزي:

البروتستانتية الإنكليزية المبشر، وهو مستشرق، محرر مجلة «عالم الإسلام» الإنكليزية، له مؤلفات ذات شأن في العلاقات بين الإسلام والمسيحية، منها: «يسوع في «إحياء» الغزالي». . توفي في بلدته «ليدس» ١٩١٤.

□ قال - وهو من أشد الناس عداوةً للنبي ﷺ - في كتابه «يسوع في «إحياء» الغزالي»: «إن عبقرية محمد هي السبب في نجاحه واستطارة شأنه، يُضاف إلى هذا كله معرفته العظيمة بالديانات في عصره، وقوته في اجتذاب القلوب إليه، ومقدرته في الإدارة والحرب، ولباقته في السياسة الفاتكة، لم يكذب يقدر على البرِّ وإسداء المعرفة وإظهار شكره للنعمة واعترافه بالجميل حتى ضرب للناس في ذلك أروع الأمثال».

* المسيو ديسون الألماني:

وُلد في مدينة «كولونيا» عام ١٨١٧، ولم نعتز على تاريخ وفاته.
 □ قال في كتابه «الحياة والشرائع»: «وليس يزعم أحد اليوم أن محمداً

راح يُزورُ دينًا، وأنه كاذبٌ في دعواه وأفأكُ في دعوته، إذا عَرَفَ محمدًا ودرَسَ سيرته، وأشرفَ على ما يتمتعُ به دينه من تشريعاتٍ تصلحُ أن تَظَلَّ مع الزمنِ مهما طال، وكلُّ من يكتبُ عن محمدٍ ودينه ما لا يجوز، فإنما هو من قِلَّةِ التدبُّرِ وضعفِ الاطلاعِ».

* برتلمي سانت هليار السويسري :

أستاذ الفلسفة الإغريقية في «كوليج دي فرانس»، وقد وُلِدَ عام ١٨٠٧، وتوفي ١٨٧٣.

□ قال في كتابه «مع الشرق»: «لقد كان محمدٌ أذكى العربِ في عهده، وأكثرهم تقوىً ودينًا، وأرحبهم صدرًا، وأرفقهم بأعدائه وخصومِ دينه، وما استقامت إمبراطوريته إلا بسبب تفوقه على رجالِ عصره، وأما الدينُ الذي راح يدعو إليه، فقد كان خيرًا كثيرًا على الشعوب التي اعتنقته وآمنت به».

* القسُّ لوازون الفرنسي :

□ قال في إحدى محاضراته: «وآخرُ جميع الأنبياء - كما يعتقد المسلمون - هو محمدٌ الذي وُلِدَ في مكة لعشرِ ليالٍ مضت من أبريل سنة ٥٧٠ للميلاد، وكانت عائلته أشرفَ عائلةٍ في قريش، وهي إحدى القبائل الشهيرة في بلادِ العرب، وصاحبُ النسبِ المرتقي إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيم الخليل، وقد كان جدُّه متوليًّا سدانة الكعبة، وكانت دارَ حكومتهم، ومعبدَ ديانة العرب الوثنية، وتوفي والدهُ عبد الله قبل ولادته، وتوفيت أمُّه وهو ابنُ ستة أشهر، وكان على أعظم ما يكون من كريم الطباع، وشريف

الأخلاق، ومنتهى الحياء، وشدة الإحساس، وقد كَفَلَهُ عَمَهُ وهو ابنُ ستِّ سنواتٍ، وأثناءَ كَفَالَتِهِ بدأتَ تظهرُ من محمدٍ علاماتُ الذكاءِ ورجاحةُ العقلِ، ومرَّ بصبيانٍ يلعبون، فدَعَوَهُ لِلْعِبِّ معهم، فأجابهم: «إن الإنسانَ خُلِقَ للأعمالِ الجليلةِ، والمقاصدِ الشريفةِ، لا للأعمالِ السافلةِ والأمورِ الباطلةِ»، وكان على خُلُقٍ عظيمٍ، وشيَمٍ مَرَضِيَّةٍ، شَفُوقًا على الأطفالِ، مطبوعًا على الإحسانِ، غيرَ مُتَمَشِدٍ في نفسه، ولا صَلَفٍ في معاملته مع الناسِ، وكان حائزًا قوةَ إدراكٍ عجيبةٍ، وذكاءً مُفْرِطًا، وعواطفَ رقيقةً شريفةً»^(١).

□ وقال في كتابه «الشرق» (ص ٦١): «إنَّ محمدًا - بلا التباسٍ ولا نُكرانٍ - كان من النبيين والصدِّيقين، وهو رسولُ الله القادرِ على كلِّ شيءٍ، بل إنه نبيٌّ جليلُ القَدْرِ، ومهما تحدَّثنا عنه، فليس بالكثيرِ في حقِّه، لأنه جاء إلى العالمِ بدينٍ جَمَعَ فيه كلَّ ما يصلحُ للحياةِ».

* جورج سيمون:

□ قال: «إنَّ محمدًا قد رَفَعَ أعلامَ التمدُّنِ».

* اللورد هيدلي وإسلامه:

□ قال الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر: «كان لإسلام اللورد «هيدلي» ضجَّةٌ كبيرة - لمركزه، ولِمَا يَعْلَمُهُ فيه عارفوه من نُضجٍ في التفكيرِ، وتروُّ في الأمورِ -، وحينما أراد الحجَّ مرَّ بالإسكندرية، فأقام له أهالي الثغرِ حفلةً كُبرى وُضعت تحت رعاية الأمير السابق «عمر طوسون»

(١) نقلًا عن مجلة «المقتطف» - المجلد الرابع - العدد السابع.

الذي ألقى كلمةً حياً فيها الضيفَ الكريمَ، ابتدأها بقوله: «مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً، لقد خَفَّتْ مصرُ إلى استقبالكم، وابتهجت بمقدمكم الكريم، وكان سُرورها بذلك عظيماً، حتى لقد تَمَنَّتْ كلُّ مدينةٍ أن تسعى بأهلها إليكم، أو يكونَ لكم مُتَّسِعٌ من الوقتِ لزيارتها، فتقومُ بما يجبُ لكم من الإجلالِ والإعظامِ، والترحيبِ والإكرامِ».

وكانت الحفلةُ برئاسةِ صاحبِ الفضيلةِ الشيخِ «عبدالغني محمود» شيخِ علماءِ الإسكندريةِ.

* كيف أسلم اللورد «هيدلي»؟.

ما هي العواملُ التي دَعَتْهُ إلى اعتناقِ الإسلامِ؟.

إننا في الصفحاتِ التاليةِ سنذكرُ جملةً من النصوصِ تُرشدُ القارئَ إلى سببِ رفضهِ المسيحيةَ وإلى سببِ إسلامه، وإلى تصوُّره لكثيرٍ من وجهاتِ النظرِ الإسلاميةِ.

□ يقول اللورد: «عندما كنتُ أقضي - أنا نفسي - الزمنَ الطويلَ من حياتي الأولى في جوِّ المسيحيةِ، كنتُ أشعرُ دائماً أن الدينَ الإسلاميَّ به الحُسْنُ والسهولةُ، وأنه خَلُوٌّ من عقائدِ الرومانِ والبروتستانتِ. وثَبَّتني في هذا الاعتقادِ زيارتي للشرقِ التي أعقبتَ ذلك، ودراستي للقرآنِ المجيدِ».

له الله . . لكم تألَّم وقاسى في سبيلِ وصوله إلى الحقِ.

□ استمعُ إليه يقول: «فَكَرَّتْ وَصَلَّيْتُ أربعينَ سنةً، كي أصلَ إلى حَلِّ صحيحِ، ويجبُ عليَّ أن أعترفَ أيضاً أن زيارتي للشرقِ ملأتني احتراماً

عظيماً للدين المحمديِّ السَّلْسِ الذي يجعلُ الإنسانَ يَعْبُدُ اللهَ حقيقةً طُولَ مُدَّةِ الحياةِ، لا في أيامِ الآحادِ فقط.

□ ويرى أن الإسلامَ هو الدينُ العالَمِيُّ حقًّا، إذ يقول: «أمكنُ إذن أن يوجدَ دينٌ يُمْكِنُ العالَمَ الإنسانيَّ من أن يُجمعَ أمرَه على عِبادَةِ اللهِ الواحدِ الحقيقيِّ - الذي هو فوقَ الجميعِ وأمامَ الجميعِ - بطريقةٍ سهلةٍ خاليةٍ من الحشو والتلبيك؟».

فكَّرَ لحظةً - وذلك تفكيرٌ لازمٌ لكمالِ البشرِ في الحقيقةِ -، إنه إذا أصبح كلُّ فردٍ في الإمبراطوريةِ الإنجليزِيَّةِ محمديًّا حقيقيًّا - بقلبه وروحه -، أصبحت إدارةُ الأحكامِ أسهلَ من ذلك؛ لأن الناسَ سيُقادونَ بدينٍ حقيقيٍّ.

□ وها هو ذا يُعبرُ عن الشكرِ حينما هداه اللهُ: «رُوحُ الشكرِ هي خلاصَةُ الدينِ الإسلاميِّ، والابتهاالُ أصلٌ في طلبِ الهدايةِ والإرشادِ من الله.

إنه - وإن كان شكريُّ لله على كَرَمِهِ وعِنايَتِهِ كان متأصلاً فيَّ من صِغري وأيامِ حدثي -، فإنني لا أستطيعُ أن أشاهدَ ذلك من خلالِ السنينِ القليلةِ الماضيةِ، التي قرَعَ فيها الدينُ الإسلاميُّ لُبِّي حقًّا، وتملَّكَ رُشدي صدقًا، وأقنعتني نقاؤهُ، وأصبحَ حقيقةً راسخةً في عقلي وفؤادي، إذ التقيتُ بسعادةٍ وطمأنينةٍ ما رأيتُهما قطُّ من قبلٍ، كما أستنشقُ هواءَ البحرِ الخالصِ النقيِّ، وبتحقيقي من سلاسةٍ وضياءٍ وعظمةِ الإسلامِ ومجده، أصبحتُ كرجلٍ فرَّ من سردابٍ مظلمٍ إلى فسيحٍ من الأرضِ تُضيئُهُ شمسُ النهارِ».

□ ومما يذكر من تعاليم الإسلام مُشيداً به: «ليس هناك في الإسلام إلا إله واحد، نعبده ونتبعه، إنه أمام الجميع، وفوق الجميع، وليس هناك قُدوسٌ آخر نُشركه معه، إنه لمن المُدهش حقاً أن تكون المخلوقات البشرية ذواتُ العقول والألباب على هذا القدر من الغباوة، فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء، رؤية ربهم القهار، المتصل دوماً بكل مخلوقاته، سواء كانوا عاديّين، أو أولياء مقدسين.

مفتاح السماء موجود دائماً في مكانه، ويمكن إدارته بأقل وأقل المخلوقات دون أية مساعدة من نبيٍّ أو كاهنٍ أو ملكٍ، إنه كالهواء الذي نستنشقه مجاناً لكل خلق الله.

أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك، ما دعاهم إلى هذا العمل إلا حبُّ الفائدة.

ليس غرضي الرئيسيُّ أن أهاجم أيَّ فرع معيّن من فروع الديانة المسيحية، لأبين جلال وسلاسة الديانة الإسلامية - التي هي خالية في نظر الكاتب المُنصف من العوائق الظاهرة - جلياً في كثير من الديانات الأخرى».

□ ولقد افترى كثيرون على الإسلام، وها هو ذا يردُّ على افتراءاتهم: «ليس في وسع الإنسان في الحقيقة إلا أن يعتقد أن مُدبجي وناسجي هذه الافتراءات، لم يتعلموا، حتى ولا أول مبادئ دينهم، وإلا لَمَا استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروفٌ لديهم أنها محض كذب واختلاق.

إِنَّ تَعَالِيمَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَدْ نُفِّذَتْ وَمُورِسَتْ فِي حَيَاةِ مُحَمَّدٍ الَّذِي - سِوَاهُ فِي أَيَّامِ تَحْمُلِهِ الْأَلَمَ وَالْإِضْطِهَادَ، أَمْ فِي زَمَنِ انْتِصَارِهِ وَنَجَاحِهِ - أَظْهَرَ أَشْرَفَ الصِّفَاتِ الْخُلُقِيَّةِ الَّتِي لَا يَتَسَنَّى لِمَخْلُوقٍ آخَرَ إِظْهَارُهَا .

فَكُلُّ صِفَاتِ الصَّبْرِ وَالثَبَاتِ فِي عَصْرِهِ كَانَتْ تُرَى فِي أَثْنَاءِ الثَّلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً الَّتِي تَأَلَّمَهَا فِي مُجَاهَدَاتِهِ الْأُولَى بِمَكَّةَ، وَلَمْ يَشْعُرْ فِي كُلِّ زَمَنِ هَذَا الْجِهَادِ بِأَيِّ تَزَعُّعٍ فِي الثِّقَةِ بِاللَّهِ، وَأَتَمَّ كُلَّ وَاجِبَاتِهِ بِشَمَمٍ وَحَمِيَّةٍ .

كَانَ ﷺ مُثَابِرًا، وَلَا يَخْشَى أَعْدَاءَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ بِأَنَّهُ مَكْلَفٌ بِهَذِهِ الْمَأْمُورِيَّةِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وَمَنْ كَلَّفَهُ بِهَذَا الْعَمَلِ لَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُ .

لَقَدْ أَثَّرَتْ تِلْكَ الشَّجَاعَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الْجُفُولَ - تِلْكَ الشَّجَاعَةُ الَّتِي كَانَتْ حَقًّا إِحْدَى مُمَيِّزَاتِهِ وَأَوْصَافِهِ الْعَظِيمَةِ - إِعْجَابَ وَاحْتِرَامَ الْكَافِرِينَ، وَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَشْتَهُونَ قَتْلَهُ . . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ انْتَبَهَتْ مَشَاعِرُنَا وَازْدَادَ إِعْجَابُنَا بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ الْأَخِيرَةِ، أَيَّامَ انْتِصَارِهِ بِالْمَدِينَةِ، عِنْدَمَا كَانَتْ لَهُ الْقُوَّةُ وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ وَاسْتِطَاعَتُهُ الْأَخْذَ بِالثَّأْرِ وَلَمْ يَفْعَلْ، بَلْ عَفَا عَنِ كُلِّ أَعْدَائِهِ .

الْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ وَالشَّجَاعَةُ، وَمِثْلُ هَاتِيكَ الصِّفَاتِ، كَانَتْ تُرَى مِنْهُ فِي كُلِّ تِلْكَ الْمُدَّةِ، حَتَّى إِنَّ عَدَدًا عَظِيمًا مِنَ الْكَافِرِينَ اهْتَدَوْا إِلَى الْإِسْلَامِ عِنْدَ رُؤْيَةِ ذَلِكَ .

عَفَا بِلا قَيْدٍ وَلَا شَرْطٍ عَنِ كُلِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اضْطَهَدُوهُ وَعَدَّبُوهُ، أَوْى إِلَيْهِ كُلِّ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ نَفَّوهُ مِنْ مَكَّةَ، وَأَغْنَى فَقَرَاءَهُمْ، وَعَفَا عَنِ الدُّ أَعْدَائِهِ، عِنْدَمَا كَانَتْ حَيَاتُهُمْ فِي قَبْضَةِ يَدِهِ وَتَحْتَ رَحْمَتِهِ .

تلك الأخلاقُ الربانيةُ التي أظهرها النبيُّ الكريمُ، أقنعت العربَ بأن حائزها يجبُ ألاَّ يكونَ إلاَّ من عندِ الله، وأن يكونَ رجلاً على الصراطِ المستقيمِ حقاً، وكراهيتهم المتأصلةُ في نفوسهم حولتها تلك الأخلاقُ الشريفةُ إلى محبةٍ وصدقةٍ متينةٍ».

□ محمدُ المثلُ الكاملُ: «نحن نعتبرُ أن نبيَّ بلادِ العربِ الكريمِ ذو أخلاقٍ متينة، وشخصيةٍ حقيقةٍ وُزِنَتْ واختُبرت في كلِّ خطوةٍ من خطى حياته، ولم يَرَفِها أقلُّ نقصٍ أبداً.

وبما أننا في احتياجٍ إلى نموذجٍ كاملٍ يَفي بحاجتنا في خطواتِ الحياة، فحياةُ النبيِّ المُقدَّسِ تُسدُّ تلك الحاجة.

حياةُ محمدٍ كمرآةٍ أمامنا تعكسُ علينا التعقلَ الراقِي، والسخاءَ والكرمَ، والشجاعةَ والإقدامَ، والصبرَ والحلمَ، والوداعةَ والعفوَ، وباقي الأخلاقِ الجوهريةِ التي تُكوِّنُ الإنسانيةَ، ونرى ذلك فيها بألوانٍ وضاءةٍ... خذُ أيَّ وجهٍ من وجوهِ الآدابِ وأنت تتأكَّدُ أنك تجدهُ موضَّحاً في إحدى حوادثِ حياته.

ومحمدٌ وصلَ إلى أعظمِ قوةٍ، وأتى إليه مُقاوموه، ووجدوا منه شفقةً لا تُجَارِي، وكان ذلك سبباً في هدايتهم ونقائهم في الحياة».

رَحِمَ اللهُ اللورد «هيدلي»، وجزاه عن الإسلامِ خير الجزاء^(١).

* چون وانتبورت السويسري:

وُلِدَ في مدينة «لوزان» سنة ١٧٩٥م، وتوفي سنة ١٨٦٣م.

(١) «أوروبا والإسلام» (ص ٦٧-٧٢).

□ قال في كتابه «محمد والقرآن»: «بقدر ما نرى صفة محمد الحقيقية بعين البصيرة والتروّي في المصادر التاريخية الصحيحة، بقدر ما نرى من ضعف البرهان وسقوط الأدلة لتأييد أقوال الهجوة الشديد والظعن القبيح الذي اندفن على رأسه وانهار عليه من أفواه المغرضين والذين جهلوا حقيقة محمد ومكانته، ذلك الرجل العظيم عند كل من درس صفاته العظيمة، كيف لا، وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه؟!».

* البرنس كاتيان الإيطالي:

□ قال في كتابه «أديان العرب» (ص ٣٤): «إن مزية محمد هي كفاءته العجيبة كسياسي محنك أكثر منه كنبى موحى إليه!! وليس في وسع أحد فهم محمدًا أن يحط من كرامته، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه وظلم محمدًا».

* العلامة كارل ماكس الألماني:

ولد العلامة «كارل ماكس» في «تريف» بألمانيا ١٨١٧، توفي ١٨٨٣، من رجال السياسة والفلسفة الاجتماعية، ومحرر «البيان الشيوعي».

□ قال في كتابه «الحياة»: «إن الرجل العربي الذي أدرك خطايا المسيحية واليهودية، وقام بهمة لا تخلو من الخطر بين أقوام مشركين يعبدون الأصنام، يدعُوهم إلى التوحيد، ويزرع فيهم أبدية الروح، ليس من حقه أن يُعدَّ بين صفوف رجال التاريخ العظيم فقط، بل جدير بنا أن نعترف بنبوته، وأنه رسول السماء إلى الأرض».

ومن ألمانيا

* الشاعر المعروف جايتي الألماني :

□ قال في كتابه «الإسلام» (ص ٦٧) بعد تعداد ما جاء به الإسلام :
«إذا كان ذلك هو الإسلام، فَكُنَّا إِذَا مُسْلِمُونَ، نَعْمَ كُلُّ مَنْ كَانَ فَاضِلًا
شَرِيفَ الْخُلُقِ فَهُوَ مُسْلِمٌ، أَلَا إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ كُلَّهُ إِخْلَاصٌ وَدِينَ اجْتِمَاعٍ
وَأَخْلَاقٍ وَرِعَايَةِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ، فَإِذَا يَتَّزَعُ مُحَمَّدٍ وَدِينُهُ عَنْ غَيْرِهِ» .

* الكاتب الشهير دريتسي الألماني :

وُلِدَ فِي «بِرْلِين» ١٨٢١ م، وَتُوِّفِيَ ١٨٨٨ م، مُسْتَشْرِقٌ أَلْمَانِيٌّ .
□ قال : «إِنَّ عُلُومَ الطَّبِيعَةِ وَالْفَلَكَ وَالْفِلْسَفَةَ وَالرِّيَاضِيَّاتِ الَّتِي أَنْعَشَتْ
أُورُوبَا فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ قِرَآنِ مُحَمَّدٍ، بَلْ إِنْ أُورُوبَا مَدِينَةٌ
لِلْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ» .

□ وقال : «إِنَّا لَوْ أَنْصَفْنَا الْإِسْلَامَ، لَاتَّبَعْنَا مَا عِنْدَهُ مِنْ تَعَالِيمٍ
وَأَحْكَامٍ، لِأَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ، وَقَدْ زَادَهُ مُحَمَّدٌ نَمُوًّا وَعَظْمَةً،
بِحُسْنِ عِنَايَتِهِ وَعَظِيمِ إِرَادَتِهِ، وَيَظْهَرُ مِنْ مُحَمَّدٍ أَنَّ دَعْوَتَهُ لِهَذَا الدِّينِ لَمْ تَكُنْ
إِلَّا عَنْ سَبَبِ سَمَاوِيٍّ . . . إِنَّا نَقُولُ هَذَا لَوْ أَنْصَفْنَاهُ فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ وَنَادَى بِهِ،
وَإِنَّ مَنْ اتَّهَمَ مُحَمَّدًا بِالْكَذْبِ، فَلْيَتَّهَمْ نَفْسَهُ بِالْوَهْنِ وَالْبِلَادَةِ وَعَدَمِ الْوُقُوفِ
عَلَى مَا صَدَّعَ بِهِ مِنْ حَقَائِقٍ» .

* الهر ماركوس الألماني :

دكتور بالفلسفة، وُلِدَ فِي «تْرِيف» عَامَ ١٨١٨، وَتُوِّفِيَ عَامَ ١٨٨٤،
مُحَرِّرٌ «الْبَيَانِ الشِّيْعِيِّ»، وَمِنْ رِجَالِ السِّيَاسَةِ وَالْفِلْسَفَةِ .

□ قال في محاضرة له ألقاها عام ١٨٧٢ نقلتها عنه مجلة «المقتطف» المصرية المجلد الخامس منها: «تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا نُصِفُ بها الإسلامَ الحنيفَ، ونبيَّه العظيمَ محمدًا، ولنجعلَ موضوعنا اليومَ «الحكومة الإسلامية في صدر الإسلام»، ولنستعرضَ تنظيماتها في عهدِ سيِّدها وقائدها وزعيمها ذلك الرسولِ الكريمِ، لنبيِّنَ أن الصحابةَ والخلفاءَ الراشدين وقادةَ الإسلام كانوا يقومون بواجباتهم بكلِّ أمانةٍ ودقَّةٍ، ووفقًا للشريعة الغراءَ التي جاء بها محمدٌ، لم يكن في فجرِ الإسلامِ شيعٌ ولا أحزاب، بل على العكس من ذلك، كانت الحكومةُ الإسلاميةُ تُمثَلُ جميعَ مسلمين تمثيلاً صحيحاً، وهي عبارةٌ عن هيئةٍ منظمَةٍ مشتركةٍ، تنطقُ بحقِّ بلسانِ كافةِ المسلمين، كلُّ مسلمٍ يَشُدُّ أزرَ أخيه المسلم، وكان عدلُ محمدٍ منتشرًا بين المسلمين، بحيث كان المسلم الواحدُ مطمئنًا إذا كان هو رافلاً في بُجوحَةٍ من العيش، وهناءً بالٍ، ولم يكن مُخطئًا في ذلك، بل كان هذا هو الحقُّ الواقع».

□ إلى أن قال: «وهذه البدعةُ التي اشتَرَعها محمدٌ، كانت بمثابةِ ينبوعٍ فياضٍ يكفُلُ حاجةَ المسلم الفقير، فيتناولُ نصيبه من بيتِ المال بانتظامٍ، وفي ذلك مساعدةٌ عظيمةٌ لأمته».

* العلامة برتلي سانت هيلر الألماني :

مستشرقٌ ألماني، ولد في «درسدن» ١٧٩٣، وتُوفي ١٨٨٤.

□ قال في كتابه «الشرقيون وعقائدهم»: «كان محمدٌ رئيساً للدولة، وساهراً على حياةِ الشعبِ وحرِّيته، وكان يعاقبُ الأشخاصَ الذين

يَجْتَرِحُونَ الْجَنَائِدَ حَسَبَ أَحْوَالِ زَمَانِهِ وَأَحْوَالِ تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ الْوَحْشِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهَا، فَكَانَ النَّبِيُّ دَاعِيًا إِلَى دِيَانَةِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ، وَكَانَ فِي دَعْوَتِهِ هَذِهِ لَطِيفًا وَرَحِيمًا، حَتَّى مَعَ أَعْدَائِهِ، وَإِنَّ فِي شَخْصِيَّتِهِ صِفَتَيْنِ هُمَا مِنْ أَجْلِ الصِّفَاتِ الَّتِي تَحْمِلُهَا النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ، وَهُمَا الْعَدَالَةُ وَالرَّحْمَةُ.

* الدكتور تيودور نولدكه الألماني :

□ هو من مشاهير المستشرقين الألمان، وُلِدَ فِي «هَمْبُورْغ» عَاصِمَةِ أَلْمَانِيَا التَّجَارِيَّةِ عَامَ ١٨٣٦، وَتُوفِيَ ١٩٢٠، اشْتَغَلَ فِي اللُّغَاتِ السُّرْيَانِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ. . لَهُ «تَارِيخُ الْقُرْآنِ»، قَالَ فِيهِ، (ص ٨٣): «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْمُسْلِمِينَ - بَلِ نَبِيِّ الْعَالَمِ -؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بِدِينٍ إِلَى الْعَالَمِ عَظِيمٍ، وَبِشَرِيعَةٍ كَلَّمَهَا آدَابٌ وَتَعَالِيمٌ، وَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نُصِفَ مُحَمَّدًا فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ؛ لِأَنَّنَا لَمْ نَقْرَأْ عَنْهُ إِلَّا كُلَّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَكَانَ جَدِيدًا بِالتَّكْرِيمِ».

* العلامة كارل هينرش بكر الألماني :

مُسْتَشْرِقٌ أَلْمَانِيٌّ، وُلِدَ فِي بَلَدَتِهِ «لَا كَازَا» مِنْ أَلْمَانِيَا الْغَرْبِيَّةِ عَامَ ١٨٧٦، وَتُوفِيَ ١٩٣٧، لَهُ عِدَّةٌ مَوْلُفَاتٍ، وَهُوَ الْمَوْسَسُ لِمَجَلَّةِ «الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ»، وَكَانَ يُفَضِّلُ الْأَدَبَ الْإِسْلَامِيَّ عَلَى الْأَدَبِ الْمَسِيحِيِّ.

□ قَالَ فِي كِتَابِهِ «الْشَرِيقُونَ»: «لَقَدْ أَخْطَأَ مَنْ قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ الْعَرَبِ دَجَّالٌ أَوْ سَاحِرٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مَبْدَأَهُ السَّامِيَّ، إِنَّ مُحَمَّدًا جَدِيدٌ بِالتَّقْدِيرِ، وَمَبْدُؤُهُ حَرِيٌّ بِالِاتِّبَاعِ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَحْكَمَ قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا خَيْرٌ رَجُلٌ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ بِدِينِ الْهُدَى وَالْكَمَالِ، كَمَا أَنَّنَا لَا نَرَى أَنْ الدِّيَانَةَ

الإسلامية بعيدة عن الديانة المسيحية» .

* ويلكي كولنز الألماني :

□ الروائي المعروف . . قال في كتابه «جوهرة القمر» : «لقد جاء محمدٌ بصيانةِ النساءِ وحثهنَّ على العفافِ ، وحدَّر من السيرِ على خلافِهما ، مُشيراً إلى ما في هذين من النقصِ والخِسةِ ، وكم لِمِثْلِ هذا من نظيرٍ في شريعته السامية» .

* القسُّ ميشون الألماني :

□ قال في كتابه «سياحة دينية في الشرق» (ص ٣١) : «إنه لَمِنَ المُحزِنِ أن يتلقَى المسيحيون عن المسلمين رُوحَ التعاملِ وفضائلِ حُسنِ المعاملةِ ، وهما أقدسُ قواعدِ الرحمةِ والإحسانِ عند الشعوبِ والأممِ ، كلُّ ذلكِ بفضلِ تعاليمِ نبيِّهم محمد» .

* شاعر ألمانيا الكبير «جوته» (١٧٤٩ - ١٨٣٢) :

□ مرَّ بنا سابقاً ما قاله «جوته» عن القرآن الكريم : «إنه الكتاب الذي يكرِّرُ نفسه تكراراتٍ لا تنتهي ، فيُشيرُ أشمئزنا دائماً كلُّما شرَّعنا في قراءته» .

□ وهو القائلُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ - كما سبق - : «نَصَبَ حَوْلَ العَرَبِ غُلافاً دينياً كَثيباً ، وعَرَفَ كيف يَحجُبُ عنهم الأملَ في أيِّ تقدُّمٍ حقيقيٍّ»^(١) .

وهنا وجهةُ نظرٍ أخرى لدى الباحثةِ الألمانيةِ «د. كاترينا ممسين» عن

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص ٥٧) .

«جوته» في كتابها «جوته والإسلام»، ترجمة «شيرين حامد فهمي»، وأصدرته مكتبة «الشروق الدولية»، تتحدث «د. كاثرينا ممسين» عن إعجاب «جوته» بالقرآن.. وكان مفهوم «التسامح» هو الذي جذب «جوته» إلى الإسلام، ولكي يفهم لغة القرآن تعلم اللغة العربية والخط العربي، وكان يصف لغة القرآن بالقوة والعظمة والرهبنة والسكون في خليطٍ عجيب.

□ وتذكر «د. كاثرينا ممسين» أمثلةً من كتابات «جوته» ورسائله التي تدلُّ على مدى احترامه للإسلام؛ فقد كتب رسالةً وهو في الثانية والعشرين من عمره قال فيها: «أريد أن أدعو كما دعا موسى ربه في القرآن ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]»، مما يدلُّ على أنه قرأ القرآن وتأثر به.

وعندما بلغ السبعين أعلن عن قراره بالاحتفال بتلك الليلة المقدسة التي نزل فيها القرآن من أعلى السماوات إلى النبي محمد ﷺ، وهذه اللغة في الحديث عن الإسلام كانت بعيدةً كلَّ البعد عن اللغة التي كان العالم الغربيُّ يتحدثُ بها عن الإسلام.

□ تقول «د. كاثرينا ممسين»: «إن «جوته» رأى - خلافاً للعالم الغربي - التأثير الإلهي للقرآن على البشرية، وإن اقتباسات «جوته» من القرآن في مواضع كثيرة في كتاباته تعكس تقديره الشخصي واقتناعه بأمور كثيرة في الإسلام، وكانت سورة «البقرة» من أكثر السور التي أثرت في هذا الشاعر الكبير، وهو يذكر عدة آيات يتوقف عندها ويشيد بما فيها من الفكر الرائع العميق^(١) مثل: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا

(١) القرآن ليس فكراً، بل هو كلام العلي الكبير، وهو سبحانه لا يُوصف بالتفكير.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ [البقرة: ١١٢].

* كما يتحدثُ عن آيةٍ أُخرى من نفسِ السورة، يقول: إنها تُعبرُ عن دليلٍ وجودِ الله في الكونِ كلِّه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَحَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]. والآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

* وسجّل «جوته» إعجابه بما في الإسلام من الدعوة إلى الخير، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ: إِنَّهُ لَمْ يَبْعَثْ رَسُولًا إِلَى قَوْمٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، وَيَتَحَدَّثُ بِلُغَتِهِمْ، وَيَعْرِفُ ثِقَاتِهِمْ».. وَيَسْتَشْهَدُ بِالآيَةِ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]. والآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

□ وكتب «جوته» رسالةً إلى المفكّر والمؤرّخ البريطاني «توماس كارليل» في سنة ١٨٢٧م قال له فيها: «إِنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ رَسُولًا يَتَحَدَّثُ بِلُغَتِهِمْ»، وأشار إلى الكفار الذين طالبوا الرسولَ مُحَمَّدًا ﷺ بأن يأتيَ بمعجزاتٍ، وعلّق على ذلك بأبياتٍ من الشعر قال فيها: قال لهم: المعجزاتُ لا أستطيعُ الإتيانَ بها، المعجزةُ الكبرى هي وجودي بينكم رسولاً^(١).

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص ٢١٦-٢١٧) لرجب البنا- دار المعارف.

□ كان للشاعر الفرنسي الشهير «فولتير» مسرحيةٌ بدأ عرضها عام ١٧٤٢، واشتهرت في الغرب، اسمها «تطرف النبي محمد»، وأعلن «جوته» أن هذه المسرحية قدّمت أبشع صورةٍ يمكنُ تصورُها عن نبيٍّ، وألّف مسرحيةً تُعارضها بعنوان «الدراما المحمدية» من مشهدين :

في المشهد الأول: يُصوّرُ بعثةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وكيف جاءه الوحيُّ بتكليفه بالرسالة .

والمشهد الثاني: يُصوّرُ معاناةَ الرسولِ ﷺ مع قومه في تبليغِ رسالةِ التوحيد، وقدّم «جوته» بعد ذلك «أغنية محمد» التي تُعتبر أولَ تبجيلٍ للرسولِ ﷺ من شاعرٍ أوروبي .

وفي هذه الأغنية يظهرُ انبهارُ «جوته» بشخصيةِ النبيِّ ﷺ، ثم انبهاره بجهادِهِ وعدمِ اكتفائه بالدعوة، وكفاحِهِ لتأسيسِ مجتمعٍ قائمٍ على مبادئِ الدينِ الذي جاء به، وربطِ بينِ النبيِّ ﷺ المُعلِّمِ الرُّوحِيِّ، والنبيِّ الإنسانِ ذي الصفاتِ العاليةِ .

ويَعكسُ «جوته» في أشعاره عموماً إعجابَهُ بما في شخصِ الرسولِ ﷺ من المزجِ بينِ الشخصيةِ التي تأسَّسُ ديناً جديداً، وبين نفسِ الشخصيةِ وهي تُكرِّسُ جهدها لتربيةِ البشرِ رُوحياً .

وجاء في أشعارِ «الدراما المحمدية» الكثيرُ من تعبيراتِ الإعجابِ والتقديرِ للرسولِ ﷺ مثل :

بين مضايقِ الجبالِ سار

وبخطى أقدامِ القائدِ شدَّ معه أصحابه

تتعثُ الورودُ تحت أقدامه
وفي غيرِ ظلِّه لا توجدُ الورود
وها هو ذا يسيرُ في الوادي متلألئاً بهياً
والأنهارُ والجداولُ تهتفُ به صائحةً: يا أخانا
خذُ إخوانك وخذنا معك إلى ربِّك الدائم
والآن يعلو ويكبرُ ويحملُ معه الأمراء
وفي وسطِ انتصاراته دانت المُدنُ تحت قدميه وهو يسيرُ تاركاً الترفَ والشراء
لا يعبأُ بهما.. وهكذا حملَ أصحابه وأطفاله
ﷺ ولا يكتبُ هذه الصورة المليئة بالتقديرِ إلا مَنْ يؤمنُ بأن محمداً ﷺ
رسولٌ بحقٍّ، وأن دينه هو دينُ الحق.

□ وتذكرُ «كاثرينا ممسين» مواقفَ كثيرةً تدلُّ على اعتقادِ «جوته»
بالتسليمِ لله كما في العقيدة الإسلامية؛ ففي عام ١٨٢٠ م مرَّضت أخته غيرُ
الشقيقة بمرضٍ خطيرٍ، فكتب إلى صديق له: «لا أستطيعُ إلا أن أقول: إنني
أجدُ نفسي - مرةً أخرى - باحثاً عن الإسلام».

□ وفي عام ١٨٣١ انتشر وباءُ الكوليرا، فكتب: «هنا لا يستطيعُ أحدٌ
أن ينصحَ غيرهَ فيما يفعله، فنحن جميعاً نعيشُ في الإسلام الذي يُعطينا
الشجاعةَ في مواجهةِ الحياة».

□ وقبل موته بأربعة أسابيع - وهو في عامه الثاني والثمانين - كتب:
«من أجل أن يتحرَّرَ البشرُ من الخوفِ انتهوا بإلقاءِ أنفسهم في حِضنِ الإسلام
واثقين في الله وفي أقداره غيرِ المكشوفة لنا».

□ فهو مؤمنٌ بما في الإسلام من الخضوع لله والرضا بما كتبه، ويعبرُ عن ذلك بقوله: «إنه لمن اللافت للانتباه أن نرى كيف كان المؤمنون بمحمدٍ ﷺ يقومون بتربية الأجيال المسلمة، وكان الدرسُ الأولُ هو تثبيتُ عقيدة القضاء والقدر، والإنسانُ لا يواجهُ أمرًا إلا وقد كتبه اللهُ له، ومن ثمَّ يعيشون حياتهم آمنين مطمئنين».

□ ولقد واجه «جوته» الكثيرَ من الانتقاداتِ والاتهاماتِ لإعجابهِ بالإسلام، ومعارضتهِ للتيارِ العدائِيِّ الغالبِ للإسلام وللرسول ﷺ، وكان ردهُ على ذلك في كتاب «المقولات» بأبياتٍ قويةٍ وصريحةٍ قال فيها:

مِنْ حِمَاةِ الْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهِ

أَنْ يَتَعْصَبَ كُلُّ مَنْ لِرَأْيِهِ

وَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ مَعْنَاهُ التَّسْلِيمُ لِلَّهِ

فَعَلَى الْإِسْلَامِ نَحْيًا وَنَمُوتُ أَجْمَعُونَ

هل كان الشاعرُ العظيمُ «جوته» معجبًا بروحانيةِ الإسلامِ فقط - وهو الذي نشأ في أسرةٍ بروتستانتيةٍ؟! أو كان مسلمًا بقلبه - كما يقول البعض -؟.

□ تقول الباحثة الألمانية: «د. كاثرينا مسمين»: «إن «جوته» عندما أصدر ديوان «الغرب والشرق» في مايو ١٨١٤ ثار معظمُ الألمانِ عليه؛ لأن هذا العملَ لا يصدرُ إلا عن شخصٍ على علاقةٍ روحيةٍ وثيقةٍ بالإسلام، ثم ازدادت ثورتهم عليه عندما قال بعد ذلك بعامين - أي في عام ١٨١٦ -: «إن مؤلِّفَ هذا العملِ لا ينفي الفكرةَ بأن يكون هو نفسه مسلمًا».

وهو يتحدثُ في هذا الديوانِ عن الأصالةِ الدينيةِ في الشرق، وعن رغبتهِ في تجاوزِ التناقضاتِ العَدائيةِ بين الديانتين، والجمعِ بين هذين العالمين تحتَ مظلةٍ واحدةٍ، كما يتحدثُ به عن شخصياتِ إسلاميةٍ أحبَّها مثل: السلطان سليم، والمنتبي، وحاتم الطائي، والفردوسي وغيرهم.

ويبدو في ديوان «الغرب والشرق» أن «جوته» كان دارساً للقضايا التي شغلت المفكرين المسلمين على مدى العصور، فهو - على سبيل المثال - يُشيرُ إلى المعركة التي قامت حول «هل القرآن مخلوق أو هو قديم»، والتي تعرَّض فيها الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ للتعذيبِ لأنه تمسَّك برأيه في أن القرآن قديم.

□ يقول جوته في إشارته إلى «القرآن المقدس»:

هل القرآن قديم؟^(١)

شيءٌ لا أسألُ عنه

هل هو مخلوقٌ

شيءٌ لا أدريه

وكثيرٌ من أبيات الديوان عن القرآن، فهو يستلهمُ من الآية ﴿اهدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في سورة الفاتحة مناجاته:

يُنَازِعُنِي الْغَيُّ وَالضَّلَالُ

لكنك تعرفُ كيف تهديني

(١) هذا ما يقوله . . . وهي مسألة هامة في عقيدة أهل السنة والجماعة . . . والقرآن من كلام الله وكلام الله غير مخلوق، كما أنه لا يوصف الله سبحانه ولا كلامه ولا سائر صفاته بوصف «القديم» .

اهدني أنت في أعمال الصراط المستقيم
وَيُرَدُّ «جوته» الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ
اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فيقول:

لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

لِلَّهِ الْمَغْرِبُ

وله الأرض شمالاً وجنوباً

وكان «جوته» يُعبرُ دائماً عن حُبِّه للحروف العربية والخطِّ العربي.

□ وفي كتابات «جوته» ما يدلُّ على تأثره بالقرآن ويقول: «إنه كتابٌ
ليس له مثيلٌ على وجه الأرض، ولا مثيلٌ لِمَا فيه من ذِكْرِ لأَسْمَاءِ اللَّهِ
الحسنى».

□ وقد رأى في القرآن الرؤية الإسلامية للذات الإلهية، كما كان أسيرَ
الإعجابِ بشخصية الرسول ﷺ، ويقول: «إنه جمَع بين الإنسان والنبى».
□ وقد اكتشف أحد الباحثين مخطوطة ديوانٍ لم يُنشر كتبه «جوته»
بعنوان «بعثة محمد»، نُشرت في باريس عام ١٩٠٧م يقول فيها:

حينما كان يتأملُ في الملكوت

جاءه الملاكُ ومعه النور

اضطرب، فهو لم يقرأ أبداً

كلمة «اقرأ» تعني الكثير بالنسبة له

(١) كيف هذا.. أهو مذهب وحدة الأديان الذي دعا إليه من بعد رجاء جاروي !!.

لكنَّ الْمَلَاكَ بَلَّغَهُ الرِّسَالَةَ وَبَدَأَهَا بِالْأَمْرِ «اقْرَأ»

وَاسْتَمَعَ إِلَى الْأَمْرِ.. وَبَدَأَ طَرِيقَهُ

□ وَعَلَى رَغْمِ إِعْجَابِ «جَوْتِهِ» بِالْإِسْلَامِ وَكُتَابِهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّهُ يُوجِّهُهُ^١ إِلَى اللَّوْمِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ لِابْتِعَادِهِمْ عَنْ رُوحِ الْإِسْلَامِ، وَيُوجِّهُهُ هَذَا اللَّوْمَ إِلَى الْمَسِيحِيِّينَ أَيْضًا، وَيَتَهَمُهُمْ بِالْابْتِعَادِ عَنْ رُوحِ الْمَسِيحِيَّةِ، مَقَارِنًا بَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمَسِيحِيُّونَ عِنْدَ مِيلَادِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، عِنْدَمَا تَحَوَّلَتِ الْكَنِيسَةُ إِلَى سُلْطَةِ سِيَاسَةٍ وَانْشَغَلَتْ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَتَمَلُّكِ الْأَرْضِ وَبَحْثِهَا عَنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَهُوَ يَنْتَقِدُ الْانْقِسَامَ الَّذِي حَدَثَ بَيْنَ الْكَاثُولِيكِ وَالْبُرُوتَسْتَانِ، وَفِي ذَلِكَ كَتَبَ فِي عَامِ ١٨١٦ مَ يَقْتَرِحُ إِقَامَةَ احْتِفَالٍ وَاحِدٍ يَجْمَعُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَدْيَانِ جَمِيعًا أَسْمَاءَ «احْتِفَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ النَّقِيَّةِ»، وَفِيهِ لَا يُسَأَلُ أَحَدٌ عَنْ دِينِهِ، «الْجَمِيعُ يَذْهَبُونَ يَتَلَمَّسُونَ الضَّوءَ مِنْ شُعَاعٍ وَاحِدٍ، وَتَسْمُو أَرْوَاحُهُمْ، وَيَتَذَكَّرُ كُلُّ مَنْهُمْ عِيدَهُ فَيَحْتَفِلُ بِهِ»^(١).

□ وَلَقَدْ كَانَ تَأْتِيرُ «جَوْتِهِ» عَظِيمًا، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى الْيَوْمِ، فَقَدْ تَأَثَّرَ بِهِ الشَّاعِرُ الرَّوسِي الْكَبِيرُ «أَلَكْسَنْدَرُ بُوْشْكِينُ» (١٧٩٩ - ١٨٣٧ م)، وَالشَّاعِرُ الْبُولَنْدِي «آدَمُ مِيلِيْفَكْسُ» (١٧٩٨ - ١٨٥٥)، فَكَانَتَا أَشْعَارُهُمَا تَعَكِّسُ تَعَاظُفًا تُجَاهَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَامْتَدَّتْ أَصْدَاءُ شِعْرِ «جَوْتِهِ» إِلَى آسِيَا، فَتَأَثَّرَ بِهِ الشَّاعِرُ وَالْفِيلَسُوفُ الْبَاكِسْتَانِي «مُحَمَّدُ إِقْبَالُ» (١٨٧٧ - ١٩٣٨ م)، وَلَهُ كِتَابٌ شَهِيرٌ بِاسْمِ «سَفَارَةِ الشَّرْقِ» يَعْتَبِرُهُ النَّقَادُ الصَّدَى الصَّافِي لَدِيْوَانِ «الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ».

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص ٢١٧-٢٢١).

□ وَنَخْتُمُ الْحَدِيثَ عَنْ «جوته» بما قاله في مقدّمة كتاب «المحمديات»
«لديسون» الألماني، والذي عربّه عن الفرنسية إلى العربية الكاتبُ الشهير
«عمر أبو النصر».

□ قال تحت عنوان - نشيد محمد أو فيض الإسلام -: «انظر إلى يُنبوع
الجبل يضطربُ مليئًا صافياً، كأنما هو شعاعٌ ذرّيٌّ فوق السُّحب، أَرْضَعَتْ
ملائكةُ الخيرِ طفولته في مهدهِ يومَ كان بين أفلاقِ الصخورِ المُعشوشبة، إنه
ينحدرُ من السحابةِ فتياً نقيّاً، ثم يتنزى منها جدلانَ فرحاً، إنه يسيرُ في
الأخاديدِ الوعرة، جارِفاً أمامه من ألوانِ الحصباءِ ما لا يُحصى، ساحباً في
إثره أخواتٍ من العيونِ الثرّارة، كأنما هو مُرشدُها الأمين، وأما في الوادي،
فالرياحينُ تنبثقُ عند قدميه، والمُروجُ تحيا من أنفاسِهِ، لا يثنيه الوادي
الظليل، ولا الرياحينُ التي تُطوّقُ ساقيه، وتحاولُ أن تسيبه وتستهويه
بلحاظها الفواتين».

□ إلى أن قال: «وها هو العبابُ طامياً زاخراً، ترفدهُ الروافدُ، فيخلعُ
في مجراه على الأمصارِ أسماءها، وتنشأ عند أقدامه المدنُ، بيد أنه لا يني،
فلا يبرحُ هادراً يندفعُ، لا يثنيه ثانٍ، مُخلِّفاً وراءه المنائرَ والصروحَ، نتاجَ
خصبه وانتاجه، ذلك هو محمدُ بن عبد الله».

* العلامة ديسون الفرنسي:

□ قال في كتابه «المحمديات» تعريب البحّانة «عمر أبو النصر»
(ص ١٩): «لقد وُلد محمدُ نبيُّ العرب في قلبِ البلاد العربية عام ٥٧٠ بعد
المسيح، وتمكّن الإسلامُ في أواخرِ القرنِ السابعِ أن يقتحمَ سورياً وفارساً

ومصرَ والمغربَ، وأن يمتدَّ إلى إفريقيا الشمالية، وأن يحتلَّ كلَّ الجزرِ الواقعةِ في البحرِ المتوسطِ، وأن يتَّصلَ بالهندِ والصينِ، فلما أذنتُ شمسُ القرنِ الثامنِ بشروقِ، اقتحمَ الإسلامُ إسبانياً، وأخذ «شارلمان» و«هارون الرشيد» يتبادلانِ السفراءَ والهدايا.

□ إلى أن قال (ص ٢٢) منه: «وليس يصحُّ أن يُنظرَ إلى دينِ محمدٍ كدينِ مليءٍ بالخرافاتِ والأكاذيبِ وغيرِ ذلك، فهذا مخالفٌ للحقيقةِ بعيدٌ عن الواقعِ، فإنَّ التعاليمَ الإسلاميةَ شريفةٌ ساميةٌ، والأخلاقَ رفيعةٌ عاليةٌ، وفي الإسلامِ من العقائدِ والآراءِ ما يستحقُّ احترامَ الفلاسفةِ وعُلماءِ الاجتماعِ له».

ثم يذهبُ «المسيو ديسون» إلى أن بعضَ المؤرِّخين يذكُرُ عن محمدٍ أنه كان كارهاً للأصنامِ بعيداً عن عبادتها والتقرُّبِ منها، وإن كان لا يعلمُ أنه سيُنشئُ في مُقبلاتِ الأعوامِ ديناً يُبدِّلُ الأرضَ غيرَ الأرضِ، ويحدثُ في العالمِ ظاهرةً جديدةً لا تزالُ آثارُها بعيدةَ المدى عظيمةَ الخطورةِ.. إلى آخرِ كلامه.

* الفيلسوف الألماني شبلنجر:

□ قال الفيلسوفُ الألماني «شبلنجر» في كتابه «أقول الغرب»: «إنَّ حضارةَ الإسلامِ حضارةٌ جديدةٌ أوْشكت على الظهورِ في أروعِ صورةٍ، والإسلامُ يملكُ اليومَ أقوى قوةٍ روحانيةٍ عالميةٍ نقيَّة»^(١).

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (١٩).

* بول ديورانت :

□ قال المفكر الكبير «بول ديورانت» : «إِذَا حَكَمْنَا عَلَى الْعِظْمَةِ بِمَا كَانَ لِلرَّجُلِ الْعَظِيمِ مِنْ أَثَرٍ فِي النَّاسِ ، فَلأَبْدَ أَنْ نَقُولَ : إِنْ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ أَعْظَمَ عِظْمَاءِ التَّارِيخِ»^(١) .

* أَنَا مَارِي شَيْمِلَ أَعْظَمَ مَنْ أَنْصَفَ الْإِسْلَامَ فِي أَلْمَانِيَا :

«أَنَا مَارِي شَيْمِلَ» أَعْظَمُ الْمُسْتَشْرِقَاتِ اللَّاتِي أَنْصَفْنَ الْإِسْلَامَ فِي الْغَرْبِ . . وَمَا تَقَوْلُهُ لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَالْأَلْمَانِ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ ، وَيَمْتَدُّ تَأْثِيرُهَا إِلَى بَقِيَّةِ دَوْلِ أَوْرُوبَا ، وَهِيَ حَائِزَةٌ عَلَى جَائِزَةِ «السَّلَامِ لِلنَّاشِرِينَ الْأَلْمَانِ» ، وَهِيَ أَهْمُ الْجَوَائِزِ الثَّقَافِيَّةِ وَلِفِكْرِيَّةِ فِي أَلْمَانِيَا .

وَبِسَبَبِ مَوْقِفِهَا مِنْ «سَلْمَانَ رَشْدِي» وَرَوَايَتِهِ تَعَرَّضَتْ لِحَمَلَةِ اضْطِهَادٍ شَدِيدَةٍ فِي أَلْمَانِيَا .

□ تَقُولُ : «وَلَوْلَا أَنَّ الرَّئِيسَ الْأَلْمَانِيَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يُسَانِدُنِي لَكَانَتْ الذَّنَابُ قَدْ افْتَرَسْتَنِي ، وَلَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ قَضَيْتُ فِي هَذِهِ الْمِحْنَةِ سِتَّةَ شَهُورٍ»^(٢) .

حَصَلَتْ «أَنَا مَارِي شَيْمِلَ» عَلَى جَوَائِزٍ تَقْدِيرٍ عَدِيدَةٍ مِنْ أُنْحَاءِ الْعَالَمِ يَصْعَبُ حَصْرُهَا ، مِنْهَا وَسَامُ «الْإِسْتِحْقَاقِ الْكَبِيرِ» ، أَعْلَى وَسَامِ أَلْمَانِيَا فِي عَامِ ١٩٨١ ، وَإِنْتَاجُهَا الْمُنشُورُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالشَّرْقِ بَلَغَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ مُجَلَّدًا ، وَصَدَرَ أَكْثَرُ مِنْ ٢٠٠ كِتَابٍ عَنْهَا وَعَنْ أبحاثِهَا وَأفكارِهَا ، وَهِيَ

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (١٩) .

(٢) المصدر السابق (ص ١٩) .

معروفة عالمياً ومقروءةً باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والفارسية، والتركية، والأوردو، والعربية، والإندونيسية، وتُوفيت يوم الثلاثاء ٤ فبراير ٢٠٠٣.

□ وإجابةً عن سؤالٍ عن رأيها في الإسلام قالت بوضوح: «إنني أحب الإسلام، ولولا أنني أحبه ما كتبتُ عنه أكثرَ من ثمانينَ كتاباً، وقد وجدتُ فيه دينَ تسامحٍ وروحانيةٍ، وتوقفتُ كثيراً عند كلمات القرآن: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقد قلتُ لمن وجهوا إليَّ النقد: إنني أحبُّ الرسول محمداً ﷺ»^(١).

□ وفي رأيها أن التشهيرَ بالإسلام والمسلمين في الغرب قضيةٌ لها جذورٌ وعمقٌ تاريخي^(٢).

□ وتقول: «الإساءةُ إلى الإسلام كانت شائعةً في القرون الوسطى، ويظهرُ ذلك في الشعرِ الفرنسيِّ من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، كما يظهرُ في الأدبِ الإنجليزيِّ والأسكتلندي، حتى إنهم حرّفوا اسم النبي «محمد» إلى «Mahaund»، وهم اسمٌ يتكوّن من مقطعين، والمقطع الثاني «haund» يعني «كلب»، وفي نصوصٍ أخرى نجدُ أن اسمَ النبي محمد ﷺ تحوّل إلى اسمٍ معناه «الشیطان»، وحتى في الأشعار الألمانية الرومانسية سنة ١٨٠١ نجدُ اسمَ محمد ﷺ وقد تحوّل إلى «Mahom» «ماحوم»، وإشاراتٌ إلى أن المسلمين يعبدون أصناماً ذهبيةً لمحمد ﷺ. . وهكذا لا

(١) المصدر السابق (ص ١٨-١٩).

(٢) المصدر السابق (ص ١٩).

يوجدُ شيءٌ سلبيٌّ لم يُلصِقْهُ الغربيون بالإسلام من القرن الثامن حتى القرن العاشر، وازدادت مع بداية الحروب الصليبية، وفي نوفمبر سنة ١٩٩٥ تحدّث الكتابُ الغربيون بفخرٍ عن ذكرى مرور ٩٠٠ سنة على انطلاقِ أوّلِ حملَةٍ صليبية، ممَّا يدلُّ على أن تلكَ الحِقْبَةَ ما زالت حَيَّةً في عقولِ الغربيين»^(١).

□ وأجملُ ما قالته «أنا ماري شيمل»: «إنَّ وسيلتها للحديث عن الإسلام ليست بإصدارِ البيانات، أو بالظهورِ المسرحيِّ، ولكنها تؤمنُ بأنَّ المياهَ التي تسيرُ سيراً هادئاً وباستمرارٍ قادرةٌ مع الزمن على أن تُذيبَ الحَجَرَ الصَّلْبَ»^(٢).

□ وفي حديثٍ لها مع الدكتور «ثابت عيد» نُشر في «مجلة أكتوبر» في عدد ١٠ مارس ١٩٩٦ أكّدت «أنا ماري شيمل» استنكارها لسلوكِ الغرب تُجاهَ الإسلام، ووجّهت إنذاراً شديداً للهِجَة إلى أعداءِ الإسلام؛ لأنهم على باطلٍ، قالت فيه: «إنَّ الفكرةَ السائدةَ في الغرب بأنَّ الإسلامَ يُعادي المرأةَ فكرةٌ خاطئةٌ، بل إنَّ في الغرب مفكِّرين يقولون: «إنَّ المرأةَ في الإسلام كائنٌ بلا روحٍ».. ولكي نعرفَ كَذِبَ هذا الادِّعاءِ، نعودُ إلى القرآن الكريم، وسوف نرى أنه يُسوِّي بين الذكر والأنثى، وبين المؤمنين والمؤمنات، ولم يفرِّقْ بينهما في مجالِ الفرائضِ الدينية.. وإذا قيل: «إنَّ للمرأةِ نصفَ نصيبِ الرجل في الميراث»، فإن ذلك لسببٍ عمليٍّ، فالمرأةُ

(١) المصدر السابق (ص ٢٥-٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٠).

حين تتزوجُ تحصلُ على مهرٍ مناسبٍ، والزوجُ هو المسؤولُ شرعاً عن الإنفاقِ عليها، وهكذا تظهرُ العدالةُ في توزيع الأعباء والمسؤوليات، وفي النهاية سنجدُ أن المرأةَ هي الرابحةُ»^(١).

□ وقالت: «إنني أقولُ دائماً للغربيين الذين يُشوّهون صورةَ الإسلام: إنَّ الإسلامَ مَنَحَ المرأةَ حقَّ الاحتفاظِ باسمها، وبما تملكُه من مالٍ قبلَ زواجها، وبما تكسبُه بعد الزواج، وهذا يتضمَّنُ حقَّ المرأةِ في أن تعملَ وتكسبَ من أيَّة مهنةٍ أو تجارةٍ، والمرأةُ في أوروبا لم تتوصَّلْ إلى حقِّ الاحتفاظِ بما تملكُه من مالٍ بعدَ زواجها إلا منذ فترةٍ قريبة».

□ وتقول: «إنني كمؤرخةٍ للأديان أقفُ بإعجابٍ عند الآية (١٨٧) من سورة البقرة التي تحدَّدُ العلاقةَ بين الرجل والمرأة في إطارِ الزواج: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، و«اللباس» يعني الذات الأخرى أو النفس الأخرى، وبذلك يكون معنى الآية: أن الرجل والمرأة يكملُ كلُّ منهما الآخرَ، وأنَّ كلاً منهما هو النصفُ الأفضلُ للآخر، وأعتقدُ أنه يجبُ تسليطُ الضوءِ على هذه الآية - عند الحديث على مكانةِ المرأةِ في الإسلام-»^(٢).

□ وتقول: «إنَّ ما يُقالُ في الغرب من أنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ عقيدةٌ منحرفةٌ، اتهامٌ باطلٌ وجَّهه مسيحيُّ القرونِ الوسطى إلى الإسلام، ومسيحيُّ القرونِ الوسطى اعتبروا الإسلامَ هرطقةً مسيحيةً، بل إن بعضَ الأساطير في القرونِ الوسطى تقول: «إنَّ محمداً كاردينال مسيحي، استاء

(١) المصدر السابق (ص ٢٢-٢٣).

(٢) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص ٢٣).

لعدم اختياره بابا، فقام بالانفصال عن الكنيسة، وأسس لنفسه ديانةً جديدةً»، وقد أثارت مثل هذه الكتابات الفزع من الإسلام ومن الرسول في نفوس المسيحيين العاديين في الغرب؛ لأنهم اعتقدوا أنهم ليس من الممكن أن تظهر ديانة سماوية أخرى بعد المسيحية، وهذا الرأي ما زال شائعاً بين الكثير من الأوساط المسيحية حتى يومنا هذا.. ومن المؤسف أن مثل هذه الأفكار الخاطئة تبقى إلى وقتٍ طويلٍ في ذاكرة الأفراد، وفي «الوعي الجماعي» و«اللاشعور الجماعي» في الغرب، ويمكن إحيائها في أي وقت! (١)

□ وتردُّ «أنا ماري شيمل» على المقولة الكاذبة القائلة بأن الإسلام انتشر بحدِّ السيف، فتقول: «هذا ادعاء شائع في الغرب.. إن الإسلام لم ينتشر بحدِّ السيف في شبه القارة الهندية، وماليزيا، والصين، وغرب أفريقيا، بل انتشر عن طريق الصوفيين والتجار الذين قدّموا العقيدة الإسلامية بطريقة بسيطة لهذه الشعوب» (٢).

* المؤرخ ديكنز:

□ يقول المؤرخ «ديكنز» في كتابه «معالم تاريخ الإنسانية»: «إن الإسلام ساد لأنه خير نظام اجتماعي وسياسي ظهر في التاريخ» (٣).

(١، ٢) المصدر السابق (ص ٢٤).

ويؤخذ عليها اهتمامها بجلال الدين الرومي، والحلاج وابن عربي وإعجابها الكبير بقول ابن عربي:

فمرعئى لغزلانٍ وديرٍ لرهبانٍ
والواحُ تورا، ومصحفُ قرآنٍ

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ
وبيتٍ لاوثان، وكعبة طائفٍ

(٣) المصدر السابق (ص ٢٠).

* المفكر الألماني الدكتور مراد ويلفريد هوفمان :

وُلِدَ عام ١٩١٠، حاصلٌ على الدكتوراة في القانون من إحدى جامعات الولايات المتحدة، عمل خبيراً نووياً في حلف الأطلنطي، وعمل سفيراً لبلاده في الجزائر والإمارات والسعودية، واعتنق الإسلام، وأصبح واحداً من أشهر المنصفين للإسلام والمسلمين في الغرب، وله كتبٌ عديدةٌ، منها «الإسلام كبديل» و«الإسلام عام ٢٠٠٠»، و«يوميات ألماني مسلم»، و«الإسلام في الألفية الثالثة».

□ يقول «د. مراد هوفمان»: «إنَّ المستشرقين حاولوا إثبات أن القرآن ليس من عند الله، وفشلوا، كما فشلوا في إثباتِ حدوثِ تغييرٍ في أيِّ حرفٍ أو كلمةٍ فيه»^(١).

وهو يردُّ على المستشرقين رداً مفحماً، ويدافعُ عن الإسلام ورسوله

ﷺ.

* السير وليم سوير الإنكليزي :

□ قال في كتابه «سيرة محمد» (ص ٣١): «امتاز محمدٌ بوضوح كلامه ويُسرِ دينه، وأنه أتمَّ من الأعمال ما أدهش الألباب، ولم يشهد التاريخُ مُصلِحاً أيقظ النفوسَ، وأحيا الأخلاقَ الحسنة، ورفَّع شأنَ الفضيلةِ في زمنٍ قصيرٍ كما فعل محمد».

* السير وليام ميو الإنكليزي :

□ قال في كتابه «محمد»: «ومن صفاتِ محمدٍ الجليلةِ الجديرةِ

(١) المصدر السابق (ص ١٠٩).

بالذكر والحريّة بالتنويه: الرقة والاحترام، اللتان كان يُعاملُ بهما أصحابه، حتى أقلّهم شأنًا، فالسماحةُ والتواضعُ والرفقةُ والرقةُ تغلغلت في نفسه، ورَسَخَتْ محبّته عند كلِّ مَنْ حوّلَهُ، وكان يكرهُ أن يقول: «لا»، فإن لم يُمكنه أن يُجيبَ الطالبَ على سؤاله، فضّلَ السكوتَ على الجواب، ولقد كان أشدَّ حياءً من العذراءِ في خدرها، وقالت عائشة رضي الله عنها: «وكان إذا ساءه شيءٌ تبيّنًا ذلك في أسارير وجهه، ولم يمسَّ أحدًا بسوءٍ إلا في سبيل الله».

ويؤثرُ عنه أنه كان لا يمتنعُ عن إجابةِ الدعوةِ من أحدٍ - مهما كان حقيرًا -، ولا يرفضُ هديةً مُهداةً إليه مهما كانت صغيرةً، وإذا جلسَ مع أحدٍ - أيًّا كان - لم يرفعْ نحوه رُكبتَه تشامخًا وكبرًا.

وكان سهلًا لَيّنَ العريكةَ مع الأطفال، لا يأنفُ إذا مرَّ بطائفةٍ منهم يلعبون أن يُقرأهم تحيةَ السلام، وكان يُشركُ غيره في طعامه، وعاملَ حتى الدّ أعدائه بكلِّ كرمٍ وسخاءٍ حتى مع أهلِ مكة، وهم الذين ناصبوه العداءَ سنين طوالًا، وامتنعوا من الدخولِ في طاعته، كما ظهر حِلْمُه وصفحُه حتى في حالتي الظَّفَرِ والانتصار، وقد دانت لطاقته القبائلُ التي كانت من قبلُ أكثرَ مناجزةً وعداءً له.

* المؤرخ الكبير فتلي الإنجليزي:

مستشرقٌ بحاثٌ، وُلِدَ سنة ١٨١٥، وتوفي سنة ١٨٩٠ م.

□ قال في مقدمة كتابه «الحياة» - تعريب الدكتور «سامي العشا»

المصري -: «قد ينحرفُ المؤرِّخُ عن موضوعه ليتأمّلَ حياةَ رجلٍ نال سُلطةً

خارقةً على عقول أتباعه وأعماله، ووضعت عبقريته نظاماً أساسياً دينياً سامياً سياسياً، وما زال يحكم الملايين من البشر من أجناس مختلفة وصفات متباينة.

إن نجاح محمد كمشرع بين أقدم الأمم الآسيوية، وثبات نظمه على مدى أجيال طويلة في كل نواحي الهيكل الاجتماعي، دليل على أن ذلك الرجل الحاذق قد كونه مزيج نادر من الكفاءات.

* الليدي إيفلين كوبرلد :

□ قالت الشاعرة الليدي «إيفلين كوبرلد» البريطانية في كتابها «الأخلاق» (ص ٦٦): «لعمري لقد استطاع محمد القيام بالمعجزات والعجائب، لما تمكّن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام، وقبول الوحداية الإلهية، ولقد كان محمد شاكراً حامداً، إذ وُقِّق إلى خلق العرب خلقاً جديداً، ونقلهم من الظلمات إلى النور، ومع ذلك كان محمد سيّد جزيرة العرب، وزعيم قبائلهم، فإنه لم يفكر في هذه، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظلّ على حاله، مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، يُنظف بيته بنفسه، ويُصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلاّ تفضّل عليه بما لديه، وكان يعمل في سبيل الله والإنسانية».

* جون أروكس الإنجليزي :

□ قال في كتابه «عظماء التاريخ» (ص ٨٣): «لم نعلم أن محمداً تسربل بأية رذيلة مُدَّة حياته؛ لذلك نراه عظيماً».

* العلامة إِيَّاس جُون جِيْب الإِنْجِلِيزِي :

من مشاهير مُسْتَشْرَقِي الإِنْكِلِيزِ، تُوفِّي في مدينة «كردف» ببلدته

. ١٩٠٣

□ له مؤلَّفَاتٌ عديدةٌ ظَهَرَتْ بعد وفاته، منها «العرب قبل الإسلام وبعده»، قال فيه: «عقيدة محمدٍ خالصةٌ، ليس فيها لَبْسٌ ولا إِبْهَامٌ، وَمَنْ يَتَّهَمُهَا بما يتنافى مع كرامتها، فَإِنَّمَا هُوَ مَتَّهَمٌ فِي فَهْمِهِ ووجدانه».

* المِسيو مار كودار الإِنْكِلِيزِي :

□ وُلِدَ في بلدته «بلاما» ١٨٣٧م، وتُوفِّي ١٨٩٣م - نقلًا عن مجلة «الهِلال» المجلد الرابع الجزء ٩ -، وهو أحدُ مُسْتَشْرَقِي الإِنْكِلِيزِ قال: «كان محمدٌ يعاملُ الغنيَّ والفقيرَ على السواء، وإنه لَنبِيٌّ مُبَارَكٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِلبَشَرِ».

* السير هربرت سبنسر الإِنْكِلِيزِي :

فيلسوفٌ إنكليزيٌّ تَأَثَّرَ بِمَذْهَبِ التَّطَوُّرِ، مِنْ آرَائِهِ أَنَّ المِرَّةَ لَا يَسْتَطِيعُ الوُصُولَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وُلِدَ في مدينة «كرودف» من مُدُنِ بَرِيْطَانِيَا عام ١٨٢٠، وتُوفِّي عام ١٩٠٣.

□ قال في كتابه «أصول الاجتماع» (ص ٣٧): «فدونكم محمدًا، إنه رَمَزٌ لِّلسِّيَاسَةِ الدِّينِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَأَصْدَقُ مَنْ نَهَجَ مِنْهَا جَهَا المَقْدَسَ فِي البَشَرِيَّةِ كَافَّةً، وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ إِلَّا مَثَالًا لِأَمَانَةِ المُجَسِّمَةِ وَالصِّدْقِ البَرِيِّ وَمَا زَالَ يَدَأُبُ حَيَاةَ أُمَّتِهِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ».

* المسيو بالمر الإنكليزي:

□ مستشرق إنكليزي، وُلد في بلدة «باركا» عام ١٧٩٥، وتُوفِّي ١٨٨٣، ترجمَ القرآنَ إلى اللغةِ الإنكليزية، قال في مقدمته: «لقد جاء محمدٌ مبدئاً للعالمِ عظيم، ودينٌ لو أنصفتِ البشريةُ لاتخذته لها عقيدةً ومنهاجاً تسيرُ على ضوئه، وقد كان محمدٌ عظيماً في أخلاقه، عظيماً في صفاته، عظيماً في دينه وشريعته، وإنني لا أبالغُ إذا قلتُ: إن شريعته تحمِلُ إلى الناسِ تعاليمَ ونُظماً وقوانينَ ليس في غيرها مما سبقَ مثلها، ولقد كانت الأممُ السابقةُ تعتنقُها مبدأً وعقيدةً لأنها لَمَسَتْ ما فيها من حياةٍ رُوحيةٍ وركائزٍ رصينةٍ».

* الباحثة ستانلي جيفونس البريطانية:

مستشرق بريطاني، وُلد في بلدته «كانالي» عام ١٨٤١، وتُوفِّي ١٩٠٤، من مشاهير الروّاد، توغَّل في مجاهل إفريقيا.

□ قال في كتابه «الديانات والعصور» (ص ٥١): «إن دراستنا لعصورِ بعثاتِ الأنبياء تدلُّ على أنهم جاؤوا ليحلُّوا مشاكلَ عجزتِ عقولُ البشرِ عن الاهتداءِ إلى حلُولِ لها، فلم توجدْ لدى الإسرائيليين - قبل رسالة موسى - طريقةٌ للخلاص من اضطهادِ الفراعنة، ولا توفيرُ رخاءِ الشعبِ إلى آخرِ الحالاتِ المستوجبةِ للعلاج، ولا وُجد - قبل بعثة المسيح - طريقٌ لإدخالِ الأملِ على النفوسِ اليائسة، في عصرٍ كانت تتألفُ فيه الجماعاتُ السريَّةُ لتنظيمِ الانتحار، ولقتلِ المُترفين، لأن الشعوبَ كانت تئنُّ من الحرمانِ والفقر، وكان الملوكُ وبطاناتهم يَمضغون الذهب، وكانت المادةُ تَطغى على

الفضيلة، فلذا بُعث عيسى مخلوقاً روحياً، فجاء عيسى بحلِّ عجيب، ليس من صنْع العقل البشري، جاء يقول للناس: «لا يلزمكم مزودٌ للطريق، ولا اقتناءُ ثوبينِ ولا عصاً»، وجاء يُهدُّ الناسَ في الغنى، بل يُنقِّرهم منه، فقال لهم: «لا يدخلُ غنيٌّ إلى ملكوتِ السموات».

ونبوَّة محمدٍ جاءت لتعالجَ كلَّ جوانبِ الحياةِ العموميةِ جميعاً، ومما لا ريبَ فيه أن دعوةَ محمدٍ قد زلزلت أركانَ الدنيا، وقد استولت على القسمِ المُهمِّ منها».

* المسيو صموئيل مارغوليث الإنكليزي:

□ مستشرقٌ إنكليزي، وُلد عام ١٨٦٨، وتُوفِّي ١٩٤٠، عضوُ المجمعِ العلميِّ في دمشق، نشر «معجمَ الأدباء» لياقوت الحموي، و«الأنساب» للسمعاني، و«رسائل المعري» بترجمة إنكليزية، دُعي لحفلةٍ ميلاديةٍ في دمشق عام ١٩٢٧ قال فيها: «إن يومَ ميلادِ محمدٍ ليومٌ عظيمٌ على العالم - لا على العرب فقط -؛ لأنه لم يُولَد إلا لأمرٍ عظيم، ألا وهو رسالته التي بلَّغها للعالم، فاعتنقها قومٌ وتركها آخرون، وهي طافحةٌ بالحضارةِ والتعاليم التي تخدمُ البشريةَ وتُوليها زمامَ الحياة، ولكنها رسالةٌ أخذت بها أمةٌ جهلت ما فيها، وخيرٌ ما فيها طابعُ صلاحيةِ البقاء مع الزمن مهما طال وامتد».

* السير موير الإنجليزي:

□ قال في كتابه «تاريخ محمد» (ص ٢٠) المطبوع عام ١٩١٢: «إن محمداً - نبيَّ المسلمين - لُقِّب «بالأمين» منذ الصَّغر بإجماع أهل بلده لشرفِ

أخلاقه، وحُسنِ سُلوكه، ومهما يكنُ هناك من أمرٍ، فإنَّ محمداً أُسْمِيَ مِنْ أَنْ يَتَهَيَّأَ إِلَيْهِ الْوَاصِفُ، وَلَا يَعْرِفُهُ مَنْ جَهَلَهُ، وَخَبِيرٌ بِهِ مَنْ أَنْعَمَ النَّظْرَ فِي تَارِيخِ الْمَجْدِ، ذَلِكَ التَّارِيخُ الَّذِي تَرَكَ مُحَمَّدًا فِي طَلِيعَةِ الرِّسَالِ وَمَفْكَرِي الْعَالَمِ.

* العلامَةُ هيليار بلاون البريطاني :

مستشرقٌ بريطاني، وُلِدَ فِي بَلَدْتِهِ «كوارير» عام ١٨٤٧.

□ قَالَ فِي كِتَابِهِ «فِكْرَةُ الْحَيَاةِ» (ص ٦٣ وَ ٦٤): «بَيْنَمَا كَانَتْ مُدُنُ الْإِمْبْرَاطُورِيَّةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ تَحْتَفِلُ بِانْتِصَارَاتِ الْإِمْبْرَاطُورِ هِرْقَلِ عَلَى الْفَرَسِ، وَبَيْنَمَا كَانَ النَّاسُ فِي سُرُورٍ وَجَدَلٍ عَظِيمِينَ، حَدَّثَتِ الْمَعْجِزَةُ الْمَحْمُودِيَّةُ، حَدَثَ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَنْتَظِرُهُ وَلَا يَفْطِنُ لَهُ، حَدَّثَ أَمْرٌ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْهَزَّةِ الْأَرْضِيَّةِ أَوْ الْفِيضَانِ الْعَامِّ فِي سُرْعَتِهِ وَشِدَّتِهِ وَوَقُوعِهِ دُونَ مَا سَابِقِ إِنْذَارِهِ وَلَا إِشَارَةٍ.

لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَعْرَاضٌ سَبَقَتْ هَذَا الْحَدَثَ الْعَظِيمَ الضَّخْمَ، وَلَا أَمَارَاتٌ تَدْعُو إِلَى انْتِظَارِهِ وَالتَّهَيُّؤِ لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَضَى عَلَى انْتِصَارَاتِ هِرْقَلِ إِلَّا سَنَوَاتٌ قَلِيلٌ، لَمَّا مَشَى إِلَى أَرْضِ الْإِمْبْرَاطُورِيَّةِ فِرْسَانَ مِنَ الصَّحْرَاءِ، مَا سَمِعَ عَنْهُمْ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا مَا كَانَ يُقَالُ مِنْ أَنَّهُمْ جَمَاعَةٌ يَضْرِبُونَ أَرْضَ الصَّحْرَاءِ عَلَى خَيْولِهِمْ وَإِبِلِهِمْ طَلَبًا لِلْكَأِ وَالْمَاءِ، وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْبَدُو.

□ وَيَمْضِي «هَيْلِيَارُ بِلَاوَن» فَيَقُولُ: «إِنِّي أَقُولُ: إِنَّ مَعْجِزَةَ كَهْذِهِ مِنْ حَيْثُ خَطَرِهَا، وَبَعْدَ أَثَرِهَا، وَعَظِيمِ نَتَائِجِهَا، كَانَتْ مَسْوُوقَةً بِقُوَّةٍ لَا يُسْتَطَاعُ تَفْسِيرُهَا، وَإِنْ كَانَ مَا لَدَيْنَا مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْوَثَائِقِ يُسَاعِدُنَا عَلَى تَفْهَمِ

الأسباب التي جعلتها أمراً واقعاً منظوراً».

* السير تشارلز إرمان البريطاني :

□ مؤرِّخٌ بريطانيٌّ معروفٌ، وُلِدَ عام ١٨٨٦، وتُوفِّيَ ١٩٤٠، له كتابٌ صغيرٌ عن الإسلام، قال فيه: «إن شخصية محمدٍ ثوريةً وانقلابيةً، تفوقُ مقدرةَ الشخصِ الموهوبِ العادي، فلم تُنتجْ بلادُ العربِ قبله ولا بعده فرداً أثّرَ في مجموعِ تاريخِ العالمِ، ويكونُ مِنَ المضحكِ حقاً الادعاءُ إنه نتيجةٌ محتمَّةٌ لحالةِ بلادِ العربِ الفكريةِ والاقتصاديةِ في القرنِ السابعِ بعدَ المسيح، بل إن مبدأه الذي جاء به هو مبدأٌ اعتنقته أمٌّ، وسرعانَ ما تحقَّقت فكرتهُ في بلادِ العربِ لأنها نافعةٌ، ولم يكن فيها ما يُحاربُ لأجله غيرها من الدياناتِ السابقة».

* العلامة ماكس مولر الإنكليزي :

مستشرقٌ إنكليزيٌّ، وُلِدَ في بلدته «تكنيا» سنة ١٧٩٠، وتُوفِّيَ ١٨٦٥، مؤرِّخٌ قصصيٌّ، له جولةٌ واسعةٌ في بلادِ العرب، وله مؤلِّفاتٌ، منها «محمد والمحمدية».

□ قال فيه (ص ٢٧): «سوف يعلمُ المسيحيونُ بدهشٍ عظيمٍ أنَّ مُحَمَّدًا أحدُ معضدي يسوع، وأن الديانةَ المحمَّديةَ ما هي إلا شِيعَةٌ من شِيعِ الديانةِ النصرانية^(١)، وإذ ذاك يندهِشُ المسلمونُ والمسيحيونُ مما يُسبَّبُ ما جاء في

(١) بل هي الرسالةُ الخاتمةُ لرسالاتِ البشر، وهي المهيمنةُ على ما قبلها من الشرائع، ومحمدٌ ﷺ مُصدِّقٌ لما قبله من إخوانه الأنبياءِ، وهو أفضلُهم عندَ الله تعالى.

تاريخهما من الخصام والعداء بسبب الدين الذي جاء به محمد، وسوف يعلم المسيحيون في العالم أن دينه خالٍ من كل غش، وأن فيه كل ما يصلح للبشر.

* بوسورت سمث البريطاني :

□ عالم كبير إنكليزي، وُلد في بلدته «نيوكاسل» عام ١٨١٥، وتوفي في ١٨٩٢م، وهو من كبار رجال الفكر وعالم كيميائي، وله كتاب عن الشرقيين اسمه «الأدب في آسيا»، قال في مقدمته: «إن المعجزة الخالدة التي ادّعاها محمد هي القرآن، والحقيقة إنها كذلك، وإذا قدرنا ظروف العصر الذي عاش فيه، واحترام أتباعه له احتراماً لا حد له، ووازناه بأباء الكنيسة أو بقديسي القرون الوسطى لتبين لنا أن أعظم ما هو معجز في محمد نبي المسلمين أنه لم يدع القدرة على الإتيان بالمعجزات، وما قال شيئاً إلا فعّله وشاهده منه في الحال أتباعه، ولم ينسب إليه الصحابة معجزات لم يأتها أو أنكر صدورها منه، فأبي برهانٍ أقطع من ذلك؟ ولقد كان محمد يدعي من آخر حياته - كما ادعى من مبدئ أمره - أنه رسول الله حقاً، وإني أعتقد أن الفلسفة المسيحية العالية ستعترف له بذلك يوماً من الأيام».

□ وقال في كتابه «محمد والإسلام»: «إذا قدرنا تاريخ الإسلام - إذ نظر إليه من نافذة الإنصاف - فإنما نُقدّر صاحبه الذي أسسه ووضع حجره الأساسي، وهو محمد الذي لا نستطيع أن نقول في حقه إلا أنه رجلٌ عظيم بعقله وعمّله وأخلاقه وبلاغته وتديّنه، وسيحمل له المنصفون من النصارى وغيرهم الإخلاص متى عرفوه في المستقبل».

□ وقال في كتابه «حياة محمد» (ص ٣٤٦): «إن محمداً جاء بكتابٍ مشتملٍ على دستورِ الشرائعِ والعباداتِ وأخبارِ الأممِ، نقيُّ العبارةِ من الألفاظِ المستهجنَةِ، باهرٌ الحكمةِ والحقائقِ، وهو أعظمُ معجزةٍ للنبيِّ محمدٍ، والحقُّ يُقال: إِنَّهُ لَمَعْجَزَةٌ».

* جورج بروك عضو البرلمان الإنجليزي:

□ جاء في مجلة «العالم الإسلامي» لمؤسسها القسُّ «صموئيل زويمير» الإنجليزي، في عددها السابع الصادر باللغة الإنكليزية من سنتها الخامسة، نقلاً عن العدد الرابع من مجلة «الأزهر» لعام ١٩٥٢ (ص ١٠٥): «إن جَمَعِيَةَ المسلمين في مدينة «برد فورد» بإنجلترا قد أقامت منذُ قريبٍ حفلاً، فكان من خُطبائه المستر «جورج بروك» عضوُ البرلمان الإنكليزي، وقد نَوَّه في خطابه بما يبثُّه الإسلامُ من شعورِ الإخاءِ بين أبنائه».

□ وقال: «إنه يستطيعُ أن يردَّ الاهتمامَ بالدينِ الإسلاميِّ إلى أنه دينٌ عالميٌّ بطبيعته».

□ ثم قال: «إن الإسلامَ دينُ السلامِ والمحبةِ بين البشرِ، وإنه يلعبُ دوراً خطيراً الآن في شؤونِ العالمِ، وإنني أعتقدُ أن خطره وتأثيره في مستقبلِ العالمِ سيزدادُ جيلاً بعد جيلٍ».

* المستر داز الإنكليزي:

مستشرقٌ إنكليزيٌّ ومؤرِّخٌ كبيرٌ، ولد في «منشستر» ١٨٢٣، وتوفي

. ١٩٠٧

□ قال في كتابه «مع الشرق والغرب» - وهو أحدُ مؤلفاته -: «إن

محمدًا كان مجموعةً من الخيال والنبوغ والبحث.. كان محمدٌ زراعياً وطبيباً وقانونياً وقائداً، اقرأ ما جاء في أحاديثه، تعرف صدق ما أقول، ويكفي أن قوله المأثور عنه: «نحن قومٌ لا نأكلُ حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»^(١) هو الأساسُ الذي بُني عليه علمُ الصِّحة، ولا يستطيعُ الأطباءُ - على كثرتهم ومهارتهم حتى اليوم - أن يأتوا بنصيحةٍ أئمنَ من هذه.

□ ثم قال: «إن محمدًا هو الذي استطاعَ في مدةٍ وجيزةٍ - لا تزيدُ على رُبعِ قرنٍ - أن يكتسحَ دولتينِ من أعظمِ دُولِ العالمِ، وأن يحدثَ ذلكَ الانقلابَ المدهشَ، وأن يكبِّحَ جماحَ أمةٍ اتخذتِ الصحراءَ المحرقةَ سكناً لها، واشتهرتُ بالشجاعةِ والغزوِ ورباطةِ الجأشِ والأخذِ بالثأرِ.. فمن الذي يشكُّ أن القوَّةَ الخارقةَ للعادةِ التي استطاعَ بها محمدٌ أن يقهرَ خصومَه هي من عند الله؟!».

* مرة أخرى مع بوسورت سميث الإنكليزي:

مؤرِّخ إنكليزي، وُلد ١٨٣٣، وتوفِّي ١٨٩٧.

□ قال في مؤلِّفٍ له أسماه «الأدب في التاريخ»: «من حُسنِ الحظِّ الوحيدِ في التاريخ - دون غيره - هو أن محمدًا أسَّسَ في وقتٍ واحدٍ ثلاثةَ هي من عظامِ الأمورِ وجلائلِ الأعمالِ، فإنه مؤسِّسٌ لأمةٍ إمبراطوريةٍ وديانةٍ، وقلَّما كان يقرأُ ويكتبُ»^(٢)، وكان داعياً إلى الرحمة والعدلِ والكرمِ والشجاعةِ والصبرِ على المكارهِ والصدِّقِ وغير ذلك من مكارمِ الأخلاقِ.

(١) لا يصح عن رسولنا ﷺ.

(٢) بل لم يكن يقرأ أو يكتب إطلاقاً.

□ وقال: «إن الدين وحده هو القانون الطبيعي الذي يجب على الناس

أن يتبعوه».

* المستر جون ديفولبوت البريطاني :

مستشرق بريطاني، وُلد سنة ١٨٣٢، وتوفي ١٩٠٢، وهو من علماء

الطبيعة، وأستاذ في علم الجيولوجيا.

□ قال في أحد مؤلفاته «العجائب»: «هل بالإمكان إنكار فضل محمد

نبي العرب الذي قام بإصلاحات غريبة وعظيمة، فكانت خالدة لبلاده؟!!

فقد جعل أهلها يعبدون الله، ويهجرُونَ عبادة الأصنام، وهو الذي منع قتل

الموؤودة، وحرّم شرب الخمر وفعل الميسر، وترك لأُمَّته مَبْدَأَ لا يزال، وعليه

يَعْمَلُ الملايين من الناس».

* إدوارد لين الإنجليزي :

□ مستشرق عاش رَدْحًا من الوقت في القاهرة، وُلد عام ١٨٠٣م،

وتوفي سنة ١٨٧٧م، وذلك في بلدته «إكسياد»، له عدة مؤلفات، منها:

«أخلاق وعادات المصريين» جاء فيه: «إنَّ محمدًا كان يتَّصفُ بكثيرٍ من

الخصال الحميدة، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى إنَّ الإنسانَ

لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من

أثر، كيف لا! وقد احتمل محمدٌ عداءَ أهله وعشيرته بصبرٍ وجلدٍ عظيمين،

ومع ذلك فقد بلغ من نبُله أنه لم يكن يسحبُ يده من يدِ مصافحه - حتى ولو

كان يُصافحُ طفلًا -، وأنه لم يمرَّ يوماً من الأيام بجماعةٍ - رجالاً كانوا أو

أطفالاً - دون أن يُقرِّأهم السلامَ وعلى شفَّته ابتسامةٌ حلوة، وقد كان محمدٌ

غِيوراً و متحمساً، وكان يُحاربُ الباطل، وكان رسولاً من السماء، وكان يُريدُ أن يؤدِّيَ رسالته على أكمل وجه، كما أنه لم ينسَ يوماً من الأيام الغرضَ الذي بُعث لأجله، ودائماً كان يعملُ له ويتحمَّلُ في سبيله جميع أنواع البلايا، حتى انتهى إلى إتمام ما يريدُ».

* والفضل ما شهدت به الأعداء:

نقلت مجلة «العرفان اللبنانية» في آخر الجزء الثالث من المجلد (٣٢١) عن مجلة «العالم الإسلامي» الإنجليزية لصاحبها القسُّ «زويمر» ما يلي: «فالقرآن الذي نزل على محمدٍ بدلاً من أن يكون ضربةً قاضيةً على التقدُّم، هو كتابٌ ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فيه آياتٌ بينات، ودلائلٌ واضحات، وأخبارٌ صادقة، ومواعظٌ رائعة، وشرائعٌ راقية، صالحةٌ لكل أمةٍ ولكل زمان».

* العلامة لين بول البريطاني:

مستشرقٌ بريطاني، وُلد عام ١٨٥٣، وتوفي عام ١٩١٧، له اطلاعٌ واسعٌ على تاريخ العرب، وهو واضعُ فهرست المسكوكات المحفوظة في دار الكتب المصرية عام ١٨٩٧، وله رسالةٌ في تاريخ العرب، قال فيها: «إنَّ ما اتَّصف به محمدٌ من الصبر واحتمالِ المكاره والعفوِ عند المقدرة، كبرهانٌ لنا واضحٌ على أنه كان صادقاً، إذ يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فمحمدٌ ذو يقينٍ راسخٍ وقوةٍ عزمٍ هائلة».

* الراهبة البريطانية كارين أرمسترونج تدافع عن الإسلام:

من هؤلاء المُنصِفِينَ للإسلام الكاتبةُ البريطانية «كارين أرمسترونج»، وهي في الأصل راهبة، تحوَّلت إلى البحث في تاريخ الأديان، وقد تركت الرّهْبَنَةَ بعد أن وَجَدَتْ أن حياة الأديرة لا تُناسِبُ طبيعتها وتمسُّكها بحرية التفكير للوصول إلى الحقيقة دون ضغطٍ عليها، وقد توصلت إلى أن هناك قاسماً مشتركاً بين الديانات الثلاثة، وأن القِيمَ الجوهريةَ في كلِّ الديانات واحدة.

«وكارين أرمسترونج» تُقدِّمُ الدليلَ للغربِ على أن الإسلامَ دينٌ من عند الله، وأن محمداً ﷺ رسولٌ بعثه اللهُ بدينِ الإسلام، وأن هذا الدينَ للبشرِ جميعاً - وليس للعرب وحدهم -، وبموضوعية ملحوظة قامت بتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وقد اتخذت من ردودِ فعلِ المسلمين إزاءَ كتابِ سلمان رشدي «آيات شيطانية» ومبالغة الغرب في الدعاية لهذا الكتاب، مُنطلقاً لكتابتها «محمد.. سيرة النبي»، ولحُسنِ الحظِّ أن هذا الكتابَ ترجمه إلى العربية اثنان من أكفأ المترجمين وأكثرهم خبرةً ودِقَّةً، هما الدكتورة «فاطمة نصر»، والدكتور «محمد عناني»، وقدَّما للكتابِ بمقدِّمةٍ مهمةٍ، قالوا فيها: «إن حافزهما على ترجمة هذا الكتاب ليس الزهو بذلك الصوتِ الغربيِّ المسيحيِّ الذي حاول إنصافَ الرسول ﷺ وقدَّم شهادةً موضوعيةً عنه وعن الإسلام، فهما لن تَصْيرَهما عداوةً أو تُنصِفَهما صداقةً أحد».

والكتابُ موجَّهٌ إلى القارئِ الغربيِّ، وليس إلى القارئِ العربيِّ المسلم،

فلن يُضيفَ إليه جديداً، ولكنه نموذجٌ للكتابةِ الموضوعيةِ غيرِ المتحيّزةِ، خاصةً وأنها تكشفُ في هذا الكتابِ التناقضَ في العقليةِ الغربيةِ بين ادّعاءها بأنها عقليةٌ علميةٌ وموضوعيةٌ ومُحايدةٌ، وبين تحيُّزها المبدئيِّ ضدَّ الإسلامِ ورسوله دونَ دراسةٍ أو تحليلٍ كافيين لعقائدِ الإسلامِ وسيرةِ الرسولِ ﷺ وتاريخِ الحضارةِ الإسلاميةِ.

□ تقول «كارين أرمسترونج»: «إنَّ لدينا في الغربِ تاريخاً طويلاً من العداءِ للإسلامِ، راسخَ الجذورِ، ولم يعدْ يمنعُ الناسَ شيءٌ عن مهاجمةِ هذا الدينِ، حتى لو كانوا لا يَعْرِفونَ عنه غيرَ أقلِّ القليلِ! ويرجعُ هذا العداءُ إلى الفترةِ التي نشأت فيها الإمبراطوريةُ الإسلاميةُ في القرنِ السابعِ الميلادي، وكانت أوروبا منطقةً متخلّفةً، وامتدَّت الفتوحاتُ الإسلاميةُ بسرعةٍ إلى معظمِ مناطقِ العالمِ المسيحيِّ في الشرقِ الأوسطِ، وإلى الكنيسةِ المسيحيةِ العظيمةِ في شمالِ إفريقيا، وكان زحفُ الإسلامِ بهذه القوةِ والسرعةِ خطراً داهماً يتهدّدُ الغربَ، إذ تساءلوا: هل تخلّى اللهُ عن المسيحيين، ومنحَ رضاهُ لهؤلاءِ (الكفار)؟، وحتى بعدَ أن خرَّجت أوروبا من عصورها المظلمةِ وأنشأت حضارتها العظيمةَ، ظلَّ لديها الخوفُ من توسعِ الإمبراطوريةِ الإسلاميةِ، خاصةً وقد تأكَّد لأوروبا عجزُها عن التأثيرِ في تلكِ الثقافةِ القويةِ، وكان الفشلُ هو نهايةَ المشروعِ الصليبيِّ في القرنينِ الثاني عشرِ والثالثِ عشرِ، ولم يلبثِ العثمانيون أن جاؤوا بالإسلامِ إلى داخلِ أوروبا نفسها، وكان من المُحالِ على المسيحيين الغربيين أن يلتزموا بالعقلانيةِ أو الموضوعيةِ تُجاهَ العقيدةِ الإسلاميةِ، فكانوا يَنسجون من خيالهم صوراً

مخيفةً عن اليهود، ويرسمون في نفس الوقت صورةً سائئةً (قيحةً) للإسلام تُعبّر عن الشعور بالقلق في أعماقهم من هذا الدين» .

□ وتقول «كارين أرمسترونج»: «إن علماء الغرب كانوا يُهاجمون الإسلام، ويصِفون محمداً ﷺ بأنه «المدَّعي الأكبر»، ويتَّهمونه بأنه أنشأ ديناً قائماً على العُنْفِ والسِّيفِ لفتح العالم، وحرَّفوا اسمَ محمدٍ ﷺ إلى «ماهوميت» تعبيراً عن كراهيتهم للاسم ولصاحبه.. وقد أصبح اسمُ «ماهوميت» البُعبُع الذي يُخيفُ الناسَ في أوروبا، حتى إنَّ الأمهاتِ كنَّ يَسْتَعْمِلْنَ الاسمَ لتخويفِ أطفالهن، وكانت المسرحياتُ الغربيةُ تُصوِّرُ «ماهوميت» ودعوته في صورةِ العدوِّ للحضارةِ الغربية، حتى أصبحت هذه الصورةُ الزائفةُ للإسلام من الأفكارِ الراسخةِ التي لا تزالُ تؤثرُ حتى اليومِ في آراءِ ونظرةِ الغربيين إلى العالمِ الإسلامي، وزاد من تعقيدِ المشكلة أن المسلمين قابلوا عداوةَ الغربِ لهم بالعداوةِ للغرب» .

□ وتُشير «كارين أرمسترونج» إلى الكتاباتِ السابقة عن محمدٍ ﷺ، وأهمُّها كتابي «مونتجومري وات» وهما «محمد في مكة»، و«محمد في المدينة»، وتقول عنهما: «أنهما كتابان دراسيان موجَّهان للطلبة، وكلُّ منهما يفترضُ معرفةَ القارئِ بحياةِ محمدٍ وهي غائبةٌ عن كثيرين»، وكتاب «مارتن لنجز» وهو بعنوان «محمد.. سيرة حياته استناداً إلى أقدم المصادر»، وفيه معلوماتٌ باهرةٌ استقاها من كُتُبِ السيرة من القرنِ الثامنِ الميلادي إلى القرنِ العاشر، ولكنَّ هذا الكتابُ موجَّهٌ إلى المقتنعين بالإسلام ورسوله، ولا يناقشُ المخالفين والرافضين، وكتابُ المستشرقِ الفرنسي «ماكسيم

رودنسون» وهو بعنوان «محمد» .

□ وتقول «كارين أرمسترونج»: «لقد تعلّمتُ من كتابِ «رودنسون» كثيراً، ولكنه كتبه من وجهة نظرِ المتشكك، وركّز على الجوانبِ السياسيةِ والحربيةِ في حياة النبي ﷺ، ولذلك لا يُساعدُ قارئه الغربيَّ على تفهّمِ الرؤيةِ الروحيةِ للنبيِّ محمد ﷺ» .

□ وبعد هذا الاستعراضِ تتحدّثُ عن منهجها في دراسةِ الرسول ﷺ، فتقول: «إن نقطةَ الانطلاقِ هي أننا نعرفُ عن محمد ﷺ أكثرَ ممّا نعرفُ عن أيِّ مؤسسٍ لأيِّ دينٍ من الأديانِ الرئيسةِ الأخرى، وإنَّ دراسةَ حياته يُمكنُ أن تهبنا إدراكاً عميقاً ومهمّاً لطبيعةِ التجربةِ الدينيةِ» .

وترى «كارين أرمسترونج» أن التجربةَ الدينيةَ التي خاضها محمد ﷺ تتشابهُ مع تجاربِ أنبياءِ بني إسرائيلِ ومع تجربةِ القديسةِ «تيريزا»، ولقد نجح محمد ﷺ نجاحاً سياسياً غيرِ عاديٍّ، ويميلُ المسيحيونُ إلى التشكيكِ في الطابعِ الإلهيِّ لهذا الانتصارِ الدنيويِ .

□ وتتساءل: «ألا يوجدُ طريقٌ آخرُ يوصلنا إلى اللهِ سوى طريقِ الإخفاقِ الذي سلكه المسيحُ؟» .

□ الفصل الأول من كتابِ «كارين أرمسترونج» بعنوان «العدو محمد»، تقول فيه: «إن الغربيين أدانوا المشهدَ الذي ظهرَ فيه المسلمون في إحدى المُدنِ البريطانيةِ وهم يحرقون روايةَ «سلمان رشدي»، ولكنهم لم يتذكروا حوادثِ إحراقِ الكُتبِ في أوروبا المسيحيةِ على مرِّ القرونِ! وعلى سبيلِ المثالِ، فقد قام الملكُ «لويس التاسع» - ملك فرنسا - بإدانةِ التلمودِ

اليهوديِّ باعتبارِه هجوماً خبيثاً على شخصِ السيد المسيح، وكان المَلِكُ «لويس التاسع» يَشْغَلُ مَنْصِبَ قَدِيْسٍ رَسْمِيٍّ فِي الكَنِيسَةِ الكَاثُولِيكِيَّةِ، وَأَصْدَرُ أَمْرًا بِحَظْرِ الكِتَابِ، وَأُضْرِمَتِ النَّارُ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ أَمَامَ المَلِكِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مَنَاقِشَةَ خِلَافَاتِهِ مَعَ الجَالِيَاتِ اليَهُودِيَّةِ فِي فَرَنْسَا بِالْوَسَائِلِ السَّلْمِيَّةِ، وَقَالَ: «إِنَّ الأَسْلُوبَ الوَحِيدَ للمَنَاقِشَةِ مَعَ اليَهُودِيِّ أَنْ تَقْتَلَهُ بِطَعْنَةٍ نَافِذَةٍ فِي بَطْنِهِ بِأَقْصَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ السَيْفُ».

وكان «لويس التاسع» هو الذي بدأ الحملة الأولى من محاكم التفتيش، ولم يكتفِ بِأَحْرَاقِ كُتُبٍ مَنِ اعْتَبَرَهُمُ المَارْقِيْنَ مِنَ المَسِيحِيِّينَ، بَلْ أَحْرَقَ المِائَاتِ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ مِنْهُمُ، كَمَا كَانَ يَكْرَهُ المَسْلَمِينَ، وَقَادَ حَمَلَتَيْنِ مِنَ الحَمَلَاتِ الصَّلِيبِيَّةِ ضِدَّ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ».

وَتَعْتَبَرُ «كَارِينُ أَرْمَسْتْرُونْج» أَنَّ التَّارِيخَ المَرِيرَ للعِلاَقَاتِ بَيْنَ المَسْلَمِينَ وَالعَرَبِ بَدَأَ بِالهُجُومِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الأَنْدَلُسِ، فِي عَامِ (٨٥٠) مِيلَادِيَّةً خَرَجَ رَاهِبٌ أَسْمُهُ «بِيرُ فِكْتُوس» إِلَى السُّوقِ فِي «قُرْطَبَةَ» - وَكَانَتْ عَاصِمَةَ الأَنْدَلُسِ الإِسْلَامِيَّةِ، فِقَابَلَ بَعْضَ المَسْلَمِينَ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُفَاضِلَ بَيْنَ النَّبِيِّ عِيسَى وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، فَانْطَلَقَ يَصُبُّ وَابِلًا مِنَ الشَّتَائِمِ، زَعَمَ مِنْ خِلَالِهَا أَنَّ نَبِيَّ الإِسْلَامِ دَجَالٌ وَمُؤَلَّعٌ بِالجِنْسِ، وَأَنَّهُ هُوَ المَسِيحُ الدِّجَالُ، وَسُرْعَانَ مَا أُلْقِيَ بِهِ فِي السِّجْنِ.

وَكَانَتْ تِلْكَ حَادِثَةٌ شَاذَةٌ فِي «قُرْطَبَةَ»، لِأَنَّ العِلاَقَاتِ كَانَتْ طَيِّبَةً بَيْنَ المَسْلَمِينَ وَالمَسِيحِيِّينَ، وَكَانَ الحُكْمُ الإِسْلَامِيُّ فِي الأَنْدَلُسِ يُعْطِي الحُرِّيَّةَ الدِّيْنِيَّةَ لِلْمَسِيحِيِّينَ وَاليَهُودِ، وَكَانَتْ الحَضَارَةُ الإِسْلَامِيَّةُ وَرُوحُ التَّسَامُحِ

الدينيّ فيها سابقةً لجميع دول أوروبا .

وعندما وصل «بير فكتوس» إلى القاضي كان يرتعدُ خوفًا ورُعبًا، ولكنَّ القاضي لم يُصدرِ حُكمًا بإعدامه لإهانتِهِ الإسلامَ ورسولَهُ، لأنه رأى أنه كان ضحيةً استفزازٍ من المسلمين، ولكن «بير فكتوس» بعد إطلاقِ سراحِهِ ظلَّ يَسبُّ نبيَّ الإسلامِ سبًّا بذيئًا، فلم يجدِ القاضي بُدًّا من الحُكمِ بإعدامه، فتجمّع عددٌ من المسيحيين، وكونوا جماعةً اعتبرت «بير فكتوس» شهيدًا، وبعدها بأيامٍ ظهرَ راهبٌ آخرٌ يدعى «إسحاق» ظلَّ يَسبُّ الإسلامَ ونبيَّ الإسلامِ بحرارةٍ جعلت القاضي يظنُّ أنه مخمورٌ أو مختلٌ عقليًا، ولمَّا استمرَّ في السَّبِّ - وهو في كامل وعيه - لم يجدِ القاضي بُدًّا من الحُكمِ عليه، ولم يكن المسلمون يَضيقون بمعتقداتِ الديانات الأخرى بما فيها نقاطِ الخلافِ مع الإسلامِ، لأن الإسلامَ وُلد في ظلِّ التعدُّديةِ الدينية، وتعايشَ مع جميع العقائد على مرِّ العصور، ولم يكن القانونُ في الإمبراطورية الإسلامية يُحرِّمُ الدعوةَ المسيحيةَ، وكان يشترطُ فقط ألاَّ يتعرَّضَ المسيحيون في دعوتهم للهجوم على النبيِّ محمدٍ ﷺ .

ولم تَمضِ أيامٌ على إعدامِ «إسحاق» حتى وصل ستَّةُ رُهبانٍ من الديرِ نفسه، وقاموا بالتهجُّمِ على النبيِّ محمدٍ ﷺ بصورةٍ مُقدِّعة، وانتشرت هذه الظاهرةُ حتى بَلَغَ عددُ من حُكم عليهم خمسين، واشترك أسقفُ قرطبة في إدانتهم، ولكنهم اعتُبروا «شهداء قرطبة»! وانتشرت هذه القصةُ في الغرب، وكان الإسلامُ في ذلك الوقتِ قوَّةً عالميةً، وكانت أوروبا قد اكتسحتها القبائلُ الهمجيةُ، وأصبحت بركةً راکدةً، وكان العالمُ يبدو كأنه

قد أصبح كلُّه إسلامياً، كما نرى العالمَ اليومَ كأنه أصبح كلُّه غربياً، وظلَّ الإسلامُ في كلِّ العصورِ يُمثِّلُ التحديَّ للغربِ .

□ وكانت صيحاتُ التهجمِ على الإسلامِ ورسوله التي أطلقها «شهداء قراطة» تستندُ إلى وهمٍ في عقولِ (سيطر عليها الرعبُ) أن محمداً دجالٌ، نصَّبَ نفسه نبياً ليخدعَ العالمَ، وأنه فاسقٌ يدفعُ أتباعه إلى محاكاته، وأنه يُجبرُ الناسُ على اعتناقِ عقيدته بحدِّ السيفِ . وانتهت هذه الأوهامُ إلى القولِ بأن الإسلامَ ليس ديناً، بل هو بدعةٌ، أو صورةٌ مشوَّهةٌ من المسيحية .

هذه الصورةُ التي تكونت من الأوهامِ في الأندلسِ، أُسدلَ عليها ستارُ النسيانِ، ثم عادت بعد (٢٥٠) سنةً لتُردَّدَ نفسَ هذه الأوهامِ، وهناك بعضُ الباحثين المتعمِّقين حاولوا وضعَ تصوُّرٍ موضوعيٍّ لنبِيِّ الإسلامِ وللدينِ الذي أتى به، لكنَّ الصورةَ المشوَّهةَ استمرَّت على المستوى الشعبيِّ، وما تزالُ آثارُ هذه الأوهامِ القديمةِ موجودةً حتى يومنا هذا، وما زال شائعاً في الغربِ القولُ بأن محمداً ليس سوى رجلٍ قام باستغلالِ الدينِ لتحقيقِ الفتوحاتِ وسيادةِ العالمِ، وأنَّ الإسلامَ دينٌ عُنفٍ وحربٍ، على الرغمِ من ظهورِ دراساتٍ تُبيِّنُ خطأً وفُحشَ هذه الأسطورةِ .

□ وكان جهلُ الأوروبيينَ بالإسلامِ في زمنِ الحربِ الصليبيةِ يَصِلُ إلى تصوُّرِهِم للمسلمينَ بأنهم يركعون أمامَ ثلاثةِ آلهةٍ هي «أبولو» و«تيرفاجان» و«محمداً»، ولم يعتبروا المسلمينَ بشراً مثْلَهُم، ولذلك قاموا بارتكابِ مذبحَةٍ لا مثيلَ لها في التاريخِ لسكَّانِ القُدسِ المسلمينِ، وقالوا: «إن

المسلمين وباء لا بد من تطهير الأماكن المقدسة منه»، وكانوا عندما يتحدثون عن المسلمين يطلقون عليهم اسم «القدارة» .

❏ وتشير «كارين أرمسترونج» إلى أن اهتمام أوروبا بالنبي محمد ﷺ يكاد يكون معدوماً حتى عام (١١٠٠) ميلادية، وشاعت المعرفة به في (١١٢٠) على أنه «ماهاوند» عدو الممالك المسيحية، وتنقل عن الباحث البريطاني «د. و ساذرن» سطوراً عن دراسته بعنوان «صور الإسلام في الغرب في العصور الوسطى»، يقول فيها: «لا شك أنهم عندما وضعوا هذه الأساطير والأوهام، كانوا يرون أنها الصورة الحقيقية، ولم تتغير صورة محمد وأتباعه كثيراً عن كونهم أبناء الصحراء» .

وتعلق على ذلك بأن هذا الطابع الخيالي لشخصية «ماهاوند» هو الذي أدى إلى صعوبة النظر إلى النبي محمد ﷺ في الغرب على أنه شخصية تاريخية جديرة بالدراسة كما يفعلون مع «نابليون» أو «الإسكندر الأكبر»، ولهذا كانت الصورة الخيالية لشخصية «ماهاوند» في رواية «سلمان رشدي» متفقة مع هذه الأوهام الغربية الراسخة بعمق، ومن ذلك الزعم أن الرسول ﷺ كان ساحراً خدع الناس بمعجزات زائفة، وأنه قام بتدريب حمامة على التقاط حبات البازلأء من أذنيه، حتى يبدو للرائي كأن روح القدس تنزل عليه وتهمس له بالوحي، وقالوا أيضاً: «إنه ﷺ كان يعاني من الصرع»، وأفاضوا في الحديث عن حياته الجنسية .

تعلق «كارين أرمسترونج» على كل ذلك بأن المسيحيين الغربيين لم يستطيعوا تفسير الرؤية الدينية الرائعة والمقنعة التي أتى بها محمد ﷺ وسراً

نجاحها إلا بإنكار الوحي والقول بأن الإسلام فرقة خارجة على المسيحية، كما تُفسرُ قَلِقَ المسيحيين من الإسلام بالأعمالِ العُدوانيةِ التي ارتكبوها باسم المسيحية ضدَّ المسلمين في الحروب الصليبية، وهي ممارساتٌ لا علاقة لها بدعوة السلام التي جاء بها المسيح.

□ وتقول: «إن الكنيسة كانت تفرِّضُ على رجال الدين الامتناع عن الزواج مع رغبتهم فيه، فكانت المبالغة في الروايات عن الحياة الجنسية للنبي محمد ﷺ تعبيراً عن الكبت الذي يُعاني منه هؤلاء أكثر مما هي تعبيرٌ عن الحقائق... أما اتهامهم للإسلام بأنه لا يعترف بالحرية الدينية، فهو نوعٌ من إلقاء التهمة على الآخر؛ لأن الغرب - وليس الإسلام - هو الذي منَع حرية المناقشة في المسائل الدينية، وكان يُعاقبُ كلَّ مَنْ يَخْرُجُ على الفكر الذي تفرِّضه الكنيسة بالحرق على أيدي «محاكم التفتيش»، وكذلك قامت بعد ذلك حركة اضطهاد البروتستانت والكاثوليك بعضهم لبعض بسبب الخلافات الدينية بين الطائفتين.

ولمَّا كانت اليهودية هي الدين الأجنبي الوحيد في أوروبا في ذلك الوقت، فقد بدأت الحملات الصليبية بمذابح لليهود في «وادي نهر الراين»، وكانت تلك أولى المذابح الجماعية في أوروبا، وأصبح العدا للسامية مرضاً مُزمنًا، حتى إن الأساطير الأوروبية وصلت في عدايتها لليهود إلى حد القول بأن اليهود يقتلون الأطفال ويمزجون دماءهم بخبز «عيد الفصح» العبراني، وأنهم يُدبرون مؤامرة دولية للإطاحة بالمسيحية».

□ وتقول «كارين أرمسترونج»: «إن مثل هذه الأساطير المعادية لليهود

لم يظهر مثلها في العالم الإسلامي في أي عصر من العصور، لكن التعصب كان في أوروبا، حتى إنه بعد الاستيلاء على الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية وعودتها إلى المسيحية، بقي في هذه المناطق مسلمون ويهود فُرضت عليهم العزلة، ومنعت الحكومة المسيحية من التعامل معهم، وصدرت تشريعات كنسية خاصة في المجلسين البابويين، أحدهما عُقد سنة ١١٧٩، والثاني في سنة ١٢١٥ تعتبر اليهود والمسلمين «العدو»، وتفرض هذه التشريعات عقوبات على كل من يتعامل مع المسلمين واليهود أو يشاركه الطعام بالطرد من الكنيسة ومصادرة الممتلكات، وقد أصدر البابا «جريجوريوس التاسع» في عام ١٢٢٧ مراسيم بأبوية تفرض على المسلمين واليهود أن يرتدوا ملابس مميزة، ويحظر عليهم الظهور في الشوارع أثناء الأعياد المسيحية، ويحرم توليهم مناصب حكومية في البلاد المسيحية، ومنع الجهر بالأذان حتى لا يؤذي أسماع المسيحيين.

وبعد ذلك أعلن الباب «كليمنت الخامس» (١٣٠٥ - ١٣١٤) أن وجود مسلم على الأرض المسيحية يُعتبر إهانة لله.

وقبل ذلك قام ملك فرنسا «شارل أنشوا» عام ١٣٠١ بإبادة من بقي من المسلمين أبناء صقلية وجنوب إيطاليا.

وقد ظلت محاكم التفتيش في إسبانيا تضطهد المسلمين وذريتهم على مدى ٣٠٠ سنة.

وسجل العداء أكبر مما يصل إليه الخيال، ويمكن لمن يريد معرفة المزيد العودة إلى كتاب «كارين أرمسترونج»، ففيه الكثير.

وهي بعد ذلك تتحدّثُ في فصلٍ بعنوان «محمد رجل الله» عن معجزات الرسول ﷺ:

وأولّها: أنه أصبحت كلمة «الله» تردّدُ لأول مرةٍ في بلاد العرب .

وثانيها: أن الرسول ﷺ حقّق معجزةً بتوحيد العرب، وكان مستحيلًا أن تتوحّد هذه القبائل المتحاربة . . وعلى هذا فإن كان ذلك النصر السياسي هو الإنجاز الوحيد لمحمد ﷺ، فمن حقّه علينا أن يحوز إعجابنا، لكنّ النجاح الأكبر لمحمد ﷺ كان في نشر الإيمان بالدين الذي غير مجرى التاريخ .

أمّا شخصُ محمد ﷺ - كما تقول، وكما تُظهر الكتابات - فإنه يختلفُ كلَّ الاختلافِ عن شخصية المسيح المثالية الخارقة للطبيعة - كما يُظهرها الإنجيل -، وعلى رغم أنه أصبح لمحمد ﷺ عند المسلمين هالةً رمزيةً إلاّ أنهم لم يدّعوا أبداً أنه مقدّس، بل إنه - كما تقدّمه السير الأولى - شخصية إنسانية، ليس فيها تشابهٌ مع شخصيات القديسين المسيحيين، وتُمثّلُ شخصيةً محمد ﷺ شخصيات التوراة النابضة بالحياة من أمثال موسى، وداود، وسليمان، وإلياس، وإسحاق، وتبدو شخصية محمد ﷺ شخصيةً قوية المشاعر ذات أبعادٍ مركّبة، ويتمتعُ بمواهب رُوحانية وسياسية عظيمة، وكان يملكه الغضبُ أحياناً، كما كان شديد التأثير والرحمة .

وتقول: «لم نقرأ أبداً أن المسيح ضحك، ولكن كثيراً ما نقرأ أن محمداً ﷺ كان يبتسمُ ويداعِبُ الأطفال والصحابة، ويختلفُ مع زوجته، ويبكي لموت أحد أصحابه، ويعرضُ ابنه الوليدَ مزهواً كأبيّ أب، فإذا نظرنا

إليه كشخصية تاريخية عظيمة، فمن المؤكد أننا سنراه من أعظم العباقرة الذين عرفهم التاريخ؛ ولكي نُوفيَّ عبقريته حقها، علينا أن ندرس المجتمع الذي وُلد فيه، والقوى التي كان عليه أن يدخل معها في صراع، فقد كان اليهودُ يؤمنون بإله واحد «يهوه»، لكنهم كانوا يعتقدون في وجود آلهة أخرى، والوصايا العشرُ في التوراة تعترفُ ضمناً بوجود آلهة أخرى يعبدونها، مثل الوصية التي تقول: «لا يكنْ لك آلهةٌ أخرى أمامي»، ولم تتحققِ الوحدانيةُ في اليهودية إلا على يد «إشعيا الثاني» بعد ٧٠٠ سنةٍ من خروج الإسرائيليين من مصرَ عام ١٢٥٠ قبل الميلاد. أما محمدٌ ﷺ، فقد انطلق ليُجعلَ العربَ يؤمنون بالتوحيدِ في فترةٍ لا تتعدى ٢٣ عاماً، وهذه عمليةٌ صعبةٌ تتطلبُ تغييرَ الوعي الإنساني نفسه.

□ وتقف «كارين أرمسترونج» عند مسألة حساسة في السيرة النبوية، عندما حاولت فهم الآيات: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلاً﴾ (٧٣) ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (٧٤) ﴿إِذَا لَا أَذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

□ فتقول: «إن الدارسين في الغرب يفترضون أن تلك الآية تشير إلى حادثة ما يدعى «آيات شيطانية» يدعون بها أن محمداً ﷺ قدّم تنازلاتٍ مؤقتةً للمشركين، والقصة - كما في «طبقات ابن سعد» و«تاريخ الطبري» - أن الشيطان تدخل في إحدى المناسبات، وتقول المأثورات: إن محمداً ﷺ أثناء تلقيه سورة «النجم» شعر بإيحاءٍ أن ينطقَ بآيتين تقولان: إن الآلهة

الثلاث «آلات وأعزى ومناة» من الممكن أن يكنَّ وسيطات بين الله والبشر، وبما أن قريشاً كانت تعتقدُ أنهم «بناتُ الله»، وأنهن مقدَّسات، فقد ظنُّوا خطأً أن القرآن قد وُضع هذه الآلهة في منزلةٍ واحدةٍ مع الله، واعتقاداً منهم أن محمداً ﷺ قد تقبَّلَ آلهتهم سجَّدت قريشٌ لتؤدِّي الصلاة مع المسلمين، وبدا وكأنَّ الخلافَ قد انتهى، وتقول القصة: «إنَّ محمداً ﷺ تلقَّى الوحيَ الإلهيَّ بأنَّ قبوله الظاهريَّ لهذه الآلهة كان حياً من الشيطان، وبناءً على ذلك حُذفت الآيتان من القرآن، واستُبدلتا بآياتٍ أخرى تلعنُ الآلهة الثلاث!!».

□ وتعلَّق «كارين أرمسترونج» على هذه الرواية التي يروِّج لها كثيرٌ من الغربيين فتقول: «إن هذه القصة غيرُ صحيحةٍ ومشكوكٌ في صحتها لدى المسلمين، ولا توجدُ إشارةٌ واضحةٌ إليها في القرآن، وفي التسجيل المبكِّر للسيرة «في سيرة ابن إسحاق» لا توجدُ أيةُ إشارةٍ إلى هذه الواقعة، كما أنها لم تُذكر في مجموعاتِ الأحاديثِ الكبيرة التي جمَّعها البخاريُّ ومسلمٌ في القرنِ التاسع الميلادي، وحينما يرفضُ المسلمون شيئاً من التراث، فإنهم لا يفعلون ذلك بدافع احتمالِ التأويلاتِ النقديَّةِ لِمَا يرفضون، لكن لعدم كفاية الأدلة، ومع ذلك فإنَّ أعداءَ الإسلام في الغرب - كما تقول - رأوا في هذه القصة مناسبةً كي يُشكِّكوا في محمداً ﷺ، وليقولوا: كيف لرجلٍ قام بتغيير الكلماتِ السماويةِ طبقاً لِمَا ارتآه أن يكون نبياً؟ وعلى رغم ذلك فقد حاول باحثون - مثلُ ماكسيم رودنسون، ومتجومري - مؤخراً أن يُبرهنوا على أنَّ القصةَ في صياغتها لا تحتملُ تأويلاً سلبياً، ولكنَّ هذه القصةُ التي لم يهتمَّ

بها المسلمون ظَلَّتْ على قَدَرٍ كبيرٍ من الأهمية في الغرب، وتفجرت عام ١٩٨٨، وهو العام الذي نُشر فيه «سلمان رشدي» روايته «آيات شيطانية»، وجعل من هذه القصة محوراً لروايته.

وهذه القصة - كما تقول كارين أرمسترونج - تُكرَّرُ الأساطير الغربية القديمة عن محمد ﷺ، وتُكرَّرُ القول بأنه مُدَّعٍ ذو طموحاتٍ سياسية، والأكثرُ إيلاماً للمسلمين أنها تُشوِّهُ صدقَ القرآن، وهذا ما أثار المسلمين، فقد رأى المسلمون أن كتاب «سلمان رشدي» أتخذ من القصة المدسوسة عن الآيات الشيطانية عنواناً له، وقد وظَّفَ «سلمان رشدي» هذه القصة ليُبرهن على أن القرآن المقدس عند المسلمين لا يُميِّزُ بين الطيب والخبيث، وأن ما يُقال: «إنه مشيئة الله»، ما هو إلاَّ إِيحَاتٌ إنسانيةٌ - كما يدَّعي النقاد الغربيون-.

□ وتَصِلُ «كارين أرمسترونج» إلى أن الذين أيدوا «سلمان رشدي» استغلُّوا ما جاء في كتابه ليكرِّروا الادِّعاء بأن الإسلام ضدُّ حرية الإبداع وحرية البحث العلمي، وقد تبنَّى «سلمان رشدي» الرؤية الغربية القائمة على الكراهية للمسلمين ورسولهم، وقد فَتَحَ ذلك جِراحاً عميقةً - كما تقول - بين الغرب والإسلام.

□ وتقول: «إن هذه القصة تتعارضُ مع الروايات الموثقة ومع القرآن نفسه، ومن الثابت أن الرسول ﷺ رَفَضَ عروضاً من قريش دون تردُّدٍ بأن يَسْمَحَ لهم بعبادة آلهم مع عبادة الله، ولكن في الغرب - كما تقول - من تأثر بفكرة «السقوط» - بمعناها المسيحي - ليخلعها على محمد ﷺ، كما أن

أَدَمَ اسْتَسْلَمَ لِعُوَايَةِ الشَّيْطَانِ، وَفِي رِوَايَةِ الطَّبْرِيِّ إِنْكَارٌ لِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَمَكَانَةٌ هَذِهِ الْآلِهَةِ حَدَّدَهَا الْقُرْآنُ بِصُورَةٍ قَاطِعَةٍ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

□ وتقول: «هذه هي أكبرُ إِدَانَةٍ قرآنيةٍ لتلك الآلهة، كما أن الإسلامَ جاء برسالةٍ توحيدٍ لا تقبلُ أن يكونَ معَ اللهِ إلهٌ آخر، وليس أدلُّ على ذلك من سورة «الإخلاص» التي يقرؤها المسلمون في صلاتهم اليومية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]. . . فكيف يُمكنُ معَ هذا التوحيدِ الخالصِ أن يأتيَ ذِكْرُ آلِهَةٍ قريشٍ وأصنامِها على لسانِ الرسولِ ﷺ على أن لها مكانةً أو شفاعَةً؟!».

□ وتخصَّصُ «كارين أرمسترونج» صفحاتٍ من كتابها للتدليلِ على عدمِ صحَّةِ هذه الروايةِ المدسوسةِ على النبي ﷺ، وتقول: «إن تاريخَ محمدٍ ﷺ منذُ بدايته فيه كراهيةٌ لآلهةِ قريش، ومن الأدلةِ على ذلك أن كبارَ قريشٍ ذهبوا إلى أبي طالب - عمِّ الرسولِ ﷺ - وقالوا له: «يا أبا طالب، إن ابنَ أخيك قد سبَّ آلِهتنا، وعاب ديننا، وسقَّ أحلامنا، وضلَّ آبائنا، فإما أن تكفَّه عنَّا، وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه، فإنك على مثلِ ما نحن عليه من خلافه، فنكفِّه».

وبعد فترةٍ عادوا إلى أبي طالبٍ ثائرين، وقالوا له: «إنا والله لا نصبرُ على هذا من شتمِ آبائنا، وتسفيهِ أحلامنا، وعيبِ آلِهتنا، حتى تكفَّه عنَّا،

أو ننازلَه وإياك في ذلك حتى يهلكَ أحدَ الفريقين» .

ونستدلُّ من هذا الموقف أن محمداً لم يتنازلَ عن مُحاربةِ آلهةِ قريش ، بل إن قريشاً عَرَضت عليه أن يكونَ مَلِكاً عليهم ، وأن يجعلوه أكثرَهم ثروةً مقابلَ التنازلِ عن دينه ، فقال : «واللَّهِ لو وَضَعوا الشمسَ في يميني ، والقمرَ في شمالي ، على أن أتركَ هذا الأمرَ ما تركتهُ حتى يُظهِرَهُ اللهُ أو أهلكَ دونه» . . .» .

□ بهذا المنطق تُدافع «كارين أرمسترونج» عن الرسول ﷺ ، وتكشِفُ عدمَ صحَّةِ هذه الرواية التي أقام عليها «سلمان رشدي» كتابه ، وهي تفعلُ ذلك من مُنطلقِ البحثِ العلميِّ التزيه ، فهي ليست مسلمةً ، ولا صلةً لها بالدولِ الإسلاميَّة ، ولكنها قرأت كلَّ ما كُتب عن سيرةِ الرسول ﷺ بعقليةِ ناقدة ، وكتبت عن الرسول ﷺ بمنهجٍ علميٍّ مدقَّقٍ لا يخضعُ لأحكامِ مُسبِّقةٍ ، وهي تُسجِّلُ بموضوعيةٍ نجاحَ المشروعِ الإسلاميِّ بعدَ وفاةِ النبي ﷺ كدليلٍ على صدقِ الرسالة ، وتحدِّثُ عن الرُّوحانيةِ التي أسَّسها دون أن يعتزلَ الحياةَ ، ولم يتنظرْ إلى حينِ حلولِ عالمٍ يخلو من الشرورِ والصراعات ، وسعى إلى إقامةِ مجتمعهِ المثاليِّ في المدينة ، واحتدَّى المسلمون حدَّوه منذ البداية .

● وتُسجِّلُ «كارين أرمسترونج» مشاعرَ الحبِّ الجارفِ لمحمدٍ ﷺ لدى المسلمين ، ومع ذلك فإنهم يؤكِّدون أنه لم يكنْ إلا رجلاً ، ولم يكنْ إلهاً أو ملاكاً ، والنبيُّ ﷺ هو الذي قال عن نفسه : «إن أنا إلا ابنُ امرأةٍ كانت تأكلُ القديدَ في مكة» ، وذلك حرصاً منه على تأكيدِ طبيعتهِ كإنسان ، وبذلك أصبحت حياةُ محمدٍ آيةً من الآياتِ في العالمِ التي يدعو القرآنُ المسلمين

إِلَى التَّأَمُّلِ فِيهَا وَتَفْهَمِهَا، فَإِنَّ رِسَالَتَهُ النَّبَوِيَّةَ «رَمَزٌ» يَعْكِسُ الْإِسْتِسْلَامَ التَّامَّ لِلَّهِ، وَحُبُّ الْمُسْلِمِينَ لَهُ هُوَ ارْتِبَاطٌ بِالرَّمْزِ الَّذِي يُضِيءُ لَهُمْ حَيَاتَهُمْ، وَيُضِيفُ إِلَيْهَا مَعْنَى جَدِيدًا.

□ وتقول «كارين أرمسترونج»: «إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يُعْتَبَرُ عَلَى الْمُسْتَوَى الرَّمْزِي «الْإِنْسَانَ الْكَامِلَ» وَ«النَّمُودَجَ»، وَتَنْظُرُ إِلَى رِحْلَةِ «الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ» عَلَى أَنَّهَا الْمَثَالُ الْكَامِلُ لِلْفَنَاءِ فِي اللَّهِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَسْعَوْنَ إِلَى مَحَاكَاةِ الرَّسُولِ فِي حَيَاتِهِمِ الْيَوْمِيَّةِ لِكَيْ يَقْتَرِبُوا مِنْ هَذَا الْكَمَالِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ وَيَقْتَرِبُوا مِنَ اللَّهِ».

□ وتختتم «كارين أرمسترونج» كتابها بقولها: «إِنَّ الْإِسْلَامَ وَالْغَرْبَ يَشْتَرِكَانِ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَالْمُسْلِمُونَ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْذُ زَمَنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِلَّا أَنَّ الْغَرْبَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى تَقْبُلِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَشْعُرُونَ أَنَّ حَضَارَةَ الْغَرْبِ امْتَهَنَتْ كِرَامَتَهُمْ وَاحْتَقَرَتْهُمْ، وَنَحْنُ فِي الْغَرْبِ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نُخَلِّصَ أَنْفُسَنَا مِنْ بَعْضِ أَحْقَادِنَا الْقَدِيمَةِ، وَلَعَلَّ شَخْصَ مُحَمَّدٍ ﷺ يَكُونُ مَنَاسِبًا لِلْبَدْءِ، فَقَدْ كَانَ ذَا عِبْقَرِيَّةٍ تَسْتَعْصِي عَلَى الْإِدْرَاكِ، وَأَسَّسَ دِينًا وَحَضَارَةً لِلْإِسْلَامِ، وَلَفْظُ «الْإِسْلَامِ» ذُو دِلَالَةٍ عَلَى السَّلَامِ وَالْوَفَاقِ مَعَ سَائِرِ الْبَشَرِ».

أليس من واجب المسلمين أن يُقدِّموا التحية لهذه الراهبة التي قالت كلمة الحق بجرأة وبراعةٍ تفوق ما فعله المسلمون للدفاع عن دينهم في الغرب؟! (١).

(١) انظر «المنصفون للإسلام في الغرب» من (ص ١٨٤-١٩٧).

ومن فرنسا

* القسُّ إسحاق تيلر الفرنسي :

مستشرقٌ فرنسيٌّ، وُلد في بلدة «بوردو» ١٨١٠، وتُوفِّي ١٨٩٧، له مؤلَّفٌ أسماه «حقائق التاريخ».

□ قال فيه (ص ٧٦): «إننا إذا قلَّنا الطُّرف، لا نجدُ في أعمالِ محمدٍ ونبوَّتِه شيئاً يناقِشُ النصرانية الحساب، ويقِفُ لها بالمرصاد، بل نراها الحدَّ الفاصلَ بين اليهودية والنصرانية، وإن الإسلام منه أتت السعادةُ وأفاد المَدنيَّة، وإن محمداً شابَه موسى في تعدُّد الزوجات والاسترقاق، والاسترقاق ليس من العقيدة الإسلامية في شيء، فأباحه محمدٌ للضرورة، أما تعدُّد الزوجات، فإنه لم يُحرِّمه موسى في «توراته» ولا داودُ في «زبورِه»، وعلينا أن نفهمَ أن آدابَ الإسلامِ أسمى من آدابِ النصرانية».

* المسيو إميل برنامكام الفرنسي :

وُلد في «بركادا» ١٨٥٧، وتُوفِّي عام ١٩٢٤.. وهو من مشاهيرِ كتابِ القرن التاسع عشرَ للميلاد.

□ قال في كتابه «الشرق والإسلام» - وهو أحدُ مؤلَّفاته -: «إنني أردتُ أن أُصوِّرَ محمداً صورةً مطابقةً للواقع على قدرِ الإمكان - كما فهمتُها ممَّا قرأته عنه في الكتب، وكما رأيتها في أرواح أتباعه الحيَّة».

□ إلى أن قال: «نشأ معتمداً على نفسه، يرجعُ إليها في الكبيرة والصغيرة، ويجهدُ ويعملُ لكسبِ رزقِه من عرقِ جبينه، إذ لم يكن ذا ثروة

تَكْفِيهِ مُؤَنَةَ السَّعْيِ، فَكَانَتْ ثِرْوَتُهُ عِنْدَ نَشَأَتِهِ: صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَنِزَاهَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ، وَتِلْكَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - أَسْمَى الثَّرَوَاتِ وَأَعْلَاهَا، تِلْكَ كَانَتْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ فِي وَسْطِ مَنْحَلٍّ لَا يَعْرِفُ أَخْلَاقًا وَلَا نُبْلًا».

* العالمة الكبير غوستاف لوبون الفرنسي :

وُلِدَ عَامَ ١٨٤١ فِي «تولوز»، وَتَوَفِيَ ١٩٣١، فَرَنْسِيٌّ مِنْ فِلَاسْفَةِ عِلْمِ الْاجْتِمَاعِ، نَقَلَ بَعْضَ مَوْلاَفَاتِهِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ.

□ قَالَ فِي كِتَابِهِ «الحياة» عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ الْعَرَبِ فِي الشَّرْقِ (ص ٤٣): «إِنْ مُحَمَّدًا - رَغْمَ مَا يُشَاعُ عَنْهُ عَلَى وَجْهِ عَامٍ -، قَدْ ظَهَرَ بِمِظْهَرِ الْحُكْمِ الْوَافِرِ وَالرَّحَابَةِ الْفَسِيحَةِ إِزَاءَ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَحَرَّرَ بِلَادًا وَاسِعَةً مِنَ الرُّومِ وَالْفُرسِ، وَتَرَكَ أَهْلَهَا فِي طَلِيْعَةِ الْأُمَمِ».

□ وَقَالَ فِي كِتَابِهِ «التمدن الإسلامي» - وَهُوَ ٨٠٠ صَفْحَةً، وَالْمَنْقُولُ مِنَ اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ - (صَفْحَةُ ٦٧): «إِنِّي لَا أَدْعُو إِلَى بَدْعَةٍ مُحَدَّثَةٍ، وَلَا إِلَى ضَلَالَةٍ مُسْتَهْجَنَةٍ، بَلْ إِلَى دِينٍ عَرَبِيٍّ قَدِيمٍ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ، فَكَانَ أَمِينًا عَلَى بَثِّ دَعْوَتِهِ بَيْنَ قِبَائِلِ رُحَلٍ تَلَهَّتْ بِعِبَادَةِ الْأَحْجَارِ، وَتَلَذَّذَتْ بِتُرَّهَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَجَمَعَ صَفُوفَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُبَعَثَرَةً، وَوَحَّدَ كَلِمَتَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً، وَوَجَّهَ أَنْظَارَهُمْ لِعِبَادَةِ الْخَالِقِ، فَكَانَ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ حَسَبًا وَنَسَبًا وَزَعَامَةً وَنُبُوءَةً، هَذَا هُوَ مُحَمَّدٌ الَّذِي اعْتَنَقَ شَرِيعَتَهُ أَرْبَعُمِئَةِ مِليُونِ مُسْلِمٍ، مُتَشَرِّينَ فِي أَنْحَاءِ الْمَعْمُورَةِ، يُرْتَلُونَ قِرْآنًا عَرَبِيًّا مُبِينًا».

□ إِلَى أَنْ قَالَ: «فِرْسُولٌ كَهَذَا جَدِيرٌ بِاتِّبَاعِ رِسَالَتِهِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى

اعتناقِ دعوته، إذ إنها دعوةٌ شريفة، قوامُها معرفةُ الخالق، والحضُّ على الخير، والردُّ عن المنكر، بل كلُّ ما جاء فيها يرمي إلى الصلاح والإصلاح، والصلاحُ أنشودةُ المؤمن، وهو الذي أدعو إليه جميعُ النصارى».

□ وفي كتابه «الدين والحياة» قال: «إن محمداً حصل على طاعة قومه، ولم يحصل نظيرها لأيِّ ملكٍ أو أمير، أو أيِّ فاتح، وقد كان ذا أخلاقٍ عالية، وحكمة، ورفقة قلب، ورافة، ورحمة، وصدق، وأمانة».

□ وقال: «كان عقلُ محمدٍ من أكبر العقول، وكانت آراؤه من أسدِّ الآراء».

□ وقال في كتابه «الآراء والمعتقدات» (ص ٦): «لقد اعتنقت قبائلُ البدو في جزيرة العرب ديناً أتى به أمِّي، فأقامت - بفضل الدين - في أقلِّ من خمسين سنةً، دولةً عظيمةً كدولةِ إلاسكندر، وزينتَ جيدها بقلادةٍ من المباني الفخمة التي هي آيةٌ في الإعجاز».

□ ثم قال: «ولو لم يكن أمياً لَمَا استطاع أن ينشر دينه».

□ إلى أن قال: «ينشأ من المعتقد القوميِّ يقينٌ لا يُزعزعه شيءٌ، ومن مثل هذا اليقين تُشتقُّ أكثرُ حوادثِ التاريخ أهميةً، فقد أيقن محمدٌ أن الله أمره بالدعوة إلى دينٍ جديدٍ أوحى إليه لتجديدِ العالم، فاستطاع بفضلِ يقينه أن يقلبَ الدنيا».

□ وقال في كتابه «التمدن الإسلامي» (ص ١٢٧): «البابُ الثاني في القرآن: القرآنُ هو الكتابُ المنزَّلُ من السماء، الذي فيه مباحثٌ وقوانينٌ

دينية وسياسية واجتماعية، والقرآنُ - وإن نزل من عند الله - لكنه في بعض المقامات لم تكن بعض آياته مرتبطة ببعض^(١)، وعلة ذلك أن آياته نزلت على التوالي المقتضي الحاجات في ذلك الزمن، وكان جبريلُ الملكُ ينزلُ به على محمدٍ من عند الله فتُحفظ، ولم تُجمع إلا بعد وفاة محمدٍ، وكانت سُورهُ (١١٤) سورة، ويعتقد المسلمون أن القرآنَ حتى الآن لم ينزل كتاباً من السماء مثله، والحق أن في القرآن من المعاني الشعرية والثرية وحسن البيان ما لم يوجد في غيره، أما عقائده ونظرياته وما يرجع إلى عالم الكائنات، فهو موجود تقريباً في دين اليهود والنصارى، والقرآنُ مما لا شك أنه نزل على محمدٍ اهـ.

* إدوار مونتيه الفرنسي:

وُلد في «ليون» ١٨٥٦، وتوفي ١٩٢٧، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة «جينف»، مستشرق فرنسي.

□ قال في كتابه «حاضر الإسلام ومستقبله»: «أما محمدٌ، فكان كريم الأخلاق، حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم، صادق اللفظ، وقد كانت الصفة الغالبة عليه هي صحة الحكم، وصراحة اللفظ، والاعتناع التام بما يقبله ويقولهُ، إن طبيعة محمدٍ الدينية تُدهش كل باحثٍ مدققٍ نزيه القصد، بما يتجلّى فيها من شدة الإخلاص، فقد كان محمدٌ مُصلحاً دينياً، ذا عقيدة راسخة، ولم ينهض إلا بعد أن تأمل كثيراً، وبلغ سن الكمال

(١) كلاً. . بل آيات القرآن جميعاً بينها روابط عميقة يفهمها أهل الغوص على المعاني.

بهايتك الدعوة العظيمة، التي جعلته من أسطع أنوار الإنسانية، وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه، كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا كباراً جداً في تاريخ قومهم، ولقد جهل كثير من الناس محمداً، وبخسوه حقّه، وذلك لأنه من المصلحين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها.

* ألفونس دي لا مارتين الفرنسي :

وُلد في بلده «بوردو» ١٧٩٠، وتوفي ١٨٦٩، وهو من مشاهير الشعراء الفرنسيين، ومن ممثلي المذهب «الرومانتيسم»، ومن مؤلفاته الشعرية «التأملات» و«الثرية» «السفر إلى الشرق»، نُقل إلى العربية.

□ قال فيه (ص ٤٧): «إن محمداً فوق البشر ودون الإله، فهو رسول بحكم العقل، ودلالات المعجزات تعضد ذلك، وإن اللغز الذي حلّه محمد في دعوته، فكشّف فيها عن القيم الروحية، ثم قدّمها لأمته العرب ديناً سماوياً، وسرعان ما اعتنقوه، هو أعلى ما رسمه الخالق لبني البشر».

□ وقال في «السفر إلى الشرق» (ص ٨٤): «أترّون أن محمداً كان أخا خداع وتدليس، وصاحب باطل ومين؟! كلاً.. . وبعدما وعينا تاريخه، ودرّسنا حياته، فإن الخداع والمين والباطل والتدليس، كل أولئك من نفاق العقيدة، كما أنه ليس للكذب قوة الصدق».

□ إلى أن قال: «إن حياة محمد وقوة تأمله، وتفكيره، وجهاده، ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه، وشهامته وجراته، وبأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان، وثباته، وتقبله سخرية الساخرين، وحميته في

نَشْرَ رِسَالَتِهِ، وَحُرُوبَهُ الَّتِي كَانَ جَيْشُهُ فِيهَا أَقْلَ نَفِيرًا مِنْ عَدُوِّهِ، وَوَثُوقَهُ
بِالنَّجَاحِ، وَإِيْمَانَهُ بِالظَّفَرِ، وَتَطَلُّعَهُ إِلَى إِعْلَاءِ الْكَلِمَةِ وَتَأْسِيسِ الْعَقِيدَةِ،
وَنَجْوَاهُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ مَعَ اللَّهِ، كُلُّ هَذَا لِأَعْظَمِ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُضْمِرُ
خِدَاعًا أَوْ يَعِيشُ عَلَى بَاطِلٍ أَوْ مِينٍ، بَلْ كَانَ وَرَاءَهَا عَقِيدَةٌ صَادِقَةٌ وَيَقِينٌ
مُضِيءٌ فِي قَلْبِهِ، وَهَذَا الْيَقِينُ الَّذِي مَلَأَ رُوحَهُ هُوَ الَّذِي وَهَبَهُ الْقُوَّةَ عَلَى أَنْ
يَرِدَ الْحَيَاةَ فِكْرَةً عَظِيمَةً، وَحُجَّةً قَائِمَةً، وَمَبْدَأً مَزْدُوجًا، وَهُوَ وَحْدَانِيَّةُ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ.

* الميسو جول لابوم الفرنسي:

وُلِدَ فِي بَلَدِهِ «كَاسَارِيَا» ١٧٩١، وَتُوُفِّيَ ١٨٦٨.

□ قَالَ فِي مَقْدَمَةِ الْفَهْرَسِ الَّذِي وَضَعَهُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُرْجَمِ إِلَى اللُّغَةِ
الْعَرَبِيَّةِ (ص ٦٣): «لَأَجْلِ أَنْ يَفْهَمَ الْإِنْسَانُ تَمَامَ الْفَهْمِ أَيَّ دَعْوَةٍ مِنْ
الدَّعَوَاتِ، يَلْزُمُهُ أَوْلاً الْإِلْمَامُ بِحَالِ الدَّاعِي بِذَاتِهِ».

□ إِلَى أَنْ قَالَ: «وَمِنْ هَذِهِ النَّبْذَةِ الْوَجِيزَةِ الَّتِي خَصَّصْنَاهَا لِمُحَمَّدِ
الْمُشْرِعِ الْعَرَبِيِّ، مُؤَسَّسٍ مَا يُمَكِّنُ تَسْمِيَتَهُ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حِوَالِي مِيلَادِ
مُحَمَّدٍ، وَإِذَا بِالْعَالَمِ يَتَسَعُّ لِأَضْوَاءِ هُدَاةِ، فَكَأَنِّي بِالْعَالَمِ وَقَدْ خُلِقَ مِنْ
جَدِيدٍ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ عَلَى مَبَادِيٍّ عَالِيَةٍ سَامِيَةٍ».

* الميسو ميسمر الفرنسي:

□ قَالَ فِي كِتَابِهِ «الْعَرَبُ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ» الْمُرَبَّبِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَامَ
١٩٢٢ بِقَلَمِ «فُؤَادِ بَطْرَسِ السُّورِيِّ»: «إِنَّ مَنْ تَسَافَهَ وَأَنْكَرَ صِدْقَ مُحَمَّدٍ،
فَقَدْ بَتَّ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ دُونَ أَنْ يَحْلُلَهَا، وَحَمَلَ ضَمِيرَهُ مَسْئُولِيَّةَ الْمَكَابَرَةِ،

ورمى بنفسه إلى نهاية سيئة ، إذ ليس من وحي الضمير الحرّ ما يُقارِفُه أولئك المغرضون على محمدٍ الذي اتّصف بكلِّ صفات الكمال» .

* الأب إسكندر دوماس الفرنسي :

□ وُلِدَ ١٨٠٣ ، وتوفّي ١٨٧٠ ، مؤلّف قصصيّ ، له كتاب «الفرسان

الثلاثة» ، قال فيه : «كان محمدٌ معجزةً الشرقِ لِمَا في دينه من معالم ، وفي أخلاقه من سُمُو ، وفي صفاته من محامد» .

* جان بروا الفرنسي :

وهو من كبار المستشرقين الفرنسيين ، له مؤلّفاتٌ عديدة ، منها «محمد

نابليون السماء»^(١) ، نقله عن الفرنسية «محمد صالح البنداق» .

□ قال (ص ٥٢) منه : «إن إبلاغَ الرسالةِ إلى العالم هو الهدفُ الأوّلُ

والأخيرُ للنبيِّ محمد ، ولم تكن مشاغلُ الأسرةِ والحياةِ لتحوّلَ بينه وبين

أدائها أبداً ، وإنك إذا نظرتَ إلى عُنفِ قريشٍ ومؤامراتها الدموية وربطِ

جأشها على اغتياله مراراً ، بل إذا نظرتَ إلى كلِّ القبائلِ العربيةِ حينذاك ،

ألقيتَ الغزوَ جُلَّ عملها ، ولم يكن النبيُّ إلى ذلك الوقتِ - وإن كثرَ حوَله

الرجال - قد أذن له في النضالِ ودفعِ العُدوانِ بالعدوان ، ولكن بعدَ كلِّ تلك

الاعتداءاتِ جاء الوحيُ الإلهيُّ يُبيحُ له حربَ المعتدين : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ

(١) معاذ الله أن يُشبّه رسولُ الله ﷺ الذي قال عنه ربّه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

بنابليون المجرم سَفَاكِ الدماءِ الظُّلومِ الذي قَتَلَ من الشعوبِ ومن المسلمين ما قتل ، والذي

غَدَرَ بأسراه في عكا بعد إعطائهم الأمان :

ألم تر أن السيفَ ينقُصُ قُودَهُ إذا قيل : إن السيفَ أمضى من العصا؟

بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿[الحج: ٣٩-٤٠]، وجاء أيضاً: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

□ إلى أن قال: «وكان محمدُ نبياً، ومُشرِّعاً، وسياسياً، ومَلِكاً عظيماً، وخطيباً مفوهاً، وقائداً خطيراً محنكاً، وإن كان لم يدخلْ جامعةً من جامعات الرومان، ولا مدرسةً من مدارس فارس، إن محمداً قد كُبر اسمه، واعتزَّ بربه، حتى عُرف باسمه وحده دون ذكرِ أسرته - كما عرف نابليون -، إنَّ محمداً لنابليون السماء^(١)، ولم يكن لمحمدٍ من عدوِّ لدودٍ قد استباح المحرَّمات، وأعدَّ الأهبة للبطش به وبدعوته سوى مكة».

* المسيو برتلمي سانت هيليار الفرنسي:

مستشرق فرنسي شهير، وُلد في بلدته «كلدا» ١٨١٧، وتوفي ١٨٩٢. □ قال في كتابه «مع الحياة»: «كان محمدٌ أذكى العرب في عهده، وأكثرهم تقوى وديناً، وأرحبهم صدرًا، وأرفقهم بأعدائه وخصوم دينه، وما استقامت إمبراطوريته الخارقة إلا بسبب تفوقه على رجال عصره، وأما الدينُ الذي راح يدعو إليه، فقد كان خيراً عظيماً على الشعوب التي اعتنقته وأمنت به».

* المؤرِّخ الشهير لاتيس الفرنسي:

وُلد في مدينة «بورود» ١٨٤٧، وتوفي ١٩٠٩. □ قال في مقالٍ له نشرته عنه مجلة «الهلال» المصرية - المجلد الثالث،

(١) نفس الهامش السابق.

الجزء الثامن -: «إن محمداً كان مشهوراً بالصدق منذ صباه، حتى كان يُلقَّبُ بـ «الأمين»، وما زال يسهرُ لحياة دينه والعربِ حتى مات، وما مات حتى أسس ديناً وأقام دولة».

* العلامة كليمان هوار الفرنسي :

وُلد ١٨٥٤، وتوفي ١٩٢٧، مستشرقٌ فرنسي، وقضى مدةً في دمشق تُرجماناً لقنصل فرنسا فيها ولسفير فرنسا في «الأستانة»، ورئيسُ مجمع الكتابات والآداب في باريس، وأستاذ اللغات الشرقية فيها، وله كتاب «تاريخ العرب».

□ قال في الجزء الأول منه : «كيف تعرّف محمدٌ إلى خديجة، وكيف أمكن أن يحصلَ على ثقتها ويتزوجَ بها؟! الجواب على الشقِّ الأول لا يزال غيرَ معروفٍ عندنا، وأماً على الشقِّ الثاني، فقد اتفقت الأخبارُ على أن محمداً كان في الدرجة العليا من شرفِ النفس، وكان يُلقَّبُ بـ «الأمين»، أي بالرجل الثقة المعتمدِ عليه إلى أقصى درجة، إذ كان المثل الأعلى في الاستقامة».

* الكاتب المعروف ديسون الفرنسي :

□ قال في حديثٍ له عن النبي محمدٍ ﷺ : «ليس يصحُّ أن يُنظر إلى دينِ محمدٍ كدينِ مليءٍ بالخرافات والأكاذيب، فهذا مخالفٌ للحقيقة، وإن محمداً نفسه قد راح يُصرِّحُ بأن الإسلامَ يتمُّ المسيحية»^(١).

(١) إن كان يقصدُ أنه يتمُّ ديانة التوحيد فنعم.

* الأستاذ دافيد دي لويس الفرنسي :

وُلِدَ فِي بَلَدْتِهِ «سَامَاتَا» ١٨٤٨ ، وَتَوَفِّيَ ١٩٢٥ .

□ قَالَ فِي كِتَابِهِ «الإِسْلَامُ» : «إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ ذَكَرَ الْمَجْتَمَعَ الْعَرَبِيَّ بِأَشْكَالِهِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ ، وَشَيَّدَ بِنِيَانًا اجْتِمَاعِيًّا عَلَى الْأُسُسِ الَّتِي كَانَتْ تَوَافِقُ أَعْمَقَ غَرَائِزِ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ ، فَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ وَبِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ يُصْبِحُ لَهُمْ حَقُّ الْإِنْتِسَابِ إِلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، وَمُحَمَّدٌ هُوَ الشَّهِيدُ بَيْنَ الْعَرَبِ أَمَامَ اللَّهِ» .

□ إِلَى أَنْ قَالَ : «وَلَا يُمَكِّنُ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ أَوْ يَخْتَارَ رَسُولًا وَمُبَشِّرًا بَعْدَ أَنْ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا مَبَشِّرًا لِلنَّاسِ وَمَنْذِرًا بِكَلِمَتِهِ النَّهَائِيَّةِ» .

* المسيو شانليه الفرنسي :

□ قَالَ فِي مَجْلِسِهِ - وَقَدْ سُئِلَ عَنِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ - ، نَقْلًا عَنْ مَجْلَةِ «الْمُقْتَطَفِ» - الْمَجْلَدِ الثَّلَاثِ - عِدَدِ ٧ : «إِنَّ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ هِيَ أَفْضَلُ الرِّسَالَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ ، لِأَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى الشُّعُوبِ نَقِيَّةً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَخَالِيَةً مِنْ كُلِّ نَقْصٍ ، بَلْ إِنَّهُ يُوجَدُ فِيهَا مِنَ التَّعَالِيمِ الْقِيَمَةَ مَا لَا يُوْجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الدِّيَانَاتِ» .

* الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي :

مَسْتَشْرِقٌ فَرَنْسِيٌّ ، وَوُلِدَ فِي بَلَدْتِهِ «لُوكَادَا» ١٨١٧ ، وَتَوَفِّيَ ١٨٩٤ .

□ قَالَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ «الْعَرَبُ» : «عُرِفَ مُحَمَّدٌ بِخُلُوصِ النِّيَّةِ وَالْمَلَاظِفَةِ وَإِنْصَافِهِ فِي الْحُكْمِ ، وَنَزَاهَةِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْفِكْرِ وَالتَّحَقُّقِ ، وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ مُحَمَّدٌ أَزْكَى وَأَدِينًا وَأَرْحَمَ عَرَبٍ عَصْرِهِ ، وَأَشَدَّهُمْ حِفَاطًا عَلَى الدَّمَامِ ، فَقَدْ

وجَّههم إلى حياةٍ لم يحلِّموا بها من قبلُ، وأسس لهم دولةً زمنيةً ودينيةً لا تزالُ إلى اليومِ».

* العالمة رينيه غروسه الفرنسي :

مستشرقٌ ومؤرِّخٌ وأديبٌ فرنسي، له عدَّةُ مؤلِّفاتٍ، منها «تاريخ الحروب الصليبية»، ومنها «مدنيات الشرق».

□ قال في الأخير: «كان محمدٌ لمَّا قام بهذه الدعوة شابًا كريمًا نجداً، ملأنا حماسةً لكلِّ قضيةٍ شريفة، وكان أرفعَ جدًّا من الوسط الذي يعيشُ فيه، وقد كان العربُ يومَ دعاهم إلى الله منغمسين في الوثنية، وعبادة الحجارة، فعزَّم على نقلهم من تلك الوثنية إلى التوحيد الخالص البحت، وكانوا يهتفون بالفوضى وقاتل بعضهم بعضاً، فأراد أن تؤسَّس لهم حكومة ديموقراطيةً موحَّدة، وكانت لهم عاداتٌ وحشيةٌ همجيةٌ صرفة، فأراد أن يُلطِّفَ أخلاقهم، ويُهذِّبَ من خشونتهم».

* العالمة لا بلاس الفرنسي :

من مشاهير علماء الفلك الفرنسيين، صاحبُ الرأي المعروف أن العالمَ تكوَّن في بدئه كرةً ضبابيةً انفجرت وصدَّرت منها الأجرام السماوية - ومنها أرضنا..

□ قال في كتابه «الأديان»: «إننا - وإن لم نعتقد بالأديان السماوية -، ولكنَّ دينَ محمدٍ وشريعته مثالان اجتماعيان لحياة البشر، فنحن نعترفُ لمحمدٍ بأنه عظيمٌ بدينه ومبدئه وعقليته، فلا مَحِيصَ عن الأخذ بتعاليمه».

* المسيو بوستل غليوم الفرنسي :

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٥٨١، وتوفي ١٦٥٤، أَلَفَ أبجدياتٍ في اثنتي عشرة لغةً - منها العربية -، طُبِعَ بعضها.

□ قال فيما كتبه باللغة العربية: «اللغة العربية أفصح اللغات آدابًا، وهي لغة أمةٍ على رأسها محمدُ النبيُّ العربي، وهو أفصحُ مَنْ نطق بالضاد، ولقد جاء بأفصح ما يُمكنُ في خلالِ كلماتهِ الماثورةِ عنه، لذلك نحترمه ونحترمُ لغته».

* ويغان مكسيم الفرنسي :

□ ولد في «بركسل» ١٨٦٧، قائدٌ فرنسيٌّ، ومندوبٌ ساميٌّ في سوريا ولبنان ١٩٢٣، له مذكراتٌ قيِّمة، دُعِيَ إلى حفلةٍ لذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ في بيروت سنة ١٩٢٥. . قال فيها: «مهما احتفل المسلمون بعيد ميلاد محمد، فهو قليل؛ لأنه جاءهم بدينٍ هو فوق الأديان، وهو في نفسه كبير، وفي أخلاقه عظيم، وفي شريعته سيِّدُ الأنبياء، فعلى المُنصِّفين أن يحتفلوا بذكرى عظماءِ التاريخ، وفي طليعتهم محمدُ الرسولُ العربيُّ والقائدُ الأعلى لتحقيقِ شريعةِ الله على الأرض، وتركيزها في صدور الناس».

* رينيه ديكارت الفرنسي :

وُلد عام ١٥٩٧، وتوفي ١٦٥٠، اشتهر بكتابه «مقالة الطريقة» الذي كان له الأثرُ البالغُ في الفكرِ العربي، نقله إلى العربية «جميل صليبا» عام ١٩٥٠، وهو مصدرُ الفلسفةِ الحديثة.

□ قال فيه: «نحن والمسلمون في هذه الحياة، ولكنهم يعملون بالرسالتين العيسوية والمحمدية، ونحن لا نعمل بالثانية، ولو أنصفنا لكاننا معهم جنباً إلى جنب؛ لأن رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل زمان، وصاحب شريعتهم محمد الذي عجز العرب عن مبارات قرآنه وفصاحته، بل لم يأت التاريخ برجل هو أفصح منه لساناً، وأبلغ منه منطقاً، وأعظم منه خلقاً، وذلك دليل على ما يتمتع به نبي المسلمين من الصفات الحميدة التي أهلتها لأن يكون نبياً في آخر حلقات الأنبياء؛ ولأن يعتق دينه مئات الملايين من البشر».

* دي سلان ماك غوكين الفرنسي:

وُلد في «باماكو» ١٨١٠، وتوفي ١٨٧٩، مستشرق فرنسي، وضع فهرس المخطوطات الشرقية الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس، أتم ترجمة «مقدمة ابن خلدون»، ونقلها إلى الفرنسية، وعني بنشر كتب عديدة.

□ قال في الترجمة (ص ١٠٧): «إن العرب أمةٌ تمتازُ بكثيرٍ من الصفات، ولها دينٌ جامعٌ شامل، لا يعيبه إلا من يجهله، وصاحب دينهم محمد الفقير، وقبل أن نعرف الدين يجب أن نعرف من أتى به، وحقاً أقول: ليس كمحمد في سلسلة الأنبياء، ولا كشرعته في سلسلة الشرائع، ولا نبالغ إذا قلنا: إن محمداً خير من أتى بشريعة، ولقد وقف في وجه الطغاة من قريش، حتى أتم ما أراد، وبلغ منتهى الطريق الذي سلكه وعمل له، وإذا به وبشريعته يتمتعان بذكرٍ عاطرٍ وحديثٍ حسن، وليس باستطاعتنا

أَنْ نُثِيرَ عَلَيْهِمَا غُبَارَ الْإِنْتِقَاصِ» .

* المسيو سيفتر دي ساسي الفرنسي :

وُلِدَ فِي بَلَدِهِ «سِيلُوم» ١٧٥٠ ، وَتُوفِيَ ١٨٣٨ ، مُسْتَشْرِقٌ فَرَنْسِيٌّ ،
أَنْشَأَ «الْجَمْعِيَّةَ الْأَسْيُويَّةَ الْفَرَنْسِيَّةَ» ، وَبَعَثَ فِي قُلُوبِ مَعَاصِرِهِ الْغَيْرَةِ عَلَى
الدُّرُوسِ الشَّرْقِيَّةِ - وَلَا سِيَّمَا الْعَرَبِيَّةِ - ، لَهُ الْمَوْلَفَاتُ الْعَدِيدَةُ فِي الشُّؤُونِ
الشَّرْقِيَّةِ .

□ قَالَ فِي كِتَابِهِ «الْحَيَاةُ» (ص ٢٦) : «لَسْتُ أَرَى بُدْأً مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ
الإِسْلَامَ جَامِعٌ مَانِعٌ ، وَفِيهِ التَّعَالِيمُ الْحَيَوِيَّةُ ، كَيْفَ لَا وَبَانِيهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
المُفَكِّرُ العَظِيمُ وَالفِيلَسُوفُ الكَبِيرُ^(١) ، وَدِينُهُ صَالِحٌ لِأَنَّ يَبْقَى وَلَا يَتَغَيَّرُ ، وَمِنْ
المَعْلُومِ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ مَعْرُوفًا مِنْذُ الصَّغَرِ بِالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ
وَالتَّوَاضُّعِ ، وَقَدْ عُرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ بَلِيغٌ فِي مَنْطِقِهِ ، سَدِيدٌ فِي رَأْيِهِ ، نَشِيطٌ فِي
دَعْوَتِهِ» .

* هِيلْيَار بِلُوكُ الْفَرَنْسِي :

الكاتبُ الفرنسيُّ الشَّهِيرُ ، وَالمُؤرِّخُ الكَبِيرُ ، وَوُلِدَ عَامَ ١٨١٥ ، وَتُوفِيَ
١٨٩٥ ، بَحَثَ أَدْيَانَ الشَّرْقِ ، لَهُ مَوْلَفَاتٌ «بُودَا الْهِنْدِي» وَ«مُحَمَّدُ وَالْقُرْآنُ» .
□ قَالَ فِي الْآخِرِ (ص ٣٧) : «إِنِّي أَقُولُ : إِنْ مَعْجَزَةٌ كَهَذِهِ مِنْ حَيْثُ
خَطَرُهَا وَبُعْدُ أَثَرِهَا وَعَظِيمُ نَتَائِجِهَا ، كَانَتْ مَسْوُوقَةً بِقُوَّةٍ لَا يُسْتَطَاعُ تَفْسِيرُهَا ،
وَإِنْ كَانَ مَا لَدِينَا مِنَ المَصَادِرِ وَالمُوثَاقِ يُسَاعِدُنَا عَلَى تَفْهَمِ الأسبابِ الَّتِي

(١) لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ ﷺ مُفَكِّرًا وَلَا فِيلَسُوفًا ، بَلْ كَانَ نَبِيًّا رَسُولًا .

جَعَلَتْهَا أَمْرًا وَاقِعًا مَنْظُورًا .

كانت الحركة دينية - ما في ذلك شك -، فلم يخرج العربُ من جزيرتهم للنَّهْبِ والسَّلْبِ، وإنما خرجوا لنشرِ الدينِ الجديد الذي جاء به محمدٌ، والتبشيرِ بالمثلِّ العليا التي نادى بها محمدٌ، والصفاتِ الجليلة التي دعا إليها محمدٌ.

* المسيو برتلمي هربلو الفرنسي :

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٦٩٥، وتُوفِّي ١٧٧٦، جَمَعَ المخطوطات العربية، ودرَّس اللغة العربية في باريس، له كتاب: «المكتبة الشرقية»، وهو معجمٌ جامعٌ لما في الشرق من فلسفةٍ وأدب.

□ قال فيه: «إنَّ اللغةَ العربيةَ هي أعظمُ اللغاتِ آدابًا، وأسمائها بلاغةٌ وفصاحةٌ، وهي لغة الضاد، ولقد تغنَّى محمدٌ نبيُّ الإسلامِ بما يدلُّ على شرفِ هذه اللغة بقوله: «أنا أفصحُ من نطق بالضاد»^(١)، وصحيح عنه ذلك لأن كلماته المأثورة تدلُّ عليه».

* الدكتور وايل الفرنسي :

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٨١٨، وتوفي ١٨٨٩، درَّس في باريس العربية والسريانية، اشتغل في الجزائر مدرِّسًا ومترجمًا، ترجم «أطباق الذهب» للزمخشري، وله «تاريخ الخلفاء».

□ قال في الأخير: «إنَّ محمدًا يستحقُّ كلَّ إعجابنا وتقديرنا كمُصلِح

(١) لا يصحُّ عن رسولنا ﷺ.

عظيم، بل ويستحقُّ أن يُطلقَ عليه أيضاً لقب «النبى»، ولا يُصغى إلى أقوالِ المُغرضين وآراءِ المتعصّبين، فإن محمداً عظيماً في دينه وفي شخصيته، وكلُّ مَنْ تحامل على محمديّ، فقد جهله وعمّطه حقّه.

* المسيو كوسان دي برسفال الفرنسي:

مستشرقٌ فرنسيّ، وكاتبٌ معروف، ومؤرّخ مشهور، وُلد في بلدته «لاتاي» عام ١٨٦٨، ألّف في العربية عدّة كتب، وله مؤلّفاتٌ بالفرنسية منها «تاريخ العرب».

□ قال فيه: «الذي ثبتّ عندي أن محمداً نبىّ العرب وُلد في ٢٠ آب سنة ٥٧٠م، ذلك الرجلُ الذي جاء إلى قومه بدينٍ جديد بعد أن توفّرت دواعي النبوة، وإن دينه خالٍ من الشكوك والأضاليل، وقد جاء بالمعجزاتِ دليلاً على دعوته المباركة، ثم سار لانتشارِ دينه القويم متحملاً من قومه الاضطهادَ المتزايد، ثم ارتحل إلى المدينة، وبعد فتح مكة عفا عنهم، فأمنوا به».

* العلامة ساديو لويس الفرنسي:

وُلد في باريس عام ١٨٠٨، وتوفّي ١٨٧٥، له كتاب «تاريخ العرب».

□ قال فيه (ص ٣٧): «لم يكن محمداً نبىّ العرب بالرجل الفاتح للعرب فحسب، بل للعالم - لو أنصفه الناس -؛ لأنه لم يأتِ بدينٍ خاصٍّ بالعرب، وإن تعاليمه الجديرة بالتقدير والاعجاب تدلُّ على أنه عظيمٌ في دينه، عظيمٌ في أخلاقه، عظيمٌ في صفاته، وما أحوجنا إلى رجالٍ للعالم

أمثال محمدٍ نبيِّ المسلمين، وعلى العربِ خاصةً أن يحتفلوا لذكراه كلَّ عام؛ لأنه هو الذي رَفَعَهُم من حضيضِ الجهالة، وإذا هم أمةٌ لها شأنها في عِدَادِ الأُممِ الرَّاقِيَةِ»^(١).

* العلامَةُ لوزن الفرنسي :

وُلِدَ في بلدته «لورد» ١٧٨٦، وتُوفِيَ ١٨٣٧، وهو أستاذٌ في علوم الكيمياء والفلك.

□ قال في كتابه «اللَّه في السماء»: «لقد بُعثَ محمدٌ رسولاً إلى العرب، وعاشت بلادُ العربِ الأزمانَ الطويلةَ عاكفةً على عبادة الأصنام، وتوغَّلت في ذلك حتى احتاجت إلى انقلابٍ ديني عظيم».

□ إلى أن قال: «ولمَّا فتحَ محمدٌ مكة، جاء بيتَ الله - الكعبةَ - في احتفالٍ عظيم، وفيها ٣٦٠ صنماً، فكان محمدٌ يقفُ أمامَ كلِّ صنمٍ، ثم يضربُه بعصاه ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ثم يهوي إلى الأرض تحت أقدامه، وليس محمدٌ نبيَّ العرب وحدهم، بل هو أفضلُ نبيٍّ قال بوحدانيةِ الله، وإنَّ دينَ موسى - وإن كان من الأديان التي أساسُها الوحدانيةُ - إلَّا أنه كان قومياً محضاً وخاصاً بيني إسرائيل، وأما محمد، فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين - وهما الوحدانية والبعث -، وقد أعلنه لعموم البشر في أنحاء المسكونة، وإنه لَعَمَلٌ عَظِيمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْإِنْسَانِيَةِ جُمْلَةً وتفصيلاً عند مَنْ يُدْرِكُ معنى رسالةِ محمدٍ الذي

(١) تعظيم النبي ﷺ لا يكون بعصيانه، فلا نحتفل بميلاده كي نظهر له التعظيم، وإنما التعظيم في اتباعه فيما أمر، لا فيما نهى عنه.

اعتنق مبدأه وِعَمِلَ عَلَى رِسَالَتِهِ أَرْبَعُمِئَةِ مِليونٍ مِنَ النَّاسِ» .

□ إِلَى أَنْ يَقُولَ : «فِرْسُولٌ كَهَذَا الرَّسُولِ يَجْدُرُ بِاتِّبَاعِ رِسَالَتِهِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى اعْتِنَاقِ دَعْوَتِهِ ، إِذْ إِنَّهَا دَعْوَةٌ شَرِيفَةٌ ، قِوَامُهَا مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ ، وَالْحَثُّ عَلَى الْخَيْرِ ، وَالرَّدْعُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، بَلْ كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ يَرْمِي إِلَى الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَالصَّلَاحُ أَنْشُودَةُ الْمُؤْمِنِ ، هَذَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي أَدْعُو إِلَيْهِ جَمِيعَ النَّصَارَى» .

* الدكتور موريس أندارا الفرنسي :

مؤرِّخٌ كَبِيرٌ ، وَهُوَ عِدَّةٌ مَوْلَفَاتٍ ، وَوُلِدَ فِي بَلَدَتِهِ «يَلِي» ١٧٩٥ ، وَتُوفِّيَ ١٨٧٢ .

□ قَالَ فِي أَحَدِ مَوْلَفَاتِهِ ، وَهُوَ «الإنسان والحياة» (ص ١٣) : «إِنَّ مُحَمَّدًا يَرَى أَمْرَ الْحَيَاةِ جَسِيمًا ، وَيَرَى لِكُلِّ عَمَلٍ إِنْسَانِيٍّ - مَهْمَا حَقَّرَ - خَطَاةً كَبْرَى ، فَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ فَلَهُ السُّوءُ نَتِيجَةً أَبَدِيَّةً ، وَمَا كَانَ صَالِحًا فَلَهُ مِنَ الصَّلَاحِ ثَمَرَةٌ سَرْمَدِيَّةً ، وَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسْمُو بِصَالِحَاتِهِ لِأَعْلَى عِلِّيِّينَ ، وَيَهْبِطُ بِمُوبِقَاتِهِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ .

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَلْتَهَبُ فِي نَفْسِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْقَفْرِيِّ كَأَنَّمَا قَدْ نُقِشَ ثَمَّةٌ بِأَحْرَفِ النَّارِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى بَنِي قَوْمِهِ بِكَلِمَاتِ النُّورِ ، وَأَيُّ ثُوبٍ لَبَسَتْهُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ ، وَأَيُّ قَالِبٍ صَبَّتْ فِيهِ ، فَلَا تَزَالُ أَوْلَى الْحَقَائِقِ مَقْدَسَةً فِي أَيِّ أُسْلُوبٍ وَأَيِّ صُورَةٍ» .

* الميسو جان تورنون كرو الفرنسي :

مَسْتَشْرِقٌ فَرَنْسِيٌّ ، وَوُلِدَ فِي بَلَدِهِ «كِرَاي» ١٨٦٧ ، وَتُوفِّيَ ١٩٢٤ ، أَلْفٌ كِتَابًا أَسْمَاهُ «العرب» وَذَكَرَ فِيهِ وَقَائِعَ الْحَرْبِ الْعَامَةِ ، وَتَحَرَّى فِيهِ إِلَى أَقْصَى

درجات التحري .

□ قال في مقدمته: « إنَّ الله اصطفى محمداً لإرشادِ أمته، وعهد إليه هدمَ ديانتهم الكاذبة وإنارةِ أبصارهم بنورِ الحق، فأخذ من ذلك العهد يُنادي باسمِ الواحدِ الأحد، بحسبِ ما أوحى إليه، وبمقتضى عقيدته الراسخة» .

□ إلى أن قال: «وقد في نفسِ محمدٍ مجموعُ كتابٍ ملآنٍ بالأسرار الإلهية، وأوحى إليه مجموعةٌ حقائقٌ تجتازُ مسافةَ عقله الطبيعي، لذلك اللهُ علَّم الإنسانَ بالقلم، علَّمه ما لم يعلم . . هذا هو سرُّ الوحي، وهو سرُّ الكلمة المكتوبة، وكانت الكلمة المكتوبة حياً إلهياً» .

□ وقال (ص ٦٥) منه: «وفي نواحي سنة ٦١٠ للمسيح، بلغَ محمدٌ أشدَّه، فكان لا يقدرُ أن يتصورَ حالَ قومه بدون أن يتألَّم، وكان يرى أن أمراً ضرورياً ينقصُه وينقصُ قومه، وكان العربُ كلُّ قبيلةٍ منهم عاكفةٌ على صنمها، وكانوا يقولون بالجنِّ والأشباح والغيلان، ولكنهم كانوا في غفلةٍ عنها، وكانت هذه الغفلةُ هي الموت الروحي، وكان قلبُ محمدٍ قد خلا من كلِّ فكرٍ غيرِ الفكرِ بالله، وكان قد تجرَّد من كلِّ قوةٍ غيرِ هذه القوة، وكان ليس في نظره غيرُ واجبِ الوجودِ الأحدِ الصمد» .

□ إلى أن قال: «وأحبَّ محمدٌ في تلك الفترة العزلة، فكان يشعرُ في خلوته في جبل «حراء» بسرورٍ عميق، يتزايدُ يوماً فيوماً، فكان يقضي هناك الأسابيع، وليس معه إلا قليلٌ من الغذاء؛ لأن نفسه كانت تلتذُّ بالصوم والتهجد^(١) . . . إلى آخر ما كتب .

(١) ما عرف النبي ﷺ التهجد إلا بعد نزول الوحي إليه وعرف كيفية الصلاة والتهجد .

* المسيو ديته فنان الفرنسي :

مستشرق فرنسي جال في بلادِ الشرق عام ١٨٥٧ ، وقد وُلِدَ ١٨٢٣ ،
وتُوفِّيَ ١٨٧٩ ، له كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» .

□ قال فيه (ص ٢٩) : «إن القرآنَ الذي جاء به محمدٌ هو دونَ الكتبِ
المقدَّسةِ الأخرى، فهو الكتابُ الوحيدُ الذي يأمرُ بالرفقِ والإحسان» .

* البَحَاثَةُ كَاوَدُوْفُو الْفَرَنْسِي :

وُلِدَ عام ١٨٧٢ ، وتُوفِّيَ ١٩٣٣ في بلدته «ماريانا» ، وهو مستشرقٌ
عريقٌ بالأدب الفرنسي ، وقد اضطلع في «تاريخ العرب» ، فألَّفَ كتابًا اسمه
«العرب» .

□ جاء في مقدمته : «كان محمدٌ أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يكن
فيلسوفاً ، ولكنه لم يزل يُفكِّرُ في هذا الأمرِ إلى أن تكوَّنت في نفسه بطريق
الكشفِ التدريجي المستمرِّ عقيدةٌ كان يراها الكفيلةً بالقضاء على الوثنية^(١)
ومن المعروف عن محمد أنه مع أمته كان أرجحَ الناسِ عقلاً وأفضلهم
رأياً، دائمَ البشَرِ، مُطِيلَ الصمتِ، لِينَ الجانبِ، سَهْلَ الخلقِ، يُكثِرُ
الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللغوَ، يَسْتَوِي عنده في الحقِّ القريبُ والبعيدُ، والقويُّ
والضعيفُ، يُحِبُّ المساكينَ، لا يَحقرُ فقيراً لفقره، ولا يَهَابُ ملكاً لملكه،
يؤلِّفُ أصحابه ولا يُنفرهم، ويصابرُ من جالسه أو قاومه، ولا يَحيدُ عمن
صافحه حتى يكونَ الرجلُ هو المنصرفُ، يجلسُ على الأرضِ، ويخصِفُ

(١) إنها النبوة لا الكشف التدريجي .

النَّعْل، وَيُرْقَعُ الثَّوْبُ».

* البَحَاثَةُ لِيُونِ دُونِي الْفَرَنْسِي:

مَسْتَشْرَقٌ فَرَنْسِيٌّ كَبِيرٌ، وُلِدَ ١٨٤٥، وَتُوفِّيَ ١٩٠٨.

□ نقل «محمد فريد وجدي» في كتابه «الإسلام في عصر العلم» (ص ٣٦٧) من الجزء الأول قال: «لقد نقلت «المجلة الروحية» في جزئها الصادر في يوليو سنة (١٩٠٣) من مَلَخَّصِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا فِيلَسُوفُ الْإِسْبَرْتِزْمِ وَخَطْبِيهَا الْمَفُوهُ «ليون دوني» في غرفة الزراعة بباريس، تكلم الخُطِيبُ فِي أَثْنَاءِ الْخُطْبَةِ عَنْ وَظِيفَةِ رِجَالِ الْقَرَائِحِ الْكَبْرَى فِي الْعَالَمِ الْإِنْسَانِي، وَعَلَى مَكَانِهِمْ فِي هِدَايَةِ الْخَلْقِ، وَإِرْشَادِهِمْ».

□ ثم قالت المجلة: «المسيو «ليون دوني» استعرض أمام سامعيه كبار الوسطاء بين الملا الأعلى والناس، وهم الذين خلّد لنا التاريخ أسماءهم، وسرد أدلةً وحججاً استملاها من الحوادث ومن تفاصيل حياتهم، وذكر من أولئك: المسيح ومحمداً».

□ إلى أن قال: «إنَّ كلَّ الْعَامِلِينَ الْعِظَامِ عَلَى تَرْقِيَةِ النُّوعِ الْإِنْسَانِي، كَانَ يُوحَى إِلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ النَّيِّرَةِ، هَذِهِ الْخَاصِيَةُ كَانَتْ دَائِمًا الْمِدَّةَ لِلْقَرَائِحِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَهْدَبَةَ لِلْعَالَمِ، وَالْمُعَلِّمَةَ الْمُرْشِدَةَ لِلْأُمَّمِ وَالشُّعُوبِ» اهـ.

* الْفِيلَسُوفُ الْفَرَنْسِيُّ رُوجِيَه جَارُودِي:

أَشْهُرُ مَنْ أَنْصَفَ الْإِسْلَامَ فِي الْغَرْبِ فِي الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ الْفِيلَسُوفُ الْفَرَنْسِيُّ رُوجِيَه جَارُودِي، الَّذِي كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُتَحَمِّسِينَ لِلشُّيُوعِيَّةِ وَالْفَلْسَفَةِ

الماركسية المادية، وأصيب بصدمة بعدما اكتشف زَيْفَ الشيوعية بدايةً من عام ١٩٥٦ بعد أن كَشَفَ الرئيس الروسي «خرشوف» فضائح عهد «ستالين».

وبدأ جارودي - كمفكِّرٍ - رحلة الشكِّ بحثًا عن اليقين بدراسة الأديان، إلى أن توقَّفَ عند الإسلام لدراسته كدين وحضارة، وقارَنَ بينَ ما في القرآن من الإشاراتِ العِلْمِيَّةِ والاكتشافاتِ العِلْمِيَّةِ الحديثة.

□ وعَبَّرَ عن هذه المرحلةِ من حياته قائلاً: «كلِّمًا تعمَّقتُ في الدراسةِ والمقارنةِ، ازددتُ اقتناعاً بأن الإسلامَ هو الدينُ الذي أبحثُ عنه».

□ وأعلن «جارودي» إسلامه^(١) في شهر رمضان عام ١٩٨٢، وأصبح اسمه «رجاء جارودي»، وأصدر كتابه الشهير «وَعُودُ الْإِسْلَامِ»، فكان ذلك الكتابُ بدايةً حربٍ شعواءَ شُنَّتْ عليه من أكثرَ من جهة، خاصةً أنه قد أعلن في كتابه هذا «أنه لا توجدُ اليومَ أمةٌ تحملُ كلمةَ الله بأمانةٍ وصدقٍ غيرُ الأمةِ الإسلامية، ولا يوجدُ كتابٌ سماويٌّ يُمثِّلُ كلمةَ الله بحقٍّ - دون تحريفٍ - إلا القرآن، ولا أملٌ في إنقاذ الغربِ إلاَّ بأن يعترفَ بأنه مَدِينٌ لحضاراتٍ أخرى، ويغيِّرُ موقفه المعنَّتَ من الإسلام؛ لأن الغربَ الذي رَفَضَ رُوحانياتِ الإسلام هو اليومَ أحوجُّ ما يكونُ إليها، ورَفَضَ الغربُ عقيدةَ التوحيد، وغرَّقَ في المادةِ، فانتَهى به الأمرُ إلى خَوَاءِ رُوحِيٍّ وتمزُّقٍ بين الأيديولوجيات.. والإسلامُ ليس كُفْرًا - كما رَوَّجَ المُغرِضون القدامى في الحرب الصليبية -، وليس إرهابًا - كما يُصوِّره المُغرِضون الجدد... إنه الدينُ العمليُّ الذي يُقدِّمُ للإنسانَ نظامًا كاملاً شاملاً لحياةٍ إنسانيةٍ بكلِّ

(١) انظر «حول إسلام جارودي» جمعي وكتابي «أعلام وأقزام في ميزان الإسلام».

احتياجاتها، وليس مجرد عقيدة منعزلة عن دنيا الناس.

□ ويركز جارودي على أن الإسلام هو الدين الذي يعترف بالديانات السماوية، والمبدأ الذي قرره الرسول ﷺ سبق به الدعوة إلى حقوق الإنسان بقرون، وهو «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى»، فليس في الإسلام تمييز على أساس اللون أو الجنس.

□ وقد تولى «جارودي» في كتابه «وعود الإسلام» تنفيذ الاتهامات التي تردّد في الغرب ضدّ الإسلام.

□ ويقول «جارودي»: «إن الغرب غرق في الفردية، فلم يعد للأسرة ولا للصدقة ولا للأخوة الإنسانية وجود، وتحول الإنسان إلى ذئب أمام أخيه، بينما يعلم الرسول ﷺ المسلمين: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، و«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه»، و«كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»، و«المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً».

هذا هو دستور الإسلام لبناء مجتمع متماسك يصون حقوق أفراده.

□ ويحكي «جارودي» تجربة دخوله في الإسلام منذ بدايتها، فيقول: «بدأت إسلامي بالشهادتين، وهذا ركن الإسلام الأول، وبه يسلم الإنسان قلبه لله الواحد الخالق المدبر الجدير بالعبادة وحده دون شريك. . . ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومحمد ﷺ رسول الله المبعوث من الله للناس كافة. . . ووجدت في الصلاة تعبيراً جميلاً عن اتصال الإنسان بالله، وتشعر بعظمة الإسلام حين

ترى المسلمين وقد وَقَفُوا في وقتٍ واحدٍ صفوفًا منتظمةً متَّجهينَ إلى قِبلةٍ واحدةٍ، وقبلَ الصلاةِ يكونُ الوضوءُ - وهو نوعٌ من الطهارةِ الجسديةِ - تمهيداً للوقوفِ بين يَدَيِ اللَّهِ .

□ ويتحدَّثُ عن الزكاةِ فيقول: «إنها في الإسلام لا تُعتبرُ صدقةً.. بل هي حقٌّ معلومٌ للفقراءِ من أموالِ الأغنياءِ، والمالُ كُلُّهُ لِلَّهِ في مفهومِ الإسلامِ، فالزكاةُ وسيلةُ التكافلِ والتضامنِ الاجتماعيِّ في المجتمعِ الإسلاميِّ، تُزيلُ الحقدَ من نفوسِ الفقراءِ، كما تُزيلُ الجشعَ من نفوسِ الأغنياءِ.. أمَّا الحج، فإنه يجمعُ المسلمين في وقتٍ واحدٍ ومكانٍ واحدٍ أمامَ اللَّهِ بلا تمييزٍ طبقيٍّ، لِيُشعرَهُم بعظمةِ دينِهِم، ويُقويَ فيهِم الإحساسَ بالترابطِ، ويؤكدُ المساواةَ بين المسلمين أمامَ اللَّهِ».

□ وعن الاقتصادِ في الإسلامِ يقول: «إنه يقومُ على مبادئٍ، مثل: التوازنِ في توزيعِ الدخلِ، وتحريمِ الاحتكارِ، وجعلِ الملكيةِ الفرديةِ لصالحِ الفردِ والجماعةِ، واعتبارِ السوقِ وسيلةً وليس غايةً، وأهمُّ من كلِّ ذلك أن المسلمَ يجعلُ اللَّهِ أمامَ عينيه في كلِّ ما يقولُ وكلِّ ما يعملُ، ولا يَسمحُ لنفسه بأن يتعدَّى حدودَ اللَّهِ. أما في الغربِ فإن الهدفَ هو السَّعيُّ إلى المزيدِ من الربحِ، والمزيدِ من الإنتاجِ، والمزيدِ من الاستهلاكِ».

□ ويُعتبرُ «جارودي» أن وَضَعَ المرأةِ في الإسلامِ هو الوضعُ الأمثلُ، فقد رَفَعَ الظُّلْمَ عنها، وساوَى بينها وبين الرجلِ في الحقوقِ والواجباتِ.. وصانَ المرأةَ، وحافظَ على كرامتها.

□ ويُشيرُ إلى وضعِ المرأةِ في الغربِ على مدى العصورِ؛ فقد أباح

«سقراط» أن يُقرضَ الزوجُ زوجته لمن يشاء من أصدقائه، «وأفلاطون» قرَّرَ ضرورةَ شيوعِ النساءِ، أي: أن تكونَ كلُّ النساءِ لكلِّ الرجالِ، ولا يكونَ لرجلٍ امرأةٌ بعينها، والأبناءُ هم أبناءُ المجتمعِ!! .

□ وقد أعطى الإسلامُ للمرأةِ حقوقاً لأولِ مرةٍ، منها: حقُّ التملُّكِ، وجَعَلَ لها نصيباً في الميراثِ بعد أن كانت هي نفسها ضِمنَ التركة، وأعطاهَا حقَّ التعلُّمِ والعملِ واختيارِ الزوجِ وطلبِ الطلاقِ، وقرَّرَ الإسلامُ للمرأةِ حقوقاً بعد الطلاقِ، منها: النفقة، وحضانةُ الصغارِ.

□ ويسخرُ «جارودي» من زيادةِ الأطفالِ غيرِ الشرعيين في المجتمعاتِ الغربيةِ والتفاخرِ بحريةِ العلاقاتِ الجنسيةِ خارجِ الزواجِ، ويتساءل: «أيهما أفضلُ وأكثرُ حمايةً للمرأةِ وللأبناء: تعدُّدُ الزوجاتِ في إطارِ الشرعيةِ أو تعدُّدُ العلاقاتِ غيرِ الشرعيةِ؟!»^(١) .

□ ويتكلَّمُ «جارودي» عن الأفكارِ الرائجةِ في الغربِ التي تدفَعُ الشبابَ إلى الإحباطِ واليأسِ، ويشعرون - كما قال فلاسفةُ الوجوديةِ - بأن الحياةَ ليست سوى جحيمٍ، وأن الآخرين هم أيضاً جحيمٍ، وأن الإنسانَ يسيرُ في حياته - بعينٍ مُغمضةٍ - نحوَ هاويةٍ لا بد منها، ومن هؤلاء من حصلَ على جائزةِ نوبلٍ أو رُشِّحَ لها، ولهم تلاميذُ كثيرون اعتنقوا أفكارهم، ويتجرَّأ أحدهم إلى حدِّ إعلانِ موتِ الله، كما فعل الفيلسوفُ الألماني «نيتشه» من قبلُ، وبعضهم يصفُ الإنسانَ بأنه مجردُ دُميةٍ على مسرحِ العرائسِ الذي نُسميه الحياةَ! .

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص ٢٢١-٢٢٥) باختصار.

□ يقول «جارودي»: «كيف أصف هؤلاء المفكرين والكتّاب؟ إنهم سفّاحو الثقافة والفكر، بينما عقيدة الإسلام قادرة على إعطاء الأمل للإنسان، وشحذ عزمته، وإرشاده إلى طريق الخير والفضيلة، ووعود الإسلام بالحساب في الآخرة ثواباً أو عقاباً تكفي لإعطاء الحياة أعظم المعاني».

ويدعو «جارودي» مفكري الغرب إلى تفهم الإسلام، وأن يتعلموا كيف يمكنهم الوصول إلى الروح - روح الإسلام -، وحينئذ سوف تمتلئ نفوسهم بالأمل في الحياة وما بعد الحياة.

□ وفي نفس الوقت يدعو «جارودي» المسلمين إلى أن يتحركوا ويجددوا حياتهم في ظل الإسلام، وألا يستسلموا للجمود ويقعوا في عبادة الماضي، ويستشهد على ذلك بعبارة بليغة لمفكر فرنسي شهير هو «جورس» الذي قال: «إن إخلاص المرء لأجداده لا يكون بالإبقاء على رماد المدفأة التي كانوا يستعملونها... بل بإذكاء جذوة النار فيها».

□ وفي محاضرة شهيرة في جامعة الأزهر في مارس ١٩٨٣، بدأ «روجه جارودي» حديثه بعبارات قاطعة فقال: «إن الإسلام اليوم هو الدين الذي ما زال في حالة تقدم مستمر، وإن كان قد أصاب المسلمين الضعف في القرن الثامن في الأندلس، إلا أن الإسلام ما زال ينتشر في آسيا، والهند، وأندونيسيا، وفي أماكن أبعد مثل ماليزيا، وبورما، وتايلاند، والصين، وكوريا، واليابان، وفي الفترة التي وقف فيها «عبدالناصر» في مواجهة الغرب حدث اندحار للاستعمار في أفريقيا، وتحرر كثير من الدول، وأصبحت القارة الإفريقية بأكملها في سبيلها لأن تكون قارة إسلامية، كما

وصلت هذه الموجة أيضاً إلى الولايات المتحدة وآسيا الوسطى . . وهكذا فإنَّ هناك صورةً جديدةً للإسلام بدأت في الظهور تُكْمِلُ نَهْضَتَهُ وتَفْتَحُهُ حتى في البلاد التي تَسُوْدُهَا الضغوطُ السوفيتية، وعندما تتفجَّرُ هذه الآفاق سيظهرُ للعالم أنَّ الإسلامَ حيٌّ يستطيعُ مواجهةَ تحدياتِ القرن، كما استجاب في الماضي لمتطلَّباتِ عصورٍ ومجتمعاتٍ عديدة» .

وانتشارُ الإسلام - في رأي جارودي - هو ردُّ فعلٍ لطغيانِ الغرب . . فالغربُ يسيطرُ على العالمِ بدونِ شريكٍ منذ خمسةِ قرون، وفَرَضَ نمودجَه الحضاريَّ والثقافي، والنمودجُ الغربيُّ للتنميةِ قائمٌ على نهبِ الثرواتِ الماديةِ البشريةِ التي تمتلكُها الشعوبُ الأخرى، مع أن شعوبَ الغربِ تعادلُ خُمسَ سَكَّانِ الكرةِ الأرضيةِ فقط، والغربُ ينتجُ أيَّ شيءٍ بكمياتٍ كبيرة، سواءً كانت مفيدةً أم ضارةً أم قاتلةً، مثلَ الأسلحةِ المدمِّرةِ التي تُعدُّ سوقاً رائجةً يعتمدُ عليها الغربُ في تحقيقِ الرخاءِ الذي يَنعمُ به حالياً .

وذلك النمودجُ المخيفُ للتنميةِ يكشفُ طبيعتهِ الانتحاريةِ، ففي عام ١٩٨٢ مثلاً بَلَغَ الإنفاقُ على الأسلحةِ ٦٥٠ مليار دولار، وكان لكلِّ فردٍ في العالمِ ما يُوازي أربعةَ أطنانٍ من المتفجِّراتِ التقليدية، وأصبح من الممكنِ نظرياً تدميرُ كلِّ أثرٍ للحياةِ في هذه الأرض، وذلك الاحتمالُ - وإن كان بعيدَ الوقوع - إلاَّ أنه يَحْدُثُ لأولِ مرةٍ في تاريخِ البشرية، أي منذ ثلاثةِ ملايين سنةٍ على الأقل! بينما تشيرُ إحصاءاتُ الأممِ المتحدةِ عن نفسِ العامِ (١٩٨٢) إلى أن الذين ماتوا جوعاً بلغوا ٥٠ مليون إنسانٍ في العالمِ الثالث، ولا يمكنُ تخيلُ صورةٍ أشعَ من هذه الصورةِ التي وَصَلَ إليه العالمُ بعد خمسةِ قرونٍ من الحضارةِ والتقدُّمِ - كما يقولون في الغرب . .

❑ ويرصد «جارودي» كتابات في الغرب أتجهت إلى إنصاف الإسلام ومحاولة فهمه، ويقول: «إن هذه الكتابات كانت في ألمانيا فقط؛ لأنها لم تستعمر بلاد المسلمين كما فعلت بريطانيا وفرنسا، وهذا ما جعل المفكر «هيردر» (١٧٤٤ - ١٨٠٣) يعترف بأن العرب هم «أساتذة أوروبا»؛ فنجد «فردريك شليجل» يُشيدُ بالفنون الشرقية الإسلامية، والشاعر الألماني الكبير «جوته» الذي كتب عام ١٧٧٤ قصيدة في تمجيد محمد ﷺ، ودعا في كتابه «الديوان الشرقي» إلى الهجرة إلى الشرق لينهل الغرب منه شباباً جديداً، وقد أعجب «جوته» بالشعراء الصوفيين الكبار أمثال ابن الرومي، وحافظ الشيرازي، والسعدي، وكان المستشرق «سلفستر دي ساسي» قد ترجم بعض أشعارهم، كما كان «جوته» أول من قال في الغرب: «إذا كان الإسلام يعني التسليم لله، فإننا جميعاً نعيش ونموت على الإسلام».

وأبدى الفيلسوف الألماني «هيغل» تقديره للإسلام؛ لأنَّ الله الواحد الأحد في الدين الإسلامي يُحرِّم التمييز العرقي والطائفي، ويحرِّم استعلاء طبقة على أساس الملكية وحدها، ويُعوِّد المسلمين الدقة في حياتهم بفروض أهمها الصوم والصلاة والزكاة.

❑ وكان الفيلسوف الألماني: «أوزوالد شبلنجر» أكثر جرأة في إنصافه للإسلام في كتابه الشهير «سقوط الغرب» عام ١٩١٧، حيث قال: «لم يكن لغز النجاح الخارق للإسلام بسبب اندفاعه الحربي؛ ولكن لأنه استوعب كل الديانات».

❑ أين هذا من نظرة الاستعلاء والصلف عند الصليبي «لورانس العرب» - رجل المخابرات البريطانية - الذي يقول في كتابه «أعمدة الحكمة

السبعة»: «إن جميع ولايات الإمبراطورية العثمانية لم تكن تُساوي - في نظري - حياة إنسان بريطاني واحد»؟! .

□ ويعارض «جارودي» التيار الغربي الذي يتهم الإسلام بأنه دين ينتمي إلى الماضي، فيقول: «إن الإسلام قوة روحية عظيمة للإصلاح والتقدم في المستقبل كما كان دائماً» .

□ ولما دوى صوت «جارودي» في الغرب دفاعاً عن الإسلام، تحمّل بسبب ذلك الكثير من الاضطهاد والمطاردة إلى حدّ محاكمته والتهديد بسجنه .

* الدكتور جرينيه :

□ قال الرحالة السيد «محمود سالم» في مقال له نُشر في مجلة «المنار»، مجلد ١٤ (ص ٥١٨): «قصدتُ في سياحاتي مدينة «بونتارليه» لمقابلة الدكتور «جرينيه» المسلم الفرنسي الشهير، الذي كان في السابق عضواً في مجلس النواب، قابلته لأجل أن أسأله عن سبب إسلامه، فقال: «إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستُها من صغري وأعلمها جيداً، فوجدتُ هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمتُ لأنني تيقنتُ أن محمداً ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون معلماً أو مدرساً من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً كما قارنت أنا، لأسلم بلا شك . . إن كان عاقلاً خالياً من الأمراض»^(١) .

(١) «أوروبا والإسلام» للشيخ د. عبدالحليم محمود (ص ٨٧-٨٨).

ومن أمريكا

* الدكتور ليتنز الأمريكي :

□ قال في موضوع له في مجلة «المقتطف» - المجلد الخامس - الجزء ٤ ،
عَرَبَهُ الأستاذ «وليم باسيلا» المصري : «إِنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ، وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ،
وَمَرَّةً أَوْحَى إِلَيْهِ وَحْيًا شَدِيدَ الْمَوَازِينَةِ؛ لِأَنَّهُ أَدَارَ وَجْهَهُ عَنِ رَجُلٍ فَقِيرٍ
أَعْمَى، لِيُخَاطَبَ رَجُلًا غَنِيًّا مِنْ ذَوِي النَفُودِ، وَقَدْ نَشَرَ ذَلِكَ الْوَحْيُ، فَلَوْ
كَانَ كَمَا يَقُولُ أَغْيَاءُ النَّصَارَى بِحَقِّهِ، لَمَا كَانَ لَذَلِكَ الْوَحْيِ مِنْ وَجُودِ،
وَلَتَرَكْتَهُ الْعَصُورُ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهِ أَنْقَاضًا» .

* أندرا وليامس الأمريكي :

□ مستشرق أمريكي ، قال في كتابه «أميركي في البلاد العربية»
- تعريب عمر أبو النصر - : «قد يكون اسم «محمد» أكثر الأسماء شيوعاً في
العالم، وأشهر من حمل هذا الاسم على الإطلاق عربي أبصر النور في قرية
ناحية من أرض الجزيرة العربية - وهي «مكة» - عام (٥٧١) للميلاد، إليه
أوحى الله كلمته فأجراها في كتاب، ونشرها بين الناس، ودعا أصحابه
للإيمان بالإله الواحد رباً، وبمحمد بن عبد الله رسولاً، وبالعامل الصالح
والنهي عن المنكر قبلةً ومُصلًى، وأذنت حياته بمغيب في الثالثة والثلاثين بعد
الستمئة من البلاد، تاركاً لقومه ديناً جديداً، وكتاباً منزلاً، ورسالةً ضخمةً
لنشر الدين وإقامة الحضارة، ولقد دعا محمد في عهده إلى أخوية جديدة،
أخوية المسلم لأخيه المسلم، لا فرق بين أولٍ وآخر، سواءً أكان أميراً أم عبداً
إلاً بالعمل الصالح والخير والإحسان، ثم أرسل قومه بعد هذا لغزو العالم،

وتوحيد الأرض في صعيد واحد، فإذا تَقَطَّعت سنواتٌ بعد وفاته، نجدُ الإسلامَ ينتقلُ من نصرٍ إلى نصرٍ، ومن فتحٍ إلى فتحٍ، وإذا هو يضمُّ العالمَ المعروفَ في عهده إلى سلطانه، وإذا به يجمعُ بين الشرق والغرب».

* العلامة واشنطن إروينك الأمريكي :

□ قال في محاضرة ألقاها في حفل ميلاد الرسول ﷺ في «ديترويت» سنة ١٩٣٤ - نقلاً عن مجلة «الرفيق»، المجلد الثالث العدد الرابع -: «لم يكن محمدٌ محبباً للدنيا قط، وقد لقي من الاستهزاء من قومه والإهانات، حتى اضطرَّ إلى الهرب، ولم يكن في نظره إلا تقويم دينه، وكانت له آراءٌ عالية، واعتقادٌ حسنٌ بربه، ويقينٌ بشريعته فوق يقين أي رسولٍ من الرسل، ويدلُّنا على ذلك قوله: «لو وَضَعُوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أن أترك هذا الأمرَ، ما تركته»^(١) . . .».

* هارون ماركوس الأمريكي :

وُلد ١٨١٢، وتُوفي ١٨٨٧ . . دكتور بالفلسفة .

□ قال في كتابه «حياة محمد نبي المسلمين»: «تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا نُصِفُ بها الإسلامَ الحنيف، ونبيَّه العظيمَ محمداً، ولنجعلَ موضوعنا اليومَ «الحكومة الإسلامية في صدر الإسلام»، ولنستعرضَ تنظيماتها في عهدِ سيِّدها وزعيمها وقائدها - ذلك الرسولِ الكريمِ -، لنبيِّنَ أن الصحابةَ والخلفاءَ وقادةَ الإسلامِ، كانوا يقومون بواجباتهم بكلِّ أمانةٍ ودقَّةٍ وفقاً للشريعة الغراءِ التي جاء بها محمد، لم يكن في فجرِ الإسلامِ شيعٌ ولا

(١) هذا اللفظ ضعيف .

أحزاب، بل على العكس من ذلك، كانت الحكومة الإسلامية تُمثلُ جميعَ المسلمين تمثيلاً صحيحاً، وهي عبارة عن هيئةٍ منظّمةٍ مشتركةٍ، تنطقُ بحقٍّ، بلسانِ كافةِ المسلمين، كلُّ مسلمٍ يَشُدُّ أزرَ أخيه المسلم، ويشعرُ بأنَّ من الحقِّ والواجبِ عليه أن يتوجَّعَ لوجعه، وكان عدلُ محمدٍ منتشرًا بين المسلمين».

□ إلى أن قال: «فقد كان محمدٌ زعيماً وقائداً سياسياً بما في أسمي معاني الزعامة السياسية من معنى وسيادة، هذه كانت تتجلَّى في أروع المظاهر التي عرفها بنو الإنسان، وخلِّقُ بي - وأنا في صدرِ الكلام من الزعامة السياسية - أن أدحضَ فريةً وأردَّ بهتاناً، لا يزالانِ عالِقينِ في أذهانِ قاصري العقول، الذين لا يملكون ذرةً من حصافةِ الرأي، وتلك الفريةُ وذلك البهتانُ هما ما يُردِّدهُ أولئك الأغبياءُ، الذين يزعمون أن لا علاقةَ بين الدين والسياسة، وأن لا رابطةَ تربطُ أحدهما بالآخر!! إنَّ من الخطأ أن يظنَّ ظانٌ هذا».

* جورج دي تولدز الأمريكي:

□ وُلِدَ في «شيكاغو» ١٨١٥، وتُوفِيَ ١٨٩٧، كان رئيسَ بنكِها التجاري، وله مؤلِّفاتٌ عديدةٌ استعرض فيها عادات العرب، ومنها كتاب «الحياة»، قال فيه: «إنَّ من الظُّلمِ الفادحِ أن نَعْمِطَ حقَّ محمدٍ - والعربُ على ما علمناهم من التوحُّشِ قبلَ بعثته -، ثم كيف تبدَّلتِ الحالةُ بعدَ إعلانِ نبوتِهِ، وما أورثته الديانةُ الإسلاميةُ من النورِ في قلوبِ الملايين من الذين اعتنقوها بكلِّ شوقٍ وإعجابٍ من الفضائل، لذا فإنَّ الشكَّ في بعثته محمدٍ إنما هو شكٌّ في القُدرةِ الإلهيةِ التي تشتملُ الكائناتِ جمعاءً».

* المؤرخ الكبير المستر أورينج الأمريكي :

□ قال في أول كتابه «الحياة والإسلام» : «كان النبيُّ لأخيراً بسيطاً خلوقاً، ومفكراً عظيماً، ذا آراءٍ عالية، وإنَّ أحاديثه القصيرة جميلة ذاتُ معانٍ كبيرة، فهو إذاً مقدَّسٌ كريم» .

* المستر ستلي لبن بول الأمريكي :

وُلد في بلدته «لاكاسا» ١٨٨٠ .

□ قال في كتابه «أقوال محمد» : «كان محمدٌ رؤوفاً شفيقاً، يعودُ المريضَ، ويزورُ الفقيرَ، ويُجيبُ دعواتِ العبيدِ الأرقاءِ، وقد كان يُصلحُ ثيابه بيده، فهو إذاً لا شك نبيُّ مقدَّس، نشأ كيتيمٍ معوزٍ حتى صار فاتحاً عظيماً» .

* العلامة ماكس الأمريكي :

مستشرق، ولد في «غرونلندا» ١٧٩٥، وتوفي ١٨٦٨، وله مؤلفاتٌ قصيصةٌ وكتابُ «عظماء الشرق» .

□ قال فيه (ص ٩٣) : «لقد نفذت روح الإسلام من محمدٍ رسولِ الله إلى المسلمين، إلى الهداة والصالحين، وإنَّ هذه الروح القوية حدثت بالنبيِّ إلى الهجرة من مكة إلى المدينة، بينما كان أعداؤه من المشركين يجدون في البحثِ عنه ليؤذوه، بل ليذيقوه ربَّ المنون، ومن الغريب أن أعداء النبيِّ لم يُقنعوا أنفسهم بتركِ مكة، بل تعقبوه في هجرته، وهناك ضربوا على نزله سِياجاً من الحِيطةِ لأجل القبضِ عليه، ولكنَّ روح الإسلام الدفينة في أعماقِ الهمة، ألهمته أن يتناول قبضةً من ترابٍ، فتناولها ورمى بها عليهم،

فأخذتهم سِنَّةً مِنَ النُّومِ، تَمَكَّنَ خَلَالَهَا النَّبِيُّ مِنَ النِّجَاةِ مِنْهُمْ فِي الصَّحْرَاءِ حَيْثُ اخْتَفَى فِي غَارٍ هُنَاكَ، وَلَا تَقُلْ: إِنْ اخْتَفَاهُ فِي الْغَارِ يَحُولُ دُونَ هَلَاكِهِ وَحَتْفِهِ، وَلَكِنَّ الْإِسْلَامَ وَمَا فِي ثَنَائِهِ مِنْ رُوحَانِيَّةٍ وَقُوَّةٍ، جَعَلَ الْحَمَامَ بَيِّضٌ عَلَى بَابِ الْغَارِ^(١)، وَلَمَّا أَفَاقَ أَعْدَاؤُهُ مِنْ غَشْيَانِهِمْ تَبَعُوا أَثَرَهُ إِلَى الْغَارِ، وَأَخَذْتَهُمْ هَوَاجِسُ الظَّنِّ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ النَّبِيَّ لَا يُمَكِّنُ بِأَيِّ حَالٍ أَنْ يَكُونَ فِي الْغَارِ، فَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُؤْمِنَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَشَاهِدَ بِسَهُولَةِ يَدِ اللَّهِ الْمَحْرُكَةَ لِلْكَائِنَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْصِرَهَا الْعَيْنُ الْمَجْرَدَةُ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَمَا أُحِيطَتْ حَيَاةُ النَّبِيِّ مِنْ يَدِ الْعَدْوَانِ بِرِعَايَةِ الطَّيْرِ الَّذِي انْدَفَعَ إِلَى حِمَايَةِ مُحَمَّدٍ بِيَدِ الْإِلَهِ الْخَافِيَةِ عَنِ الْأَبْصَارِ».

* الْمَسْتَرُ سِنَكْسُ الْأَمْرِيكِيِّ:

مَسْتَشْرِقٌ أَمْرِيكِيٌّ، وُلِدَ فِي بَلَدْتِهِ «بَالَاي» عَامَ ١٨٣١، وَتُوفِيَ ١٨٨٣، لَهُ كِتَابٌ «دِيَانَةُ الْعَرَبِ».

□ قَالَ فِي مَقْدَمَتِهِ: «ظَهَرَ مُحَمَّدٌ بَعْدَ الْمَسِيحِ بِخَمْسِمِئَةٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ وَظِيفَتُهُ تَرْقِيَّةَ عُقُولِ الْبَشَرِ، بِإِشْرَابِهَا الْأَصُولَ الْأُولِيَّةَ لِلْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَبِإِرْجَاعِهَا إِلَى الْإِعْتِقَادِ بِإِلَهِ وَاحِدٍ، وَبِحَيَاةٍ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ».

□ إِلَى أَنْ قَالَ: «إِنَّ الْفِكْرَةَ الدِّينِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، أَحْدَثَتْ رُقِيًّا كَبِيرًا جَدًّا فِي الْعَالَمِ، وَخَلَّصَتْ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ مِنْ قِيودِهِ الثَّقِيلَةِ، الَّتِي كَانَتْ تَأْسِرُهُ حَوْلَ الْهِيَاطِ بَيْنَ يَدَيْ الْكُفْهَانِ، وَلَقَدْ تَوَصَّلَ مُحَمَّدٌ بِمَحْوِهِ كُلِّ صُورَةٍ فِي الْمَعَابِدِ وَإِبْطَالِهِ كُلِّ تَمَثِيلٍ لذَاتِ الْخَالِقِ الْمَطْلُوقِ: إِلَى تَخْلِيصِ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْ عَقِيدَةِ التَّجْسِيدِ الْغَلِيظَةِ».

(١) الْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِي قِصَّةِ الْعَنْكَبُوتِ وَالْحَمَامَتَيْنِ لَا يَصِحُّ.

* الدكتور بيروودج الأمريكي :

□ رئيس الجامعة الأمريكية في لبنان، وقد احتفل شباب الجامعة المسلمون بعيد ميلاد «محمد» ﷺ عام ١٩٢٣، قال فيها - نقلاً عن مجلة «العرفان»، المجلد الثالث والثلاثين، العدد السابع -: «إنكم تجتمعون اليوم - مُحْتَفِلِينَ بِمَوْلِدِ مُصْلِحٍ عَظِيمٍ، أَلَّا وَهُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَتَشَرَّبُوا مِنْ رُوحِ الإِصْلَاحِ الَّذِي يَحْمِلُهُ مُحَمَّدٌ، فَتَخْرُجُوا لِإِصْلَاحِ مَجْتَمَعِ مِلْؤُهُ الْجَهْلُ وَالْاضْطْرَابُ؟!».

* المؤرخ إريك بنتام الأمريكي :

مبشّر مسيحي، أفق فترةً طويلةً في أعمال التبشير في الشرق الأوسط، له كتاب «الوصول إلى الإسلام»، وقد حاول فيه أن يردّ بطريقةٍ غير مباشرةٍ المصاعب التي تُواجهها بعثات التبشير في عالم الإسلام، وحاول المؤلف فيه أيضاً أن يشرح لقرائه كيف أن الإسلام وتعاليم الرسول الكريم محمد ﷺ قد تأصلت في نفوس المسلمين، وخلقت فيهم مناعةً ضدّ قبول المذاهب الدينية المسيحية التي تولّى صاحبنا المؤلف الدعوة إليها في أوساط المسلمين.

□ ولقد قال - بعد بيانٍ مُسهّبٍ في الموضوع السابق -: «إنّ الخلافَ الجوهريَّ بين الإسلام والمسيحية يعودُ إلى أن الإسلام لا يرضى بأن يُشركَ مع ربّه أحداً، فنظرية «الثالوث المقدس» التي يستندُ إليها دعاةُ المسيحية بين الإسلام، لا تجدُ أيَّ صدقٍ بين الجماعات الإسلامية مهما كانت عليه هذه الجماعات من جهل أو معرفة».

□ ثم قال: «هذا الاعتقادُ بين المسلمين من أهمِّ الأمور التي سبَّبت فشل الدعوة المسيحية في العالم الإسلامي».

ثم استعرض موجز العقيدة الإسلامية، وأثنى على صاحبها محمد ﷺ بما لم يسبق إليه أحد.

ومن سويسرا

* الدكتور بندلي جوزي السويسري:

وُلِدَ في بلدته «لوزان» (١٨٠٣م)، وتوفي في (١٨٨٣م).

□ قال في كتابه «الجاهلية والإسلام» (ص ٢٣): «إننا لو بَحَثْنَا عمَّا تمَّ على يدِ النبيِّ الأمِّيِّ محمدٍ من الإصلاح، لَمَّا استطعنا أن نُنكرَ أنه قام بأكثرِ وعوده، وحقَّقَ قِسْمًا كبيرًا من أمانيه، ولو قُدِّرَ له أن يعيشَ أكثرَ مما عاش، لكان الإصلاحُ الذي أدخله على حياةِ الأمةِ العربيةِ أتمَّ وأوسعَ، ومع ذلك فإنَّ عمَلَه الذي عمَلَه في هذه السنينِ القلائِلِ التي قضاها في المدينة بين الحروبِ والمنافساتِ الشخصيةِ والدسائسِ والحربِ والمكرِ والنفاقِ، لهو شيءٌ عظيمٌ لا يُنكرُهُ إلاَّ مكابرٌ عنيدٌ، أو متصبُّ أعمى».

* المستر هربرت وايل السويسري:

□ قال في كتابه «المعلِّم الأكبر»: «ظهر محمدٌ، فأزال كلَّ الأوهامِ، وحرَّم عبادةَ الأصنامِ، فهو الذي أرشَدَ أهلَ الضلالِ إلى الصراطِ المستقيمِ، ورفَّعَ عن كاهلِ العربِ كابوسَ الجاهليةِ، وأخرجهم إلى حيِّزِ الرُّقيِّ من الجهلِ المسيطر».

* المسيو حنا دا كنبرت السويسري:

وُلد في بلدته «لاون» التابعة لمدينة «لوزان» ١٨٣٦، وتُوفِّي ١٩١٢.
 □ قال في كتابه «محمد والإسلام»: «كَلَّمَا ازداد الباحثُ تنقيباً في الحقائق التاريخية الوثيقة المصادرِ فيما يخصُّ الشمائلَ المحمّدية، ازداد احتقاراً لأعداءِ محمدٍ - مثل: ماركس، وبريدر، وشلجل، وغيرهم - الذين أشرَعوا أَسِنَّةَ الطعنِ في محمدٍ قبلَ أن يعرفوه، ونسبوا إليه ما لا يجوزُ أن يُنسبَ إلى رجلٍ حقيرٍ فضلاً عن رجلٍ كمحمدٍ الذي يُحدِّثنا التاريخُ عنه أنه رجلٌ عظيم».

* المسيو ميسمر السويسري:

وُلد في جنيف ١٨٢٧، وتُوفِّي في ١٨٩٨.
 □ قال في كتابه «الإسلام في الشرق»: «لقد نجح صاحبُ الشريعة الإسلامية».. إلى أن قال: «وعند الفلاسفة المحققين أن الرجالَ أولي العظمة الذين تبقي أعمالهم على مدى الدهر، هم من أهل النباهة الكبرى الذين يجيئون لإصلاح العالم، وشفاء عصرهم من مرضه، وما فعله محمدٌ هو أنه لمَّا رأى ضلالَ الناس في معرفة الخليقة، عزم على إرشادها، وتطبيق قوانين الطبيعة على أمورِ العالم، بقدر ما كان معروفاً في ذلك الوقت، لذلك أعلن الوحدة الإلهية، بدلاً من الخرافات التي مقتضاها تثليثُ إلهٍ وجعله مركباً من «الأب والابن وروح القدس»، فالوحدانية هي أساسُ دينِ الإسلام، وسببُ نُصرةِ محمدٍ».

* المسيو سيدللو السويسري :

وُلِدَ فِي «كُونْتاي» ١٨٨٧ .

□ قال في كتابه «تاريخ العرب» - الطبعة الثانية عام ١٨٧٧ الجزء الأول (ص ٥٨) :- «وَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدٌ مِنَ الْعَمْرِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً، اسْتَحَقَّ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ مَعَ النَّاسِ أَنْ يُلقَّبَ بِـ «الْأَمِينِ»، ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ حَتَّى نَادَى بِالرِّسَالَةِ وَدَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهَا، فَعَارِضُوهُ أَشَدَّ مَعَارِضَةً، وَلَكِنْ سَرَّعَانَ مَا لَبَّوْا دَعْوَتَهُ وَنَاصَرُوهُ، وَمَا زَالَ فِي قَوْمِهِ يَعْطِفُ عَلَى الصَّغِيرِ وَيَحْنُو عَلَى الْكَبِيرِ، وَيَفِيضُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَمَلِهِ وَأَخْلَاقِهِ» .

* ر. ف : بودلي السويسري :

□ قال في كتابه «حياة محمد» المترجم إلى العربية - تعريب محمد فرج وعبد الحميد جودة (ص ٦) : «إِنَّا لَا نَجِدُ مَا دَوَّنَهُ مَعَاصِرُ مُوسَى أَوْ كُونْفوشيوس أَوْ بُوذا، وَلَا نَعْرِفُ إِلَّا شَذَرَاتٍ عَنِ حَيَاةِ الْمَسِيحِ بَعْدَ رِسَالَتِهِ، وَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الثَّلَاثِينَ سَنَةً الَّتِي مَهَّدَتِ الطَّرِيقَ لِلسَّنَوَاتِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي بَلَغَ بِهَا أَوْجَهُ، وَلَكِنَّا نَجِدُ أَنَّ قِصَّةَ مُحَمَّدٍ وَاضِحَةٌ كُلَّ الْوَضُوحِ، فَفِي سِيرَةِ مُحَمَّدٍ نَجِدُ التَّارِيخَ بَدَلَ الظَّلَالِ وَالْعُمُوضِ، وَنَعْرِفُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ عَنِ مُحَمَّدٍ، كَمَا نَعْرِفُ ذَلِكَ عَنِ رِجَالٍ عَاشُوا فِي أَزْمَانٍ أَكْثَرَ قُرْبًا مِنْ زَمَانِنَا، وَمَا كَانَ تَارِيخُهُ الْخَارِجِيُّ وَشَبَابُهُ وَأَقْرَبَاؤُهُ وَعَادَاتُهُ خِرَافَةً مِنَ الْخِرَافَاتِ، وَلَا شَائِعَةً مِنَ الشَّائِعَاتِ، وَمَا كَانَ تَارِيخُهُ الدَّاخِلِيُّ بِرِوَايَةٍ مُبْهَمَةٍ لِمَبْشُرٍ غَامِضٍ أَوْ مَشْوِشٍ، فَبَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ كِتَابٌ مُعَاصِرٌ - وَهُوَ الْقُرْآنُ -، فَرِيدٌ فِي أَصَالَتِهِ وَفِي سَلَامَتِهِ» .

* العلامة ماكس فان برشم السويسري :

مستشرقٌ وُلد في «لوزان» ١٨٦٣ - وتُوفِّي ١٩٢١م، جالَ في بلاد الشرق، له عدَّةُ مؤلفات : منها «العرب في آسيا»، ومنها «الإنسان»، ومنها «مجموع الكتابات العربية القديمة»، وهو على جانبٍ عظيمٍ من الأهمية لمعرفة تاريخ الشرق العربي السياسي والثقافي .

□ قال في مقدمة «العرب في آسيا» : «إن محمداً نبيَّ العرب من أكبر مُريدي الخير للإنسانية، إنَّ ظهورَ محمدٍ للعالم أجمع إنما هو أثرٌ عقلٍ عالٍ وإنِ افتخرت آسيا بأبنائها، فيحقُّ لها أن تفتخرَ بهذا الرجل العظيم، إنَّ من الظلم الفادح أن نغمطَ حقَّ محمدٍ الذي جاء من بلاد العرب، وإليهم وهم على ما عَلِمناه من الحقد البغيض قبلَ بعثته، ثم كيف تبدَّلت أحوالهم الأخلاقية والاجتماعية والدينية بعد إعلانه النبوة، وبالجمله مهما ازداد المرء اطلاعاً على سيرته ودعوته إلى كلِّ من يرفعُ من مستوى الإنسان، إنه لا يجوزُ أن ينسبَ إلى محمدٍ ما ينقصُه، ويدركُ أسبابَ إعجابِ الملايين بهذا الرجل، ويعلمُ سببَ محبتهم إياه وتعظيمهم له» .

* العلامة فونالبس السويسري :

مستشرقٌ سويسري، وُلد عام ١٧٩٣، وتُوفِّي ١٨٦١، من أدباء القرن التاسع عشرَ، له عدَّةُ مقالاتٍ نُقل بعضها عنه كتاب «مجالى الغرر لكتاب القرن التاسع عشر» لجامعه «يوسف صغير» .

□ وقد قال في إحدى مقالاته : «أليس الإيمانُ هو المعجزةُ الحقَّةُ الدالَّةُ على الله؟ فشعورُ محمدٍ إذ اشتعلت رُوْحُه بلهيبِ هذه الحقيقةِ الساطعة بأن

الحقيقة المذكورة هي أهم ما يجب على الناس علمه، لم يكن إلاّ أمراً بديهياً.

□ إلى أن قال: «فحبّذا محمدٌ من رجلٍ خَشِنَ اللباسِ خَشِنِ الطعامِ، مجتهدٍ في الليل، قائمٍ النهار، ساهرٍ الليل، دَبَّ في نشرِ دينِ الله، غيرِ طامحٍ إلى ما يطمحُ إليه أصاغرُ الرجال من رُتبةٍ أو دولةٍ أو سلطان، غيرِ متطلّعٍ إلى ذِكرٍ أو شهرةٍ كيفما كانت، وإلاّ فما كان ملاقيًا من أولئك العرب الغلاظِ توقيراً واحتراماً وإكباراً وإعظاماً، وما كان يقودهم ويُعاشرهم معظمَ أوقاته مدّةً ثلاثٍ وعشرين سنةً وهم ملتفون به، يُقاتلون بين يديه ويُجاهدون حوله، لقد كان في هؤلاء العربِ جَفَاءٌ وغلظةٌ وبادرةٌ وعجرفة، وكانوا حُماةَ الأنوفِ، أباةَ الضيم، صِعبابَ الشكيمة، حتى قَدَرَ على رياضتهم وتذليلِ جانبهم، حتى رَضَخُوا له، فذلکم - وأيم الحق - بطلٌ كبير: ولولا ما أبصروا فيه من آياتِ النُّبْلِ والفضلِ لَمَا خَضَعُوا له ولَمَا أذَعَنُوا، كيف وقد كانوا أطوعَ إليه من بنانه؟ وظنّي أنه لو أُتِيحَ لهم بَدَلُ محمدٍ قيصراً من القياصرة بتاجه وصولجانه، لَمَا كان مصيباً من طاعتهم مثل ما ناله محمدٌ في ثوبه المرقّع بيده، فكَذَلِكَ تكونُ العَظْمَةُ، وهكذا تكونُ الأبطال».

□ ثم قال: «إن ما اتّصف به محمدٌ من محامدِ الصفات يُرِينَا فيه أخا الإنسانية الرحيم، أخانا جميعاً، وإني لأحبُّ محمداً لبراءةِ طبعه من الرياءِ والتصنع، ولقد كان ابنُ القِفَارِ، لا يقول إلاّ على نفسه، ولا يدّعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبراً، ولم يكن ذليلاً ضرعاً، فهو قائمٌ في ثوبه المرقّع كما أوجده الله وكما أراد، يخاطبُ بقوله الحرُّ المبينِ قياصرة الرومِ وأكاسرة

الفرس، ويُرشدهم إلى ما يجبُ عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة» .
* ومن سويسرا أيضاً :

إدوار مونته السويسري مدير جامعة «جنيف»، ولد ١٨١٠، ١٨٨٢ .
□ قال في كتابه : «المدنية الشرقية» (ص ٤٧) : «كان محمد نبياً بالمعنى الذي كان يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية، وأخذ يسعى لانتشال قومه من ديانة جافة لا اعتبار لها بالمرّة، ليخرجهم من حالة الأخلاق المنحطة كلّ الانحطاط، ولا يمكن أن يُشكَّ لا في إخلاصه، ولا في الحميّة الدينية التي كان قلبه مُفعماً بها» .

ومن كندا

* المستر جيبون الكندي :

المعاصر لأوائل القرن التاسع عشر، وقد وُلِدَ عام ١٧٧٣، وتُوفي عام ١٨٢٧م في بلدته «كيبك»، ألف كتاباً أسماه «محمد في الشرق» .

□ قال فيه (ص ١٧) : «إن دين محمد خالٍ من الشكوك والظنون، والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله، بعد أن نهى محمد عن عبادة الأصنام والكواكب، وبالجملة دين محمد أكبر من أن تدرك عقولنا الحالية أسرارَه، ومن يتهم محمداً أو دينه فإنما ذلك من سوء التدبر، أو بدافع العصبية، وخير ما في الإنسان أن يكون معتدلاً في آرائه، ومستقيماً في تصرفاته» .

* المستر داور أرلوهات الكندي :

وُلِدَ في «كيبك» عام ١٨٤٣، وتوفي عام ١٩٠٤، له كتاب «الإسلام

والعرب»، نُقل إلى اللغتين الفرنسية والعربية .

□ قال فيه : «إن محمداً الذي هُدمت لبعثته الأصنام، وتمزق لبوته رداءُ الجهل الذي كان كغشاوةٍ على أبصار العرب، قد أشرق قرأته بصقْعهم نوراً ياله من نور! وهو نورُ حكمة، وهو الذي أنزله على صدرِ نبيه المبعوثِ لا محالةٍ لإرشادِ البشر، واللَّه يعلمُ حيث يجعلُ رسالته» .

* الدكتور زويمر الكندي :

مستشرقٌ كندي، ولد عام ١٨١٣، وتوفي عام ١٩٠٠ .

□ قال في كتابه «الشرق وعاداته» (ص ٢٧): «إنَّ محمداً كان - ولا شك - من أعظم القوَّاد المسلمين الدينيين، ويصدقُ عليه القولُ أيضاً: إنه كان مصلحاً قديراً، وبليغاً فصيحاً، وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوزُ أن نُنسبَ إليه ما يُنافي هذه الصفات، وهذا قرأته الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء» .

ومن إسبانيا

* العلامة لبيار الأسباني :

وُلد ١٨٣٧، وتوفي عام ١٩٠٢، له عدَّةٌ مؤلفات، منها «الحياة والشرق» .

□ قال فيه : «كان محمداً - صاحبُ الرسالة الإسلامية - يجعلُ الحكمَ شورىً بينه وبين أصحابه، وقد جرى العلماءُ المسلمون على هذا النهج، وهم أقطابُ الدين وذادةُ الشرع، وما برحوا هكذا يتشاورون حتى اليوم» .

* الدكتور تور تو كرو الإسباني :

مستشرق إسباني، ولد في «أشبيليا» ١٨١٠، وتوفي عام ١٨٧٥.

□ قال في إحدى محاضراته - كما نقلت عنه مجلة «الهلال» العدد العاشر من المجلد الثالث :- «إن محمداً لم يَعْتَمِدْ في نبوته على المعجزات، وكانوا يقولون له: «إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا، فاعْمَلْ لَنَا مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ مَا هُوَ كَذَا وَكَذَا»، فكان يُجيبهم: «إِنْ رَسَلًا كَثِيرِينَ جَاؤُوا بِالْمَعْجَزَاتِ، وَكَذَّبَهُمُ الْبَشَرُ، وَأَنَا مَهْمَا جِئْتُكُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ فَلَنْ تَوْمَنُوا مَا دَامَتْ قُلُوبُكُمْ قَاسِيَةً، وَمَا مَعْجَزَتِي إِلَّا الْقُرْآنُ» ..» .

□ إلى أن قال: «وَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مَعْجَزَةٌ، كَانَتْ مَعْجَزَتِي الْقُرْآنُ»^(١) ..

* العلامة جولد تسيهر الإسباني :

مستشرق إسباني، ولد عام ١٨٣٦، وتوفي ١٩٠٣، ومؤرخ معروف له القِدْحُ المَعْلَى في الكيدِ للإسلام ولرسوله ﷺ وسنته، له عدة مؤلفات، منها «العقيدة والشريعة في الإسلام» ترجمة علماء الأزهر.

□ قال في كتابه المذكور (ص ٥-٦): «يَمَكِّنُنَا أَنْ نُنْقِيَ نَظْرَةً عَامَةً شَامِلَةً فِي الْأَثَرِ التَّارِيخِيِّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ، خَاصَّةً أَثَرُهَا فِي الدَّائِرَةِ الْقَرِيبَةِ، الَّتِي كَانَ تَبْشِيرُ مُحَمَّدٍ مُوجَّهًا إِلَيْهَا بِطَرِيقٍ مَبَاشِرٍ قَبْلَ غَيْرِهَا، حَقًّا لَا جِدَّةَ وَلَا طَرَاغَةَ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَلَكِنْ قَدْ اسْتَعْيِضَ عَنْهَا بِأَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ بَشَّرَ بِمَذْهَبِهِ لِلْمَرَاةِ الْأُولَى بِحِمَاسٍ، لَمْ يَفْتُرْ، وَلَمْ تُعَوِّزْهُ الْمَثَابِرَةُ، وَبِعَقِيدَةٍ ثَابِتَةٍ بِأَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ يُحَقِّقُ صَالِحَ الْجَمَاعَةِ الْخَاصَّةِ، وَقَدْ كَانَ فِي

(١) ما قال هذا رسول الله ﷺ، بل معجزاته كثيرة، وسنفردها مُجَلِّدًا كَبِيرًا خَاصًّا بِهَا.

ذلك كله مظهرًا إنكار الذات، برغم سخريّة الجمهور، إذ الحقُّ أن محمدًا كان بلا شك أولَ مُصلِحٍ حقيقيٍّ في الشعبِ العربي من الوجهة التاريخية، تلك كانت طرفته برغم قلّة المادة^(١) التي كان يُبشِّرُ بها.

* المؤرِّخ الكبير الدكتور ريتين الإسباني:

مستشرقٌ إسباني، له مقالاتٌ قيمة في أحوالِ العرب، وتاريخٌ خاصٌ لسوريا ولبنان.

□ قال فيه: «دينٌ محمدٍ قد أكَّد إذا من الساعةِ الأولى لظهوره - وفي حياة النبي - أنه عامٌّ، فإذا كان صالحًا لكلِّ جنس، كان صالحًا بالضرورة لكلِّ عقل، ولكلِّ درجةٍ من درجات الحرارة».

□ ثم قال: «إليك يا محمد - وأنا الخادمُ الحقيِرُ - أقدمُ إجلالي بخضوعٍ وتكريمٍ، إليك أطمئِنُّ رأسي، إنك لَنبيُّ حقٍّ من الله، قوتك العظيمةُ كانت مستمدَّةً من عالمِ الغيب الأزلي الأبدي».

* المستر إريك بنتام الإسباني:

المستر «إريك بنتام» مستشرق إسباني، وُلد في غرناطة سنة ١٨١٥، وتوفي ١٨٨٧، له كتاب أسماه «الحياة».

□ قال فيه: «إن الإسلامَ وتعاليمَ الرسولِ الكريمِ محمدٍ قد تأصلت في نفوس المسلمين: وخلقت فيهم مناعةً ضدَّ قبول المذاهبِ الدينيةِ المسيحية».

□ وقال: «إن الخلافَ الجوهريَّ بين الإسلام [والمسيحية] يعودُ إلى أن

(١) هذا والله هو العمى... فدين محمد ﷺ تُرغزيرٌ شاملٌ للدنيا والآخرة.

الإسلام لا يرضى أن يشرك مع ربه أحداً، وإن دين الإسلام هو دين الوداعة والوفاق والصدق والأمانة، وكل ما جاء به لا تُنكره الأذواق السليمة والعقول النضجة، لذلك فإننا لو أنصفنا أنفسنا لوحدنا صفوفنا مع المسلمين، ولنبدنا ما بنا من عصبية عمياء خلقها لنا ذوو الأطماع، وسنّها لنا من دفعت به شهواته، وفي النفس ما فيها من التأثير البالغ من تلکم الفوارق التي أثبتها الدين المسيحي، ومنعها الشرع الإسلامي، وأرى أن غض النظر عن التصريح، والضرب صفحاً عن المكاشفة، أولى وأليق».

* المستر ألبيلير إنكولوبيديا الإسباني :

ولد في بلدته «جاكاي» ١٨١٠، وتوفي ١٨٧٢ .

□ قال في (ج ٨/٣٢٦) من كتابه «المعارف»: «إن لغة القرآن هي أفصح لغات العرب وأساليبه، وبلاغته تسحر الأبواب بحسنها، وسيبقى غير معارض إلى الأبد، ومواعظه ظاهرة، وكل من يتبعها يحيا حياة طيبة، وأخيراً أقول: إن القرآن يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، ويقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

فعلى هذا يلزم على كل فرد من البشر أن يستغفر لذنبه ويعمل صالحاً كي يتأهل لدخول الجنة، كل هذا جاء به محمد نبي العرب، ولا يسعنا إلا أن نحترمه ونحترم ما جاء به لما فيه من خير عميم».

* المستر جان ليك الإسباني :

مستشرق إسباني، ولد في بلدة «ملعة» عام ١٨٢٢م، وتوفي ١٨٩٧م، كان شغوفاً بالكتابة واستطلاع التاريخ العربي، ألف كتاباً اسمه

«العرب» .

□ قال فيه (ص ٤٣): «ما أجملَ ما قاله المعلّم العظيم «محمد» ﷺ
«الخالقُ كلهم عيالُ الله، وأحبُّ الخلقِ إلى الله أنفعُهُم لعياله»^(١) !

□ ثم أطل في الثناء على الرسول قائلاً: «أليس من المعجزاتِ الباهراتِ، أنَّ محمدًا بالقوة الأدبية، وبلفظٍ واحدٍ جعلَ الصادقين من أتباعه في حرزٍ حريزٍ من شرِّ المُسكِرَاتِ جيلاً بعد جيلٍ؟ فسَلِمَ من هذا الشرِّ مئآتُ الملايينِ من البشر؟ حياةُ محمدٍ التاريخية لا يمكنُ أن تُوصَفَ بأحسنَ مما وصَفها اللهُ نفسه بالفاظٍ قليلةٍ، بيّن فيها سببَ بعثةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .. كان محمدٌ رحمةً حقيقةً لليتامى والفقراء وابنِ السبيل والمنكوبين والضعفاءِ والعُمالِ وأصحابِ الكدِّ والعناءِ، وإني بلهفةٍ وشوقٍ أصلي عليه وعلى أتباعه» .

* العلامة سان إليار الإسباني :

□ قال في كتابه «تعاليم اللغة العربية» نقلاً عن كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» للعلامة «ألفونس إيتين دينيه الفرنسي» إنَّ أوضحَ مبادئ الحرية الفكرية قد كُشفت أمثال «لوثير وكالفين»، وعاد الفضلُ فيها إلى رجلٍ عربيٍّ من رجالِ القرنِ السابعِ، ذلك هو صاحبُ شريعةِ الإسلامِ .

* * *

(١) ضعيف جداً: روه أبو يعلى والبزار عن أنس . . والطبراني عن ابن مسعود . . وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٩٤٦) و«الضعيفة» (١٩٠٠) .

وَمِنْ رُوسِيَا

مرَّبَّنَا مِنْ قَبْلُ قَوْلُ الْأَدِيبِ الرَّوسِيِّ الْكَبِيرِ «تولستوي» .

* ماكس مايرهوف الروسي :

وُلِدَ فِي مَدِينَةِ «ساراتوف» ١٨١٥ ، وَتُوفِّيَ عَامَ ١٨٨٧ .

□ قال في كتابه «العالم الإسلامي» : «إن محمداً عام ٦١٠ للميلاد

كان كثيرَ التفكير والانفراد، وكان يقصدُ إلى البادية، ويخلو بنفسه في جبل

«حراء» قُرب مكة، فرأى ذاتَ يوم رؤيا هي أن الملكَ «جبريل» تجلَّى له،

وناولَه كتاباً^(١) وقرأَ عليه هذه الآياتِ هي السورة السادسة والتسعون من

القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخ، نزل عليه هذا الكلامُ وحياً،

فأخبر امرأته بما وقع، ثم جاء وحي آخر فيما بعد، فلما شَعُرَ تَغَطَّى بثوبٍ

فسمع هذه الكلمات: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ

فَكَبِّرْ﴾، ومنذ ذلك الوقتِ اقتنع بأن اللهَ اختاره مبشراً بعقيدةٍ جديدة،

وتسمَّى بـ «رسول الله» ليدعو إلى اللهِ بلسانِ عربي مبین» .

* آرلونوف الروسي :

□ لقد جاء في مجلة «الثقافة» الروسية المجلد السابع عدد ٩ - تحت

عنوان «النبي محمد» - لكاتب اسمه «آرلونوف» تصدرُ في مدينة «اركنجل» :

«في شبه جزيرة العرب المجاورة لفلسطين، ظهرت ديانةُ أساسها الاعترافُ

بوحداية الله، وهذه الديانةُ تُعرفُ بالمحمدية، أو كما يُسمِّيها أتباعُها

(١) كلاً . . بل أقرأه شفاهاً دون كتاب .

الإسلام، وقد انتشرت هذه الديانة انتشاراً سريعاً، ومؤسس هذه الديانة هو العربيُّ محمد، وقد قضى على عادات قومِهِ الدينية، ووَحَدَ قبائلَ العرب، وأنار أفكارهم وأبصارهم بمعرفةِ الإله الواحد، وهَدَّبَ أخلاقهم، وَلَيَّنَ طِبَاعَهُمْ وقلوبهم، وجَعَلَهَا مستعدةً للرقىِّ والتقدم، ومنعهم من سَفْكِ الدماءِ ووَادِ البنات، وهذه الأعمالُ العظيمةُ التي قام بها محمدٌ تدلُّ على أنه من المصلحين العظام، وعلى أن في نفسه قوةٌ فوق قوةِ البشر، وكان ذا فكرٍ نيرٍ وبصيرةٍ وقادةٍ، واشتهر بدمائةِ الأخلاقِ ولينِ العريكةِ والتواضعِ وحُسنِ المعاملةِ مع الناس، قضى محمدٌ أربعين سنةً مع الناس، قضاها بسلامٍ وطمأنينة، وكان جميعُ أقاربه يُحِبُّونه حُبًّا شديدًا، وأهلُ مدينته يحترمونه احتراماً عظيماً، لِمَا كان عليه من المبادئِ القويمَةِ، والأخلاقِ الكريمةِ، وشرفِ النَّفسِ والنزاهة».

* العلامة جان ميكائيليس الروسي :

مستشرق روسي، ولد في بلدته «بروا» ١٧١٧، وتوفي ١٧٩١، له تصانيفٌ في أصول العربية وآدابها وآداب السريانية والعبرانية، له مؤلفات عدة.

□ قال في بعض مؤلفاته في «أصول اللغة العربية» واسمه «آداب اللغة العربية»: «إن الدين الإسلاميَّ له فضلٌ عظيمٌ على الشرق؛ لأنه أكسبهم حضارةً ذاتَ قيمة، وفضلٌ من جاء به أعظم، لأنه عَرَضَهُ عليهم فرفضوه، وتحمل في سبيله المَضْضَ وكابد كثيراً، ولقد كان فقيراً يتيماً مضطهداً، ولدئ ثباته أخذ النتائجَ الكافيةَ في أداءِ رسالته التي هي مدنيَّةٌ وحضارة، وما

مات محمدٌ نبيُّ العرب وصاحبُ هذه الرسالة حتى أحدثَ انقلاباً هائلاً في عاداتٍ وأديانِ الجزيرة العربية.

□ وقال في كتابه «العرب في آسيا»: «لم يكن محمدٌ نبيُّ العرب المشعوذَ ولا الساحرَ - كما اتهمه السفهاءُ في عهده -، وإنما كان رجلاً ذا حنكةٍ وإدارةٍ وبطولةٍ وقيادةٍ وأخلاقٍ وعقيدةٍ، فلقد دعا لدينه بكلِّ صفاتِ الكمالِ، وأتى للعرب بما رَفَعَ به شأنهم، ولم نَعْرِفْ عن دينه إلا ما يتلاءمُ مع العصور - مهما تطورت -، ومن يَتَّهَمُ محمداً ودينه بخلافِ هذا، فإنه ضالٌّ عن الطريقةِ المثلى... وحريُّ بكلِّ الشعوب أن تأخذَ بتعاليمه».

ومن الهند

* جواهر لال نهرو الهندي:

رئيس وزراء الهند، وهو هندوكي العقيدة، ولد عام ١٨٨٩، وتوفي عام ١٩٦٤.

□ قال في كتابه «لمحات من تاريخ العالم» (ص ٥٤): «إن الإسلام هو الباعثُ لهذه اليقظة العربية، بما بثَّه في أتباعه من ثقةٍ ونشاط، حملَ رسالةَ الإسلام إلى العرب نبيُّ جديدٌ اسمه «محمد»، ولد في مكة عام ٥٧٠ للميلاد، ولم يكن محمدٌ عجولاً في نشرِ رسالته، بل ظلَّ زمناً يعيشُ حياةً هادئةً، يعجبُ بها مواطنوه، ويثقون به حتى لَقَّبوه بالأمين، فلما قام يُبشِّرُ برسالته ويهاجمُ الأوثان، قام الناسُ عليه وأذوه، فاضطَّرَّ لأن ينجو بحياته، وأن يهاجرَ من مكة، وكانت رسالته (لا إله إلا الله محمد رسول الله)».

□ وقال (ص ٢٦): «كان محمدٌ واثقاً بنفسه ورسالته، وقد هيا بهذه

الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزة المنعة، وحوّلهم من سكان صحراء إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم، كانت ثقة العرب وإيمانهم عظيمين، وقد أضاف الإسلام إليها رسالة الأخوة والمساواة والعدل بين جميع المسلمين، وهكذا وُلد في العالم مبدأ ديمقراطي جديد. . وثب الشعب العربي بنشاطٍ فائقٍ أدهش العالم وقلبه رأساً على عقب، وإن قصة انتشار العرب في آسيا وأفريقيا وأوروبا والحضارة الراقية، والمدنية الزاهرة التي قدّموها للعالم هي أعجوبة من أعجوبات التاريخ».

وَمِنْ هَوْلِنْدَا

* العلامة «وث» الهولندي :

□ مستشرقٌ وُلد في مدينة «اوترخت» ١٨١٤، وتوفي عام ١٨٩٩، وقد كان عضواً عام ١٨٦٤ في المجمع العلمي، جاء إلى بلاد الشرق عام ١٨٦٧، وتجوّل فيها، وقد نقل القرآن إلى اللغة الهندية، وله عدة مؤلفات، منها «محمد والقرآن» قال فيه (ص ٧٨): «لقد جاء قرآن العرب على لسان نبيهم محمد العظيم، وعلمهم كيف يعيشون في هذه الحياة، وقد وحد محمد صفوفهم، وجمع كلمتهم، وأدبهم، حتى لا ترى أمة من الأمم أحسن منهم، وبالنهاية اعتمدوه في كل أمورهم، وكان يتلقّى الوحي من ربّه الذي يُوحى إليه، ثم ينقله إلى الناس بعد أن يكتبه له الكتاب الذي انتدبهم لذلك، وابتدأت دعوته لدينه الجديد من تاريخ ٦١٠م حتى قبضه ربّه إليه، وذلك سنة ٦٣٣م».

* العلامة فلوتن يان الهولندي :

ولد في مدينة «لاهاي» ١٨٠٧ ، وتوفي عام ١٨٧٩ .
وهو مستشرق هولندي، له عدة مؤلفات، منها «مفاتيح العلوم»،
وكتاب «الفصول» .

□ قال في الأخير (ص ١٠٣) : «إن محمداً لم يلبث أن أصبح له تفوقٌ
رُوحِيٌّ وزمَنِيٌّ بعدَ سنينٍ قلائلٍ من الجهادِ والاضطهادِ، كما يدلُّ على ذلك
غيرُ آيةٍ من القرآن، وذلك بتحوُّلِ أهلِ المدينةِ إلى الإسلامِ بفضلِ ذلك النفوذِ
الذي كان يتمتعُ به الرسولُ ديناً قوياً، وقد انتشر بين الشعوب عن طريقِ
الإنذارِ والوعيدِ^(١) ، ولم يتردد النبيُّ في رميِ أهلِ الكتابِ بالكذبِ
والتضليلِ، واتهامهم بالتحريفِ في كتبهم، حين رأى دينه الذي كان يرمي
إلى نشره لم يُرضِ اليهود، كما أنه لم يرقُ للنصارى، هكذا استطاع أن
يُحاجَّ أهلَ الكتابِ بتصريحه أنه أرقى الأديان، وأن دينه وحده دينُ الحق،
وكان من أثرِ اصطدامِ محمدٍ بالنصارى واليهودِ في بلاد العرب أن طردوا
اليهودَ من المدينة، وشنت الغارات على المسيحيين في بلاد بيزنطة في
اللحظة التي انتقل فيها محمدٌ إلى جوارِ ربِّه» .

* المسيو راينهارت دوزي الهولندي :

مستشرق هولندي، ولد في «اتروخت» ١٨٢٠ ، وتوفي عام ١٨٨٤ ،
مدرس للغة العربية في «لايدين»، اشتغل في تواريخ الدول الإسلامية في
(١) ما انتشر الإسلام بالإنذار والوعيد، وإنما دخل الناس في دين الله أفواجا؛ لأنه الحق،
وما سواه باطل .

الأندلس والمغرب، له عدَّةٌ مؤلِّفات، منها «عرب إسبانيا».

□ قال فيه: «كان يوجدُ على عهدِ محمدٍ في بلادِ العربِ ثلاثُ ديانات؛ المُوسَوِيَّة والعيسويَّة والوثنيَّة».

□ ثمَّ بَسَطَ القولَ خصوصاً في عاداتِ الوثنيين الذميمةِ إلى أن قال: «في عهدِ هذه الأحوالِ الحالكةِ، ووسَطَ هذا الجيلِ الشديديِّ الوطأةِ، وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي شَهْرِ أَوْغُسْتُس ٢٩ مِنْهُ عَامَ ٥٧٠، مِنْ هَذَا نَرَى أَنَّ الْعَالَمَ الْإِنْسَانِيَّ كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى حَادِثٍ جَلَلٍ يُزَعِّجُ النَّاسَ عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَيُضْطَرُّهُمْ إِلَى النَّظَرِ وَالتَّفْكِيرِ فِي أَمْرِ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَآزِقِ الَّذِي تَوَرَّطُوا بِهِ، وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُؤُونَ».

□ إلى أن قال: «لقد جاء محمدٌ بتعاليمٍ رَفَعَتْ مَسْتَوَى الْبَشَرِ إِلَى عَالَمِ الْكَمَالِ».

ومن إيطاليا

* العلامة لورافكشيا فاليري الإيطالي:

مستشرق إيطالي، ولد عام ١٨٣٩، وتوفي ١٨٩٧.

□ قال في مقدمة كتابه «الأديان» المترجم إلى الفرنسية (ص ٩٦): «إنه مما لا شك فيه أنَّ وَصْفَ «محمد» بتلك الأكاذيب التي كانوا يُشيعونها في القرون الوسطى عنه وعن ديانتته، قد خَفَّتْ كَثِيرًا فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَصَارُوا يَنْشُدُونَ الْحَقِيقَةَ التَّارِيخِيَّةَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَعَنِ الْإِسْلَامِ الَّذِي قَلَّبَ وَجْهَ الْعَالَمِ، وَإِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ يُؤَيِّدُونَ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ خَاتَمُ الرَّسْلِ».

* المحامي العلامة غوسطن كرستا الإيطالي :

أحد رجال الفكر الإيطاليين، وُلد في بلدته «كيا» ١٨٤٠، وتوفي ١٨٩٧ .
 □ قال في كتابه «الكياسة الاجتماعية»: «وإنك لتجد في كل موضع من القرآن الذي جاء به محمدٌ إلى العرب آياتٍ تحثُّ عن فعل الخير، وأما هو، فقد كان أميناً وأعدلَ رجل، ولا يسعنا إلا أن نُقدِّرَ له جهوده في سبيل دينه وعقيدته».

□ إلى أن قال: «لقد جعل محمدُ الإخاءَ والمحبةَ ركنين للمجتمع الإسلامي، وهذا لعمري تقدُّمٌ باهر إذا قابلنا عهدَ الإسلام بعهدِ الجاهلية أيام كان أربابُ الثروة والسيادة يزددون بصلفِهم المساكينَ ويسومونهم الخسْفَ».

* المسيو ميخائيل أماري الإيطالي :

مستشرق إيطالي، ولد في بلدته «بالرمو» في «فيرنزة»، درس اللغات العربية والفارسية والتركية في مدينة باريس «فرنسا»، وانتهى إلى التخصص بالأدب العربي وتاريخه، له مؤلفاتٌ كثيرة، منها «تاريخ المسلمين».

□ قال فيه: «لقد جاء محمدٌ نبيُّ المسلمين بدينٍ إلى جزيرة العرب يصلحُ أن يكون ديناً لكلِّ الأمم؛ لأنه دينُ كمالٍ ورقي، دينُ دعةٍ وثقافة، دينُ رعايةٍ وعناية، ولا يسعنا أن ننقصه، وحسبَ محمدٍ ثناءً عليه أنه لم يساوم ولم يقبلِ المساومةَ لحظةً واحدةً في موضوع رسالته، على كثرة فنونِ المساوماتِ واشتدادِ المحن، وهو القائلُ: «لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته»^(١) . . عقيدةٌ راسخة،

(١) إسناده ضعيف.

وثباتٌ لا يُقاس بالنظير، وهمةٌ تركت العرب مَدِينين لمحمد بن عبد الله، إذ تركهم أمةٌ لها شأنها تحت الشمس في تاريخ البشر».

ومن بلجيكا

* الدكتور هنري ماسه البلجيكي:

وُلد في «بروكسل» ١٨٢٠، وتوفي ١٨٨٦، علامةٌ في الكيمياء والتاريخ.

□ قال في كتابه «حول الإسلام» (ص ١١): «إِذَا بَحَثْنَا عَنْ مُحَمَّدٍ بَحْثًا إِجْمَالِيًّا، نَجِدُهُ ذَا مِزَاجٍ عَصْبِيٍّ^(١)، وَفِكْرٍ دَائِمِ التَّفَكِيرِ، وَنَفْسٍ بَاطِنُهَا حُزْنٌ، وَأَمَّا مَدَارِكُهُ، فَهِيَ تَمَثُّلُ شَخْصًا يَعْتَقِدُ بِإِلَهِ وَاحِدٍ، وَبِوُجُودِ حَيَاةٍ أُخْرَى، وَيَتَّصِفُ بِالرَّحْمَةِ الْخَالِصَةِ، وَالْحَزْمِ فِي الرَّأْيِ وَالْإِعْتِقَادِ، وَيُضَافُ إِلَيْهِ أَنَّهُ رَجُلٌ حَكِيمٌ، وَأَحْيَانًا رَجُلٌ سِيَاسِيٌّ وَحَرْبِيٌّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَائِرًا، بَلْ كَانَ مَسَالِمًا».

* ألفرد ألفانز البلجيكي:

□ قال في كتابه «علم النفس»: «شَبَّ مُحَمَّدٌ حَتَّى بَلَغَ، فَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ مَرُوءَةً وَحِلْمًا وَأَمَانَةً، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَابًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْفُحْشِ، حَتَّى عُرِفَ فِي قَوْمِهِ «بِالْأَمِينِ»، وَبَلَغَتْ أَمَانَتُهُ وَأَخْلَاقُهُ الْمَرْضِيَّةُ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدِ الْقُرَشِيَّةِ - وَكَانَتْ ذَاتَ مَالٍ -، فَعَرَّضَتْ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ لَهَا مَعَ غَلَامِهَا «مَيْسِرَةَ»، فَخَرَجَ وَرَبِحَ كَثِيرًا،

(١) حاشا لله أن يكون رسول الله ﷺ هكذا.

وعاد إلى مكة، وأخبرها ميسرة بكراماته، فعرضت نفسها عليه - وهي أيم، ولها أربعون سنة -، فأصدقها عشرين بكرة، وتزوجها وله خمس وعشرون سنة، ثم بقيت معه حتى ماتت»^(١).

* العلامة إدوار جيون البلجيكي:

وُلِدَ ١٧١٥، وتوفي ١٧٨٣ في بلدته «دوداف».

□ قال في كتابه «الحضارة الشرقية» (ص ٢٧): «إن دين محمد خالٍ من كل شيء يشينه، وإن القرآن لأكبر دليل على وحدانية الله، وقد نهى محمد عن عبادة الأصنام والكواكب».

ومن أسكتلندا

* روبرستن سميث الأسكتلندي:

مستشرق أسكتلندي، وُلِدَ في بلدته «بروزا» ١٨٥٦، وتوفي ١٩١١، جاب بلاد الشرق، له كتاب في «أنساب العرب وزواج الجاهلية»، قال فيه: «من حسن الحظ الوحيد في التاريخ أن محمداً أتى بكتاب هو آية في البلاغة، دستور للشرائع والصلاة والدين في آن واحد».

* وليم موير الأسكتلندي:

مُستشرق شهير، وُلِدَ في «أديبورك» عام ١٨٢٩م، وتوفي في عام ١٩٠٥م، وله مؤلفان: «حياة محمد» و«التاريخ الإسلامي».

□ قال في كتابه «حياة محمد» - وذلك عند كتابته عن رحلته مع عمر

(١) هذه القصة ضعيفة السند.

إلى الشام (ص ٤٢ و ٤٣) :- «إن الذين دونوا سيرة الرسول قد ذكروا تفاصيل كثيرة تدلُّ على عظمة نبوته المنتظرة، وأنه في نفسه عظيم، وفي رسالته عظيم، وما عسى أن نتحدث عن سيرة لرجل خلق أمة مترامية بعد أن كانت خاملة، وإذا بها ذات كيان عظيم».

□ وقال في كتابه «حياة محمد» المترجم إلى اللغة الفارسية عام ١٩٣٤ (ص ٤٦) : «لقد جاء محمد بتوجيهات رائعة وتعاليم قيمة، تحدت ببلاغتها العهدين التوراة والإنجيل، وترك لهما الغبار في سباق التعاليم الرسولية، وإن من يعرف محمدًا في عقيدته بالله، وعطفه على الفقراء، وزهده في دنياه، ومضيه لتركيزه مبدأه وإدارته وحنكته وبطولته، يشرف على الاعتقاد بدينه والتصديق برسالته التي ما جاء بها إلى العالم إلا لرفع مستوى الإنسان».

* العلامة: روبر أسميث الأسكتلندي:

مستشرق، ولد في «أديبورغ» عام ١٨٥٦، وتوفي ١٩٠١، كان رئيساً لواضعي «دائرة المعارف البريطانية» عام ١٨٨٧، جاء إلى بلاد الشرق، وتعرف على بيئتهم وعاداتهم، وله مؤلف في أحوال العرب قبل الإسلام وبعده.

□ قال فيه (ص ١٧ و ١٨) : «لقد كان العرب قبل الإسلام على جانب من الغلظة والخشونة، ويعيشون عن طريق الغزو، وكان قد نزع الرحمة من صدورهم، وكانوا يعبدون الأصنام، ولكل قبيلة صنم، حتى جمعا في كعبتهم ثلاثمئة ستين صنماً، وقد جاء محمد في أواخر القرن السادس، فدعاهم إلى دينه، وأعلن أنه لا يجوز أن تتخذوا أصنامكم أرباباً من دون

اللَّهِ، وكان محمدٌ على خلقٍ عظيم، فاتبعوه بعد أن لاقى منهم الأذى، حيث دعاهم إلى دينه القويم، وعرفوا أنه دينٌ لا يُصادمُ الخيرَ والإنسانية، وأنه جاء لصلاح المجتمع».

ومن أيرلندا

* جون ديفو الأيرلندي:

مستشرق معروف، له قلمٌ سيّال في التاريخ والرياضيات، ولد في بلده «دبلن»، وتوفي فيها عام ١٩٠٦.

□ قال في كتابه «العرب وعاداتهم»: «ما كان محمدٌ بعد هجرته إلى المدينة يستقرُّ قراره حتى أصبحَ مع القيام بالأعباء الإلهية والدعوة الدينية محارباً وفتحاً، وصاحبَ دولةٍ ونظامٍ جماعيةٍ تزدادُ كل يوم، فاصطبغ الإسلامُ بصبغته الأخيرة، وأُسِّستِ القواعدُ الأولى لأوضاعه الدينية والسياسية والاجتماعية، فكانت هذه الأسسُ نبراساً يُستضاءُ به في تشريع الأجيال المقبلة، واقتفى آثارها العلماءُ والفقهاءُ، فانتشرت المذاهبُ الإسلاميةُ ذلك الانتشارَ الرائع». اهـ.

* المستر موير الأيرلندي:

وُلِد في بلدته «ليشكانا» عام ١٨٠٨ م، وتُوفي سنة ١٨٦٧ م.

□ قال عند ذكره رحلة الرسول ﷺ سنة ٥٩٥ للميلاد من كتابه «الإسلام» (ص ١٠٣): «إن محمدًا لم يكن في وقتٍ من الأوقات طامعاً في الغنى، إنما سَعِيه كان لغيره، ولو ترك الأمر لنفسه لآثر أن يعيشَ في هدوءٍ وسلامٍ قانعاً بحالته، ولمَّا فكَّر في رحلة كهذه، ولكنه لمَّا عَرَض عليه عمه

السفر، شعرت نفسه الكريمة بضرورة تفرّيج كربة عمه، فأجاب طلبه مسروراً.

□ إلى أن قال: «إن محمداً إنما لُقّب «بالأمين» بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه بين قومه، ولذا سرعاناً ما انقلبوا عن عبادة الأصنام ورحّبوا بتعاليمه المباركة».

* المستر هربرت وايل الأيرلندي:

□ قال في كتابه «المعلم الأكبر» (ص ١٧): «بعد ستمئة سنة من ظهور المسيح، ظهر محمدٌ، فأزال كلّ الأوهام، وحرّم عبادة الأصنام، وكان يُلقبّه الناس بالأمين، لِمَا كان عليه من الصدقِ والأمانة، وهو الذي أرشد أهل الضلال إلى الصراطِ المستقيم».

ومن الأرجنتين

* الباحثة جون ديفو الأرجنتيني:

وُلد عام ١٨٤٥، وتوفي ١٩١٧.

□ قال في كتابه: «الحياة تبدأ بالأربعين»: «ولما استكمل محمدٌ أربعين سنةً، جاء بدينٍ للعالم يدعو فيه إلى الإصلاح وترك العادات التي كان عليها أهل الجاهلية من وأد البنات وغيره، ومحمدٌ نبيُّ المسلمين عُرف منذ الصغر بالصدق والأمانة والعفة والنزاهة».

* دون بايرون الأرجنتيني:

وُلد في بلده «أنسيكار» عام ١٨٣٩م، وتُوفي عام ١٩٠٠.

□ قال في كتابه «أتح لنفسك فرصة» تعريب «عبدالمنعم محمد الزيايدي»: «لا يبعد أن يكون محمدٌ يحسُّ بنفسه أنه في طبيته أرقى من

معاصرِهِ، وأنه يفوقُهُم جميعاً ذكاءً وعبقريةً، وأن اللهَ اختارهَ لأمرٍ عظيمٍ، وقد اتَّفَقَ المؤرِّخونَ جميعاً على أنَّ محمداً بنَ عبدِاللهِ كانَ ممتازاً بينَ قومه بأخلاقٍ جميلة، مِن صدقِ الحديثِ والأمانةِ والكرمِ وحسنِ الشَّمائلِ والتواضعِ، حتَّى سَمَّاهُ أهلُ بلدِهِ «الأمين»، وكانَ مِن شِدَّةِ ثقتِهِم بِهِ وبأمانتهِ، يُودِعونَ عندهُ ودائعَهُم وأماناتهمِ، وكانَ لا يَشْرَبُ الأَشْرِبَةَ المُسْكِرَةَ، ولا يحضِرُ للأوثانِ عيداً ولا احتفالاً، وكانَ يَعِيشُ ممَّا يَدِرُهُ عِيه عَمَلُهُ مِن خَيْرٍ.

ومن المجر

* الدكتور إيليو جرمانوس المجرى :

وُلد عام ١٨٨٤، أستاذٌ بجامعة «بودابست - المجر»، مستشرقٌ هنغاري، جال في البلادِ الإسلاميَّةِ في آسيا ومصر، وخبرَ الديانةَ الإسلاميَّةَ، فأسلمَ وحجَّ إلى مكة، له كتاب «الله أكبر» ترجمه إلى العربية الأستاذ «فتحي رضوان» قال فيه: «إن تعاليم القرآن هي أوامرُ الله، وهي مُرشدٌ أبديٌّ للبشر، إنه كتابٌ ملؤه الصراحةُ والوضوحُ لمن صدقت رغبته في تفهّمه، وإنَّ محمداً لأعظمُ مُصلِحٍ ثوريٍّ عرّفه التاريخُ مؤيِّدٍ بوحيٍ من عند الله، ونحن مأمورون أن نفهمَ تعاليمه، ونطبّقها على شؤون حياتنا الدنيوية، مع الإيمان بأن ما أوحى به إليه إنما هو أساسٌ لا يهتزُّ ولا يتعثرُ لكونه إلهياً.

ولقد أخطأ المسيحيون إذ لم يفهموا الإسلامَ على حقيقته، وبالتالي لم يتشبّعوا بروحه، إن ما يُميِّزُ الإنسانَ عن الحيوان هو إدراكه أن الكونَ تحكمه قوانينٌ روحيةٌ، وتُسيرُهُ قوَى غيرُ محسوسة.

وهذه الحقيقةُ هي أساسُ كلِّ دينٍ، ولكنه لا يُوجدُ دينٌ يؤكِّدُها أكثرُ

من دين الإسلام، الذي يُبَسِّطُ أمامَ الإنسانِ طريقًا وَسَطًا لا تتجرَّدُ فيه الروحُ عن البدنِ، ولا البدنُ عن الروحِ، بل يكونُ وسطًا بين المادة والروح، على أن لا يَنسَى أنه كائنٌ رُوحِيٌّ قبلَ كلِّ شيءٍ.

ومن أسوج

* كازانوف الأُسوجي :

وُلِدَ عام ١٨٣٧، وتوفي ١٩٠٣.

□ قال في كتابه «حضارة الشرق» (الجزء الأول، ص ٢٣): «يَهْمَنِي أَنْ أَجْهَرَ أَوْلًا بِأَنْبِي لَا أُسَلِّمُ أَصْلًا بِكُلِّ نَظَرِيَّةٍ يُفْهَمُ مِنْهَا الرِّيبُ بِصِدْقِ مُحَمَّدٍ، إِنْ سِيرَةَ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ مِنْ بَدَايَتِهَا إِلَى نَهَايَتِهَا تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّهُ ثَبَّتُ رَصِينٌ أَمِينٌ، وَلَا مَنَاصِرَ مِنَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ عَلَيَّ ذَكَاءٍ عَظِيمٍ.

إِنْ التَّعَقَّلَ وَنَضُوجَ الْفِكْرِ اللَّذِينَ دَلَّ عَلَيْهِمَا، إِذْ أَظْهَرَ الْآيَاتِ الْأُولَى الْمُوْحَاةَ إِلَيْهِ، وَحُسْنَ سِيَاسَتِهِ فِي تَوْحِيدِ الْقِبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ، رَغْمَ الْخِرَافَاتِ الْمُتَأَصِّلَةِ، وَفِي تَمْيِيزِ مَا يَنْبَغِي الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِ مِنْ تَقَالِيدِهَا الْقَدِيمَةِ، كُلُّهَا أَدَلَّةٌ عَلَيَّ أَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي الْأُمُورِ نَظْرٌ سَدِيدٌ، كَانَ يَرَى الْغَايَةَ وَيَسْعَى إِلَيْهَا بِغَرِيزَةٍ السِّيَاسِيَّةِ الْعَاقِلِ، وَنُورَانِيَّةِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ عَلَيَّ السَّوَاءِ.

* العلامَة سينرستن الأُسوجي :

مستشرق أسوجي، وُلِدَ عام ١٨٦٦، أستاذ اللغات السَّامِيَّةِ، سَاهَمَ فِي «دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ»، وَجَمَعَ الْمَخْطُوطَاتِ الشَّرْقِيَّةِ، مَحَرَّرَ مَجَلَّةَ «العالم الشرقي» له عِدَّةُ مَوْأَلَّفَاتٍ، مِنْهَا «القرآن الإنجيل المحمدي»، وَمِنْهَا: «تاريخ حياة محمد».

□ قال في الأخير (ص ١٨): «إِنَّا لَمْ نُنْصِفْ مُحَمَّدًا إِذَا أَنْكَرْنَا مَا هُوَ

عليه من عظيم الصفات وحميد المزاي، فلقد خاض محمدٌ معركةَ الحياةِ الصحيحةَ في وجه الجهل والهمجية، مُصرّاً على مبدئه، وما زال يُحاربُ الطغاةَ حتى انتهى به المطافُ إلى النصرِ المبين، فأصبحت شريعتهُ أكملَ الشرائع، وهو فوقَ عظماءِ التاريخِ.

* رودلف دتوراك الأسوجي :

مستشرق أسوجي، ولد في «سلمو» ١٨٥٢، وتوفي ١٩٢٠، أستاذ اللغات الشرقية في «براغ» عاصمة «تشكوسلوفاكيا»، من مؤلفاته كتابٌ في شعر «أبي فراس الحمداني» وترجمة حياته باللغة الألمانية.

□ قال فيه (صفحة ١٣): «ليس بالبعيد، بل ولا شك أن محمداً نبياً العرب كان يتحدثُ إلى الناس عن وحي من السماء؛ لأنه أتى إلى العالم بدعوةٍ ومن ورائها المعجزات والآيات، وهي أعظمُ شاهدٍ على مدّعاها، ولا يجوزُ لنا أن نُفندَ آراءه، بعد أن كانت آياتُ الصدقِ باديةً عليها، فهو نبىٌ حقٌّ، وأولئى به أن يُتبعَ، ولا يجوزُ لمن لم يعرفْ شريعته أن يتحدثَ عنها بالسوء، لأنها مجموعةٌ كمالاتٍ إلى الناسِ عامةً».

* ماكس سايكس الأسوجي :

ولد في بلدته «ملمو» سنة ١٨٧٦، وتوفي ١٩٢٧ - نقلاً عن مجلة «الهلال» المجلد الخامس (العدد ٣) -.

□ قال: «إن محمداً قد استطاع بعبقريته الفذة والتعليمات الواسعة المعنى أن يجمعَ التفكيرَ إلى العمل، فكانت مملكته من هذا العالم، كان نبياً ثاقبَ الفكر، وكان مُشرِّعاً، وكان حاكماً بين الناس».

* غوستاف الأسوجي :

□ وُلِدَ فِي «مِلْمُو» عَامَ ١٧٤٦ ، وَتَوَفِّي ١٧٩٢ ، حَارَبَ رُوسِيَا ، وَنَشَرَ فِي أُسُوجِ مَبَادِيءِ الثُّورَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، قَالَ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ «الإِسْلَامُ فِي الْحِجَازِ» : «إِنَّ الْأَسَاسَ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بَسِيطٌ جَدًّا ، وَهُوَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، وَإِنْ مُحَمَّدًا هُوَ الَّذِي أَتَى بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ ، وَلَا يُوْجَدُ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ مَا يُصَادِمُ وَيُخَالِفُ عُلُومَ الْعَصْرِ الْحَالِي ، فَحَرِيٌّ بِهَذَا الدِّينِ أَنْ يُتَّبَعَ» .

وَمِنْ يُوْغُوْسَلَاْفِيَا

* الدُّكْتُورُ أَلْتَرِ بَتَكِينُ الْيُوْغُوْسَلَاْفِي :

وُلِدَ فِي «مَكْدُونِيَا» ١٨٣٣ ، وَتَوَفِّي ١٩٠٧ ، وَلَهُ مَوْأَلَفَاتٌ قِيَمَةٌ ، مِنْهَا «الْحَيَاةُ تَبْدَأُ بِالْأَرْبَعِينَ»

□ قَالَ فِيهِ : «فِي إِحْدَى لِيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، بَيْنَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ نَائِمًا فِي أَحَدِ كَهُوفِ حِرَاءَ ، عَادَ فَتَجَلَّى عَلَيْهِ ذَلِكَ الشَّبَحُ ، وَفِي يَدِهِ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ عَلَيْهَا كِتَابَةٌ ، وَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ : «اقْرَأْ» فَأَجَابَهُ : «لَسْتُ بِقَارِيءٍ» ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ ثَانِيًا : «اقْرَأْ» ، ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، فَرَدَّدَ مُحَمَّدٌ هَذِهِ الْكَلِمَاتَ ، وَأَحْسَبُ بِالنُّورِ قَدْ أَشْرَقَ عَلَى قَلْبِهِ» .

* الدُّكْتُورُ وَيْلَسَنُ الْيُوْغُوْسَلَاْفِي :

وُلِدَ فِي مَدِينَةِ «زَارَا» ١٨١٥ ، وَتَوَفِّي ١٨٨٧ .

□ قَالَ فِي إِحْدَى مُحَاضِرَاتِهِ : «إِنَّا إِذَا لَمْ نَعْتَبِرْ مُحَمَّدًا نَبِيًّا ، فَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُنْكِرَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُهُ قَدْ رَاحَ يُفَسِّرُ الْمَسِيحِيَّةَ الْأُولَى تَفْسِيرًا رَائِعًا صَادِقًا ، وَإِنَّ دِينَهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ لَا يُعَارِضُ

الديانة المسيحية^(١) ، وكلُّ ما جاء به حسن» .

ومن لبنان

* الأستاذ رشيد سليم الخوري اللبناني :

الشاعرُ المعروفُ بالملقَّبُ بالشاعرِ القَرَوِي ، ولد في «البربارة» لبنان ١٨٨٧ ، له ديوان «الرشيديات» ١٩١٦ و«القرويات» ١٩٢٢ .

□ قال في إحدى محاضراته : «فلا» «وليم شكسبير» ولا «فكتور هوغو» ولا «لاون تولستوي» ، ولا غيرهم من أمثالهم يطولون مهما اشأبت أعناقهم إلى الدرجة السفلى من تلك المنصّة العالية التي يقفُ عليها محمدُ بنُ عبد الله ؛ لأنّه الرجلُ الذي تلتقي أكملُ الصفاتِ في قلبه الكبير ، وعقله الفريد ، ورفقته المتناهية وروحه المتدفقة بشرفِ الإحساسِ وروحِ العاطفة» .

□ وقال في قصيدته اليبائية المعروفة :

عيدُ البرية عيدُ المولد النبوي	في المشرقين له والمغربين دوي
عيدُ النبيّ ابنِ عبدِ الله من طلعت	شمسُ الهداية من قرآنه العلوي
بدا من القفرِ نوراً للورى وهدى	يا للتمدن عم الكون من بدوي
يا فاتح الأرض ميداناً لقوته	هذي بلادك ميدان لكل قوي
يا شاهر السيف للفتح المبين به	اليوم يندى حياء سيفك الدموي
يا قوم هذا مسيحي يناشدكم	لا يصلح الشرق إلا حننا الأخوي
إذا ذكرتم رسول الله تكرمة	فلنغوه سلام الشاعر القروي

* جورج جرداق اللبناني :

□ الكاتبُ الشهيرُ البحاثة . . قال في كتابه : «الإمام علي صوت

(١) إن قصد شريعة المسيح النازلة من السماء ، نعم . . وأما غير ذلك ، فلا .

العدالة الإنسانية» (٣١/١) تحت عنوان: «صوت محمد»: «مِنْ لَهَيْبِ الصَّحْرَاءِ الْمُحْرَقَةِ وَهَجَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَمِنْ انْبِسَاطِ الرَّمَالِ أَمَامَ وَهَجِ الشَّمْسِ صِرَاحَةً عَلَى شَفْتَيْهِ، وَمِنْ جَنَائِنِ يَثْرَبَ وَخِمَائِلِ الطَّائِفِ وَمِنْ وَاخَاتِ الْحِجَازِ السَّابِحَةِ فِي الْفِضَاءِ كَأَنَّهَا الْجُزُرُ الْمَتَنَاثِرَةُ فِي مَحِيطٍ مِنَ الرَّمْلِ تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ، نَدَاوَةٌ فِي قَلْبِهِ وَرَفَقٌ فِي دَمِهِ، وَمِنْ عَصْفِ الرِّيحِ الْهُوجِ ثَوْرَةٌ فِي خِيَالِهِ، وَمِنْ بَيَانِ الشَّعْرِ وَنُورِ السَّمَاءِ سِحْرٌ فِي لِسَانِهِ وَقَبْسٌ فِي رُوحِهِ، وَمِنْ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ وَلِغَةِ اللَّهِ مَضَاءٌ فِي حِسَامِهِ وَرِسَالَةٌ فِي يَمِينِهِ.

ذاك هو محمد بن عبد الله نبي العرب ومُحَطَّمُ الوَثْنِيَّةِ، الَّتِي أَقْصَتِ الْإِنْسَانَ عَنْ أَخِيهِ الْإِنْسَانَ، وَثَنِيَّةِ الْمَالِ وَوَثْنِيَّةِ الْعَادَةِ وَوَثْنِيَّةِ الْعَنْصُرِ الْخِرْقَاءِ.

إِلَى أَنْ قَالَ (ص ٣٥): «وَاتَسَّعَ ظِلُّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَتَعَاظَمَ حَتَّى اكْتَنَفَ الْعَالَمَ الْقَدِيمَ، فَإِذَا هُوَ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا أَرْضٌ تُنْبِتُ الْخَيْرَ وَالْمَعْرِفَةَ وَالسَّلَامَ، وَإِذَا بَنِي الصَّحْرَاءِ يَمُدُّ يَدَهُ فَوْقَ الدُّنْيَا لِيَبْذُرَ فِي أَرْضِهَا بُذُورَ الْإِخَاءِ وَالْحُبِّ، يَمُدُّهَا حَتَّى تُطَاوِلَ الْأَفْقَ، وَهِيَ مَا زَالَتْ فِي امْتِدَادٍ، وَصَارَ لِدَوْلَةِ الْعَرَبِ رِجْلٌ فِي الْهِنْدِ وَرِجْلٌ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَعُقِدَ عَلَى جَبِينِ الشَّمْسِ تَاجُ شَعْبٍ عَظِيمٍ».

* أمين بك نخلة اللبناني:

الأستاذ المعروف، والشاعر المحلَّق أمين بن رشيد نخلة.

□ قال في مقدمة كتاب الأستاذ لبيب الرياشي «نفسية الرسول العربي» (ص ١٦): «محمد نعمة لا كلمة، لفرط ما مسحت على شفاه الخلائق، تأخذ بالسمع قبل الأخذ بالذهن، وتفيد خفة الحروف وحلاوة اللفظ قبل

أن تُفِيدَ العلاقةَ بالله، وليس على الأرضِ بسيطٌ لا يفتحُ لها صدره، ولا تُرَجُّ جوانبَ نفسه، فمن لم تأخذه بالإسلام أخذته بالعروبة، ومن لم تأخذه بالعروبة أخذته بالعربية».

* لبيب الرياشي اللبناني :

□ قال في أول كتابه «نفسية الرسول العربي»: «لنتجرّد ولنتطهّر من جذام التعصّب وأثرة الجنسية».

□ وقال في أول كتابه «فلسفة الرسول العربي» (ص ٦) تحت عنوان «اعتراف قبل التحلل وقبل الدرس»: «ما ندمتُ على شيءٍ في حياتي ندماً عصبياً ساحقاً، مثل ندمي على جهلِ نفسيةِ الرسول العربي والإمامِ الأعظمِ العالمي».

□ وقال في آخر كتابه المذكور: «حقاً يا محمّد، إنك رسولُ الثقافة والعلم، رسولُ الهداية والتضحية، رسولُ الفلسفة الجديدة، رسولُ الإنسانية الجديدة».

□ وقال في (ص ١١): «أما لو أدرك المسلمون سيرة الرسول بجواهرها، وشرّع الرسول بسنائه، وحكّم الرسول بجلالها، وإبداع الضمائر الجديدة التي ابتدعها الرسولُ بجدتها الوضّاءة، وعمّلوا بما أدركوا، لكان المسلمون غير هؤلاء المسلمين، ولكان العالمُ غير هذا العالم».

□ ثم قال: «أما لو درّس عُشاقُ الرسولِ وعُشاقُ العظماء والحكماء والمبدعين غير العرب، بطهارة وجدانٍ وبراءة سريرة، وتحليل عبقرية، حياة الرسول العربي، وسمو الرسول العربي، وبراءة سريرته وأعماله

وشرعه، لاستكشافوا أعظم شخصية وأقدس رسالة للتاريخ الإنساني، ولقد طالعت مئات المجلدات وقرأت حياة ألاف العظماء والرسل، ولكن مئات المجلدات وحياة ألاف العظماء والرسل ما فعلت بنفسني وأثرت في دماغي، وهذبت وثقفت وأدهشت، مثلما فعلت حياة الرسول العربي العالمي، محمد بن عبدالله.

* الكاتب ميخائيل طعمة:

□ نشر الصحافي المعروف «نجيب نصار» صاحب جريدة «الكرمل» التي كانت تصدر في «حيفا»، نشر فيها مقالاً للكاتب «ميخائيل طعمة»، جاء فيه: «لو لم يكن خلق محمد عظيمًا لانقلب عليه محيطه، ولو لم يكن خلق محمد عظيمًا لضعف أمام ما اعترضه من العقبات، ولرأى نفسه مضطراً إلى مجارات محيطه، ولما قوي على إحداث ما أوجده من الانقلاب العظيم، فبدل الضلال بالهدى، والجهل بالعلم، والهمجية بالمدينة».

* الدكتور شبلي شمیل اللبناني:

وُلد في «كفر شيما» ببلدان عام ١٨٦٠، وتوفي ١٩١٧م، له مؤلفات عديدة - «الأهوية» و«المياه» و«البلدان» لأبي الطب أبقراط الحكيم، ورسالة «الحقيقة»، وكان يرى فيها مذهب «دارون».

□ قال في إحدى مقالاته - مأخوذة عن «المقتطف»، المجلد السابع عدد ٦-: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدّن من أبناء هذا العصر أن يصغي لما يُظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، وأن لنا أن نحارب ما يُشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن

الرسالة التي أداها ذلك الرسولُ ما زالت السراجَ المنيرَ» .

□ وقال في قصيدة له :

ما قد نَحاه للحمة الغايات
هل أكفرنَّ بِمُحَكِّمِ الآياتِ
حَكِّمِ روادِعَ للهوى وعظاتِ
ما قيَّدَ العمرانُ بالعبادتِ
ربُّ الفصاحةِ مُصْطَفَى الكلماتِ
بطلٌ حليفُ النصرِ والغاراتِ
وبسيفه أنحى على الهاماتِ
من غائبٍ أو حاضرٍ أو آتِي

دَع من محمدٍ في سُدَى قرآنه
إني وإن أكَ قَدْ كَرَّتْ بدينه
أو ما حَوَّتْ في ناصعِ الآياتِ من
وشرائعَ لو أنهم عَقَلُوا بها
نعمَ المدبِّرُ والحكيمُ وإنه
رجلُ الحجى رجلُ السياسةِ والنهى
ببلاغَةِ القرآنِ قد غَلَبَ النهى
من دونه الأبطالُ في كلِّ الورى
* الأستاذ حنا خير الله اللبناني :

□ قال في إحدى حفلات ذكرى ميلاد الرسول ﷺ نقلاً عن مجلة

«العرفان» - المجلد السابع والعشرين الجزء ٣ :- «يكفي النبيَّ العربيَّ عظمةً أنه خَلَدَ اللغةَ العربيةَ وَقُدَّسَهَا، وأوجب على جميع أتباعه تَعَلُّمَهَا» .

□ إلى أن قال : «إننا نُعْظَمُ ذِكْرَ مَنْ خَلَدَ لأمْتنا أعظمَ مجد، وأشرفَ

تاريخ، وأسمى منزلة، وحَفِظَ لغتنا مقدَّسةً إلى أبدِ الدهر، لِنُبْرهنَ على أننا نُكْرِمُ محمداً - النبيَّ العربيَّ - ونحتفلُ بذكرى مولده المبارك، إنا نقدرُ محمداً، وأعمالَ محمد، وعظمةَ محمد، وغايةَ محمد» .

* شبلي الملاط اللبناني :

□ من قصيدة قالها في مهرجانٍ أقيمَ لأمير الشعراء «أحمد شوقي» في

القاهرة:

وَعَدَالَةٌ كَعَدَالَةِ الْخَطَّابِ
وَأَعَزَّهَا بِالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ
فِي الشَّرْقِ فَوْقَ أَبَاطِحِ وَهْضَابِ
أَكْتَفِ صَقْرٍ جَارِحٍ وَعُقَابِ

مَنْ لِلزَّمَانِ بِمِثْلِ فَضْلِ مُحَمَّدٍ
رَفَعَ الرَّسُولُ عِمَادَ أُمَّةٍ يَعْرَبُ
فَشَتَّ الْفَتْوحُ وَصَفَّقَتْ رَايَاتُهَا
وَتَغْلَغَلَتْ فِي الْغَرْبِ طَائِرَةٌ عَلَى
إِلَى أَنْ قَالَ:

غَرْنَاطَةٌ فِي رِقَّةٍ وَعِتَابِ
فِيهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ
قَوْمِيَّةٌ تَنْسِبُهُ فِي الْأَنْسَابِ

أَخَذَتْ قَرِيشٌ بِحُزْنِهَا وَبَكَتْ بِهَا
لَوْلَا يَدُ الْإِسْلَامِ لَمْ يَسَلَمْ بِمَا
مَنْ لَمْ يُطِقْ لُغَةَ الْجُدُودِ فَلَيْسَ مِنْ

* الشاعر محبوب الخوري الشرتوني اللبناني :

هو شاعرٌ معروفٌ من أديباء «عالية لبنان» ١٨٨٦، تُوفي ١٩٣١، له ديوانٌ طُبِعَ في نيويورك، ومن شعره قصيدته المعروفة:

يَقْضِي الْجَوَارُ عَلِيَّ وَالْأَرْحَامُ
أَهْلِي وَإِنْ شَحُوا عَلِيَّ كَرَامُ
صَفَّتِ الْقُلُوبُ هُنَاكَ وَالْأَجْسَامُ
هُوَ لِلْأَعْرَابِ أَجْمَعِينَ إِمَامُ

قَالُوا: تُحِبُّ الْعَرَبَ قَلْتُ أُحِبُّهُمْ
قَالُوا: لَقَدْ بَخَلُوا عَلَيْكَ أُجِبْتُهُمْ
قَالُوا: الْبِدَاوَةُ، قَلْتُ: أَطَهَّرُ عَنْصِرُ
وَمُحَمَّدٌ بَطْلُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

* إلياس فامور السوري :

«إلياس فامور» شاعرٌ وأديب، وُلِدَ فِي «اللاذقية» ١٨٩٧، نَشَرَتْ لَهُ بَعْضُ الصُّحُفِ السُّورِيَّةِ قَصِيدَةً قَالَهَا فِي حَفْلِ أُقِيمَ لِمِيلَادِ الرَّسُولِ عَامَ ٩٣٤، مِنْهَا:

شَمْسٌ تَدُلُّ عَلَى سَنَاهُ الْأَنْوَارِ
 فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ الْعَظِيمِ الْأَكْبَرِ
 مِنْ كُلِّ سَامٍ فِي الْوَرَى وَمُوقِرِ
 أَنِّي أَعُودُ بِصَفْقَةِ الْمُتَحِيرِ
 كُلُّ النُّجُومِ وَسَالِ ذُوبُ الْمُرْمِرِ
 فَيَاضَةً وَبَهْرَتَ كُلِّ مَنْكَرِ
 تَجَلُّوْ مَضَارِبُهُ ضَبَابَ الْعَثِيرِ
 بَيْنَ الْجَحَافِلِ فِي الْعِجَاجِ الْأَكْدَرِ
 أَزْرَتُ بِسَابِقَةِ الْعِتَاقِ الضُّمَرِ
 وَحَدِيثُهُ كَضِيَاءِ بَدْرِ مُقْمَرِ
 صُبْحًا بِمِثْلِ ظِلَامِ مَاضِي الْأَعْصَرِ
 أَعَيْتُ وَضَاقَ بِهَا مِدَادُ الْأَبْحُرِ

بَزَعَتْ وَلَكِنْ فِي جَبِينِ مُحَمَّدٍ
 فَتَهَلَّلَتْ بِشَرًّا مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ
 أَمْحَمْدُ وَلَا تَنْتِ أَرْفَعُ رُتْبَةً
 إِنِّي لِأَعْجَزُ عَنْ مَدِيحِكَ عَالِمًا
 أَطْلَعْتَ شَمْسَكَ فَاخْتَفَتْ وَتَضَاءَلَتْ
 وَمَلَأْتَ أَفْتَدَةَ الْخُصُومِ بِحِكْمَةٍ
 وَشَقَقْتَ جِلْبَابَ الظَّلَامِ بِصَارِمٍ
 وَبَذَلْتَ نَفْسَكَ لِلصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
 نَفْسٌ بِشَامِخَةِ النُّجُومِ مُهْمَةٌ
 فُرْقَانُهُ كَالشَّمْسِ يَسْطَعُ فِي الضُّحَى
 ذُو طَلْعَةٍ رَدَّتْ ظِلَامَ زَمَانِهِ
 لَوْ شِئْتُ نَظَّمُ فَرَائِدَ مِنْ نَثْرِهِ

* قسطاكي الحمصي السوري:

□ وُلِدَ فِي «حَلَب» ١٨٥٨، وَتُوفِيَ فِي «حَمَص» ١٩٤١، عَضُوُّ
 الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ فِي دِمَشْقَ، وَصَدِيقُ إِبْرَاهِيمِ الْيَازْجِيِّ، لَهُ مَوْالِفَاتٌ عَدَّةٌ،
 مِنْهَا «أَدْبَاءُ حَلَبِ ذُوو الْأَثَرِ»، وَهُوَ شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ وَكَاتِبٌ لَا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ،
 وَقَدْ نَشَرَتْ لَهُ «مَجَلَّةُ الْفَتْحِ» الَّتِي تَصَدَّرُ فِي الْقَاهِرَةِ عَامَ ١٩٣٠ مَا يَلِي: «إِذَا
 كَانَ سَيِّدُ قَرِيشٍ نَبِيَّ الْمُسْلِمِينَ وَمُؤَسِّسَ دِينِهِمْ، فَهُوَ أَيْضًا نَبِيُّ الْعَرَبِ
 وَمُؤَسِّسُ جَامِعَتِهِمُ الْقَوْمِيَّةِ، وَكَمَا أَنَّهُ مِنَ الْحَمَقِ وَالْمَكَابِرَةِ أَنْ تُنْكَرَ مَا لِسَيِّدِ
 قَرِيشٍ مِنْ بَعِيدِ الْأَثَرِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَتْلِ الْعَصَبِيَّاتِ الْفِرْعَوِيَّةِ

في نفوس القبائل ، بعد أن أنهكها القتالُ في قتالِ الصحراء ، وتناحرَ ملوكها في الشام والعراقِ تناحرًا طالَ أمدَ الحمايةِ الرومانية والفارسية في البلدين العربيينِ الشقيقينِ حتى الفتحِ الإسلاميِّ ، فمن الخُطلِ أن تُنكرَ ما للرسولِ العربيِّ الكريمِ وخلفائه من يدٍ على الشرقِ في إثارةِ تلكِ الحماسةِ والبطولةِ النادرةِ المتدفقةِ في صُدورِ أولئكِ النَّفَرِ الميامينِ - الذين كانوا قابِعينِ في حُزونِ الجزيرةِ وبطاحها - في سبيلِ الفتحِ ، والمنافحةِ لتحريرِ الشرقِ من رِقِّ الرومانِ وأسرِ الفرسِ .

إن سيدَ قريشٍ هو المُتَقَدُّ الأكبرُ للعربِ من فوضىِ الجاهليةِ ، وواضعُ حَجَرِ الزاويةِ في صرْحِ نَهْضَتِهِم الجبارةِ المتأصلةِ في تربةِ الخلودِ ، ولقد بنيتُ قصيدتي الآتيةَ ، وحدوتُ فيها حدوَّ «البردة» في مناجاةِ رسولِ العربِ وحارسِ العربِ «بالمصحفِ الخالدِ الآياتِ والكلمِ» ، وإذا حُقَّ لأولئكِ الأعلامِ - وهم من حُماةِ الإسلامِ - إطلاقُ اسمِ «البردةِ النبويةِ» على قصائدهم ، فقد حُقَّ لي - وأنا من شبابِ العربِ المنادينِ في سبيلِ الجامعةِ القوميةِ - أن أُطلقَ على قصيدتي اسمَ «البردةِ العربيةِ» ، وأصُبَّ حِمَمِهَا على المستعمرينِ الطغاةِ .

□ وإذا كان فقيدُ الإسلامِ محمدَ عليَ يقولُ : «الإسلامُ أولاً والهندُ ثانياً» ، فأنا أقولُ : إن مسيحيَّتي لا تحوُلُ ولن تحوُلَ دونَ وقفِ يُراعي على خدمةِ أمتي وتضحيتي في سبيلِ استقلالها ، كما أن عروبتي لا تحوُلُ ولن تحوُلَ دونَ قيامي بشعائريِ الدينيةِ ، وهذه قصيدتي :

باللَّهِ يَا جِيرةَ البطحاءِ والعلمِ عوداً خشوعاً وحيوا ساكنَ الحرَمِ

حُبُّ الْعَرُوبَةِ نَبْتِ الْمَجْدِ وَالشِّيمِ
بَثَّ الْفُؤَادِ وَمَعْنَى الشَّجْوِ وَالشَّمَمِ
أَنْ يَنْهَضُوا لِاِفْتِحَامِ الْهَوْلِ وَالْعُظْمِ
لَهُ الْجَبَابِرُ مِنْ رُومٍ وَمِنْ عَجَمِ
إِلَّا حَيَاةَ ضِعَافِ الشَّاةِ وَالْبَهَمِ
إِنِّي أُوفِّي لِعَهْدِ الْعُرْبِ كُلِّهِمْ
فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالطَّغْيَانِ وَالظُّلْمِ
وَالْعَدْلِ رَائِدُهُمْ فِي مَسَلِّكَ الْعِلْمِ
طَوْعَ الْبَنَانِ وَأُضْحَوْا سَادَةَ الْأُمَمِ
وَخَرَّ مُسْتَرْحِمًا مِنْ وَطْءِ خَيْلِهِمْ
وَأَصْبَحُوا كُبَغَاثَ لَطِيرِ وَالْغَنَمِ
مُرَّ الْعَذَابِ وَيُغْلِيهِمْ عَلَى ضَرَمِ
كَأَنَّهُمْ عِنْدَهُ مِنْ أَحْقَرِ الْخُدَمِ

وَاسْتَعْطَفُوا عَلَى صَبِّ تَمَلَّكَه
عَسَاهُ يُصْغِي إِلَى شَكْوَاهِ إِنْ لَهَا
وَيُلْهِمُ الْعُرْبَ مِنْ إِعْجَازِ حِكْمَتِهِ
وَيَسْتَرِدُّوهُ مَقَامًا طَالَمَا سَجَدَتْ
فَمَا الْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيُونَ وَيَحْتَمُّونَ
يَا سَيِّدَ الْعُرْبِ وَالْأَيَّامِ شَاهِدَةٌ
أَنْقَذْتَ قَدَمًا بَنِي عَدْنَانَ مِنْ عَمِهِ
وَقُدَّتْهُمْ صُعْدًا وَالِدِينَ قَائِدَهُمْ
فَصَافَحُوا الْمَجْدَ وَالْأَيَّامَ فِي يَدِهِمْ
وَدَوَّخُوا الْعُرْبَ حَتَّى لَانَ جَامِحُهُ
وَالآنَ قَدْ دَالَ مَجْدُ الْعُرْبِ وَاللَّهْفِي
يَسُومُهُمْ عَبْدُهُمْ بِالْأَمْسِ وَالْكَبْدِي
وَيَسْتَبِيحُ حِمَاهُمْ غَيْرَ مُحْتَشِمِ
□ إِلَى أَنْ يَقُولَ :

بِالْعَزْمِ وَابْعَثْ مَوَاتِ الْعَزْمِ وَالْهَمَمِ
يُثِيرُهَا لِلْعُلَى فِي أَرْفَعِ الْقِمَمِ
نَصْرٌ قَرِيبٌ وَفَتْحٌ غَيْرٌ مُثَلِّمِ
وَلَاتِ سَاعَةَ عَضِّ الْكَفِّ مِنْ نَدَمِ

فَاهْبِطْ أَبَا الْقَاسِمِ الْمَيْمُونِ مُؤْتَزِرًا
وَانْفُخْ بَعْدَنَانَ مِنْ رُوحِ النُّبُوَّةِ مَا
وَاسَأَلْ لَهَا نُصْرَةً مِنْ رَبَّنَا فَعَسَى
سَيَنْدِمُ الْعُرْبُ عَمَّا جَاءَ مُعْتَسِفًا

□ وَقَدْ وَقَّعَ الشَّاعِرُ الْمَذْكُورُ الْمَسِيحِي تَحْتَ الْقَصِيدَةِ الْمَذْكُورَةِ :

«فتى العرب» حمص . . الشام

* الأستاذ ميشيل عفلق السوري :

رئيسُ حزب «البعث» العربي في دمشق .

□ قال في كتابه «في سبيل البعث» (ص ٥٣): «حتى الآن كان يُنظرُ إلى حياة الرسول محمدٍ من الخارج، كصورةٍ رائعةٍ وُجِدَتْ لِنَعَجَبَ بِهَا وَتُقَدِّسَهَا، فعلينا أن نبدأً بالنظرِ إليها من الداخل لنحياها، كلُّ عربيٍّ في الوقت الحاضرِ يَسْتَطِيعُ أن يحيا حياةَ الرسول العربي، ولو بنسبةِ الحصاةِ إلى الجبل والقطرةِ إلى البحر، طبيعي أن يَعْجِزَ أَيُّ رَجُلٍ مَهْمَا بَلَغَتْ عَظَمَتُهُ أَنْ يَعمَلَ مَا عَمَلَ مُحَمَّدٌ، ولكن من الطبيعي أن يستطيعَ أَيُّ رَجُلٍ مَهْمَا ضَاقَتْ قَدْرَتُهُ أَنْ يَكُونَ نَمُودَجًا مَصغَّرًا ضئيلًا لمحمدٍ، ما دام ينتسبُ إلى الأمة التي حَشَدَتْ كُلَّ قَوَاهَا فَأُنْجِبَتْ مُحَمَّدًا، أو بالأحرى ما دام هذا الرجلُ فردًا من أفرادِ الأمة التي حَشَدَ مُحَمَّدٌ كُلَّ قَوَاهَا فَأُنْجِبَهَا، في وقتٍ مَضَى تَلَخَّصَتْ فِي رَجُلٍ وَاحِدٍ كُلُّ حَيَاةِ أُمَّتِهِ، واليومَ يَجِبُ أَنْ تُصْبِحَ كُلُّ حَيَاةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي نَهْضَتِهَا الْجَدِيدَةِ تَفْصِيلًا لِحَيَاةِ رَجُلِهَا الْعَظِيمِ، كان مُحَمَّدٌ كُلُّ الْعَرَبِ، فليكنْ كُلُّ الْعَرَبِ الْيَوْمَ مُحَمَّدًا» .

□ إلى أن قال: «إنَّ الإسلامَ لم يُوجَدْ لِيَكُونَ مَقْصُورًا عَلَى الْعَرَبِ، إِذَا قَلْنَا ذَلِكَ ابْتَعَدْنَا عَنِ الْحَقِّ وَخَالَفْنَا الْوَاقِعَ، فَكُلُّ أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ عَمِيقَةٍ الْإِتِّصَالِ بِمَعَانِي الْكُونَ الْأَزَلِيَّةِ، تَنزَعُ فِي أَصْلِ تَكْوِينِهَا إِلَى الْقِيَمِ الْخَالِدَةِ الشَّامِلَةِ، وَالْإِسْلَامُ خَيْرٌ مُفْصَحٍ عَنِ نَزْوَعِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْخُلُودِ وَالشُّمُولِ، فَهُوَ إِذَا وَقَعَهُ عَرَبِيٌّ، وَفِي مَرَامِيهِ الْمَثَالِيَّةِ إِنْسَانِيٌّ، فَرِسَالَةُ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا هِيَ خُلُقٌ إِنْسَانِيٌّ عَرَبِيٌّ .

إن العرب ينفردون - دون سائر الأمم - بهذه الخاصية، إن يقظتهم القومية اقتربت برسالة دينية، أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن هذه اليقظة القومية، ولم يتوسّعوا بغير التوسّع، ولا حكموا البلاد استناداً إلى حاجة اقتصادية مجردة، أو ذريعة عنصرية أو شهوة للسيطرة والاستعباد، بل ليؤدّوا واجباً دينياً كلّه حقٌّ وهدايةٌ ورحمةٌ وعدلٌ وبذلٌ، أراقوا من أجله دماءهم، وأقبلوا عليه خفافاً ومتهلّلين لوجه الله، وما دام الارتباط وثيقاً بين العروبة والإسلام، وما دما نرى في العروبة جسماً روّحه الإسلام، فلا مجال إذاً للخوف من أن يشتطّ العرب في قوميتهم، إنها لن تبلغ عصبية البغي والاستعمار.

* الدكتور نجيب أرنازي المصري:

وُلِدَ في بلدته «ماهاي» عام ١٨١٩، وتوفي ١٨٨٧م، له كتاب «عن الشرع الدولي في الإسلام».

□ قال فيه «ص ٥٦»: «كان العربُ لَمَّا بُعثَ محمدٌ فيهم على الفِطْرةِ البيضاءِ النقيةِ، لم يُكْذِرْها مُكْذِرٌ، ولم يَعْبَثْ بِرَوْنِقِهَا عَابَثٌ، تَطَلَّعَ إِلَى أَمْرِ عَظِيمٍ، وَخَطَبَ جَسِيمٍ، قَدْ اسْتَكْنَّتْ مِنَ الْمَوَاهِبِ الشَّرِيفَةِ وَالْقَوَى الْكَامِنَةِ وَالْعَزَائِمِ الشَّدِيدَةِ مَا يَسْمُو كَالنَّارِ إِلَى إِشَاعَةِ ذِكْرِهِ وَتَعْرِفِ خَبْرِهِ، وَاسْتَفَاضَتْ فِيهَا رُوحَ الْحَيَاةِ، وَشَاعَ فِي النَّاسِ نَبَأُ حَادِثٍ دِينِيٍّ كَبِيرٍ، يَكُونُ عُنْوَانُ تَارِيخِ جَلِيلٍ».

□ إلى أن قال: «فقد ظهر الإسلام في عنفوان تلك البعثة، وأصاب بدعوته شاكلة القلوب، ودانت له العرب، فأصلح بينهم، وجمّع كلمتهم، وحينئذ نفروا من البادية، وانتشروا في أقطار الأرض، تنقاد لهم أعنة الأمم

انقياداً يُشابهُ المُعْجِزَاتِ ، وَلَمَّا أَظْهَرَ مُحَمَّدٌ دَعْوَتَهُ قَالَ لِعَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ : مَا أَعْلَمُ أَنْ إِنْسَانًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلِ مِمَّا جِئْتُمْ بِهِ ، فَقَدْ جِئْتُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» .

□ وقال في (ص ٦١): «قام محمدٌ - وهو عربيٌّ من صميمِ العرب - يدعو قومه إلى توحيدٍ لا ريبَ فيه ولا هوادة، مُنَوِّهاً عن رموزِ الأَحْبَارِ وزخارفِ الكُفْهَانِ، وَيَحْتِثُّهُمْ عَلَى الْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَالْحَرِصِ عَلَى مَدَارِكِ أُخْرَى فِي الْحَيَاةِ أَشْرَفَ مَنْزَلَةً وَأَبْعَدَ غَايَةً» .

* عبدالمسيح أفندي وزير المصري :

نشرت جريدة «الاستقلال» ١٩٢٧ مقالاً للأستاذ «عبدالمسيح أفندي وزير» الكاتب المعروف، تحت عنوان «محمد والحضارة»، وذلك يومَ ذِكْرِي مَبْعَثِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

□ جاء في المقال ما يلي: «في مثل هذا اليوم المبارك نشرُ في هذه الجريدةِ مقالاً في محمدٍ فيه ذِكْرِي - والذِكْرِيُ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ -، وقد عالجتُ الموضوعَ فيما مضى من وجوهٍ غيرِ الوجهِ الذي عَقَدْتُ الْعَزِيمَةَ عَلَى مُعَالَجَتِهِ الْآنَ، إِذْ كَانَتْ الْمَقَالَاتُ السَّابِقَةُ فِي قَلْبِ شِعْرِي أَدْبِيًّا، أَمَا الْيَوْمَ، فَأَبْحَثُ فِي بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ بَحْثًا عِلْمِيًّا مُحَضًّا لَا أَثْرَ لِلتَّخْرِيبِ فِيهِ، وَقَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أُبْرِهِنَ أَنَّ الْحَضَارَةَ الْأُورِيبِيَّةَ الْحَدِيثَةَ - أَوْ بِالْأَحْرَى الْحَضَارَةَ الْمَسِيحِيَّةَ - إِنَّمَا قَامَتْ - وَهِيَ قَائِمَةٌ وَسَتَقُومُ - عَلَى مَبَادِيِ الْإِسْلَامِ، مَبَادِيِ مُحَمَّدٍ الَّتِي نَشَرَهَا عَلَى الْعَالَمِ، فَعَمِلَ بِهَا الْعَالَمُ الْمَتَمَدِّنُ كُلُّهُ مِنْ يَوْمِ مُحَمَّدٍ حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةُ، وَالْحَضَارَةُ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ حَضَارَةٌ وَاحِدَةٌ لَا أَدْوَارَ لَهَا» .

□ إلى أن قال: «قال «بوذا» و«كنفونيس» و«عيسى» بالمسألة والاستكانة، وقال محمد بن عبد الله النبي العربي بالقوة، وأصبحت جميع الأمم اليوم لا تعمل إلا بالقوة، ففي العالم اليوم فلسفتان في الدين، فلسفة التصوف، وفلسفة العمل - أي: القوة -، فلنأخذ المسيحية - وهي أرقى ما في التصوف بمبادئها -، ولنأخذ الإسلام - وهو القائم على مبدأ القوة -، ونقارن بين المبدئين لنرى أيهما الفائز في حضارتنا:

□ قال المسيح عليه السلام: «مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ الْيَمِينِ، فَحَوَّلْ لَهُ خَدَّكَ الْاَيْسَرَ، وَمَنْ طَلَبَ ثَوْبَكَ، فَأَعْطِهِ رِءَاكَ»، ومعنى هذا أن على الإنسان أن يكون مسالماً مستكيناً لا يبيدي حراكاً في حضارةٍ تُنازعُ البقاء، أمّا محمدٌ فيقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أي: نازع من أجل بقاءك وكيانك بكل ما أوتيته من قوة، فالمبدأ الأساسي هو مبدأ تنازع البقاء، فإذا ثبت لزوم المبدأ لكيان الحضارة، كان محمدٌ فائزاً في هذا المضمار، وكفى بهذا المضمار مسرّحاً للمبدأ الصحيح الذي جاء به محمدٌ وعمل لأجله.

□ إلى أن قال: «ثمّ لَمَّا كَانَ الْمُسْلِمُونَ خَاصَّةً وَالْعَرَبُ عَامَّةً عَامِلِينَ بِمَبْدَأِ نَبِيِّهِمْ - مُحَمَّدٍ - شَادُوا حَضَارَةً مَجِيدَةً وَأَصْبَحُوا سَادَةَ الدُّنْيَا، وَلَكِنْهُمْ فَرَطُوا بِالْاِبْتِعَادِ عَنِ هَذَا الْمَبْدَأِ، وَرَكَنُوا إِلَى الْاِسْتِكَانَةِ فَبَاتُوا مَسُودِينَ». . . إلى آخر المقال.

* البحّثة جرجي زيدان :

وُلِدَ فِي «بَيْرُوت - لُبْنَان» عَامَ ١٨٦١، وَتُوفِيَ ١٩١٤ م. مُؤَسِّسٌ مَجَلَّة

«الهلal» عام ١٨٩٢، نَشَر فِيهَا الْمَقَالَاتِ الْأَدْبِيَّةَ وَالتَّارِيخِيَّةَ وَاللُّغَوِيَّةَ، وَمُؤَسَّسُ «دَارِ الْهَلَالِ» لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، وَهُوَ دَرَسَاتٌ قِيَمَةٌ فِي الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ، أَهْمُهَا: «العرب قبل الإسلام» و«تاريخ التمدن الإسلامي» و«تاريخ آداب اللغة العربية»، و«تراجم مشاهير الشرق».

□ قال في «تاريخ العرب قبل الإسلام»: «إن أقدم المصادر العربية لتاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن، فقد جاء فيه ذكر القبائل البائدة - كعادٍ وثمود-، وبعض أخبار ملوك اليمن - كسيل العرم وغيره-، وإذا قرأت تلك الأخبار فيه، تجد ما ذكره القرآن صحيحاً تؤيده الاكتشافات الحديثة، وهو المعجز الذي جاء به محمد».

□ وقال في كتابه «التمدن الإسلامي»: «ولمّا عمد المسلمون إلى تلاوة القرآن والحديث وتفسيرهما، أشكل على غير العرب إعرابهما؛ لأن ملكة اللغة غير راسخة فيهم».

□ إلى أن قال: «جملة القول: إن ما اشتغل به المسلمون في صدر الإسلام من العلوم مرجعه إلى القرآن الذي نزل على محمد، فهو المحور الذي تدور عليه العلوم الأدبية واللسانية فضلاً عن الدينية، ورسخ في الأذهان أنه لا يجوز أن يُنظر في كتاب غير القرآن؛ لأنه جاء ناسخاً لكل كتاب قبله، وقد نهى الشرع الإسلامي يومئذ عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن لاتحاد الكلمة واجتماعها على الأخذ به، وقد أعلن محمد النبي العربي أن رسالته خاتمة الرسالات، وصحيح ذلك؛ لأن فيها ما يصلح للبشر في مختلف أطوارهم وسائر أدوارهم».

* الدكتور نيس الأندونيسي :

أستاذ الديانة المسيحية في جامعة «برمنكهام» .

□ قال في إحدى محاضراته نقلاً عن «مجلة الهلال» الجزء الخامس من المجلد الثالث: «يا ابن مكة، ويا نسل الأكرمين، ويا مُعيد مجد الآباء والأجداد، ويا مُخلص العالم من العبودية، إن العالم يفتخرُ بك، ويشكرُ اللهَ على تلك المنحة العزيزة، بل ويُقدِّرُ لك مجهوداتك كلها، يا نسل الخليل إبراهيم، يا مَنْ منحت السلام للعالم، ووفقت بين قلوب البشر، وجعلت الإخلاص شعارك، يا مَنْ قُلت في شريعتك: «إنما الأعمال بالنيات»، لك منَّا الشكرُ الجزيل» .

* «رينيه جينو» «الشيخ عبدالواحد يحيى» :

«رينيه جينو» من الشخصيات التي أخذت مكانها في التاريخ، وهو العالمُ الفيلسوف الذي يُدوِّي اسمه في أوروبا قاطبة، وفي أمريكا، يضعه المسلمون بجوار «الغزالي» وأمثاله، ويضعه غير المسلمين بجوار «أفلوطين»، صاحب الأفلاطونية الحديثة .

وقد كان إسلامه ثورةً كبرى هزّت ضمائر الكثيرين، من ذوي البصائر الطاهرة، فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصّة، تعبدُ اللهَ على يقين في معاقل الكاثوليكية في الغرب .

وكان سببُ إسلامه يسيراً؛ لقد أراد أن يعتصم بنصٍّ مقدّس، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد - بعد دراسة عميقة - سوى القرآن، فهو الكتابُ الوحيد الذي لم ينلّه التحريفُ والتبديلُ؛ لأن الله تكفل

بِحِفْظِهِ، وَحَفِظَهُ حَقِيقَةً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].
 لم يجد سوى القرآن نصاً مقدساً صحيحاً، فاعتصم به، وسار تحت
 لوائه، فغمّره الأمنُ النفسانيُّ في رحابِ الفرقانِ.
 ومؤلفاته كثيرةٌ مشهورة، من بينها كتابُ «أزمة العالم الحديث»، يبيِّن
 فيه الانحرافَ الذي تسيرُ فيه أوروبا الآن، والضلالَ الممين الذي أعمى
 الغربَ عن سواءِ السبيلِ.

□ أما كتابه «الشرق والغرب»، فهو من الكتبِ الخالدة، التي تجعلُ كلَّ
 شرقيٍّ يفتخرُ بشرقيته.

□ يقول الشيخ الدكتور «عبدالحليم محمود» شيخ الجامع الأزهر:
 «وإذا كان الشخصُ في بيئتنا الحالية لا يُقدَّرُ التقديرَ الذي يستحقُّه إلاَّ بعد
 وفاته، فقد كان من حُسنِ حظِّ «رينيه جينو» أنه قُدِّرَ في أثناءِ حياته، وقُدِّرَ
 بعد وفاته، أمّا في أثناءِ حياته، فكان أولُ تقديرٍ له: أن حرّمت الكنيسةُ قراءةَ
 كتبه، والكنيسةُ لا تفعلُ هذا إلاَّ مع كبارِ المفكرين الذين تخشى خطرهم،
 فقد وضعتُه بذلك بجوارِ عباقرةِ الفكرِ الذين اتخذتُ تجاههم نفسَ المسلكِ،
 ولكنها رأت في «رينيه جينو» خطراً يكبرُ كلَّ خطرٍ سابقٍ، فحرّمت حتى
 الحديث عنه.

واستجاب كثيرون لدعوة «رينيه جينو»، فألفوا جمعياتٍ في أنحاءِ
 العالم، وعلى الخصوص في سويسرا وفي فرنسا وتخذوا الإسلام ديناً.
 ومن التقديرِ الإيجابي أن كتب «رينيه جينو» برغم تحريم الكنيسة
 لقراءتها، قد انتشرت في جميع أرجاءِ العالم، وطُبعت المرةَ بعدَ الأخرى،
 وتُرجم الكثيرُ منها إلى جميع اللغات الحية، ما عدا العربية.

وبعد مماته كتبت عنه جميعُ صحفِ العالم، وقد خصّصتُ له مجلة «فرنسا - آسيا» وهي مجلةٌ محترمة، عددًا ضخماً؛ كتب فيه كبارُ الكُتّاب الشرقيين والغربيين، وافتتحته بتقدير كاتب فرنسا الأكبر «أندرية جيد»، وقوله في صراحةٍ لا لبس فيها: إن آراءَ «رينيه جينو» لا تُنقض.

وخصّصتُ مجلة «ايتودترا ديسونيل» عددًا ضخماً من أعدادها، ثم خصّص له الكاتبُ الصحفيُّ الشهير «بول سيران» كتاباً ضخماً تحدّث فيه عن حياته وعن آرائه.

بعد أن بهرت أشعةُ الإسلامِ الخالدةُ «رينيه»، وغمره ضياؤه الباهرُ، اعتنق الإسلامَ، وأصبح جندياً من جنوده يدافعُ عنه ويدعو إليه.

ومن أمثله ما كتبه في كتابه «رمزية الصليب» تفنيداً للفريّة التي تقول: «إن الإسلام انتشر بالسيف».

ومن أمثله ذلك أيضاً ما كتبه في مجلة «كابه دي سور» في عددها الخاص بالإسلام والغرب، دفاعاً عن الروحانية الإسلامية، لقد أنكر الغربيون رُوحانية الإسلام، أو قلّلوا من شأنها، وأشادوا بروحانية المسيحية وأكبروا من شأنها، فأتى الشيخ «عبد الواحد يحيى» وبين سُمومَ الروحانية في الإسلام وروعتها، وقارَنَ بين ما يُسمونه بـ «التصوفِ المسيحي» أو «المستيزم»، وانتهى بأن هذا «المستيزم» لا يمكنه أن يبلغ - ولا عن بُعد - ما بلغه التصوفُ الإسلامي^(١) من سُمومٍ وجلال^(٢).

(١) أي الصحيح القائم على الكتاب والسنة الصحيحة، لا أقوال أصحاب التصوف الفلسفي أو البدعي الذي ضيغ الأمة.

(٢) «أوربا والإسلام» (ص ٧٢-٧٦).

* الفنان الفرنسي «ألفونس إيتين دينيه» :

وُلِدَ «ألفونس إيتين دينيه» في باريس سنة ١٨٦١ ، وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير ، وصاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة ، وله في متحف «لوكسمبرج» عدة صورٍ، منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم «غداة رمضان» ، وكذلك له صورةٌ في متحف «بو» ، وكذلك في متحف «سدني» باستراليا ، و«الحج إلى بيت الله الحرام» ، وله عدة مؤلفات منها «حياة العرب» ، وكتاب «السراب» ، و«حياة الصحراء» ، وكتاب «ربيع القلوب» ، وكتاب «الشرق كما يراه الغرب» ، ومن أهم كتبه «السيرة النبوية» وهو مجلد كبيرٌ جليلٌ وُضِعَ باللغة الفرنسية ، وله رسالةٌ «أشعة خاصة بنور الإسلام» ، قام بتعريبها الأستاذ الأديب «راشد رستم» ، وقد أعلن إسلامه رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر ، عام ١٩٢٧م ، وسمى نفسه «ناصر الدين دينيه» ، وطلب أن يُدفن في بلده «بوسعادة» بالجزائر حنيفاً مسلماً .

□ قال في كتابه «محمد رسول الله» (ص ٤٨) : «إِنَّ حَدودَ هَذَا السَّفَرِ لَنْ تَسْمَحَ لَنَا بِأَنْ نَقْدِمَ جَمِيعَ التَّفَاصِيلِ وَجَمِيعَ النُّوَاحِي لِحَيَاةِ حَافِلَةٍ بِالْعِظَائِمِ ، إِلَى هَذَا الْحَدِّ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْمُسْلِمِينَ» .

□ وقال (ص ٤٩) منه : «وَالْحَقُّ أَنَّنَا نَرَى مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَسَّسُوا دِيَانَاتٍ ، أَنْ مُحَمَّدًا هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنِ مَدَدِ الْخَوَارِقِ وَالْمَعْجَزَاتِ الْمَادِيَةِ ، مَعْتَمِدًا فَقَطْ عَلَى بَدَاهَةِ رِسَالَتِهِ وَوُضُوحِهَا ، وَعَلَى بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ الْإِلَهِيَةِ ، وَإِنَّ فِي اسْتِغْنَاءِ مُحَمَّدٍ عَنِ مَدَدِ الْخَوَارِقِ وَالْمَعْجَزَاتِ لِأَكْبَرُ مَعْجَزَةٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ» .

□ وقال (ص ٥٢) منه: «إن في مرأى المؤمنين وفي أعمالهم لصوره تلمحها منعكسة من مآثر محمد، وإذا ما كانت بالطبع باهتة بالقياس إلى كمالته العليا، فإنها لا جدال في صحتها، هذا على حين نجد قياصرة روما - مع دقة تماثيلهم - لا يطالعنا منهم سوى قناع مزيف لوجوههم الجامدة تحت صورة من الخيلاء، إن صورهم تظل مية يعجز خيالنا عن أن يلمح لها شيئاً من الحياة، وإنه لبوحي هذه الحقيقة المقررة قامت برؤوسنا فكرة نشر لوحات في تاريخ محمد، تمثل المآثر الدينية لأتباعه، وبعض صور من حياة العرب، وبعض مدن الحجاز الذي هو وطنه».

□ وقال (ص ٨٧) منه: «محمد لم يؤلف القرآن، حقاً أنه ليدهشني أن يرى بعض المستشرقين أن محمداً قد انتهز فرصة، فروى ورتب عمله المستقبل، بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فوسوس بأن محمداً ألف في تلك الفترة القرآن كله!».

أحقاً لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خال من أية خطة سابقة على وجوده، مرسومة على نسق المناهج الإنسانية، وأن كل سورة من سورته منفصلة عن غيرها، وخاصةً بحادثة وقعت بعد الرسالة طيلة فترة تزيد على عشرين عاماً، وأنه كان من المستحيل على محمد أن يتوقع ذلك ويتنبأ به؟!».

□ وقال (ص ٣٤٥) منه: «فدين الرسول محمد أكد من الساعة الأولى لظهوره أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان، وإذا كان صالحاً بالضرورة لكل عقل، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر، وهو

لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة.

وقال في كتابه «أشعة خاصة بنور الإسلام» ترجمة الأستاذ «راشد رستم»: «إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في تمام رسالته على المعجزات، وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].»

* فاندبرج:

قال: «لقد وضع الإسلام قواعد جليلة للرفيق تدل على ما كان ينطوي عليه محمد ﷺ من شعور إنساني نبيل يناقض كل المناقضة - تلك الأساليب التي كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعي أنها تمشي في طليعة الحضارة.

لهذا كان كثير من الرفيق يفضل حياة الرق في ظلال هذه المبادئ على الحرية الوهمية في بلاد وأم تسترق شعوبها بالجملة»^(١).

الإسلام العظيم الذي رفع شأن «بلال»، فجعله من أئمة الصحابة، حتى قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أبو بكر سيدنا . . أعتق بلالاً سيدنا».

وفيه نزل قول الله عز جل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(١) «لماذا يخافون الإسلام» (ص ١٢٢) - للدكتور عبدالودود شلبي - دار الاعتصام.

أين هذا من قول الفيلسوف العنصري «لونج» في كتابه «تاريخ جامايكا» عن الزوج: «إنهم غير خَلِيقين بالحياة، وإنهم لا يزيدون عن القروء التي تتعلم لتأكل وتشرب، وإن قيمتهم لا تزيد عن قيمة أيِّ سلعة تُباع في الأسواق»؟ .

□ بل ويقول «متسيكو» عن السود: «إني أعتقد أن الله أحكم من أن يضع رُوحاً - فضلاً عن رُوح طيبة - في جسم حالك السواد»^(١) .

* الكاردينال «أشوك كولن يانق» أمين عام «مجلس الكنائس العالمي» لوسط وشرق أفريقيا سابقاً يُشهر إسلامه:

□ في مقال الكاردينال السابق «أشوك كولن يانق»، يكشف جوانب جديدة عن رحلته إلى الإسلام لرجب الدمهوري والمنشور بمجلة «المختار الإسلامي» العدد (٢٨١) - غرة المحرم ١٤٢٧هـ - ٣١ يناير ٢٠٠٦م (ص ٦٨) إلى (ص ٧١) قال: «أثارت المقابلة التي أجرتها «المختار الإسلامي» مع أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق إفريقيا سابقاً «أشوك كولن يانق» ردوداً فعل واسعة النطاق، وتناقلتها عشرات المواقع الإلكترونية ووسائل الإعلام . . وكان «كولن يانق» الذي اعتنق الإسلام عام ٢٠٠٢ قد كشف في حوارهِ أبعادَ المخطَّطِ الكنسيِّ الرامي لتنصير المسلمين وضرب الحركة الإسلامية عبرَ توظيفِ العلمانيين لمواجهة المدِّ الإسلامي، وإنفاق أموال طائلة على بعض الأجهزة والأفراد ذوي الصلَّة . . وفي هذا العدد يكشف الكاردينال السابق جوانبَ جديدةً في رحلته «من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإسلام، ومن حال أهل النار إلى حال أهل القبلة» - على حدِّ

(١) المصدر السابق (ص ١٢٨) .

تعبيره..، وفيما يلي التفاصيل:

□ «تغيير الإنسان عقيدته ليس أمراً سهلاً، خاصةً إذا كان هذا الإنسان يحتلُّ قمة الهرم الذي يدعو إلى هذه العقيدة.. . فما الذي قادك إلى التغيير، ومن ثمَّ اعتناق الإسلام من واقع دراستك للأناجيل؟»

- سؤال مهم.. . الإنسان مهما علا شأنه إذا كان صادقاً وجاداً في البحث عن الحقيقة، فإنه حتماً سيصلُ إليها يوماً ما، وهذه الحقيقة التي سيصلُ إليها إما أنها تُعزِّزُ ما يؤمنُ به، أو تهديه إلى سبيلٍ آخر.. . هذا أولاً.

أما كيف غيَّرتُ عقيدتي، فأجيبُ من خلال أقوال المسيح التي وردت في الأناجيل، فقد جاء في إنجيل «يوحنا» في «الإصحاح الثامن - فقرة ٤٠» عندما همَّ اليهودُ بقتله: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونني، وأنا إنسانٌ قد كلَّمكم بالحق الذي سمِعته من الله».

فالمسيحُ ﷺ إنسانٌ اختاره الله وحملَه رسالةً، وجعله نبياً؛ ولذلك يقولُ ﷺ كما جاء في «الإصحاح الثامن - فقرة ٤٢»: «لو كان الله أباكم لكتتم تُحبونني؛ لأنني خرجتُ من قِبَلِ الله وأتيتُ، لأنني لم آتٍ من نفسي، بل ذلك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي؟»، وقد صرَّحتُ بعضُ الأناجيلُ بنبوَّة عيسى ﷺ كما جاء في «لوقا - الإصحاح السابع - فقرة ١٦»: «فأخذ الجميعَ خوفٌ ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبيٌّ عظيم».

وجاء في «متى - الإصحاح الحادي والعشرين - فقر ٩، ١٠، ١١»: «ولما دخل أورشليم ارتجتِ المدينةُ كلُّها قائلةً: من هذا؟ فقالت الجموعُ: هذا النبيُّ الذي من ناصرة الجليل».

وهذه النصوصُ تتفقُ مع قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [المائدة: ٧٥].

* رسالة عيسى :

□ إِذَا أَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ الَّتِي اقْتَبَسْتَهَا مِنَ الْأَنْجِيلِ كَفِيلَةٌ بِتَغْيِيرِ الْعَقِيدَةِ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ؟ .

- الإيمانُ برسالة سيدنا عيسى عليه السلام يكونُ بتصديقه فيما أخبر، فلا نردُّ خبره ولا نكذبُ قوله ولا نخالفه، فالمسيحُ عليه السلام جاءنا من الله لأمرين مهمين :

أولاً: لَتَعْلَمَ الْأُمَّةُ الَّتِي بُعِثَ إِلَيْهَا كَيْفَ تَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَتَعْبُدُهُ، أَمَّا مَعْرِفَةُ اللَّهِ، فيقولُ المسيحُ عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ» .

فقد جاء في إنجيل «مرقص» في «الإصحاح الثاني عشر - فقرة ٣٠» لَمَّا سَأَلَهُ الْكَاتِبُ: «أَيُّ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ: إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا «إِسْرَائِيلَ»، الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ، وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى، وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا، هِيَ أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كِنَفْسِكَ، لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ .

فقال له الكاتب: صحيحٌ يا مُعَلِّمُ، حَسَبَ الْحَقِّ تَكَلَّمْتَ، فَإِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا آخَرَ سِوَاهُ» .

وتتأكدُ هذه الحقيقةُ عن ذاتِ الله بما جاء في إنجيل «متى - الإصحاح

٢٣- فقرة ٨، يقول المسيح عليه السلام: «وأما أنتم فلا تدعوا لكم أباً علي الأرض؛ لأن أباكم واحد الذي في السماء»، وجاء في «يوحنا» في «الإصحاح ٢٠ فقرة ١٨» قال المسيح: «إني أصعدُ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم». وكلمة «الأب»: «أبي وأبيكم» تعني في لغة الإنجيل «الرب» أي: «ربي وربكم».

فإلى مُحبِّي المسيح أقول: ألم تتضمن وصايا المسيح عليه السلام تعريفاً واضحاً لذاتِ الله العليِّ الكبير المتفرد؟.

* يقول الله تعالى في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص].

* وكما جاء في القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثانياً: إن مهمة عيسى عليه السلام الثانية أن يهدي الأمة التي بُعث إليها إلى عبادة الله، وهي أمة بني إسرائيل، أما غيرهم من الأمم فلا تعنيهم شريعة عيسى، وهذا ما تقرره الأناجيل المسيحية، فقد جاء في إنجيل «متى» - الإصحاح ١٥ فقرة ٥ «قول يسوع: «لم أرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة».

وجاء في «متى» - الإصحاح ١٠ فقرة: ٥: «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طرقِ أُمِّمْ لَا تَمْضُوا، وإلى مدينةِ السامريين لَا تَدْخُلُوا، بل اذهبوا بالحريِّ إلى خرافِ بني إسرائيل الضالة» (أعمال الرسل ١١ الفقر الأول).

وإلى مُحِبِّي المسيح أقول: يا مَنْ تَبَحُّثُ عَنِ الْحَقِّ، وَيَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، إِلَيْكَ هَدِيَّةٌ مِنَ الْقَلْبِ: آمَنُ بِاللَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا، وَبِأَنَّ الْمَسِيحَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَبِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاتَّبَعَهُ حَقَّ الْإِتْبَاعِ، قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يُوْتِكُ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ.

* قَالَ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥٤].

* اللَّحْظَةُ الْفَاصِلَةُ:

□ صِفْ لَنَا اللَّحْظَةَ الْفَاصِلَةَ الَّتِي قَرَّرْتَ فِيهَا اعْتِنَاقَ الْإِسْلَامِ؟ وَمَاذَا تَرْتَبِ عَلَى ذَلِكَ.

- حِينَمَا قَرَّرْتَ اعْتِنَاقَ الْإِسْلَامِ، ذَهَبْتُ إِلَى الْكَنِيسَةِ، وَتَقَدَّمْتُ بِطَلْبِ إِجَازَةٍ لِكِي أَقْضِيهَا مَعَ أُسْرَتِي، فَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَنْتَظِرَ حَتَّى تَعْتَمِدَ لِي الْكَنِيسَةُ مِنْ ٥٠ إِلَى ١٠٠ دُولَارٍ لِكِي أَنْفَقَهَا عَلَى أَوْلَادِي، قُلْتُ لَهُمْ: أَنَا لَا أُرِيدُ «قُرُوشِكُمْ» وَكَانَتْ عِنْدِي لِلْكَنِيسَةِ عِمَارَتَانِ وَ«قُرُوشٌ» تَبْلُغُ مِليُونِينَ وَ ٤٠٠ ألفَ دُولَارٍ أَمْرِيكِي، وَ ٣٢٠ مليونَ جِنِيهِ سُوْدَانِي، فَحَمَمْتُ بِتَسْلِيمِهَا إِلَى رَاعِي مِيزَانِيَةِ التَّنْصِيرِ، فَكَانَتْ مَفَاجَأَةً كَبِيرَةً لِلْكَنِيسَةِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ قَضَيْتُ يَوْمِينَ مَعَ أُسْرَتِي نَفَكَّرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَنَاقَشْتُهُ، وَقَدْ كَانَتْ أُسْرَتِي الْمَكُونَةُ مِنْ زَوْجَتِي وَأَرْبَعَةِ أَبْنَاءٍ تَدْرِكُ أُنِّي أَفَكَّرْتُ فِي اعْتِنَاقِ

الإسلام، وحينما أبلغتهم أَنَّ الوقتَ قد حان، كان ردُّهم: «أنت أعلمُ منا، ونحن نثقُ بك، وقراركُ قرارنا»، وبالفعل ذهبنا إلى أحدِ المساجدِ المجاورةِ «مسجد النور» وأشهرنا الإسلام، وصحيحٌ أنني خسرتُ أموالاً كثيرةً، غيرَ أنني كَسَبْتُ الإيمانَ والراحةَ النفسيةَ بعد ٤٠ سنة قضيتها في الباطل، وعلى إثرِ ذلك اتَّهمتني الكنيسة بالجنون وأني مريضٌ نفسيًّا!

* لست مجنوناً:

□ قلت: إن الكنيسة اتهمتكَ بالجنون.. فهل أثبتَّ لها أنك في كاملِ قواك العقلية وقد أسلمتَ بعد قناعةٍ ودراسةٍ أم ماذا حدث؟

- لقد شاء الله أن أدرسَ مقارنةَ الأديان، وكان الهدفُ أن أتعرَّفَ على الأديانِ السماويةِ وغيرِ السماويةِ من أجلِ ممارسةِ التنصيرِ بعلمٍ وخبرةٍ ومنهجيةٍ، لكنَّ اللهَ أراد شيئاً آخر، فقد درستُ الأديانَ السماويةَ وهي معروفة، كما درستُ غيرَ السماوية - وهي البوذية والهندوسية وعبادةُ النارِ والشمسِ والشيطانِ والأصنام -، وخلالَ مرحلةِ الدراسة كانت تتكشفُ أمامي الحقائقُ عن الإسلامِ أولاً بأول، وبدأ تكويني الديني يتشكَّلُ وأفكارِي تتغيَّرُ وتتداخل، وفي إحدى مراحلِ الدراسة أيقنتُ أن الإسلامَ هو الدينُ الصحيح، فكنتُ حينما أسمعُ الأذانَ أتوقفُ عن إلقاءِ المحاضرةِ احتراماً للنداءِ الإلهي، وحينئذٍ أصبحتُ شخصاً بوجهين، وجهٌ يرى أن الإسلامَ الدينُ الحقُّ وأن اللهَ واحدٌ لا شريكَ له، ووجهٌ يغالطُ نفسه، ويواصلُ انخراطه في الأعمالِ الكَنَسيةِ والتمتعِ بأموالها الطائلة.

ولما بدا تعاطفي مع الإسلامِ اجتمعتُ مجالسُ القساوسةِ والرهبانِ

والكاردينالات، وكان رأيهم أنني أميل للإسلام، وهنا مارس مجلس الكنائس ضغوطاً كثيرة عليّ، ولمّا فشل قرّر إيقافني عن العمل بالكنيسة، وصدر قرارٌ من الكنائس بأن الجنون قد أصابني، فقلت لهم: إنني لست مجنوناً، فأنا أخاف الله الواحد ربي وربكم ورب محمدٍ وعيسى، إنني أخاف من عذاب الله، إنني أخاف من الله، وعلمت بعد ذلك أن تقرير الأطباء أثبت أنني لست مجنوناً، ولكنني أتطلعُ إلى اعتناق الإسلام.

□ السيد أشوك . . لماذا لم تُغيّر اسمك إلى اسم مسلم كما جرت عادة كل من يعتنق الإسلام؟ .

- لم أُغيّر اسمي لاعتبارين:

الأول: لأن الإسلام لا يرى في ذلك حرجاً، وهذا ما يُهمني بالدرجة الأولى، فلا بأس أن يعتنق غير المسلم الإسلام ويبقى محافظاً على اسمه القديم، فالدين الإسلامي يركّز على الإيمان.

الثاني: لقد أحببت الاحتفاظ باسمي لأهدافٍ دعويةٍ وهي أن أظلّ مقبولاً لدى غير المسلمين، ومن ثم أستطيع أن أبين لهم الحق، بعد أن شرح الله صدري بالإسلام وخرجت من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإسلام، ومن حال أهل النار إلى حال أهل القبلة.

* الكاردينالية:

□ وصلت في الكنيسة إلى درجة «كاردينال»، كما احتلّ والدكم هذا المنصب . . ماذا يعني منصب كاردينال؟ وما وظيفته في الكنيسة؟ .

- لقد تقلدت مناصب كبيرة في الكنيسة، ومن بين ذلك كنت كاردينالاً

كما كان والدي كذلك ، وهذا المنصبُ في الكنيسة الكاثوليكية يوازي وظيفة «المفتي» في الإسلام ، ويجبُ أن يعرفَ القَسُّ أنه ليس إلهًا لكي يغفرَ للناس ذنوبهم وأثامهم ، فالعجيبُ أنه إذا أخطأ عبدٌ ذهب إلى القَسِّ يومَ الأحد قبل الصلاة ، ويقول له : «لقد أخطأتُ في كذا وكذا» ، فيقول القَسُّ : «اذهبْ قد غُفِرَ لك» ، كيف يتجرأ هذا القَسُّ على حَمْلِ سُلْطَةِ اللَّهِ؟! وَمَنْ الذي أعطاه هذه الصلاحيةَ وهو بشر؟! .

وأنا أتحدّئُ أيًّا من كبارِ القساوسةِ الشرقيين أو الغربيين أن يُحاجِجَنِي ، بل أنا على استعدادٍ لمناظرةِ أيِّ درجةٍ عاليةٍ في الكنيسة لإثباتِ صحَّةِ الإسلامِ وأحقِّيتهِ بالاتباع ، فأنا لم أُسلمَ عاطفيًّا أو عبثًا ، وإنما أسلمتُ بعد دراسةٍ معمَّقةٍ للأديان ، ووصلتُ في نهايةِ الدراسةِ إلى أن الإسلامَ هو الدينُ السماويُّ الذي ختمَ اللَّهُ بهِ الرسالاتِ السماويةَ ، وأن النبيَّ ﷺ هو خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين ، وأن عيسىَ ﷺ إنسانٌ من البشر ، وهو نبيُّ ورسولٌ وليس أكثر من ذلك .

* قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [المائدة: ٧٥] ، وأنا لستُ أولَ مَنْ يُسلمُ من القساوسة ، فقد سبقني إلى الإسلامِ عددٌ كبيرٌ من القساوسة والمبشِّرين ، وعلى رأسهم الأمينُ العامُ لمجلسِ مؤتمرِ المطارنة في الكنيسة الكاثوليكية ، ورئيسُ القساوسة في الولايةِ الشرقيةِ « اهـ .

يا له من دين أتى به محمد ﷺ

لو أن له رجالاً!!

هذا الدين العظيم الذي جاء به رسول الله ﷺ مَفْخَرَةٌ للبشرية، والقرآن الذي أنزل عليه فيه سعادة كل البشرية - لو التزمت نهجَه وسارت على دربه..

* مرجيلوث يثني على القرآن :

مستشرق إنجليزي، شديد التعصب ضد الإسلام ونبيه، وُلِدَ عام ١٨٥٨، وتوفي عام ١٩٤٠م، كان أستاذًا للغة العربية في جامعة «أكسفورد» منذ عام ١٨٨٩، وعضواً بعدة مجامع علمية، كالمجمع اللغوي الإنجليزي، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والجمعية الشرقية الألمانية، كما كان مرجليوث من محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، وله مؤلفات عديدة عن الإسلام والأدب العربي وتاريخه، ومنها كتابه: «أصول الشعر العربي»، وهو المرجع الذي اعتمد عليه «طه حسين» في كتابه عن «الشعر الجاهلي» الذي صدر عام ١٩٢٦م.

□ يقول مرجليوث عن القرآن: «باعتراف الجميع، يحتل القرآن مكانة هامة بين الكتب الدينية العظيمة في العالم، وعلى الرغم من أنه قد جاء الأحداث في قائمة مثل هذا النوع من الأعمال التي تُعتبر مطلع عهد جديد في الفكر والتاريخ، فيكاد لا يُضاهيه عمل آخر في تأثيره العجيب الذي أحدثه في جموع هائلة من البشر! لقد خلق طوراً جديداً في الفكر الإنساني، ونوعاً حديثاً من الشخصية الإنسانية.

ففي بداية الأمر، حوّل القرآنُ عددًا من القبائل الصحراوية غير المتجانسة في شبه الجزيرة العربية إلى أمةٍ من الأبطال، ثم واصل - على نحوٍ مطّرد - خلقَ الهيئات الدينية السياسية الكبيرة في العالم الإسلامي، والتي تُعتبر إحدى القوى العظمى التي يجبُ على أوروبا والشرق أن يحسبًا لها حسابًا اليوم».

* مونتجمري وات :

رئيس قسم الدراسات العربية في جامعة «أدنبرة»، له عدة كتبٍ ودراسات، منها «من تاريخ الجزيرة العربية» (١٩٢٧)، و«عوامل انتشار الإسلام» (١٩٥٥)، و«محمد في مكة» (١٩٥٨).

□ يقول «مونتجمري وات» في كتابه: «الإسلام والمسيحية اليوم»: «ولستُ مُسلمًا بالمعنى المألوف، ومع ذلك فإنني أرجو أن أكون مُسلمًا كإنسانٍ استسلم لله، بيدَ أنني أعتقدُ أن القرآنَ وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامي، يتطوي على ذخيرة هائلةٍ من الحقِّ الإلهيِّ، الذي ما زال يجبُ عليَّ أنا وآخرينَ من الغربيين أن نتعلمَ منه الكثير.

ومن المؤكّد أن الإسلام منافسٌ قويٌّ في مجال إعطاء النظام الأساسي للدين الوحيد الذي يسودُ في المستقبل».

* إدوارد مونتيه :

مستشرقٌ من أصلٍ سويسري، ولد عام ١٨٥٦، ودرّس في جامعات «جنيف وبرلين وهايدلبرج»، حصل على الدكتوراة في اللاهوت من «جامعة باريس» عام ١٨٨٣، عُيّن أستاذًا للعبرية والآرامية والعهد القديم في

جامعة «جنيف»، ثم أضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام، رأسَ جامعة «جنيف» (١٩١٠-١٩١٢)، وتوفي عام ١٩٢٧.

□ يقول «إدوارد مونتيه» في كتابه «الدعاية المسيحية وأعداؤها المسلمون»: «إن الإسلام في جوهره دينٌ عقلائيٌّ وفقَ أوسع المعاني لهذا المصطلح من الوجهة الاشتقاقية والتاريخية، إن تعريف العقلانية، باعتبارها نظاماً يقيمُ المعتقدات الدينية على مبادئٍ يدعمها العقلُ، إنما ينطبقُ تماماً على الإسلام، وعلى الرِّغم من التطورِ الخصبِ - بكلِّ ما في هذه الكلمة من معنى - لتعاليم النبي، فقد احتفظ القرآنُ بمنزلته الثابتة، كنقطة البداية الرئيسة لفهم الدين، وصار يُعلنُ دائماً عن عقيدة توحيدِ الله في سموٍّ وجلالٍ وصفاءٍ دائمٍ مع اقتناعٍ يقينيٍّ متميزٍ، من الصعبِ أن يوجدَ ما يفوقُه خارجَ نطاقِ الإسلام، إن هذا الإخلاصَ للمعتقدِ الأساسي للدين، والبساطةَ الجوهرية للصيغة التي ينطقُ بها، والبرهانَ الذي يكتسبه من الاقتناع الذي يلتهبُ حماسةً لدعائه القائمين بنشره، كلُّ ذلك يُقدِّمُ أسباباً كثيرةً تُعلِّلُ نجاحَ مجهوداتِ الدعاة المسلمين.

إن عقيدةً بمثل هذه الدقة، ومجردةً من كلِّ التعقيدات اللاهوتية، وبالتالي يمكنُ للفهم العادي أن يتقبلها بسهولة، فمن المتوقع أن تكون لها قدرةٌ عجيبةٌ وهي في الواقع تمتلكُ هذه القدرة - على اكتسابِ طريقها إلى ضمائر البشر».

* جرونيباوم:

□ قال في كتابه «الإسلام»: «إن الأمر الذي اقتضى عشرات السنين

من المسيحيين الأوائل لكي يُدركوه، قد أدركه محمدٌ بعد سنواتٍ قليلة، وهو: أنه ما دامت إرادةُ الله قد اقتضت أن تمتدَّ الحياةُ الدنيا فترةً من الوقت - طالت أو قصُرت -، فإن جماعته^(١) ينبغي أن تستقرَّ فيها في التقاءٍ كاملٍ مع تعاليم الوحي المنزَّل . . . ومن ثمَّ أصبحت مهمةُ الجماعةِ أن تُنشئَ نمطًا شاملاً للحياة في ظلِّ «الله»^(٢) يشملُ كلَّ وجهٍ من وجوه الوجود البشري - من أوَّل التصوُّرِ إلى الدفن^(٣) -، ويُلغي كلَّ تمييزٍ بين المقدَّسِ والدنيويِّ من مظاهر الحياة، يجعلُ كلَّ دقيقةٍ من دقائق الحياة متصلةً بعضها ببعضٍ برباط الدين، ومحتاجةً إلى مراسم «دينية» لتكتملها عند أيِّ عملٍ من الأعمال - مهما كان نوعه -، وبهذه الطريقة توحدت صور السلوك إلى حدٍّ ما . . . ولكنَّ الحياةَ كلَّها - حتى أدقَّ تفصيلاتها - أُعطيت صورةً ساميةً مستمدةً من دلالتها الدينية . . . ولم تكن حياةُ الفرد وحده هي التي ينبغي لها أن تتحوَّلَ إلى مجموعةٍ مُتسِّقةٍ من الأعمال التي يطلبها الله منه . . . بل إنَّ المجتمعَ الإسلامي - في مجموعته - كان ينبغي أن يُحوَّلَ بالمثل، فصارت الدولة والجيش والخزانة^(٤) في اصطلاح المؤمنين الأوائل: دولةَ الله، وجيشَ الله، وخزانه الله^(٥).

(١) أي: المسلمين .

(٢) أي: في ظلِّ وحي الله .

(٣) أي: يشملُ الأمور الفكرية والمعنوية، كما يشملُ الأمور السلوكية والمادية .

(٤) أي: بيت المال .

(٥) نقلًا عن: «هل نحن مسلمون؟» لمحمد قطب (٢٥-٢٦).

صفاء العقيدة الإسلامية وقوتها

* إدوارد جيون :

وُلِدَ إدوارد جيون في إنجلترا عام ١٧٣٧ م، وكان عضواً في البرلمان، وقد بدأ حياته الأدبية عام ١٧٦١ م، وظهر الجزء الأول من مصنفه الضخم: «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦ م، ثم استكمل بقية الأجزاء حتى ظهر آخرها عام ١٧٨٨ م، وتوفي عام ١٧٩٤ م.

□ أفرد «جيون» الباب الخمسين من كتابه «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» للحديث عن الإسلام.. ولم يستطع «جيون» التخلُّصَ من أسْرِ الأفكارِ الشائعةِ حول الإسلام، ومع هذا فقد قال: «إنَّ عبقريةَ النبيِّ العربيِّ، وسلوكياتِ أُمَّتِهِ، وروحَ ديانتهِ، كلُّ ذلكِ يتضمَّنُ أسبابَ انحدارِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ الشرقيةِ وسقوطها، وإنَّ أنظارنا لتتَّجِهَ في دهشةٍ نحوَ واحدةٍ من أكبر الثوراتِ الجديرةِ بالذكرِ في العالمِ، والتي طبَّعت بعمقٍ أثراً جديداً وخالداً في أمِّ الأرضِ».

□ وقال: «إنَّ عقيدةَ محمدٍ خاليةٌ من الشكِّ أو الغموضِ، والقرآنُ شهادةٌ مجيدةٌ على وحدانيَّةِ اللَّهِ، ومن الهند حتى مراكش يشتهرُ المهتدون إلى دينهِ باسمِ «الموحِّدين»، وقد انزاح خطرُ الوثنيةِ بتحريمِ الصورِ. إنَّ مواهبَ محمدٍ تجعلُنَّا نكيلُ له المدحَ، إلاَّ أنَّ نجاحه ربَّما كان هو الذي جَدَّبَ انتباهنا إليه، وإنَّ ما يستحقُّ إعجابنا ليس انتشارَ ديانتهِ، وإنما استمراريتها.

إنَّ نفسَ الانطباعِ النقيِّ الكاملِ الذي حفَّره في الأذهانِ في مكة

والمدينة لا يزال مصوناً إلى اليوم بعد انقضاء اثني عشر قرناً، عند الذين اهتدوا بالقرآن من هنود وأفارقة وترك». .

□ وقال: «نجد أنه من المحيط الأطلسي غرباً إلى أقاصي الهند شرقاً، يُعترف بأن القرآن هو الدستور الأساسي، ليس فقط في مسائل الإلهيات، ولكن فيما يتعلّق بالقوانين المدنية والجنائية والقوانين التي تنظّم سلوكيات البشر.

لقد نفث محمد بين المؤمنين روح الأخوة والإحسان، وأوصى بممارسة الفضائل الاجتماعية، وكبح بشريعته وتعاليمه الأخلاقية التعطش إلى الانتقام وظلم الأراامل واليتامى، ولقد توحدت القبائل التي كانت في عداءٍ تحت مظلة الدين والطاعة، وتوجهت شجاعة المقاتلين - التي أنفقت هدرًا في صراعاتٍ داخلية - نحو العدو الخارجي، فانتشرت بذلك أمصار الأمة الإسلامية شرقاً وغرباً»^(١) .

□ وقال «فولتير» عن العقيدة الإسلامية: «إن عقيدة محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادةٌ مجيدةٌ على وحدانية الله. . هذه هي كلمات سورة الأخصاص تقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [سورة الإخلاص].

إنني أقول: إن هذه الكلمات أخضعت له الشرق أكثر مما فعله سيفه»^(٢) .

(١) «الإسلام في الفكر الغربي» (ص ٣٥-٣٨) ملخصاً.

(٢) المصدر السابق (ص ١٢٩).

الغرب عاش على تشويه الإسلام

□ قال «فولتير»: «لقد أَلصَقْنَا بِالْقُرْآنِ مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ مِنَ السَّفَاهَاتِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

إِنْ مَوْلَيْنَا لَمْ يَجِدُوا صَعُوبَةً تُذَكِّرُ فِي جَعْلِ نَسَائِنَا تَقْفُ فِي صَفْهِمْ، لَقَدْ أَقْنَعُوهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَعْتَبِرْهُمْ نَّ ضَمْنَ الْحَيَوَانَاتِ الذَّكِيَّةِ، وَأَنْهَنَ جَمِيعًا إِمَاءً وَفَقَّ شَرِيعَةَ الْقُرْآنِ . . وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ كُلَّ هَذَا كَذِبٌ وَبَطْلَانٌ اعْتَقَدُوا فِيهِ بِكُلِّ قُوَّةِ .

أَيُّهَا الْجَهْلَةُ الْأَغْيَاءُ الَّذِينَ خَدَعَهُمْ جَهْلَةٌ آخَرُونَ، إِذْ أَقْنَعُوكُمْ أَنَّ الدِّيَانَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ دِيَانَةٌ شَهْوَانِيَّةٌ وَلذَاتُ جَسَدِيَّةٍ، بَيْنَمَا هِيَ لَيْسَتْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ» .

□ وَقَالَ «رُوجِيه دِي بَاسْكِيه»: «إِنَّ الْغَرْبَ الْمَسِيحِيَّ، أَوْ الَّذِي فَقَدَ مَسِيحِيَّتَهُ، لَمْ يَعْرِفِ الْإِسْلَامَ أَبَدًا، فَمِنْذَ أَنْ ظَهَرَ عَلَى الْمَسْرَحِ الْعَالَمِيِّ، وَالْمَسِيحِيُّونَ لَا يَكْفُونَ عَلَى اخْتِلَاقِ الْأَكَاذِيبِ حَوْلَهُ وَتَحْقِيرِهِ مِنْ أَجْلِ إِيجَادِ الْمَبْرُورَاتِ اللَّازِمَةِ لِقِتَالِهِ، لَقَدْ أُلْحِقَتْ بِالْإِسْلَامِ صُورٌ مَشُوّهَةٌ كَثِيرَةٌ، لَا تَزَالُ آثَارُهَا مَنْطُوعَةً بَعْمَقٍ فِي الْعَقْلِيَّةِ الْأُورَبِيَّةِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَيَجِبُ الْاعْتِرَافُ بِأَنَّ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْتِشْرَاقِيَّةَ فِي الْغَرْبِ لَمْ تَكُنْ مَسْتَوْحَاةً أَبَدًا مِنْ رُوحِ النَّزَاهَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْخَالِصَةِ، وَلَا يُمْكِنُ إِنْكَارُ أَنَّ بَعْضَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ قَدْ قَامُوا بِأَبْحَاثِهِمْ بِهَدْفٍ وَاضِحٍ هُوَ تَحْقِيرُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ» اهـ .

الإسلامُ دينُ التقدُّمِ والحضارةِ وهو دينُ المستقبلِ

يا لجمالِ الإسلامِ الذي أتى به رسولُ اللهِ ﷺ، هذا الدينُ العظيمُ لا يُعرضُ عنه إلاَّ منكوسٌ موكوسٌ مطموسٌ.

* برنارد لويس :

وُلِدَ عام ١٩١٦ م، وحَصَلَ على الدكتوراة من جامعةِ لندن عام ١٩٣٩ م، وهو أستاذُ دراساتِ الشرقِ الأدنى بجامعةِ «برنستون»، وأستاذُ زائرٍ في «كاليفورنيا وكولومبيا وأنديانا»، وعضوٌ شرفٍ في «الجمعيةِ التاريخيةِ التركية»، وعضوٌ في «الجمعيةِ الفلسفيةِ الأمريكية».

□ يقول عن الإسلام: «أرسل اللهُ المَلَكَ جبريلَ لِيُملِيَ القرآنَ على محمدٍ، بهذا يُكْمَلُ القرآنُ سلسلةَ الوحيِ التي سَبقت إلى أنبياءِ اليهودِ وإلى عيسى، ومن ثمَّ يكونُ محمدٌ أعظمَ الأنبياءِ وخاتمهم، ويكونُ القرآنُ هو «الكتاب» الأخيرُ والتعبيرُ الكاملُ عن إرادةِ اللهِ فيما يتعلَّقُ بحياةِ الناس».

□ وقال: «كان الإسلامُ تأسيساً لدينٍ جديدٍ، وإمبراطوريةٍ جديدةٍ، وحضارةٍ جديدةً».

□ وقال: «لقد قامت حضارةٌ أصيلةٌ مستوحاةٌ من العقيدةِ الإسلامية، ومتمتعةٌ بحمايةِ الدولةِ الإسلامية، ومُدعَمةٌ بثناءِ اللغةِ العربية، حضارةٌ تنمو وتتسعُ وتعيشُ طويلاً وقد صنعها الرجالُ والنساءُ من مختلفِ الأعراقِ والديانات، وقد اصطبغ كلُّ شيءٍ فيها بالعروبةِ والمبادئِ والقيمِ الإسلامية».

* هربت فيشر:

مؤرِّخٌ سياسيٌّ إنجليزي، عَمِلَ بعدَ الحربِ العالميةِ الأولى مندوباً مفوضاً لدى «عصبة الأمم»، وفي عام ١٩٢٦م عاد إلى جامعة «أوكسفورد» عميداً بإحدى كلياتها.

□ يقول في فصلٍ كتبه عن الإسلام ضمن كتابه «تاريخ أوروبا»: «لقد وَجَدَتِ الدُولُ المسيحيةُ نفسها تُواجهُ التحديَّ من حضارةٍ شرقيةٍ جديدةٍ تأسست على دينٍ شرقيٍّ جديدٍ.

وهكذا انتشرت الحضارةُ الإسلاميةُ، وساهمَ فيها (الكثيرون) ليقدموا جميعاً العصرَ الرائعَ للآدابِ والفنونِ الإسلاميةِ، التي مكَّنت شعوبَ الإسلامِ من السيادةِ الفكريةِ للعالمِ طيلةَ أربعةِ قرونٍ، بينما كان العقلُ الأوربيُّ غارقاً في قيعانِ الجهلِ والكسلِ».

* مارسيل بوزار:

أستاذُ جامعةِ سويسري، عاشَ لمدةٍ أكثرَ من اثني عشرَ عاماً في بلادِ عربيةٍ وإسلاميةٍ خاصة، كممثلٍ للجنةِ الدوليةِ للصليبِ الأحمرِ في: الجزائرِ واليمنِ والمملكةِ العربيةِ السعوديةِ وسورياِ والأردنِ ومصر، وبصفتهِ مديراً مشاركاً في برامجِ التثقيفِ الدبلوماسيِ بالمعهدِ الجامعيِ للدراساتِ الدوليةِ العلياِ بجنيف، وكمندوبٍ مفوضٍ أوربيِ بالجمعيةِ الثقافيةِ الدوليةِ المعروفةِ باسمِ «الإسلام والغرب»، فإنه قامَ بنشرِ عدةِ بحوثٍ حولَ بعضِ أوجهِ الحضارةِ الإسلاميةِ، وحولَ عددٍ من موضوعاتِ السياسةِ الثقافيةِ في بلجيكا والنمسا وباكستان والمغرب وغيرها من البلدان.

□ يقول «مارسيل بوزار» في كتابه «الجوانب الإنسانية في الإسلام»^(١): «الإسلام دينٌ وحضارة.. لا شك في أن الوحيَ الدينيَّ قد ظهر في منطقة الشرق الأوسط، مهدِّداتِ التوحيدِ الثلاث، ولعل الإسلام يُعتبرُ هو التجلِّيَ الأخيرَ والأكملَ للحضارةِ في هذه المنطقةِ من العالم، ولقد نفذت أفكاره إلى أوروبا، وآسيا باللغة العربية، عبرَ البحرِ الأبيض المتوسطِ وفوقِ جبالِ البرانس.

والإسلامُ باعتباره ديناً - وفق المعاني الاشتقاقيةِ الثلاثِ لكلمةِ الدين في اللغة الفرنسية -، فإنه يقتضي - من ناحيةٍ - اختياراً تطوعياً، أو اختياراً حراً بالخضوع إلى شريعةٍ وإلى قواعدٍ للأخلاق، وممارسةِ الشعائرِ، كما يستلزم - من ناحيةٍ أخرى - تصنيفَ تراثِ إنسانيٍّ خاصٍّ والحفاظَ عليه.

وأخيراً - وعلى وجهِ الخصوص -، فإنه يُحدِّدُ وضعَ المؤمنِ أمامَ القيومِ، وكذلك علاقاتِ التضامنِ بين الناسِ، وهكذا يظهرُ لنا الإسلامُ كعملٍ باهرٍ ومتوافقٍ سياسياً واجتماعياً، وظاهرةً تاريخيةً جديرةً بالتأملِ والاعتبارِ.

وفي كلمةٍ موجزةٍ، فإنَّ الإسلامَ حضارةٌ أعطت مفهوماً خاصاً للفردِ، وحددت بدقةٍ مكانه في المجتمع، وقدمت عدداً من الحقائقِ الأوليةِ التي تحكمُ العلاقاتِ بين الشعوبِ، كما أن هذه الحضارةَ لم تُقدمْ فقط مساهمتها التاريخيةَ الخاصةَ في الثقافةِ العالميةِ، ولكنها كانت تؤكِّدُ أيضاً - ولها مبرراتها - على تقديمِ حلولٍ للمشاكلِ الرئيسةِ للأفرادِ والمجتمعاتِ، والمشاكلِ الدوليةِ

(١) الترجمة الحرفية لاسم الكتاب هي «إنسانية الإسلام» وأولى منها أن يقال: «الجوانب الإنسانية في الإسلام».

التي تُثيرُ الاضطراباتِ في العالمِ المعاصرِ» .

□ وقال : «لقد أنجب هذا الدينُ «أمةً» ، وأوجدَ أسلوباً للحياةِ والعملِ والتفكيرِ ، وفي كلمةٍ واحدةٍ ، فقد أنجبَ «حضارةً» .

ويؤكدُ الإسلامُ طُموحَه السياسيَّ على المستوىِ العالميِّ ، ويتابعُ انتشارَه بانتظامٍ ، وخاصةً في أفريقيا السوداء ، وإذا نظرنا اليومَ إلى كيانِ الإسلامِ ووحدته ، تبين أنه ليس جسداً ميتاً نُقشت عليه ذكرياتُ ماضٍ مجيدٍ ، وإنما هو واقعٌ حيٌّ فعلاً .

ويدلُّ التاريخُ على وجودِ حقيقةٍ ثابتةٍ مثاليةٍ في الحضارةِ الإسلامية ، التي كانت منذُ بدئِها - ولا تزالُ - متوجهةً توجُّهاً كاملاً نحوَ الله ، وهذه الظاهرةُ التي تغيبُ دائماً عن الفكرِ والتحليلِ الغربيِّ الحديثِ ، تُعطي للإسلامِ طابعه المتميزَ بالدوامِ» .

□ وقال : «لقد أظهرت الرسالةُ القرآنيةُ وتعاليمُ النبيِّ أنها تقدميةٌ بشكلٍ جوهريِّ ، وتُفسِّرُ هذه الخصائصُ المميزةُ انتشارَ الإسلامِ السريعَ بصورةٍ عجيبةٍ خلالَ القرونِ الأولى من تاريخه .

ومن المفيد أن نُسجِّلَ إلى أيِّ مدَى يؤثِّرُ مفهومٌ معيَّنٌ للعلمِ والإيمانِ بمصيرِ عالميٍّ للإنسانيةِ ، في طَبَعِ السلوكِ اليوميِّ لملايينِ الأنفسِ من البشرِ ، ولا يمكنُ لأيِّ طريقةٍ مثلى (أيديولوجية) معاصرةٍ أن تدَّعي منافسةَ الإسلامِ في هذا الصدد» .

□ وقال : «لم يكن محمدٌ حاكماً مستبداً (أتوقراطياً)» .

□ وقال : «في الإسلامِ لا يمكنُ فهمُ السياسةِ بعيداً عن الدينِ» .

* عَالَمِيَّةُ الْإِسْلَامِ :

□ وقال: «علاوةً على أن الإسلامَ حقيقةٌ إلهيةٌ تامةٌ ومثلٌ أعلىٌ روحيٌ كاملٌ، وأنه خلقُ كياناً سياسياً وتنظيماً اجتماعياً خاصين به، فهو [حقيقةٌ] عالميةٌ تتركزُ على وعيٍ عميقٍ بالتوحيد، إذ كان دينَ اليقين الذي يدفعُ طاقاتِ المؤمنين وإرادتهم الواعيةَ نحو تنظيمِ العالمِ الدنيوي».

□ وقال: «إنَّ فعاليةَ الإسلامِ وحيويتهُ حقيقةٌ واقعةٌ على المستوىِ الديني، يشهدُ لها استمراريتهُ في تحولِ الناسِ إليه، فالإسلامُ ينتشرُ أكثرَ من أيِّ دينٍ آخرَ وخاصةً في أفريقيا وآسيا، حيثُ تكتسبُ البساطةُ المنطقيةُ لعقيدتهِ ويسرُ تعاليمه مهتدين إليه جُددًا كلَّ عام».

* المستقبلُ للإسلامِ :

□ قال «برناردشو»: «لقد تنبأتُ بأن دينَ محمدٍ سيكونُ مقبولاً في أوروبا الغد، كما أنه بدأ يكونُ مقبولاً في أوروبا اليوم».

□ وقال: «إنه الدينُ الوحيدُ الذي يبدو لي أنه يمتلكُ القدرةَ على استيعابِ تغييرِ أطوارِ الحياةِ بما يجعلُهُ محلَّ إعجابٍ لكلِّ العصور».

* روجيه دي باسكيه :

هو الكاتبُ والصحفيُّ السويسريُّ الذي اعتنق الإسلامَ، تحت اسمِ «سيدي عبدالكريم»، وكذلك أسلمت زوجته الهولندية.

□ قال «روجيه دي باسكيه»: «إن الإسلامَ بأبعاده الأفقيةِ والرأسيةِ، قادرٌ على عملِ توافقٍ قويٍّ بين الإنسانِ والكونِ المحيطِ به، وكذلك بين الإنسانِ والإلهِ خالقِ كلِّ شيءٍ ومبدعه، إن الإسلامَ

عالميُّ بكلِّ معنَى الكلمة .

فمهما حَدَثَ في العالمِ الغربيِّ المزدهرِ وفسادِ الأخلاقِ، أو حَدَثَ للشعوبِ التي تُعاني من فقرِ المستلزماتِ الماديةِ للحياةِ مثلِ تلكِ التي يُطلَقُ عليها «العالمِ الثالثِ»، فإنَّ الإسلامَ يُقدِّمُ الحلَّ الأكثرَ وضوحاً وجوهريَّةً وحتميَّةً، من أجلِ مواجهةِ التحديِّ الحديثِ .

وبالنسبةِ لهؤلاءِ الذين يَعتقدون الإسلامَ ويُطبِّقونه عملياً، فإنه يُقدِّمُ لهم العلاجَ الأكثرَ فعاليةً وشفاءً من شرورِ هذا العصرِ .

□ وكتب كتاباً من أجلِ تعريفِ الغربِ بالإسلامِ تحت اسمِ «اكتشافِ الإسلامِ» قال فيه: «من المسلمِّ به حالياً وبوجهِ عامٍ، أنه بينما تتراجعُ الدياناتُ الكبرى - أو على الأقلِّ تتخذُ موقفَ الدفاعِ -، فإنَّ الإسلامَ ذاته في تقدمٍ، وتُعطي أفريقيا أكثرَ الأمثلةِ وضوحاً على ذلك .

إنَّ قوةَ الإسلامِ هذه - مقارنةً بضعفِ المسيحيةِ - تُمثِّلُ حقيقةً كبرى في التاريخِ المعاصرِ، ولقد قامت عدَّةُ دراساتٍ اجتماعيةٍ واستشراقيةٍ بمحاولةٍ لتفسيرِ ذلكِ، فأظهرت أن هناكِ وجهاتِ نظرٍ عديدة .

لقد جاء الإسلامُ إلى الناسِ لمساعدتهم على عبورِ هذه المرحلةِ الأخيرةِ من التاريخِ العالميِّ، دون أن يتعرَّضوا للضياعِ، وباعتباره الوحيِ الأخيرِ في سلسلةِ النبواتِ، فإنه يُقدِّمُ وسائلَ لمقاومةِ الفوضى التي تُسودُّ العالمَ حالياً، وإقرارِ النظامِ والنقاءِ في داخلِ الإنسانِ، وإيجادِ التآلفِ والانسجامِ في العلاقاتِ الإنسانيةِ، وتحقيقِ الهدفِ الأسمى الذي من أجله دعانا الخالقُ إلى هذه الحياةِ» .

□ وقال: «والإسلام بأبعاده الأفقية والرأسيّة قادرٌ على عمَلٍ توافقيٍّ قويٍّ بين الإنسان والكون المحيط به، وكذلك بين الإنسان والإله خالق كلِّ شيءٍ ومُبدِعه، إن الإسلام عالميٌّ بكلِّ معنى الكلمة، إن الغرب المسيحيّ - أو الذي فقد مسيحيته - لم يعرف الإسلام أبدًا».

□ ويرى مارسيل بوزار أن الإسلام هو الحلُّ لمشاكل العالم، ويقول: «لقد عرّف الإسلام - بمحافظته على العقيدة - كيف يقاوم تحطيم جماعته السياسية، ولم يكن الإسلام منذ ظهوره وتحت إدارة النبيّ إلّا ثوريًّا معتدلاً على المستوى الاجتماعيّ، فهناك تكليفٌ مفروضٌ بالتكافل والتضامن على جميع أعضاء الجماعة المسلمة، من أجل تأمين الرخاء والكرامة لجميع الأفراد في حدود الإمكانيات المتاحة، ويُمثّل هذا مظهرًا متممًا لطابع الجماعة المسلمة وشيئًا تميّز به مبادئ الأخلاق التي طبعها الوحي القرآنيّ.

ولقد أقام الإسلام نظامًا اقتصاديًّا مرتكزًا على الأخلاق، وذلك بتنظيم توزيع الدخل عن طريق نظام ضريبيٍّ مقدسٍ هو «الزكاة»، وبإدخال مفهوم جديدٍ للملكية الخاصة التي ليست في كلمة موجزةٍ سوى حقّ انتفاع بالنعم التي أفاءها الله على الإنسان، وبذلك حقق الإسلام - من وجهة نظرٍ خاصة - الجمع بين قيمتي رأس المال والعمل».

□ وقال مونتجمري وات: «من المؤكّد أن الإسلام منافسٌ قويٌّ في مجال إعطاء النظام الأساسيّ للدين الوحيد الذي يسود في المستقبل».

□ وقال إدوارد مونتيه: «احتفظ القرآنُ بمنزلته الثابتة، كنقطة البداية الرئيسة لفهم الدين، وصار يُعلنُ دائمًا عن عقيدة توحيد الله في سموّ

وجلالٍ وصفاءٍ دائمٍ، مع اقتناعٍ يقينيٍّ متميزٍ من الصعب أن يُوجدَ ما يفوقه خارجَ نطاقِ الإسلامِ».

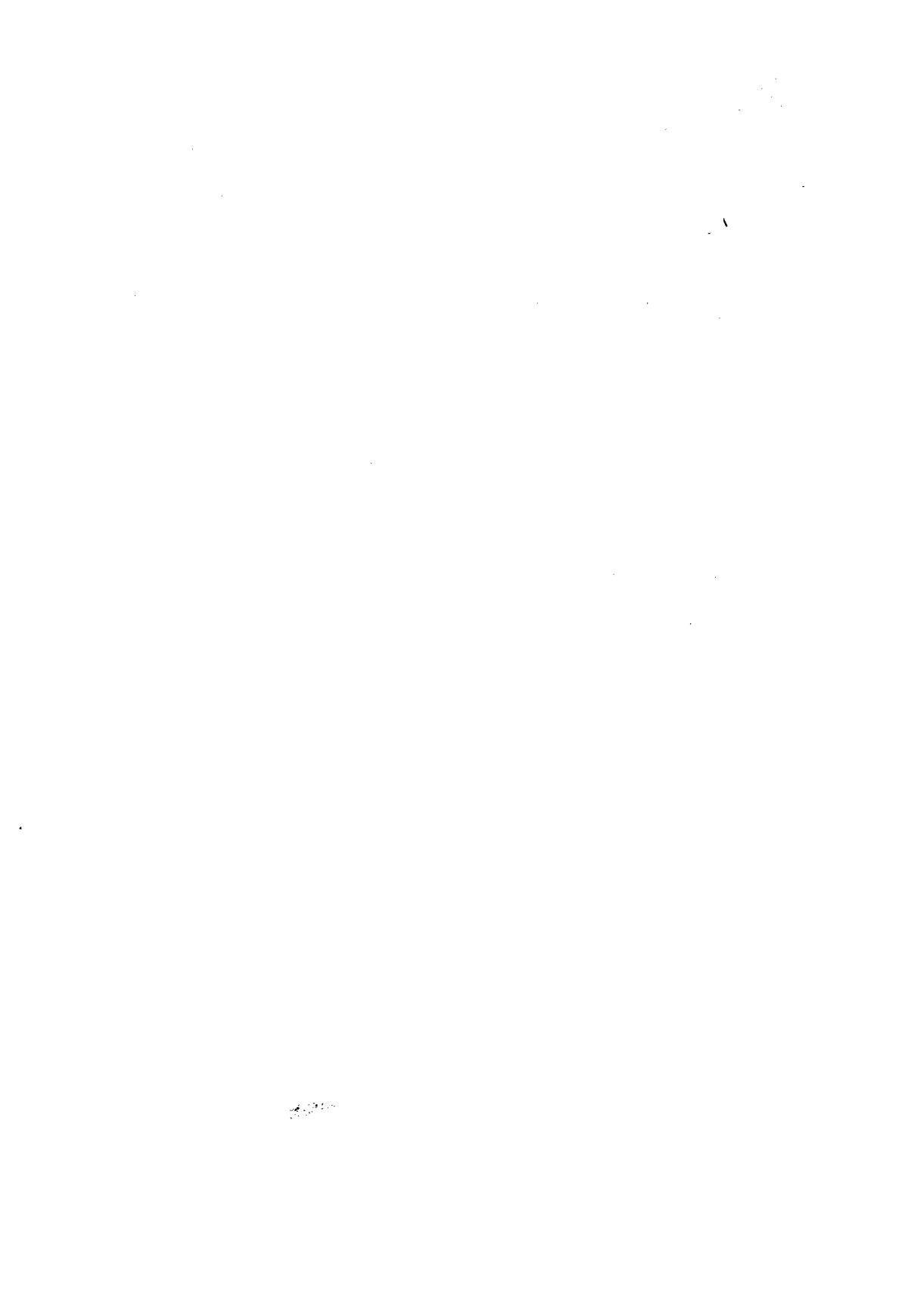
□ وقال جورج برنادرشو عن رسول الله ﷺ: «يجبُ أن يُسميَ «منقذَ الإنسانية»، وإنني أعتقدُ لو أن شخصاً مثله تولَّى الحكمَ المُطلقَ للعالمِ المعاصرِ، لَنجحَ في حلِّ مشاكله بطريقةٍ تجلبُ له ما هو في أشدِّ الحاجةِ إليه من سلامٍ وسعادةٍ».

□ وذكر الأمير شكيب أرسلان في كتابه «لماذا تأخَّرَ المسلمون؟» - بعد كلامه عن الفتوحاتِ الإسلامية -: «على أن تلك الفتوحاتِ التي فتحوها في نصفِ قرنٍ - أو ثُلثيِّ قرنٍ - قد أدهشتْ عقولَ العقلاءِ والمؤرِّخينِ والمفكرِّينِ، وحيرتْ الفاتحينَ الكبارِ، وأذهلتْ «نابليون بونابرت»، وله تصريحٌ في ذلك نقله «لاكاس» الذي رافقه إلى جزيرة «سانتة هيلانة» وغيره من المقيدِّين لحوادثِ نابليون المتتبعين لأقواله، فقد ثبتَّ ثبوتاً قطعياً من أقوالِ نابليون وسيرته أيامَ كان بمصرَ أنه كان مُعجباً بمحمدٍ ﷺ وعُمَرُ رضي الله عنه وبكثيرٍ من أبطالِ الإسلامِ، وأن نفسه حدثته لَمَّا كان بمصرَ أن يتَّخذَ الإسلامَ ديناً له»^(١).

□ ونختم بما قال «مايكل هارت»: «لكنَّ محمداً كان هو الإنسانَ الوحيدَ في التاريخِ الذي بلغَ أعلى درجاتِ النجاحِ على المستويينِ الدينيِّ والدينيِّ».

وبسببِ هذا الجَمعِ - الذي لا نظيرَ له بين الدينِ والدنيا - أرى أن محمداً من حقِّه أن يُعتبرَ أعظمَ الشخصياتِ البارزةِ أثراً في تاريخِ الإنسانيةِ».

(١) «لماذا تأخَّرَ المسلمون؟» (٢١، ٢٢).



فصل

وقضات فقهية
مع حكم سب النبي صلى الله
وسلم
والاستهزاء به ولمزه
والطعن فيه وفي رسالته

سبُّ النبي ﷺ أو تنقصه بتعريضٍ أو نصٍّ

* تعريف «السَّبِّ»:

«السَّبُّ» لغةٌ واصطلاحاً: الشَّتْمُ، وهو مشافهةُ الغيرِ بما يكرهه، وإن لم يكن فيه حدٌّ، كـ «يا أحمق، ويا ظالم»^(١).

□ قال الدسوقي: «هو كلُّ كلامٍ قبيحٍ.. . وحيثُذُ فالقذفُ، والاستخفافُ، وإلحاقُ النقصِ، كلُّ ذلك داخلٌ في السَّبِّ»^(٢).

* ألفاظُ السَّبِّ:

□ من ألفاظِ السَّبِّ قوله: «كافر، سارق، فاسق، منافق، فاجر، خبيث، أعور، أقطع، ابن الزَّمنِ، الأعمى، الأعرج، كاذب، نمام»^(٣).

* الألفاظُ ذاتُ الصلةِ بالسَّبِّ:

أ- العيب.

٢- العيبُ خلافُ المستحسنِ عقلاً، أو شرعاً، أو عرفاً، وهو أعمُّ من السَّبِّ^(٤).

□ قال الزُّرقاني: «فإنَّ مَنْ قال: «فلانٌ أعلمُ من الرسول ﷺ»، فقد

(١) الزُّرقاني على المواهب اللدنية (٣١٨/٥)، و«الدسوقي مع الشرح الكبير» (٣٠٩/٤).

(٢) «الدسوقي مع الشرح الكبير» (٣٠٩/٤).

(٣) «المغني» (٢٢٠/٨).

(٤) «الدسوقي» (٣٠٩/٤)، و«تحفة المحتاج مع حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي»

(٩٦/٨).

عابه، وَلَمْ يَسِبْهُ»^(١).

ب - اللعن :

٣ - اللعن : هو الطردُ من رحمة الله تعالى^(٢) ، لكنه يُطْلَقُ ويرادُ به السبُّ.

● روى البخاري : «إِنْ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدِيهِ» ، قيل : يا رسولَ الله ، وكيف يلعنُ الرجلُ والديه؟ قال : «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(٣).

● وروى مسلم في «الصحيح» : «مِنَ الْكِبَائِرِ شَتَمَ الرَّجُلِ وَالِدِيهِ» . قالوا : يا رسولَ الله ، وهل يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدِيهِ؟ قال : «نعم ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(٤).

فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّعْنَ بِالشَّتْمِ .

□ وقال ابنُ عبد السلام : «اللَعْنُ أْبْلَغُ فِي الْقُبْحِ مِنْ السَّبِّ الْمَطْلُوقِ»^(٥).

ج - القذف :

٤ - يُطْلَقُ «السبُّ» ويرادُ به القذفُ ، وهو الرَّمْيُ بِالزَّنْيِ فِي مَعْرِضِ

(١) «الزرقاني على المواهب اللدنية» (٣١٥/٥).

(٢) «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» لعز الدين بن عبد السلام (٢٠/١). و«الفتاوى البزازية» (٢٩١/٤).

(٣) أخرجه البخاري (الفتح ٤٠٣/١٠ - ط السلفية) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) أخرجه مسلم (٩٢/١ - ط الحلبي) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٥) «قواعد الأحكام» (٢٠/١).

التعبير^(١) كما يُطلقُ «القذفُ» ويُراد به السبُّ^(٢) .
وهذا إذا ذكر كلُّ منهما منفرداً .

● فإذا ذُكرَ معاً، لم يدلَّ أحدهما على الآخر^(٣) ، كما في حديثِ رسولِ الله ﷺ: «أندرون ما المُفلسُ؟». قالوا: المُفلسُ فينا مَنْ لا درهمَ له ولا متاع. قال: «إنَّ المُفلسَ من أمتي مَنْ يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنَ فُتيتُ حسناته قبلَ أن يقضيَ ما عليه، أخذَ من خطاياهم، فطُرحتَ عليه، ثم طُرحَ في النار»^(٤) .

وعند التغايرِ يكونُ المرادُ بالقذفِ: ما يُوجبُ الحدَّ، وبالسبِّ: ما يُوجبُ التعزيرَ إن كان السبُّ غيرَ مكفِّرٍ^(٥) .

* بيانُ ما هو في حقِّه ﷺ سبُّ أو نقصٌ من تعريضٍ أو نص:

□ قال العلامةُ شهابُ الدين أحمد بن محمد الخفاجي في «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض»: «من سبَّ النبيَّ ﷺ وشتمه» أو نَقَصه «مما لا يليقُ به - وإن لم يكن سباً - «من تعريض» بطريقِ الكناية والإيماء،

(١) «الجمال على المنهاج» (١٢٢/٥)، «أسهل المدارك» (١٩٢/٣)، وابن عابدين

(٢/٤)، «إعانة الطالبين» (١٥٠/٤)، «تبصرة ابن فرحون» (٢٨٧/٢).

(٢) «فتح القدير» (٢١٣/٤)، و«تبصرة ابن فرحون» (٢٨٦-٢٨٧).

(٣) «إعانة الطالبين» (٢٩٥/٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٩٧/٤ - ط الحلبي) من حديث أبي هريرة .

(٥) انظر «الموسوعة الفقهية» ط - وزارة الأوقاف الكويتية .

«أَوْ نَصٌّ» صَرِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ، فَقَدْ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :
 (اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ) لِمَعْرِفَةِ حَقِّ النُّبُوَّةِ وَمَا يَجِبُ لَهُ ﷺ ، (أَنَّ جَمِيعَ مَنْ
 سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ) بِشْتِمِهِ (أَوْ عَابَهُ) - هُوَ أَعْمٌ مِنَ السَّبِّ ، فَإِنَّ مَنْ قَالَ : «فُلَانٌ
 أَعْلَمُ مِنْهُ ﷺ» ، فَقَدْ عَابَهُ وَنَقَصَهُ وَلَمْ يَسُبَّهُ - ، (أَوْ أَحَقَّ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِهِ) ،
 وَذَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِخُلُقِهِ وَخَلْقَتِهِ (أَوْ نَسَبِهِ) ، كَأَنَّ يُفْضَلُ أَحَدًا عَلَى قَوْمِهِ
 وَأَصُولِهِ ، وَكَأَنَّ يَقُولُ : «إِنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ قَرَشِيًّا» ، فَإِنَّهُ كَفَرَ ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ
 الْفُقَهَاءُ ، وَلَيْسَ مِنْ تَنْقِيسِ النَّسَبِ مَا وَقَعَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي إِسْلَامِ أَبِيهِ
 - كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ - .

(أَوْ دِينَهُ) أَي : نَقَصَ شَرِيعَتَهُ أَوْ نَسَبَهُ لِقُصُورِهِ ، فِيمَا يَجِبُ مِنْهَا (أَوْ
 خَصَلَةٍ مِنْ خِصَالِهِ) وَصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ كَشَجَاعَتِهِ وَكِرَمِهِ ، (أَوْ عَرَّضَ بِهِ) ،
 أَي : قَالَ فِي حَقِّهِ ﷺ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ تَعْرِيفًا لَا تَصْرِيحًا ، (أَوْ شَبَّهُهُ بِشَيْءٍ)
 غَيْرِ حَسَنِ (عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ لَهُ) بِتَنْقِيسِهِ (أَوْ الْإِزْرَاءِ عَلَيْهِ) ، أَي : التَّنْقِيسِ
 لَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَصْدُ السَّبِّ ، (أَوْ التَّصْغِيرِ بِشَأْنِهِ) ، أَي : تَحْقِيرِهِ ، كَتَّصْغِيرِ
 اسْمِهِ ، أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ (أَوْ الْغَضِّ مِنْهُ) بِمَعْنَى ، (أَوْ الْعَيْبِ لَهُ ، فَهُوَ
 سَابٌّ) ، أَي : كَالسَّابِّ مَعْنَى .

(وَكَذَلِكَ مَنْ لَعَنَهُ ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِ ، أَوْ تَمَنَّى لَهُ مَضْرَّةً لَهُ ، أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا
 لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ) ، أَي : بِأَصْلِهِ وَحَسَبِهِ ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْمَنْصَبِ (عَلَى طَرِيقِ
 الذَّمِّ) لَهُ (أَوْ عَبَثٌ) أَي : مَا قَالَهُ عَلَى طَرِيقِ الْهَزْلِ وَالْمُجَوِّنِ (فِي جِهَتِهِ
 الْعَزِيزَةِ) ، أَي : بِشَيْءٍ لَهُ تَعَلَّقَ بِجَانِبِهِ الشَّرِيفِ (بَسُخْفٍ مِنَ الْكَلَامِ وَهُجْرٍ ،
 وَمُنْكَرٍ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورٍ ، أَوْ عَيْرِهِ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ عَلَيْهِ) ،
 (أَوْ غَمَصَهُ) ، أَي : نَقَصَ مِنْ قَدْرِهِ ﷺ (بِبَعْضِ الْعَوَارِضِ الْبَشَرِيَّةِ الْجَائِزَةِ

والمعهوده لديه . . قال أبو بكر بن المنذر: أجمعَ عوامُ أهلِ العلمِ (هو جمعُ «عامية»، بمعنى جماعةٍ كثيرة، والمتقدمون - كالشافعي - يُعبرون بهذه العبارة للعموم، وليس المرادُ العاميُّ، فإنه غيرُ صحيح، إذ لا عبرةَ بهم وِباجماعتهم؛ لأن العاميَّ لا يكونُ أهلَ علمٍ، (على أن من سبَّ النبيَّ ﷺ (يُقتل) مطلقاً، (ومن قال بذلك)، أي: حَكَمَ بقتله مطلقاً: (مالكُ بنُ أنسٍ، والليثُ بنُ سعد، وأحمدُ، وإسحاقُ، وهو مذهبُ الشافعي). قال القاضي عياض: (وهو مقتضى قولِ أبي بكرِ الصِّدِّيقِ، ولا تُقبَلُ توبته عند هؤلاء) القائلين بوجوبِ قتله مطلقاً، صَوْنًا لمقامِ النبوةِ، كما قال المتنبِّي:

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرِّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

□ وقال الإمام محمد بن سحنون: «أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المنتقِصَ له كافرٌ، والوعيدَ جارٍ عليه بعذابِ الله له: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، وحُكمه عند الأمةِ القتلُ، ومن شكَّ في كُفْرِهِ وعذابه كَفَرَ» . . لأن الرضى بالكُفْرِ كُفْرٌ.

واحتجَّ إبراهيمُ بنُ حسينِ بنِ خالدِ الفقيهُ في مثلِ هذا بقتلِ خالدِ بنِ الوليدِ رضي الله عنه مالكُ بنُ نويرةَ لقوله عن النبي ﷺ، «صاحبكم» يعني به النبي ﷺ، وفيه تنقيصٌ له بتعبيره عنه بـ «صاحبكم» دون «رسولِ الله» ونحوه، وإضافته لهم دونهُ المُشعرُ ذلك بالتبرِّي من صحبته ﷺ، وأتباعه واستنكافه، وهو في غايةِ الظهور، ومالكُ بنُ نويرة هذا كان له وفادةٌ على رسولِ الله ﷺ، وكان شجاعاً شاعراً سيِّداً مطاعاً في قومه «بني تميم»، فولاه رسولُ الله ﷺ عليهم وعلى أخذِ زكاتهم، فمَنعواها بعده ﷺ، فأرسل

أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد لطلبها، فقال له مالك بن نويرة: «أنا آتِي الصلاة دون الزكاة، فقال له: لا تُقبل إحداهما بدون الأخرى، فقال: قد كان صاحبكم يقول ذلك. فقال خالد: أما تراه صاحباً لك؟! لقد هممتُ بضرب عنقك، فقال مالك: أبدلك أمر صاحبك، فقال له: أهذه بعد تلك» - يُنكرُ عليه خالد تكرير قول «صاحبكم» بعدما وعده عليه -، ثم أمر ضرار ابن الأزور، فضرب عنقه لإنكاره قولة: «صاحبكم» مرتين استصغاراً له رضي الله عنه.

□ وقال أبو سليمان الخطابي: «لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلماً».

وإنما الخلاف في الكافر. . وحكاه عبد الله بن مطرف - وهو ابن أخت الإمام مالك - في كتاب ابن حبيب: «من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل - ولم يُستتب -».

□ وقال ابن القاسم في «العتبية»: «من سبه، أو شتمه^(١)، أو عابه أو تنقصه^(٢)، فإنه يقتل، وحُكمه عند الأمة القتل كالزندق.

□ وعن عثمان بن كنانة - وهو من أئمة المالكية - في كتابه «المبسوطة»: «من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حياً - ولم يُستتب -، والإمام مُخيرٌ في صلبه حياً، أو قتله».

□ قال مالك: «من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه، أو عابه،

(١) بنسبة ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم؛ في ذاته مما لا يحقره ككونه جباراً قهاراً ونحوهما.

(٢) أي نسب له نقصاً، وإن لم يكن شتماً كقوله: غيره أعلم منه، أو أعقل.

أو تنقّصه : قُتِلَ - مسلماً كان أو كافرًا - ، ولا يُستتاب .

□ وقال أيضاً : « مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ أو غيره من الأنبياء - من مسلمٍ أو كافرٍ - قُتِلَ ولم يُستتب » .

□ وقال أصبغُ - مفتي قرطبة المالكي - : « يُقتل على كلِّ حالٍ - أسراً ذلك أو أخفاه - ، ولا يُستتاب ؛ لأن توبته لا تُعرف » .

□ وروى ابنُ وهبٍ عن مالك : « من قال : إنَّ رداءَ النبيِّ ﷺ - ويروى : زِرَّ النبيِّ - وسخٌ - أراد به عيبه - قُتِلَ » ^(١) .

□ قال ابنُ حجر الهيثمي - بعد سياقه كلامَ المصنّف - : « ويؤخذُ منه أنه لو أطلق ذلك ، أو قصد الإخبارَ عن تواضعه ﷺ لا يكفر ، وهو ظاهرٌ في إرادة التواضع ، ومُحتملٌ عند الإطلاق ؛ لأنه ليس صريحاً في النقص ، وإذا قلنا بعدم الكفر ، فظاهرٌ أنه يُعزَّرُ التعزيرَ البليغُ لذكره ما يُوهِمُ نقصاً .

واختلفوا فيما لو قال : « كان النبيُّ ﷺ طويلَ الظُفْرِ » ، والذي يظهرُ أنه لو قال ذلك احتقاراً له ﷺ ، أو استهزاءً به ، أو على جهة نسبةِ النقصِ إليه : كفر ، وإلّا فلا ، بل يُعزَّرُ التعزيرَ الشديد » . . . انتهى ملخصاً .

(وقال بعض علمائنا) - يعني المالكية - : (أجمع العلماء) ، تقدّم الكلام في الإجماع في هذه المسألة ، (على أن مَنْ دعا على نبيٍّ من الأنبياء بالويل) ، فقال : «ويلاً له» ، وهي كلمةٌ يُدعى بها ، ومعناها : الهلاك أو البلاء والمصيبة والعذاب والمشقة .

(١) فإن لم يقصد ذلك لم يُقتل . وكذا كل أذيةٍ فإنها لا تكون كُفراً إلا إذا قصد بها الأذية له ﷺ ، ولذا لم يُكفَّر الخائضون في الإفك مع أنه أذيةٌ له ﷺ بنصِّ القرآن كما صرَّح به السبكي في «السيف المسلول» .

(أو) دعا عليه (بشيءٍ من المكروه) مما يكرهه الناسُ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ: (أنه يُقتل بلا استتابة)، أي: لا تُتَلَبُّ توبته ولا تُقبل.

□ وقال ابن حجر الهيثمي في «فتاويه»: «من خصائصه ﷺ أَنْ مِنْ زَنَا بِحَضْرَتِهِ كَفَرَّ... وَنَظَرَ فِيهِ فِي «الروضَة»، وَأُجِيب: بأنه ظاهرٌ في الاستخفاف، فكان كُفْرًا، فيؤخذُ منه أن غيره من الأنبياء كذلك.

(وأفتى القابسيُّ) أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المغافري القيرواني شيخ الحديث وفقه مالك، الضريرُ الزهدُ العابدُ، صاحبُ التصانيفِ الجليلةِ في الفقه والأصول، عديمُ النظير، تُوفِّي سنة ثلاثٍ وأربعمئةٍ (فيمن قال في النبي ﷺ: الحَمَال - بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم قبل ألف ولام -، وذلك لأنه ﷺ كان إذا اشترى شيئًا من السوق حمَله بنفسه، فإذا لَقِيه من أراد أن يحمَله قال: «رَبُّ المَتَاعِ أَوْلَى بِحَمَلِهِ»، كما روي في كتب الحديث.

(أو قال: يتيم أبي طالب)؛ لأنه ربَّاه بعد موت أبيه وجدَّه عبدِ المطلب (بالقتل) لِمَا فِيهِ مِنَ الاستخفافِ والتحقير، وَقَصَدَ قائله ذلك - لقيام قرينةٍ عليه..

□ قال ابن حجر: «والظاهرُ أن مذهبنا لا يأبى ذلك لما في عبارته من الدلالة على الإزراء، فَإِنْ ذَكَرَ «يتيم أبي طالب» فقط، لم يكن صريحاً في ذلك فيما يظهر... نعم إن كان السياق يدلُّ على الإزراء، كان كما لو جَمَعَ بين اللفظين.

□ وأفتى شيخُ المالكية بالمغرب - الشيخ أبو محمد بن أبي زيد عبدُ الله القيرواني المالكي - بِقَتْلِ رَجُلٍ سَمِعَ قَوْمًا يَتَذَكَّرُونَ صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ مَرَّ

عليهم رجلٌ قبيحُ الوجهِ واللحيةِ فقال لهم: تريدون تعرفون صفته ﷺ؟، فقالوا له: نعم، فقال: هي في صفة هذا المارِّ في خلِّقه ولحيته. قال: ولا تُقبلُ توبته». . . وذلك لكُفْرِهِ وعِظْمِ جُرْمِهِ.

□ قال ابنُ حجر: «ومذهبنا قاضٍ بذلك، وقد كَذَبَ هذا الرجلُ في مقالته هذه - لعنه الله وأخزاه وقَبَّحَ وجهَه -، وليس يخرجُ ما قاله هذا الملعونُ من قلبِ سليمِ الإيمان، بل عديمِ العقلِ والإيمان».

□ وقال أحمدُ بنُ أبي سليمان صاحبِ سحنون - وهو من كبار علماء المالكية -: «مَنْ قال: «إن النبيَّ ﷺ أسودٌ يُقتلُ»؛ لأنه ﷺ كان من الحُسْنِ وبياضِ الوجهِ بصفةٍ لا تخفى».

فهذا القائلُ قد كَذَبَ وافترى، ووصفه ﷺ بما ليس فيه إشعارٌ بالتحقير - لعنه الله وسودَّ وجهه يومَ تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه -، وهذا مما صرَّح به الفقهاء، وعلَّوه بأنه قصدَ الكذبَ استخفافاً، فهو كما لو قال: «لم يكن ﷺ قرشياً».

□ وقال ابنُ أبي سليمان أيضاً في رجلٍ قيل له: «لا، وحقُّ رسولِ الله»، فقال الرجلُ المخاطبُ: «فعلَ الله برسولِ الله كذا وكذا» - وذكرَ كلاماً قبيحاً -، فقيل له: «ما تقولُ يا عدوَّ الله؟!»؛ فقال له أشدُّ من كلامه الأول، ثم قال - يُوجِّهُ كلامه القبيحَ ويأوِّله -: «إنما أردتُ برسولِ الله^(١): الصَّعَقُ^(٢)» . .

(١) الذي وصفته بصفات أنكرتموها.

(٢) لأن الله هو الذي أرسلها وساقها كما في قوله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ [الرعد: ١٣]، وهذا حقيقة معنى الإرسال، وهذا مما لا شك في معناه، وانكاره مكابرة، لكنه لا يُقبل من قائله، وادعاؤه أنه مراده؛ لأن «رسول الله» صار في كلامهم لا يراد به إلا الأنبياء =

فقال ابن أبي سليمان للذي سأله: «اشهدْ عليه وأنا شريكك» يريدُ في قتله وثواب ذلك.

□ قال يحيى بن حبيب بن الربيع - مُوجِّهًا لقول ابن أبي سليمان وفتواه بقتله -: «لأنَّ ادعاءه التأويلَ في لفظٍ صُراحٍ لا يُقبل؛ لأنَّه امتهان - أي: فيه تحقيرٌ لرسول الله ﷺ - بحسبِ صريحه ومدلوله المعروف، وهو - أي: قائله - غيرُ مُعزَّرٍ لرسول الله ﷺ - أي: مُعظَّم - ولا مُوقَّرٍ له، فوجب إباحةُ دمه».

□ وأفتى أبو عبد الله بن عتاب - من فقهاء المالكية - في عَشَّار - وهو مَنْ يأخذُ العُشْرَ، وهو المَكَّاسُ -، قال لرجلٍ طَلَبَ منه المَكَّسَ، فامتنع، وقال له: «إنه ظلمٌ لا يرضى به رسولُ الله ﷺ»، فقال له المَكَّاسُ: «أدِّ، واشكُ إلى النبي ﷺ مِنِّي ومن ظلمي لك»، - ومثله تحقيرٌ للنبي ﷺ والشريعة، كأنه يقول: «لا قُدرةَ له على دَفْعِهِ لو كان حيًّا موجودًا الآن»، فلذا أفتى فيه بجوبِ القتل.

□ قال ابنُ حَجْرٍ: «ومذهبنا قاضٍ بذلك أيضًا، بل الذي يظهرُ أنَّ مُجرَّدَ قوله: «أدِّ واشكُ إلى النبي ﷺ» - بقصدِ عدمِ المبالاة - كفرٌ أيضًا».

□ وأفتى فقهاءُ الأندلس بقتل ابن حاتمِ المتفقِّه الطُّلَيْطِليِّ وصلِّبه بما شهد عليه به من استخفافِهِ بحقِّ النبي ﷺ وتسميته إياه أثناءَ مناظرته «باليتيم»^(١)،

= والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا يخطر غيره ببال أحد، فلذا لم يقبل تأويله. قال ابن حَجْرٍ: ومذهبنا لا يأبى ذلك.

(١) كما كان يقوله الكفرة استخفافًا به وإزراءً، ومثل هذا إذا سبق مُشعرًا بتحقيرِ كان كُفْرًا، فإن لم يشعر به جاز كما في قول البوصيري في البردة:

كفك بالعلم في الأميِّ معجزةً في الجاهلية والتأديب في اليتيم

و«خَتْنِ حَيْدَرَةَ»^(١) ، وَزَعَمَهُ أَنْ زُهْدَهُ لَمْ يَكُنْ قَصْدًا^(٢) ، وَلَوْ قَدَرَ عَلَى الطَّيِّبَاتِ أَكَلَهَا . . إِلَى أَشْبَاهِ لِهَذَا .

□ قَالَ ابْنُ حَجْرٍ : « وَمَذْهَبُنَا لَا يُنَافِي ذَلِكَ ، بَلْ زَعَمُهُ مَا ذَكَرَ فِي الزُّهْدِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَافِيًا فِي كُفْرِهِ ، وَهُوَ ظَاهِرٌ لِنِسْبَةِ النِّقْصِ إِلَيْهِ ﷺ . »

□ وَأَقْتَى فُقَهَاءَ الْقَيْرَوَانِ وَأَصْحَابُ سَحْنُونَ بِقَتْلِ إِبْرَاهِيمَ الْفَزَارِيِّ ، وَكَانَ شَاعِرًا مَتَفَنِّنًا مِنَ الْعُلُومِ ، وَكَانَ مِمَّنْ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الْقَاضِي « أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ طَالِبٍ » لِلْمُنَازَرَةِ ، فَرُفِعَتْ عَلَيْهِ أُمُورٌ مُنْكَرَةٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي الْإِسْتِهْزَاءِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَأَنْبِيَائِهِ وَنَبِيِّنَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، فَأَحْضَرَ لَهُ الْقَاضِي يَحْيَى بْنَ عَمْرِو - وَهُوَ قَاضِي الْقَيْرَوَانِ وَعَالِمُهَا . . . وَغَيْرَهُ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ ، فَطُعِنَ بِالسَّكِينِ وَصَلِبَ مُنْكَسًا ، ثُمَّ أُنْزِلَ وَأُحْرِقَ بِالنَّارِ .

□ وَمَنْ قَالَ : « إِنْ النَّبِيُّ هُزِمَ » ، يُسْتَتَابُ ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ لِأَنَّهُ تَنْقِيسٌ .

□ قَالَ ابْنُ حَجْرٍ : « وَقَضِيَّةٌ مَذْهَبُنَا ، أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِذَلِكَ ، إِلَّا إِنْ قَالَهُ عَلَى قَصْدِ التَّنْقِيسِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ صَرِيحًا فِيهِ ، لِأَنَّ الْهَزِيمَةَ قَدْ تَكُونُ مِنَ الْجِبِلَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ ، فَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ لَمْ يَكْفُرْ ، بَلْ يُعْذَرُ التَّعْزِيرَ الشَّدِيدَ » أَنْتَهَى .

□ وَحُكْمٌ مِنْ غَمَصِهِ أَوْ عَيْرِهِ بِرِعَايَةِ الْغَنَمِ ، أَوْ بِالْمَيْلِ إِلَى نِسَائِهِ ، فَحُكْمٌ

(١) ختن حيدرة: أي قال الطليطلي: إنه ختن حيدرة، أي: أبو زوجته، يعني: فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فعبر به عنه ﷺ استخفافاً به، فحكموا بقتله. والختن: كل قريب لامرأة رجل، كاب، وأخ.

(٢) يعني: أن زهده ﷺ لم يكن قصداً منه واختياراً، بل عجزاً واضطراً.

هذا كله لمن قصد نقصه القتل.

□ قال السيوطي في كتابه «تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء» - وهو كتابٌ جليل - أن رجلاً سبَّ آخرَ بأنه راع، فقال له: ما من نبيٍّ إلا رعى الغنم بجمع من العامة.

□ فقال قاضي القضاة المالكي: «لو رفع لي هذا ضربته بالسياط»، فلما سُئِلت عنه أجبتُ بأنه يُعذَّرُ أبلغَ تعزير؛ لأنه لا ينبغي ضربُ آحادِ الناس مثلاً لنفسه بالأنبياء، والمستدلُّ بمثله قد يكونُ في مقامِ التدريسِ والإفتاءِ والتصنيفِ، وبيانِ العلمِ لأهله لا يُنكرُ عليه، إمَّا في مقامِ الخصامِ والتبرُّي عن معرَّةِ نقصِ نُسبٍ له أو لغيره، فهو محلُّ الإنكارِ والتأديبِ لا سيَّما بحضرةِ العوامِ وفي الأسواقِ، فهو سبٌّ وقذفٌ، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ يناسبه.

وسئِلَ الحافظُ ابنُ حجر: عمَّا يَقَعُ فِي الْمَوَالِدِ مِنَ الْوُعَاظِ بَيْنَ الْعَوَامِّ مِنْ ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِمَا يُخِلُّ بِالْتَعْظِيمِ، حَتَّى يَحْصُلَ لِسَامِعِهِ رِقَّةٌ وَحُزْنٌ، كَقَوْلِهِمْ: «إِنَّ الْمَرَضِعَ لَمْ تَأْخُذْهُ ﷺ لِعَدَمِ مَالِهِ حَتَّى أَخَذَتْهُ «حَلِيمَةٌ» شَفَقَةً عَلَيْهِ»، وَيَقُولُونَ: «إِنَّهُ كَانَ يَرَعَى غَنَمًا»، وَيُنْشِدُونَ فِي ذَلِكَ:

بَأَغْنَامِهِ سَارَ الْحَبِيبُ لِكَيْ يَرَعَى فَيَا حَبَّذَا رَاعٍ فَوَادِي لَه يَرَعَى
فَأَجَابَ بِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُحَذَفَ مِنَ الْخَبْرِ مَا يُوهِمُ نَقْصًا، وَإِنْ لَمْ يَضُرَّهُ،
بَلْ يَجِبُ ذَلِكَ «انتهى»^(١).

(١) انتهى مُلَخَّصًا من «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» لشهاب الدين أحمد ابن محمد الخفاجي (١٤٦/٦ - ١٦٤) - دار الكتب العلمية.

□ وفي «الموسوعة الفقهية» الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية :

* حُكْمٌ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ :

* سَبُّ الْمُسْلِمِ النَّبِيَّ ﷺ :

- إِذَا سَبَّ مُسْلِمٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُرْتَدًّا^(١) . . وفي استنابته خلاف^(٢) .

* سَبُّ الذَّمِّيِّ النَّبِيَّ ﷺ :

- لِلْعُلَمَاءِ عِدَّةٌ أَقْوَالٍ فِي حُكْمِ الذَّمِّيِّ إِذَا سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ :

فقيل : إنه يُنْقَضُ أمانه بذلك - إن لم يُسَلِّمْ - ، وقيل غير ذلك^(٣) .

ويُقتلُ وجوباً عند المالكية بهذا السبِّ إن لم يُسَلِّمْ ، فإن أسلمَ إسلاماً -

غيرَ فارٍّ به من القتل - لم يُقتل ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

(١) «الفتاوى البزازية» (٦/٣٢١ - ٣٢٢)، «فتاوى عليش» (٢/٢٥)، «تبصرة ابن فرحون» (٢/٢٨٦)، «الجميل على المنهج» (٥/١٣٠)، «التحفة مع حاشيتي الشرواني وابن قاسم العبادي» (٨/٩٦)، «المغني» لابن قدامة (٨/١٥٠)، «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (١٠/٣٢٦، ٣٣٢)، «الزرقاني على المواهب» (٥/٣١٨، ٣١٩) - ط. دار المعرفة.

(٢) «الفتاوى البزازية» (٦/٣٢٢)، و«الزرقاني على المواهب» (٥/٣٢١)، «منح الجليل» (٤/٤٧٧)، «فتح العلي المالك» (٢/٢٥)، «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (١٠/٣٣٢).

(٣) «فتح القدير» (٤/٣٨١، ٤٠٧)، «منح الجليل» (٤/٤٧٧)، «الزرقاني على خليل» (٣/١٤٧)، «الخرشي» (٤/١٤٩)، «المغني» لابن قدامة (٨/٢٣٣، ٥٢٥)، «الإنصاف» (١٠/٣٣٣).

قالوا: وإنما لم يُقتل إذا أسلم - مع أن المسلم الأصلي يُقتل بسببه ﷺ، ولا تُقبل توبته - من أجل حقّ الآدمي، لأننا نعلمُ باطنه في بُغضه وتنقيصه بقلبه، لكننا منعناه من إظهاره، فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفته للأمر، ونقضاً للعهد، فإذا رجع إلى الإسلام سقط ما قبله، بخلاف المسلم، فإننا ظننا باطنه بخلاف ما بدا منه الآن^(١).

□ وعند الشافعية: إن اشترط عليهم انتقاضُ العهد بمثل ذلك، انتقض عهدُ السابِّ، ويُخَيَّرُ الإمامُ فيه بين القتل والاسترقاق والمَنِّ والْفداء - إن لم يسألِ الذمِّيُّ تجديدَ العقد^(٢).

ولا فَرَقَ بين نبيٍّ وغيره من سائرِ الأنبياء - وكذا الرسلُ -، إذ النبيُّ أعمُّ من الرسولِ على المشهور^(٣).

والأنبياءُ الذين تَخُصُّهُمْ هذه الأحكامُ هم المَتَّقُ على نبوتهم، أمَّا من لم تَثْبُتْ نبوتهم، فليس حُكْمُ مَنْ سَبَّهُمْ كذلك، ولكن يُزَجَرُ مَنْ تَقَصَّصَهُمْ أو آذاهم، ويؤدَّبُ بقدرِ حالِ القولِ فيهم، لا سيَّما من عُرِفَتْ صِدِّيقِيَّتُهُ وَفَضْلُهُ منهم - كمریم -، وإن لم تَثْبُتْ نبوتُهُ، ولا عِبْرَةٌ باختلافِ غيرنا في نبوةِ نبيٍّ من الأنبياء، كَنَفِيِّ الْيَهُودِ نبوةَ داود وسليمان.

* التعريضُ بسبِّ الأنبياء:

التعريضُ بسبِّ النبيِّ ﷺ كالتصريح.. ذَكَرَ ذلك فقهاءُ الحنفية

(١) «الزرقاني على خليل» (١٤٧/٣)، الخرشى (١٤٩/٤).

(٢) «الجملة على المنهج» (٢٢٧/٥)، «شرح روض الطالب» (٢٢٣/٤).

(٣) «تبصرة الحكام» (ص ١٩٢ - ١٩٣)، و«تبصرة ابن فرحون» (٢٨٨/٢)، «إعانة الطالبين»

(١٣٦/٤)، «الهندية» (٢٦٣/٢)، «الزرقاني على خليل» (١٤٧/٣).

والمالكية والشافعية، وهو قولٌ للحنابلة^(١).

ويقابله عندهم: أن التعريض ليس كالتصريح.

وقد ذكر عياض - رحمه الله تعالى - إجماع العلماء وأئمة الفتوى من

لَدُنِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى أَنْ التَّلْوِيحَ كالتصريح^(٢).

* سَبُّ السَّكَرَانِ النَّبِيِّ ﷺ :

اختلف الفقهاء في حكم السكران إذا سبَّ في سُكْرِهِ نبيًّا من الأنبياء،

هل يكون مرتدًّا بذلك وهل يُقتل؟! .

ذهب الحنفية، وهو قولٌ للشافعية: إلى أن رِدَّةَ السكران لا تُعتبر،

وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ: أن الرِدَّةَ تُبنى على الاعتقاد، والسكرانُ غيرُ مُعتقِدٍ لما

يقول^(٣).

وذهب أحمدٌ - في أظهر الروايتين عنه -، والشافعية في المذهب إلى

وُقُوعِ رِدَّةِ السكران، وَحُجَّتُهُمْ: أن الصحابة أقاموا حدَّ القذفِ على

السكران، وأنه يَقَعُ طلاقُه، فَتَقَعُ رِدَّتُه، وأنه مُكَلَّف، وأن عقله لا يزول

كُلِّيًّا، فهو أشبه بالناعسِ منه بالنائم أو المجنون^(٤).

(١) «الزرقاني على المواهب» (٣١٥/٥)، «منح الجليل» (٤٧٦/٤، ٤٧٨)، «شرح روض

الطالب» (١٢٢/٤)، «شرح منتهى الإرادات» (٣٨٦/٣، ٣٩٠)، «الإنصاف»

(٣٣٣/١٠)، «معين الحكام» (ص ١٩٢)، «إعانة الطالبين» (٤/١٣٩)، «الدسوقي»

(٣٠٩/٤).

(٢) «تبصرة ابن فرحون» (٢٨٦/٢).

(٣) «المبسوط» (١٢٣/١٠)، و«تحفة الفقهاء» (٥٣٢/٤)، و«البدائع» (١٣٤/٧)، و«ابن

عابدين» (٢٢٤/٤)، و«المهذب» (٢٢٢/٢)، و«القليوبي» (١٧٦/٤).

(٤) «الإنصاف» (٣٣١/١٠)، و«المغني» (٥٦٣/٨)، و«الأم» (١٤٨/٦)، و«الشامل» =

* الْمَكْرَهُ عَلَى سَبِّ النَّبِيِّ ﷺ :

الإكراه: اسمٌ لفعلٍ يَفْعَلُهُ المرءُ بغيره، فَيَتَنَفَّى بِهِ رِضَاهُ، أَوْ يَفْسُدُ بِهِ اخْتِيَارُهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْدَمَ بِهِ أَهْلِيَّتُهُ، أَوْ يَسْقُطَ عَنْهُ الْخُطَابُ^(١).

وَالْإِكْرَاهُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ يُوجِبُ الْإِجْءَ وَالْإِضْطِرَارَ طَبَعًا، كَالْإِكْرَاهِ بِالْقَتْلِ أَوْ الْقَطْعِ أَوْ الضَّرْبِ الَّذِي يُخَافُ فِيهِ تَلْفُ النَّفْسِ أَوْ الْعَضْوِ - قَلَّ الضَّرْبُ أَوْ كَثُرَ -، وَهَذَا النِّوعُ يُسَمَّى «إِكْرَاهًا تَامًا».

وَنَوْعٌ لَا يُوجِبُ الْإِجْءَ وَالْإِضْطِرَارَ، وَهُوَ الْحَبْسُ أَوْ الْقَيْدُ أَوْ الضَّرْبُ الَّذِي لَا يُخَافُ مِنْهُ التَّلْفُ، وَهَذَا النِّوعُ مِنَ الْإِكْرَاهِ يُسَمَّى «إِكْرَاهًا نَاقِصًا»^(٢).

وَاتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ فَاتَى بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ، لَمْ يَصِرْ كَافِرًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦].
 □ وَمَا نُقِلَ مِنْ أَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ رضي الله عنه حَمَلَهُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى مَا يَكْرَهُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «إِنْ عَادُوا فَعُدُّ»^(٣) وَهَذَا فِي الْإِكْرَاهِ التَّامِ^(٤).

= (١٠٢/٦)، و«القليوبي» (١٧٦/٦).

(١) «المبسوط» (٣٨/٢٤)، «البدائع» (١٧٥/٧)، و«مرآة الأصول» (ص ٣٥٩).

(٢) «البدائع» (١٧٠/٧).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ (٢١٩/٣) مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ مَرْسَلًا.

(٤) «المبسوط» (٦٢٣/١٠)، و«ابن عابدين» (٢٢٤/٤)، و«الأم» (٦٥٢/٦)، و«الشامل»

(١٤٨/٦) و«شرح الأنصاري» (٢٤٩/٤)، و«منح الجليل» (٤٠٧/٤)، و«المغني»

(٥٦١/٨)، و«الإقناع» (٣٠٦/٤).

الأدلة على كُفْرِ سَابِ الرَّسُولِ ﷺ

وشاتمته والمستهزئ به والمتنقِّص له

الآياتُ الدَّالَّةُ عَلَى كُفْرِ الشَّامِ وَقَتْلِهِ، أَوْ عَلَى أَحَدِهِمَا - إِذَا لَمْ يَكُنْ مُعَاهِدًا - وَإِنْ كَانَ مُظْهِرًا لِلْإِسْلَامِ، كَثِيرَةٌ، مَعَ أَنَّ هَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ حَكَى الْإِجْمَاعُ غَيْرُ وَاحِدٍ.

* الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣].

فَعَلِمَ أَنَّ إِيْذَاءَ رَسُولِ اللَّهِ مُحَادَّةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْإِيْذَاءِ هُوَ الَّذِي اقْتَضَى ذِكْرَ الْمُحَادَّةِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِيهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الْكَلَامُ مُؤْتَلِفًا إِذَا أَمَكْنَ أَنْ يُقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِمُحَادَّةٍ»، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِيْذَاءَ وَالْمُحَادَّةَ كُفْرٌ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا، وَلَمْ يَقُلْ: «هِيَ جَزَاؤُهُ»، وَبَيَّنَ الْكَلَامِينَ فَرَقَ، بَلِ الْمُحَادَّةُ هِيَ الْمَعَادَةُ وَالْمُشَاقَّةُ، وَذَلِكَ كُفْرٌ وَمُحَارَبَةٌ؛ فَهُوَ أَغْلَظُ مِنْ مَجْرَدِ الْكُفْرِ، فَيَكُونُ الْمُؤْذِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَافِرًا، عَدُوًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، مُحَارِبًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ؛ لِأَنَّ الْمُحَادَّةَ اشْتِقَاقُهَا مِنْ «الْمُبَايَنَةِ» بِأَنَّ يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي حَدٍّ، كَمَا قِيلَ: «الْمُشَاقَّةُ: أَنْ يَصِيرَ كُلُّ مِنْهُمَا فِي شِقٍّ، وَالْمَعَادَةُ: أَنْ يَصِيرَ كُلُّ مِنْهُمَا فِي عُدْوَةٍ»^(١).

● وفي الحديث: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ يَكْفِينِي

(١) عِدْوَةٌ: بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، أَي: جَانِبِ الْوَادِي وَحَافَتِهِ، وَقِيلَ: الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ. انظر

«النهاية» لابن الأثير (٣/ ١٩٤)، «لسان العرب» (٥/ ٢٨٥٠) عدا.

عَدُوِّي؟»^(١) ، وهذا ظاهرٌ .

وحيثنَّذِ فيكونُ كافرًا حلالَ الدم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]. ولو كان مؤمنًا معصومًا لم يكن أذلًّا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ، وقوله: ﴿كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥] .

المؤمنُ لا يُكْتَبُ كما كُتِبَ مُكذِّبو الرسلِ قط ، ولأنه قد قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٢٣٧/٥ - ٩٤٧٧ ، ٣٠٧/٥ - ٩٧٠٤) ولفظه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من المشركين ، فقال: «من يكفيني عدوِّي؟» فقال الزبير: أنا ، فبارزه الزبير فقتله ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سلبه» .
وينظر: «حلية الأولياء» (٤٥ / ٨) ، وقال عقبة: «غريب من حديث إبراهيم لم نكتبه إلا من هذا الوجه» . وروى ابن حزم في «المحلى» (٤١٣ / ١١) مسألة رقم (٢٣٠٨) حديثاً مسنداً بلفظ: «من يكفيني عدوًّا لي؟» . وهو بتمامه كما يأتي: «حدثنا حمام ، نا عباس بن أصبغ ، نا محمد بن عبد الملك بن أيمن ، نا أبو محمد حبيب البخاري - هو صاحب أبي ثور ثقة مشهور - ، نا محمد بن سهل : سمعتُ علي بن المديني يقول : «دخلتُ على أمير المؤمنين ، فقال لي : أتعرفُ حديثاً مسنداً فيمن سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل؟ قلت : نعم . فذكرتُ له حديثَ : عبدالرزاق ، عن معمر ، عن سَمَكِ بْنِ الْفَضْلِ ، عن عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عن رجلٍ من بلقين قال : «كان رجلٌ يشتمُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من يكفيني عدوًّا لي؟» فقال خالد بن الوليد : أنا ، فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إليه فقتله» ، فقال أمير المؤمنين : ليس هذا مُسنداً ؛ هو عن رجل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، بهذا يُعرفُ الرجل ، وهو اسمه ، قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه ، وهو مشهورٌ معروف . قال : فأمر لي بألف دينار» . قال أبو محمد - رحمه الله - : «هذا حديثٌ مسندٌ صحيح ، وقد رواه علي بن المديني عن عبدالرزاق ، وهذا رجلٌ من الصحابة معروفٌ اسمه الذي سمَّاه به أهله ، رجلٌ من بلقين» أ. هـ .

فإذا كان من يُوَادُّ المحادَّ ليس بمؤمن، فكيف بالمحادِّ نفسه؟! فالمحادُّ كافرٌ حلالُ الدم.

* وأيضاً، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿﴾ [الحشر: ٣-٤].

فجعل سببَ استحقاقهم العذابَ في الدنيا ولعذابِ النارِ في الآخرة هو مُشَاقَّةُ اللَّهِ ورسوله، والمؤذي لرسولِ اللَّهِ ﷺ مُشَاقُّ اللَّهِ ورسوله، والعذابُ هنا هو الإهلاكُ بعذابٍ من عنده، أو بأيدينا، وإلا فقد أصابهم ما دون ذلك من ذهابِ الأموالِ وفراقِ الأوطان.

* وقال سبحانه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٢-١٣].

فجعل إلقاءَ الرُّعْبِ في قلوبهم والأمرَ بقتلهم لأجلِ مشاقَّتِهِمُ لِلَّهِ ورسوله، فكلُّ مَنْ شَاقَّ اللَّهَ ورسوله يستوجبُ ذلك، والمؤذي للنبيِّ مشاقُّ اللَّهِ ورسوله، فيستحقُّ ذلك.

وقولهم: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١].

□ قال مجاهد: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾: «يقولون: سنقول ما شئنا، ثم نحلفُ له فيصدقنا»^(١).

□ وقال الوالبي^(٢) عن ابن عباس: «يعني أنه يسمعُ من كلِّ أحدٍ»^(٣).

(١) «تفسير مجاهد» (ص ٢٨٣)؛ وعنه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/١٦٩).

(٢) هو التابعي الجليل: سعيد بن جبَّير بن هشام الأسدي الوالبي.

(٣) «تفسير الطبري» (١٠/١٦٨)، و«تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير» (١/٤٦٥).

□ قال بعض أهل التفسير: «كان رجالٌ من المنافقين يؤذون رسولَ الله ﷺ ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا؛ فإننا نخافُ أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا، فقال الجلاس^(١): بل نقول ما شئنا، ثم نأتيه فيصدقنا، فإنما محمدٌ أذنٌ سامعةٌ.. فأنزل الله هذه الآية^(٢)».

□ وقال ابن إسحاق: «كان نبتلُ بنُ الحارث^(٣) الذي قال النبي ﷺ فيه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الشَّيْطَانِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى نَبْتَلِ بْنِ الْحَارِثِ» يَنْمُ^(٤)» حديثَ النبي ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمدٌ أذنٌ، مَنْ حَدَّثَهُ شَيْئًا صَدَّقَهُ، نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلفُ له، فيصدقنا عليه.. فأنزل الله هذه الآية^(٥)».

(١) هو الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي، ثم من بني عمرو بن عوف، كان من المنافقين ومن المتخلفين عن رسول الله ﷺ في تبوك، ثم تاب وحسنت توبته. انظر «أسد الغابة» (٣٤٦/١)؛ «الإصابة» (٢٥٢/١).

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص ٢٠٤)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٤٦٠/٣)، «الدر المنثور» (٢٢٧/١٠/٤)، «لباب النقول» للسيوطي (ص ١١٩).

(٣) هو نبتل بن الحارث، أخو بني عمرو بن عوف، كان رجلاً جسيماً ثائر شعر الرأس واللحية، آدم - أسمر - أحمر العينين، أسفع الخدين مشوه الخلقة. ذكره «الطبري» (١٦٨/١٠)، و«القرطبي» (١٩٢/٨) في تفسيرهما.

(٤) نَمَّ الحديث، يَنْمُهُ نَمًّا فهو نمام، والاسم: النميمة، وهي نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر. انظر «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١٢٠/٥) (ثم).

(٥) انظر «تفسير الطبري» (١٦٨/١٠)؛ و«أسباب النزول» للواحدي (ص ٢٠٤)؛ و«زاد المسير» لابن الجوزي (٤٦٠/٣)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٢٢٧/١٠/٤)، وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

□ وقولهم: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ قالوه لِيُؤَيِّنُوا أن كلامهم مقبولٌ عنده، فأخبر الله أنه لا يُصدِّقُ إلاَّ المؤمنين، وإنما يسمعُ الخبرَ، فإذا حلفوا له فعفا عنهم، كان ذلك لأنه أذنٌ خيرٌ، لا لأنه صدقهم.

□ قال سفيانُ بنُ عيينةَ: «أذنٌ خيرٌ يقبلُ منكم ما أظهرتم من الخير ومن القول، ولا يؤاخذكم بما في قلوبكم، ويدعُ سرائركم إلى الله وربما تضمَّنت هذه الكلمة نوعَ استهزاءٍ واستخفافٍ».

* الدليل الثاني: قوله سبحانه: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزَّؤُوا إِنَّ اللَّهَ مَخْرَجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

وهذا نصٌّ في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، فالسبُّ المقصودُ بطريق الأولى.

وقد دلَّتْ هذه الآيةُ على أن كلَّ من تنقَّصَ رسولَ الله ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر.

□ وقد روي عن رجالٍ من أهل العلم - منهم ابنُ عمرَ ومحمدُ بنُ كعبٍ وزيدُ بنُ أسلمَ وقتادة - دخل حديثُ بعضهم في بعض، أنه قال رجل من المنافقين^(١) في غزوة تبوك: «ما رأيت مثل قرأتنا هؤلاء أرغبَ بطوناً، ولا أكذبَ ألسناً، ولا أجبنَ عند اللقاء، يعني رسولَ الله ﷺ وأصحابه القراء،

(١) يقال له: مُخَشَّنٌ بن حُمَيْرٍ: رجل من بني أشجع حليف لبني سلمة (حليف الأنصار)، قاله ابن إسحاق، وقال ابن هشام (٤/٥٢٤): «ويقال: مَخْشِيٌّ»، وقال خليفة بن =

فقال له عوفُ بن مالكٍ: كذبتَ، ولكنك منافقٌ، لأخبرنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ... فذهب عوفٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ليُخبره، فوجدَ القرآنَ قد سبقه، فجاء ذلك الرجلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد ارتحلَ وركبَ ناقته، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنما كنا نلعبُ ونتحدَّثُ حديثَ الركبِ نَقْطَعُ به عناءَ الطريقِ.

□ قال ابنُ عمر: «كأنِّي أنظرُ إليه متعلقاً بنِسعَةٍ^(١) ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإنَّ الحِجارةَ لَتَنكَبُ رجليه وهو يقول: إنما نخوضُ ونلعبُ، فيقول له رسولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]. ما يلتفتُ إليه، وما يزيدُه عليه»^(٢).

= خياط في «تاريخه» (ص ١١٤): «اسمه مخاش الحِميري»، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٧١/٦، ٧٩) مخاشن ثم قال: «وجزم ابن فتحون بأنه مخشي»، وذكروا أنه كان ممن عُفي عنه، فقال: يا رسولَ اللَّهِ: غيرِ اسمي واسم أبي، فسماه عبدُ اللَّهِ بن عبد الرحمن، فدعا عبدُ اللَّهِ ربَّه أن يقتل شهيداً حيث لا يُعلم به، فقتل يوم اليمامة، ولم يُعلم له أثر.

(١) نِسعَةٌ: بكسر النون وسكون المهملّة: حبل يشد به الرجل، ولا يطلق على الزمام. قال في «القاموس» (٣/٨٨): «النَّسْعُ - بالكسر -: سير ينسج عريضاً على هيئة أَعِنَّةِ النَّعَالِ، تُشَدُّ به الرحال، والقطعة منه نِسعَةٌ، وسمي نِسعاً لظوله»، وينظر «لسان العرب» (٧/٤٤١٠) (نسج).

(٢) هذا الأثر ذكره «المصنف» مجموعاً من رواية ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة. فأما أثر ابن عمر: فقد رواه ابن جرير الطبري (١٠/١٧٢)، وقال عنه السندي: «وسنده حسن لغيره؛ لأن فيه عبدُ اللَّهِ بن صالح كاتب ليث بن سعد، وهو صدوق كثير الغلط كما في «تقريب التهذيب» (ص ٣٠٨). وله شواهد ومتابعات أخرجهما ابن جرير عن قتادة وعكرمة مولى ابن عباس وعن مجاهد بن جبر المكي».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/٦٣) وقال عنه الوادعي: «ورجالُ سنده رجال الصحيح إلا هشام بن سعد، فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في «ميزان الاعتدال» (٤/٢٩٩)، وقد نسب السيوطي في «الدر المنثور» (٤/١٠/٢٣٠) إخراج =

فهؤلاء لَمَّا تَنَقَّصُوا النَّبِيَّ ﷺ، حيث عابوه والعلماء من أصحابه، واستهانوا بخبره، أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِذَلِكَ، وَإِنْ قَالَوه استهزاءً، فكيف بما هو أَعْلَظُ من ذلك؟ وإنما لم يُقِمِ الحدَّ عليهم لكونِ جهادِ المنافقين لم يكن قد أُمِرَ به إذ ذاك، بل كان مأموراً بأن يدَعَ أذاهم؛ ولأنه كان له أن يعفوَ عَمَّنْ تَنَقَّصَهُ وَأَذَاهُ^(١).

* الدليل الثالث: قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾

[التوبة: ٥٨].

واللمز: العيبُ والظعن^(٢)، قال مجاهد: «يَتَهَمُّكَ يَسْأَلُكَ يَزُرُكَ»^(٣).
وقال عطاء: «يَغْتَابُكَ».

* وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾ [التوبة: ٦١] الآية.

وذلك يدلُّ على أن كلَّ مَنْ لَمَزَهُ أو آذَاهُ كان منهم؛ لأنَّ ﴿ الَّذِينَ ﴾ و﴿ وَمَنْ ﴾ اسمان موصولان، وهما من صيغِ العموم، والآية وإن كانت

= هذه الرواية إلى أبي الشيخ وابن مردويه. وينظر: «تفسير القرطبي» (١٩٦/٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص ٢٠٥)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص ١١٩).

وأما رواية محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة. فهي معروفة لكن بغير هذا اللفظ وقد أخرجها ابن جرير الطبري (١٧٢/١٠)، وهي مرسلة. ينظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» للوادعي (ص ٧٧-٧٨)، و«الذهب المسبوك» للسندي (ص ١٤٤).

(١) قال الله تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

(٢) انظر «تفسير الطبري» (١٥٥/١٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٩٥٦/٢)، و«تفسير ابن كثير» (٣٦٣/٢)، و«الدر المنثور» (٢١٩/٤).

(٣) زَرَى: عابه وعاتبه، والإزراء: التهاون بالشيء، انظر «اللسان» (١٨٣٠/٣) زرى.

نزلت بسبب لَمَزِ قَوْمٍ وَأَذَى آخَرِينَ، فَحُكْمُهَا عَامٌّ كَسَائِرِ آيَاتِ اللُّوَاتِي نَزَلْنَ عَلَى سَبَابٍ، وَلَيْسَ بَيْنَ النَّاسِ خِلَافٌ نَعَلِمُهُ أَنَّهَا تَعْمُ الشَّخْصَ الَّذِي نَزَلَتْ بِسَبَبِهِ وَمَنْ كَانَ حَالُهُ كَحَالِهِ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ أَعْمً مِّنْ ذَلِكَ السَّبَبِ، فَقَدْ قِيلَ: «إِنَّهُ يَقْتَصِرُ عَلَى سَبَبِهِ».

والذي عليه جماهيرُ الناسِ أنه يجبُ الأخذُ بعمومِ القولِ، ما لم يَقُمْ دليلٌ يوجبُ القَصْرَ على السببِ.

وأيضاً، فإن كَوْنَهُ مِنْهُمْ حُكْمٌ مَعْلَقٌ بِلَفْظٍ مُشْتَقٌّ مِنَ اللَّمَزِ وَالْأَذَى، وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِكُونِهِ مِنْهُمْ؛ فَيَكُونُ مَا مِنْهُ الْاِشْتِقَاقُ هُوَ عِلَّةٌ لِذَلِكَ الْحُكْمِ، فَيَجِبُ اطِّرَادُهُ.

وأيضاً، فإن هذا القولُ مُنَاسِبٌ لِلنِّفَاقِ؛ فَإِنَّ لَمَزَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَذَاهُ لَا يَفْعَلُهُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، وَلَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْعَدْلِ، وَأَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ تَعْزِيرُهُ وَتَوْقِيرُهُ، وَإِذَا كَانَ دَلِيلًا عَلَى النِّفَاقِ نَفْسِهِ، فَحَيْثَمَا حَصَلَ حَصَلَ النِّفَاقِ.

* الدليل الرابع: قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

أَقْسَمَ سَبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوهُ فِي الْخُصُومَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ضَيْقًا مِنْ حُكْمِهِ، بَلْ يُسَلِّمُوا لِحُكْمِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

* وقال قبل ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ

يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿النساء: ٦٠-٦١﴾.

فبيّن سبحانه أن مَنْ دُعي إلى التحاكم إلى كتاب الله وإلى رسوله، فصدَّ عن رسوله كان منافقًا.

* وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿النور: ٤٧-٥١﴾.

فبيّن سبحانه أنّ مَنْ تَوَلَّى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وأن المؤمن هو الذي يقول: «سمعنا وأطعنا»؛ فإذا كان النفاق يثبت، ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره، مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة، فكيف بالتقصُّ والسبِّ ونحوه؟.

* الدليل الخامس: ما استدلَّ به العلماء على ذلك: قوله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴿الاحزاب: ٥٧-٥٨﴾ الآية.

□ ودلالاتها من وجوه:

أحدها: أنه قَرَنَ أذاه بأذاه، كما قَرَنَ طاعته بطاعته، فَمَنْ أَذَاهُ فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَعَالَى، وقد جاء ذلك منصوباً عنه، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالٌ الدَّمِ، يَبِينُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِرْضَاءَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَطَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ شَيْئًا وَاحِدًا.

* فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

* وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] في مواضع متعددة، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]. فوَحَدَ الضَّمِيرَ، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال أيضاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١].

* وجعل شِقَاقَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمِحَادَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَذَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَعْصِيَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ شَيْئًا وَاحِدًا.

* فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٣].

* وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٠].

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٦٣].

* وقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية. [النساء: ١٤]، و[الأحزاب:

وفي هذا وغيره بيانٌ لتلازمِ الحَقَّينِ، وأنَّ جهةَ حُرْمَةِ اللَّهِ ورسوله جهةٌ واحدةٌ؛ فَمَنْ آذَى الرسولَ فقد آذَى اللَّهَ، وَمَنْ أطاعه فقد أطاع اللَّهَ؛ لأنَّ الأُمَّةَ لا يَصِلُونَ ما بينهم وبين رَبِّهم إلاَّ بواسطةِ الرسولِ، ليس لأحدٍ منهم طريقٌ غيرُهُ ولا سببٌ سواه، وقد أقامه اللَّهَ مَقَامَ نَفْسِهِ في أمره ونَهْيِهِ وإخبارِهِ وبيانه، فلا يجوزُ أن يُفَرَّقَ بين اللَّهَ ورسوله في شيءٍ من هذه الأمور.

وثانيها: أنه فَرَّقَ بين آذَى اللَّهَ ورسوله، وبين آذَى المؤمنين والمؤمنات، فجعل هذا قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً^(١)، وجعل على ذلك لعنته في الدنيا والآخرة، وأعدَّ له العذابَ المهين^(٢). . . ومعلومٌ أن آذَى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلاَّ الكفرُ والقتل.

الثالث: أنه ذَكَرَ أنه لَعَنَهُم في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً، واللَّعْنُ: الإبعادُ عن الرَّحْمَةِ، وَمَنْ طَرَدَهُ عن رَحْمَتِهِ في الدنيا والآخرة لا يكونُ إلاَّ كافرًا، فإنَّ المؤمنَ يَقْرُبُ إليها بعضَ الأوقات، ولا يكون مباحَ الدَّمِّ؛ لأنَّ حَقْنَ الدَّمِّ رَحْمَةٌ عَظِيمَةٌ من اللَّهَ؛ فلا يَثْبُتُ في حَقِّهِ.

* الدليل السادس: قوله سبحانه: ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]. أي: حَذَرًا أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ، أو خَشْيَةً أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ، أو كَرَاهَةً أَنْ تَحْبَطَ، أو مَنَعَ أَنْ تَحْبَطَ، هذا تقديرُ البصريين، وتقدير الكوفيين: «لئلاَّ تَحْبَطَ»^(٣).

(١) انظر الأحزاب: ٥٨.

(٢) انظر الأحزاب: ٥٧.

(٣) انظر «تفسير الطبري» (١١٩/٢٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٤٥٧/٧)، و«تفسير =

فَوَجَّهَ الدَّلَالَةَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ نَهَاهُمْ عَنِ رَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ، وَعَنِ الْجَهْرِ لَهُ كَجَهْرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ؛ لِأَنَّ هَذَا الرِّفْعَ وَالْجَهْرَ قَدْ يُفْضِي إِلَى حُبُوطِ الْعَمَلِ وَصَاحِبُهُ لَا يَشْعُرُ؛ فَإِنَّهُ عَلَّلَ نَهْيَهُمْ عَنِ الْجَهْرِ وَتَرْكَهُمْ لَهُ بِطَلَبِ سَلَامَةِ الْعَمَلِ عَنِ الْحُبُوطِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ فِيهِ مِنَ الْمَفْسَدَةِ جَوَازَ حُبُوطِ الْعَمَلِ وَانْعِقَادَ سَبَبِ ذَلِكَ، وَمَا قَدْ يُفْضِي إِلَى حُبُوطِ الْعَمَلِ يَجِبُ تَرْكُهُ غَايَةً الْوَجُوبِ، وَالْعَمَلُ يُحْبَطُ بِالْكَفْرِ.

* قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥].

* وَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

* وَقَالَ: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

* وَقَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

[محمد: ٩].

* وَقَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ

أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

* كَمَا أَنَّ الْكُفْرَ إِذَا قَارَنَهُ عَمَلٌ، لَمْ يَقْبَلْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ

اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

* وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

[محمد: ١].

* وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهذا ظاهرٌ، ولا تحبُّطُ الأعمالِ بغيرِ الكفر؛ لأنَّ مَنْ مات على الإيمان، فإنَّه لا بُدَّ أن يدخلَ الجنةَ ويخرجَ من النارِ إن دخلَها، ولو حبِطَ عمله كلُّه لم يدخلَ الجنةَ قط، ولأنَّ الأعمالَ إنما يُحبِطها ما ينافيها، ولا يُنافي الأعمالَ مطلقاً إلا الكفرُ، وهذا معروفٌ من أصولِ أهلِ السنة.

* نعم قد يبطلُ بعضُ الأعمالِ بوجودِ ما يفسده، كما قال تعالى: ﴿لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ولهذا لم يُحبِطِ اللهُ الأعمالَ في كتابه إلا بالكفر.

فإذا ثبتَ أن رَفَعَ الصوتِ فوقَ صوتِ النبيِّ والجهرَ له بالقولِ يُخافُ منه أن يكفرَ صاحبه وهو لا يشعر ويحبِطُ عمله بذلك، وأنه مَظَنَّةٌ لذلك وسببٌ فيه؛ فمن المعلوم أن ذلك لِمَا ينبغي له ﷺ من التعزيرِ والتوقيرِ والتشريفِ والتعظيمِ والإكرامِ والإجلالِ.

* الدليلُ السابعُ: قوله سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].
أمرٌ من خالف أمره أن يحذرَ الفتنةَ، والفتنةُ: الردَّةُ والكفرُ^(١).

(١) للإمام أحمد كتاب بعنوان «طاعة الرسول ﷺ»، ولعل هذه الرواية تكون منه. وقد ذكر هذا الكتاب في «المسودة» (ص ١٤)، «طبقات المفسرين» للداودي (٧١/١). وقد جاء في «مسائل الإمام أحمد» برواية عبد الله «باب طاعة الرسول ﷺ» (٣/١٣٥٥): «حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: ذكر الله =

* قال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [البقرة: ١٩٣].

* وقال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وقال: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا﴾

[الأحزاب: ١٤].

* وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: ١١٠].

□ قال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد: «نظرت في المصحف

فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً»، ثم جعل يتلو:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣] الآية.

* وجعل يكررها ويقول: «وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله

أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيزيغ قلبه فيهلكه»، وجعل يتلو هذه الآية:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

□ وقال أبو طالب المشكاني - وقيل له: «إن قوماً يدعون الحديث

ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا

الإسناد وصحته، يدعون ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[النور: ٦٣]، وتدرى ما الفتنة؟ الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ

= تبارك وتعالى طاعة رسول الله عليه السلام في القرآن في غير موضع - فذكرها أبي كلها أو

عامتها فلم أحفظ، فكتبتها بعد من كتابه» اهـ. يعني: من كتاب «طاعة الرسول ﷺ»

للإمام أحمد المذكور آنفاً. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد أمر بطاعة الرسول في

نحو أربعين موضعاً» اهـ. ثم سرد بعضها. «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٤/١)،

الْقَتْلِ ﴿١﴾، فَيَدْعُونَ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَغْلِبُهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ إِلَى الرَّأْيِ».

فإذا كان المخالفُ عن أمره قد حُدِّرَ من الكفرِ والشركِ، أو من العذابِ الأليمِ، دلَّ على أنه قد يكونُ مُفضيلاً إلى الكفرِ أو إلى العذابِ الأليمِ، ومعلومٌ أن إفضاءه إلى العذابِ هو مُجرَّدُ فعلِ المعصيةِ، فإفضاؤه إلى الكفرِ إنما هو لِمَا قد يَقْتَرِنُ به من استخفافٍ بحقِّ الأمرِ، كما فَعَلَ إبليسُ، فكيف بما هو أغلظُ من ذلك كالسبِّ والانتقاصِ ونحوه؟.

وهذا بابٌ واسعٌ، مع أنه بحمدِ الله مُجمَعٌ عليه، لكن إذا تعدَّتِ الدلالاتُ تعاضدتْ على غِلْظِ كُفْرِ السابِّ وعِظَمِ عقوبته، وظَهَرَ أن تركَ الاحترامِ للرسولِ وسوءَ الأدبِ معه مما يُخافُ معه الكفرُ المُحِبِطُ، كان ذلك أبلغَ فيما قصدنا له.

ومما ينبغي أن يُتَفَتَّنَ له أن لفظ «الأذى» في اللُّغة هو لِمَا خَفَّ أمرُهُ وضعفُ أثرُهُ من الشرِّ والمكروهِ - ذَكَرَهُ الخَطَّابِيُّ وغيره -، وهو كما قال (١)، فإن استقراء مواردِه يدلُّ على ذلك.

فَعَلِمَ أن قليلَ ما يُؤْذِيهِ يُكَفِّرُ به صاحِبُهُ ويُحِلُّ دَمَهُ.

* الدليل الثامن: أن الله سبحانه قال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدَانًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فحرَّم على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده؛ لأنَّ ذلك يُؤْذِيهِ، وجعلَه

(١) انظر «تاج العروس» (١٠/١٣)، وفيه نقل قول الخطَّابِيِّ.

عظيماً عند الله تعظيماً لحرمة، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت لما قال بعض الناس: «لو قد توفّي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة».

ثم إن من نكح أزواجه أو سراريه، فإن عقوبته القتل، جزاء له بما انتهك من حرمة، فالشاتم له أولى.

والدليل على ذلك ما روى مسلم في «صحيحه» عن زهير، عن عَفَّان^(١)، عن حماد، عن ثابت، عن أنس أن رجلاً كان يتهم بأم ولد النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعلي: «أذهب فاضرب عنقه»، فأتاه عليٌّ فإذا هو في ركي^(٢) يتبرّد، فقال له عليٌّ: اخرج. فناوله يده، فأخرجه، فإذا هو، محبوبٌ ليس له ذكر، فكفّ علي، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه لمحبوبٌ، ما له ذكر.

فهذا الرجل أمر النبي ﷺ بضرب عنقه لما قد استحل من حرمة، ولم يأمر بإقامة حدّ الزنى؛ لأن حدّ الزنى ليس هو ضرب الرقبة، بل إن كان مُحصناً رُجم، وإن كان غير مُحصن جُلد، ولا يقام عليه الحدُّ إلا بأربعة شهداء، أو بالإقرارِ المعتر، فلما أمر النبي ﷺ بضرب عنقه من غير تفصيل بين أن يكون مُحصناً أو غير مُحصن، علم أن قتله لما انتهكه من حرمة، ولعله قد شهد عنده شاهدان أنهما رآياه يباشر هذه المرأة، أو شهدا بنحو ذلك، فأمر بقتله، فلما تبين أنه كان محبوباً، علم أن المفسدة مأمونة منه.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤٠/٢٢)، و«زاد المسير» (٤١٦/٦)، و«تفسير ابن كثير»

(٥٠٥/٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي.

(٢) الركي: جنس للركية، وهو البثر، وجمعها ركايا. انظر «النهاية» لابن الأثير (ركا)

(٢٦١/٢).

□ ويدلُّ على ذلك أن النبي ﷺ تزوجَ قَيْلَةَ بنتَ قَيْسِ بنِ مَعْدِي كَرَب - أختَ الأشعثِ -، وماتَ قبلَ أن يَدْخُلَ بها، وقبلَ أن تَقْدَمَ عليه^(١)، وقيل: إنه خَيْرُها بينَ أن يضربَ عليها الحجابَ وتَحْرُمَ على المؤمنين، وبينَ أن يُطَلِّقَها فتَنكحَ مَنْ شاءت، فاخترتَ النكاحَ، قالوا: فلما مات النبي ﷺ تزوجَها عِكرِمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ بِحَضْرَمَوْتِ، فبلغَ أبا بكرٍ، فقال: «لقد هممتُ أن أحرقَ عليهما بيتهما»، فقال عمرُ: «ما هي من أمهات المؤمنين، ولا دَخَلَ بها، ولا ضَرَبَ عليها الحجابَ».

وقيل: إنها ارتدَّتْ.

فاحتجَّ عمرُ على أبي بكرٍ أنها ليست من أزواجِ النبي ﷺ بارتدادها^(٢).
□ فوجهُ الدلالة: أن الصديقَ رضي الله عنه عَزَمَ على تحريقِها وتحريقِ مَنْ

(١) قال الحافظ في «الإصابة» (١٧٤/٨): أخرج أبو نعيم من طريق إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد، عن عبد الأعلى، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ تزوجَ قَيْلَةَ أختَ الأشعثِ، وماتَ قبلَ أن يُخَيَّرَها»، قال الحافظ: «وهذا موصول قوي الإسناد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤١/٢٢) وعنه ابن كثير في «تفسيره» (٥٠٦/٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]. قال ابن جرير الطبري: «حدثنا محمد بن المنثري، قال: ثنا عبد الوهَّاب، قال: ثنا داودُ، عن عامر أن النبي ﷺ ماتَ وقد مَلَكَ قَيْلَةَ بنتَ الأشعثِ، فتزوجَها عِكرِمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ بعد ذلك، فشَقَّ على أبي بكرٍ مشقةٌ شديدة، فقال له عمر: يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ، إنها ليست من نسائه، إنها لم يُخَيَّرَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ولم يَحجِّبْها، وقد برأها منه بالردة التي ارتدَّتْ مع قومها، فاطمأن أبو بكرٍ وسكن. ينظر: «طبقات ابن سعد» (١٤٧/٨)، «المستدرک» (٣٨/٤)، «أسد الغابة» (٢٤٠/٧)، «الإصابة» (١٧٤/٨).

تزوجها، لِمَا رَأَى أَنَّهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى نَظَرَهُ عَمْرٌ أَنَّهُ لَا يَسْتَمِنُ مِنْ أَزْوَاجِهِ، فَكَفَّ عَنْهُمَا لِذَلِكَ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ قَتْلَ مَنْ اسْتَحَلَّ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

□ وَلَا يُقَالُ: «إِنَّ ذَلِكَ حَدُّ الزَّانِي»؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَكُونُ مُحْرَمَةً عَلَيْهِ، وَمَنْ تَزَوَّجَ ذَاتَ مُحْرَمٍ حَدَّ حَدَّ الزَّانِي أَوْ قَتَلَ؛ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ حَدَّ الزَّانِي الرَّجْمُ.

الثاني: أَنَّ ذَلِكَ الْحَدَّ يَفْتَقِرُ إِلَى ثُبُوتِ الْوَطْءِ بَيِّنَةً أَوْ إِقْرَارًا، فَلَمَّا أَرَادَ تَحْرِيقَ الْبَيْتِ مَعَ جَوَازِ الْأَيَّامِ يَكُونُ غَشِيهَا، عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ عَقُوبَةٌ لِمَا انْتَهَكَهُ مِنْ حُرْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

* الْأَدْلَةُ مِنَ السُّنَّةِ:

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: مَا رَوَاهُ الشَّعْبِيُّ عَنْ عَلِيٍّ: «أَنَّ يَهُودِيَةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلُ^(١) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِمَهَا».

هَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»^(٢)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «سُنَنِهِ»، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَا اسْتَدْلَّ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَالَ: ثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَغِيرَةَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - أَعْنِي: يَاوِي إِلَى امْرَأَةٍ يَهُودِيَةٍ، فَكَانَتْ تُطْعِمُهُ وَتُحْسِنُ إِلَيْهِ، فَكَانَتْ لَا تَزَالُ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ

(١) أَبْطَلُ: أَي: أَهْدَرَ «لِسَانَ الْعَرَبِ» (٣٠٢/١) (بَطَل).

(٢) إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» - كِتَابِ الْحُدُودِ - بَابِ فِيمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ (٤/٥٣٠ ح ٤٣٦٢)، وَابْنُ بَيْهَقِي فِي «السَّنَنِ الْكَبِيرِ» (٦٠/٧) وَ(٩/٢٠٠).

وتؤذيه، فلما كان ليلةً من الليالي خنقها فماتت، فلما أصبح ذُكر ذلك للنبي ﷺ، فنشَدَ الناسَ في أمرها، فقام الأعمى، فذَكَرَ له أمرها، فأبطلَ رسولُ الله ﷺ دَمَهَا^(١).

وهذا الحديث نصٌّ في جواز قتلها لأجل شتم النبي ﷺ، ودليلٌ على قتل الرجلِ الذمِّيِّ وقتلِ المسلمِ والمسلمةِ إذا سبَّ بطريقِ الأوليِّ؛ لأن هذه المرأة كانت مُوآدعةً مُهادنةً؛ لأن النبي ﷺ لَمَّا قَدِمَ المدينةَ وَاَدَعَ جميعَ اليهود الذين كانوا بها مُوآدعةً مُطلقةً، ولم يَضْرِبْ عليهم جِزْيَةً، وهذا مشهورٌ عند أهل العلم - بمنزلةِ المتواترِ بينهم -، حتى قال الشافعي: «لم أعلم مخالفاً من أهل العلم بالسَّيرِ أن رسولَ الله ﷺ لَمَّا نَزَلَ المدينةَ وَاَدَعَ يهودَ كافةً على غيرِ جِزْيَةٍ»^(٢).

الحديث الثاني: عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «أن أعمى كانت له أمٌ ولدٍ تشتم النبي ﷺ وتقعُ فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، فلما كان ذات ليلةٍ جعلتُ تقعُ في النبي ﷺ وتشتمه؛ فأخذ المِغُولَ^(٣) فوضعه في بطنها واتكأَ عليها فقتلها، فلما أصبح ذُكر ذلك للنبي

(١) جيد: الحديث بتمامه رواه الخلال في «أحكام أهل الملل»: كتاب الحدود - باب فيمن شتم النبي ﷺ (ق/١٠٤/أ)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» مختصراً (٦٠/٧)، و(٢٠٠/٩) عن الروذباري عن محمد بن بكر عن أبي داود عن عثمان بن أبي شيبة وعبدالله بن الجراح عن جرير به.. وقد ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/٣٦٣) رواية تدل على أن الأعمى هو عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه. وجود إسناده ابن تيمية، والشعبي قد رأى علياً.

(٢) انظر «الأم» للشافعي - «الحكم بين أهل الذمة» (٤/٢٢٢).

(٣) المِغُول: شبيه المشمل؛ وهو السيف القصير ذو النصل الدقيق الماضي.

ﷺ، فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: «أُنْشِدُ اللَّهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَدَلَّلُ^(١) حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللَّوْلُوتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغُولَ، فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أَشْهَدُوا أَنْ دَمَهَا هَدْرٌ»^(٢).

فهذه القصة يمكن أن تكون هي الأولى، وعليه يدلُّ كلامُ الإمام أحمد؛ لأنه قيل له في رواية عبد الله: «في قتل الذمي إذا سبَّ أحاديث؟ قال: نعم، منها حديثُ الأعمى الذي قتل المرأة، قال: سَمِعْتُهَا تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ».

ثم روى عنه عبد الله كلا الحديثين، ويكون قد خنقها وبعجَ بطنها

(١) يتدلل: أي: يضطرب في مشيته.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الحدود - باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (٤/٥٢٨ ح ٤٣٦١) وفيه عبارة: «فوقع بين رجلها طفل فلطخت ما هناك بالدم»، وفي لفظ: «يتخطى الناس وهو يتزلزل»؛ والنسائي في كتاب تحريم الدم - باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (٧/١٠٧)، والدارقطني في كتاب الحدود والديات وغيره (٣/١١٢ ح ١٠٣)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٣٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٦٠)، و(١٠/١٣١) وعنده بلفظ «المعول» بالعين المهملة في الموضوعين وهو تصحيف.

الحديث سكت عنه أبو داود، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» (ص ٢٥٥ ح ١٢٣٠): «رواته ثقات»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/٨٢٤ ح ٣٦٦٥).

بالمغول، أو يكون كيفية القتل غير محفوظة في إحدى الروايتين. ويؤيد ذلك أن وقوع قصتين مثل هذه لأعميين كلُّ منهما كانت المرأة تُحسِنُ إليه وتكرّر الشتم، وكلاهما قتلها وحده، وكلاهما نشد رسول الله ﷺ فيها الناسَ، بعيداً في العادة، وعلى هذا التقدير فالمقتولة يهودية كما جاء مُفسراً في تلك الرواية، وهذا قولُ القاضي أبي يعلى وغيره، استدلُّوا بهذا الحديث على قتل الذميِّ ونقضه العهدَ، وجعلوا الحديثين حكاية واقعة واحدة. ويمكن أن تكون هذه القصة غير تلك.

الحديث الثالث: ما احتج به الشافعيُّ على أن الذميَّ إذا سبَّ قُتِلَ وبرئت منه الذمة، وهو قصة كعب بن الأشرف اليهوديِّ. □ قال الخطَّابيُّ: قال الشافعيُّ: «يقتل الذميُّ إذا سبَّ النبيَّ ﷺ، وتبرأ منه الذمة»، واحتج في ذلك بخبر كعب بن الأشرف، وقد مرَّ حديثه. والاستدلالُ بقتل كعب بن الأشرف من وجهين:

أحدهما: أنه كان معاهداً مُهادناً، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم بالمغازي والسير، وهو عندهم من العلم العام الذي يُستغنى فيه عن نقل الخاصة.

ثم إن النبيَّ ﷺ، جعل كعب بن الأشرف ناقضاً للعهد بهجائه وأذاه بلسانه خاصة، والدليل على أنه إنما نقض العهد بذلك أن النبيَّ ﷺ قال «من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله».

وقوله ﷺ: «لو قرَّ كما قرَّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال من الأذى وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحدٌ منكم إلا كان

السيفُ»، نصُّ في أنه إنما انتقض عهدُ ابن الأشرَف بالهَجاء ونحوه، وأنَّ من فعل هذا من المعاهدين فقد استحقَّ السيف.

الوجه الثاني: من الاستدلال به: أن النَّفَرَ الخمسة الذين قَتَلوه من المسلمين: محمد بن مَسْلَمَة، وأبا نائلة، وعَبَّادَ بنِ بِشْر، والحارثَ بنِ أوس، وأبا عَبْس بنِ جَبْر، قد أذنَ لهم النبي ﷺ أن يغتالوه ويخدعوه بكلامٍ يُظهِرون به أنهم قد آمنوه ووافقوه، ثم يقتلوه، ومن المعلوم أن مَنْ أظهرَ لكافرٍ أماناً لم يَجْزِ قَتْلُه بعد ذلك لأجل الكفر، بل لو اعتقد الكافرُ الحربِيُّ أن المسلم آمنه وكلمه على ذلك صار مستأمنًا.

● قال النبي ﷺ فيما رواه عنه عمرو بنُ الحَمِق: «مَنْ آمَنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَإِنْ كَانَ الْمُقْتُولُ كَافِرًا»^(١).

● وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الإيمانُ قَيْدُ الفَتَكِ»^(٢)، لا يفتكُ

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد: في «المسند» (٤/٢٢٣، ٢٢٤، ٤٣٧) بلفظين: الأول: «مَنْ آمَنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ أُعْطِيَ لَوَاءَ الغَدْرِ يَوْمَ القِيَامَةِ». والثاني: «أَيُّمًا مَوْمِنٍ مِّنْ مَّوْمِنًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا مِنَ القَاتِلِ بَرِيءٌ»، ورواه ابن ماجه: في كتاب الديات - باب من آمن رجلاً على دمه فقتله (٢/٨٩٦ ح ٢٦٨٨)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/٤٦١ ح ٣٨)، (١/٣٥٠ ح ٥٨٤)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٣٥٣). الحديث قال عنه الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في «الزوائد» على ابن ماجه: «وإسناده صحيح ورجاله ثقات»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/٢٨٨): «رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات». وصحح إسناده أيضاً الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/١٠٧ ح ٢١٧٧)، وفي «الصحيحة» (١/٧٢٥ ح ٤٤٠).

(٢) الفتك أي: يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافل، فيشد عليه فيقتله، والغيلة: أن يخدعه ثم يقتله في موضع خفي. ينظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/٤٠٩) (فتك). ومعنى «الإيمان قَيْدُ الفَتَكِ»، أي: أن الإيمان يمنع من الفتك كما يمنع القيد عن التصرف، فكأنه =

مؤمن»^(١).

وقد زعم الخطّابي^(٢) أنهم إنما فتكوا به؛ لأنّه كان قد خلّع الأمان، ونقضّ العهد قبل هذا، وزعم أن مثل هذا جائز في الكافر الذي لا عهد له كما جاز البيات والإغارة عليهم في أوقات الغيرة.

لكن يقال: هذا الكلام الذي كَلّموه به صار مستأمنًا، وأدنى أحواله أن يكون له شبهة أمان، ومثل ذلك لا يجوز قتله بمجرد الكفر؛ فإن الأمان يعصم دم الحربي ويصير مستأمنًا بأقلّ من هذا - كما هو معروف في مواضعه^(٣) -، وإنما قتلوه لأجل هجائه وأذاه لله ورسوله، ومن حلّ قتله بهذا الوجه لم يعصم دمه بأمان ولا بعهد كما لو آمن المسلم من وجب قتله لأجل قطع الطريق ومحاربة الله ورسوله والسعي في الأرض بالفساد الموجب

= جعل الفتك مقيداً، ومنه قولهم في صفة الفرس: «هو قيد الأوابد»، يريدون أنه يلحقها بسرعة، فكانها مقيدة به لا تعدوه. ينظر: «النهاية» (٤/١٣٠) (قيد).

(١) صحيح: رواه أبو داود: في كتاب الجهاد - باب في العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم (٣/٨٧ ح ٢٧٦٩) عن أبي هريرة. ورواه أحمد: في «المسند» (١/١٦٦، ١٦٧) عن الزبير بن العوام. ورواه أحمد أيضاً في «المسند» (٤/٩٢)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٣٥٢) عن معاوية بن أبي سفيان. قال أبو داود عن حديث أبي هريرة: «في إسناده أسباط بن نصر الهمداني، وإسماعيل بن عبدالرحمن السُدّي. وقد أخرج لهما مسلم وتكلم فيهما غير واحد من الأئمة» اهـ. وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/٥٣٣ ح ٢٤٠٧). وحديث الزبير صحح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه على «المسند» (٢/١٩٣ ح ١٤٢٦). وحديث معاوية سكت عنه الحاكم، وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير» (١/١٢٤).

(٢) في «معالم السنن» (٤/٨٢، ٨٣).

(٣) انظر «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى (ص ٤٨).

للقتل، أو آمن مَنْ وجب قتله لأجل زناه، أو آمن مَنْ وجب قتله لأجل الردّة، أو لأجل ترك أركان الإسلام ونحو ذلك، ولا يجوز أن يعقد له عقد عهد، سواء كان عقد أمان، أو عقد هدنة، أو عقد ذمة؛ لأن قتله حد من الحدود، وليس قتله لمجرد كونه كافراً حربياً كما سيأتي، وأما الإغارة والبيات فليس هناك قول أو فعل صاروا به آمين، ولا اعتقدوا أنهم قد أمِنوا، بخلاف قصة كعب بن الأشرف.

فثبت أن أذى الله ورسوله بالهجاء ونحوه لا يُحقن معه الدم بالأمان، فلأن لا يُحقن معه بالذمة المؤبدة والهدنة المؤقتة بطريق الأولى، فإن الأمان يجوز عقده لكل كافر، ويعقده كل مسلم، ولا يشترط على المستأمن شيء من الشروط، والذمة لا يعقدها إلا الإمام، أو نائبه، ولا تُعقد إلا بشروط كثيرة تُشترط على أهل الذمة: من التزام الصغار ونحوه، وقد كان عرّضت لبعض السفهاء شبهة في قتل ابن الأشرف؛ فظن أن دم مثل هذا يعصم بذمة متقدمة، أو بظاهر أمان، وذلك نظير الشبهة التي عرّضت لبعض الفقهاء، حتى ظن أن العهد لا ينتقض بذلك، فروى ابن وهب: أخبرني سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد - أخي سفيان بن سعيد الثوري -، عن أبيه، عن عباية قال: ذكر قتل ابن الأشرف عند معاوية، فقال ابن يامين: كان قتله غدرًا، فقال محمد بن مسلمة: يا معاوية، أيغدر عندك رسول الله ﷺ ثم لا تُنكر؟ والله لا يظنني وإياك سقف بيت أبداً، ولا يخلو لي دم هذا إلا قتله»^(١).

(١) «معالم السنن» للخطّابي (٤/ ٨٢ - ٨٣).

□ وقال الواقدي^(١) : «حدثني إبراهيم بن جعفر، عن أبيه قال : قال مروان بن الحكم - وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضيري - : كيف كان قتل ابن الأشرف؟ قال ابن يامين : كان غدرًا - ومحمد بن مسلمة جالس شيخ كبير - ، فقال : يا مروان ، أيغدر رسول الله ﷺ عندك؟ والله ما قتلناه إلا بأمر رسول الله ﷺ ، والله لا يؤويني وإياك سقف بيت إلا المسجد ، وأما أنت يا ابن يامين ، فله عَليّ ، إن أفلتت ، وقدرتُ عليك وفي يدي سيفٌ ، إلا ضربتُ به رأسك .

فكان ابن يامين لا ينزل من بني قريظة حتى يبعث له رسولاً ينظر محمد بن مسلمة ، فإن كان في بعض ضياعه نزل ففضى حاجته ثم صدر ، وإلا لم ينزل ، فبينما محمد في جنازة وابن يامين بالقيح ، فرأى محمد نعشاً عليه جرائد رطبة لامرأة ، فجاء فحله ، فقام إليه الناس ، فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ما تصنع؟ نحن نكفيك ، فقام إليه ، فلم يزل يضربه بها جريدة جريدة حتى كسر ذلك الجريد على وجهه ورأسه حتى لم يترك به مصحاً^(٢) ، ثم أرسله ولا طبّاخ^(٣) به ، ثم قال : والله لو قدرت على السيف لضربتُك به» .

* الحديث الرابع :

□ عن أبي برزة قال : أغلظ رجلٌ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقلت :

(١) «المغازي» للواقدي (١/١٩٢ - ١٩٣) .

(٢) مصحاً : يُروى بفتح الصاد وكسرهما ، والفتح أعلى ، وهي مقلعة من الصحة : العافية انظر «النهاية» (٣/١٢) ، و«لسان العرب» (٤/٢٤٠٢) (صحح) .

(٣) الطباخ : القوة . . انظر «القاموس المحيط» (١/٢٦٤) .

أَقْتُلُهُ؟ فَاتْتَهَرَنِي وَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

□ ورواه أبو داود في «سننه» بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن مُطَرِّف عن أبي برزة قال: «كنتُ عند أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فتغيَّظَ عليّ رجلٌ، فاشتدَّ عليه، فقلت: تأذنُ لي يا خليفةَ رسولِ الله أضربُ عنقَه. قال: فأذهبتُ كلمتي غَضَبَه، فقام فدخل، فأرسل إليَّ فقال: ما الذي قُلتَ أنفًا؟ قلت: تأذنُ لي أضربُ عنقه، قال: أكنتَ فاعلاً لو أمرتُك؟ قلت: نعم، قال: لا، والله ما كانت لبشرٍ بعدَ رسولِ الله ﷺ»^(٢).

□ قال أبو داود في «مسائله»^(٣): «سمعتُ أبا عبد الله يُسأل عن حديث أبي بكر: «ما كانت لأحدٍ بعد رسولِ الله ﷺ»، فقال: «لم يكن

(١) ينظر: «سنن النسائي»: كتاب تحريم الدم - باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (١٠٩/٧)، «مسند الإمام أحمد» (٩/١)، «مسائل الإمام أحمد» برواية ابنه عبد الله (٣/١٢٩٢ ح ١٧٩٥)، «مستدرک الحاكم» (٤/٣٥٥)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٧/٦٠). والحديث صحح إسناده الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٣/٨٥٤ ح ٣٧٩٥).

(٢) ينظر: «سنن أبي داود»: في كتاب الحدود - باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (٤/٥٣٠ ح ٤٣٦٣)، وفيه لفظ: «ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ». و«سنن النسائي»: في كتاب تحريم الدم - باب ذكر الاختلاف على الأعمش في هذا الحديث (٧/١١٠-١١١) بنفس الطريق وبطرق أخرى أطول من هذا؛ و«المستدرک» للحاكم: في كتاب الحدود (٤/٣٥٤) عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أبي برزة به... الحديث صحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية كما ذكر أنفًا، وقد قال النسائي عقبه: «هذا الحديث أحسن الأحاديث وأجودها والله تعالى أعلم»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصحح إسناده الألباني أيضاً في «صحيح سنن النسائي» (٣/٨٢٤ ح ٣٦٦٦).

(٣) في (ص ٢٢٦، ٢٢٧) (باب حد الذمي والعبد).

لأبي بكر أن يقتلَ رجلاً إلا بإحدى ثلاثٍ - وفي رواية: بإحدى الثلاث التي قالها رسول الله ﷺ -: كفرٌ بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتلُ نفسٍ بغير نفس، والنبي ﷺ كان له أن يقتلَ.»

وقد استدلَّ به على جواز قتلِ سبِّ النبي ﷺ جماعاتٌ من العلماء، منهم أبو داود، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وأبو بكر عبدالعزيز، والقاضي أبو يعلى وغيرهم من العلماء، وذلك لأن أبا برزة لَمَّا رأى الرجل قد شتمَّ أبا بكر وأغلظَ له حتى تغَيَّظَ أبو بكر، استأذنه في أن يقتله لذلك، وأخبره أنه لو أمره لقتله، فقال أبو بكر: «ليس هذا لأحدٍ بعد النبي ﷺ.»

فعلم أن النبي ﷺ كان له أن يقتلَ مَنْ سبَّه ومَنْ أغلظَ له، وأن له أن يأمرَ بقتلِ مَنْ لا يعلمُ الناسُ منه سبباً يُبيحُ دمه، وعلى الناس أن يُطيعوه في ذلك؛ لأنَّه لا يأمرُ إلا بما أمرَ اللهُ به، ولا يأمرُ بمعصيةِ اللهِ قط، بل مَنْ أطاعه فقد أطاع الله.

□ فقد تضمن الحديثُ خَصِيصَتَيْنِ لرسول الله ﷺ:

إحداهما: أنه يُطاعُ في كلِّ مَنْ أمرَ بقتله.

والثانية: أنَّ له أن يقتلَ مَنْ شتمَّه وأغلظَ له.

وهذا المعنى الثاني الذي كان له باقٍ في حقِّه بعد موته؛ فكلُّ مَنْ شتمَّه، أو أغلظَ في حقِّه، كان قتلُه جائزاً، بل ذلك بعد موته أو كدُّه وأوكدُّه؛ لأنَّ حرْمَتَه بعد موته أكملُ، والتساهلُ في عرْضِهِ بعد موته غير ممكن.

وهذا الحديثُ يُفيدُ أن سبَّه في الجُمْلَةِ يُبيحُ القتلَ، ويُستدلُّ بعمومه

على قتل الكافر والمسلم.

* الحديث الخامس : قِصَّةُ الْعَصْمَاءِ بِنْتِ مِرْوَانَ .

● ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هَجَّتْ امْرَأَةٌ مِنْ خَطْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : « مَنْ لِي بِهَا؟ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَهَضَّ فَقَتَلَهَا ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : « لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَزْرَانٌ » ^(١) .
وقد ذكر بعض أصحاب المغازي وغيرهم قصتها مبسوطه .

□ قال الواقدي ^(٢) : « حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْفَضِيلِ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَصْمَاءَ بِنْتَ مِرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمِيَّةِ بْنِ زَيْدٍ كَانَتْ تَحْتُ يَزِيدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حِصْنِ الْخَطْمِيِّ ، وَكَانَتْ تَوْذِي النَّبِيَّ ﷺ ، وَتَعِيبُ الْإِسْلَامَ وَتُحَرِّضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَتْ شِعْرًا :

وَعَوَفٌ ، وَبِاسْتِ بَنِي الْخَزْرَجِ	فِيَا سِتْ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيَّتِ
فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحِجِ	أَطْعَمْتُمْ أَتَاوِيَّ ^(٣) مِنْ غَيْرِكُمْ
كَمَا يُرْتَجَى مَرَقُ الْمُنْضَجِ	تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرَّؤُوسِ

(١) روى هذه القصة ابن عدي في «الكامل» (٦/٢١٥٦) ، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩٩/١٣) مطولة ، كلاهما عن محمد بن الحجاج اللخمي عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس به . وقال ابن عدي في آخرها : «قال الشيخ : وهذا الإسناد مثل الإسناد الأول . . ولم يروه عن مجالد غير محمد بن الحجاج وجميعاً مما يتهم محمد بن الحجاج بوضعها» اهـ . وينظر : «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/١٧٥) .

ومعنى «لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَزْرَانٌ» أي : لَا يَلْتَقِي فِيهَا اثْنَانِ ضَعِيفَانِ ؛ لِأَنَّ التَّنَاطُحَ مِنْ شَأْنِ التُّيُوسِ وَالْكَبَاشِ لَا الْعُنُوزِ ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى قَضِيَّةٍ مَخْصُوصَةٌ لَا يَجْرِي فِيهَا خُلْفٌ وَتَزَاعٌ . ينظر : «النهاية» (٥/٧٤) (نطح) .

(٢) في كتابه «المغازي» (١/١٧٢ - ١٧٤) ، «ذكر سرية قتل عصماء بنت مروان» .

(٣) الأتاوي : الغريب ، وأرادت به النبي ﷺ . انظر «غريب الحديث» للخطابي (١/٢١١) «أتى» .

□ قال عُمَيْرُ بنُ عَدِيٍّ الحَطْمِيُّ حِينَ بَلَغَهُ قَوْلُهَا وَتَحْرِيزُهَا: اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ نَذْرًا لئن رَدَدْتَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ إلى المَدِينَةِ لِأَقْتَلَنَهَا - وَرَسولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِبَدْرٍ -، فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَدْرٍ جَاءَهَا عُمَيْرُ بنُ عَدِيٍّ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا وَحَوْلَهَا نَفْرٌ مِنْ وَلَدِهَا نِيَامَ مِنْهُمْ مَنْ تُرَضِعُهُ فِي صَدْرِهَا، فَجَسَّهَا بِيَدِهِ، فَوَجَدَ الصَّبِيَّ تُرَضِعُهُ، فَنَحَّاهُ عَنْهَا، ثُمَّ وَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى صَدْرِهَا حَتَّى أَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى صَلَّى الصَّبْحَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا انصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ نَظَرَ إِلَى عُمَيْرِ فَقَالَ: «أَقْتَلْتَ بِنْتَ مِرْوَانَ؟» قَالَ: نَعَمْ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسولَ اللَّهِ، وَخَشِي عُمَيْرٌ أَنْ يَكُونَ افْتَاتٌ^(١) عَلَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهَا، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ يَا رَسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا يَنْتَظِحُ فِيهَا عَزَّانٍ»؛ فَإِنْ أَوْلَ مَا سَمِعْتَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ عُمَيْرٌ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: «إِذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى رَجُلٍ نَصَرَ اللَّهُ وَرَسولُهُ بِالْغَيْبِ، فَانظُرُوا إِلَى عُمَيْرِ بنِ عَدِيٍّ»، فَقَالَ عُمَيْرُ بنُ الحَطَّابِ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الْأَعْمَى الَّذِي تَسْرَى^(٢) فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَا تَقُلْ الْأَعْمَى، وَلَكِنَّهُ الْبَصِيرُ».

فَلَمَّا رَجَعَ عُمَيْرٌ مِنْ عِنْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَدَ بَنِيهَا فِي جَماعَةٍ يَدْفَنُونَهَا، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ حِينَ رَأَوْهُ مَقْبَلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: يَا عُمَيْرُ، أَنْتَ

(١) افْتَاتٌ عَلَيْهِ أَي: انْفَرَدَ بِرَأْيِهِ دُونَهُ، وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ الْفَوَاتِ: السَّبِقِ. يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا فِي أَمْرِكَ دُونَكَ: قَدِ افْتَاتَ عَلَيْكَ فِيهِ. وَفِي «اللِّسَانِ»: افْتَاتَ أَي: اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ وَانْفَرَدَ، وَقَدْ صَحَّ الِهْمَزُ فِيهَا؛ افْتَاتَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ أَي: اخْتَلَفَهُ. يَنْظُرُ: «النِّهَايَةُ» (٤٧٧/٣) (فوت)؛ «لِّسَانُ الْعَرَبِ» (٣٣٣٣/٦) (فَات).

(٢) تَسْرَى: أَي: جَاءَهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ. وَالسُّرَى: سَيْرُ اللَّيْلِ.

قتلتها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظِّروُن، فو الذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت، لَضْرِبْتُكُمْ بِسَيْفِي هَذَا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ أَقْتَلَكُم، فيومئذٍ ظهر الإسلامُ في بني خَطْمَةَ، وكان منهم رجالٌ يَسْتَحْفُونَ بالإسلام خوفاً من قومهم.

□ قال: أنشدنا عبد الله بن الحارث:

وَحَطْمَةَ دُونَ بَنِي الْخَزْرَجِ	بَنِي وَأَثَلٍ وَبَنِي وَأَقْفِ
بِعَوَلْتِهَا ^(١) وَالْمَنَايَا تَجِي	مَتَى مَا دَعَتْ أُحْتِكُمْ وَيَحَهَا
كَرِيمِ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ	فَهَزَّتْ فَتَى مَا جَدًّا عَرَقُهُ
قَبِيلِ الصَّبَاحِ وَلَمْ تَخْرُجْ	فَضْرَجَهَا ^(٢) مِنْ نَجِيعِ الدَّمَا
نِ جَدْلَانَ فِي نِعْمَةِ الْمَوْلِجِ	فَأُورِدَكَ اللَّهُ بَرْدَ الْجِنَا

□ قال عبد الله بن الحارث عن أبيه: وكان قتلها لخمسٍ ليالٍ بَقِينَ من رمضان مرجع النبي ﷺ من بدر.

وإنما سقنا القصة من رواية أهل المغازي - مع ما في الواقدي من الضعف - لشهرة هذه القصة عندهم، مع أنه لا يختلفُ اثنان أن الواقدي من أعلم الناس بتفاصيل أمور المغازي، وأخبر الناس بأحوالها، وقد كان الشافعي وأحمد وغيرهما يستفيدون علم ذلك من كتبه، نعم هذا الباب يدخله خلط الروايات بعضها ببعض، حتى يظهر أنه سمع مجموع القصة

(١) بِعَوَلْتِهَا: من العَوْل والعَوْلَة والعويل: رفع الصوت بالبكاء انظر «النهاية» (٣/٣٢١)،

و«لسان العرب» (٣١٧٤/٥) (عول).

(٢) ضَرَجَهَا: لَطَّخَهَا.

من شيوخه، وإنما سمع من كلِّ واحدٍ بعضها، ولم يميزه، ويدخله أخذ ذلك من الحديث المرسل والمقطوع، وربما حَدَّثَ الراوي ببعض الأمور لقرائن استفادها من عدة جهات، ويكثرُ من ذلك إكثاراً، فيُنسَبُ لأجله إلى المجازفة في الرواية وعدم الضبط، فلم يمكن الاحتجاجُ بما ينفرد به، فأما الاستشهادُ بحديثه والاعتضادُ به، فمما لا يمكنُ المنازعةُ فيه، لا سيما في قصة تامةٍ يُخبرُ فيها باسمِ القاتلِ والمقتولِ وصورة الحال؛ فإنَّ الرجلَ وأمثاله أفضلُ من أن يقعوا في مثل هذا في كذبٍ ووضع، على أنَّا لم نُثبت قتلَ السابِّ بمجرد هذا الحديث، وإنما ذكرناه للتقوية والتوكيد، وهذا يحصلُ ممن هو دُونَ الواقدي.

* ووجه الدلالة: أن هذه المرأة لم تُقتلْ إلا لمجردِ أذى النبي ﷺ وهَجْوِهِ، وهذا بينٌ في قول ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «هَجَّتِ امرأةٌ مِنْ خَطْمَةِ النبي ﷺ فقال: «من لي بها؟»، فعُلمَ أنه إنما نَدَبَ إليها لأجل هَجْوِها.

وكذلك في الحديث الآخر: «فقال عميرٌ حين بلغه قولها وتحريضُها: اللهم إن لك عليَّ نذراً لئن رددت رسولَ الله ﷺ إلى المدينة لأقتلنها».

وفي الحديثِ لَمَّا قال له قومه: «أنت قتلتها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظِرُون، فوالذي نفسي بيده لو قُلتُم جميعاً ما قالت لضربتكم بسيفي حتى أموت أو أقتلكم»، فهذه مقدمة.

ومقدمةٌ أخرى، وهو أن شعرها ليس فيه تحريضٌ على قتالِ النبي ﷺ حتى يقال: التحريضُ على القتالِ قتال، وإنما فيه تحريضٌ على تركِ دينه وذمِّه ولمن أتبعه، وأقصى غاية ذلك أن لا يدخلَ في الإسلام من لم يكن دَخَلَ، أو أن يخرجَ عنه من دخل فيه، وهذا شأنُ كلِّ ساب.

وكذلك نذبُ النبي ﷺ الناس إلى قتلها.

* الحديث السادس : قصة أبي عَفْكَ اليهودي^(١) .

وقد مرَّ ذكرها .

* الحديث السابع : حديث أنس بن زُئيم الدِّيَلِي .

وهو مشهور عند أهل السير ، ذكره ابنُ إسحاق والواقدي وغيرهما .

□ قال الواقدي^(٢) : حدثني عبدُ اللَّهِ بنُ عمرو بن زُهَيْر ، عن مِحْجَنِ

ابنِ وهب قال : كان آخرُ ما كان بين خِزَاعَةَ وبين كِنَانَةَ أن أنسَ بنَ زُئيمِ الدِّيَلِي هجا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فسمعه غلامٌ من خِزَاعَةَ ، فوقع به ، فشجَّه ، فخرج إلى قومه فأراهم شجَّته ، فثار الشرُّ مع ما كان بينهم وما تطلَّبُ بنو بكرٍ من خِزَاعَةَ من دمائها .

□ قال الواقدي^(٣) : «حدثني حِزَامُ بنُ هشامٍ بنِ خالدِ الكعبيُّ ، عن أبيه

قال : وخرج عمرو بن سالم الخِزَاعِي في أربعين راكباً من خِزَاعَةَ يستنصرون رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ويُخبرونه بالذي أصابهم» - وذكر قصةً فيها إنشاد القصيدة التي أولها :-

اللَّهُمَّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا.....

قال : «فلما فرغ الركبُ قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إن أنسَ بنَ زُئيمِ الدِّيَلِي

(١) انظر «المغازي» للواقدي (١/١٧٤) (سريّة قتل أبي عَفْكَ) ، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/٢٨) (سريّة سالم بن عمير) .

(٢) «المغازي» للواقدي (٢/٧٨٢-٧٨٩) «شأن غزوة الفتح» .

(٣) «المغازي» للواقدي (٢/٧٨٨) .

قد هجاك، فندَر^(١) رسولُ الله ﷺ دمه، فبلغ ذلك أنسَ بنَ زُئيمٍ، فقدمَ معترداً إلى رسولِ الله ﷺ مما بلغه عنه، فقال:

أَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعَدًّا بِأَمْرِهِ بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهَا، وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ
فَمَا حَمَلْتَ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
تَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ
□ وفيها:

تَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ سَكْنٍ^(٢) مِنْ تَهَامٍ وَمَنْجَدٍ
وَنَبِي رَسُولُ اللَّهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَيَّ إِذَا يَدِي
سِوَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ يَا وَيْحَ فِتْنَةٍ أَصِيبُوا بِنَحْسٍ يَوْمَ طَلَقٍ^(٣) وَأَسْعُدِ
□ ويقول فيها:

فَأِنِّي لَا عَرِضًا خَرَقْتُ وَلَا دَمًا هَرَقْتُ فَفَكَّرْتُ عَالِمَ الْحَقِّ وَأَقْصِدُ

□ قال الواقدي^(٤): «أنشدنيها حزام، وبلغت رسول الله ﷺ قصيدته هذه واعتذاره، وكلمه نوفلُ بنُ معاوية الدَّيْلِيُّ^(٥)، فقال: يا رسول الله، أنت أولى الناس بالعفو، ومن منا لم يُعادك ويؤذِك؟ ونحن في جاهلية لا

(١) ندر، أي: أهدر.

(٢) السَّكْنُ: أهل الدار، اسم الجمع ساكن. ينظر: «الصحاح» (٢١٣٦/٥)، «لسان العرب» (٢٠٥٣/٤) (سكن).

(٣) الطلق: اليوم المشرق، يقال: يوم طلق إذا لم يكن فيه حرٌّ ولا بردٌ ولا شيء يؤذي. ينظر: «لسان العرب» (٢٦٩٤/٥) (طلق).

(٤) «المغازي» (٧٨٠/٢).

(٥) من مسلمة الفتح رضي الله عنه.

ندري ما نأخذُ وما ندعُ حتى هدانا الله بك، وأنقذنا بك من الهلك، وقد كذب عليه الركب، وكثروا عندك، فقال: دَعِ الركب عنك؛ فإننا لم نجد بتهامةَ أحدًا من ذي رحمٍ ولا بعيدِ الرحم كان أبرَّ من خُزاعة، فأسكت نوفلُ ابنُ معاوية، فلما سكت قال رسول الله ﷺ: «قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ»، قال نوفل: فذاك أبي وأمي».

□ وقال ابن إسحاق: وقال أنسُ بنُ زَينِمٍ يَعْتَذِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا كَانَ قَدْ قَالَ فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَنْصِرُهُ، وَيَذَكُرُ أَنَّهُمْ قَدْ نَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْشَدَ تِلْكَ الْقَصِيدَةَ، وَفِيهَا:

وَتَعْلَمُ أَنَّ الرِّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلِفُونَ كُلَّ مَوْعِدٍ^(١)

فوجه الدلالة: أن النبي ﷺ، كان قد صالح قريشاً وهدانهم عام الحديبية عشرَ سنين، ودخلت خُزاعةُ في عَقْدِهِ، وكان أكثرهم مسلمين وكانوا عِيَّةً^(٢) نُصِحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، ودخلت بنو بكر في عهدِ قريش؛ فصار هؤلاء كلُّهم معاهدين، وهذا مما تواتر به النقل ولم يختلف فيه أهل العلم.

ثم إن هذا الرجل المعاهد هجا النبي ﷺ على ما قيل عنه، فشجبه بعضُ خُزاعة، ثم أخبروا النبي ﷺ أنه هجاه، يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ إِغْرَاءَهُ بِنَبِيِّ بَكْرٍ،

(١) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٤٢٤).

(٢) العِيَّة: الخاصة وموضع السرِّ. والعرب تكني عن الصدور والقلوب بالعياب، لأنها مستودع السرائر كما أن العيبَ مستودع الشيا. انظر «الصحاح» (٣/٣٢٧) (عيب).

فَنَدَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَمَهُ - أي: أهدره -، وَلَمْ يُنْدِرْ دَمَ غَيْرِهِ، فَلَوْلَا أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ هِجَاءَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَعَاهِدِ مِمَّا يُوجِبُ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ، لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ.

ثم إن النبي ﷺ نَدَرَ دَمَهُ بِذَلِكَ، مع أن هِجَاءَهُ كَانَ حَالِ الْعَهْدِ، وَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ الْمَعَاهِدَ الْهَاجِي يُبَاحُ دَمَهُ.

ثم إنه لَمَّا قَدِمَ أَسْلَمَ فِي شِعْرِهِ، وَلِهَذَا عَدَّوهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَوْلُهُ: «تَعَلَّمْ رَسُولُ اللَّهِ»، «وَنُبِّي رَسُولُ اللَّهِ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَسْلَمَ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ هَذَا وَحْدَهُ إِسْلَامَ مِنْهُ، فَإِنَّ الْوَثْنِيَّ إِذَا قَالَ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» حُكِمَ بِإِسْلَامِهِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ هِجَا النَّبِيِّ ﷺ، وَرَدَّ شَهَادَةَ أَوْلِيَاكُ بِأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ لَهُ، لَمَّا بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنَ الدَّمَاءِ وَالْحَرْبِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا فَعَلَهُ مُبِيحًا لَدَمِهِ لَمَّا احتاج إلى شيءٍ من ذلك.

ثم إنه - بعد إسلامه - واعتذاره، وتكذيب المخبرين، ومدحه لرسول الله ﷺ إنما طَلَبَ الْعَفْوَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ إِهْدَارِ دَمِهِ، وَالْعَفْوُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ جَوَازِ الْعُقُوبَةِ عَلَى الذَّنْبِ، فَعُلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَهُ أَنْ يُعَاقِبَهُ بَعْدَ مَجِيئِهِ مُسْلِمًا مُعْتَذِرًا، وَإِنَّمَا عَفَا عَنْهُ حِلْمًا وَكِرْمًا.

ثم إن في الحديث أن نَوْفَلَ بْنَ مَعَاوِيَةَ هُوَ الَّذِي شَفَعَ لَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ذَكَرَ عَامَّةُ أَهْلِ السِّيَرِ أَنَّ نَوْفَلَ هَذَا هُوَ رَأْسُ الْبَكْرِيِّينَ الَّذِينَ عَدَّوْا عَلَى خُرَازَةَ وَقَتَلُوهُمْ، وَأَعَانَتْهُمْ قَرِيشٌ عَلَى ذَلِكَ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ انْتَقَضَ عَهْدُ قَرِيشٍ وَبَنِي بَكْرٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسْلَمَ قَبْلَ الْفَتْحِ حَتَّى صَارَ يَشْفَعُ فِي الَّذِي هَجَا النَّبِيَّ ﷺ، فَعُلِمَ أَنَّ الْهِجَاءَ أَغْلَظُ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ بِالْقِتَالِ بَحِيثٍ إِذَا نَقَضَ قَوْمُ الْعَهْدِ بِالْقِتَالِ، وَآخَرُونَ هَجَّوْا ثُمَّ أَسْلَمُوا، عَصِمَ دَمُ الَّذِي قَاتَلَ، وَجَازَ

الانتقام من الهاجي، ولهذا قرَنَ هذا الرجلُ خَرْقَ العَرَضِ بسفكِ الدَّمِ، فَعَلِمَ أن كليهما موجبٌ للقتل، وأن خَرْقَ عَرَضِهِ كانَ أعظمَ عندهم من سفكِ دماءِ المسلمين والمعاهدين.

ومما يوضحُ هذا أن النبيَّ لم يُهدِرْ دمَ أحدٍ من بني بكرِ الناقضين للعهد بعينه، وإنما مكَّنَ منهم بني خزاعةَ يومَ الفتحِ أكثرَ النهارِ، وأهدَرَ دمَ هذا بعينه حتى أسلم واعتذر؛ هذا مع أن العهدَ كانَ عهدَ هُدنةٍ ومُوادةٍ، لم يكن عهدَ جزيةٍ وذيمةٍ، والمهادنُ المقيمُ ببلده يُظهرُ ببلده ما شاء من مُنكراتِ الأقوالِ والأفعالِ المتعلقةِ بدينه ودينه، ولا يَتَقَضُّ بذلكَ عهدُهُ حتى يحاربَ؛ فَعَلِمَ أن الهجاءَ من جنسِ الحِرابِ - وأغلظُ منه -، وأن الهاجي لا ذِمَّةَ له.

* الحديث الثامن: قصةُ عبدِالله بن سعد بن أبي سرح:

□ وهي مما اتفق عليها أهل العلم، واستفاضت عندهم استفاضةً يُستغنى بها عن رواية الآحاد، وذلك أثبت وأقوى مما رواه الواحدُ العدلُ، فنذكرها مسندهً مشروحةً ليتبينَ وجهُ الدلالة منها:

□ عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: «لَمَّا كانَ يومُ فتحِ مكة، اختبأ عبدُالله بنُ سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، بائع عبدالله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثاً، كلُّ ذلك يابئ، فبايعه بعد ثلاثٍ، ثم أقبل على أصحابه. فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ، يقومُ إلى هذا حيث رأيته كَفَفْتُ يَدِي عن بيعته فيقتله؟!» فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أو مات إلينا بعينك، قال: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ

أن تكون له خائنه الأعين»^(١).

● ورواه النسائيُّ كذلك بأبسطٍ من هذا عن سعدٍ قال: «لما كان يومُ فتح مكة آمنَ رسولُ الله ﷺ الناسَ إلا أربعةَ نفرٍ وامرأتين، قال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلِّقين بأستار الكعبة»: عكرمةُ بن أبي جهل، وعبدُ الله بن خطَل، ومقيس بن صُبابَة، وعبدُ الله بن سعدِ بن أبي سرح.

□ فأما عبدُ الله بنُ خطَل، فأدركَ وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبة، فاستبقَ إليه سعيدُ بنُ حُرَيْثٍ وعمَّارُ بنُ ياسر، فسبقَ سعيدُ عمَّاراً - وكان أشبَّ الرجلين -، فقتله.

وأما مقيس بن صُبابَة، فأدركه الناسُ في السوق، فقتلوه.

وأما عكرمةُ، فركب البحرَ، فأصابتهُم عاصف، فقال أصحابُ السفينة: أخلصوا، فإنَّ آلهتكم لا تُغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة: واللَّهِ لئن لم يُنجني في البحرِ إلاَّ الإخلاصُ، لا يُنجيني في البرِّ غيرُه، اللّهُمَّ إنَّ لك عليَّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه، أن آتي محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده، فلا جدنَّه عفواً كريماً، فجاء وأسلم.

وأما عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سرح، فإنَّه اختبأ عند عثمان بن عفان،

(١) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الحدود - باب الحكم فيمن ارتد (٤/٥٢٧ ح ٤٣٥٩)، ورواه أيضاً بأطول من هذا: في كتاب الجهاد - باب قتل الأسير ولا يُعرض عليه الإسلام (٣/١٣٣ ح ٢٦٨٣)، والحاكم في «المستدرک» (٣/٤٥)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٤٠) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٢٩٧). الحديث قال عنه الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وصحح إسناده شيخ الإسلام، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/٣٠٠ ح ١٧٢٣). وفي «صحيح سنن أبي داود» (٣/٨٢٣ ح ٣٦٦٣).

فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ . . .»^(١) ثُمَّ ذَكَرَ الْبَاقِي كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

□ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ، فَلَحِقَ بِالْكَفَّارِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَاسْتَجَارَ لَهُ عَثْمَانُ، فَأَجَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(٢).

□ وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَفَرَّتَنِي^(٣)، وَابْنَ الزُّبَيْرِ، وَابْنَ خَطْلٍ، فَأَتَاهُ أَبُو بَرَزَةَ وَهُوَ مَتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَبَقَرَ بَطْنَهُ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ نَذَرَ أَنْ يَرَى ابْنَ أَبِي سَرْحٍ أَنْ يُقْتَلَ، فَجَاءَ عَثْمَانُ - وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ -، فَشَفَعَ لَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَخَذَ الْأَنْصَارِيُّ بَقَائِمِ السَّيْفِ يَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَتَى يَوْمِيُ إِلَيْهِ أَنْ يُقْتَلَ، فَشَفَعَ لَهُ عَثْمَانُ حَتَّى تَرَكَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِيِّ: «هَلَاءَ وَفَيْتَ

(١) صحيح: «سنن النسائي» كتاب تحريم الدم - الحكم في المرتد - (١٠٥/٧)، وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٣/٨٥٢ ح ٣٧٩١)، وفي «الصحيح» (٤/٣٠٠ ح ١٧٢٣).

(٢) صحيح: «سنن أبي داود» كتاب الحدود - باب الحكم فيمن ارتد (٤/١٢٨ ح ٤٣٥٨)، و«المستدرک» للحاكم (٣/٤٥)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٨/١٩٧)، والحديث قال عنه الحاكم: «صحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/٨٢٣ ح ٣٦٦٣).

(٣) فرَّتَنِي: إحدى القيتين اللتين كان ابن خطل يعلمهما الغناء بهجاء النبي ﷺ وأصحابه، ثم أسلمت هذه وتركت، وقُتلت الأخرى. انظر «الإصابة» (٨/١٦٦).

بندرك؟» فقال: يا رسولَ الله، وضعتُ يدي على قائمِ السيفِ أنتظرُ متى توميُّ فأقتله، فقال النبي ﷺ: «الإيماءُ خيانة، ليس لنبِيٍّ أن يُوميَّ»^(١).

● وقال محمدُ بنُ إسحاقَ في روايةِ ابنِ بكيرٍ عنه: قال أبو عبيدة بن محمد بنِ عمَّار بن ياسرٍ وعبدُ الله بنُ أبي بكرٍ بنِ حزمٍ: إن رسولَ الله ﷺ - حينَ دَخَلَ مكةَ، وفرَّقَ جيوشَه - أمرهم أن لا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم، إلا نفرًا قد سمَّاهم رسولُ الله ﷺ، وقال: «اقتلُوهم وإن وجدتموهم تحتَ أستارِ الكعبةِ»، عبدُ الله بنُ خطَل، وعبدُ الله بنُ سعدٍ بنِ أبي سرح، وإنما أمرَ بابنِ أبي سرح؛ لأنَّه كان قد أسلم، فكان يكتبُ لرسولِ الله ﷺ الوحيَ، فرجعَ مشركاً، ولحقَ بمكةَ، فكان يقولُ لهم: إني لأصرفُه كيف شئتُ، إنه ليأمرني أن أكتبَ له الشيءَ فأقولُ له: أو كذا أو كذا؟ فيقول: نعم، وذلك أن رسولَ الله ﷺ كان يقول: «عليمٌ حكيمٌ»، فيقول: أو أكتبَ عزيزَ حكيمٍ؟ فيقول له رسولُ الله ﷺ: «نعم كلاهما سواء»^(٢).

□ قال ابنُ إسحاق: حدثني شُرْحَبِيلُ بنُ سعدٍ أن فيه نزلت: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فلما دخل رسولُ الله ﷺ مكةَ فرَّ إلى عثمان بنِ عفان - وكان أخاه من الرضاعة -، فغيبه عنده حتى اطمأن أهلُ مكةَ، فأتى به رسولُ الله ﷺ، فاستأمنَ له، فصمَّت رسولُ الله ﷺ طويلاً وهو واقفٌ عليه، ثم قال:

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١٤١/٢).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٤٠٩/٢).

«نعم»، فانصرف به، فلماً ولى قال رسول الله ﷺ: «مَا صَمْتُ إِلَّا رَجَاءً أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَقْتُلَهُ»، فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله، ألا أومأت إلي فأقتله؟، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَقْتُلُ بِالْإِشَارَةِ»^(١).

□ وقال ابن إسحاق في رواية إبراهيم بن سعدٍ عنه: «حدثني بعضُ علمائنا أن ابنَ أبي سرحٍ رجعَ إلى قريشٍ فقال: واللَّهِ لو أشاءُ لقلتُ كما يقول محمدٌ، وجئتُ بمثلِ ما يأتي به، إنه ليقولُ الشيءَ وأصرِفُهُ إلى شيءٍ، فيقول: أصبَتَ، ففيه أنزل اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية. فلذلك أمر رسول الله ﷺ بقتله»^(٢).

□ فوجهُ الدلالة أن عبد الله بن سعد بن أبي سرحٍ افتري على النبي ﷺ أنه كان يتمم له الوحي ويكتب له ما يريد، فيوافقُه عليه، وأنه يُصرِّفه حيث شاء، وبغير ما أمره به من الوحي، فيقرُّه على ذلك، وزعم أنه سينزلُ مثل ما أنزل اللهُ، إذ كان قد أوحى إليه - في زعمه - كما أوحى إلى رسول الله ﷺ، وهذا الطعنُ على رسول الله ﷺ وعلى كتابه، والافتراءُ عليه بما يوجبُ الرِّيبَ في نبوتهِ قدرُ زائدٌ على مجردِ الكفر به والردَّةِ في الدين، وهو من أنواعِ السبِّ.

وكذلك كما افتري عليه كاتبٌ آخرٌ مثل هذه الفرية، قصمه الله وعاقبه عقوبةً خارجةً عن العادة، ليتبين لكلِّ أحدٍ افتراؤه؛ إذ كان مثلُ هذا يوجبُ

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٤٠٩/٢)، و«مستدرك الحاكم» (٤٥/٣)، و«تفسير

القرطبي» (٤٠/٧)، و«الدر المنثور».

(٢) «تفسير الطبري» (٢٧٣/٥).

في القلوب المريضة ريباً بأن يقول القائل: «كاتبه أعلم الناس بباطنه وبحقيقته أمره، وقد أخبر عنه بما أخبر».

فمن نصر الله لرسوله أن أظهر فيه آيةً يبين بها أنه مُفترٍ.

□ فروى البخاري في «صحيحه» عن عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس قال: «كان رجل نصرانياً، فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته^(١) الأرض، فقالوا: «هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا فألقوه». . . فحفروا له وأعمقوا^(٢) في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه»^(٣).

□ ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت، عن أنس قال: «كان منّا رجلٌ من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فعرفوه، قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد، فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له، فوآروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فوآروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فوآروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها،

(١) لفظته: بكسر الفاء وفتحها، أي: طرحته ورمته.

(٢) في «صحيح البخاري»: تكررت عملية الحفر منهم ولفظ الأرض له ثلاث مرات.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب المناقب - باب علامة النبوة في الإسلام (٦/٧٢٢ ح

فتركوه منبوذاً»^(١) .

● وعن أنسٍ أن رجلاً كان يكتبُ لرسولِ اللهِ ﷺ، وقد قرأ البقرةَ وآل عمران، وكان الرجلُ إذا قرأ البقرةَ وآل عمرانَ جدَّ فينا، يعني عَظُمَ، فكان النبيُّ ﷺ يُملي عليه: «غفوراً رحيمًا»، فيكتب: «عليماً حكيمًا»، فيقولُ له النبيُّ ﷺ: «اكتب كذا وكذا، اكتب كيف شئتَ»، ويُملي عليه: «عليماً حكيمًا»، فيكتب: «سميعاً بصيراً»، فيقول: «اكتب كيف شئتَ»، فارتدَّ ذلك الرجلُ عن الإسلام، فلحقَ بالمشركين، وقال: أنا أعلمكم بمحمدٍ إن كنتُ لأكتبُ ما شئتُ، فماتَ ذلك الرجلُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْبَلُهُ»، قال أنس: فحدثني أبو طلحةَ أنه أتى الأرضَ التي مات فيها ذلك الرجلُ، فوجده منبوذاً، قال أبو طلحة: ما شأنُ هذا الرجلِ؟ قالوا: قد دَفَنَاهُ مراراً فلم تَقْبَلْهُ الْأَرْضُ»^(٢)، فهذا إسناد صحيح.

فهذا الملعونُ الذي افتَرى على النبيِّ ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كَتَبَ له، قَصَمَهُ اللهُ وَفَضَحَهُ بأن أخرجَه من القبر بعد أن دُفِنَ مراراً، وهذا أمرٌ خارجٌ عن العادة، يدلُّ كلُّ أحدٍ على أن هذا عقوبةٌ لِمَا قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامَّةُ الموتى لا يُصيَّبهم مثلُ هذا، وأن هذا الجُرمَ أعظمُ من

(١) رواه مسلم في «صحيحه» - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤/٢١٤٥ ح ٢٧٨١)، وأحمد في «المسند» (٣/٢٢٢).

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/١٢٠ - ١٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان): كتاب الرقائق - باب قراءة القرآن (٢/٦٢ ح ٧٤١). والهيثم في «موارد الظمان» - كتاب الحدود - باب فيمن ارتد عن الإسلام (ص ٣٦٥ ح ١٥٢١)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص ٥٢ ح ٣٥).

مجرد الارتداد؛ إذ كان عامة المرتدّين يموتون ولا يُصيبهم مثلُ هذا، وأن الله متقمٌ لرسوله ممن طعنَ عليه وسبّه، ومُظهرٌ لدينه ولكذبِ الكاذب؛ إذ لم يُمكنِ الناسَ أن يُقيموا عليه الحد.

ونظيرُ هذا ما حدثناه أعدادٌ من المسلمين العدولِ أهلِ الفقه والخبرة عما جرّبوه مراتٍ متعددةً في حصرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لَمَّا حَصَرَ المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصرُ الحصنَ أو المدينة الشهرَ - أو أكثرَ من الشهر - وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نياسُ منه، حتى إذا تعرّضَ أهلُه لسبِّ رسولِ الله ﷺ والوقية في عرْضِه، تَعَجَّلْنَا فتحه وتيسرَ ولم يكْدُ يتأخّرُ إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكانُ عنوةً، ويكونُ فيهم مَلحمةٌ عظيمةٌ، قالوا: حتى إن كُنَّا لَنتباشرُ بتعجيلِ الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاءِ القلوبِ غيظًا عليهم بما قالوه فيه.

وهكذا حدثني بعضُ أصحابنا الثقاتِ أن المسلمين من أهلِ المغرب حالهم مع النصرانيِّ كذلك، ومن سنّةِ الله أن يُعذّبَ أعداءَه تارةً بعذابٍ من عنده، وتارةً بأيدي عباده المؤمنين^(١).

فكذلك لَمَّا تمكّنَ النبي ﷺ من ابنِ أبي سرحٍ أهدرَ دمه، لَمَّا طعن في النبوةِ وافترى عليه الكذب، مع أنه قد آمنَ جميعَ أهلِ مكة الذين قاتلوه وحاربوه أشدَّ المحاربة، ومع أن السنةَ في المرتد أنه لا يُقتل حتى يستتاب إمّا وجوباً، أو استحباباً.

(١) «الصارم المسلول» (٢/٢٣٤-٢٣٥).

□ ومعروفٌ أن جماعةً ارتدوا على عهدِ النبي ﷺ ثم دُعوا إلى التوبة، وعُرِضت عليهم، حتى تابوا وقُبِلت توبتهم.

□ وفي ذلك دليلٌ على أن جُرمَ الطاعنِ على الرسولِ ﷺ السابُّ له أعظمُ من جُرمِ المرتد.

□ ثم إن إباحةَ النبي ﷺ دمه بعد مجيئه تائباً مسلماً وقوله: «هَلَا قَتَلْتُمُوهُ»، ثم عَفَوْه عنه بعد ذلك، دليلٌ على أن النبي ﷺ كان له أن يقتله وأن يعفو عنه ويعصم دمه، وهو دليلٌ على أن له ﷺ أنه يقتل مَنْ سَبَّهُ وإن تابَ وعادَ إلى الإسلام.

يوضحُ ذلك أشياء:

منها: أنه قد روي عن عكرمة أن ابنَ أبي سرحٍ رَجَعَ إلى الإسلام قبلَ فتح مكة، وكذلك ذكر آخرون أن ابنَ أبي سرحٍ رَجَعَ إلى الإسلام قبلَ فتح مكة إذ نزلَ النبي ﷺ بها، وقد تقدّم عنه أنه قال لعثمانَ قبلَ أن يَقْدَمَ به على النبي ﷺ: «إن جُرمي أعظمُ الجُرم، وقد جئتُ تائباً»، وتوبةُ المرتدِّ إسلامه.

ثم إنّه جاء إلى النبي ﷺ بعد الفتح وهُدوءِ الناسِ وبعدهما تاب، فأراد النبي ﷺ من المسلمين أن يقتلوه حينئذٍ، وتربّصَ زماناً ينتظرُ فيه قتله، ويظنُّ أن بعضهم سيقتله، وهذا أوضح دليلٍ على جوازِ قتله بعد إسلامه.

وكذلك لَمَّا قال له عثمانُ: إنه يفرُّ منك كلِّما رآك، قال: «أَلَمْ أَبَايَعُهُ وَأُؤْمِنْتُهُ؟!» قال: بلى، ولكنه يتذكرُ عظيمَ جُرمه في الإسلام، فقال: «الإسلامُ يجبُ ما قبله».

فبينَ النبي ﷺ أن خوفَ القتلِ سقط بالبيعة والأمان، وأن الإثمَ زال

بالإسلام، فعلم أن السابَّ إذا عاد إلى الإسلام جَبَّ الإسلامُ إثمَ السبِّ، وبقيَ قتله جائزاً حتى يوجد إسقاطُ القتلِ ممن يملكه إن كان ممكناً.

إنَّ غرضنا هنا أن نبيِّنَ أن مجردَ الطعنِ على رسولِ الله ﷺ والوقعةِ فيه يُوجبُ القتلَ في الحال التي لا يُقتلُ فيه لمجردِ الردة، وإذا كان ذلك مُوجباً للقتلِ، استوى فيه المسلمُ والذميُّ؛ لأنَّ كلَّ ما يوجبُ القتلَ - سوى الردَّة - يستوي فيه المسلمُ والذميُّ.

وفي كتمانِ الصحابةِ لابنِ أبي سرحٍ وإحدى القيتينِ دليلٌ على أن النبي ﷺ لم يُوجبِ قتلَهُم، وإنما أباحه مع جوازِ عفوهِ عنهم، وفي ذلك دليلٌ على أنه كان مُخيِّراً بين القتلِ والعفو، وهذا يؤيِّدُ أن القتلَ كان لِحَقِّ النبي ﷺ.

* الحديث التاسع: حديثُ القيتينِ اللتين كانتا تُغنيانِ بهجاءِ النبي ﷺ ومولاةِ بني هاشمٍ، وذلك مشهورٌ مستفيضٌ عند أهلِ السير، أمرُ ﷺ بقتلِ فرتنى.

□ وقال موسى بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري: وأمرهم رسولُ الله ﷺ أن يكفُّوا أيديهم فلا يُقاتلوا أحداً إلاَّ من قاتلهم، وأمر بقتلِ أربعةِ نفرٍ، قال: وأمر بقتلِ قيتينِ لابنِ خطلٍ تُغنيانِ بهجاءِ رسولِ الله ﷺ، ثم قال: وقُتلتِ إحدى القيتينِ وكَمِنَتِ الأخرى حتى استؤمِنَ لها. وكذلك ذكر محمدُ بنُ عائذِ القرشيُّ في «مغازيه».

□ وقال ابنُ إسحاق في روايةِ ابنِ بكيرٍ عنه: قال أبو عبيدة بنُ محمدٍ ابنِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ وعبدُ الله بنُ أبي بكرٍ بنِ حزم: إن رسولَ الله ﷺ حينَ دَخَلَ مكةَ وفرَّقَ جيوشه، أمرهم أن لا يقتلوا أحداً إلاَّ من قاتلهم، إلاَّ نَفراً

قد سماهم رسول الله ﷺ وقال: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ»، ثم قال: «إِنَّمَا أَمْرٌ بِقَتْلِ ابْنِ خَطْلٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقًا، وَبَعَثَ مَعَهُ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ مَعَهُ مَوْلًى لَهُ يَخْدُمُهُ، وَكَانَ مُسْلِمًا، فَنَزَلَ مِنْزَلًا وَأَمَرَ الْمَوْلَى يَذْبَحُ لَهُ تَيْسًا وَيَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا، فَنَامَ وَاسْتَيْقَظَ وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا، فَعَدَا عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ ارْتَدَّ مُشْرِكًا، وَكَانَتْ لَهُ قَيْنَةٌ وَصَاحِبَتُهَا كَانَتَا تُغْنِيَانِ بِهَجَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا مَعَهُ، قَالَ: وَمِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ لَقَتَلَهُ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ، وَسَارَةَ مَوْلَاةً لِبَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ، كَانَتْ مِمَّنْ يُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ^(١).

□ قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمارة بن ياسر أنهم كانوا ستة، فكتم اسم رجلين وأخبرني بأربعة، قال: النسوة قينتا ابن خطل، وسارة مولاة لبني عبدالمطلب، ثم قال: والقيتان كانتا تغنيان بهجائه، وسارة مولاة أبي لهب كانت تؤذيه بلسانها^(٢).

□ وقال الواقدي عن أشياخه: «ونهى رسول الله ﷺ عن القتال، وأمر بقتل ستة نفر وأربع نسوة، ثم عددهم، قال: «وابن خطل، وسارة مولاة عمرو بن هاشم، وقينتين لابن خطل، فرتني وقريبة، ويقال: فرتني وأرنب»^(٣).

ثم قال: «وكان جرهم ابن خطل أنه أسلم وهاجر إلى المدينة، وبعثه رسول الله ﷺ ساعياً، وبعث معه رجلاً من خزاعة، وكان يصنع طعامه

(١) «المغازي» للواقدي (٢/٨٥٩-٨٦٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٤٠٩-٤١٠).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/٤١٠).

(٣) المغازي (٢/٨٢٥).

ويخدمه، فنزل في مجمع، فأمره أن يصنع له طعاماً، ونام نصف النهار، فاستيقظ والخزاعي نائمٌ ولم يصنع له شيئاً فاغتاظ عليه، فضربه فلم يقلع عنه حتى قتله، فلما قتله قال: واللّه ليقتلني محمدٌ به إن جئتُه، فارتدَّ عن الإسلام، وساق ما أخذه من الصدقة وهرب إلى مكة، فقال له أهل مكة: ما ردك إلينا؟ قال: لم أجد ديناً خيراً من دينكم، فأقام على شركه، فكانت له قيتان.. وكانتا فاسقتين، وكان يقول الشعر يهجو رسول الله ﷺ ويأمرهما تُغنيان به، فيدخلُ عليه وعلى قيتيه المشركون فيشربون الخمر، وتُغني القيتان بذلك الهجاء.

وكانت سارة مولاة عمرو بن هاشم مغنية نواحة بمكة، يلقي عليها هجاء النبي ﷺ فتغني به، وكانت قد قدمت على رسول الله ﷺ تطلب أن يصلها، وشكت الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: «مَا كَانَ لَكَ فِي غِنَاكَ وَنِيَاحَتِكَ مَا يَكْفِيكَ؟» فقالت: يا محمد، إن قريشاً منذ قُتل من قُتل منهم بديرٍ تركوا استماع الغناء، فوصلها رسول الله ﷺ، وأقر لها بغيراً طعاماً، فرجعت إلى قريش، وهي على دينها، فأمر بها رسول الله ﷺ يوم الفتح أن تُقتل، فقتلت يومئذٍ.

وأما القيتان، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما، فقتلت إحداهما: أرنب أو قريية، وأما فرتنى، فاستؤمن لها حتى آمنت، وعاشت حتى كُسر ضلع من أضلاعها زمن عثمان رضي الله عنه فماتت، ففضى فيه عثمان رضي الله عنه ثمانية آلاف درهم ديتها، وألفين تغليظاً للجرم^(١).

(١) كتاب «المغازي» للواقدي (٢/٨٥٩-٨٦٠)

وحديث القيتين مما اتَّفَقَ عليه علماء السير، واستفاض نقلُهُ استفاضةً يُستغنى بها عن رواية الواحد، وحديثُ مولاةِ بني هاشم ذكره عامةُ أهل المغازي ومَن له مزيدُ خبرةٍ وإطلاع، وبعضُهُم لم يذكره.

فوجه الدلالة: أَنَّ تَعَمُّدَ قَتْلِ الْمَرْأَةِ لِمَجْرَدِ الْكُفْرِ الْأَصْلِيِّ لَا يَجُوزُ بِالْإِجْمَاعِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتْ بِذَلِكَ السُّنَّةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

إذا تقرر هذا، فنقول: هؤلاء النسوة كنَّ معصوماتٍ بالأنوثة، ثم إن النبي ﷺ أمرَ بِقَتْلِهِنَّ لِمَجْرَدِ كَوْنِهِنَّ كُنَّ يَهْجِيْنَهُ وَهَنَّ فِي دَارِ حَرْبٍ، فَعُلِمَ أَنَّ مَن هَجَاهُ وَسَبَّهُ جَازَ قَتْلَهُ بِكُلِّ حَالٍ.

* الحديث العاشر: ما استدللَّ به بعضهم من قصة ابنِ خطل ففي «الصحيحين» من حديث الزهري عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح، وعلنى رأسه المَغْفَر^(١)، فلما نَزَعَهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: ابْنُ خَطْلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «اقْتُلُوهُ»^(٢).

(١) المَغْفَرُ: بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء: زردٌ ينسج من الدروع على قدر الرأس، وقيل: هو رُفْرُفُ الْبَيْضَةِ، وقيل: هو ما يجعل من فضل دروع الحديد على الرأس مثل القلنسوة. ينظر «النهاية» (٣٧٤/٤) (غفر).

(٢) رواه البخاري في كتاب جزاء الصيد - باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام (٧٠/٤) - ٧١ ح (١٨٤٦)، وفي كتاب الجهاد - باب قتل الأسير وقتل الصَّيْرِ (١٩١/٦ ح ٣٠٤٤)، وفي مواضع أخرى (ح ٤٢٨٦، ٥٨٠٨)؛ ورواه مسلم في كتاب الحج - باب جواز دخول مكة بغير إحرام - (٢/٩٨٩ ح ١٣٥٧)؛ وأبو داود في كتاب الجهاد - باب قتل الأسير - ولا يعرض عليه السلام (٣/١٣٤ ح ٢٦٨٥)؛ والترمذي في كتاب الجهاد - باب ما جاء في المغفر - (٤/١٧٤ ح ١٦٩٣)؛ والنسائي في كتاب الحج - باب دخول مكة بغير إحرام - (٥/٢٠٠ - ٢٠١)؛ وأحمد في «المسند» (٣/١٠٩، ١٦٤، ١٨٦، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٠، ٢٣٣).

وهذا مما استفاض نَقْلُهُ بين أهل العلم واتفقوا عليه : أن رسول الله ﷺ أهدرَ دمَ ابنِ خطلٍ يومَ الفتحِ فيمن أهدره، وأنه قُتل .

□ وعن ابنِ المسيَّبِ أنَّ أبا بركةٍ أتاه وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ، فبَقِرَ بطنُهُ . . . وكذلك رَوَى الواقديُّ عن أبي بركةٍ قال : في نَزَلَتْ هذه الآية ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ [البلد: ١-٢] . أخرجتُ عبد الله بنَ خطلٍ وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ، فضربتُ عنقه بين الركنِ والمقام^(١) .

□ وذكر الواقديُّ أنَّ ابنَ خطلٍ أقبلَ من أعلى مكة مُدَجِّجًا في الحديد . . . ثم خرج حتى انتهى إلى الخندمة^(٢) ، فرأى خيلَ المسلمين ورأى القتالَ، ودَخَلَهُ رعبٌ حتى ما يَسْتَمسِكُ مِنَ الرَّعْدَةِ^(٣) ، حتى انتهى إلى الكعبةِ، فنزلَ عن فرسِهِ، وطَرَحَ سلاحَهُ، فأتى البيتَ، فدخَلَ بين أستاره^(٤) .

وقد تقدم عن أهل المغازي أن جرّمه أن النبي ﷺ استعمله على الصدقة، وأصبحه رجلاً يخدمه، فعَضِبَ على رفيقه لكونه لم يصنع له طعاماً أمره بصنعه، فقتله، فخاف ثمَّ أن يُقتلَ، فارتد واستاق إبلَ الصدقة، وأنه كان يقولُ الشُّعْرَ يهجو به رسولَ الله ﷺ، ويأمرُ جاريته أن تُغْنِيَا به،

(١) كتاب «المغازي» للواقدي (٢/٨٥٩) .

(٢) الخندمة: اسم جبل مكة . ينظر «معجم ما استعجم» (٢/٥١٢) «معجم البلدان» (٢/٣٩٢) .

(٣) الرعدة: النافض يكون من الفزع وغيره، وقد أرعد فارتعد . ينظر «لسان العرب» (٣/١٦٦٩) (رعد) .

(٤) كتاب «المغازي» للواقدي (٢/٨٢٦، ٨٢٧) .

فهذا له ثلاثُ جرائمٍ مبيحةٌ للدم: قتلُ النفس، والردّة، والهجاء.

* الحديث الحادي عشر:

أمرُ النبي ﷺ بقتلِ جماعةٍ لأجلِ سبِّه، وقتلِ جماعةٍ لأجلِ ذلك، مع كفه وإمساكه عمّن هو بمنزلتهم في كونه كافرًا حربياً، فمن ذلك ما قدمناه عن سعيدِ بنِ المسيّب أن النبي ﷺ أمر يومَ الفتح بقتلِ ابنِ الزبَعْرَى.

وسعيدُ بنُ المسيّب هو الغايةُ في جودةِ المراسيل، ولا يضرُّه أن لا يذكره بعضُ أهلِ المغازي، فإنَّهم مختلفون في عددٍ من استثنى من الأمان، وكلُّ أخبر بما علم، ومن أثبت الشيء وذكره حجةٌ على من لم يثبت.

□ وقد ذكر ابنُ إسحاق قال: «فلما قدّم رسولُ الله ﷺ إلى المدينة منصرفاً عن الطائف، كتب بُجَيْرُ بنُ زهيرِ بنِ أبي سلمى إلى أخيه كعبِ بنِ زهير يخبره أن رسولَ الله ﷺ قد قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوهم ويؤذيه، وأنَّ من بقي من شعراءِ قريشِ عبدالله بنِ الزبَعْرَى وهُبيرة بنِ أبي وهب قد هربوا في كلِّ وجه؛ ففي هذا بيانٌ أن النبي ﷺ أمر بقتل من كان يهجوهم ويؤذيه بمكة من الشعراء مثل ابنِ الزبَعْرَى وغيره».

ومما لا خفاءَ به أن ابنِ الزبَعْرَى إنما ذنبه أنه كان شديدَ العداوة لرسولِ الله ﷺ بلسانه؛ فإنَّه كان من أشعرِ الناس، وكان يُهاجي شعراءَ الإسلام مثلَ حسانَ وكعبِ بنِ مالك، فأما ما سوى ذلك من الذنوب قد شاركه فيه وأربى عليه عددٌ كثيرٌ من قريش.

ثم إن ابنِ الزبَعْرَى فرَّ إلى نجران، ثم قدم على النبي ﷺ مسلماً، وله أشعارٌ حسنةٌ في التوبة والاعتذار، فأهدرَ دمه للِسبِّ، مع أمانه لجميعِ أهل

مكة إلا مَنْ كان له جُرمٌ مثلُ جرمه ونحو ذلك .

ومن ذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، قصّته في هجائه للنبي ﷺ وفي إعراض النبي ﷺ عنه لَمَّا جاءه مسلماً مشهوراً ومستفيضةً .

□ فوجه الدلالة: أنه ندر دم أبي سفيان بن الحارث دون غيره من صناديد المشركين الذين كانوا أشدَّ تأثيراً في الجهاد باليد والمال، وهو قادمٌ إلى مكة لا يريد أن يَسْفِكَ دماءَ أهلها، بل يَسْتَعِظُفُهُمْ على الإسلام، ولم يكن لذلك سببٌ يختصُّ بأبي سفيان إلاَّ الهجاء، ثمَّ جاء مسلماً، وهو يُعْرِضُ عنه هذا الإعراض، وكان من شأنه أن يتألَّفَ الأباعدَ على الإسلام، فكيف بعشيرته الأقربين؟ كلُّ ذلك بسبب هتكه عرضه كما هو مفسَّرٌ في الحديث .

● وقد عَفَى عنه النبي ﷺ لما قال: «واللَّهِ لَيَقْبَلَنَّ مِنِّي، أَوْ لَأُخَذَنَّ بِيَدِ ابْنِي هَذَا فَلَأُذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى أَهْلِكَ عَطْشًا وَجُوعًا، وَأَنْتَ أَحْلَمُ النَّاسِ وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَعَ رَحْمِي بِكَ»، فرقَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ .

* قِصَّةُ الْحَوِيرِثِ بْنِ نُقَيْدٍ :

ومن ذلك أنه أمر يومَ الفتح بقتل الحويرث بن نُقَيْدٍ، وهو معروف عند أهل السَّيْرِ، قال موسى بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري - وهي من أصحِّ المغازي؛ كان مالك يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتُبَ الْمَغَازِي فَعَلِيهِ بِمَغَازِي الرَّجُلِ الصَّالِحِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ» - قال: وأمرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يكفُّوا أيديهم، فلا يُقاتِلُوا أَحَدًا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، مِنْهُمْ: الْحَوِيرِثُ ابْنُ نُقَيْدٍ^(١) .

(١) «مغازي الواقدي» (٢/٨٢٥)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/١٣٦)، و«تاريخ

□ وقال سعيدُ بنُ يحيى الأموي في «مغازيه»: حدثني أبي، قال: وقال ابنُ إسحاق: «وكان رسولُ الله ﷺ عهداً إلى المسلمين في قتلِ نفرٍ ونسوةٍ، وقال: «إِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاقْتُلُوهُمْ»، وسمَّاهم بأسمائهم ستة، وهم: عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سرح، وعبدُ الله بنُ خطل، والحويرثُ بنُ نُقيد، ومقيسُ بنُ صَبابة، ورجلٌ من بني تيم بنِ غالب».

□ قال ابنُ إسحاق: «وحدثني أبو عبيدة بنُ محمد بنِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ أنهم كانوا ستةً، فكتم اسمَ رجلين - وأخبرني بأربعة -، وزعم أن عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ أحدهم»^(١).

قال: وأما الحويرثُ بنُ نُقيد، فقتله عليُّ بنُ أبي طالب، وكذلك ذَكَرَ ابنُ إسحاق في روايةِ ابنِ بكيرٍ وغيره عنه من النفرِ الذين استثناهم النبي ﷺ وقال: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ»: الحويرثُ بنُ نُقيد، وكان ممن يؤذي رسولَ الله ﷺ^(٢).

□ قال الواقديُّ عن أشياخه: إن النبي ﷺ نهى عن القتال، وأمر بقتلِ ستةِ نفرٍ وأربعِ نسوةٍ: عكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وهَبَّارِ^(٣) بنِ الأسود، وابنِ

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٤٠٩ - ٤١١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) هَبَّارِ بنِ الأسود بنِ المطلب بنِ أسد بنِ عبد العزَّى، من قريش، شاعر من الصحابة، وكان له قدر في الجاهلية.

وهو جد الهباريين ملوك ثغر السند، توارثوها إلى أن انتزعها منهم محمود بن سبكتكين (صاحب غزنة)، وكانت قاعدتهم في السند «المنصورة»، وكان هبار في الجاهلية سبباً. هجا النبي ﷺ قبل إسلامه، وله معه خبر طويل ذكره ابن حجر، وكان إسلامه بعد الفتح بالجزرانة. توفي بعد سنة خمس عشرة. ينظر: «أسد الغابة» (٥/٣٨٤)، «الإصابة» (٦/٢٧٩)، «الأعلام» (٨/٧٠).

أبي سرح، ومقيس بن صبابة، والحويرث بن نقيد، وابنِ خطل^(١). قال: وأما الحويرث بن نقيد، فإنه كان يؤذي النبي ﷺ، فأهدرَ دمه، فبينا هو في منزله يومَ الفتح قد أُغلق بابُه عليه، وأقبل عليُّ ﷺ يسأله عنه، فقيل: هو في البادية، فأخبر الحويرثُ أنه يُطلب، وتنحى عليُّ عن بابِه، فخرج الحويرثُ يريدُ أن يهربَ من بيتِ إلى بيتِ آخر، فتلقاه عليُّ فضربَ عنقه^(٢).

ومثلُ هذا مما يُشتهرُ عند هؤلاء مثل الزهري وابنِ عقبة وابنِ إسحاق والواقدي والأُموي وغيرهم، أكثرُ ما فيه أنه مرسل، والمرسلُ إذا رويَ من جهاتٍ مختلفةٍ - لا سيما ممن له عنايةٌ بهذا الأمر وتتبُّعٌ له - كان كالمسند، بل بعضُ ما يُشتهرُ عند أهل المغازي ويستفيضُ أقوى مما يروى بالإسناد الواحد، ولا يوهنه أنه لم يذكر في الحديث المأثور عن سعدٍ وعمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدِّه؛ لأنَّ المثبتَ مُقدِّمَ عليِّ النافي، ومن أخبر أنه أمرَ بقتله، فمعه زيادةٌ علم، ولعلَّ النبي ﷺ لم يأمرَ بقتله، ثم أمرَ بقتله، وذلك أنه يمكنُ أن النبي ﷺ نهى أصحابه ألا يُقاتلوا إلاَّ من قاتلهم إلاَّ النفر الأربعة، ثم أمرهم أن يقتلوا هذا وغيره.

ومجردُ نهيه عن القتال لا يوجبُ عصمةَ المكفوفِ عنهم، لكنه بعد ذلك آمنهم الأمانَ العاصمَ للدم، وهذا الرجلُ قد أمرَ النبي ﷺ بقتله لمجردِ أذاه له، مع أنه قد آمنَ أهلَ البلدِ الذين قاتلوه وأصحابه ففعلوا بهم الأفاعيل.

(١) ينظر: كتاب «المغازي» للواقدي (٢/٨٢٥).

(٢) «المغازي» (٢/٨٥٧).

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا قَفَلَ مِنْ بَدْرٍ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ قَتَلَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْ أُسَارَى بَدْرٍ غَيْرَهُمَا، وَقَصَّتَهُمَا مَعْرُوفَةٌ.

□ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَكَانَ فِي الْأَسْرَى عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّفْرَاءِ^(١) قَتَلَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَمَا خَبِرْتُ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ بِعِرْقِ الظُّبْيَةِ^(٢) قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، قَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ^(٣) .

فَالسَّبَبُ الَّذِي أَوْجَبَ قَتْلَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَسْرَى: أَذَاهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ؛ فَإِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ مَعْرُوفَةٌ^(٤) .

(١) الصَّفْرَاءُ: وَادٍ كَثِيرِ النَّخْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَدْرٍ مَرِحَلَةٌ.

(٢) عِرْقِ الظُّبْيَةِ: هُوَ مِنَ الرَّوْحَاءِ عَلَى مِيلَيْنِ مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ.

(٣) «السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ» لِابْنِ هِشَامٍ (١/٦٤٤)، وَ«الْمَغَازِي» (١/١١٤، ١٣٨، ١٤٩).

(٤) فَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨٢/١٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ:

«أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي النَّضْرِ ثَمَانِي آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَوْلُهُ: ﴿إِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، وَكُلُّ مَا ذَكَرَ فِي الْأَسَاطِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ أَهْدَى. وَمِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ

فِي النَّضْرِ بِنِ الْحَارِثِ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ

يَفْقَهُوهَ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]. يَنْظُرُ: «أَسْبَابُ النَّزُولِ» لِلْوَاَحِدِيِّ

(ص ١٧٥). وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا

إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]. يَنْظُرُ «الْبَابُ الْمَنْقُولُ» لِلْسِّيُوطِيِّ (ص ١١٠)

وَ«تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ» (٩/٢٣١). وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ

الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمِّطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]. قَالَ

الْوَاَحِدِيُّ (ص ١٩٢): «نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بِنِ الْحَارِثِ». يَنْظُرُ: «تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ» =

□ قال الواقدي: كان النضرُ بنُ الحارثِ أَسْرَهُ المِقْدَادُ بنِ الأَسودِ، فلمَّا خرج رسولُ اللهِ ﷺ من بدرٍ فكان بالأثيل^(١) عَرِضَ عليه الأَسْرَى، فنظر إلى النضرِ بنِ الحارثِ فأبدَّهُ البصرَ^(٢)، فقال لرجلٍ إلى جنبه: محمدٌ واللهِ قاتلي، لقد نظر إليَّ بعينين فيهما الموت، فقال الذي إلى جنبه: «واللهِ ما هذا منك إلا رعب»، فقال النضرُ لمصعبِ بنِ عميرٍ: يا مصعبُ، أنت أقربُ من هاهنا بي رحماً، كلَّمُ صاحبك أن يجعلني كرجلٍ من أصحابي، هو واللهِ قاتلي إن لم تفعل، قال مصعبُ: إنك كنت تقولُ في كتابِ اللهِ كذا وكذا، وتقول في نبيِّه كذا وكذا، قال: يا مصعبُ، يجعلني كأحدِ أصحابي، إن قُتلوا قُتلت، وإن منَّ عليهم منَّ عليَّ، قال مصعبُ: إنك كنت تُعذِّبُ أصحابه وذكر الحديث..، إلى أن قال: فقتله عليُّ بنُ أبي طالبٍ صبراً بالسيف^(٣).

□ وقد أهدرَ رسولُ اللهِ ﷺ دَمَ كعبِ بنِ زهيرِ بنِ أبي سلمى لهجائه إياه، ثم قدم على رسولِ اللهِ ﷺ تائباً وأنشده قصيدته المشهورة «بانت سعاد» وفيها:

أُنْبِتُ أَنْ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
مَهَلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ قُرْآنٍ فِيهِ مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ أُذْنِبُ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الأَقَاوِيلُ

= (٢٣٢/٩). ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَهَا فِيهَا تَمْلِي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]. ينظر: «تفسير ابن جرير» (١٨٢/١٨).

(١) الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر والصفراء. انظر «معجم البلدان» (٩٣/١).

(٢) أبده البصر أي: أعطاه بدته من النظر، أي: حظَّه. «النهاية» (١٠٥/١) (بد).

(٣) «المغازي» للواقدي (١٠٦/١، ١٠٧).

ومن ذلك: أن أصحابه كانوا إذا سمعوا من يسبه ويؤذيه ﷺ قتلوه، وإن كان قريباً، فيقرُّهم على ذلك ويرضاه، وربما سمى من فعل ذلك «ناصراً لله ورسوله».

فهذه الأحاديث كلها تدلُّ على أن من كان يسبُّ النبي ﷺ ويؤذيه من الكفار، فإنه كان يقصد قتلَه، ويحضُّ عليه لأجل ذلك، وكذلك أصحابه بأمره يفعلون ذلك، مع كفه عن غيره ممن هو على مثل حاله في أنه كافرٌ غير معاهد، بل مع أمانه لأولئك، أو إحسانه إليهم من غير عهدٍ بينه وبينهم، ثم من هؤلاء من قُتل، ومنهم من جاء مسلماً تائباً فعصم دمه.

* سُنَّةُ اللَّهِ فِي مَنْ لَا يَقْدِرُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ :

وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنْ مَنْ لَمْ يُمَكِّنِ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُعَذِّبُوهُ مِنَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَنْتَقِمُ مِنْهُ لِرَسُولِهِ وَيَكْفِيهِ إِيَّاهُ، كَمَا قَدَّمْنَا بَعْضَ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ الْكَاتِبِ الْمُفْتَرِي، وَكَمَا قَالَ سَبَّحَانَهُ: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿[الحجر: ٩٤-٩٥].

والقصةُ في إهلاكِ اللَّهِ واحداً واحداً من هؤلاء المستهزئين معروفة، قد ذكرها أهلُ السِّيرِ والتفسير، وهم - على ما قيل - نفرٌ من رؤوس قريش: منهم الوليدُ بن المغيرة، والعاصُ بن وائل، والأسودانُ بنُ المطلب وابنُ عبد يغوث، والحارثُ بن قيس.

وقد كتَبَ النبي ﷺ إلى كِسْرَى وقيصر، وكلاهما لم يُسلم، لكنَّ قيصرَ أكرمَ كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأكرمَ رسولَه، فَثَبَّتَ مُلْكُه، فيقال: إن المُلْكَ باقٍ في ذريته إلى اليوم، وكِسْرَى مَزَّقَ كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ،

واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزق ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك، وهذا - والله أعلم - تحقيق قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

فكلُّ من سنَّاهُ وأبغضَه وعاداه، فإنَّ الله تعالى يقطعُ دابره، ويمحقُ عينَه وأثره، وقد قيل: إنها نزلت في العاصِ بنِ وائل، أو في عقبة بنِ أبي مُعيط، أو في كعب بن الأشرف، وقد رأيتَ صنيعَ الله بهم^(١).
ومن الكلام السائر: «لحومُ العلماء مسمومة».. فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام.

● وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمَحَارَبَةِ»^(٢).

فكيف بمن عادى الأنبياء؟ ومن حارب الله حارب، وإذا استقرت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أمهم إنما أهلكوا حين آذوا الأنبياء وقابلوهم بقبيح القول أو العمل، وهكذا بنو إسرائيل إنما ضربت عليهم الذلَّة، وباؤوا بغضب من الله، ولم يكن لهم نصير لقتلهم الأنبياء بغير حق مضموماً إلى كفرهم، كما ذكر الله ذلك في كتابه، ولعلك لا تجد أحداً آذى نبياً من الأنبياء، ثم لم يتب إلاً ولا بد أن يُصيبه الله بقارعة، وقد ذكرنا ما جرَّبه المسلمون من تعجيل الانتقام من الكفار إذا تعرَّضوا لسبِّ

(١) انظر «تفسير الطبري» (٣٠/٣٢٩)، و«تفسير ابن كثير» (٤/٥٥٩).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الرقاق - باب التواضع (١١/٣٤٨ ح ٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه عبارة: «فقد آذنته بالحرب»، وقد انفرد البخاري بإخراجه في «صحيحه».

رسول الله ﷺ، وبلغنا مثل ذلك في وقائع متعددة، وهذا باب واسع لا يحاط به، ولم نقصد قصده هنا، وإنما قصدنا بيان الحكم الشرعي.

● وكان سبحانه يحميه ويصرف عنه أذى الناس وشتمهم بكل طريق، حتى في اللفظ؛ ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قَرِيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟ يَشْتُمُونَ مُذْمَمًا وَيَلْعَنُونَ مُذْمَمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ»^(١).

فزه الله اسمه ونعته عن الأذى، وصرف ذلك إلى من هو مذمم، وإن كان المؤذي إنما قصد عينه.

* الحديث الثاني عشر:

● روى النسائي عن أبي برزة قال: أتى رسول الله ﷺ بمالٍ فقسمه، فأعطى من عن يمينه ومن عن شماله، ولم يعط من وراءه شيئاً، فقام رجل من ورائه فقال: يا محمد، ما عدلت في القسمة - رجل أسود مطموم الشعر، عليه ثوبان أبيضان -، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وقال:

(١) رواه البخاري: في كتاب «المناقب» - باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (٦/٦٤١ ح ٣٥٣٣) وفيه لفظ: «ألا تعجبون»، ورواه الإمام أحمد: في «المسند» (٢/٢٤٤، ٣٤٠، ٣٦٩) باللفظين، والنسائي: في كتاب الطلاق - باب الإبانة والإفصاح بالكلمة الملفوظ بها (٦/١٥٩) بلفظ: «انظروا»، والبيهقي: في «السنن الكبرى» (٨/٢٥٢). وهذا الحديث لم أجده في «صحيح مسلم»، ويؤيد ذلك ما نص عليه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/٧٣٥) في خاتمة المناقب النبوية من كتاب المناقب، حيث ذكر بأن مسلماً وافق البخاري على تخريج أحاديث المناقب النبوية سوى ثمانية وعشرين حديثاً، وذكر منها هذا الحديث. وصرح بذلك أيضاً العلامة أحمد محمد شاكر في شرحه «للمسند» (١٣/٥٠ ح ٧٣٢٧) فقال: «ولم يخرج مسلم».

«والله لا تجدون بعدي رجلاً هو أعدل مني»، ثم قال: «يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق^(١) لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شرُّ الخلق والخليقة»^(٢).

□ فهذا دليلٌ على أن النبي ﷺ أمر بقتل طائفة هذا الرجل العائب عليه، وأخبر أن في قتلهم أجراً لمن قتلهم وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وذكر أنهم شرُّ الخلق والخليقة.

□ وفيما رواه الترمذي وغيره عن أبي أمامة أنه قال: «هم شرُّ قتلى تحت أديم السماء، خيرٌ قتلى من قتلوه».

* وذكر أنه سمع النبي ﷺ يقول ذلك مراتٍ متعددة، وتلا فيهم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ^(٣).

(١) أي: كانت طريقة الخوارج: حلق جميع الرأس، وكان السلف يوفرون رؤوسهم لا يحلقونها، كما في «الفتح» (٨/٦٨ ح ٤٣٥١).

(٢) رواه النسائي: في كتاب تحريم الدم - من شهر سيفه، ثم وضعه في الناس (٧/١١٩ - ١٢١)، وأحمد: في «المسند» (٤/٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذي: في كتاب «تفسير القرآن» - باب ومن سورة آل عمران (٥/٢١٠ ح ٣٠٠٠)، وابن ماجه: في المقدمة - باب في ذكر الخوارج (١/٦٢ ح ١٧٦)، وأحمد: في «المسند» (٥/٢٥٠، ٢٥٦، ٢٦٩)، وعبدالله بن أحمد بن حنبل: في كتاب «السنن» (٢/٦٤٣ ح ١٥٤٢)، والحاكم: في «المستدرک» (٢/١٤٩)، والبيهقي: في «السنن الكبرى» (٨/١٨٨). الحديث: حسَّنه الترمذي، وقال الحاكم: «صحيح على» =

فَإِنَّ ثَبَّتَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ كَانَ مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي لَمَزَهُ أَيْنَمَا لُقُوا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ شَرُّ الْخَلِيقَةِ، وَثَبَّتَ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ مَعْنَى حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ فِي اسْتِحْقَاقِ أَصْلِهِمْ لِلْقَتْلِ.

* وَلَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حُكْمِ الْخَوَارِجِ:

فَمِمَّنْ قَالَ بِتَكْفِيرِهِمْ: الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَتَقِيُّ الدِّينِ السَّبْكِى وَالطَّبْرِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ وَالْقَاضِي عِيَاضٌ...

وَمِمَّنْ قَالَ بِتَفْسِيحِهِمْ: ذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَصُولِ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ إِلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ فُسَّاقٌ، وَأَنَّ حُكْمَ الْإِسْلَامِ يَجْرِي عَلَيْهِمْ لِتَلْفِظِهِمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَمَوَاطَبَتِهِمْ عَلَى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ مَعَ ضَلَالَتِهِمْ فَرَقَةٌ مِنْ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّهُمْ لَا يُكْفَرُونَ مَا دَامُوا مَتَمَسِّكِينَ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ. وَقَالَ ابْنُ بَطَالٍ: ذَهَبَ جَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ غَيْرُ خَارِجِينَ عَنِ جَمَلَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ تَوَقَّفَ فِي تَكْفِيرِهِمْ: وَهَمُّ الْمُتَكَلِّمُونَ، وَكَادَتْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ أَشَدَّ إِشْكَالًا عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ غَيْرِهَا، وَمِنْهُمْ: الْإِمَامُ أَبُو الْمُعَالِيِّ وَقَبْلَهُ الْقَاضِي الْبَاقِلَانِيُّ، وَكَذَا الْغَزَالِيُّ. وَلِلتَّفَصِيلِ فِي أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَأَدْلَةٍ كُلِّ فَرِيقٍ يَنْظُرُ: «فَتْحُ الْبَارِيِّ» الْمَطْبُوعُ مَعَ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٣١٣/١٢) فِي آخِرِ شَرْحِ الْحَدِيثَيْنِ رَقْمَ (٦٩٣٣، ٦٩٣٤)، مِنْ كِتَابِ

= شَرَطُ الشَّيْخِينَ، وَوَافِقُهُ الذَّهَبِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٣/٣٢٢-٢٣٩٨).

«استتابة المرتدين» - باب من ترك قتال الخوارج .

* إجماع الصحابة على كفر سابّ الرسول ﷺ :

وأما إجماع الصحابة رضي الله عنهم ، فلأنّ ذلك نُقلَ عنهم في قضايا متعدّدة ينتشرُ مثلها ويستفيض ، ولم يُنكرها أحدٌ منهم ؛ فصارت إجماعاً ، واعلم أنه لا يمكن ادّعاء إجماع الصحابة على مسألة فرعية بأبلغ من هذا الطريق .

□ فمن ذلك ما ذكره سيفُ بنِ عمر التميمي^(١) في كتاب «الردة والفتوح» عن شيوخه ، قال : ورفع إلى المهاجر - يعني : المهاجر بن أبي أمية ، وكان أميراً على اليمامة ونواحيها - امرأتان مغنيتان غنّت إحداهما بشتم النبي ﷺ ، فقطع يدها ، ونزع ثنيتها ، وغنّت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ، ونزع ثنيتها ، فكتب أبو بكر : «بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنّت وزمّرت بشتم النبي ﷺ ، فلولا ما قد سبقني فيها لأمرتك بقتلها ؛ لأنّ حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ؛ فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتدٌ ، أو معاهدٌ فهو محاربٌ غادر» .

□ وكتب إليه أبو بكر في التي تغنّت بهجاء المسلمين : «أما بعد ، فإنه بلغني أنك قطعت يد امرأة في أن تغنّت بهجاء المسلمين ونزعت ثنيتها ، فإن كانت ممن تدعي الإسلام فأدب وتقدمة دون المثلة ، وإن كانت ذميمة فلعمري لَمَا صَفَحَتْ عنه من الشرك أعظم ، ولو كنتُ تقدّمتُ إليك في مثل هذا لبلغتُ مكروهك ، فأقبل الدّعة ، وإياك والمثلة في الناس ؛ فإنّها مآثم ومنفرة إلا في قصاص» .

(١) ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ .

□ وقد ذكر هذه القصة غير سيف^(١) ، وهذا يوافق ما تقدم عنه أن من شتم النبي ﷺ كان له أن يقتله ، وليس ذلك لأحدٍ بعده ، وهو صريحٌ في وجوب قتل من سبَّ النبي ﷺ من مسلمٍ ومعاهدٍ - وإن كان امرأة - ، وأنه يُقتل بدون استتابة ، بخلاف من سبَّ الناس ، وأن قتله حدٌّ للأنبياء كما أن جلدَ من سبَّ غيرهم حدٌّ له ، وإنما لم يأمر أبو بكر بقتل تلك المرأة ؛ لأنَّ المهاجر سبق منه فيها حدٌّ باجتهاده ، فكَّرَهُ أبو بكر أن يجمعَ عليها حدَّين ، مع أنه لعلَّها أسلمت ، أو تابت فقبل المهاجر توبتها قبل كتاب أبي بكر ، وهو محلُّ اجتهادٍ سبق منه فيه حكمٌ فلم يُغيره أبو بكر ؛ لأنَّ الاجتهاد لا يُنقضُ بالاجتهاد ، وكلامه يدلُّ على أنه إنما منعه من قتلها ما سبق من المهاجر .

□ وروى حربٌ في «مسائله» عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهدٍ قال : «أُتِيَ عُمَرُ بِرَجُلٍ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فقتله ، ثم قال عمرُ : مَنْ سَبَّ اللَّهَ ، أَوْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَاقْتُلُوهُ» .

□ قال ليثٌ : وحدثني مجاهدٌ عن ابن عباس قال : «أَيُّمَا مُسْلِمٍ سَبَّ اللَّهَ ، أَوْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَقَدْ كَذَّبَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ رِدَّةٌ ، يُسْتَتَابُ ، فَإِنْ رَجَعَ وَالْأَقْتُلَ ، وَأَيُّمَا مُعَاهِدٍ عَانَدَ فَسَبَّ اللَّهَ ، أَوْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، أَوْ جَهَرَ بِهِ ، فَقَدْ نَقَضَ الْعَهْدَ فَاقْتُلُوهُ» .

□ وعن أبي مشجعة بن ربعي قال : «لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الشَّامَ قَامَ قُسْطَنْطِينُ بِطَرِيقِ الشَّامِ ، وَذَكَرَ مُعَاهِدَةَ عُمَرَ لَهُ وَشُرُوطَهُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : اكْتُبْ بِذَلِكَ كِتَابًا ، قَالَ عُمَرُ : نَعَمْ ، فَبَيْنَا هُوَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ إِذْ ذَكَرَ عُمَرَ ،

(١) «تاريخ الطبري» (١/٣٤١) ، و«تاريخ الخلفاء» (ص ٩٧) .

فقال: إني أستثني عليك مَعْرَةَ الجيش مرتين، قال: لك ثُنْيَاك^(١) وقَبَّحَ اللهُ من أقالك^(٢)، فلما فرغ عمرٌ من الكتاب قال له: يا أميرَ المؤمنين، فُؤم في الناس فأخبرهم الذي جعلتَ لي، وفرضتَ عليّ؛ ليتناهوا عن ظُلْمِي، قال عمرٌ: نعم، فقام في الناس، فحمدَ اللهُ وأثنى عليه، فقال: الحمدُ لله أحمدهُ وأستعينه، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضِلل فلا هاديَ له، فقال النَبْطِيُّ: إن الله لا يُضِلُّ أحداً، فقال عمرٌ: ما يقول؟ قالوا: لا شيء، وعاد النبطيُّ لمقاتته، فقال: أخبرني ما يقول، قال: يزعمُ أن الله لا يُضِلُّ أحداً، قال عمرٌ: إنا لم نُعْطِكَ الذي أعطيناك لتدخلَ علينا في ديننا، والذي نفسي بيده لئن عُدتَ لأضربنَّ الذي فيه عينك، وأعاد عمرٌ، ولم يعدِ النبطيُّ، فلما فرغ عمرٌ أخذ النبطيُّ الكتابَ، رواه حرب^(٣).

فهذا عمرٌ رضي الله عنه بمحضِرٍ من المهاجرين والأنصار يقول لمن عاهده: «إنا لم نُعْطِكَ العهدَ على أن تدخلَ علينا في ديننا»، وحلَفَ لئن عاد ليضربنَّ عنقه؛ فعلمَ بذلك إجماعُ الصحابةِ على أن أهلَ العهدِ ليس لهم أن يُظهروا الاعتراضَ علينا في ديننا، وأن ذلك منهم مُبيحٌ لدمائهم.

وإنَّ من أعظمِ الاعتراضِ سَبَّ نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ظاهرٌ لا خفاءَ به؛ لأنَّ إظهارَ التكذيبِ بالقدرِ من إظهارِ شتمِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنما لم يَقْتُلْهُ عمرٌ؛ لأنَّه لم يكن قد تقررَ عنده أن هذا الكلامَ طَعْنٌ في

(١) لك ثُنْيَاك، أي: لك ما استثنت. والثُنْيَا: هي أن يُسْتَثْنَى في العقد شيء. ينظر: «النهاية» (٢٢٤/١) (ثنا).

(٢) أقالك، أي: فسَخَ عهدك ونقضه. ينظر: «النهاية» (١٣٤/٤) (قيل).

(٣) ورواه المعافى بن زكريا الجريفي في كتابه «الجلس الصالح» (٣٠٦/٣).

ديننا؛ لجواز أن يكون اعتقد أن عمر قال ذلك من عنده، فلما تقدم إليه عمرُ وبيّن له أن هذا ديننا قال له: «لئن عدت لأقتلنك».

ومن ذلك ما استدلل به الإمام أحمد، ورواه عن هُشيم: ثنا حُصين، عمّن حدّثه، عن ابنِ عمر قال: «مرّ به راهبٌ، فقيل له: هذا يسبُّ النبي ﷺ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: لو سمعته لقتلته، إنا لم نُعطيهمُ الدِّمَّةَ على أن يسبوا نبينا ﷺ» (١).

ورواه أيضاً من حديثِ الثوريِّ، عن حُصين، عن شيخ أن ابن عمر رضي الله عنهما أصلت (٢) على راهبٍ سبَّ النبي ﷺ بالسيف، وقال: «إنا لم نُصالحهم على سبِّ النبي ﷺ» (٣).

* حُكْمُ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ وَجُوبُ قِتْلِهِ:

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المبارك «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»: «هذا مذهبُ عامةِ أهل العلم. قال ابنُ المُنذِر: «أجمع عوامُ أهل العلم على أن حدَّ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ القتل، وممن قاله مالكُ والليثُ وأحمدُ وإسحاقُ، وهو مذهبُ الشافعي».

(١) انظر «أحكام أهل الملل» لأبي بكر الخلال: كتاب الحدود - باب فيمن شتم النبي ﷺ (ق/١٠٣/ب). وعزاه ابن حجر في «المطالب العلية» (٢/١٧٥ ح ١٩٨٦) إلى «مسند مُسَدَّد» وفي حاشيته: قال البوصيري: رواه مسدد بسند فيه راوٍ لم يُسمَّ، والحارث في مسنده بسند رواه ثقات.

(٢) أصلت السيف: إذا جرّده من غمده. «النهاية» (٣/٤٥) (صلت).

(٣) «أحكام أهل الملل» (ق/١٠٣/ب - ق/١٠٤/أ)، وفيه بلفظ: «معلت على راهب» مهملة بدون نقط. وهو تحريف.

□ قال: «وحكى عن النعمان^(١): لا يُقتل - يعني: الذمّيّ -، ما هو عليه من الشركِ أعظمُ»^(٢).

وقد حكى أبو بكر الفارسي^(٣) من أصحابِ الشافعي - إجماعَ المسلمين على أن حدَّ من يسبُّ النبيَّ ﷺ القتلُ، كما أن حدَّ من سبَّ غيره الجلدُ. وهذا الإجماعُ الذي حكاه محمولٌ على إجماعِ الصّدْرِ الأوّلِ مِنَ الصحابةِ والتابعين، أو أنه أرادَ به إجماعَهُم على أن سبَّ النبيِّ ﷺ يجبُ قتله إذا كان مسلماً، وكذلك قيده القاضي عياضٌ، فقال: «أجمعتِ الأُمَّةُ على قتلِ متنقّصِهِ من المسلمين وسابِّهِ»^(٤)، وكذلك حكى عن غيرِ واحدٍ الإجماعَ على قتله وتكفيره^(٥).

□ وقال الإمامُ إسحاقُ بنُ رَاهُويّة - أحدُ الأئمةِ الأعلامِ -: «أجمع

(١) يعني: أبا حنيفة.

(٢) ينظر: كتاب «الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف» لابن المنذر: في كتاب الحدود (٦٨٢/٢) رقم (٢٨٥) (رسالة علميّة)، كتاب «الإجماع» لابن المنذر أيضاً: في كتاب «المرتد» (ص ١٥٣) رقم (٧٢٢).

(٣) هو أحمد بن الحسين بن سهل، أبو بكر الفارسي. إمام جليل، تفقّه على ابن سريج. وهو أول من درّس مذهب الشافعي ببلخ. قال النووي: «من أئمة أصحابنا وكبارهم ومتقدميهم وأعلامهم» اهـ. صنّف كتاب «العيون على مسائل الربيع» وكتاب «الانتقاد على المزني»، وكتاب «الخلاف» معه، وكتاب «الإجماع». مات سنة خمسين وثلاث مئة.

(٤) ينظر: كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض: القسم الرابع: «في تعريف وجوه الأحكام فيمن تنقّصه أو سبّه عليه الصلاة والسلام» (٢/٢١١).

(٥) ينظر: «كتاب الشفاء» الباب الأول: في بيان ما هو في حقه ﷺ سبٌّ أو نقص من تعريض أو نص (٢/٢١٥) وما بعدها.

المسلمون على أن من سبَّ اللهَ، أو سبَّ رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله عزَّ وجلَّ، أو قتلَ نبياً من أنبياء الله عزَّ وجلَّ، أنه كافر بذلك - وإن كان مُقرأً بكلِّ ما أنزل اللهُ - .

□ وقال الخطَّابي: «لا أعلمُ أحداً من المسلمين اختلفَ في وجوب قتلِهِ»^(١) .

□ وقال محمدُ بنُ سَحْنُون: «أجمع العلماءُ على أن شاتمَ النبيِّ ﷺ المتنقِّصَ له كافرٌ، والوعيدُ جارٍ عليه بعذابِ اللهِ له، وحُكْمُهُ عند الأُمَّة القتلُ، ومَنْ شكَّ في كُفْرِهِ وعذابه كَفَر»^(٢) .

وتحريرُ القولِ فيها: أنَّ السابَّ إن كان مسلماً، فإنه يكفُرُ ويُقتلُ بغيرِ خلافٍ، وهو مذهبُ الأئمةِ الأربعة وغيرهم، وقد تقدم ممن حكى الإجماعَ على ذلك من الأئمة مثل إسحاق بن رَاهُويَةَ وغيره .

وإن كان ذمياً، فإنه يُقتلُ أيضاً في مذهب مالكٍ وأهلِ المدينة، وسيأتي حكايةَ ألفاظهم، وهو مذهبُ أحمدٍ وفقهاءِ الحديث، وقد نصَّ أحمدُ على ذلك في مواضعٍ متعددة .

□ قال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله يقول: «كلُّ مَنْ شتمَ النبيَّ ﷺ أو تنقَّصه - مسلماً كان أو كافراً -، فعليه القتلُ، وأرى أن يُقتلَ ولا يُستتاب» .

□ قال: وسمعتُ أبا عبد الله يقول: «كلُّ مَنْ نقَّضَ العهدَ، وأحدثَ في الإسلام حَدثاً مثلَ هذا، رأيتُ عليه القتلَ، ليس على هذا أُعْطُوا العهدَ والذِّمَّة» .

(١) انظر: «معالم السنن» للخطابي - المطبوع مع مختصر سنن أبي داود (٦/١٩٩) .

(٢) صنف الإمام محمد بن سحنون رسالة بعنوان: «رسالة فيمن سبَّ النبي ﷺ» .

□ وكذلك قال أبو الصقر^(١) : سألتُ أبا عبد الله عن رجلٍ من أهل الذمّة شتم النبي ﷺ ، ماذا عليه؟ قال : إذا قامت عليه البينة يُقتل من شتم النبي ﷺ ، مسلماً كان أو كافراً ، رواهما الخلال^(٢) .

□ وقال في رواية عبد الله وأبي طالب^(٣) - وقد سُئلَ عمن شتم النبي ﷺ - قال : «يقتل ، قيل له : فيه أحاديث؟ قال : نعم ، أحاديث منها : حديث الأعمى الذي قتل المرأة ، قال : «سمعتها تَشتمُ النبي ﷺ» ، وحديثُ حصين أن ابن عمر قال : «من شتم النبي ﷺ قُتل»^(٤) ، وعمرُ ابن عبد العزيز يقول : «يقتل»^(٥) ، وذلك أنه من شتم النبي ﷺ فهو مُرتدٌّ عن الإسلام ، ولا يشتمُ مسلمُ النبي ﷺ .

□ زاد عبد الله : «سألتُ أبي عمن شتم النبي ﷺ ، يُستتاب؟ قال : قد وجب عليه القتلُ ، ولا يُستتاب ؛ خالدُ بن الوليد قتل رجلاً شتم النبي ﷺ ولم يستبّه» ، رواهما أبو بكر^(٦) في «الشافعي» .

□ وفي رواية أبي طالب : «سئل أحمدُ عمن شتم النبي ﷺ ، قال يُقتلُ ، قد نقضَ العهد» .

(١) «ورأى الإمام أحمد» : يحيى بن يزيد الوراق .

(٢) رواهما الخلال في «أحكام أهل الملل» في كتاب الحدود - باب فيمن شتم النبي ﷺ .

(٣) هو أبو طالب المشكاني أحمد بن حميد ، من الطبقة الأولى من تلاميذ الإمام أحمد .

(٤) رواه الخلال في «أحكام أهل الملل» في كتاب الحدود - باب فيمن شتم النبي ﷺ عن

حصين عمن حدثه عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» عن عمر بن عبد العزيز قال : «لا يُقتل أحدٌ في سبِّ

أحدٍ إلا في سبِّ نبي» .

(٦) هو عبد العزيز بن جعفر البغدادي شيخ الحنابلة المعروف بـ «غلام الخلال» .

□ وقال حربٌ: «سألتُ أحمدَ عن رجلٍ من أهلِ الذمةِ شتمَ النبيَّ ﷺ، قال: يُقتلُ إذا شتمَ النبيَّ ﷺ». . . رواهما الخلالُ^(١) .

وقد نصَّ على هذا في غير هذه الجوابات .

فأقواله كلها نصٌّ في وجوب قتله، وفي أنه قد نقض العهد، وليس عنه في هذا اختلافٌ، وكذلك ذكر عامة أصحابه، متقدمهم ومتأخرهم، لم يختلفوا في ذلك .

وأما الشافعي، فالمنصوصُ عنه نفسه: أنَّ عَهْدَهُ يَنْقُضُ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ، وأنه يقتل . . هكذا حكاها ابنُ المُنْذِرِ والخطابي^(٢) وغيرهما .

□ والمنصوص عنه في «الأم» أنه قال: «إذا أراد الإمام أن يكتب كتابَ صلحٍ على الجزية كتب . . .» وذكر الشروط . . إلى أن قال: «وعلى أن أحداً منكم إن ذكر محمداً ﷺ أو كتابَ الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به، فقد برئت منه ذمةُ الله ثم ذمةُ أمير المؤمنين وجميع المسلمين، ونقض ما أعطي من الأمان، وحلَّ لأمير المؤمنين ماله ودمه كما تحلُّ أموالُ أهلِ الحربِ ودمائهم، وعلى أن أحداً من رجالهم إن أصاب مسلماً بزنتى أو اسمِ نكاح، أو قطع الطريق على مسلم، أو فتن مسلماً عن دينه، أو أعان المحاربين على المسلمين بقتالٍ أو دلالةٍ على عورات المسلمين، أو إيواءٍ لعيونهم، فقد نقضَ عهده، وأحلَّ دمه وماله . . . وإن نال مسلماً بما دون هذا في ماله أو عرضيه . . . لزمه فيه الحكم»^(٣) .

(١) انظر: «أحكام أهل الملل» له .

(٢) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٦/٢٠٠) .

(٣) انظر: «الأم» للشافعي (٤/٢٠٩) .

□ ثم قال: «فهذه الشروطُ اللازمةُ إن رَضِيَ بها، فإن لم يَرْضَهَا، فلا عَقْدَ له ولا جَزِيَةَ»^(١).

□ ثم قال: «وأَيُّهم قال أو فَعَلَ شيئاً مما وَصَفْتُهُ نَقْضاً للعَهْدِ وأَسْلَمَ، لم يُقْتَلْ إذا كان ذلك قولاً، وكذلك إذا كان فعلاً لم يُقْتَلْ، إلا أن يكونَ في دينِ المسلمين أن مَنْ فَعَلَهُ قَتَلَ حَدًّا أو قِصَاصًا، فيُقْتَلُ بِحَدٍّ أو قِصَاصٍ - لا نَقْضِ عَهْدٍ..»

وإن فَعَلَ مما وَصَفْنَا وشُرْطَ أنه نَقْضُ لعَهْدِ الذمَّة، فلم يُسَلِّمْ، ولكنه قال: «أتوبُ وأُعْطِي الجَزِيَةَ كما كنتُ أُعْطِيهَا، أو على صُلْحٍ أَجَدَّدُهُ»، عوقب ولم يُقْتَلْ، إلا أن يكونَ فَعَلَ فعلاً يوجبُ القِصَاصَ أو الحدَّ، فأما ما دون هذا من الفعلِ أو القولِ، فكلُّ قولٍ فيُعاقَبُ عليه ولا يُقْتَلُ»^(٢).

□ وأما أبو حنيفةٌ وأصحابُه، فقالوا: «لا يُنْتَقِضُ العَهْدُ بالسَّبِّ، ولا يُقْتَلُ الذَّمِّيُّ بذلك، لكن يُعزَّرُ على إظهارِ ذلك كما يُعزَّرُ على إظهارِ المنكراتِ التي ليس لهم فِعْلُهَا من إظهارِ أصواتِهِم بكتابِهِم ونحو ذلك». وحكاها الطحاويُّ عن الثوريِّ.

ومن أصولِهِم أن ما لا قَتَلَ فيه عندهم - مثل القتلِ بالمُثَقَّلِ والجماعِ في غير القُبُلِ إذا تكرر -، فلإمام أن يقتلَ فاعلَه، وكذلك له أن يزيدَ على الحدِّ المُقَدَّرِ إذا رأى المصلِحَةَ في ذلك، ويحملون ما جاء عن الرسولِ ﷺ وأصحابِهِ من القتلِ في مثلِ هذه الجرائمِ على أنه رأى المصلِحَةَ في ذلك، ويُسمونه «القَتْلَ سياسةً»، وكان حاصلُه أن له أن يُعزَّرَ بالقتلِ في الجرائمِ

(١) «الأم» (٤/٢١٠).

(٢) انظر «الأم» (٤/٢١٠-٢١١).

التي تَغَلَّظَتْ بالترُّكُّر، وشرع القتلُ في جنسِها، ولهذا أفتى أكثرهم بقتل مَنْ
أكثر من سبِّ النبي ﷺ من أهل الذمة وإن أسلم بعد أخذه، وقالوا: «يقتل
سياسةً»، وهذا متوجهٌ على أصولهم اهـ. من «الصارم المسلول»^(١).

* الأدلة على انتقاض عهدِ الذمِّيِّ السَّابِّ:

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والدلالة على انتقاض عهدِ الذمِّيِّ
بسبِّ الله أو كتابه أو دينه أو رسوله، ووجوب قتله وقتل المسلم إذا أتى
ذلك: الكتابُ، والسُّنة، وإجماعُ الصحابةِ والتابعين، والاعتبارُ.

أما الكتابُ: فيستنبط ذلك منه من مواضع:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾
إلى قوله: ﴿ مِنْ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

فأمرنا بقتالهم إلى أن يُعْطُوا الجزيةَ وهم صاغرون، فلا يجوزُ الإمساكُ
عن قتالهم إلا إذا كانوا صاغرين حال إعطائهم الجزيةَ، ومعلومٌ أن إعطاءَ
الجزيةِ من حينِ بذلِها والتزامها إلى حين تسليمها وإقباضها، فإنهم إذا بذلوا
الجزيةَ شرَّعوا في الإعطاء، ووجب الكفُّ عنهم إلى أن يُقبضُونَهَا فيتمُّ
الإعطاءُ؛ فمتى لم يلتزموها أو التزموها أولاً وامتنعوا من تسليمها ثانياً لم
يكونوا مُعْطِينَ للجزية؛ لأن حقيقةَ الإعطاءِ لم تُوجد، وإذا كان الصَّغَارُ
حالاً عليهم في جميع المُدَّة، فمن المعلوم أن مَنْ أظهرَ سببَ نبينا في وجوهنا
وشتَمَ ربنا على رؤوسِ الملأ منَّا وطعنَ في ديننا في مجامعنا فليس بصاغراً؛

(١) انظر «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٢/١٣-٣٢) - دار ابن حزم.

لأنَّ الصَّاعِرَ: الذليلُ الحَقِيرُ، وهذا فِعْلٌ مُتَعَزِّزٌ مُرَاعِمٌ، بل هذا غايَةٌ ما يكونُ من الإذلالِ لنا والإِهانةِ.

□ قال أهل اللغة: الصَّعَارُ: الذُّلُّ والضَّيِّمُ. . . يقال: صَغِرَ الرَّجُلُ بالكسر -: يَصْغُرُ - بالفتح -: صَغَرًا وَصُغْرًا، والصَّاعِرُ: الرَّاظِي بالضَّيِّمِ.

ولا يَخْفَى على المتأملِ أنَّ إظهارَ السَّبِّ والشتمِ لدينِ الأُمَّةِ الذي به اكتسبت شَرَفَ الدنيا والآخرة، ليس فِعْلَ رَاضٍ بالذُّلِّ والهوانِ، وهذا ظاهرٌ لا خفاءَ به.

وإذا كان قتالُهُم واجبًا علينا إلاَّ أن يكونوا صاعِرِينَ، وليسوا بصاعِرِينَ، كان القتالُ مأمورًا به، وكلُّ من أُمِرْنَا بقتاله من الكفار، فإنه يُقتلُ إذا قَدَرْنَا عليه.

وأيضًا، فإنَّا إذا كُنَّا مأمورين أن نقاتلَهُم إلى هذه الغاية، لم يَجُزْ أن نَعْقِدَ لَهُم عهدَ الذمةِ بدونها، ولو عَقِدَ لَهُم كان عقدًا فاسدًا، فيَقُونُ على الإِباحةِ.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنْ نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [التوبة: ٧-١٢].

نفى سبحانه أن يكون لمشركٍ عهدٌ ممن كان النبي ﷺ قد عاهدَهُم، إلاَّ قومًا ذَكَرَهُم، فإنه جَعَلَ لَهُم عهدًا ما داموا مستقيمين لنا، فَعَلِمَ أن العهدَ لا يَبْقَى للمُشْرِكِ إلاَّ ما دام مستقيمًا، ومعلومٌ أن مُجاهرتنا بالثَّيْمَةِ والوقِيعَةِ

فِي رَبَّنَا وَنَبِينَا وَدِينِنَا وَكِتَابِنَا يَقْدَحُ فِي الْإِسْتِقَامَةِ، كَمَا تَقْدَحُ مَجَاهِرَتُنَا بِالْمَحَارِبَةِ فِي الْعَهْدِ، بَلْ ذَلِكَ أَشَدُّ عَلَيْنَا إِنْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْذُلَ دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا حَتَّى تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا، وَلَا يُجْهَرُ فِي دِيَارِنَا بِشَيْءٍ مِنْ أَدْوَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُونُوا مُسْتَقِيمِينَ لَنَا بِالْقَدْحِ فِي أَهْوَانِ الْأَمْرَيْنِ، كَيْفَ يَكُونُونَ مُسْتَقِيمِينَ مَعَ الْقَدْحِ فِي أَعْظَمَهُمَا؟! .

* يُوَضِّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَاذًا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، أَي: كَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ، وَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَرْقُبُوا الرَّحِمَ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَلَا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكُمْ؟ فَعَلِمَ أَنَّ مَنْ كَانَتْ حَالُهُ أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَ لَمْ يَرْقُبْ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْعَهْدِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ، وَمَنْ جَاهَرَنَا بِالطَّعْنِ فِي دِينِنَا، كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ لَمْ يَرْقُبِ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَ وَجُودِ الْعَهْدِ وَالذَّمَّةِ يَفْعَلُ هَذَا، فَكَيْفَ يَكُونُ مَعَ الْعِزَّةِ وَالْقُدْرَةِ؟ وَهَذَا بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يُظْهِرْ لَنَا مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَفِيَّ لَنَا بِالْعَهْدِ لَوْ ظَهَرَ.

وهذه الآية - وإن كانت في أهل الهدنة الذين يُقيمون في دارهم -، فإن معناها ثابت في أهل الذمة المقيمين في دارنا بطريق الأولى.

الموضع الثالث: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ نَكُتُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتَمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، وهذه الآية تُدَلُّ مِنْ وَجْهِ:

أحدها: أَنَّ مَجْرَدَ نَكْثِ الْإِيمَانِ مُقْتَضِرٌ لِلْمُقَاتَلَةِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الطَّعْنَ فِي الدِّينِ وَأَفْرَدَهُ بِالذِّكْرِ تَخْصِيصًا لَهُ بِالذِّكْرِ وَبَيَانًا؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ

المُوجِبَةِ للقتال، ولهذا يُغَلِّظُ على الطاعن في الدين من العقوبة ما لا يُغَلِّظُ على غيره من الناقضين - كما سنذكره إن شاء الله تعالى -، أو يكون ذَكَرَهُ على سبيل التوضيح وبيانِ سبب القتال؛ فإن الطعنَ في الدين هو الذي يجبُ أن يكون داعياً إلى قتالهم لتكون كلمةُ الله هي العليا.. وأما مجردُ نكثِ اليمين، فقد يُقاتلُ لأجله شجاعةٌ وحميةٌ ورياءٌ، ويكون ذَكَرُ لُطْعَنِ في الدين لأنه أوجبَ القتالَ في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٣، ١٤] الآية.

فُيُفِيدُ ذلك أن مَنْ لم يَصُدُرْ منه إلا مجردُ نكثِ اليمين، جاز أن يُؤمَّنَ ويعاهدَ، وأمَّا مَنْ طَعَنَ في الدين فإنه يتعيَّنُ قتالُه، وهذه كانت سنة رسول الله ﷺ؛ فإنه كان يُنذِرُ^(١) دماءَ مَنْ آذَى اللهَ ورسوله وطعنَ في الدين - وإن أمسكَ عن غيره -، وإذا كان نقضُ العهدِ وحده مُوجِباً للقتال - وإن تجرَّدَ عن الطعن -، عُلِمَ أنَّ الطعنَ في الدين إما سببٌ آخر، أو سببٌ مستلزمٌ لنقضِ العهد، فإنه لا بد أن يكونَ له تأثيرٌ في وجوبِ المقاتلة، وإلاَّ كان ذَكَرُهُ ضائعاً.

الوجه الثاني: أن الذمِّيَّ إذا سبَّ الرسولَ أو سبَّ اللهَ أو عاب الإسلامَ علانيةً، فقد نكثَ يمينه وطعنَ في ديننا؛ لأنه لا خلافَ بين المسلمين أنه يُعاقبُ على ذلك ويُؤدَّبُ عليه، فعُلِمَ أنه لم يُعاهدَ عليه، لأننا لو عاهدناه

(١) يُهدر. ونَدَرَ أي: أسقط أو أهدر. انظر: «النهاية» (٥/٣٥).

عليه ثم فعّله، لم تجز عقوبته عليه، وإذا كنا قد عاهدناه على أن لا يطعن في ديننا، ثم طعن في ديننا، فقد نكث في يمينه من بعد عهده وطعن في ديننا، فيجب قتله بنص الآية، وهذه دلالة قوية حسنة.

الوجه الثالث: أنه سمّاهم «أئمة الكفر» لظعنهم في الدين، وأوقع الظاهر موقع المضمّر؛ لأن قوله: ﴿أئمة الكفر﴾ إمّا أن يعنى به الذين نكثوا وطعنوا، أو بعضهم، والثاني لا يجوز؛ لأن الفعل الموجب للقتال صدر من جميعهم، فلا يجوز تخصيص بعضهم بالجزاء؛ إذ العلة يجب طردها إلاّ لمانع - ولا مانع -، ولأنه علل ذلك ثانياً بأنهم لا إيمان لهم، وذلك يشمل جميع الناكثين الطاعنين، ولأن النكث والظعن وصف مشتق مناسب لوجوب القتال، وقد رتب عليه بحرف «الفاء» ترتيب الجزاء على شرطه، وذلك نص في أن ذلك الفعل هو الموجب للثاني؛ فثبت أنه عنى الجميع، فيلزم أن الجميع أئمة كفر، وإمام الكفر هو الداعي إليه المتبع فيه، وإنما صار إماماً في الكفر لأجل الظعن، فإن مجرد النكث لا يوجب ذلك - وهو مناسب -، لأن الطاعن في الدين يعيبه ويذمه ويدعو إلى خلافه، وهذا شأن الإمام، فثبت أن كل طاعن في الدين فهو إمام في الكفر، فإذا ظعن الذمي في الدين فهو إمام في الكفر، فيجب قتله لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أئمة الكفر﴾، ولا يمين له؛ لأنه عاهدنا على ألا يظهر عيب الدين هنا وخالف، واليمين هنا المراد بها: العهد - لا القسم بالله -، فيما ذكره المفسرون^(١)،

(١) انظر «تفسير مجاهد» (٢٧٤)، و«تفسير الطبري» (٨٧/١٠)، و«زاد المسير»

(٣/٤٠٤)، و«تفسير القرطبي» (٨/٨١)، و«تفسير ابن كثير» (٢/٢٣٨).

وهو كذلك .

الوجه الرابع: أنه قال تعالى: ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [التوبة: ١٣] ، فجعل همهم بإخراج الرسول من المحضضات على قتالهم ، وما ذاك إلا لما فيه من الأذى ، وسببه أغلظ من الهم بإخراجه ، بدليل أنه ﷺ عفا عام الفتح عن الذين هموا بإخراجه ، ولم يعف عمن سبه ؛ فالذمي إذا أظهر سبه فقد نكث عهده ، وفعل ما هو أعظم من الهم بإخراج الرسول ، وبدأ بالأذى ؛ فيجب قتاله .

الوجه الخامس: قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [١٤] وَيَذْهَبُ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٤-١٥] .

أمر سبحانه بقتال الناكثين الطاعين في الدين ، وضمن لنا - إن فعلنا ذلك - أن يعذبهم بأيدينا ويخزيهم ، وينصرنا عليهم ، ويشفي صدور المؤمنين الذين تأدوا من نقضهم وطعنهم ، وأن يذهب غيظ قلوبهم ؛ لأنه رتب ذلك على قتالنا ترتيب الجزاء على الشرط ، والتقدير: إن قاتلوهم يكن هذا كله ؛ فدل على أن الناكث الطاعن مستحق هذا كله ، وإلا فالكفار يدألون علينا المرة وتُدال عليهم الأخرى^(١) ، وإن كانت العاقبة للمتقين ، وهذا تصديق ما جاء في الحديث: « ما نقض قوم العهد إلا أدب عليهم العدو^(٢) » والتعذيب

(١) يدألون علينا وتُدال عليهم: أي يغلبونا مرة ونغلبهم أخرى . والإدالة بمعنى الغلبة . انظر «النهاية» (١٤١/٢) (دول) .

(٢) جزء من حديث ابن عباس وابن عمر وبريدة رضي الله عنهم .

فأما حديث ابن عباس فقد أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/٤٥ ح ١٠٩٩٢) =

بأيدينا هو القتل؛ فيكون الناكثُ الطاعنُ مستحقاً للقتل، والسابُّ لرسول الله ﷺ ناكثٌ طاعنٌ كما تقدّم؛ فيستحقُّ القتلَ، وإنما ذكر سبحانه النصرَ عليهم وأنه يتوبُ من بعد ذلك على من يشاء؛ لأنَّ الكلام في قتالِ الطائفةِ الممتعة، فأما الواحدُ المستحقُّ للقتل، فلا ينقسمُ حتى يقال فيه: «يعذبه الله، ويتوبُ الله من بعد ذلك على من يشاء»، على أن قوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ يجوزُ أن يكون عائدًا إلى مَنْ لم يطعن بنفسه وإنما أقرَّ الطاعن؛ فسُميتِ الفئةُ طاعنةً لذلك، وعند التمييز فبعضهم ردءٌ^(١)، وبعضهم مباشر، ولا يلزمُ من التوبةِ على الردءِ التوبةُ على المباشر، ألا ترى أن النبي ﷺ أهدرَ عام الفتح دمَ الذين باشروا الهجاءَ، ولم يُهدرِ دمَ الذين سمعوه، وأهدرَ دمَ

= بلفظ: «... إلا سلط عليهم عدوهم». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦٨/٣): «وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان المروزي، ليته الحاكم، وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام». وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه ابن ماجه في كتاب «الفتن» - باب العقوبات (٢/١٣٣٢ ح ٤٠١٩). وقال البوصيري في «الزوائد» - على إسناد ابن ماجه -: «هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه» اهـ. وأخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٤٠/٤) بلفظ: «ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط عليهم عدوهم». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

وأما حديث بريدة فقد أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١٢٦/٢) بلفظ: «ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم»؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٣٤٦)، (٩/٢٣١). وقال عنه الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٧٢): «روه البزار ورجاله رجال الصحيح غير رجاء بن محمد وهو ثقة»، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/١٦٩ - ١٧١ ح ١٠٧): «وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح بلا ريب».

(١) الردء - بكسر الراء -: المعين والناصر.

بني بكر، ولم يُهدِرْ دَمَ الَّذِينَ أَعَارَوْهُمْ السِّلَاحَ؟! .

السادس: أن قوله تعالى: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٤) وَيُذْهِبُ

غَيْظَ قُلُوبِهِمْ .

دليلٌ على أن شفاءَ الصدورِ مِنْ أَلَمِ النُّكْثِ وَالطَّعْنِ، وَذَهَابَ الغَيْظِ الحَاصِلِ فِي صُدُورِ المُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ مَقْصُودٌ لِلشَّارِعِ مَطْلُوبُ الحَصُولِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ إِذَا جَاهَدُوا كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ المَرْفُوعِ: «عَلَيْكُمْ بِالجِهَادِ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ اللّهِ، يَدْفَعُ اللّهُ بِهِ عَنِ النُّفُوسِ الهمَّ وَالغَمَّ» (١).

وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ سَبَّ الرُّسُولِ ﷺ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَشَتَمَهُ، فَإِنَّهُ يَغِيظُ المُؤْمِنِينَ وَيُؤْلِمُهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا لَوْ سَفَكَ دِمَاءَ بَعْضِهِمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ؛ فَإِنَّ هَذَا يُثِيرُ الغَضَبَ لِلّهِ وَالْحَمِيَّةَ لَهُ وَلرَسُولِهِ، وَهَذَا القَدْرُ لَا يُهَيِّجُ فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ غَيْظًا أعْظَمَ مِنْهُ، بَلِ المُؤْمِنُ المُسَدَّدُ لَا يَغْضَبُ هَذَا الغَضَبَ إِلَّا لِلّهِ، وَالشَّارِعُ يَطْلُبُ شِفَاءَ صُدُورِ المُؤْمِنِينَ وَذَهَابَ غَيْظِ قُلُوبِهِمْ، وَهَذَا إِذَا يَحْصُلُ بِقَتْلِ السَّابِّ لِأَوْجُهٍ:

أحدها: أن تعزيره وتأديبه يُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ إِذَا شَتَمَ وَاحِدًا مِنْ المُسْلِمِينَ أَوْ فَعَلَ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلَوْ أَذْهَبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ إِذَا شَتَمَ الرُّسُولَ، لَكَانَ غَيْظُهُمْ مِنْ شَتْمِهِ مِثْلَ غَيْظِهِمْ مِنْ شَتْمِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ . . . وَهَذَا بَاطِلٌ .

الثاني: أن شتمه أعظمُ عندهم من أن يأخذَ بعضَ دمائهم، ثم لو قتل

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٣١٤/٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير والأوسط»، والحاكم في «المستدرک» (٧٤-٧٥)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٤/٥٨١ ح ١٩٤١).

واحدًا منهم لم يَشْفِ صدورهم إلا قتله، فأن لا تُشْفَى صدورهم إلا بقتل السابِّ أولى وأحرى.

الثالث: أن الله تعالى جعل قتالهم هو السبب في حصول الشفاء، والأصل عدم سبب آخر يُحصِّله؛ فيجب أن يكون القتل والقتال هو الشافي لصدور المؤمنين من مثل هذا.

الرابع: أن النبي ﷺ لما فتحت مكة وأراد أن يشفي صدور خزاعة - وهم القوم المؤمنون - من بني بكر الذين قاتلوهم، مكَّتهم منهم نصف النهار أو أكثر مع أمانه لسائر الناس^(١)؛ فلو كان شفاء صدورهم وذهاب غيظ قلوبهم يحصل بدون القتل للذين نكثوا وطعنوا، كما فعل ذلك مع أمانه للناس.

الموضع الرابع: قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣]، فإنه يدل على

(١) صحيح: أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/٤٠٣ ح ٣٦٩٠٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/١٧٩، ٢٠٧) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال: «كُفُّوا السلاحَ إلا خزاعةَ من بني بكر». فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال: «كُفُّوا السلاحَ»؛ وذكره ابن كثير في «البداية» (٤/٣٠٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٨٠) وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، والحديث صحيح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه على «المسند» (١٠/١٥٨ ح ٦٦٨١). وقد كانت خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، وكانت بنو بكر رهطًا من بني كنانة حلفاء لأبي سفيان، وكانت بينهم موادة أيام الحديبية، فأغارت بنو بكر على خزاعة في تلك المدة، وبيتوهم ليلاً وهم غارون آمنون فقتلوا منهم عشرين رجلاً، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يستمدونه.. فكان فتح مكة. ينظر: «طبقات ابن سعد» (١/١٣٤)، «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٣٨٩، ٣٩٤).

أَنَّ أذَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَادَّةُ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ؛ لَأَنَّهُ قَالَ هَذِهِ آيَةُ عَقَبَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلْ أذُنٌ﴾ الآية. ثم قال: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟.

فلو لم يكونوا بهذا الأذى مُحَادِّينَ لم يحسنُ أن يوعَدُوا بأنَّ للمحادِّ نارَ جهنَّمَ؛ لأنَّه يمكن حينئذٍ أن يقال: قد عَلِمُوا أن للمحادِّ نارَ جهنَّمَ؛ لكنهم لم يُحَادِّثُوا، وإِغْمَا أذُوا، فلا يكون في الآية وعيدٌ لهم؛ فَعَلِمَ أن هذا الفعل لأبَدٍ أن يندرجَ في عمومِ المحادَّةِ؛ ليكونَ وعيدُ المحادِّ وعيداً له ويلتئم الكلامُ.

ويدلُّ على ذلك أيضاً ما روى الحاكمُ في «صحيحه» بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عباسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان في ظلِّ حُجْرَةٍ مِنْ حُجْرِهِ، وعنده نَقْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بَعَيْنِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَتَاكُمْ فَلَا تُكَلِّمُوهُ»، فجاء رجلٌ أزرَقُ، فدعاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: «عَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ»، فانطلقَ الرَّجُلُ، فدعاهم، فحلفوا باللهِ واعتذروا إليه^(١) فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَوْمَ يَعْتَنَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/٧٧، ١٢٣٠٧، ١٢٣٠٨)، والحاكم في «المستدرک» (٢/٤٨٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٣٤٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٢٨/٨٥) وفي «لباب النقول» له ص (١٢٠). والحديث قال عنه الحاكم =

* ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٠].
فَعَلِمَ أَنَّ هَذَا دَاخِلٌ فِي الْمَحَادَّةِ.

* وفي روايةٍ أُخْرَى صَحِيحَةٌ أَنَّهُ نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٦].

* وقد قال: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ [التوبة: ٦٢].

* ثم قال عقبه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٦٣].
فَثَبِتَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الشَّاكِّينَ مُحَادُّونَ.

* وإذا كان الأذى مُحَادَّةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْيَانِ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَبِ بْنِ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

والأذى: أبلغ من «الذليل»، ولا يكون أذىً حتى يخاف على نفسه وماله إن أظهر المحادَّة؛ لأنه إن كان دمه وماله معصوماً لا يُستباح فليس بأذى، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فبين سبحانه أنهم أينما ثقفوا فعليهم الذلَّةُ إلا مع العهد، فعلم أن من له عهدٌ وحبلٌ لا ذلَّةٌ عليه - وإن كانت عليه المسكنة -، فإنَّ المسكنة قد تكون مع عدم الذلَّة، وقد جعل المحادِّين في الأذليين، فلا يكون لهم عهدٌ، إذ

= «صحيح على شرط مسلم»، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم في المتن، وقال عنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» - سورة المجادلة - (١٢٥/٧): «رواه أحمد والبخاري ورجال الجميع رجال الصحيح».

العهد يُنافي الذلّة كما دلّت عليه الآية، وهذا ظاهرٌ، فإنّ الأذلّ هو الذي ليس له قوةٌ يمتنعُ بها من أراده بسوء، فإذا كان له من المسلمين عهدٌ يجبُ عليهم به نصره ومنعه، فليس بأذلّ، فثبت أنّ المحادّ لله ولرسوله لا يكونُ له عهدٌ يعصمه، والمؤذي للنبي ﷺ مُحَادٌّ، فالمؤذي للنبي ليس له عهدٌ يعصم دمه، وهو المقصودُ.

* وأيضاً، فإنه قد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥] والكبّتُ: الإذلالُ والحزبُ والصرعُ. □ قال الخليل: «الكبّتُ هو الصرعُ على الوجه».

□ وقال النضرُ بن شميل وابنُ قتيبة: «هو الغيظُ والحزن، وهو في الاشتقاق الأكبر»^(١) من كبده، كأنّ الغيظَ والحزنَ أصاب كِبَدَه، كما يقال: أحرَقَ الحزنُ والعداوةُ كِبَدَه»^(٢).

□ وقال أهل التفسير: «كُبِتُوا: أهلكوا وأحزبوا وحزبوا»، فثبت أن

(١) الاشتقاق في اللغة: هو أخذ شق الشيء. وفي الاصطلاح: أن تجد بين اللفظين تناسباً في المعنى والتركيب فتَرُدُّ أحدهما إلى الآخر، والاشتقاق عند الشريف الجرجاني: نزع لفظٍ من آخر بشرط مناسبتهم معنى وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة. وهو على أنواع: فالصغير: أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في الحروف والترتيب نحو: ضربَ من الضرب. والكبير: أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو: جِدَّ من الجذب. والأكبر: أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في المخرج، نحو: نَعَقَ من النُهَق. ينظر: كتاب «الاشتقاق» لأبي سعيد عبدالمملك الأصبغي، وكتاب «التعريفات» للشريف الجرجاني (ص ٢٧، ٢٨)، وكتاب «العلم الخفاق من علم الاشتقاق» لأبي الطيب محمد صديق حسن خان.

(٢) ينظر «النهاية» لابن الأثير (٤/١٣٨)، «لسان العرب» (٦/٣٨٠٥)، «تاج العروس» =

المحَادَّ مكبوتٌ مخزِيٌّ ممتليءٌ غِيظًا وحرزًا هالكٌ، وهذا إنما يتمُّ إذا خافَ إن أظهرَ المحادَّةَ أن يُقتلَ، وإلَّا فَمَنْ أمكنه إظهارُ المحادَّةِ وهو آمِنٌ على دمه وماله فليس بمكبوت، بل مسرورٍ جَدْلَانِ، ولأنه قال: ﴿كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥] والذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ حَادَّ الرُّسُلَ وَحَادَّ رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَتَبَهُ اللَّهُ بِأَنْ أَهْلَكَه بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وَالْكَتْبُ وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ مِنْهُ نَصِيبٌ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يَنْلُ غَرَضَهُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧]، لكن قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني محادِّي الرسلِ دليلٌ على الهلاك أو كُتْمِ الْأَذْيِ، يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ مِنَ الْمُحَادِّينَ، فَهَمْ مَكْبُوتُونَ بِمَوْتِهِمْ بِغِيظِهِمْ لِحُوفِهِمْ أَنَّهُمْ إِنْ أَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ قُتِلُوا، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مُحَادِّ كَذَلِكَ.

* وأيضاً، فقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] عقب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْيَانِ﴾ [المجادلة: ٢٠] دليلٌ على أن المحادَّةَ مغالبةٌ ومعاداةٌ، حتى يكون أحدُ المتحادِّينَ غالباً والآخرُ مغلوباً، وهذا إنما يكونُ بين أهلِ الحربِ لا أهلِ السِّلْمِ، فعُلمَ أن المحادَّ ليس بمسالِمٍ، والغلبةُ للرسلِ بالحجَّةِ والقهرِ، فمن أمر منهم بالحربِ نُصِرَ على عدوِّه، ومن لم يؤمِّرْ بالحربِ أَهْلِكَ عدوُّه، وهذا أحسنُ من قول

= (٥٧٥/١) (كبت). وفيه: كبت: يكتبه كبتاً: صرعه. وقال الأزهري وغيره: أصل الكبت الكبد، فقلبت الدال تاءً، أخذ من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد، فكان الغيظ لما بلغ بهم مبلَّغَه أصاب أكبادهم فأحرقها، ولهذا قيل للأعداء: هم سوْدُ الأكباد.

مَنْ قَالَ: إِنَّ الْغَلْبَةَ لِلْمَحَارِبِ بِالنَّصْرِ، وَلِغَيْرِ الْمَحَارِبِ بِالْحُجَّةِ، فَعُلِمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُحَادِّينَ مُحَارِبُونَ مَغْلُوبُونَ.

وأيضاً فإن «المحادّة» من «المشاقّة»؛ لأن «المحادّة» من الحدِّ والفصل والبيّونة، وكذلك «المشاقّة» من الشَّقِّ وهو بهذا المعنى، فهما جميعاً بمعنى المقاطعة والمفاصلة، ولهذا يقال: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَحَادِّينَ وَالْمُتَشَاقِّينَ فِي حَدٍّ وَشِقٍّ مِنَ الْآخِرِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي انْقِطَاعَ الْحَبْلِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْعَهْدِ إِذَا حَادَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَا حَبْلَ لِمُحَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

* وأيضاً، فإنها إذا كانت بمعنى المُشَاقَّةِ، فإنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَالَ:

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿[الأنفال: ١٢، ١٣].

فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ لِأَجْلِ مُشَاقَّتِهِمْ وَمُحَادَّتِهِمْ، فَكُلُّ مَنْ حَادَّ وَشَاقَّ يَجِبُ أَنْ يُفْعَلَ بِهِ ذَلِكَ لِوُجُودِ الْعِلَّةِ.

* وأيضاً، فإنه تعالى قال: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ

فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿[الحشر: ٣-٤].

والتعذيبُ هنا - والله أعلم - : القتلُ؛ لأنهم قد عذبوا بما دون ذلك من الإجلاءِ وأخذِ الأموالِ، فيجبُ تعذيبُ مَنْ شَاقَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ أَظْهَرَ الْمُحَادَّةَ، فَقَدْ شَاقَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، بِخِلَافِ مَنْ كَتَمَهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُحَادِّ وَلَا مُشَاقِّ.

□ وهذه الطريقة أقوى في الدلالة، يقال: هو «مُحَادِّ»، وإن لم يكن

«مشاقًا»، ولهذا جعل جزاء المحادِّ مطلقاً أن يكون مكبوتاً كما كُتِبَ مَنْ قَبْلَهُ، وأن يكون في الأذليين، وجعل جزاء المشاقِّ القتلَ والتعذيبَ في الدنيا، ولن يكون مكبوتاً كما كُتِبَ مَنْ قَبْلَهُ في الأذليين إلا إذا لم يُمكنه إظهارُ محادته، فعلى هذا تكونُ المحادَّةُ أعمَّ.

* ولهذا ذكر أهلُ التفسير في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية: أنها نزلت فيمن قتل من المسلمين أقرابه في الجهاد، وفيمن أراد أن يقتل لمن تعرَّض لرسول الله ﷺ بالأذى من كافرٍ ومنافقٍ قريبٍ له^(١). . . فعلم أن المحادَّ يعمُّ المشاقَّ وغيره.

* ويدلُّ على ذلك أنه قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤] الآيات، إلى قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وإنما نزلت في المنافقين الذين تولَّوا اليهودَ المغضوبَ عليهم، وكان أولئك اليهودُ أهلَ عهدٍ من النبي ﷺ، ثم إن الله سبحانه بيَّن أن المؤمنين لا يوادُّون مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فلا بد أن يدخلَ في ذلك عدمُ المودَّةِ لليهود - وإن كانوا أهلَ ذمَّةٍ -؛ لأنَّه سببُ النزول، وذلك يقتضي أن أهلَ الكتاب

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحيدي (ص ٣١٠)، «أحكام القرآن» لابن العربي

(٤/١٧٦٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٨/١٩٨)، و«تفسير القرطبي»

(١٧/٣٠٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/٣٢٩).

محادون لله ورسوله - وإن كانوا معاهدين..

ويدلُّ على ذلك أن الله قطع المِوَالاة بين المسلم والكافر - وإن كان له عهدٌ وذمَّةٌ -، وعلى هذا التقدير فيقال: عُوهِدُوا على أن لا يُظهِرُوا المحادة ولا يُعلنوا بها - بالإجماع كما تقدم وكما سيأتي -، فإذا أظهروا صاروا محاديين لا عهدَ لهم، مُظهِرِينَ للمحادة، وهؤلاء مشاققون، فيستحقُّون خزي الدنيا من القتل ونحوه وعذاب الآخرة.

فإن قيل: إذا كان كلُّ يهوديٍّ محاداً لله ورسوله، فمن المعلوم أن العهدَ يثبتُ لهم مع اليهود، وذلك يَنْقُضُ ما قدَّمتم من أن المحادَّ لا عهدَ له.

قيل: من سلك هذه الطريقة قال: المحادُّ لا عهدَ له على إظهارِ المحادة، فأما إذا لم يُظهِرْ لنا المحادة، فقد أعطيناه العهد، وقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]. يقتضي أن الذلَّةَ تلزمه، فلا تزولُ إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس، وحبلُ المسلمين معه على أن لا يُظهِرَ المحادة بالاتفاق؛ فليس معه حبلٌ مُطلق، بل حبلٌ مقيد، فهذا الحبلُ لا يَمْنَعُهُ أن يكونَ أذلَّ إذا فَعَلَ ما لم يُعَاهَدْ عليه.

أو يقولُ صاحبُ هذا المسلك: الذلَّةُ لازمةٌ لهم بكلِّ حال، كما أُطلقت في سورة «البقرة».

وقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] يجوز أن يكون تفسيراً للذلة، أي: ضُربت عليهم أنهم أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ، فالحبلُ لا

يَرْفَعُ الذِّكَّةَ، وَإِنَّمَا يَرْفَعُ بَعْضَ مَوْجِبَاتِهَا وَهُوَ الْقَتْلُ، فَإِنْ مَنْ كَانَ لَا يُعْصِمُ دَمَهُ إِلَّا بَعْدَهُ فَهُوَ ذَلِيلٌ - وَإِنْ عَصِمَ دَمَهُ بِالْعَهْدِ -، لَكِنْ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ تَضَعُفُ الدَّلَالَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَحَادَّةِ.

وَالطَّرِيقَةُ الْأُولَى أَجُودٌ - كَمَا تَقَدَّمَ -، وَفِي زِيَادَةِ تَقْرِيرِهَا طُولٌ.

الموضع الخامس: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وهذه توجب قتل مَنْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ - كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَقْرِيرُهُ -، وَالْعَهْدُ لَا يُعْصِمُ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّا لَمْ نُعَاهِدْهُمْ عَلَى أَنْ يُؤْذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

● وَيُوضِّحُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ لَكَعَبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟»^(١) فَتَدَبَّرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَهُودِيٍّ كَانَ مُعَاهِدًا لِأَجْلِ أَنَّهُ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوصَفُ كُلُّ ذِمِّيٍّ بِأَنَّهُ يُؤْذِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: الْيَهُودُ مُلْعُونُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ إِقْرَارِهِمْ عَلَى مَا يُوجِبُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّا لَمْ نُقَرِّهِمْ عَلَى إِظْهَارِ آذَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّمَا أَقَرَرْنَاهُمْ عَلَى أَنْ يَفْعَلُوا بَيْنَهُمْ مَا هُوَ مِنْ دِينِهِمْ»^(٢).

(١) جزء من حديث طويل من حديث جابر بن عبد الله. رواه البخاري (١٦٩/٥ ح ٢٥١٠)، (١٨٤/٦ ح ٣٠٣١)، (٣٠٣٢)، (٣٩٠/٧ ح ٤٠٣٧)، ورواه مسلم (١٤٢٥/٣ ح ١٨٠١)، وأبو داود (٢١١/٣ ح ٢٧٦٨)، والحميدي في «مسنده» (٥٢٦/٢ ح ١٢٥٠).

(٢) انظر «الصارم المسلول» (٥٧-٣٢/٢).

* مسألة: يتعين قتلُ السَّابِّ، ولا يجوزُ استرقاقه، ولا المنُّ عليه، ولا فداؤه:

□ قال الإمامُ ابنُ تيمية في «الصارمِ المسلول»: «أما إن كان مُسَلِّمًا فبالإجماع؛ لأنَّه نوعٌ من المُرتدِّ، أو من الزنديق، والمُرتدُّ يتعيَّن قتلُه، وكذلك الزنديق، وسواءً كان رجلاً أو امرأة، وفيما قدَّمناه دلالةً واضحةً على قتلِ السَّابِّ المسلمة من السُّنَّةِ وأقاويلِ الصحابة، فإنَّ في بعضها تصريحاً بقتلِ السَّابِّ المسلمة، وفي بعضها تصريحٌ بقتلِ السَّابِّ الذمِّيَّة، وإذا قُتِلَتِ الذمِّيَّة بالسَّبِّ، فقتلُ المسلمةِ أولى كما لا يخفى على الفقيه.

والصحيحُ الذي عليه العامةُ قتلُ المُرتدَّة، فالسَّابِّةُ أولى، وهو الصحيحُ لما تقدم.

وإن كان السَّابُّ مُعاهدًا، فإنه يتعيَّن قتلُه، سواءً كان رجلاً أو امرأة، عند عامةِ الفقهاء من السَّلَفِ ومن تبعهم.

وقد ذكَّرنا قولَ ابنِ المنذرِ فيما يجبُ على من سبَّ النبي ﷺ، قال: أجمع عوامُّ أهلِ العلمِ على أنَّ من سبَّ النبي ﷺ يُقتلُ؛ ومَن قاله مالكٌ، والليثُ، وأحمدُ، وإسحاقُ، وهو مذهبُ الشافعي.

قال: وحكي عن النعمان: لا يُقتلُ من سبَّه من أهلِ الذمة.

وهذا اللفظُ دليلٌ على وجوبِ قتلِه عند العامة، وهذا مذهبُ مالكٍ وأصحابِه، وسائرِ فقهاءِ المدينة، وكلامُ أصحابِه يقتضي أن لقتله مأخذين: أحدهما: انتقاضُ عهده.

والثاني: أنه حدٌّ من الحدود، وهو قولُ فقهاءِ الحديث.

□ قال إسحاق بن راهوية: إن أظهروا سبَّ رسولِ الله ﷺ فسمع منهم ذلك - أو تُحَقِّقْ عليهم -، قُتِلُوا، وأخطأ هؤلاء الذين قالوا: «ما هم فيه من الشرك أعظم من سبِّ رسولِ الله ﷺ».

□ قال إسحاق: «يقتلون؛ لأن ذلك نقض للعهد»، وكذلك فعل عمرُ بنُ عبد العزيز، ولا شبهة في ذلك؛ لأنه يصيرُ بذلك ناقضاً للصالح، وهو كما قتل ابنُ عمرَ الراهبَ الذي سبَّ النبي ﷺ، وقال: «ما على هذا صالحناهم».

وكذلك نصَّ الإمامُ أحمدُ على وجوبِ قتلِهِ وانتقاصِ عهده، وقد تقدَّم بعضُ نصوصِهِ في ذلك، وكذلك نصَّ عامةُ أصحابِهِ على وجوبِ قتلِهِ هذا السابُّ، ذكروه بخصوصه في مواضع هكذا، وذكروه أيضاً في جملةِ ناقضي العهدِ من أهلِ الذمة.

ثم المتقدمون منهم وطوائفُ من المتأخرين قالوا: إن هذا وغيره من ناقضي العهدِ يتعيَّن قتلُهُم - كما دلَّ عليه كلامُ أحمد..

وذكرَ طوائفُ منهم أن الإمامَ مُخَيَّرٌ فيمن نقض العهدَ من أهلِ الذمة، كما يُخَيَّرُ في الأسيرِ بين الاسترقاقِ والقتلِ والمَنِّ والفداء، ويجبُ عليه فعلُ الأصلحِ للأمةِ من هذه الأربعةِ بعد أن ذكروه في الناقضين للعهد، فدخَلَ هذا السابُّ في عمومِ هذا الكلامِ وإطلاقه، وأوجبَ أن يُقالَ فيه بالتخييرِ إذا قيلَ به في غيره من ناقضي العهدِ، لكن قَيَّدَ مُحَقِّقُوا أصحابِ هذه الطريقةِ ورؤوسَهُم - مثلُ القاضي أبي يعلى في كُتبه المتأخرة^(١) وغيره - هذا الكلامَ،

(١) من كُتبه المتأخرة: كتاب «الخلافة» وهو آخر ما صنَّفه - رحمه الله -.

وقالوا: التخيير في غير سَابِ الرسول ﷺ . . وأما سَابُهُ فَيَتَعَيَّنُ قَتْلُهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ كَالْأَسِيرِ، وَعَلَى هَذَا فِيمَا أَنْ لَا يُحْكَى فِي تَعْيِينِ قَتْلِهِ خِلَافٌ؛ لَكُونَ لَّذِينَ أَطْلَقُوا التَّخْيِيرَ فِي مَوْضِعٍ قَدْ قَالُوا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِأَنَّ السَّابَّ يَتَعَيَّنُ قَتْلُهُ، وَصَرَّحَ رَأْسُ أَصْحَابِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِأَنَّهُ مُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ الْإِطْلَاقِ، أَوْ يُحْكَى فِيهِ وَجْهٌ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا بِهِ فِي مَوْضِعٍ نَصَّوْا عَلَى خِلَافِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا فِيهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَجِبُ قَتْلُ السَّابِّ حَتْمًا، وَإِنْ خَيْرٌ فِي غَيْرِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ النَّاqِضِينَ لِلْعَهْدِ، وَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَضْعَفُهُمَا: أَنَّهُ يَلْحَقُ بِأَمْنِهِ.

وَالصَّحِيحُ مِنْهُمَا: جَوَازُ قَتْلِهِ.

قَالُوا: وَيَكُونُ كَالْأَسِيرِ يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَفْعَلَ فِيهِ الْأَصْلَحَ لِلْأُمَّةِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْإِسْتِرْقَاقِ وَالْمَنْ وَالْفِدَاءِ.

وَكَلَامُ الشَّافِعِيِّ فِي مَوْضِعٍ يَقْتَضِي أَنْ حُكْمَ النَّاqِضِ لِلْعَهْدِ حُكْمُ

الْحَرْبِيِّ؛ فَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّهُ كَالْأَسِيرِ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ عَيْنًا مِنْ غَيْرِ تَخْيِيرٍ^(١).

* الْأَدْلَةُ عَلَى أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ قَتْلُ الذَّمِّيِّ، وَلَا يَجُوزُ اسْتِرْقَاقُهُ:

□ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ قَتْلُهُ، وَلَا

يَجُوزُ اسْتِرْقَاقُهُ، وَلَا الْمَنْ عَلَيْهِ، وَلَا الْمَفَادَاةُ بِهِ، مِنْ طَرِيقَيْنِ:

(١) «الصَّارِمُ الْمَسْلُوبُ» (٢/٤٦٧ - ٤٧٠).

أحدهما: ما تقدّم من الأدلّة على وجوب قتل ناقضِ العهدِ إذا نقضه بما فيه ضررٌ على المسلمين مطلقاً .

الثاني: ما يخصّه . . وهو من وجوه:

الدليل الأول: ما تقدّم من الآيات الدالّة على وجوب قتل الطاعين في الدين .

الدليل الثاني: حديثُ الرجلِ الذي قتل المرأةَ اليهوديةَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ وأهدرَ النبي ﷺ دَمَهَا، وفي ذلك حديثُ عليّ بنِ أبي طالبٍ وابنِ عباسٍ، فلو كان سبُّ النبي ﷺ يرفعُ العهدَ فقط، ولا يُوجبُ القتلَ، لكانت هذه المرأةُ بمنزلةِ كافرةٍ أسيرةٍ، وبمنزلةِ كافرةٍ دخلت إلى دار الإسلام ولا عهدَ لها، ومعلومٌ أنه لا يجوزُ قتلُها، وأنها تصيرُ رقيقةً للمسلمين بالسبي، وهذه المرأةُ المقتولةُ كانت رقيقةً، والمسلمُ إذا كانت له أمةٌ كافرةٌ حربيةً لم يَجْزُ له ولا لغيره قتلُها لمجرد كونها حربيةً، ولا نَعْلَمُ بين المسلمين خلافاً أن المرأةَ لا يجوزُ قتلُها لمجرد الكفر إذا لم تكن معاهدةً، كما لا نَعْلَمُ أيضاً خلافاً في أن المرأةَ إذا ثبت في حقها حكمُ نقضِ العهدِ لا يجوزُ قتلُها .

الدليل الثالث: أن السَّابَّ لو صارَ بمنزلةِ الحربيِّ فقط، لكان دَمُهُ معصوماً بأمانٍ يُعقد له أو ذمّةٌ أو هُدنةٌ، ومعلومٌ أن شبهةَ الأمانِ كحقيقتهِ في حقنِ الدمِ، والنفرُ الذين أرسلهم النبي ﷺ إلى كعب بنِ الأشرفِ جاؤوا إليه إليه على أن يستسلموا منه، وحادثوه، وماشوه وقد آمنهم على دَمِهِ وماله، وكان بينه وبينهم قبل ذلك عهدٌ وهو يعتقدُ بقاءه، ثم إنهم استأذنوه في أن يشمُّوا ريحَ الطيبِ من رأسه، فأذن لهم مرّةً بعد أُخرى، وهذا كُلُّهُ يُثبتُ الأمانَ، فلو لم يكن في السَّبِّ إلا مجردُ كونه كافرًا حربيًّا لم يَجْزُ قتلُ

بعد أمانه إليهم، وبعد أن أظهرُوا له أنهم مؤمنون له، واستتذنانهم إياه في إمساك يديه، فعلم بذلك أن إيذاء الله ورسوله موجبٌ للقتل لا يعصم عنه أمانٌ ولا عهدٌ، ولا جزاء له إلا القتل.

الدليل الرابع: أن النبي ﷺ دعا الناس إلى قتل ابن الأشرف؛ لأنه كان يؤذي الله ورسوله، وكذلك كان يأمرُ بقتل من يسبه ويهجو، إلا من عفا عنه بعد القدرة، وأمره ﷺ للإيجاب، فعلم وجوب قتل الساب. وإن لم يجب قتل غيره من المحاربين، وكذلك كانت سيرته، فلم يعلم أنه ترك قتل أحدٍ من السائين بعد القدرة عليه إلا من تاب أو كان من المنافقين، وهذا يصلح أن يكون أمثالاً للأمر بالجهاد وإقامة الحدود، فيكون على الإيجاب، يؤيد ذلك أن في ترك قتله تركاً لنصر الله ورسوله، وذلك غير جائز.

الدليل الخامس: أقاويلُ الصحابة، فإنها نصوصٌ في تعيين قتله:

□ مثل قولِ عمرَ رضي الله عنه: «من سبَّ الله أو سبَّ أحداً من الأنبياء فاقتلوه». . . فأمرَ بقتله عينا.

□ ومثل قولِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: «أيما معاهدٍ عاند فسبَّ الله أو سبَّ أحداً من الأنبياء عليهم السلام، أو جهرَ به، فقد نقضَ العهدَ، فاقتلوه». . . فأمرَ بقتلِ المعاهدِ إذا سبَّ عينا.

□ ومثل قولِ أبي بكرٍ رضي الله عنه. - فيما كتب به إلى «المهاجر» في المرأة التي سبَّت النبي ﷺ: «لولا ما قد سبقتنني فيها لأمرتُك بقتلها؛ لأن حدَّ الأنبياء لا يشبهُ الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلمٍ فهو مرتدٌ، أو معاهدٌ فهو محاربٌ غادر».

فَبَيْنَ أَنْ الْوَاجِبَ كَانَ قَتْلَهَا عَيْنًا لَوْلَا فَوَاتُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِيهِ خَيْرَةً إِلَى الْإِمَامِ، لَا سِيَّمَا وَالسَّابَّةُ امْرَأَةٌ، وَذَلِكَ وَحْدَهُ دَلِيلٌ.

□ ومثل قول ابن عمر «وقد مرَّ به راهبٌ، فقيل له: هذا يسبُّ النبيَّ ﷺ»، فقال ابن عمر: لو سمعته لقتلته، إنا لم نُعْطِهِمُ الذِّمَّةَ عَلَى أَنْ يَسْبُوا نَبِيَّنَا»^(١).

ولو كان كالأسير الذي يُخَيَّرُ فِيهِ الْإِمَامُ، لَمْ يَجْزُ لِابْنِ عُمَرَ اخْتِيَارُ قَتْلِهِ، وَهَذَا الدَّلِيلُ وَاضِحٌ.

الدليل السادس: أن ناقض العهد بسب النبي ﷺ ونحوه حاله أغلظ من حال الحربي الأصلي، كما أن حال المرتد أغلظ من حال الكافر الأصلي؛ لأنه اجتمع فيه الحراب الأصلي، وخروجه عما عاهدنا عليه بالظعن في الدين وأذى الله ورسوله، ومثل هذا يجب أن يُعاقب عقوبة تزجر أمثاله عن مثل حاله، والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فِيمَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٧].

فأمر الله رسوله إذا صادف الناكثين بالعهد في الحرب أن يُشردَّ بهم غيرهم من الكفار، بأن يفعل بهم ما يتفرق به أولئك.

(١) رواه ثقات: عزاه ابن حجر في «المطالب العالية» (٢/ ١٧٥ ح ١٩٨٦) إلى «مسند مُسَدَّد»، وفي حاشيته: قال البوصيري: رواه مُسَدَّدٌ بِسَنَدٍ فِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمَّ، وَالْحَارِثُ فِي مَسْنَدِهِ بِسَنَدٍ رَوَاتُهُ ثِقَاتٌ. انظر «أحكام أهل الملل» للخلال - كتاب الحدود - باب: فيمن شتم النبي ﷺ.

* وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣].

فحضرَّ على قتالٍ من نكثَ اليمينَ وهمَّ بإخراجِ الرسولِ وبدأ بنقضِ العهدِ، ومعلومٌ أن من سبَّ الرسولَ ﷺ فقد نقضَ العهدَ وفعلَ ما هو أعظمُ من الهَمِّ بإخراجِ الرسولِ وبدئنا أولَ مرة.

* ثم قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٤ وَيَذْهَبُ غِيظَ قُلُوبِهِمْ ﴿

[التوبة: ١٤-١٥].

فعلم أن تعذيبَ هؤلاء، وإخزاءهم، ونصرَ المؤمنين عليهم، وشفاءَ صدورهم بالانتقام منهم، وذهابَ غيظِ قلوبهم مما آذوهم به: أمرٌ مقصودٌ للشارع، مطلوبٌ في الدين، ومعلومٌ أن هذا المقصودَ لا يحصلُ ممن سبَّ النبيَّ ﷺ وآذى اللهَ ورسولهَ وعبادَه المؤمنين إلا بقتله، لا يحصلُ بمجردِ استرقاقه، ولا بالمنِّ عليه، والمفاداة به.

وكذلك تنكيلُ غيره من الكفَّار - الذين قد يُريدون إظهارَ السبِّ - لا يحصلُ على سبيلِ التَّمامِ إلا بذلك.

الدليل السابع: أن الذمِّيَّ إذا سبَّ النبيَّ ﷺ فقد صدرَ منه فعلٌ تضمَّنَ أمرين:

أحدهما: انتقاصُ العهدِ الذي بيننا وبينه.

والثاني: جنايته على عرضِ رسولِ الله ﷺ وانتهاكِ حرمةِ وإيذاءِ الله تعالى ورسوله والمؤمنين وطعته في الدين، وهذا معنَى زائدٌ على مجردِ كونه

كَافِرًا قَدْ نَقَضَ الْعَهْدَ .

وَنظِيرُ ذَلِكَ أَنْ يَنْقُضَهُ بِالزَّئِنِ بِمُسْلِمَةٍ أَوْ بِقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَتْلِهِمْ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ أَوْ بِقَتْلِ مُسْلِمٍ ، فَإِنَّ فِعْلَهُ - مَعَ كَوْنِهِ نَقْضًا لِلْعَهْدِ - قَدْ تَضَمَّنَ جُنَايَةَ أُخْرَى ، فَإِنَّ الزَّئِنَ وَقَطْعَ الطَّرِيقِ وَالْقَتْلَ - مِنْ حَيْثُ هُوَ - هُوَ جُنَايَةٌ ، وَنَقْضَ الْعَهْدِ جُنَايَةٌ ، كَذَلِكَ هُنَا سَبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مِنْ حَيْثُ هُوَ - هُوَ جُنَايَةٌ مُنْفَصِلَةٌ عَنِ نَقْضِ الْعَهْدِ ، لَهُ عِقَابَةٌ تَخْصُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ زَائِدَةٌ عَلَى مَجْرَدِ عِقَابَةِ التَّكْذِيبِ بِنَبِيِّتِهِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾

[الأحزاب: ٥٧] .

فَعَلَّقَ اللَّعْنَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْعَذَابَ الْمُهِينَ بِنَفْسِ أَذَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ مُوجِبٌ لِذَلِكَ .

* وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَكُفَّرُوا بِمِثْلِ آبَائِكُمْ وَإِنْ تَكُفَّرُوا بِمِثْلِ آبَائِكُمْ وَإِنْ تَكُفَّرُوا بِمِثْلِ آبَائِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢] .

يُوضِّحُ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ آمَنَ النَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا يُقَاتِلُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَالَّذِينَ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَخَانُوهُ إِلَّا نَفَرًا ، مِنْهُمْ الْقَيْنَتَانِ اللَّتَانِ كَانَتَا تَغْيِيَانِ بِهِجَائِهِ ، وَسَارَةَ مَوْلَاةَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّتِي كَانَتْ تُؤْذِيهِ بِمَكَّةَ ، فَإِذَا كَانَ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الَّتِي كَانَتْ تَهْجُوهُ مِنَ النِّسَاءِ - مَعَ أَنَّ قَتْلَ الْمَرْأَةِ لَا يَجُوزُ إِلَّا إِذَا قَاتَلَتْ - ، وَهُوَ ﷺ قَدْ آمَنَ جَمِيعَ أَهْلِ مَكَّةَ مَنْ كَانَ قَدْ قَاتَلَ وَنَقَضَ الْعَهْدَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، عَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْهَيْجَاءَ جُنَايَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَجْرَدِ الْقِتَالِ وَالْحِرَابِ ؛ لِأَنَّ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمُتَمَاتِلِينَ لَا يَقَعُ

من النبي ﷺ .

□ إن سبَّ الرسول ﷺ جنايةٌ لها موقعٌ يزيدُ على عامةِ الجناياتِ ، بحيثُ يستحقُّ صاحبُها مع العقوبة ما لا يستحقُّه غيره . وإن كان كافرًا حربياً مبالغاً في محاربة المسلمين . ، وإن وجوب الانتصار من كان هذه حاله أمرٌ مؤكَّدٌ في الدين ، والسعيُّ في إهدارِ دمه من أفضلِ الأعمالِ وأوجبها وأحقها بالمسارعةِ إليه وابتغاءِ رضوانِ الله تعالى فيه ، وأبلغُ الجهادِ الذي كتبه اللهُ على عباده وفرضه عليهم ، ومن تأملَ الذين أهدرَ النبيُّ ﷺ دماءهم يومَ «الفتح» ، واشتدَّ غضبه عليهم حتى قتل بعضهم في نفسِ الحرمِ وأعرضَ عن بعضهم ، وانتظر قتلَ بعضهم ، وجدَّ لهم جرائمَ زائدةً على الكفرِ والحربِ من ردةٍ وقتلٍ ونحو ذلك ، وجُرِّمَ أكثرهم إنما كان من سبِّ رسولِ الله ﷺ وأذاه بألسنتهم ، فأبي دليلٍ أوضحُ من هذا؟! .

□ وما يدلُّ على أن السبَّ كان جنايةً زائدةً على كونه كُفراً وحرباً - وإن كان متضمناً لذلك - أن النبيَّ ﷺ قد كان يعفو عمَّن يؤذيه من المنافقين ، وقد كان له أن يقتلهم ، ولو كان السبُّ مجرد ردةً لوجب قتله ، كالمرتدِّ يجبُ قتله ، فعلم أنه قد يغلبُ في السبِّ حقُّ النبيِّ ﷺ بحيثُ يجوزُ له العفو عنه .

□ وما يدلُّ على أن السبَّ جنايةٌ مفردةٌ أنَّ الذمِّيَّ لو سبَّ واحداً من المسلمين أو المعاهدين ونقضَ العهد ، لكان سبُّ ذلك الرجلِ جنايةً عليه يستحقُّ بها من العقوبة ما لا يستحقُّه بمجردِ نقضِ العهد ، أف يكون سبُّ رسولِ الله ﷺ دونَ سبِّ واحدٍ من البشر؟! .

□ وما يدلُّ على ذلك أن سابَّ النبيَّ ﷺ وشاتمَه يؤذيه شتمه وهجاؤه

كما يؤذيه التعرُّضُ لدمه وماله .

* قال الله تعالى لما ذكر الغيبة: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

فَجَعَلَ الْغَيْبَةَ - الَّتِي هِيَ كَلَامٌ صَحِيحٌ - بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ لَحْمِ الْمَغْتَابِ مَيْتًا، فَكَيْفَ بِيَهْتَانِهِ؟ وَسَبُّ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَكُونُ قَطُّ إِلَّا بَهْتَانًا .

● وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «لَعَنَ الْمُؤْمِنِ كَقْتَلِهِ»^(١) .

□ وأيضاً، فإن ذلك يؤذي جميع المؤمنين، ويؤذي الله سبحانه وتعالى، ومجرد الكفر والمحاربة لا يحصلُ بهما من أذاه ما يحصلُ بالوقية في العرْضِ مع المحاربة .

ودماء الأنبياء وأعراضهم أجلُّ من دماء المؤمنين وأعراضهم، فإذا كان دماء غيرهم وأعراضهم لا تندرج عقوبتها في عقوبة مجرد نقض العهد، فإن لا تندرج عقوبة دمائهم وأعراضهم في عقوبة نقض العهد بطريق الأولى .

□ ومما يوضح ذلك أن سبَّ النبي ﷺ تعلَّقَ به عدَّةٌ حقوق:

١ - حقُّ الله سبحانه، من حيثُ كفر برسوله وعادى أفضل أوليائه،

(١) من حديث ثابت بن الضحَّاك . رواه البخاري: في كتاب الأدب - باب ما ينهى عن السباب واللَّعان (١٠/٤٧٩ ح ٦٠٤٧) بلفظ: «ومن لعن مؤمناً فهو كقاتله»، وفي كتاب الأيمان والنذور - باب من حلف بملةٍ سوى ملة الإسلام (١١/٥٤٦ ح ٦٦٥٢)، ورواه مسلم: في كتاب الأيمان - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/١٠٤ ح ١١٠)، والترمذي: في كتاب الأيمان - باب ما جاء فيمن رمى أخاه بكفر (٥/٢٢ ح ٢٦٣٦) بلفظ: «لأعن المؤمن كقاتله»، وأحمد في «المسند» (٤/٣٣)، والدارمي في كتاب الديات - باب التشديد على من قتل نفسه (٢/٢٥٢ ح ٢٣٦١) .

وبارزَه بالمحاربة، ومِن حيث طَعَنَ في كتابه ودينه، فَإِنَّ صَحَّتْهُمَا موقوفةٌ على صِحَّةِ الرِّسَالَةِ، ومِن حيث طَعَنَ في ألوهيته؛ فَإِنَّ الطَّعْنَ في الرِّسُولِ طَعْنٌ في الرُّسُلِ، وتكذيبه تكذيبٌ لله تبارك وتعالى وإنكارٌ لكلامه وأمره وخبره وكثيرٍ من صفاته.

٢ - وتعلَّقَ به حقُّ جميع المؤمنين من هذه الأمة ومِن غيرها من الأمم؛ فَإِنَّ جميع المؤمنين مؤمنون به - خصوصاً أمته -، فَإِنَّ قيامَ أمرِ دنياهم ودينهم وآخرتهم به، بل عامَّةُ الخيرِ الذي يُصيِّبُهُم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته، فالسَّبُّ له أعظمُ عندهم مِن سَبِّ أنفسهم وأولادهم وأبائهم وأبنائهم وسبِّ جميعهم، كما أَنَّهُ أَحَبُّ إليهم من أنفسهم وأولادهم وأبائهم والناسِ أجمعين.

٣ - وتعلَّقَ به حقُّ رسولِ الله ﷺ مِن حيثُ خصوصِ نفسه، فَإِنَّ الإنسانَ تُؤذيه الوقعةُ في عِرْضِهِ أَكْثَرَ مما يُؤذيه أَخْذُ ماله، وأكْثَرَ مما يُؤذيه الضربُ، بل ربما كانت عنده أعظمَ من الجرحِ ونحوه، خصوصاً مَن يجبُ عليه أن يُظهِرَ للناسِ كمالَ عِرْضِهِ وعلوَّ قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة، فَإِنَّ هَتْكَ عِرْضِهِ قد يكونُ أعظمَ عنده مِن قَتْلِهِ، فَإِنَّ قَتْلَهُ لا يَقْدَحُ عند الناسِ في نبوتِهِ ورسالتِهِ وعلوِّ قدره، كما أن موته لا يَقْدَحُ في ذلك، بخلافِ الوقعةِ في عِرْضِهِ، فَإِنَّهَا قد تُؤثِّرُ في نفوسِ بعضِ الناسِ من التُّفْرَةِ عنه وسوءِ الظَّنِّ به ما يُفسِدُ عليهم إيمانهم، ويوجبُ لهم خسارةَ الدنيا والآخرة.

فَعَلِمَ بذلك أن السَّبَّ فيه من الأذى لله ولرسوله ولعبادِهِ المؤمنين ما ليس في الكُفْرِ والمُحَارَبَةِ.

إذا ثبت ذلك نقول: هذه الجناية - جناية السب - موجبها القتل؛ لِمَا تقدم من قوله ﷺ: «مَنْ لَعَبِ بْنِ لِأَشْرَفٍ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟» (١).

فَعَلِمَ أَنَّ مَنْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَانَ حَقُّهُ أَنْ يُقْتَلَ.

وَلِمَا تَقَدَّمَ مِنْ إِهْدَارِ النَّبِيِّ ﷺ دَمَ الْمَرْأَةِ السَّابَّةِ، مَعَ أَنَّهَا لَا تُقْتَلُ لِمَجْرَدِ نَقْضِ الْعَهْدِ، وَلِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِهِ ﷺ بِقَتْلِ مَنْ كَانَ يَسْبُهُ مَعَ إِسْكَاهِ عَمَّنْ هُوَ بِمَنْزِلَتِهِ فِي الدِّينِ، وَنَدْبِهِ النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ، وَالثَّنَاءِ عَلَى مَنْ سَارَعَ فِي ذَلِكَ، وَلِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ، وَمِنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «أَنَّ مِنْ سَبِّ نَبِيٍّ قُتِلَ، وَمَنْ سَبَّ غَيْرَ نَبِيٍّ جُلِدَ».

الدليل الثامن: أَنَّ سَبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مَعَ كَوْنِهِ مِنْ جِنْسِ الْكُفْرِ وَالْحِرَابِ - أَعْظَمُ مِنْ مُجْرَدِ الرَّدِّ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِ رِدَّةٌ وَزِيَادَةٌ، فَإِذَا كَانَ كُفْرُ الْمُرْتَدِّ قَدْ تَغَلَّظَ لِكَوْنِهِ قَدْ خَرَجَ عَنِ الدِّينِ - بَعْدَ أَنْ دَخَلَ فِيهِ -، فَأَوْجَبَ الْقَتْلَ عَيْنًا، فَكُفْرُ السَّابِّ الَّذِي آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ أَوْلَى أَنْ يَتَغَلَّظَ فَيُوجِبَ الْقَتْلَ عَيْنًا؛ لِأَنَّ مَفْسَدَةَ السَّبِّ فِي أَنْوَاعِ الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ مَفْسَدَةِ مُجْرَدِ الرَّدِّ.

الدليل التاسع: أَنَّ تَطْهِيرَ الْأَرْضِ مِنْ إِظْهَارِ سَبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاجِبٌ حَسَبَ الْإِمْكَانِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ ظُهُورِ الدِّينِ وَعَلَوِّ كَلِمَةِ اللَّهِ وَكَوْنِ الدِّينِ كُلِّهِ لِلَّهِ، فَحَيْثَمَا ظَهَرَ سَبُّهُ وَلَمْ يُنْتَقَمْ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنِ الدِّينُ ظَاهِرًا وَلَا كَلِمَةُ اللَّهِ عَالِيَةً، وَهَذَا كَمَا يَجِبُ تَطْهِيرُهَا مِنَ الزُّنَاةِ وَالسَّرَاقِ وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، بِخِلَافِ تَطْهِيرِهَا مِنْ أَصْلِ الْكُفْرِ، فَإِنَّهُ

(١) حديث صحيح: سبق تخريجه.

ليس بواجب .

وكلُّ جنايةٍ وَجَبَ تطهيرُ الأرضِ منها بحسَبِ القُدرةِ، تتعَيَّنُ عقوبةُ فاعلِها العقوبةُ المُحدَّدةُ في الشرعِ إذا لم يكن لها مستحقٌّ مُعيَّنٌ، فوجب أن يتعَيَّنَ قتلُ هذا؛ لأنه ليس لهذه الجنايةِ مستحقٌّ مُعيَّنٌ؛ لأنه تعلَّقَ بها حقُّ الله ورسوله وجميعِ المؤمنين، وبهذا يظهرُ الفرقُ بين السَّابِّ وبين الكافرِ، لجواز إقرارِ ذلك على كفره مُستخفياً به ملتزماً بحكمِ الله ورسوله، بخلافِ المظهرِ للسَّبِّ.

الدليل العاشر: أن قتلَ سابِّ النبي ﷺ - وإن كان قتلَ كافرٍ -، فهو حدٌّ من الحدود، ليس قتلاً على مجردِ الكفرِ والحرابِ، لِمَا تقدَّم من الأحاديثِ الدالَّةِ على أنه جنايةٌ زائدةٌ على مجردِ الكفرِ والمحاربةِ، ومن أن النبي ﷺ وأصحابه أمرُوا فيه بالقتلِ عيناً، وليس هذا موجبَ الكفرِ والمعينةِ، ولِمَا تقدَّم من قولِ الصِّدِّيقِ ؓ في التي سبَّت النبي ﷺ: «إنَّ حدَّ الأنبياءِ ليس يُشبهُ الحدودَ»، ومعلومٌ أن قتلَ الأسيرِ الحربيِّ ونحوه من الكفارِ والمحاربين لا يُسمَّى «حدّاً»، ولأن ظهورَ سبه في ديار المسلمين فسادٌ عظيمٌ أعظمُ من جرائمِ كثيرةٍ؛ فلا بدَّ أن يُشرعَ له حدٌّ يُزجرُ عنه من يتعاطاه، فإن الشارعَ لا يهملُ مثلَ هذه المفاصد، ولا يُخليها من الزواجر، وقد ثبت أن حدَّ القتلِ بالسنةِ والإجماعِ، وهو حدٌّ لغيرِ مُعيَّنٍ حيٍّ، لأن الحقَّ فيه لله تعالى ورسوله ﷺ - وهو ميِّتٌ - ولكلِّ مؤمنٍ، وكلُّ حدٍّ يكونُ بهذه المثابة، فإنه يتعَيَّنُ إقامتهُ بالاتفاق .

الدليل الحادي عشر: أن نصرَ رسولِ الله ﷺ وتعزيره وتوقيره واجبٌ، وقتلَ سابه مشروعٌ، فلو جاز تركُ قتله لم يكن ذلك نصراً له ولا تعزيراً ولا

توقيراً، بل ذلك أقلّ نصره؛ لأن السَّابَّ في أيدينا ونحن متمكّنون منه، فإن لم نقتله - مع أن قتله جائز -، لكان ذلك غايةً في الخُذْلانِ وتركِ التعزيرِ له والتوقيرِ . . وهذا ظاهر»^(١) .

رَحِمَ اللَّهُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، جَزَاءَ دِفَاعِهِ عَنِ نَبِيِّهِ الْعَظِيمِ ﷺ . . وَنَسَأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَحْشُرَنَا مَعَهُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . . آمِينَ .

(١) انظر: «الصارم المسلول» (ص ٥١٢-٥٤١).

وقفاتُ شرعيةً مع جريمة

الإساءة إلى مقام النبي ﷺ

□ في مقاله الطيب بمجلة «البيان»^(١) قال الشيخ محمد بن صالح المنجد: «ساء كل مسلم غيور على دينه ما قام به السفهاء المجرمون من الاستهزاء بنبينا محمد ﷺ - وهو أفضل من وطئت قدماه الثرى، وهو سيد الأولين والآخرين صلوات ربي وسلامه عليه..»

وهذه الوقاحة ليست غريبة عنهم؛ فهم أحقُّ بها وأهلها؛ فقد كفروا بالله - تعالى - وسبوه ونسبوا إليه صاحبةً والولد.

فماذا ينقم هؤلاء من سيد البشر محمد ﷺ؟! :

هل ينقمون منه أنه دعا إلى توحيد الله - تعالى - وهم لا يؤمنون لله بالوحدانية؟ .

أم ينقمون منه أنه عظم ربه - تبارك وتعالى - ونزّهه عما يقوله هؤلاء المفترون، وهم ينسبون إليه النقص والصاحبة والولد؟ .

أم ينقمون منه أنه دعا إلى معالي الأخلاق، وترك سفاسفها، ودعا إلى الفضيلة، وسد كل باب يؤدي إلى الرذيلة، وهم يريدونها فوضى أخلاقية وجنسية عارمة؟ .

يريدون أن يغرقوا في مستنقع الشهوات والرذيلة، وقد كان لهم ما أرادوا! .

(١) مجلة «البيان» العدد (٢٢٢) (ص ٣٠-٣٧).

أَمْ يَنْقَمُونَ مِنْهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ وَاللَّهِ - تَعَالَى - هُوَ الَّذِي اصْطَفَاهُ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِهِ وَوَحْيِهِ؟ .

ودلائلُ نبوته ﷺ أكثرُ من أن تُحصَرَ: شقَّ اللهُ له القمرُ ليرى الكفارَ آيةً، ونبَع الماءُ من بين أصابعه ﷺ مراتٍ، وتكلَّمت الشاةُ المسمومةُ فأخبرته أن بذراعها سُمًّا، وأعطاه خمَسًا لم يُعْطِهنَّ أحدًا من الأنبياء قبله، منها نصره بالرعب مسيرة شهر، وبعثه للناس كافةً: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا: ٢٨].

أَمْ لَمْ يَسْمَعُوا عَنْ آيَتِهِ الْكَبِيرَى، هَذَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي حَفِظَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - فَلَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ يَدُ الْعَابِثِينَ الْمُحَرِّفِينَ، أَمَا كُتِبَتْهُمُ الْمَنْزَلَةُ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَتَلَاعَبُوا بِهَا أَيَّمَا تَلَاعَبٍ: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

بل من أعظم الأدلة على صدق نبينا محمد ﷺ بقاء دينه هذه القرون الطويلة ظاهراً منصوراً، وقد كان أمره ﷺ في حياته دائماً إلى ظهورٍ وعلوٍّ على أعدائه، وحكمة الله تعالى تأبى أن يُمكن كاذباً عليه وعلى دينه من العلوِّ في الأرض هذه المدة الطويلة، بل في كتبهم التي كتبتها علماءهم وحرَّفوها أن الكذاب (مدَّعي النبوة) لا يمكن أن يبقى إلا مدةً يسيرةً ثم ينكشف أمره ويضمحل.

كما ذُكر عن أحد ملوكهم أنه أتى برجلٍ من أهل دينه (نصراني) كان يسبُّ النبي ﷺ، ويرميه بالكذب، فجمع الملكُ علماءً ملته، وسألهم: كم يبقى الكذاب؟ فقالوا: كذا وكذا - ثلاثين سنةً أو نحوها -، فقال الملك:

وهذا دينُ محمد له أكثرُ من خَمْسِمِئَةِ سنةٍ أو سِتِّمِئَةِ سنةٍ (يعني: في أيام هذا المَلِكِ)، وهو ظاهرٌ مقبولٌ متبوعٌ؛ فكيف يكونُ هذا كذاباً، ثم ضَرَبَ عُنُقَ ذلك الرجل (١)!! .

ألم يعلموا أن كثيراً من عُقلائهم وملوكهم وعلماهم لَمَّا وَصَلت إليهم دعوةُ الإسلامِ بيضاءَ نقيَّةً، لم يَمَلِكُوا إلاَّ الإقرارَ بصحَّةِ هذا الدين، وعظَّموا النبيَّ ﷺ، ومنهم من أعلن الدخولَ في الإسلامِ؟! .
فقد أقرَّ مَلِكُ الحبشةِ «النجاشيُّ» بذلك، ودَخَلَ في الإسلامِ.

ولمَّا أرسل النبيُّ ﷺ كتاباً إلى «هرقل» مَلِكِ الرومِ يدعوه فيه إلى الإسلامِ، أقرَّ هرقلُ بصحَّةِ نبوته، وهمَّ أن يُعلنَ إسلامه وتمنَّى أن يذهبَ إلى الرسولِ ﷺ ويكونَ خادماً عنده، إلاَّ أنه خافَ على نفسه من أهلِ ملته ثم ضنَّ بمُلْكِهِ وأخذته شهوةُ الرئاسة، فبقي على الكفرِ ومات عليه.
ولم يزلِ الكثيرُ من مُفكِّريهم وكتَّابهم ومؤرِّخيهم المنصفين يُعلنون الثناءَ على محمد ﷺ.

١ - «برنارد شو» الإنكليزي، له مؤلَّف أسماه «محمد» يقول: «إن العالمَ أحوجُ ما يكونُ إلى رجلٍ في تفكيرِ محمدٍ، وإنَّ رجالَ الدينِ في القرونِ الوسطى، ونتيجةً للجهلِ أو التعصُّب، قد رَسَموا لدينِ محمدٍ صورةً قائمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للنصرانية، لكنني اطَّلعتُ على أمرِ هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصَّلتُ إلى أنه لم يكن عدواً للنصرانية، بل يجبُ أن يُسمَى «منقذ البشرية»، وفي رأيي أنه لو تولَّى أمرَ

(١) «شرح العقيدة الأصفهانية» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمّن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها».

٢ - ويقول «آن بيزيت»: «من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبيّ العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبيّ وكيف علّم الناس، إلاّ أن يشعر بتبجيل هذا النبيّ الجليل، أحد رسل الله العظماء».

٣ - وقال «شبرك» النمساوي: «إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها؛ إذ إنّه رغم أميّته، استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع، سنكون - نحن الأوروبيين - أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته».

٤ - ويقول «جوته» المفكر الألماني: «إننا - أهل أوروبا - بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبيّ محمد، وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كلّه بكلمة التوحيد»^(١).

وقد ميز الله - سبحانه وتعالى - نبينا محمداً ﷺ وكرّمه بعدد من المعجزات الباهرات، خصّه بأشياء دون غيره من الأنبياء، ومعرفة هذه الخصائص تزيدنا في معرفة النبي ﷺ وتجعلنا نُحبه، ويزداد إيماننا به، فنزداد له تبجيلاً، ونزداد له شوقاً.

والخصائص النبوية: «هي الفضائل والأمر التي انفرد بها النبي ﷺ»

(١) للتوسّع في النقول: انظر «الرسول ﷺ في الدراسات الاستشراقية المنصّفة» لمحمد شريف الشيباني.

وامتاز بها إما عن إخوانه الأنبياء، وإمّا عن سائر البشر» . .
 فاقَ البُدورَ وفاقَ الأنبياءَ فكَمَ بِالخَلْقِ وَالخَلْقِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ عَظَمِ
 وخصائصه - عليه الصلاة والسلام - التي اختص بها دون بقية الأنبياء
 - عليهم السلام - كثيرة، دنيوية وأخروية^(١) .

* فمن الخصائص الدنيوية :

اختصاصه ﷺ بأن آيته العظمى في كتابه، وبأن كتابه مشتملٌ على ما
 اشتملت عليه الكتب السابقة، وفُضِّلَ بالمفصل وبخواتيم سورة البقرة وبقاء
 معجزته إلى يوم الدين . .

جاء النبيون بالآيات فاصرمت وجئتنا بحكيم غير منصرم
 ومنها: اختصاصُ النبي ﷺ بكونه خاتم النبيين وإرساله إلى الثقلين .

ومنها: اختصاصُ النبي ﷺ بأن السماء حُرست بمبعثه، وباختصاصه
 بالإسراء والمعراج، وأنه - عليه الصلاة والسلام - أمهم جميعاً فكانوا وراءه
 هو الإمامُ وهم المأمومون، واختصاصه بأخذ الميثاق له من جميع الأنبياء
 بالإيمان به ونصرتِه، وأنه سيدُ ولد آدم، وبأنه أُوتي مفاتيح خزائن الأرض .

* وأما خصائصه الأخروية فمنها :

اختصاصه ﷺ بأنه أولُ مَنْ تُشَقُّ عنه الأرضُ يوم القيامة، وبإعطائه
 لواء الحمد، وبأن الله تعالى يبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً، وأنه أولُ مَنْ
 يدخلُ الجنةَ يوم القيامة، وبأنه أولُ شفيع في الجنة، وأولُ مَنْ يقرعُ بابها،
 وبأنه أكثرُ الأنبياء تابِعاً يوم القيامة، ويدخلُ من أمته الجنةَ سبعون ألفاً بغير

(١) انظر جَمْعِي وكتابي «الكوكب الدرِّي في خصائص النبي» .

حساب، وبأنه أولُ مَنْ يَجُوزُ الصِّرَاطَ مِنَ الرِّسْلِ بِأُمَّتِهِ، وَبِإِعْطَائِهِ الْكَوْثَرَ:

﴿وَكَانَ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

رَبَّكَ رَبُّكَ.. جَلَّ مِنْ رَبَّاكَ وَرِعَاكَ فِي كَنْفِ الْهَدْيِ وَحَمَاكَ
سَبْحَانَهُ أَعْطَاكَ فَيْضَ فَضَائِلٍ لَمْ يُعْطِهَا فِي الْعَالَمِينَ سِوَاكَ
وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ مِنْ وَاجِبِ الْعَالَمِ كُلِّهِ - وَلَا مَحِيصَ لَهُ عَنْ
ذَلِكَ - أَنْ يَجْعَلَ عِظَمَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْخَلْقِ جَمِيعًا فَوْقَ كُلِّ عِظَمَةٍ، وَفَضْلَهُ
فَوْقَ كُلِّ فَضْلٍ، وَتَقْدِيرَهُ أَكْبَرَ مِنْ كُلِّ تَقْدِيرٍ، وَيَجِبُ عَلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ أَنْ
يُؤْمِنَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْكَرَامِ.

وَنَحْنُ نَغْتَمُّ هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَنَدْعُو هَؤُلَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ مَا اقْتَرَفْتَهُ
أَيْدِيهِمُ الْآثِمَةُ لَا يَمُحُوهُ إِلَّا الْإِسْلَامُ، فَإِنَّ عَانَدُوا وَكَابَرُوا وَأَصْرُوا عَلَيَّ مَا هُمْ
عَلَيْهِ، فَلْيُشِيرُوا بِعَذَابِ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

* وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

● وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ
الْأُمَّةِ - يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ - ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

* ولنا مع هذا الحديثِ وقفات :

أولاً: مصالح وبيانات:

* قال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كثيراً﴾ [النساء: ١٩].

● وقال الرسول ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ

ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»^(١).

□ وقديماً قيل :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوِّ وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْخَلْقِ بِالنَّعْمِ

□ وقيل : «وربما صَحَّتْ الأبدانُ بالعلل».

فما وقع من الاستهزاءِ آثارِ حميةِ المسلمين لله تعالى ولرسوله ﷺ،

وأيظهم من سبّاتهم، وبصرهم بأعدائهم؛ فهي طعنة أَلَمْتَنَا ولكنها أيقظتنا،

وقد قال تعالى في حادثة الإفك التي هي صورة من صور أذيته ﷺ: ﴿لَا

تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١].

فمثلُ هذا الهجماتِ صارت سبباً في حصولِ خيرٍ كثيرٍ للمسلمين،

وحصولِ الخزي والصغار لأعدائهم. . فمن ذلك :

* اختلافُ الأعداء وانقسامهم :

إذ حصلَ خلافٌ بين الشركاتِ الكبرى التي تأثرت من المقاطعة من

جهةٍ، والجهاتِ التي نشرت ما نشرت من جهةٍ أخرى، كما انقسم الشعبُ

الداغماركيُّ على نفسه إزاء ما حصل : هل هو فعلاً من حرية الرأي؟ أم أنه

اعتداءٌ وعدوانٌ؟ .

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

* عَلُوُّ الصَّوْتِ الْإِسْلَامِيِّ :

فهذه الأزمة أعادت الاعتبار للمسلمين، وجعلت لهم وزناً، وأصبح كلُّ حاقِدٍ على الإسلام يُعيدُ حساباته قبلَ أن ينالَ من الإسلام وأهله .
وتملَّقَ الكثيرُ من المنافقين للمدِّ الإسلامي، واشترك بعضهم في المقاطعة قائلاً: «لقد تعدَّت القضية الخطأ الأحمر»، بل حتى إن بعض القنوات الهابطة أصبحت تُعلنُ أخبارَ الغضب الإسلامي وتُظهرُ تأييده، وفَرَضت مُجريات الأحداث على وسائل الإعلام العالمية أن تقومَ بتغطيتها تغطيةً كاملة، وتكلِّمَ الساسةَ الكبارَ وزعماءَ الدول وأدلوها بتصريحاتٍ حول الموضوع.

* فِي الْأُمَّةِ خَيْرٌ كَثِيرٌ :

أثبتت هذه الحادثة الدنيئة أن أُمَّتَنَا أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وأنها إذا مَرَضت فإنها لا تموت، وفيها رجالٌ يذودون بكلِّ ما أوتوا دونَ نبيِّهم الكَرِيمِ ﷺ، وأن فيها خيراً كثيراً، ولكنها تعيشُ فترةً من التخديرِ والخمول، وأنها إذا استيقظت فستتحركُ كالبركان، وهذا ما رأيناه من التسابقِ في المساهمة والبذل، وما نسمعُه من استنفارِ الأمةِ كُلِّها، والتحركِ في جميعِ المجالات؛ حيث شارك في هذه الحملة المحامون والتجارُ والصنَّاعُ والأكاديميون والطلابُ والصِّغارُ والكبارُ والرجالُ والنساءُ.

* تَوْحِيدُ صَفُوفِ الْمُسْلِمِينَ :

فرأينا - ولله الحمد - تكاتفَ المسلمين وتبنيهم لنفسِ المواقف، وإن اختلفت البلدانُ واللغاتُ.

ويمكننا القول: إن الأمة الإسلامية في العصر الحديث قلما قابلت حدثًا كان له مثلُ هذا التأثير . . .

عِرضي فدا عِرضِ الحبيبِ محمدٍ وفداه
مُهَجَّةٌ خافِقي وجَنانِي
وفداه كلُّ صغيرِنا وكبيرِنا
وفداه ما نَظَرْت له العَيْنانِ

* إحياءُ جذوةِ الإيمانِ في قلوبِ المسلمين :

فقد رأينا من ردِّ فعلِ المسلمين ما يدلُّ على محبتهم للنبي ﷺ ، حتى من عنده شيءٌ من التفريطِ في بعضِ واجباتِ الدين ، ثار دفاعاً عن الرسول الكريم ﷺ ، ولا عجبَ في ذلك ؛ فإن للرسول ﷺ في قلوبِ المسلمين المكانةَ العظمى والمحبةَ الكبرى .

* ظهر في الأزمنة أن أهلَ التوحيدِ الخالصِ هم أهلُ النصرَةِ والمحبةِ الحقيقية :

بخلاف بعضِ أهلِ البدعِ والخرافاتِ الذين ضَعُفت أصواتهم - إلا ما قل - في الذودِ عن عِرضِ النبي ﷺ في أول الأمر ، فدعوى محبةِ النبي ﷺ وآلِ بيته وحدها لا تكفي ، بل لا بد من النصرَةِ بالقولِ والعملِ والمبادرةِ إلى ذلك .

* تبين من الأزمنة حرصُ عددٍ من الغيورين على الدعوةِ إلى الإسلام ، وبيانِ الصورةِ المُشرقةِ الحقيقيةِ لهذا الدين :

من خلالِ ما رأينا من تسابقِ الكثيرين إلى طباعةِ الكتبِ بلُغةِ أولئك

وَبَذَلَ الْمَالَ فِي سَبِيلِ هَذَا، وَهَذَا مَظْهَرٌ يُحْمَدُ وَيَحْتَاجُ إِلَى تَرْشِيدٍ وَوَعْيٍ .

* مسابقة الإعلام وبعض كبار المسؤولين لمواقف الشعوب الإسلامية وحركتها المباركة .

□ إرسال رسالة واضحة للغرب أننا - نحن المسلمين - لا نوضى أبداً أن يُمسَّ ديننا أو يُنالَ منه، أو يُعتدَى على رسولنا؛ فكلُّنا فداءً له - بأبي هو وأمي ﷺ ...

فإنَّ أباي ووالده وعرضي

لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ فِدَاءُ

* ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ :

□ قال ابن سَعْدِي - رحمه الله -: «وقد فعل - تعالى -، فما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به، إلاَّ أَهْلَكَه اللهُ وَقَتْلَهُ شَرًّا قَتْلَهُ .»
□ فهذه الجريمة النكراء - مع أنها تُمزِّقُ قلوبنا، وتملؤها غيظاً وغضباً، ونودُّ أَنْفِدِي رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْفُسِنَا - إلاَّ أنها مع ذلك مما نستبشرُ به بهلاكِ هؤلاء وقربِ زوالِ دولتهم؛ إذ اللهُ - تعالى - يكفي نبيَّه ﷺ المستهزين المجرمين .

وقد كان المسلمون إذا حاصروا أهلَ حصنٍ واستعصى عليهم، ثم سمعواهم يقعون في النبي ﷺ ويسبونونه، يستبشرون بقرب الفتح، ثم ما هو إلا وقتٌ يسير، ويأتي اللهُ - تعالى - بالفتح من عنده؛ انتقاماً لرسوله ﷺ .

وشواهدُ التاريخِ كثيرةٌ على هلاكِ وفضيحةِ المستهزين بالنبي محمد

* ظهورُ اتحادِ الغربِ على الإسلامِ:

فما أن استنجدت تلك الدولة باتحادهم حتى وقفوا جميعاً بجانبها، وتواصى بعضُ المجرمين على نشرِ هذه الصور في صحافتهم تعاوناً على الإثم والعدوانِ، وتفتيتاً للمقاطعة، وتأكيداً لحريةِ النشرِ - بزعمهم -، وكان بعضُ ساستهم يأسفُ لإهانةِ مشاعرِ المسلمين، ثم يتصلُ بكبيرِ الدائمارك ليؤيِّده ويقول: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، حتى يعلموا المسلمين أنهم جميعاً في خندقٍ واحدٍ، وأنا لا نستطيعُ مواجهتهم جميعاً.

* ظهورُ الحقدِ الصليبيِّ الدفينِ:

حيث عبرَ بعضُ مسؤوليهم عن أنه لا بدَّ من إيقافِ المقاطعة ولو أدَّى ذلك إلى شنِّ حربٍ صليبيةٍ جديدةٍ، وهذا - وإن لم يُصرِّحْ به كثيرٌ منهم -، إلا أنها زلَّةٌ تمثِّلُ رأيَ طائفةٍ منهم: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

* اتضاحُ غطرسةِ الغربِ وعناده:

فهو يرفضُ الاعتذارَ - حكومةً وشعباً -، وينظرُ للمسلمين نظرةً استحقاراً. بل يُصرِّحُ بعضُ مسؤوليهم أنهم لا يريدون الاعتذار ولا يرغبون فيه.

* اتضاحُ موقفِ المنافقين:

وهم الواقفون مواقفَ الرِّيبةِ من هذه الجريمة، إمَّا بالسُّكوتِ تارةً، أو بالتَّبريرِ تارةً، أو بالتَّهوينِ تارةً، أو بالاستهزاءِ من استنكارِ المسلمين لهذه الجريمةِ تاراتٍ وتاراتٍ.

* ازدياد أهمية التقليل من الحجم الهائل لمستوردات الدول الإسلامية من العالم الغربي :

والسعي للتعويض عن ذلك بمنتجات دول إسلامية أخرى من خلال اشتراك الموارد مع المال مع الخبرات .

* ظهورُ جدوى تلك المقاطعة التي قام بها المسلمون لمنتجات المعتدين على مقام الرسول الكريم ﷺ :

فلم تتحرك دولتهم لمطالب رسمية أو سياسية ، لكن لما قامت المقاطعة لم يَمْضِ عليها إلا أيامٌ قليلة حتى هَبَّتِ الصحيفةُ الآثمةُ ورئيسُ تحريرها لتدارك الأمر ، وتغيّر أسلوبُ رئيس وزرائهم المكابر ، فلان شيئاً ما مع المسلمين - لا بل مع مصالحه - ، وبهذا يظهرُ سلاحٌ جديدٌ للمسلمين أفراداً وجماعات يُمكن أن يَستخدموه للتأثير على أعدائهم ، وإلحاقِ الضرر بهم^(١) .

* المقاطعة الاقتصادية^(٢) :

لا شك أن للاقتصاد في هذا الزمن تأثيراً كبيراً وفعالاً على مواقف الدول واتجاهاتها؛ وقد أصبحت الدعوةُ إلى مقاطعةِ البضائع والمنتجات التي تُصدرها الدول التي تحاربُ المسلمين ، من وسائلِ الضغطِ عليها لتوقف أو تُخفّفَ من موقفها المُعادي للمسلمين .

(١) راجع «الصارم السلول» (ص ١١٦-١١٧) .

(٢) كتاب «المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها» لخالد الشمراني ، ومقال «مقاطعة بضائع

الكفّار» نظرة شرعية لهاني الجبير «مجلة البيان» عدد ١٧٩ .

وسلاحُ المقاطعةِ سلاحٌ مؤثرٌ بلا شك في المواجهةِ مع الأعداء .
وقد استُخدم هذا السلاحُ قديماً وحديثاً .

فقديماً: استخدمته قريشٌ ضدَّ النبي ﷺ فيما يُسمَّى بـ «شعب أبي طالب»، واستمر ثلاثَ سنوات، وكان تأثيره على المسلمين بالغاً .
وهدد به ثمامةُ بنُ أثال قريشاً عندما منعَ الحنطةَ من بلاد نجد، حتى جاءت قريشٌ وناشدت النبي ﷺ أن يأذنَ لثمامة أن يبيعَهم الحنطة، والقصة في «صحيح البخاري» برقم (٤٣٧٢).

وأما حديثاً: فقد استخدمت المقاطعةُ في الحربِ العالمية بين المتحاربين، واستُخدمت مؤخرًا ضدَّ عددٍ من البلادِ الإسلامية كالعراق وليبيا وأفغانستان والسودان .

واستخدمتها الدول الإسلامية قبلَ معاهداتِ السلام ضد الشركاتِ المتعاونةِ مع إسرائيل .

وفي الحقيقة إن المتابعَ لمجرياتِ الأحداثِ يلمسُ ما لهذه المقاطعةِ من آثارٍ كبيرة تدفعُ بعضَ الشركاتِ إلى التبرُّؤِ من العدوانِ والضغطِ على الساسةِ في بلدانهم لاتخاذ ما يُوقفُها .
هذا من الناحيةِ الواقعية .

* أما من ناحيةِ الحكمِ الشرعي للمقاطعة الاقتصادية :

فإن الأصلَ جوازُ معاملَةِ الكفارِ بالبيعِ والشراءِ سواءً كانوا أهلَ ذمَّةٍ أو عهدٍ أو محاربين، فلا تُمنعُ المقاطعة، ولا تُشرع، ولكنَّ هذا الحكمَ قد يتغيَّرُ بالنظرِ إلى ما يترتبُ على المقاطعةِ الاقتصادية من مصالحٍ أو مفسادٍ :

فإذا غلبَ على الظنِّ إفضاءُ المقاطعةِ الاقتصاديةِ إلى الإضرارِ بالكفارِ

الحريين، من غير أن يترتبَ على ذلك مفسدةٌ تعودُ على المسلمين، فهنا يتأكدُ الأمرُ، وقد يصلُ إلى الوجوب؛ فكلُّ ما يلحقُ الضررَ بمن أعلن لنا العداءَ مطلوبٌ ومأمورٌ به، ولا شك أن التعاملَ التجاريَّ والاقتصاديَّ الحاصلَ في هذا الزمنِ يُبينُ التعاملاتِ التجاريةَ في الأزمانِ السابقة؛ فهو الآن أوسعُ وأشملُ، ولا شك في ارتباطِ الاقتصادِ الآنَ بالسياسةِ وتأثيره، وقد دعا النبي ﷺ على قريشٍ أن تُضيقَ عليهم معيشتهم؛ فعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: إن رسولَ الله ﷺ لَمَّا دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه، فقال: «اللَّهُمَّ أعني عليهم بسبعِ كسبِ يوسف»، فأصابتهم سنةٌ حصت كلَّ شيءٍ (أي: أذهبتَه) ^(١)، حتى كانوا يأكلون الميتة، وكان يقومُ أحدهم، فكان يرى بينه وبين السماءِ مثلَ الدخانِ من الجهدِ والجوعِ، فأتاه أبو سفيان فقال: أيُّ محمد، إن قومك هلكوا؛ فادعُ اللهَ أن يكشفَ عنهم ^(٢).

ففي هذا إشارةٌ إلى استخدامِ السلاحِ الاقتصاديِّ ضدَّ الأعداءِ المحارِبين.

- وإذا كانت المقاطعةُ الاقتصاديةُ لا يترتبُ عليها إضرارٌ بالكفار، بل تعودُ على المسلمين أنفسهم بالضررِ، فهنا يتوجَّهُ القولُ بالتحريمِ ^(٣).

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «الفعلُ إذا كان يُفْضي إلى مفسدةٍ، وليس فيه مصلحةٌ راجحةٌ: يُنهى عنه» ^(٤).

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/٩٨٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٨٢٣).

(٣) أي: تحريم المقاطعة.

(٤) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١/١٦٤).

- وأما إذا كانت المقاطعةُ الاقتصاديةُ ستُوقَعُ الضررَ بالكفار، لكنها في المقابل ستُوقَعُ ضرراً بالمسلمين أيضاً؛ فهنا تعارضت مصلحةُ الإضرارِ بالكفار مع مفسدةِ قوعِ الضررِ على المسلمين، فيُنظر: فإن كنتِ المفسدةُ على المسلمين غالبيةً مُنعتِ المقاطعة، وإن كان المصلحةُ بمقاطعتهم غالبيةً، كانت مأموراً بها، وإن تساوت المصلحةُ والمفسدةُ، فدرءُ المفسدِ مقدّمٌ على جلبِ المصالحِ.

- وأما إذا كانت المقاطعةُ الاقتصاديةُ لا مصلحةَ فيها من حيث الإضرارُ بالكفار، ولا مفسدةَ فيها على المسلمين؛ فلا حرجَ من القولِ باستحبابها؛ لأنها تكونُ من وسائلِ التعبيرِ عن السُّخطِ ضدَّ ممارساتِ الكفارِ العُدوانيةِ، فلو لم ينتج عن هذه المقاطعة إلاّ التعبيرُ عن عقيدةِ الولاءِ بين أهلِ الإيمانِ والبراءةِ من أهلِ الشُّركِ والكفرانِ - والتعبيرُ كذلك عن إرادةِ الشعوبِ الإسلاميةِ - لكفى، فهي على الأقل «تسجيلٌ موقفٌ للشعوبِ الإسلاميةِ».

* دعواتٌ وشعاراتٌ تساقطتُ :

لقد أظهرت هذه الأزمةُ حقائقَ كانت خافيةً على جَمِّ غفيرٍ من الناس؛ فهؤلاءِ القومُ الذين ما فتئوا يدعون أن بلادهم رمزٌ للحريةِ والديمقراطيةِ، ويتشدَّقون باحترامهم لجميعِ الأديانِ، أظهرت هذه الأزمةُ ما تنطوي عليه قلوبُ هؤلاءِ المجرمين من الحقدِ والكُرهِ للمسلمين، وإن تظاهروا في كثيرٍ من الأحيان أنهم مسلمون: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ومنها: انكشافُ تزويرِ الغربِ في معاييرهِ؛ فهنا يحتجُّون بحريةِ الرأيِ

والتعبير، وكلُّ عاقلٍ يَعْلَمُ أن حريّة الرأى المزعومة تقفُ عند المساسِ بحُرمة الآخرين والاعتداءِ عليهم، وهم كاذبون في دعواهم حريّة الرأى؛ فكلُّنا يذكُرُ ما حَدَثَ منذ سنواتٍ قريبةٍ عندما أقدمت حكومة إسلاميةً على تكسيرِ أوثانٍ وأصنامٍ عندها، أقاموا الدنيا وما أقعدوها!! فأين كانت حريّة الرأى المزعومة؟! ولماذا لم يعتبروا هذا أيضاً من حريّة الرأى?! .

وإذا كان الشرعُ والعقلُ - بل والقانون - يَمْنَعُ الإنسانَ أن يتصرفَ في بيته بما يؤذِي جاره، كالأصواتِ المزعجة أو الروائحِ الكريهة؛ فكيف تُقدِّمُ الصحيفةُ على هذه الجريمةِ التي فيها استهانةٌ بمشاعرِ مليارٍ و ٣٠٠ مليون مسلم، ثم تحتجُّ بحريّة الرأى؟ .

ومنها: بيانُ بطلانِ ما يدعو إليه بعضُ المتغريين من أبناءِ جلدتنا بمثل قولهم: «لا تقولوا على غير المسلمين «كُفَّاراً»، بل قولوا «الآخر» حتى لا تُشعلوا نارَ الفتنةِ بيننا وبينهم» .

فتبيّن من الجريمةِ من الذي يكرهُ الآخر، ولا يُراعي حُرْمَتَهُ، ويُعلنُ الحربَ عليه .

ومنها: كذبُ دعاويهم التي ملؤوا بها الدنيا من «حوارِ حضارات» القائم على احترامِ الآخر، وعدمِ الاعتداءِ عليه!! فأىُّ حوارٍ يريدون؟ وأيُّ احترامٍ يزعمون؟ .

إنهم يُريدون منا أن نحترمهم ونوقّرهم ونُعظّمهم، بل ونركعَ لهم ونسجد، أما هم فلا يزدادون إلاّ استهزاءً بنا وسخريةً وظلماً! .

□ ومن المعاني التي تساقطت أيضاً في هذه الأزمة: انهزاميةُ الأمةِ تُجاهَ

الغرب ، فقد كان الغربيون ينظرون إلى الأمة الإسلامية كأنها الرجلُ المريضُ الذي أُصيب بالشلل ، فمهما ضربته فلن يتأوه ، ولن يكون له ردُّ فعل ، ثم إذا بالموازنين تنقلبُ بعد نشرِ تلك الرسوماتِ ، وبدأ رئيسُ الوزراءِ الدانماركي - الذي كان يرفضُ مجردَ لقاءِ سفراءِ البلادِ الإسلاميةِ في بلده - يستأجرُ بعضَ القنواتِ العربيةِ للظهورِ في مقابلاتٍ ، محاولاً تبريرَ موقفه وموقفِ بلاده ، وكذلك رأينا رئيسَ الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ يتحدثُ متتقداً هذه الرسوماتِ ، وكذا الرئيسُ الفرنسي ، والأمينُ العامُّ للأممِ المتحدةِ ، وغيرهم من الساسة ؛ إذ أذهلتهم ردودُ أفعالِ المسلمين ، فكان لا بدَّ لهم من التحدُّثِ بالاستنكارِ ولو تصنعاً ومجاراةً .

فظهرَ أن مرضَ الأمةِ مؤقتٌ ، وأنها متى أخذتِ بأسبابِ السلامةِ والعافية - ومن أعظمها : اتحادها - فسوف تفعلُ الكثيرَ والكثيرَ .

* المخذلونُ كثرُ :

في ظلِّ توحُّدِ المسلمين واجتماعِ كلمتهم على موقفٍ واحدٍ في التصديِّ لهذه الهجمةِ ، يُسرُّ المرءُ لما يرى ويشاهدُ من الغيرةِ الإسلاميةِ العظيمةِ المتولِّدةِ من الغضبِ لانتهاكِ حرمةِ ﷺ .

إلَّا أننا نرى هنا وهناك مَنْ يحاولُ تخذيلَ المسلمين ، والوقوفَ في صفِّ أعدائهم .

فقد أغاظتُ هذه المقاطعةُ كثيراً من المنافقين ، فحاولوا التبريرَ تارةً ، والتهوينَ تارةً ، وزعمَ الإصلاحَ وإرادةَ الخيرِ تارةً أخرى ! .

فمن زاعمٍ أنَّ المقاطعةَ ستقطعُ الحوارَ معهم ! .

وهل نقبلُ الحوارَ مع مَنْ يهزأُ بنبينا محمدٍ ﷺ، ويسخرُ بثوابتنا؟! .
 ومن زاعمٍ: أَنَّ سببَ جنايةِ تلكِ الصحيفةِ هو تقصيرُ المسلمين أنفسهم
 في تعريفهم بالإسلام! فمرادهُ تبرئة هؤلاء المعتدين من جنائهم، أو تبريرها
 لهم، وإناطةُ جرمها بالمسلمين! وقد جهل هذا أن النبي ﷺ قد أدّى الرسالة،
 وبلغ الأمانةَ أعظمَ التبليغ، ومع ذلك لم يسلم من سُخريةِ كفارِ قريش .
 ومن مستهزئٍ بالمقاطعةِ فيقول: هذا غايةُ ما تملكون؟! ترك أكل الزبدة
 والجبنة!! .

وهذا شبيهةٌ بموقفِ المنافقين الذي كانوا يسخرون من المؤمنين لكونهم
 يتصدّقون بالقليل من المال، مع أنه غايةُ ما يستطيعونه: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ
 الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ
 مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] .

ومن زاعمٍ: أَنَّ المسلمين «عمّموا خطأً جريدةً على دولةٍ كاملة لا
 تملك - بحكم القانون - أيَّ سيطرةٍ على هذه الجريدة»!! .
 والجواب عن هذا:

أولاً: أن حكومتهم قد وقفت بجانب الجريدة، وبررت فعلتها بأنها
 حرية الرأي .

وثانياً: أن شعبهم نفسه قد وافق غالبية الجريدة والحكومة على
 موقفهما؛ ففي استطلاع للرأي رأى ٧٩٪ ممن شملهم الاستطلاع أن رئيس
 الوزراء يجبُ ألاَّ يعتذر نيابةً عن الدانمارك، بينما قال ١٨٪ : إن عليه
 الاعتذار .

وقال ٦٢٪ منهم: إنه لا يتعينُ على الصحيفةِ تقديمُ اعتذار، بينما قال ٣١٪: إن عليها أن تعتذر. . [موقع إسلام أون لاين].

ويرى بعضهم أن هذه المقاطعة لن تُفيدَ شيئاً؛ فهل تغاضوا عن استغاثات الدانمارك المتكررة بالاتحاد الأوروبي لإنهاء المقاطعة الإسلامية؟ وهل تجاهلوا الخسائر الدانماركية التي ستُصاب بها حين تقاطعها الأمة الإسلامية؟ حيث بلغت خسارة شركة واحدة من شركاتهم للألبان في دولة إسلامية واحدة ما يتراوح بين ثمانمئة ألف ومليون وستمئة ألف دولار يومياً، كما صرَّح بذلك مدير هذه الشركة، فضلاً عن فرص الوظائف التي سيفقدُها أصحابها [موقع الجزيرة].

بل قد صرَّح بعضهم أن ما بنوه في عشرات السنوات - أي من السُّمعةِ الحسنة لبضائعهم التجارية - قد تهدم في أيام قليلات .

ويرى آخرون أن المتضررين من المقاطعة إنما هم الوكلاء التجاريون الذين يحملون امتياز بيعها في البلدان الإسلامية!! .

وهذا عجيب! أن يتولَّى هؤلاء الدفاع عن أولئك التجار؛ مع أن التجار أنفسهم لهم مواقفُ مشرِّفة؛ فقد رأيناهم تداعوا بشجاعة لطلب المقاطعة؛ فهل هو أحرصُ منهم على أموالهم، أم أنها عقليات التطبيع؟! .

ومن هؤلاء من بدأ يدعوننا للتسامح معهم والسكوتِ عن أذاهم، وما علموا أن التسامح لا يكون مشروعاً إلا إذا وقع موقعه الصحيح، وأولئك المستهزؤون بمقامه ﷺ ليسوا موضعاً صالحاً للتسامح، بل التسامحُ مع أمثال هؤلاء المجرمين جريمةٌ شرعية، ولئن كان لرسولِ الله ﷺ الحقُّ في التجاوز

عمن أساء إليه، فإن هذا ليس إلى الأمة، بل الأخذ بحقه والغضب له واجب شرعي لا يجوز أن يُمسَّ أو يتبرع أحدٌ بالتنازل عنه.

ومن زاعم: أن المقاطعة مجرد رد فعل عاطفي، ولا ينبغي أن تكون تصرفاتنا مبنية على ردود الأفعال. وهذا الزعم لا بد له من وقفة تبيِّن أهمية ردود الأفعال والتأصيل الشرعي لها من خلال ما يلي:

* أمر الشارع بإنكار المنكر مثال واقعي لاعتبار ردود الأفعال في الشريعة:

● قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أضعفُ الأيمانِ»^(١).

فإنكار المنكر وتغييره باليد هو رد فعل على ظهور المنكر ورؤيته، وهو رد فعل أمر به النبي ﷺ: «فليغيره بيده»، وهو واجب بإجماع المسلمين - كما نقله النووي -.

* الغضب على انتهاك حرمة الله صورة من صور ردود الأفعال المأمور بها:

إذ من الغضب ما يكون محموداً - بل ما يكون واجباً -، وهو الغضب لله - عز وجل -، وقد كان رسول الله ﷺ لا يغضب لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمة الله لم يقم لغضبه شيء.

□ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «والله ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء»

يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ»^(١) .

* بل إن التعاملَ بردُّ الفعلِ أمرٌ جبليّ:

□ ولقد أحسن الإمام الشافعي - رحمه الله - حين قال: «مَنْ اسْتَعْظَبَ

وَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ»!!^(٢) .

فالإنسانُ مجموعةٌ من الأحاسيسِ والمشاعرِ، فلا بد أن يتأثرَ بما يدورُ

حوله ويكونَ له ردُّ فعلٍ عليه .

□ والميتُ هو الذي لا يوجدُ لديه ردودُ أفعالٍ، كما قال الشاعر:

جَرَحَـهُ فَمَا تَأَلَّمَ جَرْحًا مَا لِجُـرْحِ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٌ

* ومن أمثلة ردودِ الأفعالِ من السنة:

فَنُوْتُهُ ﷺ شَهْرًا عَلَي رِغْلٍ وَذَكَوَانٍ وَبَعْضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ لَمَّا غَدَرُوا

بِالْقُرَاءِ فِي «بِئْرٍ مَعُونَةٍ»^(٣) ، وَدَعْوَتُهُ ﷺ لِلْبَيْعَةِ عَلَي الْقِتَالِ لَمَّا بَلَغَتْهُ شَائِعَةُ

قَتْلِ عَثْمَانَ فِي الْحَدِيثِيَّةِ، ثُمَّ لَمَّا تَبَيَّنَ كَذِبَ الشَّائِعَةِ كَانَ الصَّلْحُ^(٤) .

وَكَغَضَبِهِ ﷺ حِينَمَا اخْتَصَمَ أَصْحَابُهُ فِي الْقَدَرِ، حَتَّى كَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي

وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَانِ - كَمَا عَبَّرَ الرَّاوِي^(٥) .-

وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ صُورِ غَضَبِهِ ﷺ تَفَاعُلًا مَعَ مَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَوْ يُنْقَلُ

إِلَيْهِ مِنْ أَقْوَالٍ أَوْ أَعْمَالٍ .

(١) رواه البخاري (٦٢٨٨) .

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤٣ / ١٠) .

(٣) انظر «البخاري» (٣٠٦٤) ومسلم (٦٧٧) .

(٤) انظر «المصنف» لابن أبي شيبة مرويات غزوة الحديبية (ص ١٢٤) .

(٥) انظر «سنن ابن ماجه» (٨٢) .

* وَمِنْ رَدُودِ أَعْمَالِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِحَضْرَتِهِ ﷺ:

□ مقولاتُ عمرَ بنِ الخطابِ المتعددة: «دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ»، وما شابهها، كما كان مع عبدِ اللهِ بنِ أبيِّ رأسِ المنافقينَ لَمَّا قال: «لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَّ»^(١).

□ وكما حَصَلَ مع ذِي الخُوَيْصِرَةِ اليماني الذي قال: «اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ»^(٢).

ولذلك فإن رَدُودَ أَعْمَالِ المُسلمين تُجَاهَ هذا السبِّ لِخَيْرٍ من وَطِئَتْ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ، مهمٌّ جدًّا؛ لِأَنَّهُ نَوْعٌ من إنكارِ المنكرِ أولاً، وهو أمرٌ وجب، بل هذا من أعظمِ المنكراتِ التي يجبُ إنكارها، وقد أمر النبي ﷺ بتغييرِ المنكرِ باليدِ، فإن لم يُسْتَطعْ فباللسانِ، فإن لم يُسْتَطعْ فبالقلبِ، قال: «وذلك أضعفُ الإيمانِ»، وفي حديثٍ آخر: «وليس وراءَ ذلك من الإيمانِ حَبَّةٌ خردلٍ»^(٣).

وثانيًا: من أجل تقزيم هؤلاء المعتدين والمفتريين، كي لا يستمرؤوا هذا السبِّ والاعتداء.

أما ألا يكونَ هناكُ غيرةٌ على حرماتِ اللهِ، ولا يتمعرُ وجهُنا غيرةً وغبابًا؛ فَيُسَبُّ دِينَ اللهِ، وَيُسَبُّ نَبِيَّنا، دونَ أن يُحرَّكَ ذلكُ فينا ساكنًا؛ فهذه واللهِ هي الكارثة.

(١) انظر البخاري (٤٩٠٥).

(٢) البخاري (٣٣٤١) ومسلم (١٦٧٥).

(٣) رواه مسلم (٤٦٧٦).

* الواجبُ علينا :

على كلِّ مؤمنٍ يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ ﷺ، ويغارُ على دينِهِ أن يتصرَّحَ لرسولِهِ ﷺ، وأن يُقدِّمَ كلَّ ما في وسعِهِ لردِّ هذه الهجمةِ لشرسةً، ومهما بذلنا فهو قليلٌ في حقِّ النبي ﷺ.

□ وأما تفصيلُ دورنا في هذا فمناه :

١ - إعلانُ النكيرِ على كلِّ الأصعدةِ وبشدةٍ :

فعلى الدولِ الإسلاميَّةِ أن تَهَبَّ على جميعِ مستوياتها لُنصرةِ نبيِّها ﷺ، وتستنكرَ ذلكَ في المؤتمراتِ والمحافلِ العامةِ، وتتخذَ موقفاً حازماً يتناسبُ مع شناعةِ الجريمةِ .

وكذلكَ يكونُ الاحتجاجُ على مستوى الهيئاتِ الرسميَّةِ وغيرِ الرسميَّةِ كوزاراتِ الأوقافِ، ودُورِ الفُتيا، والجامعاتِ، وإعلانِ الاستنكارِ من الشخصياتِ العامَّةِ كالعلماءِ، والمفكرينِ، ورجالِ الإعلامِ .

وكذلكَ الإنكارُ على المستوىِ الفرديِّ، كلُّ حسبِ ما يستطيعُ : بإرسالِ رسالةٍ، أو كتابةِ مقالةٍ، أو اتصالِ هاتفيٍّ بحكومتهمِ وخارجيَّتهمِ وصحافتهمِ، ومراسلةِ المنظَّماتِ والجامعاتِ والأفرادِ المؤثِّرينِ في الغربِ، ولو نفَّر المسلمونَ بإرسالِ آلافِ الرسائلِ الرصينةِ القويَّةِ إلى المنظَّماتِ والأفرادِ، فإن هذا سيكونُ له أثرُه اللافتُ قطعاً .

٢ - مطالبةُ هؤلاءِ الجُنَّةِ بالاعتذارِ الجادِّ الواضحِ، لا الخداعِ وتبريرِ الجريمةِ الذي يُسمونه «اعتذاراً»، فلا نريدُ اعتذاراً لإهانةِ المسلمينِ، وإنما نريدُ إقراراً واضحاً بالخطأِ، واعتذاراً عنه، ومعاقبةً رادعةً للمجرمينِ على

جُرْمِهِمْ، وَأَنْ تَكْفَّ حُكُومَاتُهُمْ عَنِ الْعَدَاءِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

٣- ذَكَرْتُ فِتَاوَى عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الَّتِي تُبَيِّنُ حُكْمَ مَنْ تَعَرَّضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ مِنَ الْإِنْتِقَاصِ، وَوَجُوبِ بَغْضٍ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَالْبِرَاءَةِ مِنْهُ.

٤- بَيَانُ حُسْنِ الْإِسْلَامِ وَمُوَافَقَتِهِ لِلْعُقُولِ الصَّرِيحَةِ، وَالرَّدُّ عَلَى شُبُهَاتِ الْمَجْرِمِينَ- مِنْ خِلَالِ قِيَامِ الْمَوْسِمَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ وَالصَّحَفِ وَالْمَجَلَاتِ وَالْمَوَاقِعِ الْإِسْلَامِيَّةِ- بِكِتَابَةِ رَدُودٍ عَلَى هَذِهِ الْاِفْتِرَاءَاتِ، وَأَنْ تُسَطَّرَ عَلَى صَفْحَاتِهَا شَمَائِلُ النَّبِيِّ ﷺ، وَتُبَيَّنَ الدَّورَ الْعَظِيمَ الَّذِي قَامَ بِهِ ﷺ لِإِنْقَادِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَنَّهُ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَهَدَايَةً لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

٥- اسْتِجَارُ سَاعَاتٍ لِبَرَامِجٍ فِي الْمَحَطَّاتِ الْإِذَاعِيَّةِ وَالتَّلْفِزِيُونِيَّةِ، لَا سِيَّمَا فِي الْبُلْدَانِ الْغَرِيبَةِ لِتَدْفَعَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَذَبُّ عَنْ جَنَابِهِ، وَيُسْتَضَافُ فِيهَا ذُووُ الْقُدْرَةِ وَالرَّسُوخِ وَالدَّرَايَةِ بِمَخَاطَبَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْغَرِيبَةِ بِإِقْنَاعٍ، وَهُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ كَثُرَ.

٦- إِعْدَادُ الْمَقَالَاتِ الْقَوِيَّةِ الرَّصِينَةِ لِتُنَشَرَ فِي الْمَجَلَّاتِ وَالصَّحَفِ وَمَوَاقِعِ «الْإِنْتَرْنِت» بِاللُّغَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ.

٧- مَطَالِبَةُ الْكُتَّابِ وَالصَّحَفِيِّينَ وَالْإِعْلَامِيِّينَ- بَلْ كُلِّ غَيْرٍ- بِالْقِيَامِ بِدَوْرِ النُّصْرَةِ لِلنَّبِيِّ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مِنْ خِلَالِ مَحَاوَلَةِ إِثَارَةِ الرَّأْيِ الْغَرِيبِيِّ ضِدَّهُ هَذَا الْإِنْتِهَاكِ وَالتَّنْدِيسِ الْعَلْنِيِّ لِمُعْتَقَدَاتِنَا الدِّينِيَّةِ.

٨- إِنْشَاءُ مَرَاكِزٍ مُتَخَصِّصَةٍ لِبَحْوثٍ وَدَرَسَاتٍ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَفَضَائِلِهِ، وَتَرْجَمَةَ ذَلِكَ إِلَى اللُّغَاتِ الْعَالَمِيَّةِ.

٩- الْحِرْصُ عَلَى دَعْوَةِ هَذِهِ الشُّعُوبِ؛ فَإِنَّا وَإِنْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بَعِينٍ

الغضبِ والسُّخْطِ والغَيْظِ، إلّا أننا أيضاً ننظرُ إليهم بعينِ الشفقةِ عليهم، فهم عما قريبٍ سيموتون، ويكونون من أهلِ النارِ إن ماتوا على ذلك، فدعوتُهم إلى الإسلامِ والنجاةِ رحمةٌ بهم، وشفقةٌ عليهم؛ ولا سيّما عوامُهم الذين غيبت عنهم صورةُ الإسلامِ المُشرقة، حتى نقيمَ الحُجَّةَ ونُوصِلَ نورَ الهدايةِ والحقِّ إليهم، فيتعرّفوا على ديننا وعظمة نبينا ﷺ: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

١٠ - ترجمة الكتب التي تدعو إلى الإسلام، والكتب التي تُعرّف بالإسلام ونبيِّ الإسلام، وتُبينُ سيرته الحسنة العطرة وفضائله بلغة هؤلاء القوم.

١١ - إنشاء مواقع إسلامية وبرامج متخصصة في الإذاعات والقنوات والشبكة المعلوماتية للتعريف بالنبي ﷺ وشمائله وأخلاقه الكريمة باللغات المختلفة، ونشر ذلك في المطبوعات من الصحف والمجلات ونحوها.

١٢ - عقد المؤتمرات العلمية التي يتكلّم فيها عن نبيِّ الإسلام ﷺ ورسالته، مع التركيز على تلك الدول التي تحتاج إلى تصحيح تصوّرهم عن الإسلام.

١٣ - نشر ما ذكره المنصفون من غير المسلمين بشأنه ﷺ، إذ هو أدهى لقبول أقوامهم له.

١٤ - بيان خصائص دعوتِهِ ورسالته ﷺ، وأنه بعث بالحنيفية السمحة، وأنه الأصل في دعوته.

١٥ - المشاركة في حواراتٍ علميةٍ رصينةٍ مع غير المسلمين من

المتخصّصين أصحابِ القُدَرَاتِ العِلْمِيَّةِ واللُّغَوِيَّةِ، ودعوةُ أولئك الباحثين بالحكمةِ لدراسةِ شخصيَّةِ الرسولِ ﷺ والدينِ الذي جاء به .

١٦ - الإعلانُ في محرّكاتِ البحثِ المشهورةِ عن بعضِ الكتبِ أو المحاضراتِ التي تتحدثُ عن الرسولِ ﷺ .

١٧ - التمسُّكُ بالسُّنَّةِ والتزامُ هَدْيِ النبيِ ﷺ في كلِّ شيءٍ، والصبرُ على ذلك؛ إذ بهذا يكفينا الله كيدهم: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا...﴾ [آل عمران: ١٢٠].

١٨ - مقاطعةُ منتجاتهم ما دام لها تأثيرٌ عليهم - وهذا هو الواقعُ، والبحثُ عن شركاتٍ بديلةٍ يملكها مسلمون ترسيخاً لمبدأِ الولاءِ للمسلمين والبراءِ من الكافرين .

١٩ - الوعيُّ لكيفيَّةِ إدارةِ أعداءِ الإسلامِ صراعهم مع المسلمين، وعدمُ استبعادِ التعمُّدِ والتخطيطِ المُسبقِ منهم لهذه الجريمة، مع الدراسةِ المتأنيةِ للمواقفِ المتوقَّعةِ منهم والتدابيرِ التي ينبغي اتخاذها مع كلِّ موقفٍ، حتى لا يخلُصوا إلى شقِّ الصفِّ وإضعافِ قوةِ وحدَّةِ الموقفِ .

٢٠ - تبادلُ الأفكارِ في هذه القضية، وإضافةُ الجديدِ منها والتواصي بها، وبحثُ كلِّ واحدٍ عما يُناسبُ ميوله وتخصُّصه منها، وبهذا سيجدُ كلُّ مُحبٍّ لرسوله ﷺ مجالاً لإظهارِ حُبِّه وغيرتهِ وتعظيمه؛ فهذا يأتي بفكرةٍ، وذلك يكتبُ مقالةً، وهذا يُترجم، وذلك يُرسل، وآخر يُموِّل، في نفيِرِ عامٍ لِنُصرةِ أفضلِ الخلقِ - عليه الصلاة والسلام - .

رسولَ الحُبِّ في ذكراكُ قُرْبِي
وتحتَ لَوَاكِ أَطْوَاقُ النِّجَاةِ
عليكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا تَجَلَّى
ضِيَاءُ.. واعتلى صوتُ الهُدَاةِ
يَحَارُ اللَّفْظُ فِي حُسْنَاكَ عَجْزًا
وفي القلبِ اتَّقَادُ المَورِيَاتِ
ولو سَفِكَتْ دِمَانَا مَا قَضِينَا
وفاءكَ والحقوقَ الوجِبَاتِ

* ليس من النصره :

إن ما نراه من ردودِ فعلٍ غاضبَةٍ من المسلمين، وعملٍ جادٍ لمواجهةِ تلكِ الهجمةِ التي يتعرَّضُ لها الإسلامُ، لِيَبْعَثُ البهجةَ والسُرورَ والأملَ في نفسِ كلِّ مسلمٍ، غيرَ أن بعضَ المسلمين - وهم بحمدِ اللهِ قَلَّةٌ - قد مالَ بهم حماسُهُم عن الصوابِ، والمأمولُ من المسلمين أن يَلْزَمُوا العَدْلَ والإنصافَ، حتى مع أعدائهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

* فليس من النصره :

١ - الاعتداءُ على معصومي الدمِ والمالِ كالمستأمنين، من أي دينٍ كان.

٢ - اختراقُ وتدميرُ مواقعِ صحفٍ ومجلاتٍ لم تصدرُ منها نبينا ﷺ

سخريةً؛ فمثلُ هذا العملِ يُحرِّضُها هي الأخرى على سبِّ الرسولِ ﷺ

والنيل منه، وَيَنْقُلُهَا مِنْ حِيَادِهَا إِلَى مُصَافَّةِ الْمُعْتَدِي فِي مَوْقِفِهِ، وَيُحَرِّضُ سَفَاءَهُمْ عَلَى تَدْمِيرِ مَوَاقِعِنَا.

٣ - ليس من النصره في شيءٍ أن نَجُودَ بِأَمْوَالِنَا لِكُلِّ مَنْ يَدْعُونَا إِلَى مَشْرُوعٍ دَعْوِيٍّ فِي تَعْرِيفِ الْكُفَّارِ بِالْإِسْلَامِ وَبِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، وَفِي كَشْفِ مَا يُثَارُ حَوْلَهُ مِنْ شِبْهَاتٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَتَوَقَّعَ مِنْ صَاحِبِ الْمَشْرُوعِ وَالْجِهَةِ الْمَشْرُفَةِ عَلَيْهِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ نَتَبَيَّنَ الْمَضْمُونِ الْمَرَادَ نَشْرُهُ، وَمَنْ يَزَكِّيْ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

٤ - مَا صَاحَبَ بَعْضَ الْمُظَاهِرَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي أَمَاكِنَ شَتَّى مِنْ إِتْلَافِ لِلْأَنْفُسِ وَالْمَمْتَلِكَاتِ.

٥ - عَدَمُ تَحَرِّيِ الْبَعْضِ فِي نَشْرِ الْأَخْبَارِ قَبْلَ التَّثْبُتِ مِنْ صِحَّتِهَا، كَالْخَبْرِ بِإِسْلَامِ خَمْسِينَ دَائِمَارِكِيًّا، أَوْ خَبْرِ قَتْلِ الصَّحْفِيِّ.

٦ - نَشْرُ بَعْضِ الْبِدْعِ وَالتَّعَلُّقُ بِالْمَنَامَاتِ، كَالدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ الدَّعَاءِ فِي سَاعَةِ مَعِينَةٍ وَصَيْغَةِ مَعِينَةٍ، أَوْ تَنَاوُلُ رِسَائِلَ بِهَا مَخَالَفَاتٌ شَرْعِيَّةٌ، أَوْ التَّعَسُّفُ فِي مَحَاوَلَةِ الرِّبْطِ بَيْنَ رَقْمِ بَعْضِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي لَهَا شَيْءٌ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالْمَوْضُوعِ وَبَيْنَ الرِّقْمِ التَّسْلِسِيِّ الدُّوَلِيِّ لِمَتَّجَاتِ الدُّوَلَةِ الْمُعْتَدِيَّةِ، زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِعْجَازِ الْعَدَدِيِّ الْقُرْآنِيِّ!

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَنْصَارِ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ ﷺ بُوَعِيٍّ وَصَدَقٍ، وَأَنْ يُعَلِّيَ دِينَهُ، وَيَنْصُرَ أَوْلِيَآءَهُ، وَيُذِلَّ أَعْدَاءَهُ، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

أَجْمَعِينَ «أهـ».

ذُبُّ الشَّعْرَاءِ

عَنْ

سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ

(إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ)

هم يزعمون بأنني لم أرتحلُ
هم يسلكون إلى رضاك دروبهم
واللهُ يعلم لو قَسَمْتُ مشاعري
بين القلوبِ لما بقينَ قلوباً
شوقاً إليك، ولم تكُ المحبوباً
وأنا أطيروُ وما سَلَكَتُ دروباً
: زاهر الجسد

جمال محمد

للديكتور عبدالمعطي الدالاتي

وصف الحبيب فكلنا نَوَاقُ
 بِشَدَا الْأَحْبَةِ.. وَالهُوَى أَذْوَاقُ
 فَتَوَضَّاتُ بِدُمُوعِهَا الْأَحْدَاقُ
 أَحْلَى اللَّغْنَى مَا قَالَتْ الْأَشْوَاقُ
 عَنْ كُلِّ مَا قَدْ جَادَتْ الْأَخْلَاقُ
 فِي الْقَلْبِ تَسْرِي وَالهُوَى خَفَاقُ
 يَوْمًا، وَذَاقُوا فِي الْهُوَى مَا ذَاقُوا
 نَامُوا عَلَى أَحْلَامِهِمْ وَأَفَاقُوا
 وَأَنَا الْأَسِيرُ، فَهَلْ يُفَكُّ وَثَاقُ؟!
 وَحَبِيبُ قَلْبِي دَوْنَهُ الْآفَاقُ
 وَأَنَا الضَّعِيفُ وَمَا لَدَيَّ بَرَّاقُ؟!
 وَتَحْسَسِي.. لَا يَنْفَعُ الْإِطْرَاقُ
 لَا يَلْبِثُ الْأَحْبَابُ أَنْ يَتَلَاقُوا

هَاتِ الْحَدِيثَ مَزَاجَهُ الْأَشْوَاقُ
 نَهَوَى الْحُرُوفَ تَعَطَّرَتْ أَرْدَانُهَا
 فَعِدَا يُحَدِّثُ عَنْ جَلَالِ الْمُصْطَفَى
 يَحْكِي بِشَوْقٍ عَنْ جَمَالِ مُحَمَّدٍ
 عَنْ قَلْبِهِ عَنْ حُبِّهِ عَنْ لُطْفِهِ
 تَحْيَا بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَرْنِيمَةً
 طُوبَى لِمَنْ عَنْ نَهْجِهِ لَمْ يَغْفُلُوا
 طُوبَى لِمَنْ فِي دَرْبِهِ قَدْ أَوْغَلُوا
 سَارُوا إِلَيْهِ تَحْتُهُمْ آمَالُهُمْ
 طَالَتْ وَطَالَتْ غَرْبَتِي يَا إِخْوَتِي
 طَالَ الطَّرِيقُ فَكَيْفَ أَبْدَأُ رِحْلَتِي
 لَا تُطْرِقِي يَا نَفْسُ هَيَّا فَازْهَبِي
 يَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ يَشَأُ رَبُّ الْوَرَى

حديث الدموع

للدكتور عبدالمعطي الجالبي

فِيصْنِي فَوَادِي وَكُلِّي خُشُوعُ
وَمَنْ ذَا يَمَلُّ حَدِيثَ الدَّمُوعِ؟!
وكيف ابتدا رحلة المسجد
أحاديثه الغرُّ في «المُسْنَدِ»
من الشوق يُزجى لمحرابه
وعن قلبه.. عن مدى حبه
فسارت خطاي بدربي الطَّوِيلِ
وكلُّ الهدى باتباع الرسول

يُحَدِّثُ دَمْعُكَ عِنْدَ الرَّجُوعِ
فَحَدِّثْ وَكَرَّرْ.. أَنَا لَا أَمَلُ
تَنَاجِي دَمُوعِكَ عَنِ أَحْمَدِ
وَكَيْفَ أَنْارَتِ دُرُوبَ الْحَيَاةِ
فَوَادِي بِهِ - يَا أَخِي - مَا بِهِ
فَحَدِّثْ أَخِيَّ عَنِ الْمُصْطَفَى
حَدِيثَ الدَّمُوعِ أَنْارَ السَّبِيلِ
وَكَانَ دَلِيلِي اتِّبَاعَ الرَّسُولِ

رسالات الحب

للدكتور عبدالمعطي الجالبي

فَيْسَأَلْنِي مَتَى أَلْقَاكَ؟
فَمَنْ يَهْوَاكَ لَا يَنْسَاكَ
يَحَارُ اللَّحْنَ وَالشُّعْرُ
مُنَى الْمَلْيَارِ فِي لِقْيَاكَ!
أَلَا يَا حَامِلَ الذِّكْرِ
حُرُوفٌ تَبْتَغِي نَجْوَاكَ
رِسَالَاتٌ مِنَ الْحَبِّ
مُحِبٌّ قَصْدُهُ رُؤْيَاكَ

يَحَارُ الْقَلْبُ فِي ذِكْرَاكَ
أَصْبَرُهُ.. وَأَعْذَرُهُ
يَحَارُ الْقَلْبُ وَالْفِكْرُ
رَسُولَ اللَّهِ مَا السَّرُّ
رَسُولَ اللَّهِ يَا عَمْرِي
بِقَلْبِ زُجَاغَةِ الْعَطْرِ
رَسُولَ اللَّهِ فِي قَلْبِي
هَنَا فِي آخِرِ الرَّكْبِ

مَنْ أَخْبَرَ الرُّوحَ أَنَّ الْمُصْطَفَى فِيهِ

لِلدُّكْتُورِ عَبْدِ الْمُعْطِيِّ الدَّالِي

بَيْنَ الدَّمُوعِ، حَلَاوَاتِ الْهُوَى فِيهِ
 عَطْرُ الْحَبِيبِ، فَمَا أَزْكَى مَعَانِيهِ!
 عَنْهُ الْحُرُوفُ، وَكَمْ جَلَّتْ مَعَانِيهِ!
 نَحْوَ الْحِجَازِ هَوَى.. لَوْ كُنْتُ أُدْرِيه!
 يَحْدُو الْجِمَالَ، فَيَطْوِي الدَّرْبَ حَادِيهِ
 لَكِنَّ شَوْقِي أَنَا حَارَتْ أَمَانِيهِ
 لَوْ يَعْلَمُ الْقَلْبُ أَنَّ الدَّرْبَ يَبْغِيهِ!
 نَحْوَ الْحَبِيبِ، فَهَلْ حَقًّا تَلَاقِيهِ!
 مَنْ أَخْبَرَ الرُّوحَ أَنَّ الْمُصْطَفَى فِيهِ!

أَهْدِي إِلَيْكَ نَشِيدًا رُحْتُ أَخْفِيهِ
 أَهْدِي إِلَيْكَ فُوَادًا رَاحَ يَسْكُنُهُ
 بَيْنَ الصَّحَاحِ تَجُوبُ الرُّوحُ سَائِلَةً
 لَوْ كُنْتُ أُدْرِ حَدِيثَ الرَّكْبِ إِذْ رَحَلُوا
 شَدُّوا الرِّحَالَ وَفِي أَرْوَاحِهِمْ طَرْبُ
 سَارُوا إِلَيْكَ وَكَانَ الشَّوْقُ يَحْمِلُهُمْ
 سَارُوا إِلَيْكَ وَرَاحَ الْقَلْبُ يَسْأَلُهُمْ
 أَوْ يَعْلَمُ الرَّكْبُ أَنَّ الرُّوحَ تَسْبِقُهُمْ
 رُوحِي تَطِيرُ وَتَهْوِي عِنْدَ مَسْجِدِهِ

نَجْوَى إِلَى ضَيْفِ حِرَاءَ

للديكتاتور عبد المصطفى اللواتي

يَعْمُرُ الْأَكْوَانَ فَنَّا	كُلُّ طَيْرٍ قَدْ تَغْنَى
رَاحَ يُجْنَى أَوْ سِيْجِنَى	كُلُّ عُنْقُودٍ تَدَلَّى
قَدْ تَمَنَّى مَا تَمَنَّى	كُلُّ شَوْقٍ فِي فُؤَادٍ
كُلُّ شَعْرٍ سَارَ حُسْنًا	كُلُّ فِكْرٍ جَابَ كَوْنًا
فِي الدُّنْيَا لَوْنًا فَلَوْنَا	كُلُّ لَوْحَاتٍ تَرَاءَتْ
فَوْقَ بَيْتِ رَاحِ يُبْنَى	كُلُّ بَيْتٍ مِنْ قَصِيدِي
كُلُّ لَفْظٍ، كُلُّ مَعْنَى	كُلُّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِي
صِيغَ فِي نَجْوَاكَ لَحْنًا	كُلُّ هَذَا يَا حَبِيبِي

فِي ابْتِهَالَاتِ حِرَاءَ	أَيُّ شَوْقٍ لِلسَّمَاءِ
أَيُّ خَوْفٍ وَرَجَاءِ	أَيُّ شَكْوَى أَيْ نَجْوَى
عَمَّ أَرْجَاءَ الْفِضَاءِ	أَيُّ عَطْرِ نَبْوَى
نَحْوَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ	أَيُّ دَمْعٍ رَاحَ يَرْنُو
كُلَّ جَهْلٍ الْجُهْلَاءِ	أَيُّ نَوْرٍ لَاحَ يَمْحُو
مَجَّ عَطْرًا فِي دِمَائِي	أَيُّ حُبٍّ أَحْمَدِي
أَنْتَ أَحْلَامُ مَسَائِي	أَنْتَ أَنْسَامُ صَبَاحِي
يَا خِتَامَ الْأَنْبِيَاءِ	أَنْتَ عَطْرِي أَنْتَ عَمْرِي

وَمِلْيَارٌ يُسَلِّمُ يَا حَبِيبِي

للدكتور عبدالمعطي الجالالي

وَيَشْدُو الْحُبُّ فِي لَحْنٍ غَرِيبٍ
 وَبَعْضُ اللَّحْنِ قَوْلِي: يَا حَبِيبِي
 يَجُوزُ الدَّرَبَ، لَا يَدْرِي مَدَاهُ
 وَكَيْفَ يَحَارُّ مَنْ يَبْغِي حَبِيبِي؟!
 نَهَائْتُهُ بِمِحْرَابِ الرَّسُولِ
 أَأَسْكُتُ! أَمْ أَنَا جِيه: حَبِيبِي؟!
 رَسُولَ اللَّهِ .. كَمْ نَهَفُوا إِلَيْكَ!
 وَمِلْيَارٌ يُسَلِّمُ يَا حَبِيبِي
 وَمَا أَدْرِي، أَيُسَعِفُنِي الْكَلَامُ؟!
 وَبَعْضُ الْبَوْحِ صَمْتُ يَا حَبِيبِي

يَمُوجُ الْقَلْبُ فِي كَوْنِ رَحِيبٍ
 فَبَعْضُ اللَّحْنِ صَمْتِي وَدُمُوعِي
 رَأَيْتُ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقِ سَبَاهُ
 وَلَيْسَ يَحَارُّ قَلْبِي فِي سُرَاهُ
 يَسِيرُ الرُّكْبُ فِي دَرْبِ طَوِيلِ
 وَمَنْ يَدْرِي بِحَالِي فِي وَصُولِي
 سَلَامُ اللَّهِ نُلْقِيهِ عَلَيْكَ
 سَلَامُ اللَّهِ يَغْشَى صَاحِبِيكَ
 رَسُولَ اللَّهِ! حَيْرَنِي الْمَقَامُ
 فَبَعْضُ الْبَوْحِ نَجْوَى وَسَلَامُ

يا رسول الإسلام

للدكتور عبدالمعطي الجبالي

أَنْ يَسُودَ الْإِسْلَامُ فِي الْأَرْجَاءِ
 أَنْ يُنِيرَ الْقُرْآنُ كُلَّ فُضَاءِ
 لِيَصِيرَ عَمْرِي دَفْقَةً مِنْ سَنَاءِ
 أَنْتَ عَمْرِي يَا سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ
 جِئْتَ تَمْحُو مَدَامَعَ الصَّخْرَاءِ
 وَسَلَامٍ سَرَى مِنْ نَجَاوَى حِرَاءِ!
 أَنْ يَظُلَّ التَّوْحِيدُ مَلءَ دِمَائِي
 أَنْ تَقُولَ الْأَجْيَالُ: أَيْنَ لَوَائِي؟

يا رسول الإسلام؛ إِنْ رَجَائِي
 أَنْ يَقُودَ الْإِيمَانَ كُلَّ فُؤَادِ
 أَنْ يَغِيبَ الظُّلَامُ مِنْ كُلِّ دَرَبِ
 أَنْتَ فَخْرِي وَأَنْتَ نُعْمَى حَيَاتِي
 أَنْتَ خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ
 أَيُّ طَهْرٍ عَمَّ دُنْيَانَا وَعَطْرِ
 يَا رَسُولَ التَّوْحِيدِ، إِنْ دَعَائِي
 يَا رَسُولَ الْإِسْلَامِ، إِنْ رَجَائِي

إِنَّا لِيُؤْمِنُنَا تَطَاوُلُ كَافِرٍ

شعر: عبد الرحمن بن صالح العسماوي

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُكَ وَأَحْبَبْتُ نَبِيَّكَ ﷺ حُبًّا صَادِقًا أُرْجُو أَنْ تَغْفِرَ بِهِ الذَّنْبَ، وَتُسَهِّدَ بِهِ الْقَلْبَ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْهَا دَفَاعًا عَنْ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ».

وإلى ضيائك تَنَمِّي الْأَقْمَارُ
دِينًا يَعِزُّ بِعِزِّهِ الْأَخْيَارُ
وَتَسَامَقْتُ فِي رَوْضِهَا الْأَشْجَارُ
صَدَّقْتُ بِهِ وَبِدِينِهِ الْأَخْبَارُ
تتلوه، وعمَّ قلوبها استبشارُ
بمسيره الكُثْبَانُ وَالْأَحْجَارُ
شمسٌ وَيَفْرَحُ أَنْ يَرَاهُ نَهَارُ
بك هَجْرَةٌ وَتَشْرَفُ الْأَنْصَارُ
من عِلْمِهَا وَيَقِينُهَا الْأَبْرَارُ
ولنهج الدين الحنيفِ مَنَارُ
شَرَّفَتْ بِهِ وَبِعِلْمِهِ الْأَثَارُ
بالحقِّ طَافُوا فِي الْبِلَادِ وَدَارُوا
فَمَهَا، وَإِنْ دَعَتِ الْمَكَارِمُ طَارُوا
وَإِذَا رَأَوْا لَيْلَ الضَّلَالِ أَنْارُوا

مَنْ نَبَعٌ هَدَيْكَ تُسْتَقَى الْأَنْوَارُ
رَبُّ الْعِبَادِ حَبَّكَ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ
حَفِظْتَ بِكَ الْأَخْلَاقُ بَعْدَ ضِيَاعِهَا
وَبُعِثْتَ لِلثَّقَلَيْنِ بَعِثَةَ سَيِّدِ
أَصْغَتْ إِلَيْكَ الْجَنُّ وَانْبَهَرَتْ بِمَا
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى وَتَشْرَفَتْ
يَا مَنْ تَتَوَقَّعُ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ
بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ، حِينَ تَشْرَفَتْ
أَنْشَأَتْ مَدْرَسَةَ النَّبِوَّةِ فَاسْتَقَى
هِيَ لِلْعُلُومِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا
لِلَّهِ دَرْكٌ مُرْشِدًا وَمَعْلَمًا
رَبَّيْتُ فِيهَا مِنْ رَجَالِكَ ثَلَاثَةَ
قَوْمٍ إِذَا دَعَتِ الْمَطَامِعُ أَغْلَقُوا
إِنْ وَاجَهُوا ظُلْمًا رَمَوْهُ بِعَدْلِهِمْ

قَدْ كُنْتَ قَرَأْنَا يَسِيرًا أَمَامَهُمْ
 عَمَرُوا الْقُلُوبَ كَمَا عَمَرْتَ، فَمَا مَضُوا
 لَوْ أَطْلَقَ الْكُونُ الْفَسِيحُ لِسَانَهُ
 لَوْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ الْعِبَادِ؟ لَرَدَّدَتْ
 لَمْ لَا تَكُونُ؟ وَأَنْتَ أَفْضَلُ مُرْسَلٍ
 مَا أَنْتَ إِلَّا الشَّمْسُ يَمَلَأُ نُورُهَا
 مَا أَنْتَ إِلَّا أَحْمَدُ الْمُحْمُودِ فِي
 وَالْكَعْبَةُ الْغُرَاءُ تَشْهَدُ مَثَلَمَا
 يَا خَيْرَ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَخَيْرَ مَنْ
 سَقَطَتْ مَكَانَةٌ شَاتِمٌ، وَجَزَاؤُهُ،
 لَكَأَنِّي بِخُطَاهُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا
 مَا نَالَ مِنْكَ مَنَافِقٌ أَوْ كَافِرٌ
 حَلَقْتُ فِي الْأُفُقِ الْبَعِيدِ، فَلَا يَدُ
 وَسَكَنْتَ فِي الْفَرْدُوسِ سَكْنِي مَنْ بِهِ
 أَعْلَاكَ رَبُّكَ هَمَّةٌ وَمَكَانَةٌ
 إِنَّا لَيُؤْمِنُنَا تَطَاوُلُ كَافِرٍ
 وَيَزِيدُنَا أَلْمًا تَخَاذُلُ أُمَّةٍ
 وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الْخُضُوعِ، أَمَامَهَا
 يَا لَيْتَهَا صَانَتْ مُحَارِمَ دَارِهَا

وَبِكَ اقْتَدَوْا فَأَضَاءَتْ الْأَفْكَارُ
 إِلَّا وَأَفْتَدَةُ الْعِبَادِ عَمَارُ
 لَسَرَتْ إِلَيْكَ بِمَدْحِهِ الْأَشْعَارُ
 أَصْوَاتٌ مَنْ سَمِعُوا: هُوَ الْمُخْتَارُ
 وَأَعَزُّ مَنْ رَسَّوَا الطَّرِيقَ وَسَارُوا
 آفَاقَنَا، مَهْمَا أُثِيرَ غُبَارُ
 كُلِّ الْأُمُورِ، بِذَلِكَ يَشْهَدُ غَارُ
 شَهِدَ الْمَقَامُ وَرُكْنُهَا وَالِدَارُ
 قَادَ الْحَجِيجَ وَخَيْرَ مَنْ يَشْتَارُ
 إِنْ لَمْ يَتَّبِعْ مَجْنَاهُ، النَّارُ
 وَهَنَا، وَقَدْ ثَقَلَتْ بِهَا الْأَوْزَارُ
 بَلْ مِنْهُ نَالَتْ ذَلَّةٌ وَصَنَّارُ
 وَصَلَتْ إِلَيْكَ وَلَا فَمٌ مَهْذَارُ
 وَبِدِينِهِ يَتَكَفَّلُ الْقَهَّارُ
 فَلَكَ السُّمُوءُ وَاللَّحْسُودُ بَوَارُ
 مَلَأَتْ مَشَارِبَ نَفْسِهِ الْأَقْدَارُ
 يَشْكُو أُنْدَحَارَ غَثَائِهَا الْمَلْيَارُ
 وَهَنْ الْقُلُوبِ، وَخَلَفَهَا الْكُفَّارُ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَحَرَّكَ الْإِعْصَارُ

جيشُ الرذيلة والهوى جرَّارٌ
متخبَّطًا في موجه البحَّارِ
ومن الهوى تتسرَّب الأخطارُ
نعم البشارةُ منك والإنذارُ
فأصابهم غبشُ الظُّنون وحاروا
بالذنب فيها الثعلبُ المكَّارُ
يُصغي الرُّعاةُ وتفهم الأبقارُ
حتى تمادى الشرُّ والأشرارُ!
يجري «صديدٌ» في القلوب، و«قارٌ»
بك في طريق الموبقاتِ قطارُ
فلربَّما تتحطَّم الأسوارُ
عن مثلها تتحدَّث الأمطارُ:
أسمى، وأنَّ الشانئين صغَّارُ
شرفًا، وفيه لمن يُحبُّ فخارُ
ويذوقُ طعمَ الرَّاحةِ الأخيارُ^(١)

يا خيرَ مَنْ وطئ الثرى، في عصرنا
في عصرنا احتدم المحيطُ ولم يزلْ
جمحتْ عقولُ الناس، طاشَ بها الهوى
أنت البشير لهم، وأنتَ نذيرهم
لكنهم بهوى النفوسِ تشرَّبوا
صبَّغوا الحضارةَ بالرذيلة، فالتقى
ما «دانمركُ» القوم، ما «نرويجهم»؟
ما بالهم سكتوا على سفهائهم
عجبًا لهذا الحقدِ يجري مثلما
يا عصرَ إحدِ العقول، لقد جرى
قربتْ خطاك من النهاية، فانتبه
إني أقول، وللدموع حكايةُ
إنَّا لنعلمُ أنَّ قدرَ نبينا
لكنه ألمُ المحبِّ يزيده
يُشقي غُفَاةَ القوم موتُ قلوبهم

(١) مجلة حورية- العدد الرابع- المحرم ١٤٢٧هـ- (ص ٢٠-٢١)- وقد وردت في مواقع أخرى بعنوان «هو المختار» بتاريخ (٢٨/١٢/١٤٢٦هـ).

إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ

لعيسى جراباً^(١)

وَهَطَلْتُ فَاثْتَعَشَ الْيَابُ وَغَرَّدَا
يَفْتَرُّ بِالْبُشْرَى وَيَرْسُمُ مَوْلِدَا
كَلَلِ تَدُكَّ مِنْ الضَّلَالِ مُشِيدَا
مَتْرَقَرًا مَا ضَلَّ فِيهِ مَنْ اهْتَدَى
ذُلًّا وَمَا أَحْنَتْ لَغَيْرِكَ سَيِّدَا
بِيَدَيْكَ جَاوَرَتِ النَّجُومُ تَفْرُدَا
ظَهَرَ الطَّرِيقُ تَأَلَّقَا وَتَوَقُّدَا
أَسْدَيْتَهَا هَدِيًّا فَصَارَ لَهَا حُدَا
أَسْمَاهُ يَعْصِفُ بِالْهُوَى مُتَمَرِّدَا!
أَنْتَى لَهَا تَخْبُوْ وَأَنْتَ لَهَا مَدَى؟!
ثَارَتْ فِدَا فَرَأَتْكَ أَعْظَمَ مُفْتَدَى
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ رَحْمَةً وَتَوَدُّدَا?
نَفَثْتُ سُمُومَ الْكُفْرِ حَقْدًا أَسْوَدَا
ذُلُّ أُمَّةٍ مَلْيَارَهَا يَهْذِي سُدَى
وَدِمَاؤُنَا أَلَّا تَكُونَ لَهُ فِدَى!؟

أَشْرَقَتْ مِنْ قَلْبِ الدُّجَى فَتَبَدَّدَا
وَسَرَيْتَ تَمْنَحُ كُلَّ بَارِقَةٍ فَمَا
أَسْرَجْتَ خَيْلَ الْحَقِّ فَاثَلَقْتَ بِلَا
وَتَلَوْتَ آيَ الذِّكْرِ لَحْنًا خَالِدَا
وَلَوَيْتَ أَعْنَاقَ الْهُوَى فَتَصَاغَرْتُ
وَتَفْتَقْتُ هَمَمٌ رَوَيْتَ غِرَاسَهَا
وَسَرَتْ قَوَافِلُ مِنْ ضِيَاءِ الْهَيْبَتِ
تَقْفُو خُطَاكَ وَتَسْتَنْبِرُ بِحُكْمَةٍ
وَسَمَّتْ كَمَا لَوْلَمْ تَكُنْ طِينًا وَمَا
فَتَلَالَاتُ رَغَمَ الدُّجَى كَكُوَاكِبِ
يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ مُهْجَةً أَحْرَفِي
وَأَفْتِكَ خَجَلِي كَيْفَ لَا وَأَمَامَهَا
رَكَضَتْ تَدُودٌ وَلِلصَّفَاقَةِ أَلْسُنُ
بَاتَتْ تُشِيرُ إِلَيْكَ أَطْمَعَهَا تَخَا
إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْرَاضُنَا

فِي صَدْرٍ مَنْ سَلَقُوكَ أَغْرَسُهَا مُدَى
 غَنَا تَطْيِبُ جَنَى وَتَعْدِبُ مُورِدَا
 مَنْ مُبْصِرٌ إِلَّا وَأَصْبَحَ أَرْمَدَا
 مَنْ أَسَى! وَكَمْ طَرْفٌ بَيْنَتْ مُسَهَدَا!
 زَيْفَا كَأَعْمَى بَاتَ يَرْجُو مُقْعَدَا
 مِنْ قَبْلُ وَاتَّخَذَتْ هَوَاهَا مَقْوَدَا
 الْأَفَّاكَ لِلدُّنْيَا وَيَصْدُقُ مَوْعَدَا
 سَقَّ اللَّهُ مَنْزِلَةً وَأَكْمَلُ سُودَدَا
 ضَ سَنَا فَاتَهُمْ فِي الْقُلُوبِ وَأَنْجَدَا
 أَمَالُهُ وَبَغَيْرِ حُبِّكَ مَا شَدَا
 عَيْنَاهُ غَصَّ بِهَا فَأَمْسَى مُجْهَدَا؟!
 قَلْبٌ إِلَى لُقْيَاكَ ذَابَ تَوَجَّدَا
 بِنُورِهِ إِلَّا ذَكَرْتُ مُحَمَّدَا
 نُنَّ عَلَى الْقَبَابِ وَبِالْيَقِينِ تَرَدَّدَا
 سَدٍ وَتَمَّ إِلَّا حِينَ كُنْتَ الْمُبْتَدَا

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ دُونَكَ مُهْجَتِي
 تَالَلَهُ مَا عَرَفُوكَ إِلَّا رَوْضَةً
 لَكِنَّهُ كَبِيرُ الطَّغَاةِ فَمَا بِهِ
 يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ كَمْ قَلْبٌ يَأْتِي
 وَالنَّاعِقُونَ فَمَنْ مَرِيضٌ مُتْرَعٌ
 خَاضُوا كَمَا بِالْإِنْفِكِ خَاضَتْ عَصَبَةٌ
 فَإِذَا بَنُورِ الْوَحْيِ يَكْشِفُ سُوءَةً
 مَا أَنْقَصُوكَ فَأَنْتَ أَنْتَ أَجَلٌ خَلَّ
 يَكْفِيكَ أَنْ الْحَقَّ مِنْ عَيْنَيْكَ فَآ
 وَأَنْسَابَ فَاهْتَزَّ الْوُجُودُ وَأَزْهَرَتْ
 أَيْلَامٌ صَبُّ أَنْ تَسَاقَتْ لَوْعَةٌ
 يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ حَسْبِي أَنْنِي
 مَا لَاحَ بَدْرُ التَّمِّ تَزْدَانُ السَّمَآ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا ارْتَفَعَ الْأَذَا
 مَا صَارَ هَذَا الْكُونَ كَالْخَبْرِ الْمُفِي

قَسَمًا يَا ذَا الْوَجْهِ الْأَنْوَرِ

للشاعر مباركة المحيميد

بِعَلَا مِنْ أَعْطَاكَ الْكَوْثَرَ	قَسَمًا يَا ذَا الْوَجْهِ الْأَنْوَرِ
وَلشَانَيْكَ الْأَمْرُ الْأَبْتَرُ	أَنَّ لِأَمْرِكَ كُلِّ عُلُوًّا
نَهَوَى مِنْ أَيْضَ أَوْ أَصْفَرُ	بِأَبِي أَنْتِ.. وَأُمِّي.. وَبِمَا
لِلشَافِعِ فِي يَوْمِ الْمُحْشَرِ	لِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ.. لِلهَادِي
الْأَكْبَرِ مِنَّا وَالْأَصْغَرِ	يَفْدِي عَرْضَكَ كُلُّ مُحِبٍّ
بَدَلًا لِلنَّفْسِ وَمَا يُذْخِرُ	يَفْدِي عَرْضَكَ كُلُّ عَزِيزٍ
يُفْدِي مَنْ بَشَّرَ أَوْ أَنْذَرَ	يُفْدِي مَنْ بَلَغَ أُمَّتَهُ
إِذْ بُعِثَ «مُحَمَّدٌ» فَتَطَهَّرَ	فَالْعَالَمُ رِجْسٌ.. مَخْمُورٌ
الْأَبْيَضُ مِنْهُمْ وَالْأَسْمَرُ	تَأْتِيهِ النَّاسُ طَوَاعِيَةً
و«بِلَالٌ» فِي الْأَمْرِكِ «جَعْفَرُ»	«سَلْمَانٌ وَسَعْدٌ وَصَهَيْبٌ»
لِهُدَاهُ.. كِ «أَصْحَمَةَ الْأَبْجَرُ»	وَمُلُوكٌ تُذْعَنُ مُسْلِمَةً
أَقْسَمَ بِالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرُ	فَالْحَقُّ نَهَارٌ.. وَاللَّهُ
أَقْسَمَ بِاللَّيْلِ وَقَدْ أَدْبَرَ	وَالْبَاطِلُ لَيْلٌ.. وَاللَّهُ
إِنْ هُوَ إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ	إِنْ هُوَ إِلَّا حَقْدٌ كَثُرُ
بِالْحَسْرَةِ كُلِّ مَنْ اسْتَهْتَرُ	مِنْ قَبْلِ «الدَّمْرِكِ» تَوَلَّى
لِ «أَبِي رَافِعٍ» تَاجِرِ خَيْبَرِ	مِنْ «كَعْبِ الْأَشْرَفِ» حِينَ قَضَى

و«أبو جهل» حين تعدَّى
 أهوى بالقوس فشجَّ له
 و«أبو لهب» تبَّ.. وتبَّت
 و«عمير» جاء.. وقد أخفى
 فانقلب لمكة مُنْشَرِحًا
 و(ثمامة) مأسورٌ لَمَّا
 فمضى يعلنُ حبَّ نبيِّا
 يكفيهِ اللهُ.. ويعصمُهُ
 فنداءُ النصرَةِ قد زمجرُ
 ومحالٌ أن ينهشَ منه
 شُذَّاذُ الثالوثِ.. ومن هُم
 تَعَسَّوا.. والراية قد سَقَطَتْ
 جاءَ الحَقُّ.. وزهقَ الباطلُ
 أقبل «حمزة» كيما يثأرُ
 رأسًا.. ولإسلامٍ أظهرُ
 منه يدها.. حين استكبرُ
 من تحتِ رداءِ يه الخنجرُ
 للخير.. وقد أقبلَ بالشَّرِّ
 أمر (الهادي) ألاَّ يؤسُرُ
 أكرم مثنوى سيد معشرُ
 والباغي دومًا يتعشرُ
 وليوثٌ في الساحة تزأرُ
 أربابُ البقرِ ولا نشأرُ!!
 أتباعُ الدجَّالِ الأعورُ
 وصيلبٌ فيها يتسعَرُ
 إنَّ الباطلَ.. أبدأً يخسرُ

حاشا لوجهك أن يأتي به القلم

للدكتور: جهاد بنى عودنة

حَاشَى لَوَجْهِكَ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ الْقَلَمُ
 أَنْ تَسْتَقِيمَ بِإِشْرَاقَاتِهِ الرَّسْمُ
 حَاشَى لِذِكْرِكَ أَنْ تَنْتَابَهُ التُّهْمُ
 يَا ذَلِكَ الْحَدِيثِ الْمَشْنُوءِ وَالْجُرْمِ
 لِقَامٍ فِي خَجَلٍ يَذُوبِي وَيَنْقَسِمُ
 وَالْحَزْنِ يُعْصِرُهُ وَالسُّخْطِ وَالنَّدَمِ
 تُنَزَّهُ الرَّأْسُ وَالْأُرْدَانُ وَالْقَدَمُ
 وَقَامٍ مُعْتَذِرًا عَنْهُمْ يِرَاعُهُمْ
 أَوْ يَفْهَمُوكَ أَقَامُوا الدِّينَ عِنْدَهُمْ
 لَكْتَهُمْ جَهَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمُوا
 يَا وَيْلَ مَا اكْتَسَبَتْ أَيْمَانُهَا الْعَجْمُ
 يَا قُبْحَ مَا فَعَلُوا يَا وَيْلَ مَا رَسَمُوا
 الْعِزْمُ وَالْفَخْرُ وَالْإِقْدَامُ وَالْهَمَمُ
 أَيُّ الْبُغَاةِ هُمْ... أَيُّ الْجُنَاةِ هُمْ
 أَمَا وَجَدْتُمْ سِوَى الْمَعْصُومِ وَيْلَكُمْ
 وَأَوْهَنَ الْغَرْبِ فِي تَخْرِيفِهِ الْهَرَمُ
 فَصَوْرُكَ بِمَا لَا تَقْبَلُ الشِّيمُ

أَقُولُ فِيكَ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَنْسَجِمُ
 حَاشَى لَوَجْهِ كَشْمَسِ الْأَرْضِ طَالِعَةً
 حَاشَى لِشَخِصِكَ أَنْ تَغْتَابَهُ صُورُهُ
 كَيْفَ اسْتَطَابَ يِرَاعُ رَسْمِ هَيْئَتِهِ
 لَوْ كَانَ يَعْلَمُ مِنْ قَدِ رَاحٍ يِرْسَمُهُ
 وَقَامَ عَنْ كُلِّ خَطٍّ مِنْهُ مُعْتَذِرًا
 يُنْزَهُ الْجِسْمُ عَنْ وَصْفٍ وَعَنْ صُورِهِ
 لَوْ كَانَ يَعْرِفُكَ الْكِتَابُ لَارْتَكَسُوا
 لَوْ يُنْصَفُوكَ لَقَالُوا أَنْتَ سَيِّدُنَا
 قَدْ صَنَّفُوكَ عَظِيمَ الْأَرْضِ وَاحِدَهَا
 يَا وَيْلَ مَا كَسَبَتْ أَقْلَامُهُمْ هَزُورًا
 كَيْفَ اسْتَسَاغُوا بِأَنْ يَحُووهُ فِي وَرْقٍ
 كُلُّ الشَّمَائِلِ قَامَتْ تَحْتَ صُورَتِهِ
 مَا أَظْلَمَ الْغَرْبَ فِي إِنْكَ يَخُوضُ بِهِ
 يَا وَيْحَكُمْ أَبْخَيْرَ الْخَلْقِ لِمَزَكُمُ
 تَخَبَّطَ الْغَرْبُ مِنْ مَسِّ الْجُنُونِ بِهِ
 يَا سَيِّدَ النَّاسِ قَدْ غَالَتْ غَوَائِلُهُمْ

مَهْمَا رَمَتَكَ بِهِ الْغُرَبَانُ وَالْبُومُ
 أَنْ تَعْتَرِضَهُ بِإِيضَاءِ اتِهِ الدِّيمُ
 زَالَ الظَّلَامُ بِهِ وَالظُّلْمُ وَالظُّلْمُ
 مَا تَأْمَنُ الذُّبُّ فِي مِسْرَاحِهَا الْغَنَمُ
 مَا الْجُودُ مَا النَّبْلُ مَا الْإِحْسَانُ مَا الْكَرَمُ
 لَكَانَ يُعْبَدُ نَجْمُ اللَّيْلِ وَالصَّنَمُ
 تَعَاقِبَا نَشْرَهُ الْإِصْبَاحُ وَالْغَسَمُ
 وَحَيُّ بِهِ تُحْفَظُ الْأَعْرَاضُ وَالْحَرَمُ
 عَصْرُ الْعَبِيدِ بِهَا وَالْأَعْصَرُ الدُّهْمُ
 فَإِنَّ رَأْيَكَ فِيهَا الْفَصْلُ وَالْحَكْمُ
 مَا الْأَرْضُ لَوْلَاهُ مَا الْإِنْسَانُ مَا الْأَمُّ
 الْعَرَفُ وَالنَّبْلُ وَالْأَعْرَاقُ وَالْقِيمُ
 لَا تَشْتَفِي أَبَدًا حَتَّى يُرَاقَ دَمُ
 كَالْمَشْرِفِيَّةِ إِذْ تَبْتَزُّهَا اللَّجْمُ
 كَمَا تَحْنُ إِلَى أَمَاتِهَا الْفُطْمُ
 بِأَنَّهُ حَرَمٌ وَذِكْرُهُ حَرَمٌ
 سَادَاتُ يَعْرُبُ كُلُّ سَيِّدٍ عَلَّمَ
 وَاسْتَبَشَرَ النَّخْلُ وَالزُّرَاعُ وَالْأَكْمُ
 النَّسْرُ وَالصَّقْرُ وَالْعُقْبَانُ وَالرَّحْمُ

لَكِنَّ مِثْلَكَ مَا ضَرُّوا بِإِظْفَرِهِ
 مَا ضَرَّهُ الْبَدْرُ سَارٍ فِي مَهَابَتِهِ
 فَالنُّورُ أَنْتَ وَأَنْتَ النُّورُ مُصَدَّرُهُ
 لَوْلَاكَ يَا حَلِيَّةَ الدُّنْيَا وَزَيْتَتَهَا
 لَوْلَاكَ لَمْ تَعْرِفِ الدُّنْيَا مَكَارِمَهَا
 لَوْلَاكَ يَا مَنْ بِهِ الْمَوْلَى تَدَارَكْنَا
 فَدِينُكَ الْيَوْمَ سَارٍ فِي حَوَاضِرِنَا
 وَكُلُّ أَرْضٍ بِهَا مِنْ نُورِهِ قَبَسٌ
 لَوْلَاهُ ظَلَّتْ بِلَادُ الْغَرْبِ غَابِرَةً
 إِذَا ادْلَهَمَّتْ عَلَى الْأَعْلَامِ مُعْضَلَةً
 مَا النَّاسُ لَوْلَا رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
 ضَجَّتْ لَهُ الْأَرْضُ وَالْأَخْلَاقُ نَائِرَةً
 تَفْدِيهِ أَفْعَدَةٌ تَفْنِي لِنُصْرَتِهِ
 تَبْتَزُّهَا غَدَرَاتُ الرُّومِ سَيِّدَهَا
 تَحْنُ لِلْبَشَرِ الْمَبْعُوثِ أُمَّتُهُ
 هَذِي الْمَسِيرَاتُ فِي الدُّنْيَا تُذَكِّرُهُمْ
 يَا ابْنَ الْخِيَارِ خِيَارِ الْعَرَبِ مِنْ مُضَرٍ
 لَمَّا أَتَيْتَ وَقَدْ غَنَى الرَّبِيعُ رَضِي
 صَاحَتْ وَحَوْشُ الْفَلَا وَانْتَشَتْ فَرَحًا

النُّورُ وَالْهَدْيُ وَالنَّعْمَاءُ وَالنَّعْمُ
فَخَرَّ الْمُلُوكُ فَلَا كِنْدًا وَلَا لَخْمُ
الْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالْأَحْيَاءُ وَالرَّمَمُ
فَهُوَ الْمُؤَسَّسُ لَا عَادُ وَلَا إِرْمُ
فِي كُلِّ أَمْرٍ فَلَا قَيْسُ وَلَا هَرَمُ
حَرْبًا عَلَى الشَّرْكِ فِيهَا الشَّعْرُ يَنْتَقِمُ
مَا كَانَ فِيكَ يَفِيهِ الْقَوْلُ وَالْكَلِمُ
يَحْلُو النَّشِيدُ وَيَحْلُو الشَّعْرُ وَالنَّعْمُ
فَالْمَدْحُ فِيهِ كَمَا الْيَاقُوتُ يَنْتَظِمُ
تَشْيِبُ مِنْهَا نَوَاصِي الشَّعْرِ وَاللَّمَمُ
كَأَنَّهُ دَيْمَةٌ مَدْرَارَةٌ تَثْمُ
إِنَّ النَّفَائِسَ فِي أَصْدَافِهَا التُّومُ
وَأَنَّهَا قَمَمٌ مِنْ فَوْقِهَا قَمَمُ
إِلَّا وَقَلْبِي وَالْعَيْنِينَ تَخْتَصِمُ
يَجْرِي سَخِينًا عَلَى الْخَدَّيْنِ يَزْدَحِمُ
مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَعْضَاءِ تَلْتَطِمُ
إِنَّ أَخْرَجْتَ أَشْرًا سَادَاتِهَا الْأُمَمُ
فَالشَّعْرُ فِيكَ مَنِيعُ الْجَنْبِ مُعْتَصِمُ
لَا يَشْفَعُ الْفِعْلُ إِنْ لَمْ يَشْفَعْ الْقِسْمُ
وَالْحُبُّ يَنْجِي وَيَبْعُضُ الْحُبُّ مَا يَبْصِمُ

الْوَحْيُ هَلَّ وَهَلَّ الْخَيْرُ يَعْقِبُهُ
عَزَّتْ قَرِيشٌ بِهَذَا الْأَمْرِ وَافْتَخَرَتْ
الْبَحْرُ وَالْبَرُّ فِي طَه سَعَادَتُهُمْ
إِنَّ الْحَضَارَةَ بِالْعَدَنَانِ مَبْدُوهَا
وَكُلُّ خَيْرٍ مِنَ الْإِصْلَاحِ أَصْلُهُ
يَا سَيِّدَ النَّاسِ إِنِّي الْيَوْمَ أَعْلَنُهَا
مَا قِيلَ فِيكَ مِنَ الْمَدَاحِ مُقْتَضِبُ
فِي مِثْلِ طَه وَهَلَّ مِنْ مِثْلِهِ أَحَدُ
وَكُلُّ نَظْمٍ بِهِ مُسْتَعَذَبٌ حَسَنُ
فَقَدْ أَفَاضَ أَمِيرُ الشَّعْرِ بَرْدَتَهُ
وَتَجَّ مِنْ مُعْصِرَاتِ الْجَوَى وَدَقَّا
نَفِيسَةَ سَكَنْتِ أَصْدَافَ لَوْلُؤَةٍ
كَأَنَّهَا لُجَجٌ مِنْ فَوْقِهَا لُجَجُ
فَمَا ذَكَرْتِكَ يَا طَه بِقَافِيَةٍ
فَمَا يُفَرِّقُ غَيْرَ الدَّمْعِ بَيْنَهُمَا
وَالنَّفْسُ بَيْنَهُمَا مَقْهُورَةٌ كَمَدًّا
يَا سَيِّدَ النَّاسِ قَسْرًا عَنْ أَنْوْفِهِمْ
إِنِّي أَهَابُكَ فِي قَوْلِي وَقَافِيَتِي
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا أَنْفَكَ مُمْتَدِحًا
حُبًّا إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ قَافِيَتِي

حَتَّى تَأْتِ فَلَيسَ الْيَوْمَ تَنْكُتُمْ
 يَا وَيْحَ مُضْغَةِ صَدْرِي طَبَعُهَا السَّامُ
 مَا كَانَ فِيهَا بَغِيرَ الْحُبِّ يَنْصَرِمُ
 مِنْهَا الشُّخُوصُ وَمِنْهَا الْبَانَ وَالْعَلَمُ
 وَالشُّعْرُ يُسْعَفُ إِنْ لَمْ تُسْعَفِ النَّقْمُ
 وَلَمْ يَكُنْ بِصِرَاطِ الْحَقِّ يَلْتَزِمُ
 فَكُلُّ مَا قِيلَ فِي غَيْرِ الْهُدَى لَمَمٌ
 بَبَابِ أَحْمَدَ حُجَّابٌ لَهُ خَدَمٌ
 وَكُلُّ صَرَحٍ بَغَيْرِ الدِّينِ مَنْهَدَمٌ
 أَلَمْ يُبَشِّرْ بِهِ الْإِنْجِيلُ عِنْدَكُمْ
 يَكْفِيهِ هُزُؤُ شِرَارِ النَّاسِ مِثْلَكُمْ
 وَكَيْفَ يَسْمَعُ مِنْ فِي سَمْعِهِ صَمٌ
 وَالذَّاءُ يَظْهَرُ مِنْ أَعْرَاضِهِ الْوَرَمُ
 أَقْلٌ حَرَبَهُمْ فِي بَيْتِكَ اللَّقْمُ
 وَلَمْ يَثُورُوا عَلَى هَذَا وَيَنْتَقِمُوا
 فَالِدِّينُ مُمْتَنِعٌ وَالْحَقُّ مُلْتَزَمٌ
 مِنْ غَيْرِ أَحْمَدَ لَا عَهْدٌ وَلَا ذَمُّ
 نَوَاشِرُ الطَّيِّبِ مِنْ جَنْبِهِ يَتَسَمُّ
 فَضْلُ الْخُطَابِ وَفَضْلُ الْقَوْمِ وَالْحَكْمُ
 يُسْتَنْطِقُ الصَّخْرَ مِنْ مَبْنَاهُ وَالْبُكْمُ

جَاهَدْتُ كَتْمَانَهَا فِي مُهْجَتِي زَمْنَا
 وَيَسَامُ الْقَلْبُ مِنْ أَمْرِ يُسْرُ بِهِ
 كُلُّ الْجِبَالِ وَإِنْ كَانَتْ مُغْلَظَةً
 لَهُ صُنُوفٌ بِأَسْبَارِ الْجَوَى عَدَدٌ
 أَقْلٌ تَقْدَمْتِي شِعْرٌ نَقَمْتُ بِهِ
 لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي شِعْرِ تَلُوكَ بِهِ
 الْقَوْلُ بِالْهُدَى أَوْ لَا قَلَّتْهُ أَبَدًا
 كُلُّ الرَّجَالِاتِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
 يَا أُمَّةَ الْغَرْبِ صَرَحُ الشُّرْكِ مُهْتَرِي
 أَمَا قَرَأْتُمْ مِنَ التَّوْرَةِ هَيْئَتَهُ
 أَمَا عَلِمْتُمْ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ
 لَمْ تَسْمَعُوهُ وَقَدْ شُقَّ الْهَلَالُ لَهُ
 إِنْ أَنْتَفَاشَ حَضَارَاتِ الْعَدَا عَرَضُ
 فَارِبًا بِبَطْنِكَ أَنْ يَقْتَاتِ حَاجَتَهُمْ
 فَكَيْفَ يَفْلِحُ قَوْمٌ سَبَّ سَيِّدَهُمْ
 وَالزَّمُ تَرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ سُنَّتَهُ
 كُلُّ الْمَبَادِيِّ وَالْأَعْرَافِ سَائِبَةٌ
 إِنْ قَامَ قَامَ أَرِيحُ الْمَسْكِ يَلْحَقُهُ
 أَوْ قَالَ أَجْمَعَ بِالْإِحْكَامِ مَنْطِقَهُ
 بِهِ بَيَانٌ حَلَالُ السَّحْرِ فِتْنَتَهُ

كَأَنَّهُ نَهْرٌ أَوْ هَاطِلٌ عَرْمٌ
 وَالْجَذْعُ حَنْ لَهٌ وَالْحَلُّ وَالْحَرْمُ
 إِلَّا وَتَسْبِقُهُ فِي سَوْلهِ نَعَمٌ
 إِلَّا وَيَظْهَرُ نُورُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ
 بِسِمَةِ الْوَجْهِ حَوْلَ الثَّغْرِ تَرْتَسِمُ
 يُقَلِّبُ الطَّرْفَ فِي خَدَيْهِ يَبْتَسِمُ
 سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ وَدَرَّ الشَّاءُ وَالنَّعَمُ
 وَأَفْحَطَتْ مُضْرٌّ وَأَفْقَرَتْ جُشْمٌ
 وَهِيَ الَّتِي بِرَسُولِ اللَّهِ تَلْتَمِسُ
 بِرَيْقِهِ فَيَزُولُ السَّمُّ وَالسَّقَمُ
 عَلَاهُ حُسْنٌ بِسِيمَا الْخَيْرِ يَتَسِمُ
 وَتَوْشِكُ الْحَرْبُ أَنْ تَضْرَأَ وَتَضْطَرَّمُ
 هَذَا الصَّدُوقُ وَهَذَا الرُّكْنُ يَسْتَلِمُ
 بَنِي بِهِ قَبْلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَحِمٌ
 وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَرْحٌ وَلَا كَلِمٌ
 مَا خَطَّهُ قَلَمٌ أَوْ قَالَ عَنْهُ فَمٌ
 يَا ذَلِكَ اللَّيْثُ أَهْلُ ضَاقَتْ بِكَ الْأَجْمُ
 وَيَفْهَمُ الْمَوْتَ إِنْ لَمْ يَفْهَمْ الْفَهْمُ
 وَلِلسُّيُوفِ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ قَرْمٌ
 فِيهِ الْكِنَائِسُ وَالْأَدْيَانُ تُحْتَرَمُ

تَفَجَّرَ الْمَاءُ مِنْ إِبْهَامٍ إِصْبَعِهِ
 أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ تَذَكَّرَهُ
 مَا قَامَ قَاصِدُهُ فِيمَا يُؤْمَلُهُ
 وَمَا تَحَدَّثَ نَحْوَ النَّاسِ مُبْتَدِرًا
 يَهْدِيكَ لِلْحَقِّ مِنْ غَيْرِ الدُّعَاءِ لَهُ
 قَدْ أَسْلَمَ ابْنُ جَرِيرٍ طَوَّلَ نَظْرَتَهُ
 سَأَلَ الْغَمَامُ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا قَحَطَتْ
 عَمَّ الرِّضِيعُ بَنِي سَعْدٍ بَطَلْتَهُ
 قَدْ أَنْخَنُوهُ جِرَاحَ الْحَرْبِ فِي أَحَدٍ
 يَشْفِي السَّقِيمَ إِذَا مَا جَاءَ مُشْتَكِيًا
 كَسَاهُ سَمَتٌْ وَقَارًا لَا عَلُوَّ بِهِ
 لَمَّا رَأَتْهُ قَرِيشٌ صَاحَ صَائِحُهَا
 هَذَا الْأَمِينُ أَمِينُ الْقَوْمِ نَقَبَلُهُ
 بَنِي بِهِ الْحَجَرَ الْمُسَوَّدَ مَوْضِعَهُ
 فَلَا تَحْدُ دُرُوسُ الْعِلْمِ سِيرَتَهُ
 وَكُلُّ مَا ذَكَرَ التَّارِيخُ مُخْتَصَرٌ
 مَا بَالُ صَيْدِكَ قَدْ زَادَتْ طَرَائِدُهُ
 لِيَفْهَمْ الْغَرْبُ أَنَّ الْحَقَّ مُعْتَصِمٌ
 فَلِلسَّلَاحِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ وَلَعٌ
 وَأَهَا عَلَى زَمَنِ صِنَاةٍ مَحْتَرَمًا

وَاسْتَنْهَضَتْهُمُ إِلَى عَلَيَّاهَا الْهَمَمُ
وَالْبُرْبَرِيُّ^(٢) الَّذِي سَارَتْ بِهِ التَّخَمُ
لَمْ يُنْسِنَا عَنْكُمْ بَعْدُ وَلَا قَدَمُ
تَدْعُو إِلَيْهِ هُنَاكَ الْأَيْتُقُ الرَّسْمُ
مَا أَعْجَزَ السِّيفُ لَمْ يَعْجِزْ لَهُ الْأَدَمُ
وَالْبَعْضُ يُبْلِغُهُ فِي سَاحِهَا الْحَلْمُ
وَالْمَوْتُ يُفْطِمُنَا عَنْهَا فَتَنْفَطِمُ
مُسْتَمْسِكُونَ بِرُكْنٍ لَيْسَ يَنْفَصِمُ
فَالْحَرْبُ تَفْعَلُ مَا لَا يَفْعَلُ السَّلْمُ
قَوْلِي وَقَلْبِي بِهَا مُسْتَعَذِبٌ شَبِمُ
عَلَى صَفِيكَ خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
مُحَمَّدٌ مِنْ بِي الْأَخْيَارِ قَدْ خُتِمُوا
إِلَّا وَقَلْبِي وَالْعَيْنَيْنِ تَخْتَصِمُ
يَجْرِي سَخِينًا عَلَى الْحَدِيدِ يَزْدَحِمُ
مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَعْضَاءِ تَلْتَطِمُ

دَكَتْ خِيُولُ بَنِي مَرَوَانَ مَغْرِبَهُمْ
الْغَافِقِيُّ^(١) عَلَى أَبْوَابِهِمْ وَثَبُ
لَنَا مَعَادُ بِلَادِ الْغَرْبِ فَارْتَقِبِي
مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ مَضَتْ
سَارَتْ قَوَافِلُهَا بِالْأَدِينِ تَنْشُرُهُ
إِنَّا رَضَعْنَا قَتَامَ الْحَرْبِ أَغْلَمَةَ
يَشِبُّ نَاشِئُنَا حَتَّى يَشِيبَ بِهَا
الْقَابِضُونَ عَلَى جَمْرِ عَقِيدَتِهِمْ
لَا يُنْصَرُ الْحَقُّ إِنْ لَمْ يَحْتَرَبْ زَمَانًا
أَزْكَى صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ يَبْعَثُهَا
مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا
مَوْلَايَ صَلِّ وَبَارِكْ مَا أَرَدْتَ عَلَيَّ
فَمَا ذَكَرْتُكَ يَا طَهَ بِقَافِيَةِ
فَمَا يُفَرِّقُ غَيْرُ الدَّمْعِ بَيْنَهُمَا
وَالنَّفْسُ بَيْنَهُمَا مَقْهُورَةٌ كَمَا

لِللَّهِ دَرْكٌ يَا دَكْتُورَ جِهَادٍ، لَا فُضَّ فُوكَ، وَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي قَلْمِكَ،

وَجَمَعَكَ بَنِيكَ ﷺ فِي الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى .

(١) هو عبدالرحمن الغافقي الذي وصل بجيوشه إلى جنوب باريس .

(٢) البربري: يعني به طارق بن زياد فاتح الأندلس .

جَلَّ مَنْ رَبَّكَ

لمحمد بن عبد الرحمن المقرئ^(١)

وَرَعَاكَ فِي كَنْفِ الْهُدَى وَحَمَاكَ
 لَمْ يُعْطِهَا فِي الْعَالَمِينَ سَوَاكَ
 فِيكَ الْجَمَالَ.. فَجَلَّ مَنْ سَوَاكَ
 لِلْعَالَمِينَ بِهَا نَشَرْتَ هُدَاكَ
 مَحْمُودَةً.. مَا نَالَهَا إِلَّا كَا
 مَا ضَلَّ مَنْ تَبِعَتْ خُطَاهُ خُطَاكَ
 شَمْسُ الْهَدَايَةِ يَوْمَ لَاحَ سَنَاكَ
 حَتَّى رَبَّطْنَا جَبَلَنَا بِعُرَاكَ
 أَوْ كَوَكَبٍ.. لَا نَعْرِفُ الْإِشْرَاكَ
 حَتَّى هَدَانَا اللَّهُ يَوْمَ هَدَاكَ
 وَشَكَا لَكَ الْحَيَوَانَ يَوْمَ رَاكَ
 وَبَكَأُوهُ شَوْقًا إِلَى لُقْبَاكَ
 وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قَدْ زَكَّاكَ؟!
 سَبْحَانَهُ بَعْيُونَهُ يَرْعَاكَ؟!
 رَمَتِ الطُّغَاةَ فَبُورَكَتْ كَفَّاكَ؟!
 حَفِظْتِكَ يَوْمَ غَفَّتْ بِهِ عَيْنَاكَ

رَبَّكَ رَبُّكَ.. جَلَّ مَنْ رَبَّكَ
 سَبْحَانَهُ أَعْطَاكَ فَيُضْ فَضَائِلِ
 سَوَاكَ فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ وَارْتَقَى
 سَبْحَانَهُ أَعْطَاكَ خَيْرَ رِسَالَةٍ
 وَحَبَاكَ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ شَفَاعَةً
 اللَّهُ أَرْسَلَكُمْ إِلَيْنَا رَحْمَةً
 كُنَّا حَيَارَى فِي الظَّلَامِ فَأَشْرَقَتْ
 كُنَّا وَرَبِّي غَارِقِينَ بَغِيْنَا
 لَوْلَاكَ كُنَّا سَاجِدِينَ لِصَخْرَةٍ
 لَوْلَاكَ لَمْ نَعْبُدْ إِلَهًا وَاحِدًا
 أَنْتَ الَّذِي حَنَّ الْجَمَادُ لِعَطْفِهِ
 وَالْجَذَعُ يُسْمَعُ بِالْحَنِينِ أُنَيْنُهُ
 مَاذَا يَزِيدُكَ مَدْحُنَا وَثَنَاؤُنَا
 مَاذَا يُفِيدُ الذَّبُّ عَنْكَ وَرَبُّنَا
 «بَدْرٌ» تُحَدِّثُنَا عَنِ الْكَفِّ الَّتِي
 وَ«الْغَارُ» يُخْبِرُنَا عَنِ الْعَيْنِ الَّتِي

تُغْضِي حُرُوفِي رَأْسَهَا لِعَلَّاكَ
 عَادِي إِلَهَ الْعَرْشِ مَنْ عَادَاكَ
 رُوحٌ تَرُوحُ وَلَا يَمَسُّ حِمَاكَ
 وَسَطَ الْعُرُوقِ دِمَاءٌ مِنْ آذَاكَ
 قَدْ حَاضَ فِي الْعَرْضِ الشَّرِيفِ وَلَاكَ
 «مَنْ فِي الْقَطِيعِ سَيُصْبِحُ الْأَفَّاكَ؟!»
 وَهَنَّاكَ جَائِزَةَ السَّبَاقِ هُنَاكَ!!
 تَجِدُوا هُنَاكَ عَنِ الْجَحِيمِ فِكَاكَ
 وَنَكُونُ وَسَطَ حَلُوقِهِمْ أَشْوَاكَ
 لَوْ كَانَ قَلْبٌ لِلْقَصِيدِ فِدَاكَ
 حَتَّى تَطُولَ الذَّرَّةُ الْأَفْلَاكَ!!
 ذَرَّاتِ رَمَلٍ مِنْ تُرَابِ خُطَاكَ
 مِثْلُ السَّمَاءِ.. فَمَنْ يَطُولُ سَمَاكَ؟!!
 وَجَمِيعُ مَا حَوَتْ الْحَيَاةُ فِدَاكَ

لَمْ أَكْتُبِ الْأَشْعَارَ فِيكَ مَهَابَةً
 لَكِنهَا نَارٌ عَلَى أَعْدَائِكُمْ
 إِنِّي لِأُرْخِصُ دُونَ عَرْضِكَ مَهْجَتِي
 شَلَّتْ يَمِينُ صَوْرَتِكَ وَجُمِدَتْ
 وَيْلٌ فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِلَّذِي
 يَا إِخْوَةَ الْأَبْقَارِ رَمَزُ سِبَاقِكُمْ
 النَّارُ يَا أَهْلَ السَّبَاقِ مَصِيرِكُمْ
 تَتَدَافِعُونَ لِقَعْرِهَا زُمَرًا وَلَنْ
 هُبُّوا بَنِي الْإِسْلَامِ نَكْسِرُ أَنْفَهُمْ
 لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَبْضُ قَصَائِدِي
 هُمْ لَنْ يَطُولُوا مِنْ مَقَامِكَ شَعْرَةً
 وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ وَلَا إِلَى
 هُمْ كَالْحَشَّاشِ عَلَى الثَّرَى وَمَقَامِكُمْ
 رُوحِي وَأَبْنَائِي وَأَهْلِي كُلُّهُمْ

في نصرة الرسول ﷺ

لِلْحَمْدِ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ

واحرقني الإحساسَ مَنْأَ قَدْ تَبَلَّدَ
 وارجمي مَنْأَ لِسَانًا قَدْ تَجَمَّدَ
 واستبِيحَ الْقُدْسُ وَالصَّرْحُ الْمُرْدُ
 مَنْ بَارِضِ الْكُفْرِ يَسْخَرُ مِنْ مُحَمَّدٍ
 أَيُّ كُفْرٍ صَارَ يُحْمَى أَوْ يَمَجَّدُ؟!
 ما ترى فينا صليلاً يترددُ
 نُورُهُ يَهْدِي إِلَى الْخَيْرِ الْمُسَدَّدُ
 فَاسْتَقْتِ مِنْهُ الْهَدَى دَوْمًا لِتَسْعُدِ
 دُونَ مَاوَى فِي الْبَرَارِي يَتَشَرَّدُ
 لِفَقِيرٍ مِنْ لَطَى الْفَقْرِ مُهَدَّدُ
 مِنْ ظَلَامِ الْكُفْرِ وَالْإِجْرَامِ جَلْمَدُ
 رَحْمَةُ الْهَادِي الْحَيِّبِ بِهِ تُجَدَّدُ
 «أَنْتُمْ الْطَلْقَاءُ» فِي الْأَرْضِ تُرَدَّدُ
 فِي جَبِينِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا كَأَحْمَدُ؟!
 عَشْقُهُ لِلصَّبِّ أَمْجَادُ وَسُؤْدُدُ
 نَسْتَقِي مِنْ حُبِّهِ حُبًّا يَمُدُّ
 وَالضِّيَاءُ بِحُبِّهِ خُلْدٌ وَسَرْمَدُ
 إِنْ سَكَتٌ عَلَى الْإِسَاءَةِ يَا مُحَمَّدُ!

أَمْطَرِينَا يَا سَمَاءَ اللَّهِ جَمْرًا
 وَارْجَمِينَا يَا جِبَالَ الْأَرْضِ صَخْرًا
 كَيْفَ يَهْنِينَا الطَّعَامُ وَقَدْ صَرَعْنَا
 كَيْفَ يُنْعَشِنَا النَّسِيمُ وَقَدْ سَمَعْنَا
 أَيُّ ضَيْمٍ فَاقَ ضَيْمَ النَّاسِ طُرًّا
 أَلْفُ مَلِيُونَ بِلَا وَزْنٍ تَرَانَا
 يَدْفَعُ الْبَاغِينَ عَنْ عَرْضِ نَبِيِّ
 جَاءَ لِلدُّنْيَا فَأَشْرَقَ فِي رَبَّاهَا
 أَدَبَ الشُّرْكَ وَأَزْدَاهُ طَرِيدًا
 عَلَّمَ النَّاسَ السَّعَادَةَ كَيْفَ تَهْدَى
 وَسَرَى فِي رُوحِنَا يَرْوِي قُلُوبًا
 يَوْمُ مَكَّةَ فِي رُؤْيِ التَّارِيخِ يَوْمُ
 حِينَ قَالَ لِمَنْ بَغَى يَوْمًا قَرِيبًا
 يَا بِلَادَ اللَّهِ هَلْ شَاهَدْتَ يَوْمًا
 مِنْ تَبَارَى فِيهِ أَهْلُ الْحُبِّ جَمْعًا
 حِينَ تَنْسَى الرُّوحُ أَنَّ الْحُبَّ يَرْوِي
 وَاللِّيَالِي فِي مَحَبَّتِهِ ضِيَاءُ
 يَا نَبِيًّا شَلَّ كُلُّ الْجِسْمِ مِنْي

لَيْسَ تَنْفَعُنَا صَلَاةٌ إِنْ تَهَدَّدَ
وَاقْطَعُوا الْكُفْرَ الْجَبَانَ بِلَا تَرَدُّدٍ
ذَلِكَ عَرَضُ الْمُجْتَبَى الْهَادِي مُحَمَّدٌ
مِنْهُ كُلُّ الْكُونِ وَالْأَحْيَاءِ تَفْسَدُ

دِفَاعٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

مَا الَّذِي يَبْقَى لَنَا بَعْدَ رَسُولِي
يَا رِجَالَ الْحَقِّ بِالْإِيمَانِ قَوْمُوا
ذَلِكَ عَرَضُ الْمُصْطَفَى يُجْتَاخُ جَهْرًا
إِنْ صَمَّتِ النَّاسُ خَزِيًّا وَانْكَسَارًا

للديكتاتور ثامر القحطاني

وَجَنَابُ أَحْمَدَ لِلطَّغَامِ مُتَاحٌ؟
بَعْدَ السَّبَابِ تَفَكُّهُ وَمُزَاحٌ
تَلْفَى لَدَيْنَا أَهْبَةٌ وَكَفَاحٌ
نُلْفَى وَلِلْجُرْدِ الْعِتَاقِ صَبَاحٌ
فِيهَا لُجُنْدُ الْكَافِرِينَ ذُبَاحٌ
وَحَرِيمُنَا دُونَ الرَّسُولِ مُبَاحٌ
فَفِدَاؤُهُ الْمُهَاجَاتُ وَالْأَرْوَاحُ
سَتَنَالُ مِنْكَ أَسِنَّةٌ وَرِمَاحُ
وَتُزَالُ مِنْكَ قَوَادِمٌ وَجَنَاحُ
يُرْجَى السَّلَامُ وَيُتَغْنَى الْإِصْلَاحُ؟
سَيْفٌ يُسَلُّ وَغَارَةٌ مَلْحَاحُ
حِزْبُ الصَّلِيبِ فَمَقْتُلٌ وَجِرَاحُ
وَرِجَالُهُ الْأَقْرَامُ وَالْأَشْبَاحُ
أَعْمَارُهُنَّ قَذَارَةٌ وَسِفَاحُ

أَيَطِيبُ مَمْسَى أَوْ يَرُوقُ صَبَاحُ
كُتِبَ الصِّيَامُ عَنِ الْمُزَاحِ فَمَا لَنَا
إِنَّا إِذَا سِيمَ الرَّسُولِ أُذِيَّةٌ
وَإِلَى الْمَنِيَّةِ مُسْلِمِينَ نَفُوسَنَا
هَذِي جِحَافُ خَالِدٍ قَدْ أَقْبَلَتْ
تَفْدِي الرَّسُولِ طِرَافُنَا وَتِلَادُنَا
وَدِمَاؤُنَا دُونَ الرَّسُولِ رَخِيصَةٌ
قَلٌّ لِلَّذِي شَتَمَ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا
وَتُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ دُونَ هَوَادَةٍ
أَفْبَعْدَ شَتَمِ الْكَافِرِينَ مُحَمَّدًا
هِيَاهُ لَا يَسَى سِوَى الْأَسِنَّةِ مَرْكَبُ
وَطِرَادُ يَوْمِ كَرِيهَةٍ يُخْزِي بِهِ
يَا أَيُّهَا الْبَلَدُ الْحَقِيرُ تِرَائُهُ
وَنِسَاؤُهُ الرَّجْسُ الْخَبَائِثُ طِينَةٌ

مَلَأَ الْوُجُودَ عَبِيرَهُ الْفَوَاحُ؟
 كُلَّ الْبَرَى فِيهِ الظَّلَامُ مُزَاحٌ
 فَلَنَا بِقَفْوِ سَبِيلِهِ إِنْجَاحٌ
 سَنَّ حَسَانٌ تُحْتَذَى وَصَحَاحٌ
 وَسَرَّاجُهَا الْوَهَّاجُ وَالْمُصْبَاحُ
 بِمَقَامِهِ يَوْمَ النُّشُورِ نُرَاحُ
 لِلْكَوْنِ مِنْهَا أَنَّهُ وَصِيَّاحُ
 لَا سَفْرَ يَرْضَاهُ وَلَا إِصْحَاحُ
 إِلَّا لَدَيْكَ فَلَيْسَ فِيهِ جُنَاحُ
 فِيهَا لِمَجْتَمَعِ الْكِلَابِ نُبَاحُ
 قَدَمًا وَكُفْرًا فَوْقَ ذَاكَ بَوَاحُ
 مَا إِنْ لَهُمْ عَنْهَا الزَّمَانُ بَرَاحُ
 مِنْهُنَّ تُجْنَى فِيكُمْ الْأَرْبَاحُ
 وَتَسِيلُ مِنْكُمْ بِالْدمَاءِ بَطَاحُ
 لَخَنَتُ وَسَاءَ غُدُوها وَرَوَاحُ
 يَغْشَاهُ مِنْ لَيْلِ الْمُصَابِ جَنَاحُ
 خَزِيًا يَظَلُّ عَلَى الْمَدَى يَنْدَاحُ
 عَيْشٌ وَعَرَضُ الْهَاشِمِيِّ مَبَاحُ؟!
 فَلِهِنَّ فِيهِ مَسْرَحٌ وَمُزَاحُ
 صَاحِ النَّذِيرِ وَصَرَاحِ الْإِصْبَاحُ

أَتَطَاوَلَ الْأَوْغَادُ فِيكَ عَلَى الَّذِي
 وَأَنَارَ ضَوْءُ كِتَابِهِ وَصِرَاطِهِ
 مَنْ جَاءَ بِالدِّينِ الْحَنِيفِ مُخَلِّصًا
 هَذَا الْكِتَابُ الْمُسْتَبِينَ وَمِثْلُهُ
 خَيْرُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَإِمَامُهَا
 وَالرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ وَالْعَلَمُ الَّذِي
 يَا بُؤْرَةَ لِلْخِزْيِ سَاءَ قَرَارُهَا
 أَتَقَرُّ شَتْمَ الْهَاشِمِيِّ دِيَانَةً؟!
 لَا عَقْلَ يَقْبَلُهُ وَلَا مَدَنِيَّةُ
 وَالِدَانَ مَرَكُ بَلِيدَةٌ مَلْعُونَةٌ
 خُبْتُ تَأْصَلَ فِي النُّفُوسِ جِبِلَّةُ
 وَخَلَائِقُ وَصَفَتْ حَقَارَةَ مَعْدِنُ
 لَيْسَ الْجِزَاءُ فَحَسَبُ حَظَرِ بَضَائِعُ
 بَلْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ النَّكَالَ مُعْجَلًا
 وَتَغْصُ بِالْأَشْلَاءِ مِنْكُمْ بِقَعَّةُ
 وَتُبَدَّلُ الْأَفْرَاحُ فِيكُمْ مَاتَمًا
 خَطْبٌ يُجَلِّلُ جَمْعَكُمْ وَيُذِيقُكُمْ
 أَيَطِيبُ نَوْمٌ أَوْ يَلْدُ لِمَسْلَمٍ
 لَعَبَتْ بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ أَصَابِعُ
 يَا مُسْلِمُونَ كَفَاكُمْ نَوْمًا فَقَدْ

عَلَّنَا مَصَاحِفَ حَشْوَهْنَ فَلَاحُ!!
 هُزْءًا بَمَنْ هُوَ لِلْهُدَى مِفْتَاحُ
 مَا لِلْكَلابِ سِوَى النَّبَاحِ سِلَاحُ
 بَرًّا إِلَهُ وَمَنْ هُدَاهُ صِلَاحُ
 دُرُّ الْبَدِيعِ وَتَعْجِزُ الْأَمْدَاحُ
 يَا مَنْ تُزَاحُ بِوَجْهِهِ الْأَتْرَاحُ
 تَرْضَى وَإِنْ مَكَرَ الْعُدَاةُ وَصَاحُوا
 الْمَالُ وَالْمُهَاجَاتُ وَالْأَرْوَاحُ
 وَتَهَبُّ لِلنَّصْرِ الْمُبِينِ رِيَاحُ

أَوْ مَا كَفَاكُمْ أَنْهَمُ قَدْ دَنَسُوا
 وَالْيَوْمَ صَالُوا صَوْلَةَ هَمْجِيَّةً
 تَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بِكَيْدِهِمْ
 يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَأَجَلَ مَنْ
 يَا مَنْ تَكَلُّ عَنْ الْوَفَاءِ بِحَقِّهِ
 يَا قُرَّةَ الْعَيْنِينَ يَا بَرْدَ الْحَشَا
 إِنَّا كَذَلِكَ لَا نَزَالُ عَلَى الَّذِي
 نَحْنُ الْفِدَاءُ وَقَلَّ ذَلِكَ عِنْدَنَا
 سَتَحَطُّمُ الطَّاعُوتِ خَيْلِكَ عَاجِلًا

جئنا إليك رسول الله نعتذر

لما جد بن عبد الله الغامدي^(١)

مَّا تَجَرَّأَ ذَاكَ الْفَاجِرُ الْأَشْرُ
 بِكَ الرِّسَالَاتُ وَاسْتَهْدَتْ بِكَ الْبَشْرُ
 فَالْكَفْرُ مَنْدَحِرٌ وَالشَّرْكَ مُنْكَسِرُ
 كَمَا يَزِينُ ضَوْءَ الْأَنْجَمِ الْقَمَرُ
 وَسَنَةٌ فُسِّرَتْ فِي ضَوْئِهَا السُّورُ
 وَفِي حَدِيثِكَ ذَاكَ الْهَدْيُ يَنْهَمُرُ

جئنا إليك رسول الله نعتذر
 فأنت مؤتمن الرحمن إذ خُتِمَتْ
 جاهدت في الله إذ بلغت دعوته
 صلَّيت بالرُّسُلِ في مسراك كنت بهم
 تركت فينا كتاب الله نهجه
 ففي جبينك نور يشرق القمر

(١) الخبر .

وَفِي حَيَاتِكَ ذَاكَ الْمُقْتَدَى الْأَثَرُ
 وَكُنْتَ كَفًّا لِبَذْلِ الْخَيْرِ تَبْتَدِرُ
 وَإِنْ دُعِيْتَ فَلَا مُطْلُ وَلَا ضَجْرُ
 مَاذَا نَقُولُ وَمَاذَا فِيكَ نَخْتَصِرُ؟
 يِرْفَرُ الْقَلْبُ وَالْأَرْوَاحُ وَالْفِكْرُ
 هَذَا الْقُلُوبُ تَكَادُ الْيَوْمَ تَنْفَطِرُ
 قَلُوبُنَا بِلَهَيْبِ الْإِفْكَ تَسْتَعِرُ
 لِلْمُقْتَدِينَ فَتَلِكِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
 غَرَاءُ فِيهَا قُلُوبُ الشَّرِكِ تَنْبَهَرُ
 تَلِكِ الْفَلُولُ بِعَوْنِ اللَّهِ تَنْدَثِرُ
 وَخَرَّ قَيْصَرُ إِذْ لَمْ تُغْنِهِ النَّذْرُ
 فَالْجَهْلُ يُغْوِي وَهَذَا شَأْنٌ مَنْ كَفَرُوا
 شَلَّتْ يَدَاهُ.. وَتَبًّا لِلَّذِي نَشَرُوا
 أَيْمَانُنَا إِنْ تَوَالَتْ حَوْلَكَ الزُّمَرُ
 لِنُصْرَةِ الْحَقِّ وَالْقُرْآنِ تُعْتَصِرُ
 نَذُودُ عَنْكَ بِقَوْلِ اللَّهِ نَأْتِمُرُ
 ضَرَاغِمُ الْحَقِّ لَا جِبْنَ وَلَا خَوْرُ
 وَكَمْ تَغَيَّرَتِ الْأَفْلَاكُ وَالسَّيْرُ
 مَنَا الْعَزَائِمُ إِنْ ضَجُّوا وَإِنْ سَخِرُوا

وَفِي سَجَايَاكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى مُثْلُ
 قَدْ كُنْتَ قَلْبًا لِنَشْرِ الدِّينِ مُجْتَهِدًا
 إِذَا وَهَبْتَ فَلَا مَنْ وَلَا قَتْرُ
 وَكُنْتَ قَرَاءَنَا بِمَشْيِ بَخِيرِ هُدَى
 يَا نَاصِرَ الدِّينِ.. يَا وَحْيِ الْإِلَهِ بِهِ
 يَا أَشْرَفَ الْخَلْقِ لَنْ نَرْضَى بِمَا اقْتَرَفُوا
 وَجُدَانُنَا فِي جَحِيمِ الْغَيْطِ مُشْتَعِلُ
 يَا مَنْ أَضَاءَ بِنُورِ اللَّهِ سُنَّتَهُ
 مَنَاقِبُ النَّصْرِ فِي أَرْجَاءِ دَعْوَتِهِ الـ
 مَا بَيْنَ مُسْتَتِرٍ عَنْهَا وَمُنْكَسِرٍ
 هَذَاكَ زَلْزَلَ كَسْرَى فِي مَدَائِنِهِ
 يَا خَاتَمَ الرِّسْلِ لَمْ نَجْزِعْ لِمَا كَتَبُوا
 غُلَّتْ أَيَْادِيهِمْ إِذْ صَدَّقُوا خَرِفًا
 يَقِينًا أَنَّنَا نَفْدِي بِمَا مَلَكَتْ
 بَلْ تَفْتَدِيكَ وَأَيْمُ اللَّهِ أَفْتَدِي
 أَرْوَاحُنَا وَدِمَانَا فِيكَ نَبْذِلُهَا
 لَا نَرْضَى قَوْلَهُمْ.. كَلًّا وَمَا فَتَيْتُ
 فَكَمْ لَقِينَا وَلَمْ تَضْعُفْ عَزَائِمُنَا
 لَكِنَّا إِيْمَانُنَا وَمَا ضَعْفَتْ

فَالنُّورُ إِيمَانُنَا.. وَالنَّارُ نَقْمَتُنَا
 جِئْنَا نَلْبِيكَ لَا لِنَنْشِي أَبَدًا
 إِيمَانُنَا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ مُدْرِكُهُمْ
 وَأَنَّكَ الْمَصْطَفَى الْبُشْرَى النَّذِيرُ وَقَدْ
 أَدَّيْتَنَا فِينَا أَمَانَاتٍ وَقَدْ شَهِدْتَنَا
 عَزَاؤُنَا عُقْبَى الدَّارِ مَوْعِدُنَا
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْكُونَ - نَسْأَلُهُ
 نَارٌ تُبِيدُ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
 جِئْنَا نُقَدِّدُكَ لَا خَوْفٌ وَلَا حَذَرُ
 وَأَنَّ مَوْعِدَ ذَلِكَ الْمُفْتَرِي سَقَرُ
 ذُكِرْتَ إِذْ أَنْزَلَ الْإِنْجِيلَ وَالزُّبُرُ
 لَكَ الْقُلُوبُ وَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
 طُوبَى لِمَنْ آمَنُوا... بُشْرَى لِمَنْ صَبَرُوا
 لَكَ الْوَسِيلَةَ - وَالشَّيْطَانَ مُنْدَحِرُ

أَتْرَى سَتَنْفَعُ فِي الْقُلُوبِ عِظَاتُ؟

لسليمان بن أحمد بن عبد العزيز الكويش

أَتْرَى سَتَنْفَعُ فِي الْقُلُوبِ عِظَاتُ؟
 أَمْ سَوْفَ يَرْفَعُنَا مِنَ الذَّلِّ الَّذِي
 الْأَرْضَ مَنَّا قَدْ عَلَتْهَا تُخْمَةٌ
 يَا أَلْفَ مَلِيُونَ وَخَمْسَ مِئِينِهَا
 يَا أَلْفَ مَلِيُونَ غَنَاءُ كُلِّهِمْ
 مَوْتِي إِذَا عَبَثَ الْعَدُوُّ بَدِينَهُمْ
 وَتَرَاهُمْ عِنْدَ الْحُطَامِ ضِيَاعِمًا
 الذَّلُّ فِيهِمْ ضَارِبٌ أَطْنَابَهُ
 وَالْوَهَنُ شَاهَ الْوَهَنِ بِئْسَ ضَجِيعُهُمْ
 أَمْ هَلْ سَتَحْسَمُ أَمْرَنَا الْعِبْرَاتُ؟
 عَشْنَا بِهِ التَّنِيدُ وَالْأَهَاتُ؟
 أَعْدَادُنَا ضَاقَتْ بِهَا الْجَنَبَاتُ
 وَلَهُمْ بِكُلِّ فَجَاجِهَا أَنْنَاتُ
 مَتَشَتَّتُونَ مَعَ الشَّتَاتِ سُبَاتُ
 أَحْيَاءُ هُمْ لِكِنَّهُمْ أَمْوَاتُ
 وَكَأَنَّهَا فِي فَتْكَهَا الْحَيَّاتُ
 وَلَهُ بِهِمْ يَا وَيْحَهُ صَوْلَاتُ
 مِنْ بَطْشِهِ يَتَعَدَّرُ الْإِفْلَاتُ

مِنْ كُلِّ أَلْفٍ وَاحِدٍ إِنْ فَاتُوا
 الْأَوْغَادُ وَالْأَنْذَالُ وَالْعَاهَاتُ
 وَإِلَامَ هَذَا الذُّلِّ وَالْإِخْبَاتِ؟
 لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا بِهَا أَقْتَاتُ
 وَلَهُمْ بِيَسْطِ جِبَاهِنَا بَصَمَاتُ
 خَيْرٌ لِحُرٍّ دُونَ ذَلِكَ مَمَاتُ
 أَوَاهُ مِمَّا ضَمَّتِ الصَّفَحَاتُ
 شَتْمُوهُ حَتَّى بُحَّتِ الْأَصْوَاتُ
 غَزَوْا الْبِلَادَ وَهَدَدُوا بِالنَّاتِ
 الدِّينِ يَجْمَعُهُمْ وَهُمْ أَشْتَاتُ
 وَكَأَنَّ حَقَّ حِمَاهُمْ اللَّعْنَاتُ
 إِلَّا الْهَوَىٰ وَالتِّيَهُ وَالْقَنَوَاتُ
 وَالْيَوْمَ بَغْدَادُ لَنَا وَفُرَاتُ
 عَجَلَىٰ فَمَا فَوْقَ الرُّفَاتِ رُفَاتُ
 أَمَّا الْحُطَامُ فَمَا عَلَيْهِ فَوَاتُ

هُمْ أَلْفٌ مَلِيُونَ وَلَكِنْ لَيْتَ لِي
 يَا أَلْفَ مَلِيُونَ تَسَنَّمَ ظَهْرَهُ
 حَتَّامَ تَرْضُونَ الدِّنَاءَةَ وَالرَّدَى؟
 لَا خَيْرَ فِي عَيْشٍ بِغَيْرِ كِرَامَةٍ
 شَمَخَتْ فِرَاحُ الْبَغْيِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا
 سَخَرُوا مِنَ الْقُرْآنِ أَيُّ مَهَانَةٍ
 بَلْ صَوَّرُوا الْمُخْتَارَ أَقْبَحَ صُورَةٍ
 جَعَلُوهُ رَمْزًا لِلتَّخَلُّفِ وَالرَّدَى
 وَعَلَىٰ بَنِي الْإِسْلَامِ صَبُّوا حَقْدَهُمْ
 وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الْمَكَائِدِ غِيَّبُوا
 وَحِمَاهُمْ كَلَامٌ مُبَاحٌ لِلْعِدَا
 جَالَ الْعَدُوُّ بِهِ وَصَالَ وَلَمْ يَجِدْ
 بِالْأَمْسِ أَفْغَانَ الْكِرَامَةِ دُمِّرَتْ
 يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ
 هُبُّوا فِدِينَ اللَّهِ خَيْرَ تِجَارَةٍ

بِأَبِي وَأُمِّي

لرمضانِ عمر

وازدانَ فيه مَعَ النَّسِيمِ مِثَالُ
ليطِيبَ في مَدْحِ الحَبِيبِ مَقَالُ
كُنْتُ الَّذِي آبَتْ بِهِ الْأَمَالُ
فَأَكُونُ أَسْعَدَ مَنْ حَوْتَهُ رِمَالُ
إِنْ شَطَّ قَوْمٌ أَوْ بَغَى الدَّجَالُ
بَدَأَ القِتَالُ وَدَقَّتِ الأَطْبَالُ
مَنْ كُلَّ سُمًّا نَاعِقِ رِيغَالُ
يُجْدِي مَعَ الفِعْلِ الشَّنِيعِ جِدَالُ
طَعْنَا وَكِيدًا وَالحُرُوبِ سَجَالُ
سِحْرُ الوجودِ فَلَنْ يُعَابَ كَمَالُ!
حَاشَا لِمِثْلِكَ أَنْ يُسِيءَ مَقَالُ
وَلشَّيْءِ نَعْلِكَ تَسْقُطُ الأَقْوَالُ
صَفْرُ الوُجُوهِ الخِسَّةِ الأَنْذَالُ
شَاهَتْ وَجوهُ الغَرَبِ فَهِيَ سِمَالُ
وَاللُّؤْمُ فِيهِمْ شِيْمَةٌ وَخِصَالُ
خَجَلَتْ لِمِثْلِ فِعَالِهِنَّ بَغَالُ
تُوْتِي المِكارِمُ؟! بِسْمَا الأَفْعَالُ

هَذَا المِدادُ بِمِسْكَ أَحْمَدَ قَدْ هَمَّا
أَزْهُو بِهِ فِي رِقَّةٍ أَشْدُوا بِهَا
أَقْفُو بِهِ كَعَبِ الأَوَائِلِ لَيْتَنِي
فُتْصِئِنِي بِعِضِّ الشَّفَاعَةِ حِينَهَا
أَفْدِيكَ يَا خَيْرَ الخَلَائِقِ كُلِّهَا
بِأَبِي وَأُمِّي كَيْفَ لَا أَفْدِيكَ إِذُ
وَتَطَاوَلَتْ عُصَبُ الكِلَابِ وَأَنْفَتْ
قَدْ زَادَ حَدُّ الحَدِّ حَتَّى لَمْ يَعُدَّ
وَتَمَرَّدَ الأَزْلامُ حَتَّى أَنْخَنُوا
كَذَبُوا وَلَوْ صَدَقُوا لِقَالُوا: إِنَّهُ
خَيْرُ البَرِيَّةِ رَغْمَ أَنْفِ أَنْوْفِهِمْ
فَالقَوْلُ دُونَكَ فِي المَدِيحِ وَإِنْ عَلَا
فَلْيَخْسُئُوا، وَلْيَبِئْسَ مَا جَاءَتْ بِهِ
الرَّائِعُونَ مَعَ الشَّيْءِ كَأَنَّمَا
القَاصِرُونَ عَنِ الفِضَائِلِ مَا ارْعَوْا
شَرَّ البَرِيَّةِ يَا أَشْرَ خَلِيقَةِ
أَحْضَارَةِ الدَّجَلِ السَّخِيفِ أَهْكَذَا

يَا أَيُّهَا السُّفَهَاءُ وَالْأَنْذَالُ
 رَسَمَ الْحَقِيرُ وَشَبَّهَ الْمُحْتَالَ
 إِنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْحَبِيبِ تُقَالُ
 عِنْدَ الزُّحَامِ، وَعَزَّتِ الْأَحْمَالُ
 سَأَلْتُ بَعْدَ حَدِيثِهِ الْأَقْوَالَ
 وَمَعَ الْغُدُوِّ تَمَازَجَتْ أَصَالَ
 وَتَرَاقَصَتْ طَرَبًا لَهُ الْأَوْصَالَ
 مَهْمَا تَعَمَلَقُ لَمْ يَصِلْكَ خَيَالُ
 كُتِبُوا تَشْدُ وَجُوهَهُمْ أَحْبَالُ
 فَطَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَرَى الْأَجْيَالُ
 خَيْرَ الْقُرُونِ فَتِيَّةٌ تَخْتَالَ
 طَالَ السَّمَاءَ فَكَيْفَ ذَاكَ يُزَالُ
 ضَاءَتْ إِذَا غَرَبَ الْجَنُوبَ شِمَالُ
 فَمَشَتْ تُوَازِي ظِلَّهُ الْأَجْيَالُ
 سُوحُ الْبِطَاحِ فَحَمَلُهُنَّ نُقَالَ
 لَوْ زَيْنَ زَانَتْ عَشْرَهُ الْأَنْقَالَ^(١)
 شُمُّ الْقِيَاصِ كِبَرَهَا الْأَمْثَالُ
 لُقِيَا الْأَمِينِ وَفِي اللَّقَاءِ جَمَالُ

أَحَزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِنَاءَكُمْ
 أَحْلَامُ هَرَطَقَةَ، وَخِسَّةٌ قَاصِرُ
 لَا لَيْسَ فِي رَسْمِ الْحَسْبِ بِلَاغَةٌ
 فَهُوَ الْكَرِيمُ إِذَا الْكَرَامُ تَعَاظَمَتْ
 وَهُوَ الْفَصِيحُ إِذَا الْفَصَاحَةُ أَيْبَعَتْ
 فَبِذِكْرِهِ كَانَ الْغُدُوُّ رِيَاضَنَا
 وَبِمَدْحِهِ مَهَجُ الْقُلُوبِ تَرَنَّمَتْ
 يَا أَيُّهَا الْمُخْتَارُ حَسْبُكَ رُتْبَةٌ
 فَالْكَلُّ خَلْفَكَ وَاجْمُونَ كَأَنَّهُمْ
 خَيْرَتْ بَيْنَ الْحَمْرِ وَاللَّبَنِ الَّذِي
 فَاخْتَرَتْ فَطْرَةَ أُمَّةٍ لَمَّا تَزَلُ
 وَبَنِيَتْ لِلْإِسْلَامِ صَرْحًا شَامِخًا
 أَضْحَتْ بِهِ بَغْدَادُ نَجْمَةَ عَصْرِهَا
 وَمَشَى السَّحَابُ لِكَيْ يُفَارِقَ أَرْضَهَا
 وَتَتَابَعَ الْعُلَمَاءُ حَتَّى أَزِيدَتْ
 ذَاكَ ابْنَ سَيْنَا وَالْفَرَابِيَّ الَّذِي
 وَلَدِخِيَةَ الْكَلْبِيِّ إِذْ بَسَطَتْ لَهُ
 لَعَسَلَتْ دُونَ الْكَعْبِ لَوْ سَنَحَتْ لَنَا

(١) راجع «قالنا في ابن سينا والفارابي وغيرهما من الفلاسفة.

حَانَ الزَّمَانُ وَمُلْكُنَا سَيْرَالُ
 كُلُّ الْمَكَائِدِ تَخْتَفِي الْأُدْغَالُ
 وَيَذُوبُ بَغْيٌ تَنْتَهِي الْأَهْوَالُ
 تُذَكِّي النُّفُوسَ كَأَنَّهَا الْمَرْجَالُ
 حَتَّى يَثُوبَ مَعَ الرَّدَى الدَّجَالُ
 قَدْ أُسْرِجَتْ، وَتَقَدَّمَ الْخِيَالُ
 وَالْمُورِيَاتِ الْقَدْحُ وَالْأَجْمَالُ
 حَتَّى تَدَافِعَ لِلْوَعَى الْأَبْطَالُ
 لِلنَّصْرِ يَعْלו فَوْقَهُنَّ هِلَالُ
 أَتَذُودُ بِالْعَزْمِ الْفَتَى نِصَالُ
 نَعْمَ الدِّمَاءُ فِدَاكَ حِينَ تُسَالُ
 فَمَشَى النَّعِي يُقَوِّدُهُ الْإِعْوَالُ
 فَهَوَتْ عُرُوشٌ حُطِّمَتْ أَغْلَالُ
 وَالْبُشُّ يُصْرَخُ أَنْ هَلُمَّ تَعَالُوا
 مَا قَدْ دَعَا وَتَقَطَّعَتْ أَجْبَالُ
 أَذْيَالُ نَكَسْتِهِمْ، وَآلُ مَالُ
 سَنَجِزُ رَأْسًا لَنْ يَطُولَ نِزَالُ
 حَتَّى تَدُوسَ جَبِيئَهُ الْأَطْفَالُ
 إِنَّ الْمَعَامِعَ حِمْلُهُنَّ ثِقَالُ

أَفْرِي نَبِيَّكَ يَا دَحِيَّةُ إِنَّهُ
 سَيَزُولُ لَيْلُ الظُّلْمِ حَتَّى تَنْضَوِي
 وَيَعْمُ كُلُّ الْكُونِ عَدْلُ مُحَمَّدُ
 يَا أُمَّةَ الْمَلْيَارِ هَلْ مِنْ غَضَبَةٍ
 تَجْتَثُّ شَافَةً حَاقِدٍ مِنْ أَصْلِهِ
 فَالصَّافِنَاتُ مِنَ الْجِيَادِ عَلَى الذُّرَى
 وَالْعَادِيَاتُ الضُّبْحُ تَبْرِقُ فِي الدُّجَا
 يَا سَيِّدِي مَا إِنْ رَمَوْكَ بِسَهْمِهِمْ
 وَتَعَالَتْ الرَّيَايَاتُ تُعْلَنُ زَحْفَهَا
 مِنْ قُبَّةِ الْإِسْرَاءِ تَغْزِلُ عَزْمَهَا
 وَتُرِيقُ مِنْ دَمِهَا الزَّكِيَّ جَدَاوِلًا
 دَكَّتْ بِهِ جُنْدُ الْحَمَاسِ حُصُونَهُمْ
 وَالسَّمْهَرِيُّ بِهَا يَغْدُ خُطُوطَهُ
 وَتَقْهَقِرُ الْأُسْطُولُ أُسْطُولُ الْخَنَا
 وَتَنَاقِصُ الشَّيْطَانُ لَا يَلْوِي إِلَى
 وَتَشْرَدُمُوا فِرْقًا تَجْرُ خِيُولَهُمْ
 لَا تَفْرَحُوا.. أَمَا فَطَنْتُمْ أَنَّنَا
 وَيَبَاعُ فِي سُوقِ النَّخَاسَةِ بِشُكْمِ
 يَا أَيُّهَا الْغَرْبُ الْكَسِيحُ رُوَيْدِكُمْ

تَلُكَ الْمَكَارِمُ أَيُّهَا الْجُهَّالُ
 فَاسْتَنْفَرْتُ شَرًّا بِنَا الْأَوْصَالُ
 حَمِي الْوَطِيسُ أَتَاكُمُ الزَّلْزَالُ
 هَذَا الْجُمُوعُ يُقَوِّدُهَا الرَّبَّالُ
 تَفْدِي الْحَيْبُ نَفُوسَهَا وَالْمَالُ
 حَتَّى تَعُودَ لَهْدِيهَا الْأَجْيَالُ
 كُلُّ الْمَدَائِنِ لَنْ يَدُومَ ضَلَالُ
 كُلُّ الْوَعُودِ مَعَ النَّبِيِّ تُنَالُ
 نَحْنُ الْأَشَاوِسُ نَسُوءُ وَرَجَالُ
 فَالْحَرْبُ كَرَّتَارَةٌ وَسِجَالُ
 نَحْنُ الْأَلَى مَهَرُوا الْوَعَى الْأَبْطَالُ
 فَهُوَ الَّذِي قُضِيَتْ بِهِ الْأَجَالُ
 يَا مَوْتَ حَيٍّ فِي الْمَنُونِ مَنَالُ
 أَحْمَدُ بَغْيَةٌ وَأَمَالُ

وَلَنَا خُلِقْنَا وَلَنْ تُسَارَ لَغَيْرِنَا
 إِنَّا قَدَحْنَا بِالْحِمَاسِ نَفُوسَنَا
 وَتَضَاعَفَتْ أَحْقَادُنَا حَتَّى إِذَا
 سَنَّهُزُّ عَرْشِ الْكُفْرِ تَكْسَرُ أَنْفُهُ
 هَذَا الْجُمُوعُ تَدَاغَعَتْ نَحْوَالرَّدَى
 سَنَغِيرُ التَّارِيخِ نُصَلِّحُ أَمْرَهُ
 وَنَدُقُّ رُومًا ثُمَّ نَزُوي بَعْدَهَا
 وَعَدُّ النَّبِيِّ فِكَيْفٌ يُخَلِّفُ وَعَدُهُ
 هَذَا حَقَائِقُ هَدَيْنَا نَسْمُوبِهَا
 مَهْمَا بَطَشْتُمْ يَا قَسَاوِسَةَ الْفَنَاءِ
 وَالْحَرْبُ شَمُّ خِيَارِنَا إِنَّا لَهَا
 نَحْنُ الْأَلَى بَاعُوا النَّفُوسَ لِرَبِّهَا
 فَالْمَوْتُ إِمَّا أَنْ يَجِيءَ فَمَرْحَبًا
 فَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى لِقَاءِ مُحَمَّدٍ

الاعتذارية

لزيادة بن عبد الغفار^(١)

أَمْ انزَاحَ السَّتَّارُ عَنِ النَّوَارِ؟
 رَأَى النَّوَارَ مِنْ غَيْرِ الْخَمَارِ؟
 وَدَمَعُ الْعَيْنِ يَا نَوَّارُ جَارِ
 لَكَانَ مَثِيلُكُمْ دُرُّ الْمَحَارِ
 وَعَنْ حُبِّ الْغَوَانِي وَالْجَوَارِي
 أَبُوحُ بِهِ وَقَدْ نَفَدَ اصْطِبَارِي
 وَيَشْفِي الْقَلْبَ مِنْ جُهْدِ وَنَارِ
 وَآلُ الْبَيْتِ حُبُّهُمْ شُعَارِي
 فَقَدْ نَصَرُوهُ أَيَّامَ الذَّمَّارِ
 وَآلُ الْبَيْتِ فِيهِمْ كَالْمَنَارِ
 بِهِيْتَهُ فَأَنْعَمَ بِالصَّغَارِ
 سَحَائِبُ هَاطَلَاتُ الصَّغَارِ
 وَمَنِي كُلُّ شَوْقِي وَاعْتِدَارِي
 بِقَوْلٍ مِنْ صَحِيحِ الْقَوْلِ عَارِ
 وَأَعْقَبَهُمْ بِخِزْيٍ وَانْكِسَارِ

ضِيَاءُ الشَّمْسِ أَمْ نُورُ النَّهَارِ؟
 أَمْ اللَّيْلُ اِكْتَسَى بِالنُّورِ لَمَّا
 فَكَمَ قَلْبِي يَهِيمُ إِذَا ذُكِرْتُمْ
 وَلَوْ أَنِّي طَلَبْتُ لَكُمْ مَثِيلاً
 وَلَكِنِّي شَغَلْتُ الْقَلْبَ عَنْكُمْ
 بِحُبِّ صَادِقٍ لَا زَيْفَ فِيهِ
 أَلَا مَنْ مَبْلَغُ الثَّقَلَيْنِ عَنِي
 فَحُبِّي لِلرَّسُولِ فَدَتَهُ نَفْسِي
 وَأَصْحَابُ الرَّسُولِ لَهُمْ سَلَامٌ
 فَكَانُوا بَعْدَهُ أَصْحَابَ خَيْرِ
 فَأَصْغَرُهُمْ كَبِيرٌ قَدْ تَبَدَّى
 سَقَتْ أَرْضًا بِهَا صَارُوا جَمِيعًا
 إِلَيْكَ رَسُولُنَا مَنَّا سَلَامٌ
 أَسَاءَ إِلَيْكَ عَبَادُ الصَّلِيبِ
 أَذَلَّهُمُ الْمُهَيِّمِينَ أَيْ ذُلُّ

وَقَبِّحْ وَجْهَ رَسَامِ حَقِيرٍ
وَلَا غَفَرَ الْإِلَهَ لَهُ ذُنُوبًا
وَضَيِّقَ قَبْرَهُ لَا كَانَ فِيهِ
كَتَبْتُ الشَّعْرَ يَا خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ
فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ جِزَاءُ شِعْرِي
تَكُنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِي شَفِيعًا

وَأَبْدَلَهُ بَوَجْهَهُ كَالْحَمَارِ
يَكُونُ جِزَاؤُهَا سُوءَ الْقَرَارِ
وَأَسْكَنَهُ الْأَفْعَايَ وَالضَّوَارِي
إِلَيْكَ لَفَرَطٍ وَجَدِي وَانْتِظَارِي
إِذَا خُسِّرْتُ أَوْ كَانَ اخْتِيَارِي
وَأَذْكَرُ خَالِقِي عِنْدَ احْتِضَارِي

فَدَاكَ

لحسن بن زريق القرشي^(١)

أُكْفِكْفَهَا مِنْ مُقْلَتِي أَدْمَعًا حَرَى
وَأَنْظِمُهَا حَتَّى إِذَا مَا رَضَيْتُهَا
وَقَدْ سَبَقَتْ خَيْلُ الْمَدِيحِ رِكَائِبِي
وَأَيُّ فَخَارٍ أَنْ جَعَلْتُ قِصَائِدِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ عَذْبُ الْقَصِيدِ مُنَافِحًا
فَلَا أَنْطَقَ اللَّهُ الشَّفَاةَ بِجُمْلَةٍ
أَسَيْدَ خَلْقِ اللَّهِ كَيْفَ أَصَوْغُهَا
إِذَا قُلْتُ بَحْرًا فِي الْفَضَائِلِ وَالتَّقَى
وَإِنْ قُلْتُ لَيْثًا فِي الشَّجَاعَةِ إِنَّمَا

أُتْرَجِمُهَا فِي الْحُبِّ لِلْمُصْطَفَى شِعْرًا
بَعَثْتُ بِهَا شَوْقِي وَقَدْ ضَوَّعْتُ عَطْرًا
قَدِيمًا وَلَكِنْ هَمَّتِي تَطَلَّبُ الْفَخْرَا
وَصَيَّرْتَهَا فِي الذُّودِ عَنْ قَدَوْتِي مُهْرًا
يَغِيظُ الْعَدَا سِرًّا وَيَرْدَعُهُمْ جَهْرًا
وَلَا سَطَّرْتُ يَمْنَى وَلَا كَتَبْتُ يَسْرًا
وَكَيْفَ أَحِيلُ الْحَرْفَ فِي مَدْحِكُمْ نَبْرًا
تَكُونُ بَحَارُ الْأَرْضِ فِي بَحْرِكُمْ قَطْرًا
مَدَحْتُ لِيُوْثَ الْغَابِ إِذَا حَرَزْتَ ذِكْرًا

فَضَائِلُ جَاءَتْ مِنْ مَعِينِكُمْ تَتْرَأُ
وَأَنْ نَزَلَتْ فِي الْغَارِ يَا سَيِّدِي أَقْرَأُ
وَكَيْفَ تُوَاظِبُكَ الْمَجْرَةُ وَالشُّعْرَى
فَكَيْفَ يَرُومُ الْخَلْقُ فِي ذَمِّكُمْ أَمْرًا
قُورَاكِ فَنَالَتْ مِنْ كَرَامَتِنَا قَدْرًا
رَفَعَتْ بِهَا رِجْلًا وَثَنَيْتُ بِالْأُخْرَى
لِأَبْقَارِكُمْ؛ فَالْجُهْدُ فِي رَعِيهَا أُخْرَى
فَلَا قَرْنَهُ أَبْقَى وَلَا حَطَمَ الصَّخْرَا
خَنَازِيرُ غَرْبِ الْأَرْضِ قَدْ نَطَقَتْ كُفْرًا
فَكَانَتْ كَمَنْ جَدَّتْ لِمُدَيْتِهَا حَفْرًا
تُصَبُّهُ فَلَا حَمْدًا أَصَابَ وَلَا شُكْرًا
وَأَجْرِيَتْ مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِنَا نَهْرًا
وَكَيْفَ غَدَا الْمَلِيَارُ يَا أُمَّتِي صَفْرًا
سِوَى الْكَفِّ تَحْمِيهِ وَإِنْ بُتِرَتْ بَتْرًا
لِذِكْرِكَ دَرْعًا أَنْ يُرَادَ بِهِ شَرًّا
فَدَاكَ صِغَارُ الْقَوْمِ وَالْعَلِيَّةُ الْكُبْرَى
وُحِبْتُ النُّوَايَا جَاوَزَ الْحَدَّ وَاسْتَشْرَى
تُزَلْزَلُ أَقْدَامًا وَتَسْتَجَلِبُ النَّصْرَا
وَلَكِنَّ مَكْرَ الْقَوْمِ يَسْتَلْزِمُ الْمَكْرَا

أَذْكَرُ عَقْلًا أَمْ سَأْذُكْرُ حَنْكَةً
كَفَى بِكَ فَخْرًا أَنْ مُدَحَّتْ بَابَةً
فَكَيْفَ يُدَانِيكَ السَّحَابُ بِرَفْعَةٍ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُكْرَمًا
أَحَالِبَةَ الْأَبْقَارِ كَيْفَ تَجْرَأْتُ
جَهَلْتُ فَكَانَ الْقَوْلُ مِنْكَ عَدَاوَةً
وَمَا ضَرَّ لَوْ سَخَّرْتَهَا فِي رِعَايَةٍ
وَمَنْ يَنْطَحُ الصَّخْرَ الصَّلَابَ بِقَرْنِهِ
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْحَيَاةَ إِذَا غَدَتْ
تَمَادَتْ وَزَادَتْ فِي الضَّلَالِ غَوَايَةً
وَمَنْ يَتَعَرَّضُ لِلْسَّهَامِ بِنَحْرِهِ
أَغْرَكَ صَمْتُ الْقَوْلِ فَازْدَدَتْ جُرْأَةً
فَكَيْفَ أَبَانَ الْبُكْمُ يَا زَمَنَ الرَّدَى
يُقَالُ فَمَا دُونَ الْوَجْهِ يَصُونُهَا
فَدَاكَ رَسُولَ اللَّهِ نَحْرٌ جَعَلْتُهُ
فَدَاكَ أَبِي مِنْ بَعْدِ أُمِّي وَإِخْوَتِي
أَقُومِي، إِنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَا
أَلَا فَاجْعَلُوهَا وَقْفَةً عُمْرِيَّةً
فَمَا الصَّمْتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ حِكْمَةٌ

أَتَسَخَّرُ مِنْ شَخْصِ النَّبِيِّ

عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميعة الأهدل

وَيَا قِمَّةَ التَّضَلُّيلِ وَالخُبْثِ وَالغَدْرِ
رَسُولُ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْيُسْرِ
وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
رَوْوْفٌ رَحِيمٌ مَنَعَ الْفَضْلِ وَالصَّبْرُ
بِعَدْلٍ وَإِحْسَانٍ وَبِالرَّفْقِ فِي الْأَمْرِ
لَدَى الْمُصْطَفَى مِنْ دُونِ مَنْ وَلَا كِبْرُ
وَلَا ضَاقَ ذَرْعًا مِنْ عَنَاءٍ وَلَا فَقْرُ
وَأَخْزَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ يَا خَيْزَبَ الْعَصْرِ
دُوبِيَهِيَّةً سَوْدَاءَ غُولِيَّةَ الْقَعْرِ
وَفَكَرُكَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الدَّاءِ وَالضَّرِّ
خُطُوبُ الرِّزَايَا فِي سُجُونٍ مِنَ الدَّعْرِ
وَصَارَ عَلَى دَرْبٍ مِنَ الدَّلِّ وَالْقَهْرِ
خَسِئَتْ فَأَنْتَ الشَّيْنُ وَالْمَيْنُ لَوْ تَدْرِي
وَأَنْتَ لَيْسَ الطَّبَعُ تَرْتَاخُ لِلْوَزْرِ
وَأَنْذَرَ مَنْ يَعْصِيهِ بِالْوَيْلِ فِي الْحَشْرِ
لَمَّا جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ سَطْرًا عَلَى سَطْرِ
وَمِلْتُمْ وَأَسْرَعْتُمْ عِنَادًا إِلَى الشَّرِّ

أَتَهْزَأُ بِالْمُخْتَارِ يَا سَوْءَةَ الدَّهْرِ
أَتَسَخَّرُ مِنْ شَخْصِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
رَسُولُ حَبَاهُ اللَّهُ نُورًا وَحِكْمَةً
تَحَلَّى بِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ وَإِنَّهُ
مَحَا ظِلْمَةَ الطُّغْيَانِ وَالْجَهْلِ وَالْهَوَى
وَمَا الصَّفْحُ إِلَّا شَرَعَةٌ وَسَجِيَّةٌ
كَرِيمٌ حَلِيمٌ مَا تَوَانَى عَنِ الْوَفَى
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
رَكِبْتَ عَلَى مَوْجٍ مِنَ الْخِزْيِ فَارْتَقِبْ
حَيَاتِكَ فِي ذُلٍّ وَوَقْتِكَ جَمْرَةً
فَمَنْ رَامَ نَقْصَ الْمُصْطَفَى قَذَفَتْ بِهِ
وَزَجَّتْ بِهِ الْآفَاتُ فِي كُلِّ مَحْنَةٍ
خَسِرْتَ وَلَمْ تَكْسِبْ سِوَى الضَّيْمِ وَالرَّدَى
وَأَنْتَ سَقِيمُ الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ مَيِّتٌ
أَتَاكُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِالنُّورِ وَالْهُدَى
وَعَلَّمَكُمْ دَرْبَ النِّجَاةِ مُبَيَّنًا
ضَلَلْتُمْ وَحَرَفْتُمْ كِتَابَ هِدَايَةِ

أولو العدل والإنصاف والفهم والفكر
 وأخلاقه العلياء عطرة النشر
 وفكر منير منصف باسم الشعر
 فإن رسول الله كالشمس والبدر
 هداً بفضل الله للخير والأجر
 بدين قويم منبع الصدق والطهر
 ألم تستمع يوماً لآي من الذكر
 وما حملته الآي من سالف الدهر
 يفي باحتياج الخلق يكفي مدى العمر
 على كل آت في فلاة وفي بحر
 وكان هو الأمي في معشر الكفر
 ولكنه وحى أتى الناس بالبشر
 وعانده قوم فماتوا على الخسر
 قفوا وقفة الآساد فالكفر مستشري
 بسيدنا المختار يا أمة الذكر
 هو الطعن في الشريع في البطن والظهر
 بسهم من التشكيك والهزء والسخر
 وبشراكم يا قوم بالفوز والنصر
 وآل وأصحاب شفى بأسهم صدري

وآمن منكم بالنبي أولو النهي
 وكم شهدت منكم رجالاً نبيله
 فهلا تأملتُم بعين بصيرة
 وراجعتُم التاريخ في نعت أحمد
 مضيئاً منيراً هادياً ومبشراً
 وأنقذنا من ظلمة الظلم والهوى
 ألم تقرأ القرآن معجزة الورى
 ألم تتأمل في ثنايا سطورهِ
 ففيه نظام شامل متكامل
 وفيه علوم الأولين وينطوي
 تلاه رسول الله في كل مجمع
 فما حاد عن آي ولا كان لاحداً
 فصدقه قوم لصدق حديثه
 ويا أمة الإسلام أمة أحمد
 أيسخر أهل الكفر والظلم والقذى
 ألم تعلموا أن احتقار نبينا
 وأي حياة والشريعة تُرتمى
 فسدوا على الأعداء باب سفاهة
 وصلوا على طه المشفع في الورى

أَتَهْزَأُ يَا غُدْرُ بِالْمُصْطَفَى

عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميعة الأهطل

وَرَمَزَ السَّفَاهَةَ رَمَزَ النَّقْمِ
 وَسُوءَ التَّعَامُلِ مِنْذُ الْقَدَمِ
 أَمَا أَنْ لِّلشَّرِّ أَنْ يُخْتَرَمَ
 وَأَضْرَمْتُمْ النَّارَ بَيْنَ الْأَمَمِ
 إِمَامُ النَّبِيِّينَ طَوْدُ أَشَمِ
 وَدَيْنِ قَوْمِمْ وَرَمَزِ الْهِمَمِ
 بَنَيْتَ مِنَ الْجَهْلِ أَعْتَى لَغَمِ
 لَسْتُ مِنَ السُّخْرِ ثَوْبَ التُّهَمِ
 تَعَدَّى الْحُدُودَ بِرَسْمِ الْقَلَمِ
 رِضَاهُ وَأَوْغَلَ فِينَا الْأَلَمِ
 تَحَلَّتْ بِنُورِ الْهُدَى وَالْقِيَمِ
 بِنَقْضِ الْعُهُودِ وَنَكْثِ الْمَقَسَمِ

أَيَا زُمْرَةَ الْكُفْرِ جَيْلِ التُّخَمِ
 أَلَمْ تَهْجَعُوا مِنْ عَدَاءِ الرَّسُولِ
 أَمَا أَنْ لِلظُّلْمِ أَنْ يَنْتَهِيَ
 سَخَرْتُمْ بِشَخْصِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ
 أَتَهْزَأُ يَا غُدْرُ بِالْمُصْطَفَى
 رَسُولٌ عَلَى خُلُقِ نَيْرِ
 أَنْرُوجُ أُسَّسْتُ مَوْقُوتَةَ
 وَكُنْتُ عَنِ الشَّرِّ فِي مَعْزَلِ
 وَالِدَانِ مَرْكَبِي شَيْنُ الْوَرَى
 أَسَاءَ إِلَى الْمُصْطَفَى مُعَلَّنَا
 وَسَدَدَ سَهْمًا إِلَى أُمَّةٍ
 وَمَوْجِ الْعُتَاةِ أَتَى مُعَلَّنَا

فَذُلُّ التَّوَانِي بِنَا قَدْ أَلَمِ
 وَرَقَصَ وَلَهُوَ وَتَرَكَ الْقِيَمِ
 فَايُنَ الْإِبَاءُ وَأَيْنَ الشَّمَمِ

أَيَا أُمَّةَ الْبَدِينِ مَاذَا الْوَنَى
 شَبَابُ تَرْبَى عَلَى غَفْلَةٍ
 تَرْبَى عَلَى نَعْمَةِ الْفَاتِنَاتِ

قد اغتالها سوءُ فكرٍ أصم
فأينَ العهودُ وأينَ الدّم
ونصرٌ وفخرٌ وفضلٌ وكم

أيسخرُ من شرِّعنا زمرَةً
وأنتم على موجِ بحرِ الهوى
فتوبوا فني الدينِ عزٌّ لكم

دياجيرَ ظلمٍ وليلاً أطم
بحرِّب على ديننا المحترّم
على حافةِ الدينِ دينِ القيم
نغازلُ بركانِ همٍّ وغمٍّ
وما أن للبدْرِ يبدو أتم
على سيدِ الخلقِ ماحيِ الظلم
وتاجِ التقى والوفى والكرم
وأضرمَ ناراً وفي النارِ سم
لتهوي به في عميقِ الندم
بمالٍ ونفسٍ وإلا فلم

أيا أمةِ الدينِ ماذا أرى
أرى موجةَ الشرِّ قد أذنت
أرى موجةَ الظلمِ قد خيمت
ونحنُ على جرفِ الهاوياتِ
أما أن للليلِ أن ينجلي
أفيقوا فإنَّ العدوَّ اعتدى
رسولَ الهدى والنبيِّ الكريمِ
أفيقوا فإنَّ العدوَّ اعتدى
فأعطوه من درسكم حصّةً
وحطُّوا عن النفسِ أوزارها

أيها المسلمون في كل قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَتَوَالَى عَلَى النَّفُوسِ الْبَلَاءُ
 وَاقْشَعَرَّتْ بِسَيْطَةٍ وَسَمَاءُ
 رَاسِيَاتٌ جَثَى عَلَيْهَا الْوَبَاءُ
 لَيْسَ مَاءٌ يَزِينُهَا أَوْ هَوَاءُ
 هِيَ عَطَشَى وَمَا هُنَالِكَ مَاءُ
 مَسَهَا الضَّرُّ وَاعْتَرَاهَا الْحَيَاءُ
 وَزُرُوعٌ مِنَ الْوَنِيِّ حُدْبَاءُ
 وَانْحَنِى الْبَدْرُ وَالتَّوَتُ جَوْزَاءُ
 مِنْ أَنْسَاسٍ كَمَا يُقَالُ غُثَاءُ
 وَرَسُولٌ يُسَبُّهُ الْجَهْلَاءُ
 كَيْفَ نَرْضَى الْخُضُوعَ أَيْنَ الْإِبَاءُ
 أَيْ عَزٌّ وَقَدْ غَزَانَا الرِّيَاءُ
 أَيْ نَصْرٌ وَثَوْبُنَا الْكِبْرِيَاءُ
 أَيُّهَا الْأَتْقِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ
 لَا تَذَلُّوا فَأَنْتُمْ الْعَلِيَاءُ
 حَرَبَهُ الصَّالِحُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ
 وَانصَرُوا لِلَّهِ أَيُّهَا الْأَوْفِيَاءُ

أَطْبَقَ اللَّيْلُ وَاخْتَفَّتْ أَضْوَاءُ
 وَدَمُوعٌ هَمَّتْ كَأَمْطَارِ مُزْنٍ
 وَبِحَارٍ بِمَائِهَا وَجِبَالٍ
 وَسَحَابٍ تَمُرُّ مَرَّ غَضُوبٍ
 نَعَمٌ تَصْطَلِي بِرَمَضَاءٍ قَحْطٍ
 وَانظُرِ الْوَرْدَ وَالزَّهْرَ بَرُوضٍ
 شَجَرٌ مُذْبَلٌ وَدَوْحٌ تَهَاوَى
 هَا هِيَ الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ اكْفَهَرَتْ
 كُلُّ شَبْرٍ عَلَى الْبَسِيطَةِ يَشْكُو
 دِينُهَا يُعْتَدَى عَلَيْهِ جِهَارًا
 كَيْفَ نَرْضَى مَذَلَّةً وَهَوَانًا
 أَيْ نَصْرٍ وَنَحْنُ فِي بئرِ لَهْوٍ
 أَيْ نَصْرٍ وَنَمْتَدَانَا الْمَخَازِي
 أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ قَطْرِ
 سَدُّوا السَّهْمَ فَالْعَدُوُّ تَمَادَى
 أَرشِقُوا بِالنَّبَالِ كُلِّ عُتْلٍ
 وَحَدُّوا صَفَّكُمْ بِجَدٍّ وَعَزْمٍ

لا تَلِينُوا أَيُّهَا الْكِرْمَاءُ
وَخَطُوبِ وَغَارَةَ شَعْوَاءُ
كُلُّ عَرَضٍ لِعَرَضٍ طَهَ فِدَاءُ
قَائِدُ الْغُرِّ رَحْمَةٌ وَهَدَاءُ
وَصَحَابٍ مَا غَرَدَتْ وَرُقَاءُ

قَاطَعُوا الْمَتَجَاتِ صُبُّوا عَذَابًا
دَانِمْرَكِيُّ مَا رَسَمْتَ لِرُزْءٍ
دَانِمْرَكِيُّ نِلْتَ ذُلًّا وَخَسْفًا
سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ خَيْرُ الْبَرَايَا
صَلِّ رَبِّي عَلَى الرَّسُولِ وَآلِهِ

طَهَ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ

عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميعة الأهدل

يَا بئْرَ فُحْشِ عَاتِيَه
يَا ذَا الْقُلُوبِ الْقَاسِيَه
أَوْدَتُ بِهَا فِي الْهَآوِيَه
مَاذَا اسْتَفَدْتُ وَمَا هِيَه
يَا دَانِمْرَكُ الْوَآهِيَه
أَنْ يَقْدُفُوكَ بَدَاهِيَه
فَلَمْ تَذُوقِي عَافِيَه
مَنْ ذِي الْجَلَالِ إِلَهِيَه
عَمَرَ الْقُلُوبِ الْخَآوِيَه
فَبَدَتْ عُقُولٌ صَافِيَه
فِيَا لِرُوحِ سَامِيَه
رُوحِي فِدَاهُ وَمَالِيَه
سَمِعَ الْمُصَلِّي الْوَافِيَه
هُمُ النُّجُومُ الْعَالِيَه

يَا دَانِمْرَكُ النَّازِيَه
يَا رَأْسَ فَسْقٍ فِي الدُّنَا
خَطَّتْ يَدَاكَ جَرِيْمَه
فَلَمْ السَّفَاهَهُ وَالْخَنَا
نَارُ الْمَذَلَّةِ فَاصْطَلِي
مَلِيَارُ قَلْبِ أَضْمَرُوا
وَالْخَسْفُ آتٍ يَا زَنِيْمُ
جَاءَتْ شَرِيْعَةُ أَحْمَدُ
فِيهَا الْهُدَى مُتَجَلِّيًا
وَمَحَى دِيَاجِيرَ الْهُوَى
طَهَ إِمَامُ الْمُرْسَلِينَ
بَرُّ رَحِيْمٍ سَيِّدُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ الْكِرَامِ

فداه دمي وصاغيتي

دا / فهك بن عبد الرحمن اليحيى

عُدْمَنَا الشَّعْرَ وَالنَّثْرَا
إِذَا لَمْ يَسْتَحِلْ جَمْرَا
عَلَى مَنْ سَبَّ خَيْرَ الْخَلْقِ
أَوْ آذَاهُ أَوْ أَزْرَى
عُدْمَنَا الشَّعْرَ وَالنَّثْرَا
إِذَا لَمْ نَنْتَفِضْ نَصْرَا
لِسَيِّدِنَا وَأُسُوتِنَا.. وَقَائِدِنَا وَقَدُوتِنَا
لِذِي الْوَحْيِ الَّذِي يُتْلَى وَذِي الْمِعْرَاجِ وَالْإِسْرَا
فَلَوْ سَبُّوا لَنَا رَمَزَا
فَهَلْ نَرْضَى لَهُمْ عُدْرَا؟!
وَهَلْ نُصْغِي لَهُمْ قَوْلَا؟!
وَهَلْ نَقْضِي لَهُمْ أَمْرَا؟!
فَعَرِضُ الْمُصْطَفَى أَوْلَى
وَحَقُّ الْمُصْطَفَى أَحْرَى
إِذَا «سَامِيَّة» نِيلَتْ
رَأَيْتَ لِقَوْمِهَا زَارَا
وَكَمْ قُطِعَتْ عِلَاقَاتُ

وكم هجرت سفاراتُ
 إذا خُدِشتُ كراماتُ
 فعرضُ المصطفى أغلى
 وفضلُ المصطفى أحرى
 وبعضُ حجارة هُدِمتُ
 فإذ بوفودهم هرعتُ
 وإذ بحر وفهم نطقتُ
 فعرضُ المصطفى أولى من الحجرِ
 وأغلى من كنوز الأرض والألماسِ والدرِّ
 وربُّ هوامش الكلمات
 سيق لأجلها القواتُ والآلاتُ
 واكتظت بها الساحاتُ
 فألقت بعدها الجرحى
 وجنَّدت تحتها القتلى
 وسُلسل عندها الأسرى
 أليسَ المصطفى أولى؟!
 ونصرُ المصطفى أحرى؟!
 وذو عهدٍ إذا سبَّ الرسولَ فعهدُه يعرى
 كذا في كل كتب الفقه والتوحيد لو تقرا

فداه أبي ووالدني
 فداه دمي وصاغيتي
 فضائله كمثلي النهر مثل البحر إذ زخرأ
 له في الفضل غايته
 وفي الإيمان ذروته
 ولو قرؤوا شمائله
 لظلوا دهرهم حيرى
 ولو نظروا لطلعته
 لظنوا الشمس والقمرأ
 ولو ظفروا ببسمته
 لطارت من كوامنها
 قلوب تعشق الفجرأ
 ولو نعموا بمجلسه
 أو اجتازوا بمسجده
 فأسمعهم حديثاً من صنوف العلم أو ذكراً
 لغنت من بلاغته مسامعهم
 وحارت من عجائبه مداركهم
 وسافرت القلوب له
 كما لو عولجت سحرا

ولو نظروا لمركبته
 وكل الناس تتبعه..
 .. رئيس الدولة الأعلى..
 سيبهرهم تواضعه
 فيومَ الفتح يومَ النصر يوماً العز للإسلام..
 كان المصطفى ذُلًّا لخالقه قد انكسرًا
 وطأ رأسه لله..
 وبين يديه من والاه..
 فنادى كل من عاداه..
 قوموا أنتم الطلقاء
 لا أبقي لكم وزرًا
 فلم ينهب لهم «نفظًا» ولا مالاً ولا جَمَلًا
 ولم يهدم لهم دارًا ولم يقتل لهم طفلًا
 سحائبُ رحمة سَخَاءٍ
 فاضت في العدى عدلًا
 فيا لله قد أضحت حروبُ المصطفى بُشْرَى!
 يُدير شؤون دولته
 وينظر في رعيته
 ويبيِّن شرع أمته

وفي كلِّ الذي عاناه أو أداه
 تعجَّبُ من بساطته
 فسبحان الذي أعطاه
 يقضي الأمرَ باليسرى
 حريصٌ في هدايتنا
 شفيقٌ من مشقتنا
 ويومُ الحشرِ يومُ النشرِ يومُ الساعةِ الكبرى
 ترى كلَّ الوريِّ فزعوا
 ومن كُرْبَاتِهِ هَرَعُوا
 لعلَّ الأنبياءَ شَفَعُوا..
 ولكن خَصَّهُ الرحمن
 يشفعُ في الوريِّ طُرّاً
 وخصَّ المؤمنين به
 بحوضِ يَسْتَقِي الظمآنُ منه فيتَّقِي الحرّاً
 فضائلُه كآيات
 له في صدقهِ تُتلى
 وكلُّ فضائلِ العلماءِ والعبادِ والزهادِ والقوَّادِ.. فهي بفضلِهِ تُجرى
 فمن آياته الصديقُ
 قد عجزوا له قدرا

ولو جَمَعُوا لَهُ الْأَحْبَارَ وَالرَّهْبَانَ..

مَنْذُ غَوَابِرِ الْأَزْمَانِ

لَمَّا رَجَحُوا بِهِ الْمِيزَانَ

وَمَا سَبَقُوهُ فِي الْإِيمَانِ

وَمِنْ آيَاتِهِ الْفَارُوقُ

مَنْ ذَلَّتْ لَهُ كَسْرَى

وَسَلَّمَهُ هِرْقَلُ الشَّامِ

لَا يَعْصِي لَهُ أَمْرًا

وَإِذْ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

يَدْعُو - وَحْدَهُ - عُمَرَا:

تَعَالَ خَلِيفَةَ الْإِسْلَامِ

ارْفَعْ رَايَةَ الْإِسْلَامِ

بِكُلِّ عَدَالَةٍ الْإِسْلَامِ

فَجَاءَ الْقَائِدُ الْأَعْلَى

لِأَقْوَى دَوْلَةٍ عَظْمَى

فِي رَكْبِ نَاقَةٍ حِينًا

وَيَمْشِي جَنْبَهَا حِينًا

يَخْوِضُ الطِّينَ.. وَالْأَقْوَامُ قَدْ عَجِبُوا لَهُ أَمْرًا

لِيَكْتُبَ فِي طَرِيقِ الْفَتْحِ

قصة عزة غراً
 بأن العزَّ بالإسلام
 ليس يبهرج الكلمات والأنعام
 ولا بمظاهر النعماء والإنعام
 سل الأخبار ما الأخبار
 حين تربع الإسلام
 عرش المقدس المسرى
 فمن قد علم الفاروق..
 من قد خرج الفاروق..
 غير محمد إذ أثمرت آثاره أثراً
 كذا عثمان ذو النورين كان لأحمد صهراً
 وكان حياؤه منه
 وكان شبيهه طهراً
 كذا الليث الشجاع الفذ
 يفري خصمه نحراً
 علي صهره الثاني
 وزوج عزيمة الشان
 تربى من شجاعته
 وجراته ونجدته

وذاك وجيزٌ سيرته
 ويبقى كنزها ذُخْرًا
 لقد رسمت صحابته
 كأنقى لوحة فخرًا
 وقامت دولة الإسلام
 أعدل أمة دهرًا
 فسَلْ أعداءَ ملته
 أما شهدوا بحكمته؟
 أما نطقوا بحنكته؟
 أما وقفوا بكلِّ مظهرِ الإعزاز؟
 حين رأوا معاني الصدقِ والإعجاز؟
 فأمن بعضهم سرًّا
 وآمن بعضهم جهراً
 وأذعن آخرون له
 كمثلي هرقل صدقه
 وكان بنعته أدرى

سألتك يا إله الحق يا مَنْ أنزل الذِّكْرَا
 وأرسل رحمةً للناس أحمدَ يحملُ النورا

أَذِقْ قَوْمًا بِهِ سَخِرُوا
عَذَابًا فِيهِ مُزَجَّرٌ
لِيَقِيَ ذِكْرَهُ ذِكْرِي مِنْ اعْتَبِرَا

مَعَانِي الْحَبِّ قَدْ سَكِبَتْ
لِخَيْرِ الْخَلْقِ قَدْ سَبِكَتُ
قَلَائِدَ مَنْ وَفَاءً
لِلَّذِي أَهْدَى لَنَا الْخَيْرَا
وَحَبُّ رَسُولِنَا مِنْ حُبِّ
خَالِقِنَا وَرَازِقِنَا
وَحَبُّ اللَّهِ غَايَتُنَا
وَحَبُّ اللَّهِ مَقْصِدُنَا
بِحَبِّ اللَّهِ يَحْيَا الْقَلْبُ
فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى
فَأَلْحَقْنَا إِلَهِي أَنْتَ ذُو الْإِكْرَامِ وَالْمِنَّةِ
جَوَارِ الْمَصْطَفَى فِي رَوْضَةِ الْجَنَاتِ وَالْفَنَنِ
تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِحُبِّهِ فَارْفَعْ لَنَا قَدْرَا
صَلَاةُ اللَّهِ نَبْعُثُهَا
سَلَامُ اللَّهِ يَتْبَعُهَا

على خيرِ الوري..
والنفس.. من ذكراه
لم تبلغ لها وطراً.. (١)

إمام المرسلين فداك رُوحِي..

رَدًّا عَنْ عَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقِيَامًا بِبَعْضِ حَقِّهِ..

صالح بن علي الحميري - الظهراوي

وأرواحُ الأئمةِ والدُّعَاةِ
وأعراضُ الأحبةِ والتُّقَاةِ
ومالي.. يا نبيَّ المَكْرُمَاتِ!!
ونفسُ أولي الرئاسَةِ والوَلَاةِ
فما للنَّاسِ دونك من زكَاةِ..
فذاك الموتُ من قبل المماتِ!!
لكبُّوا في الجحيمِ مع العُصَاةِ
بمنزلةِ الشهادةِ والصَّلَاةِ
ودينُكَ ظاهرٌ رغمَ العُدَاةِ

إمامَ المرسلينَ فداكَ رُوحِي
رسولَ العالمينَ فداكَ عَرَضِي
ويا عَلَمَ الهدى يفديكَ عمري
ويا تاجَ التُّقَى تفديكَ نفسي
فداكَ الكونُ يا عَطَرَ السَّجَايَا
فأنتَ قَدَاةٌ إِمَّا اسْتُحِلَّتْ
ولو جحدَ البريَّةُ منك قَوْلًا
وعرضُكَ عَرَضُنَا ورؤَاكَ فِينَا
رُفِعْتَ مَنَازِلًا.. وشُرِّحتَ صَدْرًا

تُضَاءُ بِهِ أَسَارِيرُ الْحَيَاةِ
 وَهَدْيُكَ مُشْرِقٌ فِي كُلِّ ذَاتٍ
 بغيرِ هُدَاكَ يَا عِلْمَ الْهُدَاةِ
 وَتِلْكَ الْيَوْمَ أَجَلِي الْمُعْجَزَاتِ
 لِقَدْرِكَ فِي عَنَاقِ الْمَكْرَمَاتِ
 وَرُوحِ الْقُدْسِ مِنْكَ عَلَى صَلَاتِ
 وَرُحْمِي.. يَا نَبِيَّ الْمَرْحَمَاتِ
 وَأَنْتَ لِدَائِهَا آسِي الْأَسَاةِ
 فَكَانَ ضِيَاكَ أَغْلَى الْأَمْنِيَاتِ
 أَفْضَلَ عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالْهَبَاتِ
 عَلَى بُنْيَانِهِ أَيْدِي الْبُنَاةِ
 رَفِيقٌ بِالْجُهُولِ وَبِالْجُنَاةِ
 شَجَاعٌ هَدَّ أَرْكَانَ الْبُغَاةِ
 وَلَمْ يَقْرَأْ بِلُوحٍ أَوْ دَوَاةِ
 فَلَانَتْ مِنْهُ أَفْعَدَةُ الْقُسَاةِ
 وَمِنْكَ هُوِيَّتِي.. وَسَمُوذَاتِي
 لِأَخْلَاقِ الْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتِ
 بَعْلَمِكَ أَوْ بِحَلْمِكَ وَالْأَنْبَاةِ
 وَمَنْ كَفَيْكَ إِرْوَاءَ الظُّمَأَةِ
 وَإِقْبَالِي وَغَمْضِي وَالتَّفَاتِي

وَذَكَرْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَادٌ
 وَغَرَسْكَ مُثْمَرٌ فِي كُلِّ صِقْعٍ
 مَا لَجِنَانِ عَدْنٍ مِنْ طَرِيقٍ
 وَأَعْلَى اللَّهِ شَأْنُكَ فِي الْبَرَايَا
 وَفِي الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ مَعْنَى
 وَلَمْ تَنْطِقْ عَنِ الْأَهْوَاءِ يَوْمًا
 بُعِثْتَ إِلَى الْمَلَأِ بَرًّا وَنُعْمَى
 رَفَعْتَ عَنِ الْبَرِيَّةِ كُلِّ إِصْرٍ
 تَمَنَّى الدَّهْرُ قَبْلَكَ طَيْفَ نَوْرٍ
 يَتِيمٌ أَنْقَذَ الدُّنْيَا.. فَفَقِيرٌ
 طَرِيدٌ أَمَّنَ الدُّنْيَا.. فَشَادَتْ
 رَحِيمٌ بِالْيَتِيمَةِ وَالْأَسَارَى
 كَرِيمٌ كَالسَّحَابِ إِذَا أَهَلَّتْ
 بَلِيغٌ عِلْمَ الدُّنْيَا بِوَحْيٍ
 حَكِيمٌ.. جَاءَ بِالْيُسْرَى.. شَفِيقٌ
 فَمِنْكَ شَرِيعَتِي.. وَسَكُونُ نَفْسِي
 وَوَلِيَّ فَيْكَ اهْتِدَاءٌ وَاقْتِفَاءٌ
 وَفَيْكَ هِدَايَتِي.. وَشِفَاءُ صَدْرِي
 وَمِنْكَ شِفَاعَتِي فِي يَوْمِ عَرَضٍ
 وَمِنْكَ دَعَاءُ إِمْسَائِي وَصَحْوِي

وَنَزَّ الْقَلْبُ مِنْ لَجَجِ الْبُغَاةِ
 وَقَدْ تُجْبَى الْمُنَى بِالنَّائِبَاتِ!!
 وَلَيْنَ الرَّمْحِ مِنْ لَيْنِ الْقِنَاةِ
 وَيَعْلُو الدِّينُ مِنْ كَيْدِ الْوَشَاةِ!!
 وَلَمْ الشَّمْلِ مِنْ بَعْدِ الشَّتَاتِ!!
 وَلَفْحُ النَّارِ يَوْقِظُ مِنْ سُبَاتِ!!
 تَمَرَّغٌ فِي وَحُولِ السَّيِّئَاتِ
 وَقَدْ عُدَّ الْعَمِيلُ مِنَ الْجِنَاةِ!!
 وَتَسْتَحْلُونَ مَيْلَ الْغَانِيَاتِ!!
 رَفَعْتُمْ بَيْنَنَا صَوْتَ النُّعَاةِ!!
 خُنُوعَ الْمُؤَفِّضِينَ إِلَى مَنْأَةِ!!
 بِالسَّنَةِ شِحَاحٍ فَاجِرَاتِ!!
 عَنِ الْمَعْصُومِ أَلْسِنَةَ الْجُفَاةِ!!
 عَنِ الْهَادِي سِهَامَ الْإِفْتِنَاتِ
 فَهَلْ مِنْ حُجَّةٍ نَحْوِ الْغُلَاةِ؟!
 وَفِي عَيْنِ الْمَصِيئَةِ كَالْبَنَاتِ?!
 كِرَاجِي الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ الرُّفَاتِ!!
 وَتَحْتَ لَوَاكٍ أَطْوَاقُ النَّجَاةِ

رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أُسْبِلْتُ دَمْعِي
 فَهَذَا أُمَّةُ الْإِسْلَامِ ضَجَّتْ
 هَوَانُ السَّيْفِ مِنْ هَوَانِ الْمُبَارِي
 وَقَدْ تَشْفَى الْجَسُومُ عَلَى الرِّزَايَا
 وَفِي هَزِّ اللَّوَاءِ رُؤْيُ اتِّحَادِ
 وَقَدْ تَصْحُو الْقُلُوبُ إِذَا اسْتَفْرَزَتْ
 أَلَا بَتَرْتُ رَوَافِدُ كُلِّ فِظٍّ
 أَلَا أَبْلِغُ بَنِي عِلْمَانَ عَنِّي
 أَرَاكُمْ تَرْقُصُونَ عَلَى أَسَانَا
 وَإِنْ مَسَّ الْعَدُوَّ مَسِيسُ قُرْحِ
 وَإِنْ عَبَسْتُ لَكُمْ «لِيَا»^(١) خَنَعْتُمْ
 إِنْ مَا هَاجَتْ الشُّبُهَاتُ خُضْتُمْ
 «حَوَارِ الْأَخْرِ» اسْتَشْرَى فَذُبُّوا
 وَصَوْتَ «الْأَخْرِ» اسْتَعْلَى فَرُدُّوا
 رَمَيْتُمْ بِالْغُلُوِّ دُعَاةَ دِينِي
 أَكْرَارٌ عَلَى قَوْمِي كُمَاةٌ
 وَمَنْ يَرْجُو بَنِي عِلْمَانَ عَوْنًا
 رَسُولَ الْحُبِّ فِي ذَكَرَاكُ قُرْبِي

(١) لِيَا: كوندليزا رايز .

ضياءً.. واعتلى صوت الهداة
وفي القلب اتقأد الموريات
وفاءك والحقوق الواجبات

عليك صلاة ربك ما تجلى
يَحَارُ اللَّفْظُ فِي نَجْوَاكَ عَجْزًا
ولو سُفِكَتْ دِمَانَا مَا قَضَيْنَا

يا رسول الله عذراً

بِحَمْدِ مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ

قالت الدانمارك كُفْرًا
في رصيد الكفر فُجْرًا
واستحلوا القَدْحَ جَهْرًا
قد جَنَوْا ذُلًّا وَخُسْرًا
أَنْ تَطُولَ النَجْمَ قَدْرًا
مَنْ اسْتَرْضِعَ خَمْرًا
ولقيطٌ جاء عُهُرًا
لاستهاموا فيك دَهْرًا
كيف لو يَدْرُونَ سَطْرًا
لاستزادوا منك غَمْرًا
تستحقُ العمرَ شُكْرًا
دون نحرك.. أنتَ أُخْرَى
لم تمتُ والناسُ تُتْرَى
في حنايا النفس نَهْرًا

يا رسولَ اللَّهِ عُدْرًا
قد أساؤوا حين زادوا
حاكها الأوباشُ لَيْلًا
حاولوا النَيْلَ وَلَكِنْ
كيف للنملة ترجو
هل يَعِيبُ الطُّهْرَ قَذْفُ
دولة نصفها شاذُّ
أه لو عَرَفوكَ حَقًّا
سيرة المختار نورٌ
لو دروا مَنْ أَنْتَ يَوْمًا
قطرةٌ منك فيوضٌ
يا رسولَ اللَّهِ نحري
أنتَ في الأضلاعِ حيٌّ
حُبُّكَ الوردِي يسري

أنت فوق الناسِ ذكراً	أنت لم تحتجِ دفاعي
رحمةٌ جاءتُ وبشرى	سيداً للمرسلينا
لو خبَّتْ لم نَجُنْ خيراً	قدوةً للعالمينا
قومنا للصمتِ أسرى	يا رسولَ اللهِ عذراً
وسوادُ الناسِ سكرى	نددَ المغوارُ منهم
ما لهم يَحْنُونُ ظَهراً	أي شيءٍ قد دهاهم
قد رأيتُ الصمتَ وزراً	لم يَعُدْ للصمتِ معنَى
ترتجى الآسادُ ثأراً	ملَّتْ الأسيافُ غمداً
كان جوف الأرضِ خيراً	إن حَيِينا بهَوَانِ
لرسولِ اللهِ ظَهراً	يؤلم الأحرارَ سباً
نكسب الآلامَ شعراً	ويزيد الجرحَ أنأ
تَدَحْرُ الأوغادَ دَحْراً	فمتى نقذف ناراً
إن بعد العُسرِ يُسرأ	يا جموعَ الكفرِ مهلاً
فلك الفضلُ وأكثرُ	يا نبيَّ اللهِ عذراً

فبك العلياء تفخرُ	يا نبيَّ اللهِ عذراً
فلك الفضلُ وأكثرُ	يا رسولَ اللهِ عذراً
فبك العلياء تفخرُ	يا نبيَّ اللهِ عذراً
فلنا الحزبيُّ وأحقرُ	إن نقضنا اليوم عهدكُ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَمَضِي
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَسَعِي
 إِنْ عَهْدَ اللَّهِ أَبْقَى
 بَتُّ فِي الْحَزْنِ سَهَادِي
 قَدْ مَنَحْتُمْ لِلْبِرَايَا
 وَلِسَانًا جَامِعًا لِلدِّ
 وَأَزَاهِيرًا مِنَ النُّو
 وَطَرِيقًا لِلْخِلَاصِ
 وَعَهودًا مِنْ سَلَامِ
 وَتَوَاضَعْتَ فَكُنْتُ
 وَتَلَقَّيْتَ قُلُوبًا صَا
 تُضْمِرُ الْحَقْدَ وَتَعْدُو
 فَنَدْتَ فِي الْحَقِّ نَوْرًا
 وَتَحَمَّلْتَ خَطُوبًا
 وَأَبَيْتَ أَنْ تَكُونَ
 فَحَبَاكَ اللَّهُ ذَكَرًا
 صَرِتَ فِي الْعَلِيَّاءِ سَرَاجًا
 كَيْفَ يَأْتِي الْيَوْمَ عَبْدٌ
 يَدْعِي مِنْ فَرْطِ جَهْلٍ
 إِنْ جُنْدَ اللَّهِ أَصْبَرَ
 لَا نَحِيدُ وَلَا نُؤَخَّرُ
 وَحُدُودُ اللَّهِ أَكْبَرُ
 وَأُذِينَ الْقُلُوبِ يَزَارُ
 رَحْمَةً بِالْهَدْيِ تُؤَثِّرُ
 خَيْرَ كَاللُّؤْلُؤِ يُنْثَرُ
 رَوِيحَانًا مُعَطَّرُ
 إِنْ وَعَاهَا الْحُرُّ يَظْفَرُ
 عَاجِلِ الْخَيْرِ مُيَسَّرُ
 أَسْوَةٌ تُحَكِّي وَتُعْبَرُ
 دِيَّةً بِالْكَفْرِ تَجْهَرُ
 فِي ابْتِغَاءِ الظُّلْمِ تَسْمَرُ
 فِي التَّمَاسِ الْخَيْرِ تَسْهَرُ
 يَهْوِي لَهَا الصَّخْرُ يُقْهَرُ
 دَاعِيًا بِالشَّرِّ يَنْصَرُ
 فِي الْوَرَى أَنْدَى وَأَعْطَرُ
 إِنْ نَوْرَ اللَّهِ أَنْضَرُ
 جَاهِلٌ لَا لَيْسَ يُذَكَّرُ
 أَنْ شَمْسَ اللَّهِ تُخْفَرُ

زائلاً كالجمر يُسْعَرُ
مُ الدِّينَ يَخْسَرُ
مُ أَنَّ عَهْدَ اللَّهِ أَصْغَرُ
من نبي الله يسخر؟!!

يبتغي بالبغي مُلْكًا
إن أُقِيمَ الوزنُ يو
كيف يزعمُ أنَّ نورَ الهدى وَهْ
يدعي السوءَ بسُكْرِ

لَا يَضُرُّ الْقَمَرَ نُبَاحُ الْكِلَابِ!

قصيدة بمناسبة سُخْرِيَةِ (الدنرك) الصليبية نبياً الكريم (محمد) ﷺ،
وما حصلَ بعد ذلك من مقاطعة المسلمين لبضائعها.

لعبد الجليل بن صالح الحميد

مِنَ الْكُفَّارِ طُرّاً^(١) أَجْمَعِينَا
وَلَوْ كَلُّ الْكِلَابِ يُنَابِحُونَا
نَبِيَّ اللَّهِ مَعْرِفَةً يَاقِينَا
لِـ (إِبْلِيسَ) اللَّعِينِ مُوَكَّلِينَا
مِنَ الْجَبَّارِ رَبِّ الْعَالَمِينَا
أَلَا قُبْحًا لَكُمْ يَا مُجْرِمُونَا
وَهَلْ يَدْرِي الْعُلُوجُ السَّاخِرُونَا
عَلَيْهِ بِحُسْنِهِ لَوْ يَعْلَمُونَا^(٢)
يُضَاهِي حُسْنَ سَيِّدِنَا الْأَمِينَا^(٣)

نَعَالُ نَبِيَّنَا - وَاللَّهِ - أَغْلَى
وَمَا ضَرَّ الْمُنِيرَ^(١) نُبَاحُ كَلْبِ
أَيَا عُمِّي الْبَصَائِرِ لَوْ عَرَفْتُمْ
عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ صَمٌّ وَيُكْمٌ
دَعَاكُمْ فَاسْتَبَحْتُمْ دُونَ خَوْفِ
تَطَاوَلْتُمْ بِشُرْكُمُو عَلَيْنَا
أَخِيرَ الْخَلْقِ يَسْخَرُ فِيهِ عِلْجٌ
بِأَنَّ نَبِيَّنَا لَا الْبَدْرُ يَزْهُو
وَحُسْنَ الشَّمْسِ مُنْكَسِفٌ إِذَا مَا

(١) طرّاً: كلهم.

(٢) المنير: القمر.

(٣) وقد وصفه البراء بن عازب رضي الله عنه كما في «صحيح البخاري» (رقم ٣٣٥٩). بأنه (مثل القمر).

(٤) وقد وصفه جابر بن سمرة رضي الله عنه كما في «صحيح مسلم» (رقم ٢٣٤٤). بأنه (مثل الشمس والقمر)؛ ووصفته الربيعة بنت مَعُوذٍ رضي الله عنها بقولها لأبي عبيدة بن محمد بن عمار ابن ياسر حينما سألها عن صفة نبينا الكريم محمد ﷺ: «بأبني... لو رأيته رأيت الشمس طالعة!». . . رواه الدارمي في «سننه» برقم (٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٦٩٦)، =

أَبَى الرَّحْمَنُ أَنْ يُعْطِيَ كَفُورًا
عَوَاقِبُ مَكْرِكُمْ أَيْقَظْتُمُونَا
عَلِمْنَا أَنَّنا فَيْكُمْ خُدَعْنَا
وَمَا دُنْيَاكُمْو إِلَّا غُرُورًا
وَمَا عَجَبِي مِنَ الْكِفَارِ مِنْهُمْ
وَلَكِنِّي عَجِبْتُ لِجَهْلِ قَوْمِي
وَسَارُوا خَلْفَ أَعْجَامِ طَغَامِ
عَقُوبَاتٍ مِنَ الدِّيَانِ لَمَّا
وَلَمْ نَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا عَلِيًّا
وَلَمْ نَجْعَلْهُ قُدُوتَنَا وَنَمْضِي
نُجَاهِدُ كَافِرًا مِنْ أَجْلِ دِينِ
وَمَا صِدْقُ التَّيْدِينَ بِالتَّسْمِي

مُعَاد رَبِّهِ عَقْلًا رَزِينَا
عَوَاقِبُ كَيْدِكُمْ نَبَّهْتُمُونَا
فَبَهْرَجُكُمْ يَغْرُ النَّاطِرِينَا
وَمَا دُنْيَاكُمْو إِلَّا فُتُونَا
سِوَى الْأَنْعَامِ بَلْ بِالنَّصِّ دُونَا^(١)
وَكَيْفَ رَضُوا بِذَلِكَ التَّابِعِينَا
فَصَارُوا تَحْتَهُمْ فِي الْأَرْضَلِينَا
تَخَلَّيْنَا عَنِ الْمَبْعُوثِ فِينَا
وَلَمْ نَفْخَرْ بِهِ فِي الْعَالَمِينَا
عَلَى آثَارِهِ صِدْقًا يَقِينَا
وَلَيْسَ سِوَاهُ عِنْدَ اللَّهِ دِينَا
مُخَادَعَةٌ تَغْرُ الْجَاهِلِينَا

= و«الأوسط» (٤٤٥٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم (١٤٢٠) وغيرهم، وهذا بعض ما وصفته به أم معبد الخزاعية لما مرَّ ﷺ بخيمتها في هجرته إلى المدينة بأنه: «ظاهر الوضوء، مليح الوجه، حسن الخلق، وسيم، قسيم، أكحل، حلو المنطق، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب». . . أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (برقم ٣٦٠٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» برقم (٣٤٨٥)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» برقم (١٤٣٧)، والحاكم في «مستدرکه» برقم (٤٢٧٤). . . وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرجه».

(١) كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وَمَا صَدَقُ التَّيِّدِينَ بِالِدَّعَاوِي
فَقَدْنَا الْعِزَّ وَالشَّرْفَ الْمَعْلَى
ضُرِبْنَا بِالْمَذَلَّةِ حُكْمُ عَدْلٍ
عِبَادَ اللَّهِ!.. قَدْ صَرْنَا بِحَالٍ
أَيْكْفِي أَنْ نَقَاطِعَ أَكْلِ قَوْمٍ
أَيْكْفِي أَنْ نَقَاطِعَ شُرْبِ قَوْمٍ
لِسَانَ الْعَلِجِ^(١) فَخَرُّ أَيُّ فَخْرٍ
عُلُومُ الْعَلِجِ يَشْرَفُ مَتَقَنُوهَا
وَمَا عِلْمُ الصَّحَابَةِ غَيْرَ وَحْيٍ
بِهِ كَانَ الصَّحَابَةُ خَيْرَ قَرْنٍ
فَمَا طَلَبُوا بِهِ دُنْيَا وَإِلَّا
وَمَا طَلَبُوا بِهِ جَاهًا وَمَدْحًا
عِبَادَ اللَّهِ!.. فِينَا مُوَبِقَاتٌ
فَلَوْ تَبْنَا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْهَا
وَجَدْنَا مَا فَقَدْنَا مِنْ رَشَادٍ
كِتَابُ اللَّهِ يَحْكُمُ كُلَّ أَمْرٍ
نَعَالُ نَبِيِّنَا - وَاللَّهِ - أَبْهَى
وَيُسَخَّرُ بِالرَّسُولِ وَدِينِ رَبِّي

إِذَا كُنَّا غَوَاةً مُذْنَبِينَ
لَأَنَّا لِلْعُلُوجِ مُشَابِهِينَ
لَأَنَّا لِلْعَدُوِّ مُعْظَمِينَ
- وَأَيْمُ اللَّهِ - سَرَّتْ شَامِتِينَ
وَنَحْنُ بِحَبْلِهِمْ مَتَوَاصِلِينَ
وَنَحْنُ بِهَدْيِهِمْ مُسْتَمْسِكِينَ
رَطَانَتُهُ مَطَالِبَ طَالِبِينَ!
عَلَيْهَا الْعَرَبُ طُرًّا عَاكِفُونَ!
بِهِ كَانَ الْأَشَاوِسُ مُكْتَفُونَ
وَخَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ الْمُرْسَلِينَ
لَكَانُوا فِي النَّوَابِي سَافِلِينَ
لِذَا صَارُوا هُدَاةً مُهْتَدِينَ
فَتَوَبُوا قَبْلَ مَا لَا تَحْمَدُونَ
وَسَرْنَا حَذْوَ دَرَبِ الصَّادِقِينَ
وَصَرْنَا بَعْدَ غَيِّ رَاشِدِينَ
لِنُنزَلَ كَافِرًا فِي الْأَسْفَلِينَ
وَأَجْمَلُ مَنْ وَجُوهُ الْكَافِرِينَ
وَعَيَّرْتَنَا نَكُونُ مُقَاطِعِينَ

(١) لسان العليج، أي: لغته.

وَلَكِنْ لَيْسَ تَكْفِي الْمُؤْمِنِينَ
لِنَحْمِي دِينَنَا مِنْ شَانَيْنَا؟!
وَحَدُّ السَّبِّ قَتْلٌ لَا يَهُونَا^(١)
يَنْوَأُ بِحَمْلِهَا طُورٌ بِسِينَا
مِنَ الْكُفَّارِ صَارُوا حَانِقِينَ..
يُمَيِّزُ مُؤْمِنًا مِنْ كَافِرِينَا
مَعَ الْأَفْذَارِ فَعَلُّ الْمُجْرِمِينَ!
فَسَوْفَ يَظَلُّ مُحْتَرَمًا مَصُونًا!
لِأَعْدَاءِ الْإِلَهِ الْمُلْحِدِينَ
أَلَا بَعْدًا لِقَوْمٍ أَرَذَلِينَا
إِلَى هَدْيِ الرَّسُولِ مُتَابِعِينَ
بِصَدَقٍ وَاتِّبَاعٍ مُخْلِصِينَ
يَجِيءُ بَلِيلِنَا أَوْ مُصْبِحِينَ
وَفِيهِ لِدِينِنَا نَصْرٌ مُبِينَا
بِرَاءَةِ مُسْلِمٍ مِنْ كَافِرِينَا
يَدِينُوا لِلَّهِ مُدَلِّلِينَ

مُقَاتَعَةُ الْكُفُورِ بَدَأُ خَيْرٌ
فَأَيْنَ الصِّدْقُ.. أَيْنَ الْخَيْرُ فِينَا
عَظِيمٌ سَبُّ أَحْمَدَ عِنْدَ رَبِّي
فَكَمْ فَعَلَ الطُّغَاةُ بِنَا فِعَالًا
أَلَيْسَ يُمَزَّقُ الْقُرْآنَ رَجْسٌ
.. عَلَى دِينٍ بَفُرْقَانِ أَتَانَا
كَلَامُ اللَّهِ يُلْقَى فِي الْمَجَارِي
وَمَهْمَا يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ فِيهِ
أَلَا تَبًّا لِمَنْ يُلْقِي وَدَادًا
يُؤَالِي مَنْ يُعَادِي دِينَ رَبِّي
عِبَادَ اللَّهِ!.. عَوْدًا تَحْمَدُوهُ
نُعَظِّمُ دِينَهُ أَمْرًا وَنَهْيًا
نُقِيمُ حُدُودَهُ نَخْشَى عَذَابًا
فَفِي هَذَا نُدَافِعُ سُخْطَ رَبِّي
مُقَاتَعَةُ الْكُفُورِ بِشِرْعِ رَبِّي
عَدَاوَتُهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ حَتَّى

(١) انظر ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه النفيس الشهير «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» وما ذكره من الأدلة وإجماع العلماء بأن من سبَّ الرسول ﷺ فإنه يقتل من غير استتابه.

خَلِيلُ اللَّهِ لَمْ يَرْضَ سِوَاهَا
 كَفَرْنَا بِالْكَفُورِ وَقَدْ بَرَّئْنَا
 وَنَهَجْرُ سُنَّةِ هُمْ سَالِكُوهَا
 فَمَا دِينَ سِوَى الْإِسْلَامِ إِلَّا
 وَمَا الْإِسْلَامُ اسْمٌ وَانْتِسَابٌ
 تَذَكَّرْ غَزَوَتِي (أُحُدٌ) (١) وَ(بَدْرٌ) (٢)
 تَذَكَّرْ خَوْفَ (فَارُوقِ) وَمَاذَا
 فَوَاغَوْثًا.. أَنَا مَنُ بَعْدَ هَذَا؟!
 فَيَارِبَّاهُ، يَا مَنُ لَا يُضَاهِي
 سَأَلْنَاكَ انْتِصَارًا عَن قَرِيبٍ
 وَصَلَّى اللَّهُ رَبِّي مَعِ سَلَامٍ

(١) الخليل في الشطر الأول هو النبي الكريم «إبراهيم»، وفي الشطر الثاني هو النبي الكريم

«محمد» ﷺ والذي بينه وبين أبيه إبراهيم ﷺ وبين الكفار - ولا يرضون سواه - هو تحقيق قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ

وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

(٢) وذلك في إدالة المشركين على المسلمين لمخالفة الرُّمَّة.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:

٦٨]، وذلك في شأن الأسرى يوم بدر، والحديث أخرجه بتمامه الإمام أحمد في

«مسنده» (٢٠٨)، وإسناده صحيح.

(٤) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «دُعِيَ (أمير المؤمنين) الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لجنازة، فخرج فيها أو يريدتها، فتعلقت به فقلت: «اجلس يا أمير المؤمنين؛ فإنه من

أولئك - يعني المنافقين»، فقال: «نشدتك بالله... أنا منهم؟!»، قال: «لا، ولا أبرئ» =

حُبِّي لِأَحْمَدَ

لسالمة مباركة الفلق،

يدعو لنصيرته فسارع للخطَرُ
نفديك بالأرواح يا خيرَ البشرِ
يا صاحبَ النهرِ المكوثرِ والسَّيرِ
سارتُ لك الأشجارُ وانشقَّ القمرُ
ومعوذٌ ومعادٌ والحامي عمرُ
ومحمدٌ في ذا المكانِ على الأثرِ
وأنا أصفدُ في القيودِ وفي الضررِ
من شاءَ كان السُّبُلُ من ذاك الذِّكْرِ
لكنها جاءت على غيرِ الوَطَرِ
نورَ الإلهِ يسيرُ في بحرٍ وبرِ
قد غرَّها الصمتُ الذليلُ إذا انتشرَ
نطقت رُويضةُ النَّصارى والبشرِ
ورئيسِ تحريرِ الصحيفة في سقرِ
فاليومِ تلَعَنهُ الليالي والشجرِ

حبي لأحمد، لو حببيكَ في حَظَرُ
عَرَضِي ووالدتي ونفسي كلُّنا
يا خيرَ من وَطئت برجليه الثرى
حنَّتُ لك الأحجارِ والغيثُ أنهمرُ
دربُ مشى فيها خبيبٌ راضياً
أُتسرُّ أنك قد نجوت من الأذى
كلا ولا أرضى يُشاك بشوكة
انظر إلى أسدِ الرسولِ وعمه
في هجرةِ المختارِ قلتُ قصيدتي
قامت قيامةُ معشرٍ لما رأوا
وتشنُّ غارت دويلةُ كافرِ
نطقت مربيَّةُ المواشي والبقرِ
شَلَّتْ يدُ الرِّسَامِ شاننك الأشرِ
ويلٌ لما اقترفت يدها وويله

= أحدًا بعدك». . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٤٢): «رواه البزار ورجاله ثقات»، وأخرج ابن أبي شيبة نحو في «مصنفه» برقم (٣٧٣٩٠).

أبعادُ في رحم الحضارة تستقر
ورضا اليهود جريمةٌ لا تُغتفر
أنَّ الأمين يُهانُ في كلِّ الصُّورِ
يا خادمَ الحرمين أعلنها شرر
حربُ الصليب تعودُ تقتضي الحذر
زار الرئيسُ وقد تكلمَ أو ظهر
والليلُ يعبسُ والنهارُ قد انْفَطَرَ
في وجه طاغوت تكبرٍ واعتذر
رَجَعَ الأبَاءَ جِبَاءَ لَيْسَ لَهُمْ نَظَرُ
ودعوت يا أحرارُ يا مَنْ لا يفر
رُبَّ اعتذارٍ كان لا يُغني وطر
عرض الرسول فلا يدانيه قدر
أم دمعَةٌ أم دعوةٌ عند السَّحَرِ
حتى نَثَرْتُ وقلتُ شِعْرًا كالدرر
من منكرٍ ويكاد يشملُ من صبر

ومسلسلُ التشويه لا يخفى له
يُرْضُونَ أعداءَ الرسولِ ولأننا
يتنعمون مُكرِّمين ولم يروا
نعم الذي سَحَبَ السفيرُ لداره
بيِّنَ لعباد الكراسي أنها
يا حسرتاه على العباد يههما
ناحت منابرنا وبُحَّ دُعَاتُهَا
ثارت بقايا نخوة قذفت به
وتصَبُّ لعتَّها على الزمن الذي
وسمعت أناتُ القلوب حبيها
أو يهزؤون به ليعتذروا لنا
عرضوا الكفالة لا كفالة تقبل
من ذا يردُّ الظلمَ عنك أزرَّةٌ
لم يبق من صبرٍ لديَّ لما أرى
ويلٌ لقلبٍ لم يغير ما رأى

عائدون يا رسول الله

لعمر بطرافي اليوسعاذي

يحمل الإفك في السنن شعارا؟
 عبثا بالرسول واستهتارا
 ذلنا لا يزيد إلا انكسارا
 ثم نجثو على الصعيد حيارى
 مرغ الأنف في التراب شناراً؟!
 في رئات المليار يسري مرارا
 نخر الصد عظمها فتوارى
 جردوها لتلبس الأخطارا
 من جزاء الفعال خزيًا وعارا
 وهي تخطو بمنسمين عثارا؟!
 في رسوم حقيرة تتبارى
 وفلوس تضي لها استكباراً؟!
 في خطاب مزخرف أشعاراً
 والصراخ المولود استنكاراً
 عارم للرسول يجلي الستارا
 نحو خطو الدليل ليلاً نهارة
 بالخليج السعيد رتقاً جواراً

أي رُمح رموه جهراً نهارة؟
 طعنوا المسلمين في صلب دين
 نقرأ الحقد لا سواه ونرثي
 يشتتم الشافع المشفع فينا
 كيف نغدو الحياة بعد انبطاح
 نصرة الدين فوق كل هواء
 أخرس الوهن أمة الخير لما
 كالحلازين رهوة صيروها
 أعرضت عن كتاب ربي فنالت
 كيف تقوى على القصاص بردع
 كيف ترضى رسولها في هوان
 حول جاه وعالمية صيت
 حسبنا الشتم بالكلام سباباً
 حسبنا الشجب والتظاهر سلماً
 إنما يقظة الشعوب بحب
 باقتداء واهتداء وسعي
 عندها يلتقي المحيط فروحاً

ما بنى هَدْمُوهُ.. صَارَ قِفَارًا!
 فات.. هل نَقِبِلَ الْإِعْتِذَارَا؟
 وَيَحَهَا لَمْ تُطِقْ عَلَيْنَا اقْتِدَارَا
 بَذَلٌ فَقَدْ نَفَضْنَا الْغِبَارَا
 مِنْ صِيَاصِي الْهَدْيِ بَنَتْ أَسْوَارَا
 تُرْفِرْفِرُ يَنْتَشِي الْإِنْتِصَارَا
 - لَكَ يَا أَكْرَمَ الْأَنَامِ - هُصَارِي
 لِفَلَسْطِينَ وَالْعِرَاقِ بَشَارَا
 مِنْ قَتِيلِ الرُّسُومِ صَرْنَا مَنَارَا
 يُقْتَلُ الْمَاكْرِينَ هُوْدًا نَصَارِي
 تَصَدَّقُ الْقَوْلَ فَافْتَحُوا الْأَبْصَارَا
 قَدْ رَفَعْنَا لَوَاءَهُ أَنْصَارَا
 نَلْتَقِي فِي الْجَنَانِ صُحْبًا جَوَارًا^(١)

وَيَرِي «الدائِرُكُ» كَمْ كَانَ أُغْبِي
 وَيَعُودُ «النَّرْوِيحُ» يَبْكِي عَلَى مَا
 تَتَوَالِي هَزَائِمُ الْغَرْبِ تَتْرِي
 لَمْ تَعُدْ أُمَّةُ الْحَبِيبِ كَمَا كَانَتْ
 أَصْبَحَتْ بِاتِّبَاعِ أَحْمَدِ حِصْنًا
 خَفَقَتْ رَايَةَ الْإِلَهِ بِتَوْحِيدٍ
 كُلُّنَا لِلْفِدَاءِ نَمْضِي أَسْوَدًا
 إِنَّا عَائِدُونَ لِلَّهِ بُشْرِي
 هَكَذَا نَصْنَعُ الْحَيَاةَ شُمُوسًا
 مَكْرُوا بِالرُّسُولِ وَالْمَكْرُ سُمٌّ
 آيَةُ الْمَكْرِ فِي الْكِتَابِ دَلِيلُ
 يَا هِنَانَا بِالْحَبِيبِ لَمَّا يَرَانَا
 وَهِنَانَا بِرِفْقَةٍ مِنْهُ لَمَّا

عاد محمد ﷺ

عمر بطرافي البوسعيدي

وبضحكٍ في سُخْفٍ صليبٍ وغرَقْدُ
 وفي عِرْقِنَا نبضٌ تَلَالُماً يُوقَدُ
 لها في ذبوع الشر والكفر مَقْصِدُ
 صحيفة خُبث في السخافة تفندُ! !
 على المصطفى عبثاً أساؤوا وأفسدوا
 على الفعلة النكراً تنزهه أحمدُ
 تجلَّى على مرأى العوالم يشهدُ
 دَعِيٌّ سفيه للحصافة يفقدُ
 وتنتحب الذرَّاتُ والقلبُ أكمدُ
 وينهار الطوفانُ يرغبي ويزبدُ
 قصاصٌ يردُّ العزَّ يحيي وينجدُ
 فنعجزُ كالموتورِ في الردع يزهدُ
 على أعذب الأحلام نغفُو ونرقدُ
 ولكننا نأبى السلالم نصعدُ
 كسألى إلى الأهواء نسعى ونحفدُ
 وكل المنى فيها تهيم وتسعدُ
 غلَّتْ سلعةٌ تُشرى كذا قال أحمدُ

أيسخرُ كَفُّ الليل بالنور هازئاً
 أيشتَمُ مشكاة النبوة والهدى
 أترسُمُ أيدي حاقاتٍ رسولنا
 تطاول عشاق الدنيا فامتطوا
 أباحوا حمى الإسلام بالإفك جهرةً
 وما يرعوي الأوغاد إن صحتُ باكباً
 وما تنتهي الأحقاد ذاكم دفينهم
 تصدَّع كلُّ الكون من خطبِ راسمٍ
 تشنُّ مَجَرَّاتُ الفضاء تَقَطُّعاً
 ويشتلُّ البركان من حرِّ غضبةٍ
 وتتنفض الحيتان في البحر ريثما
 ألا ليت شعري كم تُعدُّ جِسمونا
 أم الغفلة الصماء طابَ وسادها
 لعمري هو الإسلام نعرف نهجه
 وما الرفضُ رفضٌ للعقيدة إنما
 فمن ذا الذي يأبى السعادة غايةً
 ولكنَّ جنانَ الله صعبٌ منالها

تسيرُ على نهجِ الحبيبِ وترشدُ
 سنشبعُه من حُبِّ «طه» ونعهدُ
 منارةَ إسلامِ علينا تُشيدُ
 معينَ الهدى قد صار بالدينِ يعضدُ
 يرصعُ يميناهُ الحسامُ المهندُ
 صفاءً ووداً لا يكيدُ ويحقدُ
 مُغرِّدةً أحلى التراتيلِ تنشدُ
 يצוע أريجاً في المساجدِ ينفدُ
 على أمة الإسلامِ تمضي تهددُ
 إلى الموتِ قد أغواك هذا التَعَنُّدُ
 ترابُ يوارى سوءَ الغربِ ملحدُ
 سفينةَ نوحٍ قادها الحُبُّ أحمدُ
 على الشفقِ الوردِيّ: «عاد محمد»^(١)

هي الصحوَةُ العصماءُ نورٌ بوهجِها
 إذا لم تكن منا ففي نسلنا الذي
 سنغرسُ هذا الحُبَّ في كلِّ أسرةٍ
 ويصبح مولودُ العيَّالِ راضعاً
 وينمو هزبراً بين كتفيه لبدةً
 ويحمل قلباً لا مثيل لعطفه
 وترجع أسرابُ الطيورِ بنغمِها
 وتنفتقُ الأكمامُ ورداً معطراً
 فيا أيها الغربُ الغريرُ تمرداً
 كفاك الغرورُ قد دنوتَ بسفرةٍ
 إذا لم تب هذا المصيرُ مصيركم
 ويا أمتي هذا خلاصك فالزمي
 بشائرِك الكبرى تلوح من السما

عذراً رسول الهدى

لعبدِ الله بنِ غالبِ الحميريِّ^(١)

تَكَادُ تَنْهَدُ مِنْهُ الْأَرْضُ أَرْكَانَا
 زَيْفَ السِّتَارِ فَبَانَ الْيَوْمَ عُرْيَانَا
 فِي حَقِّ أَكْرَمِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا
 بِالنَّيْلِ مِنْ شَخْصِهِ الْمَعْصُومِ عِدْوَانَا
 حَتَّى تُفَجِّرَ نَحْوَ الْغَرْبِ بُرْكَانَا
 بِالنُّوْمِ عَيْنٌ إِذَا مَا جَانِبٌ لَنَا
 جَهْرًا وَيُمْتَهِنُ الْقِرَانَ إِعْلَانَا
 تَثُورُ نَائِرَةٌ مِنَّا لِمَوْلَانَا
 وَنَجْتَبِي سَلْعَ الْكُفَارِ أَطْنَانَا
 لِلَّهِ وَاتَّحِدُوا فِي الدِّينِ إِخْوَانَا
 مَا يَرُدُّعُ الْكَافِرَ الْمُتَوَرَّعَ أَمَانَا
 وَيُذْعِنُ الصَّاعِرُ الْمَأْفُونُ إِذْعَانَا
 نَرْجُوا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْحَشْرِ مَجَانَا
 فَإِنَّهُ مُدَّعٍ زُورًا وَبِهْتَانَا
 مَعْلُومَةٌ قَدْ بَدَتْ سِرًّا وَإِعْلَانَا

كُفِّرُ تَنْفَسَ عَنْهُ الْغَرْبُ لَا كَانَا
 وَقَبْحُ وَجْهِ أَزَاحُوا عَنْ صَفَاقَتِهِ
 شَلَّتْ يَدَاهُ بِمَا خَطَّتْ وَمَا رَسَمَتْ
 وَقُبِّحَتْ أُمَّةٌ فَاهَتْ صَحَافَتُهَا
 بِنَبِيِّ الْعَقِيدَةِ لَا كَانَتْ مَوَاقِفُكُمْ
 وَلَا اسْتَقَرَّ لَنَا عَيْشٌ وَلَا اِكْتَحَلَتْ
 أَيُّزْدَرَى بِرَسُولِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ
 وَيُشْتَمُ اللَّهُ فِي وَضْحِ النَّهَارِ فَلَا
 وَرَغْمَ ذَلِكَ نَسْتَبْقِي مَوَدَّتَهُمْ
 هِيََا انْهَضُوا أُمَّةَ التَّوْحِيدِ وَاانْتَصِرُوا
 وَأَسْمِعُوا «دَنْمَرَكَا» فِي وَقَاحَتِهَا
 حَتَّى تُدِينَ كِلَابُ الْغَرْبِ فَعَلَتَهَا
 إِلَّا نَغَارُ عَلَيَّ عَرِضُ الرَّسُولِ فَهَلْ
 وَمَنْ أَبِي وَادَعَى مِنَّا مَحَبَّتَهُ
 مَاذَا نُؤْمَلُ مِنْ قَوْمِ عِدَاوَتِهِمْ

(١) اليمن - إب - ٢٧ / ١٢ / ١٤٢٦ هـ.

إِلَّا عَلَى مَا حَكَاهُ اللَّهُ بِرَهَانَا
 مِنَ الثَّوَابِتِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
 أَوْ اقْتَضَى الْأَمْرُ إِيْمَانًا وَكُفْرَانَا
 مَنَا الْعِزَائِمِ شُبَانًا وَشِيبَانَا
 وَمَا أَقَامُوا لَنَا وَزَنَا وَلَا شَانَا
 عَلَى مَقَامِكَ أَوْ كَانَ الَّذِي كَانَا
 نُفْلِحُ بِشَيْءٍ وَلَا حُلَّتْ قَضَايَانَا
 وَمَا مَلَكْنَاهِ أَرْوَاحًا وَأَبْدَانَا
 وَكُلُّ أُمَّ بِمَا أَسَدَيْتَ عَرَفَانَا
 وَسَائِرُ النَّاسِ عُجْمَانًا وَعَرَبَانَا
 عَيْنَاهُ عَنْكَ وَقَدْ أُرْسِلْتَ تَبِيَانَا
 وَأُمَّةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ صَلْبَانَا
 عِنْدَ الْأَذَى أُمَّةٌ - الدَّمْرُكُ - قُرْبَانَا
 مِمَّا رَمَوْكَ بِهِ ظَلْمًا وَعَدْوَانَا
 وَأَرْجَحُ الرُّسُلِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
 وَإِنَّ شَانَتَكَ الْمَبْتُورُ لَا كَانَا

وَمَا اتَّخَذَهُمُ الْإِسْلَامَ مَسْخَرَةً
 إِنْ الْعِلَاقَةَ لَا تُبْنَى مُجَرَّدَةً
 فَلَا تَسَامِحَ إِنْ مُسَّتْ عَقِيدَتُنَا
 عِذْرًا رَسُولَ الْهَدَى الْمُخْتَارِ إِنْ وَهَنْتُ
 فَلَمْ يَعْذِرْهُبِ الْأَعْدَاءُ صَوْلَتَنَا
 وَلَوْ أَطْعَمْنَاكَ مَا هُنَّا وَمَا اجْتَرُّوْنَا
 لَكِنْ عَصِينَاكَ فِي جُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 عِذْرًا: فِدَاكَ رَسُولَ اللَّهِ أَنْفُسُنَا
 عِذْرًا: فِدَاكَ خَلِيلَ اللَّهِ كُلُّ أَبٍ
 فِدَى لَكَ الْأَهْلُ وَالْأَبْنَاءُ قَاطِبَةً
 فِدَاكَ كُلُّ كُفُورٍ فِي الدُّنْيَا عَمِيَّتْ
 فِدَاكَ كُلُّ يَهُودٍ وَالدُّنْيَا مَعَهَا
 فِدَى تَرَابِ نَعَالٍ كُنْتَ تَلْبَسُهَا
 حَاشَاكَ حَاشَاكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى رَبِّبَا
 وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
 وَأَطْهَرُ الْخَلْقِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ دَنَسٍ

قصيدة

حُفِظَتْ بِكَ الْأَخْلَاقُ بَعْدَ ضِيَاعِهَا
وَبُعِثْتَ لِلثَّقَلَيْنِ بَعَثَةَ سَيِّدِ
أَصْغَتْ إِلَيْكَ الْجَنُّ وَانْبَهَرَتْ بِمَا
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى وَتَشَرَّفَتْ
يَا مَنْ تَتَوَقَّعُ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ
بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ حِينَ تَشَرَّفَتْ
أَنْشَأَتْ مَدْرَسَةَ النَّبُوَّةِ فَاسْتَقَى
هِيَ لِلْعُلُومِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا
لِلَّهِ دَرْكٌ مُرْشِدًا وَمُعَلِّمًا
رَبَّيْتَ فِيهَا مِنْ رِجَالِكَ ثُلَّةً
قَوْمٌ إِذَا دَعَتِ الْمَطَامِعُ أَغْلَقُوا
إِنْ وَاجَهُوا ظَلَمًا رَمَوْهُ بِعَدْلِهِمْ
قَدْ كُنْتَ قَرَأْنَا يَسِيرَ أَمَامِهِمْ
عَمَرُوا الْقُلُوبَ كَمَا عَمَرْتَ، فَمَا مَضُوا
لَوْ أَطْلَقَ الْكُونَ الْفَسِيحُ لِسَانَهُ
لَوْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ الْعِبَادِ، لَرَدَّدَتْ
لِمَ لَا تَكُونُ؟ وَأَنْتَ أَفْضَلُ مُرْسَلٍ
مَا أَنْتَ إِلَّا الشَّمْسُ يَمَلَأُ نُورُهَا

وَتَسَامَقَتْ فِي رَوْضِهَا الْأَشْجَارُ
صَدَقَتْ بِهِ وَبَدِينِهِ الْأَخْبَارُ
تَتَلَوُ، وَعَمَّ قُلُوبَهَا اسْتِبْشَارُ
بِمَسِيرِهِ الْكُثْبَانَ وَالْأَحْجَارُ
شَمْسٌ وَيَفْرَحُ أَنْ يَرَاهُ نَهَارُ
بِكَ هِجْرَةٌ وَتَشَرَّفَ الْأَنْصَارُ
مِنْ عِلْمِهَا وَيَقِينِهَا الْأَبْرَارُ
وَلِمَنْهَجِ الدِّينِ الْخَنيفِ مَنْارُ
شَرَّفَتْ بِهِ وَيَعْلَمُهُ الْآثَارُ
بِالْحَقِّ طَافُوا فِي الْبِلَادِ وَدَارُوا
فَمَهَا، وَإِنْ دَعَتِ الْمَكَارِمُ طَارُوا
وَإِذَا رَأَوْا لَيْلَ الضَّلَالِ أَنْارُوا
وَبِكَ اقْتَدُوا فَأَضَاءَتِ الْأَفْكَارُ
إِلَّا وَأَفْتَدَةُ الْعِبَادِ عَمَّارُ
لَسَرَتْ إِلَيْكَ بِمَدْحِهِ الْأَشْعَارُ
أَصْوَاتٌ مَنْ سَمِعُوا: هُوَ الْمُخْتَارُ
وَأَعَزُّ مَنْ رَسَمُوا الطَّرِيقَ وَسَارُوا
أَفَاقَنَا، مَهْمَا أُثِيرَ غُبَارُ

كل الأمور، بذاك يشهد غارُ
 شَهِدِ المَقَامُ وَرَكْنُهَا وَالدَّارُ
 قَادِ الحَجِيجِ وَخَيْرَ مَنْ يَشْتَارُ
 إِنْ لَمْ يَتَبْ مِمَّا جَنَّاهُ النَّارُ
 وَهَنًا، وَقَدْ ثَقُلَتْ بِهَا الْأَوْزَارُ
 بَلْ مِنْهُ نَالَتْ ذِلَّةً وَصَغَارُ
 وَصَلْتُ إِلَيْكَ، وَلَا فَمٌ مَهْذَارُ
 وَبِدِينِهِ يَتَكَفَّلُ الْقَهَّارُ
 فَلَكَ السُّمُوءُ وَلِلْحَسُودِ بَوَارُ
 مَلَأَتْ مِشَارِبَ نَفْسِهِ الْأَقْدَارُ
 يَشْكُو اندِحَارَ غَنَائِهَا المِليَارُ
 وَهَنْ القُلُوبِ، وَخَلْفَهَا الكُفَّارُ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَحَرَّكَ الإِعْصَارُ
 جَيْشُ الرَّذِيلَةِ وَالهَوَى جَرَّارُ
 مَتَخَبِّطًا فِي مَوْجِ البَحَّارُ
 وَمَنْ الهَوَى تَسْرَبُ الْأَخْطَارُ
 نَعِمَ البِشَارَةُ مِنْكَ وَالإِنْذَارُ
 فَأَصَابَهُمْ غَبَشُ الظُّنُونِ وَحَارُوا
 بِالدَّئِبِ فِيهَا الشَّعْلُبُ المَكَّارُ

مَا أَنْتَ إِلَّا أَحْمَدُ المَحْمُودُ فِي
 وَالكَعْبَةُ الغُرَاءُ تُشْهَدُ مِثْلَمَا
 يَا خَيْرَ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَخَيْرَ مَنْ
 سَقَطَتْ مَكَانَةُ شَاتِمٍ، وَجَزَاؤُهُ
 لِكَأَنِّي بِخَطَايَاهُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا
 مَا نَالَ مِنْكَ مَنَافِقٌ أَوْ كَافِرٌ
 حَلَقْتُ فِي الأُفُقِ البَعِيدِ، فَلَا يَدُ
 وَسَكَنْتَ فِي الفِرْدَوْسِ سَكْنِي مِنْ بِهِ
 أَعْلَاكَ رَبُّكَ هَمَّةٌ وَمَكَانَةٌ
 إِنَّا لِيؤْمِنُنَا تَطَاوُلُ كَافِرٍ
 وَيَزِيدُنَا أَلْمًا تَخَاذُلُ أُمَّةٍ
 وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الخُضُوعِ، أَمَامَهَا
 يَا لَيْتَهَا صَانَتْ مَحَارِمَ دِينِهَا
 يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى، فِي عَصْرِنَا
 فِي عَصْرِنَا احْتَدَمَ المَحِيطُ وَلَمْ يَزَلْ
 جَمَحَتْ عُقُولُ النَّاسِ، طَاشَ بِهَا الهَوَى
 أَنْتَ البِشِيرُ لَهُمْ، وَأَنْتَ نَذِيرُهُمْ
 لَكِنَّهُمْ بِهَوَى النُّفُوسِ تَشْرَبُوا
 صَبَّغُوا الحِضْرَةَ بِالرَّذِيلَةِ فَالْتَقَى

فِي نَصْرَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ﷺ

ليعقوب بن مطر العتبي

أَنْ يُضِلَّ الْحَقُودَ عَنْهُ عَمَاهُ
 مِنْ سَفِيهِ إِذَا السَّفِيهِ رَمَاهُ
 كُنْنَا - أَيُّهَا الْبُغَاةُ - فِدَاهُ
 فَاسْأَلُوا الْكُونَ عَنْ عَظِيمِ عُلَاهُ
 ضَلَّ مَنْ يَهْتَدِي بِغَيْرِ هُدَاهُ
 فِي سَحِيقٍ مِنَ الْغَوَايَةِ تَاهُوا
 وَأُهِنْتَ لِأَجْلِ صَخْرٍ جَبَاهُ
 وَ(مَنَاةُ) إِلَهُهُ وَمَنَاةُ
 نَحْوَ سَاقٍ مِنَ الْمُدَامِ سَقَاهُ
 وَعَلَى الْفَرَسِ قَدْ تَغَطَّرَسَ شَاهُ
 قَدْ غَشَاهُمْ مِنَ الضَّلَالِ دُجَاهُ
 شَعَّ فِي الْكُونَ نُورُهُ وَسَنَاهُ
 أَيُّ جَيْلٍ مِنَ الْهُدَاةِ بَنَاهُ
 أَيُّ دِينَ كَدِينِهِ وَتَقَاهُ
 أَطْرَبَ الْكُونَ، وَالزَّمَانَ رَوَاهُ
 أَعْظَمَ النَّفْعِ لَوْ أَجَابُوا نِدَاهُ
 فَاسْأَلِ الْغَيْثَ عَنْ عَظِيمِ نِدَاهُ

مَا عَلَى الْبَدْرِ حِينَ عَمَّ ضِيَاهُ
 وَالْمَحِيطُ الْعَظِيمُ مَاذَا عَلَيْهِ
 أَيُّهَا الشَّانُؤُونَ خَيْرَ رَسُولٍ
 هَلْ جَهَلْتُمْ مَقَامَهُ إِذْ شَتَّمْتُمْ
 جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْهَجًا وَصِرَاطًا
 جَاءَ وَالْخَلْقُ فِي الضَّلَالَةِ شَتَّى
 عَمَّ كُفْرًا وَفِتْنَةً وَفَسَادًا
 سَيِّدِ الْقَوْمِ مَنْ يَطُوفُ بِبِلَاتٍ
 يَدْفِنُ الْبِنْتَ حَيَّةً وَيُولِيَّ
 سَادَ فِي الرُّومِ قَيْصَرٌ مُسْتَبَدُّ
 بَيْنَمَا النَّاسُ سَادَرُونَ بِغِيَّ
 أَشْرَقَ الصَّبْحُ مِنْ فُؤَادِ حِرَاءِ
 أَيُّ نِعْمَى عَلَى الْبَرِيَّةِ حَلَّتْ
 أَيُّ عَدْلٍ كَعَدْلِهِ وَصِفَاتِ
 وَحَدِيثِ عَنِ الرَّسُولِ مَشُوقِ
 عَنْ عَظِيمٍ إِلَى الْبَرِيَّةِ أَسْدَى
 وَكَرِيمٍ بِهِ الْمَكَارِمُ تَزْهُو

حَفِظَهُ ذُو الْجَلَالِ ثُمَّ حَمَاهُ
 لَوْ أُعِيدَتْ إِلَى زَمَانِ حَوَاهُ
 لَا تَقَرُّ الْعُيُونُ حَتَّى تَرَاهُ
 حِينَ يَشْقَى لَدَى الْحِسَابِ عِدَاهُ
 وَرَجَائِي بِأَنْ تُشَلَّ يَدَاهُ
 يَهْتِكُ السِّتْرَ عَنْ قَبِيحِ هَوَاهُ
 ثَلَّثْتُ وَاحِدًا، تَعَالَى إِلَاهُ
 كَيْفَ يَرْضَى بِمَنْ يَسُبُّ أَخَاهُ
 اسْمُهُ (أَحْمَدُ) بَعْدَ تَلَاهُ
 وَ(ضَمَانُ الْحَقُوقِ) مَاذَا دَهَاهُ
 تَنْطِقُ الزُّورَ أَلْسُنٌ وَشِفَاهُ
 وَثَبَةُ اللَّيْثِ إِذْ يُبَاحُ حَمَاهُ
 حِينَمَا يَبْلُغُ الظُّلَامُ مَدَاهُ
 إِنْ يَكُنْ ضَاقَ بِالْفُؤَادِ شَجَاهُ
 كَيْفَ وَاللَّهِ حَسْبُهُ وَكَفَاهُ

خَلَدَ اللَّهُ ذِكْرَهُ وَتَوَلَّى
 أَرْهَقَ الشُّوقُ أَنْفُسًا تَتَمَنَّى
 وَتَتَوَقُّ الْقُلُوبُ نَحْوَ حَيْبٍ
 يَا مُحِبَّ الْحَيْبِ أَبْشِرْ بِخَيْرٍ
 تَبَّ غَاوٍ عَلَى الرَّسُولِ تَجَنَّى
 ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ دَعَاوِي غَبِيٍّ
 يَا عَبِيدَ الصَّلِيبِ أَيْنَ عُقُولُ
 الْمَسِيحِ الْكَرِيمِ مِنْكُمْ بَرَاءُ
 وَهُوَ مَنْ بَشَّرَ الدُّنْيَا بِنَبِيِّ
 أُمَّةِ الْغَرْبِ أَيْنَ دَعَاوِي احْتِرَامِ
 هَلْ سَقَطْنَا مِنَ (الْخَرِيطَةِ) حَتَّى
 إِنْ فِينَا - وَإِنْ تَخَاذَلْ قَوْمٌ -
 يُوشِكُ الْفَجْرُ أَنْ يَمُنَّ بِوَصْلِ
 وَأَسْوَدَادُ الْأَسَى يَعُودُ بِيَاضًا
 لَنْ تَنَالُوا مِنَ الرَّسُولِ وَرَبِّي

نصر المختار ودحر الفجار!

يوسف مسعود قطب حبيب

لَتَعِيبَ مَنْ أَرْسَى الْمَبَادِيَّ وَالْقِيمَ
 مِنْ نَيْلِ بَدْرِ قَدْ سَمَا فَوْقَ الْقِمَمِ
 سَعَدَتْ بِهِ وَبَنُورِهِ كُلُّ الْأُمَّمِ
 فَفَتَحَ الْقُلُوبَ بِهِ وَأَحْيَا مِنْ عَدَمِ
 وَشَفَى الْعَلِيلَ مِنَ الْوَسَاوِسِ وَالسَّقَمِ
 وَالْفُحْشِ وَالْبَغْيِ الْبَغِيضِ قَدْ انْهَدَمِ
 لَمَّا اسْتَضَاءَ بِنُورِ أَحْمَدَ وَابْتَسَمِ
 كَالغَيْثِ عِنْدَ عُمُومِهِ لَا بَلَّ أَعْمِ
 مَنْ ذَا يُبَارِي فِي السَّمَاحَةِ وَالكَرَمِ؟
 بَلْ سَائِلِ الطَّيْرِ الْمُحَلَّقِ بِالْقِمَمِ
 كَيْ يَسْعَدَ الْعُشَّ الْحَزِينَ وَيَلْتَمِمْ
 لِمُحَمَّدٍ بِدَمُوعِهِ مَرًّا الْأَلَمِ
 لَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
 بِيَمِينِهِ وَالْخِصْمُ قَدْ أَلْقَى السَّلَمِ
 عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَبْرَ تَارِيخِ الْأُمَّمِ؟

نَبَحْتُ شَرَارُ الْخَلْقِ تَقْدِفُ بِالتَّهْمِ
 أَيْنَ النَّبَاحِ وَإِنْ تَكَاتَرَ أَهْلُهُ
 أَوْ نَيْلِ نَجْمٍ سَاطِعٍ يَهْدِي الْوَرَى
 جَادَ الْكَرِيمُ بِهِ بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ
 قَدْ تَمَّ الْأَخْلَاقَ بَعْدَ ضِيَاعِهَا
 بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ قَامَتْ شُرْعَةٌ
 فَعَدَا ظِلَامُ الْكُؤُنِ صُبْحًا مُشْرِقًا
 سَحَاءٌ كَفُّ مُحَمَّدٍ بِعَطَائِهَا
 مَنْ ذَا يُطَاوِلُ رَحْمَةً فِي قَلْبِهِ
 فَلْتَسْأَلِ الثَّقَلَيْنِ عَنْ أَخْلَاقِهِ
 مَنْ صَاحَ بِالْأَصْحَابِ رُدُّوا فَرخَهُ
 بَلْ سَائِلِ الْجَمَلِ الْبَهِيمِ إِذْ اشْتَكَى
 فَوَعَى الْخِطَابَ وَقَامَ يُعْلَنُ غَاضِبًا
 وَعَفَا عَنِ الْخِصْمِ اللَّدُودِ وَسَيْفُهُ
 هَلَّا رَأَيْتُمْ مِثْلَ عَفْوِ مُحَمَّدٍ

لَمْ يَبْقَ ذَكَرٌ لِلْعَدَالَةِ أَوْ عِلْمٍ؟
 إِنَّ الدَّلِيلَ لِكُلِّ قَوْلٍ يُلْتَزَمُ
 هَلْ يَقْبَلُ الْمُخْتَارُ نَقْضًا لِلذَّمِّ؟
 هَلْ أَهْلَكَ الْمُخْتَارُ شَعْبًا وَانْتَقَمَ؟
 يَجْتَثُّ أَسْبَابَ الشُّكَايَةِ وَالسَّقَمِ
 كَأَسِ الْمَذَلَّةِ وَالْعِبَادَةِ لِلصَّنَمِ
 وَلِيَشْكُرَ الْمَخْلُوقَ مِنْ أَسْدَى النِّعَمِ
 فَادْكُرْ مَقَاصِدَ حَرْبِكُمْ كُلِّ الْأُمَّمِ
 الثَّكْلَى وَقَبْرَ جَامِعٍ وَبِحَارِ دَمٍ
 بِهَا نَارًا أَحَاطَتْ بِالسَّهُولِ وَبِالْقِمَمِ؟
 بَيْنَ الْجَمَاجِمِ سَائِلًا أَيْنَ الْقِيمِ؟
 أَمْحَمَدٌ أَمْ هُمْ أَسَاطِينُ الْعَجَمِ؟
 لَمْ يَنْجُ مِنْ إِنْسٍ وَلَا صَخْرٍ أَصَمِّ
 وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ حَقٌّ يُحْتَرَّمُ؟!

يَا جَاحِدًا لِلْحَقِّ هَلْ بَدِيَارِكُمْ
 هَلَا أَقَمْتَ لِمَا افْتَرَيْتَ دَلِيلَهُ
 هَلْ يَقْتُلُ الْمُخْتَارُ شَيْخًا فَانِيًا
 هَلْ مَثَلَ الْمُخْتَارُ أَنْ قَتَلَ النِّسَا
 فَهُوَ الطَّبِيبُ بِحَرْبِهِ وَيَسْلَمُهُ
 فَيُزِيلُ أَنْظِمَةً تُجَرِّعُ شَعْبَهَا
 كَيْ يُشْرِقَ التَّوْحِيدُ فِي أَرْجَائِهَا
 هَذَا جِهَادُ نَبِيِّنَا وَمُرَادُهُ
 وَلِتَسْأَلَ (البوسنة) تُجَبِّكَ نَسَاؤَهَا
 بَلْ سَائِلِ (الشيشان) مَنْ أَوْرَى
 وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يَثْنُ بِجُرْحِهِ
 مَنْ أَجَّجَ الْحَرْبَيْنِ فَتَكَا بِالْوَرَى
 فَاسْأَلِ (هيروشيما) أَوْ أَسْأَلِ أُخْتَهَا
 فَهَلِ الدِّفَاعُ عَنِ الْحَقُوقِ جَرِيمَةٌ

أَبَارِضِكُمْ زَمَنُ الْعُقُولِ قَدْ انصَرَمَ؟
 وَنُصُوصِ أَسْفَارِ الضَّلَالَةِ عِنْدَكُمْ؟
 هَلَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ بَدَلَ الصَّمَمِ؟
 هِيَ لِلْفَلَاحِ صِرَاطُهُ الْحَقُّ الْأَتَمُّ

يَا جَاحِدًا لِلْحَقِّ رَغْمَ وَضُوحِهِ
 هَلَا تُقَارِنُ بَيْنَ هَدْيِ مُحَمَّدٍ
 هَلَا بَصُرْتُمْ نُورَهُ بَدَلَ الْعَمَى
 هَلَا لآيَاتِ الْكِتَابِ عَقَلْتُمْ

وَبُنْظُمِهِ وَحَقَائِقِ تَهْدِي الْأُمَّمِ
وَاجْمَعِ شُهُودَكَ مَا تَشَاءُ مَعَ الْحَكَمِ
فَاحْذِرْ سَعِيرًا فِي مَالِكَ تَضْطَرُّمِ
مَنْ عِنْدَ جَبَّارٍ قَوِيٍّ مُنْتَقِمِ
كَيْفَ الْعَذَابِ بِنِّ بَغْيِي وَبِمَنْ ظَلَمْتُ؟
وَقَلِيبَ بَدْرٍ قَدْ طَوَى تِلْكَ الرَّمَمِ

قَدْ فَاقَ كُلَّ الْمَعْجَزَاتِ بِهَدْيِهِ
سَلَّمَ أَوْ أَثَّتْ بِمِثْلِهِ أَوْ بَعْضِهِ
فَإِذَا عَجَزْتَ وَإِنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ
وَاحْذِرْ قَوَارِعَ الطُّغْيَاةِ تَتَابَعَتْ
وَاسْأَلْ أَبَا لَهَبٍ بَلِ اسْأَلْ زَوْجَهُ
وَادْكُرْ أَبَا جَهْلٍ أَوْ اذْكُرْ صَحْبَهُ

مَنْ طَيْفَ عَيْشٍ عَنْ قَرِيبٍ يَنْصَرِمِ
وَتَطَاوَلَ الْقَزْمُ الْحَقِيرُ عَلَى الْقِمَمِ
مَنْ لِي بِسَعْدٍ أَوْ بِسَيْفِ الْمُعْتَصِمِ
وَتَلُوذَ أَفْوَاهِ السَّفَاهَةِ بِالْبِكَمِ
قَدَّمَ الْجُدُودَ زَمَانَ عَزَّ مُنْصَرِمِ
مُتَرَبِّصٌ وَعُيُونُهُ لَا لَمْ تَنَمِ
مَنْ لَازَمَ الْهَدْيِ الْقَوِيمَ فَقَدْ غَنِمَ
مَنْ سَبَّ أَحْمَدًا يَا طُغْيَاةُ فَقَدْ قَصِمَ

لَمَّا وَهَى قَوْمِي لِحُبِّ لِعَاةِ
طَمَعِ الذَّنَابِ بَعْرُضِنَا فَاسْتَأْسَدُوا
مَنْ لِي بِسَيْفِ اللَّهِ فِي أَصْحَابِهِ
لِيُثِيبَ جَمْعُ الْمَارِقِينَ لِرُشْدِهِمْ
وَتُقْبَلُ الْأَيْدِي كَمَا قَدْ قَبِلَتْ
يَا أُمَّتِي هَيَّا أَنْهَضِي فَعَدُونَا
سِيرِي عَلَى هَدْيِ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ
وَخُذِي عَلَى أَيْدِي السَّفِيهِ وَأَعْلِنِي

رَجُلًا بَدِينِكَ قَائِمًا يُعْلِي الْهَمَمِ
وَيُعِيدُ صَرْحًا لِلْكَرَامَةِ قَدْ هُدِمَ
مَا لَاحَ صُبْحٌ أَوْ تَشَابَكَتِ الظُّلَمِ

فَابْعَثْ إِلَهُ الْعَالَمِينَ لِأُمَّتِي
كَيْ يَجْمَعَ الصَّفَّ الشَّتِيبَ عَلَى الْهَدْيِ
وَاجْعَلْ صَلَاتَكَ وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ

وَكَذَا عَلَى الْآلِ الْكِرَامِ وَصَحْبِهِ
وَابْعَثَهُ يَوْمَ الْعَرْضِ حَيْثُ وَعَدْتَهُ
مَا طَارَ طَيْرٌ فَوْقَ غُصْنٍ أَوْ عَلِمَ
بِمَقَامِهِ الْمَحْمُودِ مِنْ كُلِّ الْأُمَّمِ

هذا رسولُ الله.. كيف يُسبُّ؟!!

حسن علي النجار^(١)

هذا رسولُ الله.. كيف يُسبُّ؟!
هذا رسولُ الله.. كيف تجرؤوا؟!
بل كيف يُعلنها خسيسٌ كلبٌ؟!
ويلٌ لهم.. وصواعقٌ تنصبُ

ثوري براكيناً.. أُسودَ محمد
ثوري.. فليس هناك صبرٌ دقيقة
ثوري جحيماً غاضباً لا يخبو
نَفَدَ انتظارُ الثائرين.. فهبوا

رسموا رسولَ الله أقبحَ صورة
«حرية»: قالوا.. أيلعبُ باللظى؟!
تبتُ أيادي الحاقدين وتبوا
علَّ اللظى بديارهم تنشبُ

دنمركُ.. لا عذراً.. ولا تتأسفي
لا عفواً.. إنَّ عقولكم بقريّة
قد فات.. فات الوقتُ هذا صعبُ
جفتْ ضروعُ عقولكم.. لا حلبُ

ها نحنُ أمةُ أحمد.. لا ننحني
ورؤسنا لا تغتليها سحْبُ

وَالْعِزُّ مُنْبَعُهُ.. وَنِعْمَ الشَّرْبُ
وَبِذِكْرِ أَحْمَدِكُمْ تَرْنَمَ صَبُّ

عُنْوَانُنَا: اسْتِعْلَاءُ أَعْظَمِ مَنْهَجِ
وَرَسُولُنَا الْأَعْلَى.. وَشَمْسُ حَيَاتِنَا

جَمْرًا وَمُوتِي.. لَنْ يُفِيدَ النَّدْبُ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ.. كَيْفَ يُسَبُّ؟!!

دِنْمَرُكَ أَنْتِ أَثْرَتْ جَمْرًا.. فَأَبْلِعِي
دِنْمَرُكَ.. صَمْتًا رَغْمَ أَنْفِكَ.. وَاعْلَمِي

هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ

الديكتورا جمال بن صالح الجار الله^(١)

وَسَيْفُكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ أَقْطَعُ
وَقَوْلُكَ فِي كُلِّ الْمِيَادِينِ أَوْقَعُ
وَأَخْلَاقُكَ الْقُرْآنُ أَصْلٌ وَأَفْرَعُ
وَمَا زَاغَ إِلَّا هَالِكٌ.. يَتَلَعَلَعُ
وَحَوْضُكَ مَوْزُودٌ فَطُوبَى لِمَنْ دَعَا
وَقِيلَ لَهُمْ بَعْدًا فَلَا تَمَّ مَوْضِعُ

مَقَامُكَ مِنْ كُلِّ الْمَقَامَاتِ أَرْفَعُ
وَوَجْهُكَ نُورٌ وَالسَّجَايَا حَمِيدَةٌ
شَمَائِلُكَ الْمَعْرُوفُ وَالْحِلْمُ وَالتُّقَى
مَحَجَّتْكَ الْبَيْضَاءُ هَدْيٌ وَرَحْمَةٌ
لِوَأُوكَ مَعْقُودٌ عَلَى الْعِزِّ وَالْمَضَا
وَيَابُوسَ مَنْ ذَبِدُوا عَنِ الْحَوْضِ يَوْمَهَا

فَأَشْرَقَ نُورٌ إِذَا طَلَعَتْ يُشْعِشِعُ
وَمَا زَالَ فِي لَيْلِ الْمُلَمَّاتِ يَسْطَعُ
بِهِ كُلُّ أَرْضٍ بِالْهَدْيِ تَتَلَفَّعُ

أَتَيْتَ وَهَدَيْتَ الْأَرْضَ بَغْيٌ وَظُلْمَةٌ
وَمَا قَمَرٌ إِلَّا كَشَعِّ ضِيَاؤُهُ
تَلَاؤًا فِي كُلِّ النَّوَاحِي فَأَشْرَقَتْ

مُحَمَّدٌ مِنْ كُلِّ الْخَلِيقَةِ أَرْوَعٌ
وَمَا فَازَ إِلَّا مَنْ لِأَحْمَدَ يَتَّبِعُ
فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْفَضْلُ أَوْسَعُ
وَأَصْحَابُهُ عَنْ كُلِّ غِيٍّ تَرَفُّعُوا
أَلَسْتَ الَّذِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ؟
وَتَبًّا لِمَافُونَ أَنَا يُجْعَعُ

وَنَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ مُدَوِّيًّا
هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ
«هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ
تَرَفَّعَ عَنْ كُلِّ الدُّنْيَا وَلَمْ يَزَلْ
مَقَامُكَ مَحْمُودٌ تَفَرَّدْتَ سَيِّدًا
مَقَامُكَ عَالٍ يَا حَبِيبِي وَسَيِّدِي

تَنَكَّبَ دَرَبَ الْخَيْرِ لِلشَّرِّ يَنْزِعُ
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا جَهَنَّمَ مَرْتَعُ

وَكَافِيكَ رَبُّ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ مُفْتَرٍ
وَشَانِيكَ بِالْخُسْرَانِ بَاءَ صَنِيعِهِ

وَأَرَوَّاحَهُمْ دُونَ انْتِقَاصِكَ تَنْزِعُ
وَلَوْ أَجْلَبَ الْبَاغُونَ وَالنَّاسُ أَجْمَعُ
فَسِيرُوا عَلَى دَرَبِ النَّبِيِّ وَقَاطِعُوا
قُلُوبَهُمْ مِنْ حَقْدِهَا تَتَقَطَّعُ

تُفَدِّيكَ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَهُمْ
فَفِي نُصْرَةِ الْهَادِي سُمُوٌّ وَعِزَّةٌ
هَنِيئًا لَكُمْ يَا مَنْ نَصَرْتُمْ نَبِيَّكُمْ
وَتَبًّا لِكُلِّ الْخَائِنِينَ نَبِيَّهُمْ

مُحَمَّدُنَا الْهَادِي شَفِيعٌ مَشْفَعُ
إِذَا أُودِيَ الْمُخْتَارُ تَغْلِيٍّ وَتَفْزَعُ
عَلَى خَيْرٍ مَعْصُومٍ فَقَدْ حَانَ مَصْرَعُ
وَهَلْ يَعْتَلِي بَيْنَ الْخَلَائِقِ ضَفْدَعُ؟

أَلَا يَا أُخَيَّ الْكُفْرِ حَازِرٌ فَإِنَّهُ
فَمَا نَلْتِ مِنْهُ غَيْرَ أَنْ قُلُوبَنَا
وَأَبْشَرُ بِمَا يُخْزِيكَ يَا شَرَّ مُعْتَدٍ
وَمَا نَالَ أَسْبَابَ الْمَعَالِي أَرَادَلُ

نُرَدِّدُهَا عَبْرَ الزَّمَانِ وَنَصْنَعُ
وَيَا لَيْتَنَا مَعَ صَفْوَةِ الْخَلْقِ نُجْمَعُ
وَلَسْنَا لِحَقِّ الْمُرْسَلِينَ نُضَيِّعُ

مِنْ دَوْلَةِ الْأَبْقَارِ وَالْأَجْبَانِ

ماجد بن محمد الجهني الظهراؤ

وَفِدَاهُ مُهْجَةٌ خَافِقِي وَجَنَانِي
وَفِدَاهُ مَا نَظَرْتَ لَهُ الْعَيْنَانِ
وَفِدَاهُ مَا سَمِعْتَ بِهِ الْأُذْنَانِ
وَفِدَاهُ رُوحُ الْمُغْرَمِ الْوَلَهَانِ
أَرْوَأَحْنَا تَفْدِيهِ كُلُّ أَوَانِ
تَسْمُو مَحَبَّتَهُ عَلَى الْأَلْحَانِ
وَخَلِيلُ رَبِّي الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
إِذْ زَانَهُ بِالصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ
وَلَدِينُهُ يُعْلُو عَلَى الْأَدْيَانِ
وَأَذَلَّ أَهْلَ الْغِيِّ وَالصُّلْبَانِ
يَصْلُونَ قَسْرًا ضَحْضَحَ النَّيْرَانِ
أَعْدَاؤُهُ هُمْ أَحْبَبْتُ الْعُمِيَانِ
فَتَقَحَّمُوا فِي النَّارِ كَالْقُطْعَانِ

أَيَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْكِرَامِ تَحِيَّةٌ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ
تَهُونُ عَلَيْنَا أَنْفُسٌ وَنَفَائِسُ

وَلَقَدْ سَمِعْنَا مَا يَسُوءُ قُلُوبَنَا

عَرِضِي فِدَا عَرِضِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ
وَفِدَاهُ كُلُّ صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا
وَفِدَاهُ مُلْكُ السَّابِقِينَ وَمَنْ مَضُوا
وَفِدَاهُ كُلُّ الْحَاضِرِينَ وَمُلْكُهُمْ
وَفِدَاهُ مُلْكُ الْقَادِمِينَ وَمَنْ أَتُوا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ وَالتَّقَى مَخْرَابُهُ
أَزَكَى رَسُولٍ بِالْهُدَى قَدْ جَاءَنَا
صَلَّى عَلَيْهِ الرَّبُّ فِي عَلَيَّاهِ
وَاللَّهُ أَعْلَى شَأْنَهُ فِي آيِهِ
أَخْزَى بِهِ رَبِّي ضَلَالَةَ مُشْرِكِ
أَعْدَاؤُهُ فِي نَكْسَةِ وَبَغْلِهِمْ
أَعْدَاؤُهُ بِكُمْ وَصَمَّ مَا رَأَوْا
أَهْدَاهُمْ يُنِيلِسُ مِنْ نَزَوَاتِهِ

شُلَّتْ يَمِينُ الْمُجْرِمِ الْفَتَانِ
 وَاللَّهُ ذُو بَطْشٍ وَذُو سُلْطَانِ
 وَاللَّهُ مُنْتَقِمٌ عَظِيمُ الشَّانِ
 يَشْدُو بِهَا قَلْبِي مَعَ الْخَفَقَانِ
 أَكْرَمَ بِهِ مَنْ مَرَّسَلِ رَبَّانِي
 فَهُوَ الْبَشِيرُ بِصَادِقِ الْبُرْهَانِ
 فَلَقَدْ غَدَا دَمُهُ بِبَلَاءِ أَمَانِ
 مَنْ سَبَّهُ فِي أَسْفَلِ النَّيْرَانِ
 عَنْ بَغْيِهِمْ يَتَحَدَّثُ الثَّقَلَانِ
 أُوَاهُ يَا أَسْفِي وَيَا أَحْزَانِي
 فِي عُرْفِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
 مِنْ دَوْلَةِ الْأَبْقَارِ وَالْأَجْبَانِ
 أَخْبَارُهَا جَاءَتْ مَعَ الرُّكْبَانِ
 سَهْمٌ مِنَ التَّهْرِيحِ وَالْهَذْيَانِ
 لَمَّا غَدَوْنَا مَطْمَعِ الْفِئْرَانِ
 دَوْلٌ مُدْهَدَهَةٌ عَلَى الْجُعْلَانِ
 بِالْمِسْكِ وَالْأَزْهَارِ وَالرَّيْحَانِ
 وَأَحَالَهُمْ عِبْرًا مَدَى الْأَزْمَانِ
 كُلُّ لَهُ حِمَمٌ مِنَ الْأَضْغَانِ

تَبَّتْ يَدٌ لَمَّا أَسَاءَتْ رَسْمَهَا
 اللَّهُ مُخْزِيهِمْ وَمُوبِقُ سَعْيِهِمْ
 يَكْفِي الْإِلَهَ نَبِيَّنَا مِنْ جُرْمِهِمْ
 حُبُّ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٌ أَهْزُوجَةٌ
 وَاللَّهُ مَا جَادَ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ
 نُورُ الْبَرِيَّةِ عَمَّنَا بِضِيَائِهِ
 مَنْ سَبَّ هَادِينَا وَسَبَّ إِمَامَنَا
 فِي حُكْمِ مَلَّتْنَا وَهَدْيِ كِتَابِنَا
 مَنْ دَنَسُوا حُرْمَاتِنَا قَدْ أَسْرَفُوا
 قَدْ دَنَسُوا قُرْآنَنَا فِي أَمْسِهِمْ
 حَتَّى الْمَسَاجِدِ مَا لَهَا قُدْسِيَّةٌ
 وَلَقَدْ سَمِعْنَا مَا يَسُوءُ قُلُوبِنَا
 مِنْ دَوْلَةِ الدَّمْرِكِ سَاءَ مَقْلِيهَا
 وَلِدَوْلَةِ النَّرُوجِ فِي نَاقُوسِهِمْ
 وَاللَّهُ قَدْ هَزَلَتْ وَبَانَ هُزَالُهَا
 دَوْلٌ كَمِثْلِ الذَّرِّ فِي مَقْدَارِهَا
 الشَّانُؤُونَ لَسِيرَةٍ قَدْ عَطَّرَتْ
 أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِنَاءَهُمْ
 الشَّانُؤُونَ لَهُ تَعَاظَمَ مَكْرَهُمْ

بِقَبِيحِ قَوْلٍ مِنْ بَدِيءِ لِسَانٍ
 هَزَّاتُ بِسَيِّدِ أُمَّةِ الْقُرْآنِ
 جَمَعَ الضَّغِينَةَ فِي لُبُوسِ ثَانٍ
 مُتَدَثِّرٍ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
 وَأَقْضَى مَضْجَعَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
 أَعْلُو مَنَائِرِ سُنَّةِ الْعَدْنَانِ
 بِالْهَدْيِ وَالتَّنْزِيلِ وَالْفُرْقَانِ
 لَيْسَتْ أَعَزَّ مِنْ النَّبِيِّ الْحَانِي
 فَلْتَغْضَبُوا لِلَّهِ يَا إِخْوَانِي
 أَحْيُوا مَوَاقِفَ عِزَّةِ الشُّجْعَانِ
 قَدْ قُلْتُ مَا فِي الْجُهْدِ وَالْإِمْكَانِ
 شَرَفٌ لِكُلِّ قَصِيدَةٍ وَبَيَانِ
 شَرَفٌ لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ
 مَا لَاحَ غَيْمٌ أَوْ بَدَا الْقَمْرَانِ

كَمْ مُتَدَيِّ لِكُفْرٍ يُعْلَنُ جَهْرَةً
 كَمْ فِي السُّجُونِ مِنَ الزَّبَانِيَةِ الَّتِي
 كَمْ فِي الصَّحَافَةِ مِنْ وَضِيعِ مُفَكِّرٍ
 مُتَعَالِمٍ مُتَحَدِّقٍ مُتَفَذِّكٍ
 أَحْزَاهُمْ رَبِّي وَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ
 يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ أَيْنَ نَفِيرُكُمْ؟
 أَعْلُو مَنَائِرِ سُنَّةٍ وَتَمَسَّكُوا
 أَمْوَالَكُمْ ضَيَعَاتِكُمْ أَوْلَادِكُمْ
 فَالْسُنَّةُ الْغَرَاءُ نَيْلُ إِمَامُهَا
 فَبِكُمْ نَظُنُّ الْخَيْرِ يَا أَحْبَابَنَا
 هَذَا قَصِيدِي وَالْقَصِيدُ مُقَصَّرٌ
 وَاللَّهِ قَدْ شَرَفَ الْقَصِيدُ وَإِنَّهُ
 شَرَفٌ بَأَنَّ نُجْرِي لَهُ أَقْلَامَنَا
 تَمَّتْ وَأَتُّنُوا بِالصَّلَاةِ وَمِثْلِهَا

واستمطروا غضباً

لعبد الله البصري

وَأَبْكِي عَلَى الْفَضْلِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ
 مُصِيبَةُ الْكَوْنِ سُبُّ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِيِّ
 بِالْهَاشِمِيِّ الْمُقَدَّى طَاهِرِ النَّسَبِ
 فَلْيَرْقُبُوا عَنْ قَرِيبِ ثَوْرَةِ الْغَضَبِ
 لِلْحَقِّ حَدٌّ وَزُورِ الْقَوْلِ وَالْكَذْبِ
 فِي مَجْلِسِ الْأَمْنِ مِنْ سَلْمٍ وَمِنْ رَحَبِ
 أَيْنَ الْوَعُودِ الَّتِي صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
 أَمْسَى عَلَى دَرَبِهِمْ مِنْ عَابِدِي الصُّلْبِ
 سَلْمًا يُدَانُ بِهِ الْأَمْعَ الْعَرَبِ
 كَانَتْ تُدَارُ وَأَخْفُوا غَيْضَ مُرْتَقِبِ
 مِنْ إِحْنَةٍ زَالَ عَنْهَا مُظْلِمُ الرَّيْبِ
 وَالْكَرْهُ قَدْ شَبَّ فِي الطَّاعِنِينَ كَالْجَرَبِ
 أَلْقَى بِأُخْرَى رِحَالَ الْقَصْدِ عَنْ كَثْبِ
 فَاسْتَجْمَعُوا النَّطْحَ فِي هَرَجٍ وَفِي صَنْخِ
 يَوْمٍ اسْتَخَفُّوا بِدِينٍ أَوْ بَعَرَضِ نَبِيِّ
 عِنْدَ الرَّخَاءِ وَفِي الشَّدَاتِ وَالنُّوبِ
 أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا قَصْدٌ إِلَى هَرَبِ
 فِي كُلِّ خَطْبٍ فَلَا نَخْشَى مِنَ الْغَلْبِ
 قَدْ يَضْحَكُ الدُّهْرُ مِنْ أُنْسٍ وَمِنْ طَرْبِ

يَا عَيْنُ جُودِي بَدَمْعٍ مِنْكَ مُنْسَكِبِ
 وَأَسْتَفْرَغِي الدَّمْعَ لَا تُبْقِيهِ قَدْ عَظُمَتْ
 سُبُوحُ نَبِيِّ الْهُدَى وَأَسْتَهْزِؤُوا عَلَنًا
 سُبُوهُ وَأَسْتَهْزِؤُوا وَأَسْتَمْطَرُوا غَضَبًا
 يَا وَيْحَهُمْ أَيُّ جُرْمٍ قَدْ أَتَوْهُ أَمَا
 يَا وَيْحَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ دَعَا
 أَيْنَ الْحَوَارَاتُ أَمْ أَيْنَ الْقَرَارَاتُ أَمْ
 أَمْ أَنَّهَا دَوْلَةٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَمَنْ
 تَبَّ لَهَا مِنْ حَوَارَاتٍ وَتَبَّ لَهُ
 بِالْأَمْسِ أَبْدَوْهُ تَحْقِيقًا لِمَصْلَحَةٍ
 وَالْيَوْمَ فَاهُوا بِمَا تُخْفِي صَدُورُهُمْ
 الْحَقُّ قَدْ بَانَ وَالْبَغْضَاءُ قَدْ ظَهَرَ
 يُمَسِّي بِبِلْدَةِ أَوْ غَادٍ وَيُصْبِحُ قَدْ
 أَغْرَى بِهِ سَاسَةَ الْأَبْقَارِ إِخْوَتَهُمْ
 لَمْ يَرْقُبُوا مَوْثِقًا فِينَا وَمَا أَكْثَرْتُوا
 لَكِنْ لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا نُؤَمِّلُهُ
 رَبُّ يَغَارُ وَمَنْ يَطْلُبُهُ يُدْرِكُهُ لَا
 وَهُوَ الْحَسِيبُ وَكَافِينَا وَنَاصِرُنَا
 الْيَوْمَ نَبْكِي بَدَمْعٍ سَاجِمٍ وَغَدًا

يَا حَبِيبِي هَاكَ نَحْرِي

عبد الناصر منخر رسالة

هَزَّ قَلْبِي مُذْ خَطَرُ
 كَذْبِ إِعْلَامِ عَبْرِ
 مُدْرِكَا فُحْوَى الْخَبْرِ
 (أذوا) أَحْمَدِيَا بَشْرُ
 بَعْدَهَا الدَّمْعُ أَنَّهُمْ
 هَلْ بِهِذَا نُخْتَبِرُ؟
 دُونَكَ الْقَلْبُ انْفَطَرَ
 أَنْتَ قَلْبِي وَالنَّظْرُ
 حَانَ مِيعَادُ الظَّفَرِ
 وَانْتَبَهْنَا لِلْخَطَرِ
 بَعْدَ مَا كُنَّا زَمْرُ
 فَا نَصُرُوا خَيْرَ الْبَشْرِ
 نَاشِرًا ذَاكَ الْخَبْرِ
 عَبْرَةً فَيَمَنْ عَبْرُ
 فِيهِ أَيْدِي مَنْ كَفَرُ
 قَطَّعُوا كُلَّ الصُّورِ
 وَادْفَنُوهُمْ فِي الْحُفْرِ

فَجَاءَ شَاعَ الْخَبْرُ
 قُلْتُ فِي نَفْسِي عَسَى
 فَاسْتَعَدْتُ الْحَسَّ مَنِّي
 هَزَّنِي صَوْتُ الْمَذِيعِ
 حَسْرَةٌ بَانَتْ لِعَيْنِي
 قُمْتُ مَذْعُورًا أُتَادِي
 يَا حَبِيبِي هَاكَ نَحْرِي
 يَا حَبِيبِي يَا شَفِيعِي
 يَا حَبِيبَ اللَّهِ صَبْرًا
 قَدْ صَحَوْنَا مِنْ رُقَادِ
 وَاجْتَمَعْنَا بَعْدَ نَائِي
 يَا حُمَاةَ الدِّينِ هَيَّا
 مَزُقُّوا كُلَّ كَفُورِ
 مَزُقُّوهُ كَيْ يَكُونَ
 قَاطِعُوا كُلَّ نِتَاجِ
 مَزُقُّوا كُلَّ الْجِرَائِدِ
 وَاحْرِقُوا حَتَّى الْهَوَاءِ

مَنْ لَهُ أَنْشَقَ الْقَمَرُ
وَأَفْذِيهِمْ بِالشَّرِّ
كُلُّنَا أَضْحَى عُمَرُ

وَانصُرُوا خَيْرَ الْبَرِيَا
يَا جُنُودَ اللَّهِ إِرْمِي
كُلُّنَا جُنْدٌ لَطَه^(١)

الدَّفَاعُ عَنِ دَاعِيَةِ السَّلَامِ ﷺ

محمد بن عبد الله ولد محمد سالم ولد محمد بنه

وَأَسْبَغْتَ السَّلَامَ عَلَى الْأَنَامِ
وَمَا قَصَّرْتَ فِي صُنْعِ الْكِرَامِ
فَعَاشَا فِي أَمَانٍ وَاحْتِرَامِ
تُرْبِي بِالْمُودَةِ وَالْوَتَامِ
وَلَا مُتَغَلِّظًا وَقْتَ الْكَلَامِ
ظَفَرْتَ، وَخَابَ رَسَامُ الظَّلَامِ
وَشُلَّ الْغَرْبُ عَامًا بَعْدَ عَامِ
فِدَاكَ، وَدُونَ عَرْضِكَ كَالسَّهَامِ
وَلَنْ نَرْضَى الدَّيَّةَ فِي مَقَامِ
عَقِيدَتِهِ فِدَاكَ عَلَى الدَّوَامِ
عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْحُسَّادِ سَامِي
فَقَدْ كُنْتَ الْمُبَشِّرَ بِالتَّمَامِ
بِحَمْدِ اللَّهِ دَاعِيَةَ السَّلَامِ

تَبَوَّاتِ الْعُلُوَّ مِنَ الْمَقَامِ
وَأَلَّفْتَ الْقُلُوبَ بِكُلِّ حُبِّ
زَرَعْتَ السَّلَامَ فِي الثَّقَلَيْنِ طُرًّا
وَحَارَبْتَ الْعُلُوَّ وَكُنْتَ سَمْحًا
وَلَمْ تَكُ قَطُّ فِي الْأَفْعَالِ فِظًّا
بِحَسْبِكَ مَا رَسَمْتَ مِنَ الْمَعَالِي
طَغَى بِرُسُومِهِ شُلَّتْ يَدَاهُ
حَبِيبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا
فَلَنْ نَرْضَى الْمَذَلَّةَ فِي حَيَاةِ
فَكُلُّ مُوَحَّدٍ صَحَّتْ وَتَمَّتْ
سَتَبَقَى رَغْمًا أَنْفَ الْغَرْبِ طُرًّا
جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا كُلَّ خَيْرٍ
وَأُحْيَيْتَ الْأَنَامَ، وَكُنْتَ حَقًّا

(١) طه ليست من أسماء النبي ﷺ.

الذَّوَادَةُ

ذُوْدَا عَنْ حِيَاضِ الْمُصْطَفَى بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي الَّتِي وَلَّغْتَ فِيهَا كِلَابُ
الدَّانِمَرِكِ .

سعد بن ثقل العجمي

ذَوَادَةٌ عَنِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
فَأَقْدَفُ بُجُنْدِكَ سَاحَةَ الْكُفَّارِ
حَتَّى تُرَكِّعَ سَطْوَةَ التِّيَّارِ
فَهِيَ الْحَيَاةُ بِشِرْعَةِ الْأَحْرَارِ
مِنَّا فَكَيْفَ بَ (إِخْوَةَ الْأَبْقَارِ)؟
وَالآنَ صِرْتُ بِقَبْضَةِ الْجَبَّارِ
فَلِيَخْطِبَنَّكَ قَاصِفُ الْأَعْمَارِ
عُظْمَاءَ فِي بَلَهٍ وَفِي اسْتِهْتَارِ
لِلْمَجْدِ لِلْعُلَيَاءِ لِلْإِعْمَارِ
وَالْغَرْبِ كَانَ حَبِيسَ جُرْفِ هَارِ
رَبُّ النُّهَى وَمُؤَدِّلِجُ الْأَفْكَارِ
لِقُدُومِهِ بِأَطْيَابِ الْأَزْهَارِ
مَاءُ الْحَيَاةِ زَبْرَجَدًا وَدَرَارِي
سَحَرَ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ بِالسَّحَارِ
وَالرَّفْقِ أُعْتَى جَحْفَلِ جَرَّارِ

السَّيْفُ أَشْهَرُ وَاللِّيُوثُ ضَوَارِي
يَا قَائِدَ الْأَحْرَارِ دُونَكَ أُمَّةٌ
وَاضْرِبْ بِنَا لُبَّجِ الْمَهَالِكِ غَاضِبًا
وَتَقَحَّمَنَّ بِنَا الْحُتُوفَ تَغَطَّرُسًا
الْفُرْسُ وَالرُّومُ الْعُلُوجُ تَذَمَّرُوا
دَنِمَرِكُ قَدْ خُضَّتْ الْهَالِكُ حِمَاقَةٌ
دَنِمَرِكُ يَا بِنْتَ الصَّلِيبِ تَجْهَزِي
دَنِمَرِكُ هَلْ تَسْتَهْزِئِينَ بِأَعْظَمِ الْ
أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ قَادُ الْوَرَى
أَعْلَى بِنَاءِ حَضَارَةِ قُدْسِيَّةِ
شَهِدَ الْفَلَسَفَةُ الْعُظَامُ بِأَنَّهُ
وَإِذَا أَتَى الْأَرْضَ الْخَرَابَ تَزِينَتْ
وَجَرَى عَلَيْهَا مِنْ نَمِيرِ عَطَائِهِ
وَإِذَا تَبَسَّمَ فَالْصَّبَاحُ بِشِغْرِهِ
وَإِذَا غَزَا فَالرَّفْقُ يُغْزَوُ قَبْلَهُ

يَرْمِي بِهِم قُضْبَ الْكِفَاحِ عَوَارِي
 الْمُبْدَلُ الظُّلْمَاءَ بِالْأَنْوَارِ
 نَبْوِيَّةَ لِأَلَاءِ الْأَفْكَارِ
 حَكَمَتْ رَبَّهَا سُلْطَةَ الْفُجَّارِ
 مَدْسُوسَةَ خَوْفًا مِنَ الْأَخْطَارِ
 عَافَتْ حَيَاةَ الشَّرِّ وَالْأَشْرَارِ
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أُمَّةً الْمَلِيَّارِ

الْفَاتِحُ الدُّنْيَا بِأَبْطَالِ الْوَعْيِ
 الْمَلْبَسُ الدُّنْيَا ثِيَابَ تَحَرُّرِ
 الْوَاهِبُ الدُّنْيَا شُمُوسَ هِدَايَةِ
 تَفْدِي جَنَابَكَ أَلْفُ أَلْفِ دُوَيْلَةِ
 تَفْدِي جَنَابَكَ أَلْفُ أَلْفِ عِمَامَةِ
 تَفْدِي جَنَابَكَ كُلُّ نَفْسٍ حُرَّةٍ
 تَفْدِي جَنَابَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا

الرَّدُّ الْمُبْكِي لِلْمُجْرِمِ الدَّنِمَارِكِيِّ

الشيخ/ محمد بن علي آدم - حفظه الله -

المدرس/ بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

مِنَ الدَّوْلَةِ البَغْضَاءِ قَدْ حَاقَهَا الظُّلْمُ
مُحِبًّا لِخَيْرِ الخَلْقِ مِنْ سَادَ بِالْحِكْمِ
تَعِيشُ عَلَى الفَسَادِ وَالْكَفْرِ وَالْأَضْمِ^(١)
وَأَذَانُهُمْ صُمَّتْ وَأَعْمَاهُمْ الغَمَمُ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ قَدْ حَاطَهُ الكَرَمُ
لَتُنزَلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا قَدْ اصْطَلَمَ
وَيَضْحَكُ مَعَهُمْ إِذِ الكُلُّ قَدْ ظَلَمَ
عَلَى كُلِّ مَنْ يَبْغِي وَيُوذِي أُولِي القِيمِ
بِكُلِّ الَّذِي لَكُمْ لِسَانًا أَوْ القَلَمُ
عَلَى الرَّاسِيَاتِ الشُّمُّ أَرُكَانَهَا انْهَدَمَ
فإنَّكُمْ مَوْتَى وَإِنَّ الهُدَى انْصَرَمَ
وَقَدْ ضَلَّتْ الآمَالُ وَالشَّرُّ قَدْ نَجَمَ
تَوَلَّى قِيَادَهَا أُولُو الحَقْدِ وَالسَّقَمِ
وَمَنْ تَبَّتِ اليَدَانِ مِنْهُ قَدْ اضْطَرَمَ^(٢)

لَقَدْ سَاءَ نِي جُرْمٌ أَتَانِي خُبْرُهُ
لَقَدْ سَاءَ نِي وَسَاءَ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
صَنِيعٌ أَتَى بِهِ شَيَاطِينُ دَوْلَةٍ
فِيَا لَيْتَهُمْ شَلَّتْ يَمِينٌ بِهَا افْتَرَوْا
فَدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي وَمَهْجَتِي
فِيَا مَنْ كَفَى المُسْتَهْزِئِينَ حَبِيبَهُ
يَعْمُهُمْ وَمَنْ غَدَا نَاصِرًا لَهُمْ
فَسَتُّكَ الَّتِي خَلَّتْ قَبْلُ تَنْزِلُ
فِيَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ قُومُوا عَلَى العِدَا
فَقَدْ نَزَلَتْ فِيكُمْ مُصَائِبٌ لَوْ أَتَتْ
فَإِنْ لَمْ تَرَوْا هَذِي مُصَابًا مُجَلَّلًا
وَإِنْ تَسَكَّتُوا بِالْعِلْمِ فَالْوَيْلُ قَادِمٌ
وَلَا شَكَّ أَنَّهَا مَضَى قَبْلُ مِثْلُهَا
تَعَدَّى أَبُو جَهْلٍ وَحَمَالَةٌ طَفَّتُ

(١) محرقة الحقد والحسد والغضب . اهـ .

(٢) أي : التهب .

فَيَمْتَحِنُ الْأَخْيَارَ بِالْفِرْقَةِ اللَّوْمِ^(١)
 وَيَعْرِفُ فَضْلَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَّمِ
 لَهُ عَرْفُهُ الشَّدِيدِ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَشْمَ
 فَرَفَعَهُ قَدْرَهَا لِذِي الْبَصَرِ ارْتَسَمَ
 فَمَا ضَرَّهُ قَوْمٌ أَضَلُّ مِنْ الْبَهْمِ^(٢)
 فَقَرَّبَهُ زُلْفَى وَحَلَاهُ بِالنِّعَمِ
 لِفَصْلِ الْقَضَا بِهَا فَمَا أَعْظَمَ الْكِرَمِ
 بَدَائِعَ حِكْمَةِ فَيَا وَيْلَ مَنْ هَضَمَ^(٣)
 وَشَاهَدَهُ كُلُّ بَلِيلٍ قَدْ ادْلَهَمَ
 لَمَّا فَارَقَ الْبُكَاءَ إِلَى سَاعَةِ النَّدَمِ
 فَيَا وَيْلَ أَقْوَامٍ أَضَلَّ مِنَ النَّعَمِ
 قُلُوبَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالنُّورِ وَالشِّيمِ
 كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ فَلْيُغْتَنَمِ
 بِذِي الدَّارِ، وَالْآخِرَى مُعَافَى مِنَ النَّقَمِ

فَذِي سُنَّةِ الْإِلَهِ فِي الْخَلْقِ قَدْ جَرَتْ
 لِيَرْفَعَ قَدْرَهُمْ وَيُعْلِي ذِكْرَهُمْ
 فَلَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِي الْعُودِ لَمْ يَفْحُ
 وَلَيْسَ احْتِجَابُ الْعُمِيِّ لِلشَّمْسِ ضَائِرًا
 فَقَدَّرُ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ ظَاهِرًا
 لَقَدْ رَفَعَ الْإِلَهِ قَدْرَ مُحَمَّدٍ
 وَيَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا
 وَقَدْ شَرَحَ اللَّطِيفُ صَدْرًا وَأَوْدَعَهُ
 وَشَقَّ لَهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ مِنَ السَّمَاءِ
 وَحَنَّ إِلَيْهِ الْجَذْعُ لَوْلَا احْتِضَانُهُ
 شَكَى الْعَيْرُ ضَرَّهُ وَسَلَّمَهُ الصَّفَا^(٤)
 رَسُولُ الْهُدَى أَحْيَى الْقُلُوبَ بِذِكْرِهِ
 هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ
 فَمَنْ تَبَعَ الرَّسُولَ كَانَ مُعَزَّزًا

(١) اللَّوْمُ محرَّكةٌ: كثرة العذل، وهو هنا على حذف مضاف، أي: ذوي اللوم، أو وصفوا به مبالغة.

(٢) محرَّكةٌ، تُسَكَّنُ هاؤه أيضًا: أولاد الضأن والمعز والبقر، أفاده في «القاموس».

(٣) هَضَمَ من باب قتل: إذا كسر، ويقال: هضمه: إذا دفعه، وكسره، أفاده في «المصباح»، والمراد هنا انتهك حرمة النبي، ودنس عرضه، وانتهكه.

(٤) جمع صفاة، وهو الحجر الصلد.

عَلَى نَفْسِهِ الْوَيْالَ قَدْ نَالَهُ الْغَمُّ
مُفَارَقَةَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ عَلَى النَّعْمِ
وَنَنْشُرُهُ فِي الْعُرْبِ أَيْضًا وَفِي الْعَجَمِ
مَرِيدَ مُعَانِدٍ وَبِالْفُحْشِ قَدْ جَرَمَ
عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الْمُحِبِّ فِي الْأُمَّمِ
وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْمَعَارِفِ وَالْكَرَمِ
إِذَا الْأَجَلُ انْقَضَى وَحَبْلِي قَدْ انصَرَمَ

وَمَنْ لَمْ يَرَ الْهُدَى لَدَيْهِ فَقَدْ جَنَى
فَيَا رَبِّ أَحْيِنَا عَلَى حُبِّهِ إِلَى
وَيَا رَبِّ أَهْلِنَا لِأَحْيَاءِ شَرْعِهِ
وَنَدْفَعُ عَنْ حَرِيمِهِ كُلِّ مُفْتَرٍ
صَلَاةً مِنَ الرَّحْمَنِ ثُمَّ سَلَامُهُ
وَأَلْ لَهُ أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْهُدَى
يَقُولُ مُحَمَّدٌ أَيَا رَبِّي أَرْحَمَا

الطُّرُقُ الشَّرْعِيَّةُ فِي نَصْرَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ

جامعہ خلفہ العمري

لَيْسَ الْحَزْنَ نَصْرٌ وَلَا فِي الْعَوِيلِ عَزَاءٌ
لَا تَقُلْ إِنْ مَلِيَارَ مِنْهَا جَفَاءٌ
لَا تَقُلْ غَابَ نَجْمُكُمْ يَا غُثَاءُ
إِنَّ فِي الْفَالِ يَا أُخِيَّ غَنَاءُ

لَا التَّلَاوُمُ يَكْفِي وَلَا فِي النَّحِيبِ نَجَاءُ
لَيْسَ فِي جِلْدِ ذَاتِ أُمَّتِي انْتِفَاعُ
خَفَّفِ اللَّوْمَ إِنْ فِينَا رِمَاحًا
الْمَحِ النَّصْرَ وَانْشِرِ الْفَالَ وَارْجُو

شَتَمَهُ حُثَالَةٌ جُبَنَاءُ
وَاسْتَطَالَتْ بَلِيلُهَا الظُّلْمَاءُ
وَمِنَ الطُّهْرِ وَالْعَفَافِ خَوَاءُ
إِنَّ فِي النَّفْسِ عَمَّا تَقُولُ جَفَاءُ

قَالَ سَبُّوا نَبِيَّنَا وَاسْتَحَلُّوا
فِي بِلَادِ قَدْ عَشَعَشَ الْكُفْرُ دَهْرًا
قَلَّ فِيهَا مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ رَبًّا
ثُمَّ أَنْتَ تُرِيدُ مِنَّا سُكُوتًا

مَا عَلَيْهِ تَمَالًا الْأَشْقِيَاءُ
حَيْثُ سَبُّوا مَنْ شَعَّ مِنْهُ الضِّيَاءُ
مِثْلَهُ قَطُّ لَنْ يَلِدْنَ النِّسَاءُ
يَسْتَقِي مِنْ نَهْرِ عَطْفِهِ الرَّحْمَاءُ
وَاسْتَظَلَّتْ بِعَلْيَائِهِ الْجَوَزَاءُ
هُوَ أَسْمَى مِنْ أَنْ يَنْلَهُ الثَّنَاءُ
حَسْبُهُ مَا تَقُولُ فِيهِ السَّمَاءُ

قُلْتُ مَنْ قَالَ إِنَّا رَضِينَا
حِينَ ضَلُّوا وَأَمَعُونَا فِي الْخَطَايَا
أَكْرَمَ النَّاسِ أَفْضَلَ الْخَلْقِ طُرًّا
أَحْلَمَ الْخَلْقِ أَرْحَمَ النَّاسِ قَلْبًا
جَاوَزَ الْمَجْدَ رَفْعَةً وَشُمُوحًا
كَيْفَ أَمْدَحُهُ أَمْ كَيْفَ أَتْنِي
حَسْبُهُ ثَنَاءُ رَبِّي عَلَيْهِ

أَنَّهُ لَنْ يَضُرَّهُ اسْتَهْزَاءُ
وَعَلَى الْقَوْمِ قَدْ يَحُلُّ الْبَلَاءُ
أَنْ نَكُونَ فِي رَدِّنَا حُكَمَاءُ
وَبِوَعْيٍ بِمَا يَكِيدُهُ الْأَعْدَاءُ
إِنَّ فِي الدِّينِ يَا أُخَيَّ النَّجَاءُ
انْتَصَارُ يُقِرُّهُ الْعُقَلَاءُ

وَلَقَدْ خَفَّفَ الْمُصَابَ عَلَيْنَا
حَيْثُ أَنَّ النَّبِيَّ رَبِّي كَفَاهُ
لَكِنِ الْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ تَقْضِي
نَهْزِمُ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ بِحَقِّ
وَبِعُودٍ لِلدِّينِ وَالشَّرْعِ حَقًّا
لَيْسَ فِي النَّدْبِ وَالْقُعُودِ لِلدِّينِ

لَطَرِيقٍ قَدْ سَنَّهُ وَاقْتِفَاءُ
وَاعْتِنَاءُ بِهِدْيِهِ وَاحْتِفَاءُ
ظَهَرَ الْبَغْيِ مِنْهُمْ وَالْعَدَاءُ
يُذْرِكُ الْقَوْمَ أَنَّنَا أَقْوِيَاءُ
يَتَنَادَى بِهِ وَيَلْحَنُ الدُّخْلَاءُ
كَبْرَهُ مَا أَخْطَوْا وَأَسَاؤُوا
فَكْرُنَا فِيهِ سَطْحِيَّةٌ وَغِبَاءُ
وَفِيهِ الْكُرْهُ وَالْبَغْضَاءُ

وَمَنْ النَّصْرَ لِلنَّبِيِّ اتَّبَاعُ
ثُمَّ نَشْرُ لِدِينِهِ فِي الْبِرَايَا
وَمَنْ النَّصْرَ أَنْ نُقَاطِعَ قَوْمًا
نَهْجُرُ الزُّبْدَةَ الشَّهِيَّةَ حَتَّى
وَمَنْ النَّصْرَ أَنْ نُجَاهِدَ فِكْرًا
زَعَمُوا أَنَّ الْقَوْمَ فِيمَا تَوَلَّوْا
إِنَّمَا نَحْنُ مَنْ أَسَاءَ لَأَنَّا
يَجْهَلُ الْآخِرَ الْبَرِيءَ وَيُقْصِيهِ

وَعَلَى مَا يُقَرِّرُ الْعُلَمَاءُ
وَبَزَعْمٍ أَنَّ الْعَدُوَّ سَوَاءُ
يَتَوَلَّى قِيَادَهُ الْغَوْغَاءُ

لَيْسَ مِنْ نَصْرِهِ افْتِيَاتٌ عَلَيْهِ
بِاغْتِيَالٍ لِمُسْتَأْمَنٍ أَوْ تَعَدٍّ
لَا وَلَا مِنْ نَصْرِهِ تَجَمُّعٌ حَشْدٍ

وَخَرَابًا وَقَدْ تُرَاقُ دِمَاءُ

يُفْسِدُونَ وَيُحْدِثُونَ اضْطِرَابًا

فَلِرَبِّي فِيمَا قَضَى مَا يَشَاءُ
لِكَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ وَابْتِلَاءُ
لَعَدُوِّ بِهِ يَطُولُ الشَّقَاءُ
فَمِنْ السَّمِّ قَدْ يَكُونُ الدَّوَاءُ

وَخَتَامًا لَا تَحْسِبُوا الْإِفْكَ شَرًّا
فَلَعَلَّ الْأَمْرَ فِيهِ امْتِحَانُ
وَلَعَلَّ اللَّهَ قَدْ رَامَ مَحَقًّا
وَلَعَلَّ اللَّهَ رَامَ لِلدِّينِ نَصْرًا

(سَلَّتْ يَمِينُكَ) ؟!

تِلْكَ الْجِرَاحُ يَقُولُهَا أَقْرَانِي
وَالْقَلْبُ يُشْكِي وَطَاءَةُ الْأَحْزَانِ
أَوْ يَا تُرَى مَنْ كَانَ مِنْهُ سَقَانِي ؟!
وَمَضَيْتُ مَعَ تِلْكَ الْجُمُوعِ أَعَانِي
وَالغَائِبُونَ لَهُمْ أَنْيُنُ الْعَانِي
وَالْحَبْرُ صَارَ مِنَ الْكِتَابَةِ فَانِي !
فَاقَتْ بِقُوَّتِهَا قُوَى الْحَيْتَانِ
فِي خُطْبَةٍ يَرُوي بِذَلِكَ الشَّانِ
فَالطُّفْلُ يَرُوي أَمْرَهُ وَيُعَانِي
مِنْ شَيْبَةٍ فِينَا وَمِنْ شُبَّانِ
فَالْأَمْرُ يُنْكِرُهُ اللَّيْبُ الْحَانِي

قَالُوا جُرِحْتَ، فَمَا تَرَاهُ دَهَانِي
مَا لِي أَرَى دَمْعِي تَكَائِرَ سَيْرُهُ
مَا لِي أَرَى كَأْسِي يُسَاقُ مَرَارَةً
تِلْكَ الْفَجِيعَةُ قَدْ أَحَاطَتْ أُمَّتِي
فَالْمُسْلِمُونَ تَوَحَّدَتْ أَصْوَاتُهُمْ
وَالصُّحُفُ مَلَأَى بِالْحَدِيثِ بِشَأْنِهِ
وَالْبَحْرُ أُدْهَشَ مِنْ بَوَآخِرِ شَعْرِهِمْ
وَالصَّامَتُ الْحَيْرَانُ صَارَ مَفْوَهَا
مَا ذَلِكَ الْخُطْبُ الْجَسِيمُ أَيَا تُرَى
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ قَدْ تَكَاتَفَ أَهْلُهَا
لَا تَعْجَبَنَّ لِحَالِهِمْ يَا صَاحِبِي

نُورًا وَرَاءَ الْخَالِقِ الْمَنَّانِ
 وَأَنَارَ دَرْبِ الضَّائِعِ الْخَيْرَانِ
 يَهْدِي طَرِيقَ الْخَيْرِ لِلْإِنْسَانِ
 يُرْمَى بِأَخْبَثِ صُورَةِ الطُّغْيَانِ
 بِلِسَانٍ مَنْ نَزَعُوا مِنَ الْإِيمَانِ؟!
 وَيَجُولُ غَدْرًا قَاصِدًا لِمَكَانِي
 بَكْمًا نُمَائِلُ عَيْشَةَ الْحَيَّوَانِ؟!
 فِي فِعْلِهِمْ، لَا وَالَّذِي أَبْكَانِي
 سَمِعًا لِقَوْلِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
 فِي قَلْبٍ مَنْ رَضِيَ الْخَنَا بِزَمَانِي
 وَفَدَاكَ أُمِّي لَوْ فَقَدْتُ حَنَانِي
 أَطَلَقْتَهَا مِنْ بَلَدَةِ الْأَلْبَانِ
 أَوْ لَا تَقُولُ: اللَّهُ جَلَّ يَرَانِي
 كُلَّ الْأَنَامِ فَكُنْتَ أَنْتَ الْجَانِي
 أَجْرَ الْمُصِيبَةِ فِي الَّذِي أَعْيَانِي
 فَنَرُدُّ كَيْدًا ظَالِمًا أَبْلَانِي
 لِلذُّودِ عَنْ عَرِضِ الرَّسُولِ الْحَانِي
 قَدْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا بَغَيْرِ أَمَانِ
 أَمْرًا لَهُ فَاسْتَقْبَلْتَهُ بِنَانِ

هَبُّوا لِنَجْدَةِ سَيِّدِ مَلَأِ الدُّنَا
 ذَاكَ الَّذِي نَشَرَ الْفَضِيلَةَ شَامِحًا
 وَأَزَلَ ظَلَمَ الْيَأْسِ بَاتَ مُجَاهِدًا
 ذَاكَ الْإِمَامُ الْحَقُّ فِي إِسْلَامِنَا
 أُيْبَاعُ فِي سُوقِ الصَّحَائِفِ عَرِضُهُ
 سَهْمٌ تَعَاطَى سَمَّهُ فِي دَارِهِ
 أَوْ نَرْتَضِي بَعْدَ الْمُصَابِ بِصَمْتِنَا
 أَوْ نَرْتَضِي حُرِيَّةً نَطَقُوا بِهَا
 نَحْنُ الَّذِينَ نَذَبُّ عَنْ أَعْرَاضِنَا
 وَنَكُونُ لِلْأَعْدَاءِ سَهْمًا صَاعِدًا
 تَفْدِيكَ رُوحِي يَا مُبَلِّغَ هَدِينَا
 شَلَّتْ يَمِينُكَ يَا مُبَلِّغَ غَايَةِ
 وَتَرَكْتَهَا تَرَعَى وَرَبِّي مَا هَلُّ
 أَوْ مَا تَرَى أَنَّ الْمُصِيبَةَ أَرْهَقْتُ
 فَاللَّهُ أَسْأَلُ فِي غِيَابِ لَيْلَةٍ
 وَيَمْدُنَا نَصْرًا عَظِيمًا شَأْنُهُ
 تِلْكَ الْقَوَافِي سَابَقْتَنِي بَغِيَّةً
 فَكَأَنَّ جِسْمِي حِينَ وَاجَهَ أَمْرُهُ
 فَمُصَابِنَا قَدْ وَجَّهَتْ لِقَصَائِدِي

دَمَانَا فِدَاكَ

لعبد الرحمن العديني

دَمَانَا فِدَاكَ وَأَبَاؤُنَا
 نَذَرْنَا لِأَجْلِكَ أَرْوَاحَنَا
 هُوَ اللَّهُ كَمَّلَ أَوْصَافَهُ
 فَمَا مُنْقَصٌ فَضْلُهُ جَاحِدٌ
 مَقَامُكَ يَا سَيِّدِي صَيِّنٌ
 وَأَبْنَاؤُنَا يَا رَسُولَ الْهُدَى
 فَمَا غَيْرُكَ الْيَوْمَ مِنْ مُفْتَدَى
 وَسَمَاءُ بَيْنَ الْوَرَى أَحْمَدًا
 وَمَنْ يَحْجُبُ النُّورَ مِمَّا بَدَا
 وَعَنْكَ الْإِلَهُ يُكْفَى الْعَدَا

وَشَاهَتُ وَجُوهُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا
 أَلَمْ يَأْتِهِمْ مَا جَرَى قَبْلَهُمْ
 لِفِرْعَوْنَ لَمَّا هَوَى غَارِقًا
 وَبِالسُّوءِ وَالشَّرِّ مَدُّوا الْيَدَا
 لِمَنْ عَاثَ فِي الْأَرْضِ أَوْ أُفْسِدَا
 وَقَدْ عَابَ مُوسَى فَهَلْ أَنْجَدَا

هُمْ أَظْهَرُوا لِلدُّنَا حُبَّنَا
 وَإِنَّا وَرَبُّ الْوَرَى شَاهِدٌ
 هِيَ الرُّوحُ ذَابَتْ بِأَشْوَاقِهَا
 وَفِيكَ اسْتَطَابَ الْفُؤَادُ الْهَوَى
 لِمَنْ كَانَ فِينَا السَّنَا الْمُفْرَدَا
 لِنَارٍ عَلَى مَنْ عَلَيْكَ اعْتَدَى
 وَغَنَى الْحَنِينَ بِهَا مُنْشِدَا
 وَدَمْعِي مِنْ مُقْلَتِي غَرَدَا

بَارِي الْقَوْسِ

مَاذَا دَهَاكَ يَا قَلَمِي؟! .. فِي السَّرَّاءِ تَعْدُو .. فِي الضَّرَّاءِ تَغْفُو!!
 أَمَا تَنْهَضُ؟! .. انْهَضْ فَالْخَطْبُ جَلَلٌ. قُمْ وَأَرِنَا بَقِيَّةَ الْأَمَلِ .. قُمْ .. مَاذَا
 دَهَاكَ؟ أَمِنْ عَجْزٍ .. أَمْ اسْتَمْرَأْتَ الْكَسَلَ؟!
 ذَاكَ الرَّسُولُ يَا قَلَمُ .. ذَاكَ الرَّسُولُ يَا قَلَمُ.

أَرَاكَ الْيَوْمَ عَاصٍ .. لَا تُبَالِي!
 وَلَا تَجْزَعُ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي
 وَجَاوَزَ بِالشَّتِيْمَةِ كُلَّ غَالِي
 وَلَا زَمَرَ الْقَوَافِي سَقْتَهَا لِي
 فَهَذَا الْخَطْبُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَالِي
 فَهَذَا الضَّرُّ قَدْ أَوْدَى بِحَالِي
 أَرَدْتُ كِتَابَةَ الْحَرْفِ الْمُحَالِ
 شَرِيفٍ .. لِأَتَقُ .. كَالطُّودِ عَالِي
 وَلَوْ يُشْرَى .. شَرَيْتُ وَلَا أُبَالِي
 وَنَفْسِي ثُمَّ أَهْلِي ثُمَّ مَالِي
 وَلَا شَعْرٌ وَلَا نَشْرٌ مُسَالِ

عَجِيبٌ .. أَيُّهَا الْقَلَمُ الْمُقْفِي
 فَلَا تَنْهَضْ إِذَا مَا اسْتَنْهَضُوكَ
 تَعَدَّى الْكَافِرُ الْمَلْعُونُ حَسَدًا
 فَلَا نَشْرٌ سَمِعْنَا مِنْكَ قَوْلًا
 رُوَيْدَكَ .. لَا تَلْمِنِي يَا صَدِيقِي
 فَإِنْ كَانَتْ لِي السَّرَّاءُ سُنْرٌ
 وَفَاءٌ لِلْحَبِيبِ .. وَدَفْعَ شَرِّ
 لِأَنْزِلَ كُلَّ قَوْلٍ فِي مَقَامِ
 فَمَا جَادَتْ بِشَيْءٍ مِنْهُ نَفْسِي
 فَذَاكَ (مُحَمَّدٌ) يَفْدِيهِ قَوْمِي
 فَلَا قَوْلٌ يَفِيهِ بَعْضُ حَقِّ

عِنْدَ الرَّحِيلِ

شعر: بنت البحر

بِالْثَّارِ دَارَ الْفُسُوقِ وَالْفُجَّارِ
 وَتَفَنَّنِي بِمَوَاكِبِ الْإِعْصَارِ
 وَزَلَزَلًا وَمَقَامِعًا مِنْ نَارِ
 لَتَدُكَ كُلَّ شَوَاطِيءِ الْأَشْرَارِ
 لِرَسُولِ رَبِّكَ كَامِلِ الْأَنْوَارِ
 مُتَعَرِّضٌ لِلشَّتْمِ مِنْ كُفَّارِ
 أَهْلِ الْأَمَانَةِ ثُلَّةَ الْأَخْيَارِ
 وَتَكَاتَفُوا فِي ثَوْرَةِ الْأَحْرَارِ
 لَا تُحْجَمُوا عَنْ نُصْرَةِ الْمُخْتَارِ

هُبِّي عَذَابًا يَا رِيَّاحُ وَهَدْمِي
 لَا تَتْرُكِي أَثْرًا لِأَيِّ رَذِيلَةٍ
 هَدَمًا وَقِتْلًا بِالصَّوَاعِقِ فَأَنْزِلِي
 وَدَعِي الْبِحَارَ تَشُدُّ فِي هَيْجَانِهَا
 أَنْ الْأَوَانَ لَسَحَقَهُمْ هِيَّا أَفْزَعِي
 فَمُحَمَّدٌ خَيْرُ الْأَنَامِ عَلَى الْمَدَى
 يَنْشَقُّ قَلْبِي صَارِحًا وَمُنَادِيًا
 أَنْ دَافِعُوا عَنَّا حَبْنًا وَشَفِيعِنَا
 إِنْ كَانَ فِيكُمْ نُخْوَةٌ وَمُرُوءَةٌ

نَبْعُ الْهَدْيِ

لفهده بن علي العبودي

لَكَ فِي قَلْبِي مَكَانٌ أَرْحَبُ
 كُلِّ قَلْبٍ لِلْهَدْيِ يَنْتَسِبُ
 وَسِوَاهُ بِالْهَدْيِ يَضْطَرِبُ
 لَيْسَ يَسْأَلُو عَنْكَ قَلْبٌ قَلْبٌ
 مُنْذُ كُنَّا فَهُوَ فِيهَا يَخْصِبُ
 وَأَبْلُ ظَلَّ بِهَا يَعْشَوْشِبُ
 بَاعَدَتْ بَيْنَ مَنْانَا الْحَقْبُ
 مُنْذُ كَانَ الْخَلْقُ حَتَّى يَذْهَبُوا
 أَنْتَ فِي الرَّحْمَةِ أُمَّ وَأَبُ
 ثُمَّ لَمَّا جِئْتَ عَزَّ الْعَرَبُ
 مِثْلَمَا ضَاءَ بَلِيلُ كَوْكَبُ
 فَاسْتَضَاءَتْ مِنْ سَنَاهُ يَثْرِبُ
 مَا طَوَاهُ مَشْرِقٌ أَوْ مَغْرِبُ
 تَسْتَقِي مِنْكَ الْهَدْيِ أَوْ تَشْرِبُ
 طَابَ لِلْأَجْيَالِ مِنْهُ الْمَشْرَبُ
 كَلَّمَا يُنْهَلُ مِنْهُ يَعْذِبُ
 وَعَلَى طُولِ الْمَدَى لَا يَنْضَبُ

مِنْ أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَقْرَبُ
 يَا حَبِيبًا نَقَشَ الْحُبَّ عَلَى
 قَلْبٍ مَنْ يَهْوَاكَ قَلْبٌ ثَابِتٌ
 إِنْ سَلَ قَلْبٌ أَمْرِي عَنْ حُبِّهِ
 قَدْ بَذَرْتَ الْحُبَّ فِي أَعْمَاقِنَا
 كُلَّمَا لَامَسَهُ مِنْ هَدْيِكُمْ
 يَتَنَامِي ذَلِكَ الْحُبُّ وَإِنْ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا خَيْرَ الْوَرَى
 أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا رَحْمَةٌ
 لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَبِ شَأْنٌ فِي الدُّنَا
 جِئْتَ لِلدُّنْيَا فَضَاءَتْ وَاهْتَدَتْ
 شَعٌّ مِنْ مَكَّةَ نُورٌ وَهَدْيٌ
 وَاهْتَدَتْ مِنْهُ بِلَادٌ وَقُرَى
 وَسَعَتْ نَحْوَكَ أَفْوَاجُهُمْ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبْعَ الْهَدْيِ
 لَمْ يَزَلْ نَبْعُكَ عَذْبًا صَافِيًا
 لَمْ يَزَلْ يَسْقِي الَّذِي يَرْتَادُهُ

هَا هُمْ الْيَوْمَ عَلَيْنَا وَتُبُّوا
 مَنْ نَأَوْا عَنْ نَهْجِنَا وَاسْتَغْرَبُوا
 ذُرُوءَ الدِّينِ وَقَامَتْ تَشْجُبُ
 قَدْ خَشِينَا الْقَوْمَ لَمَّا اسْتَكَلَبُوا
 وَبِأَحْقَادِ هَوَاهُمْ عَذَّبُوا
 لَوْ تَمَادَوْا فِي الْأَذَى وَاسْتَرْهَبُوا
 سَيَعْنِي قَاصِدِيهَا التَّعَبُ
 قَذَفَتْهُ بِلِظَاهَا الشُّهْبُ
 نَحْرَهُمْ مَا جَمَعُوا أَوْ أَجْلَبُوا
 فَإِلَيْهِ الْمُلتَجَا وَالْمَهْرَبُ

مَنْ يَهَابُونَ لِقَانَا زَمْنَا
 وَلَدَيْنَا مِنْ بَنِي جَلَدَتْنَا
 ذَلَّتْ الْأُمَّةُ لَمَّا تَرَكَتْ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ عُدْرًا إِنَّنَا
 خَسِيَ الْكُفَّارُ مَهْمَا سَخَرُوا
 لَيْسَ تُؤْذِيكَ أَبَاطِيلُهُمْ
 أَنْتَ كَالشَّمْسِ عُلُوءًا وَسَنَا
 كُلَّمَا حَاوَلَ وَغَدُّ قَذْفُهَا
 إِنْ يَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا رَدَّ فِي
 حَسْبِكَ اللَّهُ وَكَيْلًا نَاصِرًا

نَاصِرَ الْحَقِّ

لصالح بن إبراهيم العوضي

وَقُودُهَا مَا شَرَاهُ الْجَاهِلُونَ جَنَى
 عَلَى التَّقِيِّ إِذَا مَا رِيعٌ وَامْتَحَنًا
 وَلَيْسَ مِنَّا الَّذِي يَأْسَى لَهُمْ حَزَنًا
 تُقَدِّسُ الظُّلْمَ وَالطُّغْيَانَ وَالْوَثَنًا
 وَتَحْسِبُ الدِّينَ مَنْسِيًّا وَمُمْتَهَنًا
 يُوْزَعُونَ لَوْلُوجِ الذُّلِّ مُفْتَتِنًا
 وَنَاصِرُ الْحَقِّ فِي الْإِسْلَامِ مَا وَهَنًا
 مَكْيَالُهُمْ أَزُورٌ لَا يَنْصِفُ الثَّمَنًا
 لِيَنْفُثُوا السُّمَّ فِي الْأَعْقَابِ وَالدَّرَنًا
 وَيَنْصُبُونَ لَنَا فِي دَرَبِنَا شَطَنًا
 غَشَاوَةٌ تَمْسَخُ الْمَقْبُولَ وَالْحَسَنًا
 أَنَّ الْحَقَائِقَ مَا يُمْلُونَهُ عَلَنًا
 بِلَا عَدُوٍّ فَرَامُوا الْمَالَ وَالْوَطَنًا
 فَلَنْ نَبِيعَ لِعَبْدِ الْمَالِ مِلَّتَنَا
 وَمَنْ يَرْمِ شَرِعَةَ الْبَارِي فَقَدْ أَمَنَّا
 وَكُلُّ قَلْبٍ بِهِ الْإِيمَانُ قَدْ سَكَنَّا
 أَتَمَّهَا اللَّهُ بِالْأَخْلَاقِ مَا حَسَنًا

نَارٌ تَلُوحُ لَهَا فِي الْمُبِيقَاتِ سَنَا
 وَيَمْكُرُونَ وَمَا فِي مَكْرِهِمْ لَغَبٌ
 فَلَيْسَ بَعْدَ بُلُوغِ الْكُفْرِ مَائِمَةٌ
 لَقَدْ تَمَادَتْ بِفُحْشِ الْقَوْلِ شَرْدِمَةٌ
 وَتَتَشَبَّهُ حِينَمَا تَغْتَالُ أُمَّتَنَا
 شَيْطَانُهُمْ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ لَاحِظُهُ
 يُدَنَّسُونَ - مُعَاذَ اللَّهِ - سِيرَتَنَا
 مُطَفِّفُونَ بِمَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
 يَبْغُونَ فِينَا سَبِيلَ الضَّعْفِ نَافِذَةٌ
 يُنَاصِبُونَ بَنِي الْإِسْلَامِ شَرَّتَهُمْ
 تَوَارِثُوهَا وَأَذَكَّتْهَا عَدَاوَتُهُمْ
 تَسْرَبُلُوا الْوَهْمَ حَتَّى ظَنَّ هَازِلُهُمْ
 وَجَنَدُوا كُلَّ جَيْشٍ مِنْ جَحَافِلِهِمْ
 وَلَنْ يَنَالُوا - وَحَقُّ اللَّهِ - طَلِبَتَهُمْ
 وَإِنَّا مِنْ أَمَانِ اللَّهِ فِي دَعَا
 أَرْوَا حُنَا لِرَسُولِ اللَّهِ وَأَقِيَّةٌ
 هَذَا مُحَمَّدٌ الْهَادِي فَضَائِلُهُ

قَدْ كَانَ فِيهَا وَرُوحُ الْقُدْسِ مُؤْتَمَنًا
مَآثِرُ الدِّينِ تُفْنِي الْجَهْلَ وَالْفِتْنَا
بِعَرْضِهِ وَأَبِيهِ الصَّادِقِ الْيَقِينَا
أَعْطَى اللُّوَاءَ وَإِنْ كَانَ الثَّرَى كَفْنَا
مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مِنْ حَلٍّ وَمَنْ ظَعَنَّا
وَإِنْ دُفِنْتَ فَإِنَّ الْحَقَّ مَا دُفِنَا

حَسَانٌ نَاسِخٌ دِرْعِ الشُّعْرِ سَابِغَةٌ
يَصُدُّ سُوءَ عَنِ الْإِسْلَامِ مَذُبَرَّغَتْ
يَذُودُ عَنْهُ سِهَامَ الْغَدْرِ مُفْتَدِيَا
فَكَانَ خَيْرَ أَمِينٍ فِي رِسَالَتِهِ
حَتَّى انْتَصَرْنَا لِعَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِنَا
حَسَانٌ إِنَّا عَلَى نَهْجِ الْهُدَى أُمَّمًا

غَلَّتْ أَيَادِيهِمْ^(١)

ماجد بن عبد الله الخامدي - الظهراؤ -

كَمَا يُزِينُ ضَوْءَ الْأَنْجَمِ الْقَمَرُ
وَسَنَةٌ فَسَّرَتْ فِي ضَوْئِهَا السُّورُ
وَفِي حَدِيثِكَ ذَاكَ الْهُدَى يَنْهَمُرُ
وَفِي حَيَاتِكَ ذَاكَ الْمُقْتَدَى الْأَثَرُ
وَكُنْتَ كَفًّا لِبَذْلِ الْخَيْرِ تَبْتَدِرُ
وَإِنْ دُعِيتَ فَلَا مَطْلٌ وَلَا ضَجْرُ
مَاذَا نَقُولُ وَمَاذَا فِيكَ نَخْتَصِرُ؟!
يُرْفِرُ الْقَلْبُ وَالْأَرْوَاحُ وَالْفِكْرُ

صَلَّيْتُ بِالرُّسُلِ فِي مَسْرَاكَ كُنْتُ بِهِمْ
تَرَكْتُ فِينَا كِتَابَ اللَّهِ نَنْهَجُهُ
فَفِي جَبِينِكَ «نُورًا يُشْرِقُ الْقَمَرُ»
وَفِي سَجَايَاكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى مَثَلُ
قَدْ كُنْتَ قَلْبًا لِنَشْرِ الْخَيْرِ مُجْتَهِدًا
إِذَا وَهَبْتَ فَلَا مَنْ وَلَا قَتْرُ
وَكُنْتَ قُرْآنًا يَمْشِي بِخَيْرٍ هُدًى
يَا نَاصِرَ الدِّينِ.. يَا وَحْيَ الْإِلَهِ بِهِ

هَذِي الْقُلُوبُ تُكَادُ الْيَوْمَ تَنْفَطِرُ
 قُلُوبُنَا بِلَهَيْبِ الْإِفْكَ تَسْتَعِرُ
 لِلْمُقْتَدِينَ فَتَلِكَ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ
 غَرَاءَ فِيهَا قُلُوبُ الشُّرْكَ تَنْبَهَرُ
 تَلِكَ الْفُلُولُ بَعُونَ اللَّهَ تَنْدَثِرُ
 وَخَرَّ قَيْصَرُ إِذْ لَمْ تُغْنِهِ النُّذُرُ
 فَالْجَهْلُ يُغْوِي وَهَذَا شَأْنُ مَنْ كَفَرُوا
 سَلَّتْ يَدَاهُ.. وَتَبَّ لِلَّذِي نَشَرُوا
 إِيمَانُنَا إِنْ تَوَالَتْ حَوْلَكَ الزُّمَرُ
 لِنُصْرَةِ الْحَقِّ وَالْقُرْآنِ تَعْتَصِرُ

يَا أَشْرَفَ الْخَلْقِ لَنْ نَرْضَى بِمَا افْتَرَفُوا
 أَرْوَاحُنَا فِي جَحِيمِ الْغَيْظِ تَشْتَعَلُ
 أَمِنْ أَضَاءِ بِنُورِ اللَّهِ سُنَّتَهُ
 مَنَاقِبُ النَّصْرِ فِي أَرْجَاءِ دَعْوَتِهِ الـ
 مَا بَيْنَ مُسْتَتِرٍ عَنْهَا وَمُنْكَسِرٍ
 هُدَاكَ زَلْزَلٌ كَسَرَى فِي مَدَائِنِهِ
 يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ لَمْ نَجْزِعْ لِمَا كَتَبُوا
 غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ إِذْ صَدَّقُوا خَرْفًا
 يَقِينُنَا أَنَّنَا نَفْدِي بِمَا مَلَكَتْ
 بَلْ تَفْتَدِيكَ وَأَيْمُ اللَّهِ أَفِيدَةُ

نَذُودُ عَنْكَ.. بِقَوْلِ اللَّهِ نَأْتَمُرُ
 ضَرَاغِمُ الْحَقِّ لَا جُبْنَ وَلَا خَوْرُ
 وَكَمْ تَغَيَّرَتِ الْأَفْلَاكُ وَالسَّيْرُ
 مَنَا الْعَزَائِمُ إِنْ ضَجُّوا وَإِنْ سَخَرُوا
 وَأَنَّ مَوْعِدَ ذَلِكَ الْمُفْتَرِي سَقَرُ
 ذُكِّرْتَ إِذْ أَنْزَلَ الْإِنْجِيلُ وَالزُّبُرُ
 لَكَ الْقُلُوبُ وَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ
 طُوبَى لِمَنْ آمَنُوا.. بُشْرَى لِمَنْ صَبَرُوا
 لَكَ الْوَسِيلَةَ وَالشَّيْطَانَ مُنْدَحِرُ

أَرْوَاحُنَا وَدِمَانًا فِيكَ نَبْدُلُهَا
 لَا نَرْضَى قَوْلَهُمْ.. كَلَّا وَمَا فَتَتْ
 فَكَمْ لَقِينَا وَلَمْ تَضْعُفْ عَزَائِمُنَا
 لَكِنَّ إِيمَانَنَا بَاقٍ وَمَا ضَعُفَتْ
 إِيمَانُنَا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ مُدْرِكُهُمْ
 وَأَنَّكَ الْمُصْطَفَى الْبُشْرَى النَّذِيرُ وَقَدْ
 أَدَيْتَ فِينَا أَمَانَاتٍ وَقَدْ شَهِدْتَ
 عَزَاؤُنَا أَنْ عُقْبَى الدَّارِ مَوْعِدُنَا
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْكُؤُنِ.. نَسْأَلُهُ

أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا فَاشْهَدْ

لمال محمود علي اليماني

أُحِبُّكَ..
أُشْهَدُ الدُّنْيَا
وَأُسْمِعُهَا نَشِيدَ الشُّوقِ
فِي قَلْبِي
أَلَا فَاشْهَدْ
حَبِيبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ
يَا أَحْمَدُ
إِذَا مَا الشُّوقُ بَرَّحَنِي
وَأَشْعَلَ فِي حَنَائِي الْقَلْبِ
تَحْنَانًا
وَقَدْ أَزْهَرَ
أُرْدَدَهَا..
وَفِي حَلْقِي
لَذِيذَ الشَّهْدِ
وَالسُّكْرِ
أَبَا الْقَاسِمِ
سَتَبْقَى فِي عَيُونِ الْكَوْنِ
أَكْبَرَ مِنْ جَهَالَتِهِمْ

نَعَمْ أَكْبَرُ
وَيَبْقَى فِي ضَمِيرِ الْكَوْنِ
ذِكْرُكَ فِي الْمَدَى أَعْطَرُ
وَتَبْقَى أَنْتَ يَا نُورًا
أَضَاءَ الْكَوْنِ.. نِبْرَاسًا
وَتَبْقَى فِي الْمَدَى الْأَنْوَرِ
فَدَعْ عَنَّا جَهَالَاتٍ
حَمَاقَاتٍ
تَفَاهَاتٍ
تَرُومُ الشَّمْسِ وَالنَّجْمَا
إِذَا مَا الشَّمْسُ لَامَعَتْ
وَسَاطَعَتْ
وَأَنْكَرَ نُورَهَا الْأَعْمَى
أَلَا تَبْقَى..
كَتَلِكِ الشَّمْسِ
هَادِينَا.. وَحَادِينَا
أَبَا الْقَاسِمِ
وَيَبْقَى نُورُكَ الْأَسْمَى !!
وَتَبْقَى كَوْكَبًا يَسْرِي
نَسِيمًا طَيِّبَ الْعَطْرِ

رَبِيعًا بِاسْمِ الثَّغْرِ
 وَتَبَقَى النُّورَ هَادِينَا
 بِكُلِّ لُحَيْظَةٍ يُوَلِّدُ
 أُحْبُكَ..
 أُشْهَدُ الدُّنْيَا.. وَأُسْمِعُهَا
 نَشِيدَ الشَّوْقِ فِي قَلْبِي
 أَبَا الْقَاسِمِ
 أَلَا فَاشْهَدْ

نَفَحَاتُ الْهَجْرِيِّ

لصالح بن علي العمري

وَالْيَمْنُ وَالْإِيمَانُ فِي قَسَمَاتِهِ
 وَاسْتَيْقَظَ التَّأْرِيخُ مِنْ غَفَوَاتِهِ
 وَالذَّهْرُ غَافٌ فِي عَمِيقِ سُبَاتِهِ
 إِنَّ الْحَدِيثَ مُوْتَقٌ بِرَوَاتِهِ
 فَتَقَبَّلُ الْكَلِمَاتِ فَوْقَ شِفَاتِهِ
 وَكَسَاهُ بِالْقُرْآنِ حُلَّةَ ذَاتِهِ
 هَانَتْ عَلَيْهِ الرُّوحُ فِي مَرْضَاتِهِ
 يُجَلِّي الدُّجَى بِالْفَجْرِ فِي فَلَقَاتِهِ

شَعَّ الْهُدَى، وَالْبِشْرُ فِي بَسَمَاتِهِ
 وَتَفَجَّرَتْ فِينَا يَنَابِيعُ الْهُدَى
 «اقْرَأْ وَرَبُّكَ» فِي حِرَاءِ تَحَرَّرَتْ
 جِبْرِيلُ حَامِلُهَا وَأَحْمَدُ رُوحُهَا
 مُهَجُّ الْمَلَائِكِ بِالتَّلَاوَةِ تَنْتَشِي
 يَا مَنْ كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّةَ سَمْتِهِ
 لَمَّا أَضَاءَ اللَّهُ مُهْجَةَ قَلْبِهِ
 غَسَلَ الْكَرَى عَنْ أَعْيُنِ الدُّنْيَا كَمَا

فَكَأَنَّ نُورَ الشَّمْسِ مِنْ قَسَمَاتِهِ
 «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» تَمْتَمَاتُ حُدَاتِهِ
 فِي نُسُكِهِ وَحَيَاتِهِ وَمَمَاتِهِ
 كَانَتْ قَلَائِدُهُنَّ بَعْضُ صِفَاتِهِ
 مِنْ عِلْمِهِ.. مِنْ حِلْمِهِ وَأَنَاتِهِ
 كَانُوا رِعَاءَ الشَّاءِ فِي فَلَوَاتِهِ
 وَسَلَّ الْمُعَنَّى عَنْ مُلِمِّ شَتَاتِهِ
 مَنْ غَضَّ عَنْ دَرْبِ الْخَنَّا نَظَرَاتِهِ؟!
 مَنْ عَانَقَ التَّوْحِيدَ فِي سَجْدَاتِهِ
 مَنْ أَخْرَجَ الْمُؤُودَ مِنْ دَرَكَاتِهِ؟!
 مَنْ أَوْرَدَ الْعَطْشَانَ عَذْبَ فُرَاتِهِ؟!
 وَبَنَى الْأَمَانَ عَلَى رَمِيمِ رِفَاتِهِ؟!
 زُورَ التُّرَابِ وَجَنَسَهُ وَلُغَاتِهِ
 دُنْيَاهُ.. وَاسْتَعْلَى عَلَى لَذَاتِهِ
 لِلْحَتْفِ مُعْتَذِرًا إِلَى تَمْرَاتِهِ!!
 فَتَحَرَّرَ الْوَجْدَانُ مِنْ شَهَوَاتِهِ
 فَكَأَنَّمَا وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهِ
 نَادَى الْجِهَادَ فَهُمْ عَتَاةُ كُمَاتِهِ
 نَسْتَلِهِمُ الْأَمْجَادَ مِنْ خَطَرَاتِهِ

وَأَنَارَ بِالْآيَاتِ كُلِّ بَصِيرَةٍ
 وَأَقْتَادَ لِلجَنَاتِ أَسْمَى مَوْكَبِ
 إِقْرَأَ مَعَانِي الْوَحْيِ فِي كَلِمَاتِهِ
 لَوْ نُظِّمَتْ كُلُّ النُّجُومِ مَدَائِحًا
 يَا مَنْ بَنَى لِلْكَوْنِ أَكْرَمَ أُمَّةٍ
 صَارُوا مَلُوكًا لِلْأَنَامِ بُعِيدَ أَنْ
 فَسَلَّ الْعَدَالَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالنَّدَى
 وَسَلَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَحَارِمَ وَالْحَيَا
 مَنْ حَطَّمَ الْأَصْنَامَ فِي تَكْبِيرِهِ
 مَنْ أَطْلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ أَغْلَالِهِ
 مَنْ عَلَّمَ الْخَيْرَانَ دَرْبَ نَجَاتِهِ
 مَنْ هَدَى بُنْيَانَ الْجَهَالَةِ وَالْعَمَى
 فَإِذَا بِأَخْلَاقِ الْعَقِيدَةِ تَعْتَلِي
 وَرَأَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ حَقًّا فَازْدَرَى
 أَرَأَيْتَ إِقْدَامَ الشَّهِيدِ وَقَدْ سَعَى
 حَمَلُوا الْهُدَى لِلْكَوْنِ فِي جَفْنِ الْفَدَا
 خَيَالَةَ الْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ وَالْعُلَا
 سُمَارَةَ الْمَحْرَابِ فِي لَيْلٍ، وَإِنْ
 فِي الْهَجْرَةِ الْغُرَاءِ ذَكَرَى مَعْنَدِ

وَدُرُوبِنَا تَزْهُو بِإِشْرَاقَاتِهِ
وَمُقْبِلُ هَذَا الْكَوْنِ مِنْ عَثْرَاتِهِ
وَاسْتَشْرِفِي الْغَايَاتِ مِنْ غَايَاتِهِ

تَارِيخُ أُمَّتِنَا.. وَمَنْبَعُ عَزِّنَا
فِيهِ الْحَضَارَةُ وَالْبِشَارَةُ وَالْتَقَى
فَتَأَلَّقِي يَا نَفْسُ فِي نَفْحَاتِهِ

سَقَطَ الْقِنَاعُ

للشيخ محمد الفقي

مِنْ أَفْقِ (أُورِيَا) عَلَيْنَا يَهْجُمُ
سُودًا، وَكَانَ مِنَ النَّضَارَةِ يَبْسُمُ
كُلَّ الْجُسُورِ، وَيَسْتَفْزُ، وَيَنْقُمُ
وَهُنَاكَ، وَالْفُسَاقُ طَيْرُ حَوْمِ
مُتَبَجِّحِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُمُوا
لِلنُّورِ جَاءَ بِهَا كِتَابٌ مُحْكَمٌ
بِخُطَاهُ شَمْسٌ بِالْهِدَايَةِ تَحْلُمُ
نُورَ الَّذِي أَنْوَارُهُ لَا تَهْزَمُ
فَدَنَا إِلَيْهِمْ فِي الْخَفَاءِ الْأَرْقَمُ
هَذَا الْحَقُودُ الْأَحْمَقُ الْمُتَوَرِّمُ
بِتَطَاوُلِ فَجٍّ بِهِ يَتَهَكَّمُ
وَنَسَائِهِ، وَبِكُلِّ دَعْوَى تُؤْلَمُ
وَتُعِيدُ صُحُفَهُمُ الْغَبِيَّةَ عَنْهُمْ

سَقَطَ الْقِنَاعُ، وَعَمَّ لَيْلٌ مُظْلِمٌ
وَيُحِيلُ صَبْحَ الْعَالَمِينَ سَحَابًا
وَمَضَى «كَهُولًا كُو» يَدْمَرُ حَاقِدًا
وَيَدُوسُ أَقْدَاسَ الطَّهَارَةِ هَاهُنَا
لَمْ يَكْفِهِمْ مَا لَوَّثُوا الدُّنْيَا بِهِ
فَأَتَوْا إِلَى الْإِسْلَامِ آخِرَ دَفْقَةٍ
وَدَعَا بِهَا أَسْمَى نَبِيٍّ أَشْرَقَتْ
وَعَدُوا عَلَيْهِ حَاقِدِينَ لِيُطْفِئُوا
لَكِنَّهُ حَقْدُ الصَّلِيِّينَ مَدَّ جُورَهُ
لِيَنَالَ مِنْ قُرْآنِنَا وَنَبِيِّنَا
أَنَا بِتَحْرِيفِ الْكِتَابِ، وَمَرَّةً
أَوْ سَبَّ شَرَفِ النَّبِيِّ، وَصَحْبِهِ
يَتَنَاقَلُ الْكِتَابُ نَشْرَ هُرَائِهَا

بَصُرَتْ بِظِلِّ فِي الدِّيَاجِي يُقَدِّمُ
 إِنْ كَانَ ضَيْقًا أَوْ غَرِيبًا يُكْرَمُ
 حَتَّى رَأَى الْأَعْمَى، وَقَاهِ الْأَبْكَمُ
 مَاذَا أَنَا الْمُسْلِمُونَ لِيُظْلَمُوا
 وَيُسْتَتُوا، وَيَطَارِدُوا، وَيَتَمُوا
 لِيَرِدَّ عَنَّا مَنْ يَصُولُ وَيُحْجَمُ
 وَعَلَيْهِ مِنْ آثَارِ ذُبْحِنَا دَمٌ
 حَتَّى يَقِيءَ دَمًا وَغَيْظًا يَكْظُمُ
 وَأَغْرَهُمْ مَنَا الصَّدَى الْمُسْتَسْلِمُ
 وَعَدَا مَعَ الْأَغْنَامِ هَذَا الضَّيْغَمُ
 وَإِذَا اسْتَلَذَّ فَنَعَمَ هَذَا الْمَطْعَمُ
 مِنْكُمْ يُورِقُهُ الصُّرَاخُ الْأَعْجَمُ
 حُطْبًا تُدْبِحُ أَوْ كَلَامًا يُرْقَمُ
 وَتُرَوِّحُ لِلْبُنْيَانِ ظُلْمًا تَهْدُمُ
 ثُمَّ انْطَفَاءً مَيِّتٌ وَتَشْرُدُمُ
 وَلُزُومٌ سُنَّتِهِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
 آفَاقُهُ، فَالْجَهْلُ عَارٌ مُؤَلَّمُ
 وَزَمَانُنَا هَذَا الدُّجَى الْمُتَجَهَّمُ
 تَحْمِي الْحِمَى، وَتَرُدُّ مَنْ لَا يَرْحَمُ

مِثْلَ الْكِلَابِ النَّابِحَاتِ، وَكَلَّمَا
 نَهَمَتْ لُحُومَ الضَّيْفِ لَمْ تَأْبَهُ بِهِ
 قَلْبُوا مَوَازِينَ الْحَيَاةِ وَبَدَلُوا
 إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ عَدَاوَتِهِمْ لَنَا
 وَيُنَالُ مِنْ حُرْمَاتِهِمْ، وَيَمَزُقُوا
 وَنَظَلَ طُولَ حَيَاتِنَا فِي خُنْدَقِ
 مُتَوَرِّمِ الشُّدْقَيْنِ مَمْطُوطُ اللَّهَِا
 مَا إِنْ يَمُدُّ لِسَانَهُ بِزَعَا فِهِ
 رَكِبَ التَّعَصُّبُ رَأْسَهُمُ فَتَطَاوَلُوا
 فَتَهَكَّمُوا، وَتَهَجَّمُوا، وَتَحَكَّمُوا
 فَإِذَا اسْتَبَدَّ فَطُعْمَةٌ سَاغَتْ لَهُ
 يَا مُسْلِمُونَ وَذِي نَصِيحَةٍ مُخْلِصِ
 لَيْسَ الدَّفَاعُ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
 أَوْ فِي تَظَاهِرَةٍ تُزَلْزَلُ شَارِعَا
 أَوْ فِيضِ عَاطِفَةٍ تَفُورُ حَمَاسَةً
 لَكِنَّهُ فِكْرٌ، وَنَهْجٌ رَاشِدٌ
 وَرُكُوبٌ مَثْنِ الْعِلْمِ أَنِّي يَمَمْتُ
 وَالْآنَ نَبْكِ، لَا الدِّيَارُ دِيَارُنَا
 فَإِذَا أَرَدْنَا صَحْوَةً وَكَرَامَةً

مِنْ حَوْلِنَا أَبَدُوا تُحَاكَ وَتُبْرَمُ
 بَيْنَ الْحَضَارَاتِ الَّتِي تَتَأَزَّمُ
 وَصَدَى زُخُوفٍ فِي الْعَرِينِ تُهَوِّمُ
 قَدْ لَاحَ نُورٌ أَوْ شَدَا مُتَرَنِّمُ
 بِالْحُزْنِ مِمَّا قَدْ رَمَاكَ الْمُجْرِمُ
 مَلَأَ الْفَضَاءَ وَبِالْوَعِيدِ مُدْمَمُ

فَالْعِلْمُ ثُمَّ الْوَعْيُ لِلْفِتَنِ الَّتِي
 وَلِبَدْعَةِ الْخَطَرِ - الصَّرَاحِ - الْمُدَّعَى
 فَوْرَاءَ هَذَا الْغَيْمِ رَعْدٌ بَارِقُ
 رُوحِي فِدَاؤُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
 وَمَعِي أُلُوفٌ مِنْ مَلَائِينَ اِكْتَوَتْ
 وَاسْمَعُ مِنَ الْفِرْدَوْسِ رَجَعُ هُتَافِهَا

مَقَامُكَ أَعْلَى

إِلَى سَيِّدِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْتِصَارًا لَهُ

شعر - عبد الغني أحمد الحداد

أَسْمَى وَأَعْلَى فِي ضَمِيرِ وُجُودِ
هَيْهَاتَ يُؤْذِيهِ جُحُودُ حَقُودِ
أَهْلُ الْمَكَارِمِ عُرْضَةٌ لِحُسُودِ
وَطَوْتُهُمْ الْأَيَّامُ فِي تَنْكِيدِ
لِلْفِكْرِ مَنْ أَسْرَ وَمَنْ تَقْيِيدِ
عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ بَلِيلِ جُحُودِ
فِي نَشْرِ أَنْوَارٍ وَكَسْرِ قِيُودِ
ضَلُّوا وَمَنْ عَادَاهُ غَيْرُ رَشِيدِ

هَذَا مَقَامُكَ رَغَمَ كُلِّ حُسُودِ
مَنْ كَانَ رَبُّ النَّاسِ أَعْلَى شَأْنَهُ
مَا ضَرَّ مَا فَعَلَ الْحَقُودُ وَإِنَّمَا
الشَّائِنُونَ طَوْتُهُمْ أَحْقَادُهُمْ
أَوْ مَا أَتَى هَذَا النَّبِيَّ مُحَرَّرًا
عَجَبًا لَهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا أَفْضَالَهُ
جَهَلُوا مَكَارِمَهُ الْحَسَانَ وَفَضْلَهُ
جَهَلُوا عَطَايَاهُ الْكِبَارَ وَإِنَّهُمْ

أَحْيَتْ مَوَاتَ الْفِكْرِ بَعْدَ جَمُودِ
تَسْمُو وَتَدْعُو لِلْهُدَى الْمَنْشُودِ
يَمْضِي بِهِ لَغْدٌ أَغْرَ مَجِيدِ
تَنْأَى بِهِ عَنِّ وَأَقْعَ مَكْدُودِ
سَاوَيْتَ بَيْنَ مُسُودٍ وَمَسُودِ
نَظَرُوا بِعَيْنِ مُكَذِّبٍ وَكُنُودِ
بِنَاءَ كَمْ أَبْدَعْتَ بِجُهِودِ

هَيْهَاتَ مَا هَانَتْ رِسَالَتُكَ الَّتِي
قَدِمْتَ لِلْأَجْيَالِ أَعْظَمَ دَعْوَةَ
وَحَمَلْتَ لِلْإِنْسَانِ نُورَ هِدَايَةِ
وَكَرَامَةَ الْإِنْسَانِ تُعْلِي شَأْنَهَا
حَرَّرْتَهُ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ زَائِفِ
دِينِ السَّمَاخَةِ دِينَنَا لَكِنَّهُمْ
أَوْ مَا نَشَرْنَا فِي الْوُجُودِ حَضَارَةَ

وَالْخَيْرُ رَأَيْدُهَا لِدَرْبِ سَعُودٍ
لَمْ تَعْتَرِفْ بِحَوَاجِرٍ وَجُدُودٍ

وَالْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ عُنْوَانُ لَهَا
أَوْ مَا بَنَيْنَا وَحَدَّةَ مِعْطَاءَةٍ

لِلْحَقِّ تُعْلِي رَايَةَ التَّوْحِيدِ
وَبِهِ إِلَى عِزِّ الْحَيَاةِ فَعُودِي
عَهْدَ الْوَفَاءِ لَهُ بِكُلِّ صَعِيدِ
وَدَعِي الْخُمُولَ لِمُتَرَفٍ رَعِيدِ
مَنْ كُلُّ أَحْمَقٍ فَاسِقٍ عَرْبِيدِ
قُرَائِهِ هَادٍ لِكُلِّ شَرُودِ

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ هَلَّا غَضِبَةً
سِيرِي عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ وَهَدِيهِ
سِيرِي عَلَى دَرْبِ الرَّسُولِ وَجُدِّي
وَأَمْضِي بِنُورِ الْحَقِّ لَا تَتَرَدَّدِي
وَدَعِي دُعَاةَ الشَّرِّ فِي أَحْقَادِهِمْ
عُودِي لِحَبْلِ اللَّهِ فِيهِ تَمَسَّكِي

غَضِبَتْ لِحَقِّكَ وَأَجَهَتْ لِلدُّودِ
فِي الْعَالَمِينَ، وَقُوَّةَ بَزْنُودِ
حَمَلَتْ لَوَاءَ الْحَقِّ رَغْمَ جِحُودِ
تَبْنِي الْحَيَاةَ بَعَزْمَهَا الْمَعْهُودِ
يَجْتَاحُ عِزَّتَنَا بِكَيْدِ مَرِيدِ
مَنْ كُلُّ أَرْضٍ رَغْمَ عَصْفِ قِيُودِ
تَجْتَاحُ لَيْلِ الْبَاطِلِ الْمَنكُودِ
وَيَظَلُّ هَدْيِكَ مَشْرَعًا لَوُرُودِ^(١)

يَا سَيِّدِي هَذِي طَلَائِعُ أُمَّةٍ
أَوْ مَا غَرَسْتَ بِهَا مَشَاعِلَ عِزَّةٍ
أَوْ مَا بَنَيْتَ مِنَ التَّفَرُّقِ أُمَّةً
سَتَعُودُ أُمَّتُنَا بِرَغْمِ مَكَائِدِ
ثَارَتْ عَلَى الطُّوفَانِ جَاءَ مُعْرَبِدًا
تِلْكَ الْبَشَائِرُ قَدْ تَرَأَى وَمُضُّهَا
لَأَبْدًا أَنْ تَأْتِي طَلَائِعُ فَجْرِنَا
وَيَظَلُّ ذِكْرُكَ فِي الْمَعَالِي خَالِدًا

بأبي أنت يا رسول الله! (١)

لشهاب غامر - الإمارات

كَمْ هَوْتَهُ قُلُوبِنَا وَالْعُقُولُ
 كَأَبِي الْجَهْلِ وَالْمَصِيرُ مَثِيلُ
 فَاضْرِبُوهُمْ فِي جِيهِمْ كَيَّ يَحْوُلُوا
 تَحْتَ هَذَا الرَّمَادِ جَمْرٌ يَسِيلُ
 لِسَفَاهَاتٍ فَهُوَ طَوْذٌ طَوِيلُ
 رَائِعٌ.. رَائِعٌ، جَلِيلٌ.. جَلِيلُ
 رَحْمَنٌ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ظِلٌّ ظَلِيلُ
 نَحْنُ نَفْدِيكَ إِنْ تَعْدَى جَهُولُ
 بَاهِرٌ.. بَاهِرٌ.. جَمِيلٌ.. جَمِيلُ
 وَقُلُوبٌ مَخْتُومَةٌ، فَهِيَ لَيْلُ
 فِي انْتِشَارِ، مَهْمَا الْحِصَارُ يَهُولُ
 بِصِفَاتِ الْإِرْهَابِ؟ أَيْنَ الْعُقُولُ؟!
 وَهَذَا التَّدْلِيسُ وَالتَّدْجِيلُ؟
 وَيَهُودِ، وَلِلْبَقِيَّةِ كَيْلُ

عَلِّمُوهُمْ مَنْ مَنْ يَكُونُ الرَّسُولُ
 أَبْتَرْتُ كُلَّ شَانِيٍّ وَجَهُولُ
 قَاطِعُوهُمْ فَالْمَالُ رَبُّ لَدَيْهِمْ
 عَلِّمُوهُمْ - مَنْ دُونَ عُنْفٍ - بَأْنَا
 وَيَأَنَّ الرَّسُولَ لَيْسَ مَجَالًا
 شَامِخٌ.. شَامِخٌ.. عَظِيمٌ.. عَظِيمُ
 هُوَ لِلْعَالَمِينَ رَحْمَةٌ
 بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولُ وَأُمِّي
 أَنْتَ حَيٌّ مَدَى الزَّمَانِ بَهِي
 وَهُمْ أَعْيُنٌ بَغَيْرِ عِيُونِ
 أَوْلَا يَشْهَدُونَ دِينًا عَظِيمًا
 أَوْ هَذَا هُوَ الَّذِي يَصْمُوهُ
 أَوْ نَفْتُ الْأَحْقَادِ حُرِيَّةُ الْقَوْلِ
 أَمْ لَدَيْهِمْ كَيْلَانِ: كَيْلٌ لِبَيْضِ

وَمِنَ الْحَقِّ كَيْفَ ضَاعَ السَّبِيلُ؟!
 كَيْ إِلَى مِثْلِهِ يُزَفُّ الْمَثِيلُ؟!
 وَحَوَارٍ مَهْمَا عَلَا التَّضَلِيلُ
 وَاسْمُ أُمَّ الْمَسِيحِ فِيهِ الْبَتُولُ
 وَالْحَرْبَانَ مَنْ كَانَ عَنْهُمَا الْمَسْئُولُ؟
 وَلَوْلَتْ حَوْلَ «هَيْرُوشِيمَا» الطَّلُولُ
 وَسَجَلُ الْجُنَاةِ حَقًّا يَطُولُ

أَيُّهَا السَّاخِرُونَ مَنْ كُلِّ دِينٍ
 أَتُرِيدُونََنَا اتِّبَاعَ خُطَاكُمْ
 إِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ دِينُ سَلَامٍ
 هُوَ دِينُ يُجَلُّ مُوسَى وَعِيسَى
 نَحْنُ لَمْ نَصْنَعِ الْمَحَارِقَ
 مَا صَنَعْنَا قَنَابِلَ الذَّرِّ حَتَّى
 دُولٌ كُنَّ خَلْفَ تِلْكَ الْمَخَازِي

كَمْ شَكَوْنَا فَمَا أَفَادَ الْعَوِيلُ
 وَأَنْتَهَيْنَا وَضَمَّنَا الْمَجْهُولُ
 بَيْدَ أَنْ الَّذِي تَبَدَّى الْقَلِيلُ
 وَفَسَادٌ.. وَفُرْقَةٌ.. وَخُمُولُ
 أَوْ يَعُدُّ لِلْسُّيُوفِ فِينَا صَلِيلُ
 قُلْ لَنَا كَيْفَ نَقْتَدِي وَنَقُولُ
 وَهُمْ الْيَوْمَ فِتْنَةٌ وَفَتِيلُ
 وَهَذَا خَطِيبُهُمْ صَمُوِيلُ
 لِيَفُوزُوا وَالْكَوْلُ جَمْعًا يَدُولُ
 نَحْنُ نَصْحُوا إِذَا يُسَبُّ الرَّسُولُ
 وَحَوَارًا فِيهِ الْوَتَامُ أَصِيلُ
 نِيَامًا إِذَا تُدَقُّ الطُّبُولُ

بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولُ وَأُمِّي
 هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ قَدْ هُزِمْنَا
 وَرَأَيْنَا سَادِيَّةً وَشُدُودًا
 إِنَّمَا نَحْنُ مِنْ يَلَامٍ فَظَلَمٌ..
 لَمْ يَعُدْ لِلْخِيُولِ فِينَا صَهِيلُ
 بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولُ وَأُمِّي
 كَمْ تَحَمَلْتِ مِنْ دُهَاءِ الْأَعَادِي
 أَغْرَقُوا الْكُونَ فِي صِرَاعِ الْحَضَارَاتِ
 هُمْ يُرِيدُونَ ضَرْبَ شَرْقٍ بِغَرْبِ
 أَيُّهَا الشَّائِنُونَ فِي الْغَرْبِ مَهْلًا
 نَحْنُ نَبْغِي تَعَايِشًا وَسَلَامًا
 إِنَّمَا نَحْنُ لَنْ نَظَلَّ مَدَى الدَّهْرِ

فديت أكرم هادي^(١)

عبد الرحمن العشماوي - الرياض

وَبِرُوحِي فَدَيْتُ أَكْرَمَ هَادِي
لِمَقَامِ النَّجَاةِ يَوْمَ التَّنَادِي
وَحَيَاتِي وَطَارِفِي وَتَلَادِي
وَيَقِينِ وَحِكْمَةِ وَسَدَادِ
يَتَجَلَّى لِحَاضِرِ وَلِبَادِي
مَنْ يَدُ لُوْثَتْ بِشَرِّ مَدَادِ
وَضَلَالٍ وَغَفْلَةٍ وَعِنَادِ؟!
وَهُوَ حَيٌّ عَنِ سَوْرَةِ الْأَحْقَادِ
فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، رَفِيعُ الْعِمَادِ
صَانَهُ مِنْ تَأْمُرِ الْحُسَادِ
وَسَيَصْلَى بِجَمْرِهَا الْوَقَادِ
وَتَهَاوَى، فَوَجَّهَهُ فِي الرَّمَادِ
قَبْلَ أُخْرَى، وَذَاقَ طَعْمَ الْكَسَادِ
مَنْ صَدِيدِ جَزَاءِ هَذَا التَّمَادِي

يَا بِنَفْسِي فَدَيْتُ خَيْرَ نَبِيٍّ
وَبِشْعَرِي نَافَحْتُ عَنْهُ ابْتِغَاءً
دُونَ عَرَضِ النَّبِيِّ، عَرَضِي وَوَجْهِي
صُورَةَ الْمُصْطَفَى تُضِيءُ بِهِدِي
نُورَ اللَّهِ وَجَهَهُ، فَهُوَ بَدْرٌ
صُورَةَ الْمُصْطَفَى أَجَلٌ وَأَسْمَى
أَيْنَ أَهْلِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ أَهْلِ كُفْرٍ
إِنَّهُ الْمُصْطَفَى الْحَبِيبُ تَسَامَى
هُوَ - وَاللَّهِ - فِي السَّمَاءِ مُقِيمٌ
فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عِنْدَ إِلَهٍ
شَاتِمِ الْمُصْطَفَى سَيَشْرَبُ نَارًا
كُلَّمَا حَاوَلَ الْقِيَامَ تَرَاحِي
خَسِرَ الْكَافِرُ الْمُعَانِدُ دُنْيَا
إِنْ تَمَادَى فَسَوْفَ يَشْرَبُ كَأَسَا

(١) «المجلة العربية» - العدد (٣٤٩) - (ص ١٢١).

أَنْتَ أَدْرَى بِهِ فَحَقَّقْ مُرَادِي
 خَيْلَنَا إِنْ تَأَخَّرْتَ عَنْ جِلَادِ
 إِنْ تَوَارَتْ عَنْ حُبِّهَا لِلرَّشَادِ
 عَنْ مَيَادِينِ دَعْوَةٍ وَأَنْحَادِ

رَبِّ هَذَا جُهْدُ الْمَقْلِ وَقَلْبِي
 قَالَ حَسَّانُ - ذَاتَ يَوْمٍ - عَدَمْنَا
 وَأَنَا قُلْتُهَا: عَدَمْنَا قُلُوبًا
 وَعَدَمْنَا أَرْوَاحَنَا إِنْ تَوَارَتْ

تَحِيَّةٌ وَدِفَاعٌ عَنْ عَرْضِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)

محمد بن عائض القرني

وَدَمَعُ طَيْبَةَ جَرَى مِنْ مَاقِيهَا؟
 فَاهْتَزَّ شَامُخُهَا وَارْتَجَّ وَأَدِيهَا!
 خَطْبُ أَلَمٍ وَظُلْمٌ مِنْ أَعَادِيهَا؟
 بِهِ الْبَرِيَّةُ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا؟!
 مَجَاهِلُ الظُّلْمِ فَانزَاحَتْ غَوَاشِيهَا
 لَهُ الْجَبَابِرُ حَتَّى ذَلَّ طَاغِيهَا
 وَدَمَّرَ اللَّهُ مَا تَجَنِّي، وَجَانِيهَا
 مِنَ الضَّلَالَةِ لَمَّا أُرْكَسُوا فِيهَا
 وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَاضِيهَا وَبَاقِيهَا
 دِينًا وَأَرْجَحُهَا فِي وَزْنِ بَارِيهَا
 وَمَنْ يُشَابَهُهُ لُطْفًا وَتَوَجِيهَا؟
 وَجَاءَ بِالنَّعْمَةِ الْمُسَدَّاءَ يَهْدِيهَا
 نَهَجَ الْخَلِيلِ وَلَمْ يُخْطِئْ مَرَامِيهَا
 إِلَى الْحَسَانِ مِنَ الْأَخْلَاقِ بَيْنِيهَا
 هُوَ النَّذِيرُ لِمَغْرُورٍ يُعَادِيهَا

مَا بَالُ مَكَّةَ قَدْ ضَجَّتْ نَوَاحِيهَا؟
 مَا لِلْجَزِيرَةِ قَدْ مَادَتْ بِسَاكِنِيهَا؟
 مَا لِلْعَرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ رَوَّعَهَا
 أَيْسَخَرُونَ مِنَ الْهَادِي الَّذِي شَرَفَتْ
 أَيْسَخَرُونَ مِنَ الْأَنْوَارِ قَدْ كَشَفَتْ
 أَيْسَخَرُونَ مِنَ الْمَجْدِ الَّذِي خَضَعَتْ
 أَيَهْزُونَ بِهِ؟ سَلَّتْ أَكْفُهُمْ
 أَعْدَاءُ كُلِّ نَبِيٍّ جَاءَ يُنْقِذُهُمْ
 مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مِنْ سَارَتْ بِهِ قَدَمٌ
 أَوْفَى الْخَلِيقَةِ إِيْمَانًا وَأَكْمَلُهَا
 مَنْ مِثْلُهُ فِي الْوَرَى بَرًّا وَمَرْحَمَةً؟
 جَاءَتْ رِسَالَتُهُ لِلنَّاسِ خَاتِمَةً
 أَحْيَا الْحَنِيفِيَّةَ الْغَرَاءَ مُتَبِعًا
 وَسَارَ فِي كَنَفِ الرَّحْمَنِ يَكْلُوهُ
 هُوَ الْبَشِيرُ لِمَنْ أَصْغَى لِذَعْوَتِهِ

(١) مجلة «البيان» - العدد (٢٢٢) - (ص ٥٨).

كَسْرَى تَكْسِرَ إِذْعَانَا لَهَيْبَتِهِ
 وَأَقْبَلَتْ أُمَّمُ شَتَى مُبَايَعَةً
 نَالَتْ بِدَعْوَتِهِ نِعْمَى وَمَكْرَمَةً
 فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالْقُوْقَازِ طَائِفَةً
 وَفِي (أُورْبَةَ) أَقْوَامٌ قُلُوبُهُمْ
 الصَّامِدُونَ بِوَجْهِ الْكُفْرِ مَا ضَعُفُوا
 يَفْدُونَ عَرَضَ رَسُولِ اللَّهِ مَا بَخَلُوا
 حَتَّى إِذَا نَشَرَ الْأَنْدَالَ حَقْدَهُمْ
 تَوَزَّهْمُ زَمْرٌ ضَاقتْ نَفُوسُهُمْ
 بَنُو الْيَهُودِ وَمَنْ سَاءَتْ سَرِيرَتُهُ
 أَيْسَخَرُونَ مِنَ الْمَعْصُومِ وَيَلْهَمُ؟
 مَنْ جَاءَ بِالْمِلَّةِ الْبَيْضَاءِ صَافِيَةً
 أَقَامَ بِالْعَدْلِ مَجْدًا لَا زَوَالَ لَهُ
 مِنْ بَثْرِ زَمْرَمِ سُقْيَاهَا وَمَطْعَمُهَا
 أَرْوَاحُهَا بِظِلَالِ الْبَيْتِ هَائِمَةٌ
 فِدَاءُ عَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ أَنْفُسَنَا
 وَصَلِّ يَا رَبِّ مَا هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى
 تَحِيَّةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ أَبْعَثْهَا

قُصُورٌ قَبِصَرَ هُدَّتْ أَعَالِيهَا!
 تَمُدُّ لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ أَيْدِيهَا
 وَأَسْعَدَ اللَّهُ بَعْدَ الْبُؤْسِ نَادِيهَا
 تَذُودُ عَنْ عَرَضِ خَيْرِ النَّاسِ تَنْزِيهَا
 بِدِينِ أَحْمَدَ قَدْ نَالَتْ أَمَانِيهَا
 يُجَابَهُونَ الْمَنَايَا فِي تَحَدِّيهَا
 وَبِالنَّفُوسِ إِذَا نَادَى مَنَادِيهَا!
 وَبَارَزُوا اللَّهَ مِنْ عُدْوَانِهِمْ تِيهَا
 لَهُمْ عِيُونَ شِعَاعِ الْحَقِّ يُعْشِيهَا
 فَأَبْدَلَ الصِّدْقَ تَرْوِيرًا وَتَمُويهَا
 وَيَطْلُبُونَ لَهُ ذَمًّا وَتَشْوِيهَا؟
 نَقِيَّةٌ؛ وَبِنُورِ الْوَحْيِ يُحْيِيهَا
 وَأُمَّةٌ كَنَفُ الرَّحْمَنِ يَحْمِيهَا
 مِنْ تَمْرِ طَيِّبَةٍ قَدْ طَابَتْ مَغَانِيهَا
 مِنْ دُونِهِ تَرْخُصُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا!
 وَكُلُّ نَفْسٍ وَمَا تَحْوِيهِ أَيْدِيهَا
 مُعَلِّمِ الْأُمَّمِ الْحَيْرِي وَهَادِيهَا
 وَيَوْمَ هَجَرَتْهَا الْغُرَاءُ أَهْدِيهَا

نداء استغاثة

لصلاح الجين الغزال^(١)

نُعَانِي تَحْتَ أَهْوَالِ عِظَامِ
بِأَنَّ سُبَاتَنَا لِلدِّينِ حَامِ
هُنَاكَ تَفَاوُتٌ عِنْدَ الصَّدَامِ
يَسُوسُ النَّاسَ قَسْرًا بِالْحُسَامِ
فُسَاةٌ يَلْهَثُونَ بِبَلَاءِ أَوَامِ
وَعِنْدَ الْحَرْبِ أَشْبَهُ بِالْحَمَامِ
وَقَدْ جُبِلُوا عَلَى سَحْلِ الْأَنَامِ
نَهِيمٌ بِبَلَاءِ هُدَى مِثْلِ السَّوَامِ
شَنِيعٌ صَاغَهُ بَعْضُ اللَّثَامِ
مَعَ الْإِيمَانِ جَهْرًا لِلظَّلَامِ
بِكَ الرُّكْبَانَ تُرْفَلُ بِالسَّلَامِ
وَقَدْ كَرُّوا عَلَى الْمَوْتِ الزُّوَامِ
تَدَاعَوْا لِللَّظَى وَالْأُنُقِ دَامِ
أُقَدِّمُهَا إِلَى مَرْمَى السَّهَامِ
لَأَسْمَعْتَ الْأَلَى خَسِئًا كَلَامِي
سِوَى قَلَمِي لِإِيْقَاطِ النَّيَامِ

لَتَعْذُرْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا
أَمَاتُوا أُمَّةً هَانَتْ وَنَادَوْا
وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا سِرًّا وَلَكِنْ
وَأَخْرُيَدَعِي الْإِسْلَامَ زَيْفًا
يَرُونَ دِمَاءَنَا لِلسَّفْكَ حِلًّا
غَدَاةَ السَّلْمِ كُلُّهُمْ صُقُورٌ
يَدُوسُونَ النَّفُوسَ بِبَلَاءِ حِيَاءِ
غُثَاءِ السَّيْلِ صَارَ لَنَا شَبِيهَا
رَسُولَ اللَّهِ لَا تَأْبَهُ لِرَسْمِ
تَصَدَّى نُورٌ وَجْهَكَ دُونَ لَأَيِ
فَزَالَ الْكُفْرُ عَنِ قَيْسٍ وَأَضْحَتْ
وَمَا شَاهَدَتْ فِي الْأَجْسَادِ نَزْفِي
شَبَابٌ لَا يَخَافُونَ الْمَنَابِيَا
فِدَاكَ أَبِي وَرُوحِي دُونَ مَنْ
وَلَوْ قَدْ كَانَ لِي رَهْطٌ وَخَيْلٌ
وَلَكِنْ لَا سِلَاحَ لَهُ نُفُودٌ

(١) بني غازي - ليبيا.

وَلَيْتَ لَنَا بِجَوْفِ الْغَمِّدِ سَيْفًا
جَمِيلُ الْفِعْلِ لَيْسَ هُنَاكَ شَكُّ
نِدَائِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمًا
بِمَدْحِكَ أُرْتَجِي وَالْوَيْلُ خَلْفِي
وَلَيْتَ لَنَا وَرَاءَ الْقَوْسِ رَامٍ
نَزِيهٌ أَنْتَ عَنْ كُلِّ أَتْهَامٍ
بِأَنْ أَشْفَى بِحَوْضِكَ مِنْ سَقَامِي
وَقَدَّعَاتِ الْعِدَى حُسْنَ الْخِتَامِ

فَلَيْتَ لَنَا بِجَوْفِ الْغَمِّدِ سَيْفًا
جَمِيلُ الْفِعْلِ لَيْسَ هُنَاكَ شَكُّ
نِدَائِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمًا
بِمَدْحِكَ أُرْتَجِي وَالْوَيْلُ خَلْفِي

صَرَخَتْ وَلَكِنْ

لهجده الله أحمده بكامل

أَوْ مَا تَرُونَ خَنَاجِرَ الْغَدَارِ
وَدَمِي الْحَزِينُ يَفِيضُ كَالْأَنْهَارِ
وَنُدُوبُهُ فِي الْجِسْمِ كَالْأَغْوَارِ
وَيَسْبُكُكُمْ يَا ضَيْعَةَ الْأَطْهَارِ
وَتُحَارِبُ التَّغْرِيدَ فِي أَطْيَارِي
وَتَشْنُ هَجَمَتَهَا عَلَى الْأَنْوَارِ
مَا بَالُ أُمَّةٍ سَيِّدِ الْأَقْمَارِ
سَكَرُوا بِكَأْسِ مَذَلَّةٍ وَصَغَارِ
جَلَبَتْ عَلَى الشَّرْفَاءِ كُلَّ الْعَارِ
حُرِمَتْ نَعِيمَ الذُّكْرِ فِي الْأَسْحَارِ
كَادَتْ تُمزِقُهَا فَأَيُّ شَنَارِ
هَذَا وَسَامُ هَزِيمَتِي وَخَفَارِي

صَرَخَتْ تُنَادِي أُمَّةَ الْمَلْيَارِ
فِي الْقَلْبِ يَطْعَنُنِي وَجُرْحِي نَازِقٌ
أَوْ مَا تَرَى الْجَلَادَ يَخْفِرُ سَوْطُهُ
أَوْ مَا تَرُونَ الذُّبَّ يَنْهَشُ الْمَعزَى
أَوْ تَرَى الْغُرْبَانَ تَسْحَقُ ضَحْكِي
وَعَقَابِ الظُّلُمَاتِ تَنْفُثُ سَمَّهَا
يَسْعَى اللَّثَامُ لَطْمَسِ نُورِ هِدَايَتِي
يُرْمِي بِأَضْغَانِ الْكُفُورِ وَقَوْمِهِ
هَاهُمْ ضَحَايَا رَقِصَةٍ مِنْ حَيَّةٍ
وَقُلُوبُهُمْ سُحْرَتْ بِلَحْنِ مَا جَنَّ
وَعُقُولُهُمْ كُرَّةٌ وَأَقْدَامُ الْعِدَا
يَا فَرَحْتِي بِالْكَأْسِ بَلْ يَا حَسْرَتِي

وَيَلِكُمْ بَغِيَةَ الْكُفَّارِ
 يَا لَانْحَطَاطِ الْوَاهِنِ الْخَوَّارِ
 أَوْ تَقْبَلُونَ إِهَانَةَ الْمُخْتَارِ
 لِتُهِينِهِ بَاءَتْ بِكُلِّ بَوَّارِ
 مِنْ طَغْمَةِ الْأَنْجَاسِ وَالْأَشْرَارِ
 أَوْ يَرْجُمُونَ الصَّفْوَةَ بِالْأَكْدَارِ
 وَالصَّمْتَ يُخْنَقُ ثَلَاثَةَ الْأَخْيَارِ
 لِيَعْمَكُمْ بِهِدَايَةِ الْغَفَّارِ
 لِيَكُونَ دِينَ اللَّهِ أَكْرَمَ دَارِ
 الْغَالِي لَتَعْلُو رَايَةَ الْأَبْرَارِ
 وَنَصْدُ نَهْرِ الْجُودِ بِالْإِمْتَارِ
 أَنْتَى تَكُونُ بِصِيحَةِ وَشِعَارِ
 وَأَرَى مَحَبَّتَكُمْ بِغَيْرِ ثَمَارِ
 أَشْقَيْتُمُوهُ بِكَاذِبِ الْأَشْعَارِ
 وَالْمُدَّعِي لِلْحُبِّ لَيْسَ بِدَارِ
 أَوْ مَا لِفَجْرِ الْحَقِّ مِنْ أَنْصَارِ
 يَا لَ الْغَفْلَةِ أُمَّةِ الْمَلِيَّارِ
 أَوْصَالُهَا يَا غَلْظَةَ الْأَوْقَارِ
 هُوَ شَأْنُهُمْ فِي الْجَهْرِ الْإِسْرَارِ

رَكَعُوا لِذَابِحِهِمْ فَصَارَ النَّعْلُ سَكِينًا
 أَسْفَاهُ قَوْمُوا يَا سَكَارَى وَيَلِكُمْ
 أَيَّهَانَ شَمْسِ الْعَالَمِينَ رَسُولِكُمْ
 تَسَابِقُ الْحَشْرَاتُ فِي رَسْمِ الْعَلَا
 وَيَخَوْفُونَ بِرَسْمِهِ أَمْثَالَهُمْ
 يُحَارِبُونَ مُحَمَّدًا خَيْرَ الْوَرَى
 أَيَسَبُّ خَيْرَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ
 أَوْلَمْ يَذُقْ فِي الْحَقِّ أَلْوَانَ الْأَذَى
 أَوْلَمْ يُفَارِقْ دَارَهُ مُتَأَلِّمًا
 أَوْلَمْ يَفْرُ مِنْ وَجْهِهِ الْغَالِي الدَّمُ
 أَيَجُودُ بِالرُّوحِ الْحَبِيبِ لِأَجْلِنَا
 أَوْ مَا تُحِبُّونَ الرَّسُولَ فَمَا لَكُمْ
 إِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ يُثْمِرُ غَيْرَةً
 سَمَّ الْقَصِيدِ مَدِيحِكُمْ وَهَتَافِكُمْ
 رُوحُ الْمُحِبِّ يَذُوبُ فِي مَحْبُوبِهِ
 يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ يُطْعَنُ فَجْرُكُمْ
 صرَّخَتْ وَطَالَ صرَّاخُهَا يَا قَوْمُ يَا
 صرَّخَتْ وَجَنَّ صرَّاخُهَا وَتَقَطَّعَتْ
 أَنَا لَا أَلُومُ الْكَافِرِينَ فَكُفْرُهُمْ

إِلَّا عِنَادَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
أَوْلَمْ يَخَافُوا نِقْمَةَ الْجَبَّارِ

لَكِنَّ أَلْوَمَ الْمُدَّعِينَ وَقَدْ أَبَوْا
أَذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ سَرَاجُهُمْ

رَسُولُ الْهُدَى مُحَمَّدٌ ﷺ

بقلم الدكتور محمدناج علي رضا النحوي

كُلَّ يَوْمٍ عَلَى رِمَالِكِ عِيدٍ
فِي مَيَادِينِهَا وَفَجْرٌ جَدِيدٍ
رُويَبْنِيهِ مُؤْمِنٌ وَشَهِيدٌ
تُقُّ فِي نُورِهَا وَيُجَلَّى الْوُجُودُ
سُدَّ مَوَائِقَ أُمَّةٍ وَعُهُودُ
رَضٍ وَامْتَدَّ سَاقُهُ وَالْعُودُ
عَبْقَرِيٌّ وَفَاؤُهُ وَالْجُودُ
سِ وَهَذَا رَسُولُهَا الْمَشْهُودُ
سِهِ وَعِزٌّ لَوَاؤُهُ مَعْقُودُ
بَيْنَ آيَاتِ رَبِّهِ وَوَعِيدُ
آيَةُ الْحَقِّ وَالْهُدَى التَّوْحِيدُ

عَانِقِي الْمَجْدَ وَأَخْفُقِي يَا بَيْدُ
رَأْيَةً بَعْدَ رَأْيَةٍ وَزُحُوفُ
لَا يَزَالُ التَّارِيخُ يَدْفَعُهُ النَّصْبُ
وَالنَّبَوَاتُ آيَةُ اللَّهِ يُجَلَّى الْحَا
تَصِلُ الْأَرْضُ وَالزَّمَانُ فَتَمَّتْ
يَا لِحَقِّ جَذُورِهِ ضَرَبَتْ فِي الْأُ
إِنَّهُ جَوْهَرُ الْحَيَاةِ وَفَيْضُ
إِنَّهُ الْوَحْيِيُّ وَالرَّسَالَةُ لِلنَّا
سَيِّدُ النَّاسِ! بَيْنَ نَصْرٍ مِنَ الدَّ
إِنَّهُ أَحْمَدُ النَّبِيِّ! فَبَشْرِي
فَمِنَ اللَّهِ كُلُّ فَضْلٍ عَلَيْهِ

سُوقٌ وَجَبْرِيلُ وَالْبَرَّاقُ الشَّدِيدُ
رَأً فَتَنْشَقُّ ظُلْمَةً وَسُدُودُ

يَا جَلَالَ الْإِسْرَاءِ: يَحْمَلُهُ الشَّ
وَالْفَضَاءُ الْمُتَمَدُّ يَنْشُرُ أَنْوَا

مِنْ سَنَاهُ أَحْنَاؤُنَا وَالْكُبُودُ
لِلِقَاءِ نُبُوءَةٍ وَجَدُودُ
وَجَلَالٌ يَحُوطُهُ وَحُشُودُ
يَتَلَأَلُ وَجَوْهَرٌ وَعُقُودُ
لِجَنَانٍ وَمَحْشَرٌ وَخُلُودُ
مِنْ وَقَلْبٍ وَوَيْبَةٍ وَزُنُودُ

أَيُّ نُورٍ يَطُوفُ بِالكَوْنِ تُجَلَّى
إِنَّهُ الْمُصْطَفَى! أَطَّلَ فَهَبَّتْ
وَإِذَا السَّيِّدُ الْعَظِيمُ إِمَامٌ
وَإِذَا أَنْتِ يَا فَلَسْطِينَ نُورٌ
فَاخْشَعِي يَا رَبِّي فَهَدِي دُرُوبُ
وَرِبَاطٌ لِلَّهِ تَحْرُسُهُ الْعَيْبُ

بِالرَّجَا، صَادِقِ الْوَفَاءِ، رَغِيدُ
وَجِهَادٍ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ
أَنْ يُخَانَ الْوَفَا وَتُطَوَى الْوَعُودُ
عَنْ حِمَاهَا فَتَى أَبْرُ جَلُودُ
هُ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِ وَصَعُودُ

يَا ظِلَالِ الْأَقْصَى! نَدَاكَ غَنِيٌّ
كُلُّ شِبْرٍ بِهِ مَوَاقِعُ وَحِيٌّ
إِنْ دَارًا يَحُوطُهَا اللَّهُ تَأْبَى
إِنَّ أَرْضًا لِلَّهِ لَا يَتَوَلَّى
مَنْ يَخُنْ عَهْدَهُ مَعَ اللَّهِ يَرْهَقُ

هُ وَمِنْ مُؤْمِنٍ لَهُ تَرْذِيدُ
أَضْلَعُ أَسْلَمْتُ وَهَدِي الْكُبُودُ
تُ مِنْ اللَّهِ خَيْرُهَا مَمْدُودُ
حِ وَأَعْلَى سَبِيلُهَا وَالْجُهُودُ
هُ، سَبِيلُ الْبِلَادِ سَيْفٌ حَدِيدُ
وَبَلَاغٌ فَذَلِكَ فَتْحٌ مَجِيدُ

يَا رَسُولَ الْهَدَى! سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ
وَصَلَاةٌ عَلَيْكَ، تَخْشَعُ فِيهَا
كُلُّ فَتْحٍ بَلَّغْتَهُ هُوَ آيَا
غَيْرَ أَنَّ الْقُلُوبَ أَقْسَى عَلَى الْفَتَى
فَسَبِيلُ الْقُلُوبِ هَدْيٌ مِنَ اللَّهِ
فَإِذَا مَا التَّقَى عَلَى الْحَقِّ سَيْفُ

وَأَمَّ مُحَمَّدًا... إِنْ شَانَتْكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

عَبَقْرِيَّاتُ أَغْصَرُ وَحُشُودُ
هِيَ فَتَحَ مِنْهُ وَنَصَرَ فَرِيدُ

بَنَيْتَ الَّذِي تُقْصِرُ عَنْهُ
أُمَّةٌ لَمْ تَنْزَلْ إِلَى اللَّهِ تَسْعَى

هُوَ وَمِنَّا الْوَفَاءُ وَالتَّوْحِيدُ
هُوَ نَرْجُو رِضَاءَهُ وَنُعِيدُ
هُوَ وَفَضْلُ مُهْدَى وَخَيْرٌ مَدِيدُ
سَاعَةٌ وَقَدْ جَفَّ ضَرْعُهَا وَالْوَرِيدُ
لَهُ فَاشْتَدَّ دَرُّهَا وَالْجُودُ
رِزْقٌ تَدْعُو: لَنْ ظَمِئْتُمْ فَعُودُوا
سَلَّةٌ فِي قَلْبِهِ خُشُوعٌ وَحِيدُ
يَرْتَوِي مِنْهُ صَاحِبٌ وَبَعِيدُ
مُؤْمِنٌ خَاشِعٌ وَيَنَائِي كَنُودُ

يَا رَسُولَ الْهُدَى! سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ
وَصَلَاةٌ عَلَيْكَ نَعْبُدُ فِيهَا اللَّهَ
رَحْمَةً أَنْتَ لِلْعِبَادِ مِنَ اللَّهِ
فَاذْكُرِي «أُمَّ مَعْبُد» قِصَّةَ الشَّ
مَسَحَ الضَّرْعَ فِي يَدَيْهِ رَسُولُ الْ
رَوَى الصَّحْبُ وَانْتَنَوْا وَكَانَ الضَّ
آيَةُ اللَّهِ فِي يَدَيْهِ وَذَكَرُ الْ
إِنْ رَوَى الصَّحْبُ كَفَّهُ فَهُدَاهُ
يَرْتَوِي الدَّهْرُ مِنْ هُدَاهُ فَيَدْنُو

سَقَى نَبِيًّا عَلَاكَ أَفْقُ فَرِيدُ
ضِحٌّ حَمِيدٌ وَفِي السَّمَاءِ حَمِيدُ
قُورٌ وَإِشْرَاقُهُ جَلَالٌ وَدُودُ
هَا فَيَغْضِي مِنَ الْجَلَالِ الشُّهُودُ
بِإِذَا أَحْمَرَ بِأَسْهَاهَا وَرَعُودُ
رَلِقَالُوا: ذَا الْفَارِسِ الْمَعْدُودُ

أَيُّهَا الْمُصْطَفَى! تَفَرَّدْتَ فِي الْخَلْدِ
أَنْتَ مَعْنَى الْوَفَاءِ: ذَكَرُكَ فِي الْأَرْ
زَانَكَ اللَّهُ! حُسْنٌ وَجْهَكَ إِشْرَافًا
لَا تَكَادُ الشُّهُودُ تَمْلَأُ عَيْنَيْ
ذِرْوَةَ الْبَاسِ فِي فُؤَادِكَ فِي الْحَرِّ
لَوْ تَنَادَوْا مِنَ الْفَوَارِسِ فِي الدَّهْرِ

لُ وَيَأْوِي لِظِلِّكَ الصَّنْدِيدُ
عَ عَظِيمٍ يَتَلَى بِهِ الْكِتَابُ الْمَجِيدُ
هُوَ ذِكْرٌ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ

أَنْتَ فِي الْحَرْبِ يَحْتَمِي بِكَ أَبْطَا
حَسْبُكَ الْمَدْحُ أَنْ تَكُونَ عَلَى حُلْدِ
كُلِّ آيٍ مِنَ الْكِتَابِ وَذِكْرِ

سَ سَلَامًا يَرَعَاهُ دِينَ وَطِيدُ
نَا فَحَنَّتْ إِلَيْكَ مِنْهُمْ كَبُودُ
فَاطْمَأَنَّتْ إِلَى الْوَفَاءِ الْعُهُودُ
كَمْ أَضَاعَتْهُ فِتْنَةٌ وَجُحُودُ
تَاهَ فِي الدَّرْبِ جَائِعٌ وَطَرِيدُ
سَقُّ! سِوَاهُ فَبَاطِلٌ مَرْدُودُ
لَمْ تُشْرَعْهُ عُسْبَةٌ وَعَبِيدُ
لَمْ تُخَالِطْهُ فِتْنَةٌ وَوَعُودُ

يَا رَسُولَ الْهُدَى! حَمَلْتَ إِلَى النَّأِ
كَمْ مَسَحْتَ الدَّمُوعَ آسَيْتَ مَحْزُودُ
وَدَفَعْتَ الْأَسَى وَرَعِشْتَ خَوْفُ
أَنْتَ أَرْجَعْتَ لِابْنِ آدَمَ حَقًّا
وَعْتَاةٌ بَغَوْا عَلَى النَّاسِ حَتَّى
يَا حُقُوقَ الْإِنْسَانِ! هَذَا هُوَ الْحَدُّ
إِنَّهَا مَنَحَةٌ مِنَ اللَّهِ! حَقُّ
فَاسْتَقِيمُوا لِلَّهِ نَبْنَ سَلَامًا

تَ فَمَا جَارَ سَيِّدٍ وَمَسُودُ
نَا فَهَبَّتْ عَزَائِمٌ وَجَهُودُ
لِلشَّيَاطِينِ دَوْلَةٌ وَجُنُودُ
نَ فَمَادَتْ ذُرًّا وَمَادَ عَمُودُ
رَ وَجُنَّ اللَّهَيْبُ «وَالْأَخْلُودُ»
مُوكِبُ الْحَقِّ يَجْتَلِي وَيَرُودُ

يَا رَسُولَ الْهُدَى! عَدَلْتَ وَسَاوَيْ
جَمَعَ اللَّهُ أُمَّةَ الْحَقِّ إِخْوًا
غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ حَالَ فَعَادَتْ
أَشْعَلُوا الْأَرْضَ فَجَرُّوَهَا بَرَآكِي
صَاحَ مِنْ هَوْلٍ مَكْرِهِمْ كُلُّ جَبَّ
غَيْرَ أَنَّ الْيَقِينَ يَبْقَى وَيَمْضِي

غَلَبَ الشَّوْقُ وَالْحَنِينُ الشَّدِيدُ
 فِي فُؤَادِي يَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ
 دَفَعَ الشَّوْقُ رَهْبَتِي فَتَزِيدُ
 قِي فَتَصْنُفُو وَتَرْتَقِي فَتَجُودُ
 سُبُّ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ التَّوْحِيدُ
 لَّهُ «عَهْدٌ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ
 وَسَرَايَا تَتَابَعَتْ وَحُشُودُ

كَيْفَ أَرْقَى إِلَى مَدِيحِكَ لَكِنْ
 غَلَبَ الشَّوْقُ رَهْبَتِي، وَصِرَاعُ
 كُلَّمَا لَجَّ فِي فُؤَادِي شَوْقُ
 وَإِذَا بِالْخُشُوعِ يَرْفَعُ أَشْوَا
 إِنَّمَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ هُمَا الْحُ
 يَا لِدَرْبِ شَقَقْتَهُ «فِي سَبِيلِ الد
 مَاجَ فِيهِ مِنَ الْهَدَايَةِ نُورُ

وختاماً :

لشقيقِي عبْدِ اللهِ العفْانِي

يقول ابن أُمي وشقيقِي آخي عبْدالله العفْانِي ، جعله اللهُ في الآخِرِين
حَسَّانَ فِي الْأَوَّلِينَ . . وشِعْرُهُ يَنسَابُ رَقَّةً وَعَذُوبَةً ، وَيَحْمِلُ أَجْمَلَ وَأَنْدَى
وَأَطْيَبَ الْمَعَانِي وَأَعْمَقَهَا . . عَنْ مَجِيءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الدُّنْيَا وَمَوْلِدِهِ :

بِاسْمِ الرُّوحِ كَوَثِرِي السَّمَاتِ
وَزَكَاةِ وَسَلْسَبِيلِ هُدَاةِ
وَوِدَادًا وَنَجْدَةً وَصَلَاتِ
لَيْسَ إِلَّا لِعَاطِرِ النَّسَمَاتِ
فَوْقَ حَظِّ النَّفُوسِ وَالشُّبُهَاتِ
مَنْهُ حَظُّ اللَّعِينِ وَالنَّزَعَاتِ
وَفُؤَادًا وَعَبْقَرِيَّ صِفَاتِ
قَدْ تَهَادَى مِنْ أَنْسَلِ طَاهِرَاتِ
مُ عِمَادِ الْإِصْلَاحِ وَالِدَعْوَاتِ
هِيمَ حَلَّتْ نَدِيَّةَ الْبَرَكَاتِ
فِي حَنَايَا حَدِيثِهِ وَالْعِظَاتِ
فِي شِغَافِ السُّهُولِ وَالرَّبَوَاتِ
مِنْ مَعَاصِي رُبُوعِهَا النَّتْنَاتِ
مِنْ فُيُوضَاتِ هَدْيِهِ الْعِطْرَاتِ
حِينَ لَاحَتْ بَدَائِعُ السُّبُوحَاتِ

أَيُّ قَلْبٍ أَتَى الْحَيَاةَ رَوْوَقًا
مِنْ جَنَى رَوْضِهِ يَفِيضُ حَيَاةً
وَحَنَانًا وَرَحْمَةً وَصَفَاءً
وَبَدِيعًا مِنَ الشَّمَائِلِ عَذْبًا
طَهَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ فَتَسَامَى
ثُمَّ أَهْمَى لَهُ الْمَلَائِكُ فَنَحَى
فَاسْتَوَى أَكْرَمَ الْبَرِيَّةِ نَفْسًا
وَطَهُورًا بَلْ أَطْهَرَ الْخَلْقِ طُرًّا
إِنَّمَا الطُّهْرُ وَالْأَثَالَةُ وَالْعِلْمُ
لَيْسَ طِفْلًا بَلْ تِلْكَ دَعْوَةٌ إِبْرًا
وَبِشَارَاتُ زَفِّ عَيْسَى شَذَاهَا
أَيُّ عِطْرِ أَتَى الْحَيَاةَ هَفُوقًا
بَعْدَ أَنْ ضَجَّتِ الْأَنْوُفُ طَوِيلًا
فَاسْتَحَالَ الْوُجُودُ جَنَّةَ عِطْرِ
وَهَوَى الدُّوْحُ وَالصُّخُورُ سَجُودًا

رسول الله ﷺ عذراً

وكما قلنا في البداية «عذراً رسول الله» نقولها في الخاتمة . . إذ يعجز القلم أن يسمو إلى مقامك السامي . . وأختم بهذه القصيدة الرقيقة لشقيقي الرقيق عبد الله بن حسين العفاني ، لا فُضَّ فُوه وبارك الله له في قلمه ودعوته وأولاده وعلمه وعمره وبيته .

أَيُّ عَطْرِ بِهِ أَخْطُ قَصِيدِي
وَحَدِيثِي وَهَمْسَتِي وَنَشِيدِي؟!
أَيُّ عَطْرِ بِهِ يَخْطُ يِرَاعِي^(١)
طِيبُ مَسْكَ أَمْ أَفْحُوَانُ وَعُودُ^(٢)؟!
أَيُّ عَطْرِ كُلُّ الْعَطُورِ تَمَنَّى
لَوْ تَخَطَّ الْجَوَى وَسَحَرَ الْهَجُودُ^(٣)
خَفِرَاتٍ^(٤) فَمَا يُبَلِّغُ عَطْرُ
عَنْ مَشُوقٍ إِلَى عَيْبِ الْوُجُودِ؟!
عَنْ مَشُوقٍ إِلَى عَيْبِ الْوُجُودِ؟!
عَنْ مَشُوقٍ إِلَى عَيْبِ الْوُجُودِ!؟

أَيُّ نُورٍ هُنَاكَ مِنْهُ يِرَاعِي
قَدْ تَهَادَى لِكَيِّ يَصُوغُ قَصِيدِي؟!
مَنْ سَنَا الصُّبْحِ قَدْ تَوَهَّجَ شَمْسًا
أَمْ تَهَادَى مِنَ الْأَصِيلِ الْوَيْدِ؟!
أَمْ شُعَاعٌ مِنَ الدُّورِ حُنُونٌ؟!
كُلُّهُمْ يَشْتَهِي يَخْطُ مَزِيدِي
كُلُّهُمْ يَشْتَهِي وَلَكِنْ خَجُولٌ
أَنْ يَخْطُ السَّنَا لِنُورِ الْعَهْدِ
كُلُّهُمْ يَشْتَهِي وَلَكِنْ خَجُولٌ

(١) يِرَاعِي: الْيِرَاعُ: الْقَلَمُ يَتَّخِذُ مِنَ الْقَصَبِ.

(٢) أَفْحُوَانُ وَعُودُ: الْأَفْحُوَانُ: نَبْتٌ طَيِّبُ الرِّيحِ، حَوَالِيهِ وَرَقٌ أَصْفَرٌ وَوَسْطُهُ أَيْضٌ.

وَالْعُودُ: ضَرْبٌ مِنَ الطَّيِّبِ، يُتَّبَخَّرُ بِهِ.

(٣) الْجَوَى: الْحَرْقَةُ مِنَ عِشْقٍ أَوْ حُزْنٍ. الْهَجُودُ: الْاسْتِيقَاطُ مِنَ اللَّيْلِ لِلصَّلَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ

وَنَحْوَهُ.

(٤) خَفِرَاتٍ: الْخَفَرُ: شِدَّةُ الْحَيَاءِ.

وهيامي وبهجة التغريد؟!
أم سمائي أم الضياء الوليد؟!
بل سيرقى لكفه الأملود^(٣)؟!

أي خزر^(١) عليه أنقش وجددي^(٢)
أعلى الورد أم هفوف نسيم
ليت شعري وأي خزر سيدنو

أبكفي بذي الخطايا السود؟!
طاهرات تخط عني بنودي

أي كف به أكتاب حبي
يا لشوقي إلى أنامل غيث

عبقري يصوغ سحر الورد
وسمات فوق النهى والحدود؟!
أطهر الخلق ذي الصفاء العهد^(٤)
يتهامي الشعور بالترديد
من عبير كما فؤاد الوليد
حالم الروح حاتمي الجود
فائق الشوق كي يذيب جليدي

يالها حيرة فأيه جنان
أي عقل يصوغ شدو طيور
أي قلب لدي حتى يناجي
ويروي شعوره^(٥) منه حتى
أيها الطير إنما أنت قلب
فلتعرني من قلبك العذب قلبا
ساجم العين^(٦) بلسمي المعاني

(١) الخزر: ما ينسج من صوف وحرير خالص.

(٢) الوجد: شدة الحب.

(٣) الأملود: الناعم (الشباب الناعم).

(٤) العهد: القديم.

(٥) الشعور: الحس.

(٦) سجمت العين: صببت ماءها.

لِصَّدَاحٍ مِنَ الطُّيُورِ وَمِيَدِي^(١)
 وَتَغْنِي بِمَهْرَجَانِي وَعَيْدِي
 لِرَسُولِي سِرَّ الْهَنَا وَالسُّعُودِ
 بَيْنَ عَجْزِي وَبَيْنَ صَرْحِ تَلِيدِ
 تَرَعَوِي^(٢) أَلْسُنِي وَيَهْمِي وَرَيْدِي

وَتَهَادِي أَيَا زُهُورِ رَبِّعِي
 وَأَنْثُرِي عَطْرَكَ الْفَتُونِ عَلَيْنَا
 إِنَّنِي أَشْتَهِي قَصِيدَةَ حُبٍّ
 أَشْتَهِي رِيَّهَا وَأَخْشَى عُنَارِي
 لَمْ أَزَلْ رَاجِفًا أَخْطُ وَأَمْحُو

* * *

وَأَخْرَجَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) مِيَدِي: مَا دَ الشَّيْءُ: مَا لَ وَتَحَرَّكَ.

(٢) تَرَعَوِي: ارْعَوِي عَنِ الشَّيْءِ: كَفَّ وَارْتَدَعَ.



فهرس المراجع

فهرس المراجع

(١) التفسير وعلوم القرآن

- (١) «تفسير الطبري» لابن جرير الطبري - تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر - طبع دار المعارف .
- (٢) «تفسير الطبري» لبـن جرير - طبع دار هجر - مصر .
- (٣) «تفسير القرطبي» للإمام القرطبي - كتاب الشعب - مصر .
- (٤) «تفسير ابن كثير» للحافظ ابن كثير - طبعة مكتبة أولاد الشيخ - مصر .
- (٥) «تفسير مجاهد» للإمام مجاهد .
- (٦) «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي - طبع المكتب الإسلامي .
- (٧) «تفسير البغوي» .
- (٨) «تفسير النسائي» للإمام النسائي - مكتبة السنة - القاهرة .
- (٩) «تفسير ابن أبي حاتم» لابن أبي حاتم الرازي .
- (١٠) «أحكام القرآن» للقاضي أبو بكر بن العربي .
- (١١) «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للألوسي - طبع دار الفكر .
- (١٢) «محاسن التأويل» للقاسي .
- (١٣) «أضواء البيان» للشيخ الشنقيطي - مكتبة ابن تيمية - مصر .
- (١٤) «تمة أضواء البيان» للشيخ عطية محمد سالم - مكتبة ابن تيمية - مصر .
- (١٥) «التفسير الكبير - مفاتيح الغيب» للفخر الرازي - طبعة دار الغد .
- (١٦) «تفسير عبدالرزاق» لعبدالرزاق الصنعاني .
- (١٧) «تفسير الدر المنثور» للإمام السيوطي - طبع دار هجر - القاهرة .
- (١٨) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي - دار الكتاب

الإسلامي - القاهرة .

(١٩) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية - جمع يسري السيد - طبع دار ابن الجوزي .

(٢٠) «التحرير والتنوير» للشيخ محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر - السعودية .

(٢١) تفسير «تيسير الكريم الرحمن» للشيخ عبدالرحمن السعدي - دار ابن الجوزي - السعودية .

(٢٢) «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب - دار الشروق - القاهرة .

(٢٣) «تفسير البحر المحيط» لأبي حيان .

(٢٤) «أسباب النزول» للسيوطي .

(٢٥) «الصحيح المسند من أسباب النزول» للشيخ مقبل الوادعي - مكتبة ابن تيمية - القاهرة .

(٢٦) «معاني القرآن» للفرّاء .

(٢٧) «السبعة في القراءات» لابن مجاهد .

(٢٨) «التبيان في أقسام القرآن» لابن قيم الجوزية .

(٢٩) إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي .

(ب) السنة

(٣٠) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني - المطبعة السلفية - القاهرة .

(٣١) «شرح مسلم» للنووي - للإمام النووي - دار الشعب .

(٣٢) «مسند أحمد بن حنبل» للإمام أحمد - تحقيق الشيخ أحمد شاكر -

طبع دار المعارف .

(٣٣) «مسند أحمد» للإمام أحمد بن حنبل - تحقيق شعيب الأرنؤوط -

مؤسسة الرسالة .

(٣٤) «تحفة الأحوذى فى شرح سنن الترمذى» للمباركفورى - طبع الهند .

(٣٥) «عون المعبود شرح سنن أبى داود» للطىب أبادى .

(٣٦) «مختصر سنن أبى داود» للمندرى ومعه «معالم السنن» للخطابى - مكتبة أنصار السنة المحمدية .

(٣٧) «مجمع الزوائد» للهشيمى - مكتبة القدسى .

(٣٨) «صحىح ابن خزيمة» للإمام ابن خزيمة - تحقيق د . مصطفى الأعظمى والألبانى - المكتب الإسلامى .

(٣٩) «مسند أبى يعلى الموصلى» - تحقيق حسين سليم أسد - دار المأمون .

(٤٠) «الإحسان فى تقرىب صحىح ابن حبان» لعلاء الدين الفارسى - تحقيق شعىب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة .

(٤١) «شرح السنة» للبغوى - تحقيق شعىب الأرناؤوط وزهىر الشاوىش - المكتب الإسلامى .

(٤٢) «صحىح الترغىب والترهىب» للشىخ الألبانى - المكتب الإسلامى .

(٤٣) «صحىح الجامع الصغىر» للشىخ الألبانى - المكتب الإسلامى .

(٤٤) «فىض القدىر شرح الجامع الصغىر» للمناوى - المكتبة التجارىة .

(٤٥) «مشكاة المصابىح» للتبرىزى - تحقيق الشىخ الألبانى - المكتب الإسلامى .

(٤٦) «المستدرک» للحاكم .

(٤٧) «المصنف» لعبد الرزاق الصنعانى .

(٤٨) «المصنف» لابن أبى شىبة - طبع الهند .

(٤٩) «المعجم الصغىر» للطبرانى .

(٥٠) «المعجم الأوسط» للطبراني .

(٥١) «المعجم الكبير» للطبراني - تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي - طبع

بغداد .

(٥٢) «السنن الكبرى» للبيهقي .

(٥٣) «شعب الإيمان» للبيهقي - طبع الهند .

(٥٤) «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي .

(٥٥) «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني - طبع الهند .

(٥٦) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم - طبع الهند .

(٥٧) «السلسلة الصحيحة» للألباني - المكتب الإسلامي .

(٥٨) «صحيح سنن أبي داود» للشيخ الألباني - طبع مكتب التربية .

(٥٩) «صحيح سنن الترمذي» للشيخ الألباني - طبع مكتب التربية .

(٦٠) «صحيح سنن النسائي» للألباني - طبع مكتب التربية .

(٦١) «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني - طبع مكت التربية .

(٦٢) «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق» للألباني - المكتب

الإسلامي .

(٦٣) «دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرائيق» لعلي حسن عبد الحميد -

مكتبة الصحابة - جده .

(٦٤) «تخريج الكشاف» للزيلعي .

(٦٥) «عمدة القاري» للعيني - طبع الحلبي .

(٦٦) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير .

(٦٧) «الصحيح المسند من دلائل النبوة» لمقبل بن هادي الوادعي .

(٦٨) «علوم الحديث» لابن الصلاح .

(٦٩) «الموضوعات» لابن الجوزي .

- (٧٠) «دراسات في الحديث النبوي» لمحمد مصطفى أعظمي .
 (٧١) «شبهات وشطحات السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله .
 (٧٢) «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» للشيخ صلاح مقبول أحمد .
 (٧٣) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» للدكتور مصطفى السباعي .

(ج) عقيدة

- (٧٤) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» .
 (٧٥) «الفرق بين الفرق» لعبدالقاهر البغدادي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار المعارف .
 (٧٦) «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري .
 (٧٧) «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم .
 (٧٨) «الملل والنحل» للشهرستاني .
 (٧٩) «السنة» للإمام أحمد بن حنبل - تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري .
 (٨٠) «السنة» للخلال .
 (٨١) «خلق أفعال العباد» للبخاري .
 (٨٢) «فضائح الباطنية» لأبي حامد الغزالي .
 (٨٣) «تهافت الفلاسفة» للغزالي - طبع دار المعارف - مصر .
 (٨٤) «المنقذ من الضلال» للغزالي .
 (٨٥) «أبو حامد الغزالي والتصوف» لعبدالرحمن دمشقية - دار طيبة - الرياض .
 (٨٦) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية - تقديم دكتور محمد رشاد سالم .

(٨٧) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن تيمية - مكتبة ابن

تيمية .

(٨٨) «نقض المنطق» لابن تيمية .

(٨٩) «النبوّات» لابن تيمية - طبع مكتبة أنصار السنّة المحمدية .

(٩٠) «شرح العقيدة الأصفهانية» لابن تيمية .

(٩١) «الصفدية» لابن تيمية - طبع دار الفكر - لبنان .

(٩٢) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية .

(٩٣) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية - المطبعة

السلفية - القاهرة .

(٩٤) «تليس إبليس» لابن الجوزي - مطبعة الجزيرة - دار السلام - مصر .

(٩٥) «الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعطلة» لابن قيم

الجوزية .

(٩٦) «مختصر الصواعق المرسلّة» لابن لقيم - اختصار محمد بن

الموصلي - طبع أضواء السلف .

(٩٧) «دلائل النبوة» للبيهقي .

(٩٨) «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصفهاني .

(٩٩) «الأسماء والصفات» للبيهقي .

(١٠٠) «السنّة» لابن أبي عاصم - تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي .

(١٠١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن قيم الجوزية -

دار الريان للتراث .

(١٠٢) «مصرع التصوف» أو «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» للبقاعي -

تحقيق عبدالرحمن الوكيل .

(١٠٣) «العلم الشامخ» للمقبلي .

- (١٠٤) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني .
- (١٠٥) «شرح أصول الاعتقاد» لللالكائي .
- (١٠٦) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» .
- (١٠٧) «كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق»
لعبدالقادر بن حبيب الله السندي - دار البخاري - بريدة .
- (١٠٨) «عقيدة ختم النبوة» لأحمد بن سعد الغامدي - دار طيبة الرياض .
- (١٠٩) «بين الإنجيل والقرآن» لأحمد ديدات - كتاب المختار الإسلامي .
- (١١٠) «نظرات في النبوة» لصلاح الدين المنجد - مكتبة القدس - بغداد .
- (١١١) «البابية» لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - لاهور -
باكستان .
- (١١٢) «البهائية» لإحسان إلهي ظهير .
- (١١٣) «البهائية» لعبدالرحمن الوكيل - القاهرة .
- (١١٤) «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة -
لاهور .
- (١١٥) «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية - تحقيق د. محمد رشاد سالم -
مكتبة ابن تيمية .
- (١١٦) «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة -
لاهور .
- (١١٧) «الرد القويم على المجرم الأثيم» للشيخ حمود التويجري - مكتبة
دار العليان الحديثة - السعودية .
- (١١٨) «الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول» لأحمد مالك .
- (١١٩) «آيات سماوية في الرد على كتاب «آيات شيطانية» للدكتور
شمس الدين الفاسي .

- (١٢٠) «سلمان رشدي شيطان الغرب - الرجل المارق» لسعيد أيوب .
- (١٢١) «كلهم سلمان رشدي» .
- (١٢٢) «تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام» للواء أحمد عبدالوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة .
- (١٢٣) «همزات شيطانية وسلمان رشدي» للدكتور نبيل السمان .
- (١٢٤) «البعث والنشور» لليهقي .
- (١٢٥) «هذه هي الصوفية» لعبدالرحمن الوكيل .
- (١٢٦) «الشيعة والتشيع فرق ومذاهب» لإحسان إلهي ظهير - نشر إدارة ترجمان السنة .
- (١٢٧) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» لمحمد بن مالك الحمادي .
- (١٢٨) «طائفة النصيرية - تاريخها وعقائدها» للدكتور سليمان الحلبي - المطبعة السلفية - القاهرة .
- (١٢٩) «النصيرية طغاة سورية» - طبع دار الإفتاء بالسعودية .
- (١٣٠) «هُؤيتنا أو الهاوية» لمحمد إسماعيل المقدم - دار ابن الجوزي - مصر .
- (١٣١) «الرسل والرسالات» للدكتور عمر سليمان الأشقر - طبع دار النفائس .
- (١٣٢) «الصلة بين التصوف والتشيع» للدكتور كامل مصطفى - دار المعارف - القاهرة .
- (١٣٣) «الشفافي التعريف بحقوق المصطفى» للقاضي عياض .
- (١٣٤) «عقيدة السلف» للصابوني .
- (١٣٥) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية .

- (١٣٦) «التحفة الإثنا عشرية» لشاه عبدالعزيز الدهلوي .
- (١٣٧) «مختصر التحفة الإثنا عشرية» للشيخ محمود شكري الألوسي -
المطبعة السلفية - القاهرة .
- (١٣٨) «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية» للدكتور ناصر
القفاري - دار الضياء - مصر .
- (١٣٩) «صورتان متضادتان لتتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية
والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية» لأبي
الحسن الندوي - ندوة العلماء - الهند .
- (١٤٠) «نثر الجوهر على حديث أبي ذر» للشوكاني .
- (١٤١) «وجاء دور المجوس» لعبدالله الغريب .
- (١٤٢) «إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة» لعبدالمالك بن
عبدالرحمن الشافعي - مكتبة الرضوان .
- (١٤٣) «انتصار الحق» للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - المكتبة
السلفية .
- (١٤٤) «الردُّ على الرافضة» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب .
- (١٤٥) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» لخادم حسين إلهي بخش - دار
الصديق - السعودية .
- (١٤٦) «أحكام الردة والمرتدين» للدكتور محمود مزروعة .
- (١٤٧) «العصريون معتزلة اليوم» ليوסף كمال .
- (١٤٨) «الحدائث من منظور إيماني» لعبدنان النحوي - دار النحوي .
- (١٤٩) «خصائص المصطفى ﷺ بين الغلوّ والجفاء» للدكتور الصادق
محمد إبراهيم - دار المنهاج الرياض .
- (١٥٠) «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض .

- (١٥١) «نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض» لشهاب الدين الخفاجي .
- (١٥٢) «منظومة البوصيري في الردّ على النصارى» للإمام البوصيري .
- (١٥٣) «كتاب الإسلام وأصول الحكم في الميزان» للدكتور محمد رجب البيومي - كتاب مجلة الأزهر .
- (١٥٤) «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» السعودية .
- (١٥٥) «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» للطبرسي - عرض ونقد الدكتور أحمد عثمان خليفة - دار السلف - الرياض .
- (١٥٦) «مجموعة فتاوى ومقالات متنوّعة» للشيخ عبدالعزيز بن باز .
- (١٥٧) «الشرعية الإسلامية لا القوانين الجاهلية» للدكتور عمر سليمان الأشقر - طبع دار النفائس .

(د) التاريخ ولتراجم والسير

- (١٥٨) «المعرفة والتاريخ» للفسوي .
- (١٥٩) «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني .
- (١٦٠) «تاريخ الطبري» لابن جرير الطبري .
- (١٦١) «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي - مؤسسة الرسالة .
- (١٦٢) «تاريخ الإسلام» للذهبي - دار لفكر - لبنان .
- (١٦٣) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي .
- (١٦٤) «تاريخ دمشق» لابن عساكر .
- (١٦٥) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكي - نشر محمد سرور الصبّان - مكة .
- (١٦٦) «العبر» .
- (١٦٧) «خطط المقرئزي» .

- (١٦٨) «الكامل» لابن الأثير .
- (١٦٩) «المنتظم» لابن الجوزي .
- (١٧٠) «وفيات الأعيان» لابن خلكان .
- (١٧١) «شذرات الذهب» للعمار الخنبلي .
- (١٧٢) «الكواكب الدرية» لابن قاضي شهبة .
- (١٧٣) «عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» لأبي شامة - مؤسسة الرسالة .
- (١٧٤) «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير - طبع دار هجر - القاهرة .
- (١٧٥) «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقفطي .
- (١٧٦) «تاريخ الدولة العثمانية» لعلي حسون - المكتب الإسلامي .
- (١٧٧) «حركة الردة» للعتوم .
- (١٧٨) «الانشراح ورفع الضيق بشرح سيرة الصديق» للدكتور محمد علي الصلابي - دار الفجر - مصر .
- (١٧٩) «كفاح المسلمين في تحرير الهند» للدكتور عبدالمنعم النمر - مكتبة وهبة - القاهرة .
- (١٨٠) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي - دار الكتب - القاهرة .
- (١٨١) «اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقريري - تحقيق د . محمد حلمي محمد - القاهرة .
- (١٨٢) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» . المكتبة الأندلسية - دار الثقافة - بيروت .
- (١٨٣) «طائفة الدروز» للدكتور محمد كامل حسين - دار المعارف - مصر .

- (١٨٤) «تاريخ الشعوب الإسلامية» لبروكلمان .
- (١٨٥) «سيرة ابن هشام» .
- (١٨٦) «الروض الأنف» للسهيلى .
- (١٨٧) «مغازى الواقدي» للواقدي .
- (١٨٨) «أنساب الأشراف» للبلاذري .
- (١٨٩) «الطبقات الكبرى» لابن سعد .
- (١٩٠) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة» لمحمد أحمد بشاميل - المطبعة السلفية .
- (١٩١) «فجر الإسلام» لأحمد أمين - دار الكتاب العربي - بيروت .
- (١٩٢) «الاستيعاب» لابن عبد البر .
- (١٩٣) «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر - تحقيق دكتور شوقي ضيف دار المعارف مصر .
- (١٩٤) «تاريخ مصر في العصر البيزنطي» للدكتور صبري أبو الخير سليم .
- (١٩٥) «تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب» لمكسيموس مونرونند - ترجمة مكسيموس مظلوم .
- (١٩٦) «محمد رسول الله ﷺ لمحمد الصادق عرجون .
- (١٩٧) «صلاح الدين الفارسي المجاهد والملك الزهد المُفترى عليه» لشاكر مصطفى - دار القلم دمشق .
- (١٩٨) «شخصيات قلقة» للدكتور عبدالرحمن بدوي .
- (١٩٩) «نور الدين محمود زنكي» للدكتور أنس أحمد كرزون - دار ابن حزم .
- (٢٠٠) «ابن الفارض والحب الإلهي» للدكتور محمد مصطفى حلمي - دار المعارف .

- (٢٠١) «الحروب العثمانية الفارسية - وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا» للدكتور محمد عبداللطيف هريدي - دار الصحوة القاهرة .
- (٢٠٢) «الرجل الصنم» لضابط تركي سابق - ترجمة عبدالله عبدالرحمن - طبع مؤسسة الرسالة .
- (٢٠٣) «الأعلام» للزركي .
- (٢٠٤) «عبقرية محمد» لعباس محمود العقّاد - دار الكتب الحديثة .
- (٢٠٥) «الحلية» لأبي نعيم لأصفهاني .
- (٢٠٦) «المعرفة والتاريخ» للفسوي .
- (٢٠٧) «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني .
- (٢٠٨) «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور بن نايف - دار الأرقم .
- (٢٠٩) «الحاكم بأمر الله» لمحمد عبدالله عنان - مكتبة الخانجي .
- (٢١٠) «تاريخ خليفة» لخليفة بن خياط .
- (٢١١) «معجم البلدان» لياقوت الحموي .
- (٢١٢) «حقة من التاريخ» لعثمان الخميس - دار الإيمان - مصر .
- (٢١٣) «الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا» لجوزيف رينو .
- (٢١٤) «دراسات في التاريخ الديني» لإرنست رينان - باريس .
- (٢١٥) «الصراع مع الصليبيين» للدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس - دار البشير - طنطا .
- (٢١٦) «رحلة الحج إلى بيت الله الحرام» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي .
- (٢١٧) «الشيخ الغزالي كما عرفته» للدكتور يوسف القرضاوي .
- (٢١٨) «أبو زهرة إمام عصره» دار الاعتصام .
- (٢١٩) «حسن البناء» لأنور الجندي - دار القلم .
- (٢٢٠) «جيل العمالقة» للأستاذ أنور الجندي - دار الاعتصام .

- (٢٢١) «صيحة الحق» للشيخ محمود عبد الوهاب فايد .
(٢٢٢) «معالم تاريخ الإسلام المعاصر» لأنور الجندي - دار الاعتصام .
(٢٢٣) «قرة العين» لمارتاروت - طبع باكستان .
(٢٢٤) «سعد زغلول - ذكريات تاريخية» للأستاذ الجزيري - كتاب اليوم .
(٢٢٥) «غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني» ليحيى بن الحسين بن

القاسم .

- (٢٢٦) «أيام لها تاريخ» لأحمد بهاء الدين .
(٢٢٧) «تاريخ الباباوية» لريدل .
(٢٢٨) «محفل الباباوات» تأليف يالي .
(٢٢٩) «تاريخ الباباوات» تأليف برايس .
(٢٣٠) «الباباوات» لولك .
(٢٣١) «ملحوظات على التاريخ الإكليريكي» لجوزيت .
(٢٣٢) «المسلمون في الهند» لأبي الحسن الندوي .
(٢٣٣) «الاضطهاد الديني في المسيحية» لتوفيق الطويل .
(٢٣٤) «الجزائر الثائرة» كولينت جانسوت .
(٢٣٥) «ثورة الجزائر» لجون جليسي .
(٢٣٦) «مأساة بنغلاديش» لمحمد خليل الله .
(٢٣٧) «مأساة إخواننا المسلمين في كشمير المسلمة» لفهد العصيمي .
(٢٣٨) «تركستان بين الدب الروسي والتنين الصيني كارثة القرم» لولي

شاه .

- (٢٣٩) «محنة الشيشان» لشعبان عبدالرحمن .
(٢٤٠) «نور الدين محمد» لحسين مؤنس .
(٢٤١) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي .

(٢٤٢) «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب أرسلان .

(٢٤٣) «حرب صليبية بكل المقاييس» للدكتورة زينب عبدالعزيز .

(س) غزو فكري والردّ عليه

(٢٤٤) «الاستعمار . . أحقاد وأطماع» للشيخ محمد الغزالي - دار

الكتب الإسلامية - القاهرة .

(٢٤٥) «أولاد حارتنا . . فيها قولان» لمحمد جلال كشك - الزهراء

للإعلام العربي .

(٢٤٦) «جوانيات الرموز المستعارة في (أولاد حارتنا)» - للدكتور

عبدالعظيم المطعني - مكتبة وهبة .

(٢٤٧) «الطريق إلى نوبل عبر حارة نجيب محفوظ» لمحمد يحيى ومعتز

شكري - أمة برس للطباعة والنشر .

(٢٤٨) «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي - دار الاعتصام .

(٢٤٩) «كلمة الحق» للشيخ أحمد شاکر - مكتبة السنة .

(٢٥٠) «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» - للدكتور

محمد البهي - طبع القاهرة .

(٢٥١) «الابتعاث ومخاطرة» للدكتور محمد الصبّاغ - المكتب

الإسلامي .

(٢٥٢) «مفهوم تجديد الدين» لبسطامي محمد سعيد .

(٢٥٣) «محاكمة فكر طه حسين» لأنور الجندي .

(٢٥٤) «الرسول ﷺ في الدراسات الاستشراقية المنصفة» لمحمد شريف

الشيبياني .

(٢٥٥) «غزو من الداخل» لجمال سلطان .

(٢٥٦) «أوروبا والإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود .

- (٢٥٧) «حوار لا مواجهة» لأحمد كمال أبو المجد .
- (٢٥٨) «لماذا يخافون الإسلام» للدكتور عبدالورود شلبي .
- (٢٥٩) «هلمّ نخرج من ظلمات التيه» للأستاذ محمد قطب - دار الوطن - السعودية .
- (٢٦٠) «ظاهرة اليسار الإسلامي» لمحسن المليي .
- (٢٦١) «النظريات السياسية الإسلامية» للدكتور محمد ضياء الرئيس .
- (٢٦٢) «قلاع المسلمين مهددة من داخلها» للدكتور محمد عبدالقادر هنادي .
- (٢٦٣) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة .
- (٢٦٤) «حصوننا مهددة من الداخل» للدكتور محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة .
- (٢٦٥) «محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل» لأنور الجندي - دار الأنصار - القاهرة .
- (٢٦٦) «الفكر الإسلامي والثقافة الغربية» للأستاذ أنور الجندي .
- (٢٦٧) «مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية» للدكتور محمد عمار .
- (٢٦٨) «من قتل فرج فودة؟» للدكتور عبدالغفار عبدالعزيز - دار الإعلام الدولي .
- (٢٦٩) «إسلام آخر زمن» للأستاذ منذر الأسعد - دار المعراج .
- (٢٧٠) «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين» للدكتور محمود الطحان - دار التراث .
- (٢٧١) «فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي» للدكتور محمد جلاء إدريس - القاهرة .

- (٢٧٢) «الديانة اليهودية - وموقفها من غير اليهود» لاسرائيل شاحك - ترجمة حسن خضر - القاهرة .
- (٢٧٣) «أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى سنة ١٩٢٢» للدكتور جاك تاجر لأقباط المهجر - مدينة جرسى بأمرىكا .
- (٢٧٤) «اللّه ليس كذلك» للدكتورة سىجرىد هونكة - دار الشرق - القاهرة .
- (٢٧٥) «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى» دراسة د . محمد عمارة - طبع بىروت .
- (٢٧٦) «الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى» دراسة د . محمد عمارة - طبعة القاهرة .
- (٢٧٧) «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبىدوا أهله» لجلال العالم - مكتبة ابن تىمة - القاهرة .
- (٢٧٨) «الدراسات العربىة والإسلامىة فى الجامعات الألمانية» لبارت ترجمة مصطفى مهر .
- (٢٧٩) «الاستشراق» لادوارد سعىد ترجمة كمال أبو دىب - مؤسسة الأبحاث العربىة - بىروت .
- (٢٨٠) «صناعة العداء للإسلام» لرجب البنا - دار المعارف - مصر .
- (٢٨١) «نصوص تحت الطبع» ترجمة ثابت عىد - دار نهضة مصر .
- (٢٨٢) «الإسلام والغرب أين الخطأ؟ وأىن الصواب؟» للدكتور محمد عمارة - مكتبة الشروق الدولىة - القاهرة .
- (٢٨٣) «محمد مؤسس الدين الإسلامى ومؤسس إمبراطورىة المسلمىن» لجورج بوش الجد - ترجمة وتحقىق د . عبدالرحمن عبداللّه الشىخ - دار المرىخ للنشر .

- (٢٨٤) «الإسلام والغرب» . . افتراءات لها تاريخ» للدكتور محمد عمارة - مركز الإعلام العربي - القاهرة .
- (٢٨٥) «الدفاع عن النبي ﷺ» للدكتور عبدالرحمن بدوي - دار نشر «أفكار» - باريس .
- (٢٨٦) «صورة الإسلام في التراث الغربي» - ترجمة ثابت عيد - سلسلة التنوير الإسلامي - طبع دار نهضة مصر .
- (٢٨٧) «الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهال وانصاف العلماء» للدكتور محمد عمارة - دار الشروق .
- (٢٨٨) «الإسلام في تصوّرات الغرب» للدكتور محمود حمدي زقزوق - مكتبة وهبة .
- (٢٨٩) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب» للأستاذ أنور الجندى - مؤسسة الرسالة .
- (٢٩٠) «حروب صليبية بكل المقاييس» للدكتورة زينب عبدالعزيز - طبع القاهرة .
- (٢٩١) «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب أرسلان .
- (٢٩٢) «حضارة العرب» لجوستاف لوبون .
- (٢٩٣) «حق التضحية بالآخر - أمريكا والإبادات الجماعية» لمنير العكش - دار رياض الريس .
- (٢٩٤) «أمريكا التي تُعلّمنا الديمقراطية والحرية والعدل» للدكتور فهد الحارثي .
- (٢٩٥) «الإسلام والعقل» - للدكتور عبدالحليم محمود - طبع دار المعارف .
- (٢٩٦) «لماذا يكرهونه - الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام

ﷺ» للدكتور باسم خفاجي - كتاب البيان .

(٢٩٧) «مذهب الدرّوز والتّوحيد» للأستاذ عبد الله نجار - دار المعارف -

مصر .

(٢٩٨) «التنصير - وثائق مؤتمر كلورادو» - الطبعة العربية - مركز دراسات

العالم الإسلامي - مالطة .

(٢٩٩) «إسلام بلا مذاهب» للدكتور مصطفى الشكعة - بيروت .

(٣٠٠) «لفرصة السانحة» لنيكسون - ترجمة أحمد صدقي - طبعة

القاهرة .

(٣٠١) «أمريكا من الداخل» لسيد قطب .

(٣٠٢) «في الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيق» للدكتور إبراهيم مذكور -

دار المعارف - مصر .

(٣٠٣) «الإسلام والغرب في كتابات الغربيين» للدكتور زغلول النجار -

طبع نهضة مصر .

(٣٠٤) «القرآن الأمريكي - أضحوكة القرن الحادي والعشرين» لمحمد

السيد عبده - دار الرضوان - مصر .

(٣٠٥) «قراءة في الكتاب المزعوم - الفرقان الحق» للدكتور محمد سالم

ابن شديد العوفي - السعودية .

(٣٠٦) «عمل المرأة في الميزان» لمحمد علي الباز .

(٣٠٧) «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» لموريس بوكاي - ترجمة حسن

خالد - طبع المكتب الإسلامي .

(٣٠٨) «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» لموريس بوكاي -

طبع دار المعارف - لبنان .

(٣٠٩) «المنصفون للإسلام في الغرب» لرجب البنا - طبع دار المعارف -

مصر .

(٣١٠) «مذاهب الإسلاميين» للدكتور عبدالرحمن بدوي - دار العلم

للملايين - بيروت .

(٣١١) «جرائم النصرانية» لفوت وهويلر .

(٣١٢) «دائرة معارف بويتين الإنجليزية» .

(٣١٣) «دائرة معارف شامبوس» .

(٣١٤) «اعتقادات فوق المشركين» للرازي - طبع مصر .

(٣١٥) «الخوري والمرأة والاعتراف» للأب شينكوي .

(٣١٦) «الشيعة والسنة» . ضجة مفتعلة» كتاب المختار الإسلامي .

(٣١٧) «الإسلام والمسيحية» للدكتور أليسيكي جورافيسكي - سلسلة

عالم المعرفة - الكويت .

(٣١٨) «تأثير الإسلام على أوروبا في القرون الوسطى» لمونتغميري واط -

موسكو .

(٣١٩) «السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود

صالح شريح .

(٣٢٠) «محاولات استشراقية لإرجاع مفاهيم إسلامية إلى أصول في

الديانات السابقة» لفؤاد كاظم المقدادي .

(٣٢١) «الإسلام وشبهات المستشرقين» مطبوعات البلاغ .

(٣٢٢) «الكوميديا الإلهية» لدانتي - ترجمة حسن عثمان - دار المعارف -

مصر .

(٣٢٣) «أوروبا والإسلام - صدام الثقافة والحضارة» لهشام جعيط - دار

الطليعة بيروت .

(٣٢٤) «هل نحن مسلمون» لمحمد قطب - دار الشروق .

(٣٢٥) «لماذا تأخر المسلمون» لشكيب أرسلان - دار القلم - دمشق .

(٣٢٦) «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري» للدكتور

- محمود حمدي زقروق - كتاب الأمة - قطر .
- (٣٢٧) «الوسيط» للدكتور عبدالرزاق السنهوري .
- (٣٢٨) «المدخل للعلوم القانونية» للدكتور توفيق فرج .
- (٣٢٩) «المدخل» لعلي منصور .
- (٣٣٠) «علل وأدوية» للشيخ محمد الغزالي .
- (٣٣١) «نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنا عشرية» للدكتور أحمد محمد صبحي .
- (٣٣٢) «ضحى الإسلام» لأحمد أمين .
- (٣٣٣) «أباطيل وأسما» للشيخ محمود شاكر - مكتبة الخانجي - القاهرة .
- (٣٣٤) «تجديد ذكرى أبي العلاء» للدكتور طه حسين - طبع دار المعارف - مصر .
- (٣٣٥) ديوان «زمان القهر علمني» لفاروق جويدة - مكتبة غريب .
- (٣٣٦) ديوان «الرسم بالكلمات» لنزار قباني .
- (٣٣٧) ديوان «أشعار خارجة على القانون» لنزار قباني .
- (٣٣٨) «المجموعة الكاملة» لنزار قباني - دار الشروق .
- (٣٣٩) «الأعمال الكاملة» لمحمود درويش - مكتبة مدبولي .
- (٣٤٠) «الورد والهالك» . شعراء السبعينيات في مصر» لحلمي القعود - دار الاعتصام .
- (٣٤١) «أجنحة المكر الثلاثة» لعبدالرحمن الميداني .
- (٣٤٢) «هل أصبح المسلمون في مصر هم الأقلية» للدكتور محمد عباس - المختار الإسلامي .
- (٣٤٣) «قصص رائعة من الأشرطة النافعة» لمحمد بن يحيى مفرح .
- (٣٤٤) «مجتمعنا المعاصر» لمحمد عبدالقادر أبو فارس .
- (٣٤٥) «جوله في رياض العلماء» للدكتور عمر الأشقر - دار النفائس .

(٣٤٦) «الحجاب لماذا؟» للدكتور محمد إسماعيل المقدم مكتبة ابن

الجوزي .

(٣٤٧) «الحرب الصليبية العاشرة» لحلمي القاعود - دار الاعتصام .

(٣٤٨) «تاريخ الحروب الصليبية» .

(٣٤٩) «قصة الحضارة» لول ديورانت .

(٣٥٠) «وثائق الحروب الصليبية» لمحمد ماهر حمادة .

(٣٥١) «حضارة العرب» لغوستاف لوبون .

(٣٥٢) «الفايكان والإسلام» للدكتورة زينب عبدالعزيز .

(٣٥٣) «كلام في الممنوع» . الاختراق اليهودي للفايكان» لمحمد

عبدالحليم عبدالفتاح .

(٣٥٤) «التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي» مئة مشروع لتقسيم

الدولة العثمانية» لشكيب أرسلان - اختصار د . محمد العبد .

(٣٥٥) «عندما حكم الصليب» أبو إسلام أحمد عبدالله .

(٣٥٦) «كفاح دين» للشيخ محمد الغزالي .

(٣٥٧) «وجاء الدور على الإسلام» لرضا محمد عراقي .

(٣٥٨) «قادة الغرب يقولون: دمرُوا الإسلام أبيدوا أهله» - لجلال

العالم .

(٣٥٩) «إني أرى الملك عارياً» للدكتور محمد عباس - مكتبة مدبولي .

(٣٦٠) «بغداد عروس عروبتكم» للدكتور محمد عباس - مكتبة

مدبولي .

(٣٦١) «قذائف الحق» للشيخ محمد الغزالي .

(٣٦٢) «الذين طغوا في البلاد» لمحمد عبدالله السمان .

(٣٦٣) «الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين» لمصطفى دسوقي .

(٣٦٤) «ستالين» لبسام العسيلي .

- (٣٦٥) «ملحمة البوسنة والهرسك» لعدنان النحوي .
- (٣٦٦) «البوسنة والهرسك» لعبدالعزیز المهنا .
- (٣٦٧) «الصراع في يوغوسلافيا ومستقبل المسلمين» لعبدالله عاصم
إسمابتش .
- (٣٦٨) «جمهورية البوسنة والهرسك والحقد الصليبي الصهيوني» لأم
القعقاع .
- (٣٦٩) «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» لعبدالله التل .
- (ط) كتب الفقه وأصول الفقه**
- (٣٧٠) «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» لشيخ الإسلام ابن
تيمية طبع دار ابن حزم، ودار ابن خزيمة .
- (٣٧١) «أحكام أهل الذمة» لابن قيم الجوزية .
- (٣٧٢) «البحر المحيط» للزرکشي - تحرير د. عبدالستار أبو غدة - نشر
وزارة الأوقاف الكويتية .
- (٣٧٣) «شرح الكوكب المنير» لابن النجار - تحقيق د. محمد الزحيلي د .
نزیه حماد السعودیة .
- (٣٧٤) «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم .
- (٣٧٥) «مرتب الإجماع» لابن حزم - دار الكتب العلمية - بيروت .
- (٣٧٦) «المغني» لابن قدامة - طبع دار هجر .
- (٣٧٧) «تحفة المحتاج مع حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي» .
- (٣٧٨) «قواعد الأحكام» لعز الدين بن عبدالسلام .
- (٣٧٩) «حاشية الجمل على المنهاج» .
- (٣٨٠) «حاشية ابن عابدين على رد المحتار» .
- (٣٨١) «التبصرة» لابن فرحون .

- (٣٨٢) «الأم» للشافعي .
 (٣٨٣) «حاشية قليوبي» .
 (٣٨٤) «الأوسط» لابن المنذر .
 (٣٨٥) «أحكام أهل الملل» لأبي بكر الخلال .
 (٣٨٦) «الموسوعة الفقهية» طبع وزارة الأوقاف الكويتية .
 (٣٨٧) «لفتاوى البرازية» .
 (٣٨٨) «الفتاوى الهندية» .
 (٣٨٩) «شروح روضة الطالب» .
 (٣٩٠) «منح الجليل على مختصر خليل» .
 (٣٩١) «فتاوى الشيخ عlish» .
 (٣٩٢) «المبسوط» للسرخسي .
 (٣٩٣) «بدائع الصنائع» للكاساني .
 (٣٩٤) «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» للمرداوي .
 (٣٩٥) «المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها» لخالد الشمراني .

(ص) كتب الفرق الضالّة

أ - كتب الشيعة :

- (٣٩٦) «الكافي» لمحمد بن يعقوب الكليني .
 (٣٩٧) «الحكومة الإسلامية» لآية الله الخميني .
 (٣٩٨) «الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية» للميرزا جواد التبريزي .
 (٣٩٩) «بحار الأنوار» لمحمد بقر المجلسي .
 (٤٠٠) «نهج البلاغة المنسوب زوراً إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه» .

- (٤٠١) «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» للميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي .

- (٤٠٢) «توضيح نهج البلاغة» للسيد محمد الحسيني الشيرازي .
 (٤٠٣) «شرح نهج البلاغة» للسيد عباس علي الموسوي .
 (٤٠٤) «مفاهيم القرآن» لجعفر سبحاني .
 (٤٠٥) «الإشافي في الإمامة» للشريف المرتضى .
 (٤٠٦) «كتاب الحجّة» لصدر الدين الشيرازي .
 (٤٠٧) «تفسير القمي» .
 (٤٠٨) «الأنوار النعمانية» لنعمت الله الجزائري .
 (٤٠٩) «الثورة البائسة» لموسى الموسوي .
 (٤١٠) «كشف الأسرار» للخميني .
 (٤١١) «تحرير الوسيلة» للخميني .

ب - كتب البابية والبهائية :

- (٤١٢) «الكواكب الدرية في مآثر البهائية» .
 (٤١٣) «قرة العين» - طبع المحفل البهائي الباكستاني .
 (٤١٤) «الأقدس» للبهاء المازندراني .
 (٤١٥) «مطالع الأنوار» للمازندراني البهاء .
 (٤١٦) «البيان العربي» للباب الشيرازي .
 (٤١٧) «الكلمات البهائية» لحسين بن علي البهاء - طبع لجنة النشر البهائية
 - كراتشي - باكستان .
 (٤١٨) «نقطة الكاف» للمرزة جاني الكاشاني البابي - طبع ليدن - تحقيق
 بروفيسور برؤن .
 (٤١٩) «المبين» للمازندراني .
 (٤٢٠) «الإيقان» لحسين علي المازندراني (البهاء) .

(٤٢١) «لوح ابن ذئب» للمازندراني .

(٤٢٢) «مطالع الأنوار» لنبيل الزرندي البهائي - طبع عربي .

(٤٢٣) «إشراقات» للمازندراني .

(٤٢٤) «مكاتيب عبد البهاء» لعباس بن البهاء .

ج - كُتُبُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ :

(٤٢٥) «رسائل إخوان الصفا» .

(٤٢٦) «كتاب اثبات النبوات» للسجستاني الإسماعيلي - بيروت .

(٤٢٧) «كتاب الافتخار» للسجستاني الإسماعيلي - بيروت .

(٤٢٨) «كنز الولد» للحامدي (إسماعيلي) .

(٤٢٩) «المجالس المستنصرية (إسماعيلي)» تحقيق دكتور محمد كامل

حسين - دار الفكر العربي .

(٤٣٠) «الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد - بتحقيق الأعظمي - دار

الثقافة - بيروت .

(٤٣١) «المجالس والمسامرت» للنعماني - طبع تونس (إسماعيلي) .

(٤٣٢) «رسالة الأصول والأحكام» للدعي حاتم بن عمران -

(إسماعيلي) - بيروت .

(٤٣٣) «كتاب الإيضاح» لأبي فراس (إسماعيلي) - طبع عارف تامر -

المطبعة الكاثوليكية - بيروت .

(٤٣٤) «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور (إسماعيلي) .

□ كُتُبُ الدَّرُوزِ :

(٤٣٥) «رسالة البلاغ والنهاية والتوحيد» لحمزة بن علي الزوزني - (دروز) .

□ كُتُبُ النَّصِيرِيَّةِ :

(٤٣٦) «الهفت الشريف (نصيري)» .

□ كُتُبُ القاديانية:

- (٤٣٧) «توضيح المرام» للقادياني .
- (٤٣٨) «سفينة نوح» للغلام القادياني .
- (٤٣٩) «وحي المقدس» للقادياني .
- (٤٤٠) «براهين أحمدية» للقادياني .
- (٤٤١) «مواهب الرحمن» للقادياني .
- (٤٤٢) «حقيقة الوحي» للقادياني .
- (٤٤٣) «إزالة الأوهام» للقادياني .
- (٤٤٤) «الفرق في آدم والمسيح الموعود» للقادياني .
- (٤٤٥) «مرآة كمالات الإسلام» للقادياني .
- (٤٤٦) «در ثمنين» للقادياني .
- (٤٤٧) «الحكم السماوي» للقادياني .
- (٤٤٨) «ترياق القلوب» للقادياني .

□ كُتُبُ القرائين:

- (٤٤٩) «مقالات سرسيد» للسيد أحمد خان - جمع وترتيب محمد إسماعيل - طبع لاهور .
- (٤٥٠) «تحرير في أصول التفسير» لسيد خان .
- (٤٥١) «تفسير الجن ولجان على ما في القرآن» لسيد أحمد خان .
- (٤٥٢) «تحقيق الجهاد لجزاغ علي» ترجمة غلام حسين - لاهور - باكستان .
- (٤٥٣) «أعظم الكلام في ارتقاء الإسلام» لجزاغ علي - ترجمة عبدالحق - لاهور .
- (٤٥٤) «منهاج الحق» لمحج الحق .
- (٤٥٥) «بلاغ لحق» لمحج الحق .

- (٤٥٦) «نوادرات» للحافظ أسلم .
 (٤٥٧) «فرقة أهل القرآن» لبرويز .
 (٤٥٨) «مقام حديث» للحافظ أسلم .
 (٤٥٩) «نكات قرآن» للحافظ أسلم .
 (٤٦٠) «ترك افتراء تعامل» لعبدالله جكرالوي .
 (٤٦١) «تبويب القرآن» لبرويز .
 (٤٦٢) «قرآني قوانين» لبرويز .
 (٤٦٣) «منزل به منزل» لبرويز .
 (٤٦٤) «تعليمات قرآن» للحافظ أسلم .
 (٤٦٥) «ترجمة القرآن» لجكرالوي .

□ كتب منكري السنة:

- (٤٦٦) «أضواء على السنة المحمدية» لأبي رية .
 (٤٦٧) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية» للسيد صالح أبو بكر .

□ كتب الفلاسفة:

- (٤٦٨) «رسالة أضحوية في أمر المعاد» لابن سينا - تحقيق د . سليمان دنيا .
 (٤٦٩) «الإشارات والتهنئات» لابن سينا - تحقيق د . سليمان دنيا .
 (٤٧٠) «فصوص الحكم» للفارابي .
 (٤٧١) «المدينة الفاضلة» للفارابي تأليف الدكتور علي عبدالواحد .
 (٤٧٢) «حي بن يقظان» لأبي بكر بن طفيل الأندلسي .
 (٤٧٣) «الفوز الأصغر» لأبي علي أحمد بن مكسويه .

ص - فلاسفة كتب الصوفية:

- (٤٧٤) «الفتوحات المكيّة» لمحي الدين بن عربي .

- (٤٧٥) «فصوص الحكم» لابن عربي .
- (٤٧٦) «شرح الفصوص» للقاشاني .
- (٤٧٧) «ديباجة ديوان ابن الفارض» لسبط ابن الفارض .
- (٤٧٨) «الإنسان الكامل» للجيلي - دار الفكر - بيروت .
- كتب مُضَلَّة:
- (٤٧٩) «مفهوم النص» لنصر حامد أبو زيد - طبع القاهرة .
- (٤٨٠) «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبو زيد .
- (٤٨١) «الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية» لنصر أبو زيد .
- (٤٨٢) «حوار حول قضايا إسلامية» لفرج فودة .
- (٤٨٣) «الحقيقة الغائبة» لفرج فودة .
- (٤٨٤) «الطائفية إلى أين؟» لفرج فودة .
- (٤٨٥) «آية جيم» لحسن طلب - الهيئة العامة للكتاب .
- (٤٨٦) «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن الترابي - الدار السعودية للنشر .
- (٤٨٧) «تجديد أصول الفقه» لحسن الترابي - الدار السعودية للنشر .
- (٤٨٨) «الدين والفن» للترابي - الدار السعودية للنشر .
- (٤٨٩) «ثورة الإسلام» لأحمد زكي أبو شادي - مكتبة الحياة - بيروت .
- (٤٩٠) «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرازق .
- (٤٩١) «التراث والتجديد» للدكتور حسن حنفي .
- (٤٩٢) «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر» للدكتور حسن حنفي - دار
لتنوير بيوت .
- (٤٩٣) «الإسلام السياسي» لمحمد سعيد العشماوي .
- (٤٩٤) «معالم الإسلام» لمحمد سعيد العشماوي .
- (٤٩٥) «أصول الشريعة» للعشماوي .

(٤٩٦) «تاريخية الفكر العربي المعاصر» لمحمد عركون - مركز الإغناء القومي .

(٤٩٧) «الخطاب العربي المعاصر» لمحمد عابد الجابري .

(٤٩٨) «الفكر الإسلامي والتطور» للدكتور محمد فتحي عثمان - الدار الكويتية .

(٤٩٩) «الفتنة الكبرى» لطف حسين - دار المعارف - القاهرة .

(٥٠٠) «النشر الفني في القرن الرابع الهجري» للدكتور زكي مبارك - دار الجليل - بيروت .

(٥٠١) «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ .

(٥٠٢) «المعتزلة وأصول الحكم» لمحمد عمارة - سلسلة الهلال .

(٥٠٣) «الإسلام وقضايا العصر» للدكتور محمد عمارة .

(٥٠٤) «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين - طبعة مدبولي - القاهرة .

(ع) كتب الرقائق

(٥٠٥) «الزهد والرقائق» لعبدالله بن المبارك تحقيق د. أحمد فريد . طبع القاهرة .

(٥٠٦) «الآداب الشرعية» لابن مفلح .

(٥٠٧) «إغاثة اللهفان» لابن القيم الجوزية .

(٥٠٨) «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية .

(٥٠٩) «طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية - المكتبة السلفية - القاهرة .

(٥١٠) «التعرف لمذهب أهل التصوف» .

(٥١١) «مقامات ابن الجوزي» لابن الجوزي - دار فوزي للطباعة .

(٥١٢) «المدهش» لابن الجوزي - دار مروان للطباعة .

(٥١٣) «مقامات عائض القرني» لعائض القرني - دار الصحابة - الإمارات .

- (٥١٤) «محمد ﷺ كأنك تراه» لعائض القرني - دار ابن حزم .
- (٥١٥) «المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي» للدكتور محمود سالم محمد - دار الفكر - سورية .
- (٥١٦) «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزي - مطبعة أنصار السنة - مصر .
- (٥١٧) «الثبات على دين الله وأثره في حياة المسلم» للشيخ الأمين الصادق الأمين - طبع دار ابن الجوزي - السعودية .
- (٥١٨) «طبائع الاستبداد» لعبدالرحمن الكواكبي .
- (٥١٩) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور عبداللّه عزّام .
- (٥٢٠) «الإيمان والحياة» للدكتور يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة - مصر .
- (٥٢١) «الزهد» لهناد بن السري .
- (٥٢٢) «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية - المطبعة السلفية - مصر .
- (٥٢٣) «الداء والدواء» لابن القيم .
- (٥٢٤) «شفاء العليل» لابن قيم الجوزية .

(ل) كتب اللغة والشعر

- (٥٢٥) «تاج العروس» .
- (٥٢٦) «لسان العرب» لابن منظور .
- (٥٢٧) «من أسرار التعبير القرآني» دراسة تحليلية لسورة الأحزاب للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - مصر .
- (٥٢٨) «ديوان الشوقيات» لأحمد شوقي .
- (٥٢٩) «ديوان حسّان بن ثابت - تحقيق د. سيد حنفي - دار المعارف القاهرة .
- (٥٣٠) «الكامل» للمبرد «ديوان الصرصري» .
- (٥٣١) «اللزوميات» لأبي العلاء المعري .

(٥٣٢) «مقدمة في الشعر العربي» لأودونيس .

(٥٣٣) «الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة، وخطره» للدكتور عدنان

النحوي - دار النحوي .

مجلات وصحف

- (٥٣٤) مجلة «الطلیعة» القاهرية .
- (٥٣٥) مجلة «المنار» لمحمد رشيد رضا مجلد (٦) .
- (٥٣٦) مجلة «المنار الجديد» العدد (٢٣) .
- (٥٣٧) مجلة «الدعوة» العدد (٧) .
- (٥٣٨) مجلة «إيداع» عدد (١٢) .
- (٥٣٩) مجلة «الاعتصام» سبتمبر ١٩٦٣ .
- (٥٤٠) مجلة «أهل حديث الأمرتسرية» عدد مارس ١٩٣٣ .
- (٥٤١) صحيفة «الشرق الأوسط» .
- (٥٤٢) صحيفة «الحياة» اللندنية .
- (٥٤٣) صحيفة «الأهرام» (٥/٢٦)، (٢/٦/٨٩) .
- (٥٤٤) جريدة «الأسبوع» .
- (٥٤٥) «النيوزويك» الأمريكية عدد (١١/٣/٢٠٠٣) .
- (٥٤٦) مجلة «التمدن الإسلامي» - مجلد ٤٤ - عدد ٧ .
- (٥٤٧) مجلة «المختار الإسلامي» عدد (٢٨٦)، (٢٧٣) .
- (٥٤٨) جريدة «الأهالي» .
- (٥٤٩) مجلة «السياسة الأسبوعية» (٣١/١٢/١٩٢٧) .
- (٥٥٠) جريدة «الأحرار» (٣١/٨/١٩٩٩) .
- (٥٥١) مجلة «حصاد الفكر» العدد (١٦٨) .
- (٥٥٢) مجلة «العربي» (٣٠٧) .

- (٥٥٣) مجلة «البلاغ» .
- (٥٥٤) مجلة «اليقظة العربية» القاهرية .
- (٥٥٥) مجلة «منار الإسلام» .
- (٥٥٦) مجلة «اليسار الإسلامي» العدد الأول .
- (٥٥٧) مجلة «الوعي الإسلامي» .
- (٥٥٨) مجلة «آفاق عربية» عدد (٦١٠)، (٦١٦) .
- (٥٥٩) جريدة «الوفد» (١٩٩٢ / ٦ / ٢٥) .
- (٥٦٠) جريدة «الشعب» (٩٢ / ٦ / ٣٠) .
- (٥٦١) مجلة «البحوث الإسلامية» - العدد الخامس - محرم ١٤٠٠ هـ .
- (٥٦٢) مجلة «المجتمع الكويتية» عدد (٣٩٣)، (٤٨٨)، (٥٥٧) .
- (٥٦٣) جريدة «الشعب» العدد (٣٣١) .
- (٥٦٤) مجلة «الأسرة العربية» عدد (٢٨٣٧) .
- (٥٦٥) مجلة «روزاليوسف» - العدد (٣٨٠٩) .
- (٥٦٦) مجلة «الرسالة» .
- (٥٦٧) صحيفة «عقيدتي» .
- (٥٦٨) صحيفة «الجمهورية» .
- (٥٦٩) صحيفة «العالم الإسلامي» .
- (٥٧٠) صحيفة «الأنباء» الكويتية .
- (٥٧١) مجلة «ناشيونال ريفيو» .
- (٥٧٢) مجلة «البيان» عدد (٢٢٣) .
- (٥٧٣) جريدة «العربي» .
- (٥٧٤) جريدة «النبا» .
- (٥٧٥) مجلة «التوحيد» .

- (٥٧٦) جريدة «أخبار العالم الإسلامي» .
(٥٧٧) مجلة «البعث الإسلامي» .
(٥٧٨) جريدة «الفجر» .
(٥٧٩) مجلة «أكتوبر» .
(٥٨٠) تقرير رابطة العالم الإسلامي .
(٥٨١) جريدة «المدنية» .
(٥٨٢) جريدة «عكاظ» .
(٥٨٣) جريدة «الشرق الأوسط» .
(٥٨٤) شريط كاسيت لعائض القرني .
(٥٨٥) شريط كاسيت لسلمان العودة عن أوضاع المسلمين في البوسنة
والهرسك .



فهرس الموضوعات

فهرس موضوعات المجلد الرابع

- الموضوع الصفحة
- بل هي حرب على الرسول ﷺ والإسلام ٥-٢٢٦
- * الصليبي سمير جمعج قائد القوات الصليبية بلبنان يسب الرسول والمسلمين ٧
- * الحرب الصليبية العاشرة ٨
- * كلهم البابا «أوربان الثاني» ١٣
- * أمّا في بيت المقدس ١٨
- * بل هي حرب على الإسلام ٢١
- * من أوربان الثاني إلى البابا يوحنا بولس الثاني ٢١
- * رأي «يوحنا بولس الثاني» في القرآن ٢١
- * رأي البابا في إله المسلمين ٢١
- * عداوة دفينّة أبدية ٢٢
- * الصليبيون الإنجليز عند دخولهم الهند ٢٤
- * محاكم التفتيش في أسبانيا (من سنة ١٥٥٢ إلى سنة ١٦٠٩ م)
- * ومن أعداء الرسول ﷺ : الصليبيون الفرنسيون الذين احتلّوا الجزائر وفعّلوا بها الأفاعيل ٣٠
- * مجرمون أبالسة أعداء لرسول الله ﷺ ٣٢
- * هيلاسلاسي الصليبي الأثيوبي عدو الله ورسوله والمسلمين ٣٦
- * السفّاح الصليبي عدو رسول الله ﷺ «جوليوس نيري» ٣٨
- * التحالف الصليبي الوثني وعلى رأسه «تشارلز تايلور» يقتل ٢٥ ألف مسلم في ليبريا ٣٨
- * الصليبي القذر «يعقوب غاؤون» وإرادته القضاء على المسلمين في نيجيريا ٤٠
- * وفي «تشاد» ذبح الصليبيون الفرنسيون ٤٠٠ من خيرة علماء المسلمين ٤٠
- * نشيد الصليبيين الإيطاليين البغاة عند احتلالهم ليبيا ٤٠

- ٤١ * عُبَادُ البقر من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ
- ٤٢ * في ولاية «جامو وكشمير» المسلمة
- ٤٥ * أمّا هدم المساجد في الهند
- ٤٦ * عودة أخرى إلى «كشمير»
- ٤٦ * وإسلاماه
- ٤٧ * الهندوس واليهود
- * تركستان المسلمة والدب الروسي عدو الله ورسوله ﷺ القياصرة منهم
والشيوعيون
- ٤٨ * أغرب من الخيال «ستالين» عدو رسول الله ﷺ والمسلمين ينفي ما يزيد عن
(١, ٥) مليون مسلم عن بلادهم
- ٥٢ * أعداء الله ورسوله ﷺ من الروس - سواء القياصرة أم البلاشفة -
- ٥٣ * «إيفان الرهيب» (١٥٤٧ - ١٥٨٤ م)
- ٥٣ * القيصر بطرس الأول
- ٥٤ * مرة أخرى مع ستالين اللعين . . ومن أولئ منه بقعر الجحيم
- ٥٥ * وليله ليل سُكْرٍ وعربدة
- ٥٥ * وإسلاماه . . وإسلاماه
- ٥٧ * مسلمو البُشناق - البوسنة والهرسك وكوسوفو -، ووحشية الصُّرب
والكُرُواتِ الصليبيين أعداء الله ورسوله ﷺ
- ٥٧ * الصليبي ملك الصرب «كرال بيتر»
- ٥٨ * مذابح للمسلمين في الحرب العالمية الثانية «التشتنيك» الصربية، والصليبي
«دراجا ميخائيلوفتش» وزير خارجية يوغسلافيا عدو الله ورسوله ﷺ
- ٥٩ * هذا أول قُربانٍ في العيد
- ٦٣ * مذابح على نهر «درينا»، وتمجيد الكاتب الشيوعي «إيفوندريس» صاحب
جائزة «نوبل» عدو الله ورسوله لها
- ٦٣

- * السَفَّاح الكُرَوَاتِي «تيتو» جزَّار المسلمين الشيوعي عدو الله ورسوله ﷺ ٦٧
- * وإسلاماه . . وإسلاماه . . وإسلاماه ٧٣
- * مذابح المسلمين في البوسنة والهرسك سنة ١٩٩٢ ٧٣
- * الهنجره الواسعه التي تهدف إلى تفریغ الأرض من سكانها المسلمين بعملیات الإباده الوحشیه أو التهجير ٧٦
- * عدو الله ورسوله ﷺ السَفَّاح والجزَّار البربري رئيس الصرب الصليبي سلوبودان ميلوسيفتش ٧٨
- * هذي نماذج مما فعل هذا الخنزير بالمسلمين : المذبحة الكبرى في مدينة «ميلينا» ٨٠
- * المجازر اليومية في العاصمة سيراييفو ٨١
- * في مدينة «زخورنيك» ٨١
- * ما أشبه اليوم بالبارحة !! ٨٢
- * مذبحة كوبرس ٨٤
- * مذبحة دونمي فاكوف ٨٤
- * تقرير موجز عما خلَّفته الحرب في غضون ٣ أسابيع ٨٨
- * السَفَّاح الصربي الخنزير يستعين باليهود ٨٩
- * الصربي الصليبي «شيشل» يقترح إبادة الألبان ٩١
- * الصليب في الفلبين يشرف على قتل المسلمين ٩٢
- * البوذيون أعداء رسول الله ﷺ في «كمبوديا» يطردون المسلمين من المُدن، ويُدبرون المذابح البشعة لهم ٩٢
- * الصليبيون آكلو لحوم المسلمين ٩٣
- * «يلتسين» المجرم الروسي عدو الرسول ﷺ والإسلام وما فعل بأهل الشيشان ٩٤
- * أولاً: خسائر فادحة في الأنفس ٩٥
- * ثانياً: تدمير البنية الأساسية للتنظيم التعليمي ٩٥

- ٩٧ * كارثة بيئية وصحية
- ٩٧ * الرؤس الكفرة مصاصو الدماء
- ٩٧ * معجزة قرية «سامشكي»
- ١٠٤ * بوتين الرئيس الروسي عدو الله ورسوله ﷺ وعدو الحياة
- ١٠٦ * عدو الله ورسوله ﷺ المتعصب الروسي الأحق «جيرنوفسكي»
- ١٠٨ * «غودفروا كورت» الصليبي وكتابه «الصليب والهلal»
- ١٠٩ * الصليبي المجرم «بيوس الخامس»
- ١١٠ * أمريكا عدوة رسول الله ﷺ و«عاصفة الصحراء» أو «المجد للعدراء»
- * جرائم الإبادة الأمريكية للمسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها
- ١١٥ * القس المجرم عدو الله ورسوله ﷺ: زكريا بطرس، أقدر أهل الأرض
- ١١٧ * دعواه تحريف القرآن
- ١١٧ * دعوى تجسد الله وصفاته
- ١٢٢ * أخلاق نبي الإسلام عنده
- ١٢٨ * نبي الرحمة ﷺ
- ١٣٠ * دعواه التمتع بالأطفال والشذوذ!!
- ١٣١ * رأس الأفعى الصليبية
- ١٣٥ * المسرحية الملعونة «كنت أعمى والآن أبصر»
- * الجامعات التبشيرية في ديار المسلمين الكارهة لله ورسوله ﷺ وعلى رأسها
- ١٣٩ * «الجامعة الأمريكية»
- * وعن الدور التبشيري الخطير القذر الذي تلعبه الجامعة الأمريكية بمصر يحدثنا
- ١٤١ * البطل «عبدالقادر الحسيني» في تجربة خاصة معه
- ١٤٦ * مؤتمرات المبشرين:
- ١٤٦ * المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القاهرة سنة (١٩٠٦م)

- * مؤتمر «إدنبرج» التبشيري ١٥٤
- * نتائج مؤتمر «إدنبرج» ١٥٨
- * مؤتمر «لكنو» التبشيري ١٥٩
- * مؤتمرات أخرى ١٦٤
- * مجالات أنشطة المبشرين ١٦٦
- ١- التحدي المباشر للإسلام عن طريق المناظرة لعلماء المسلمين ١٦٦
- ٢- مجال الخدمات الصحية ١٦٧
- ٣- مجال تأسيس الكنائس والأديرة والرهبنات ١٦٧
- ٤- مجال تأسيس المدارس ١٦٧
- ومن الأمثلة على ذلك ١٦٨
- ٥- مجال الخدمات الاجتماعية المختلفة ١٦٨
- ٦- مجال العلاقات الاجتماعية ١٦٨
- ٧- استغلال الأزمات والكوارث الفردية والاجتماعية ١٦٨
- ومن أمثلة ذلك ١٦٩
- ٨- تأسيس الإذاعات ١٧٠
- ٩- توزيع المطبوعات والمنشورات الداعية إلى النصراني ١٧٠
- ١٠- الإغراء بين الجنسين ١٧١
- ١١- تأسيس الجمعيات والمنظمات والنوادي ١٧١
- ١٢- المساعدة على افتتاح أكبر عدد ممكن من دور الخمر ١٧١
- ١٣- الاهتمام بالمجتمعات الإسلامية النامية والنائية ١٧٢
- ١٤- استغلال أشرطة «الكاسيت» ١٧٢
- ١٥- تأسيس منظمات سرية تعمل في الخفاء ١٧٢
- ١٦- مجال المسابقات بأنواعها ١٧٣
- ١٧- تأليف الكتب ١٧٤

- ١٨ - مجال الفنادق العالمية الكبرى ١٧٤
- ١٩ - استخدام الأسواق المُجمّعة «السوبر ماركت» ١٧٤
- ٢٠ - إنشاء معاهد لإعداد المنصرّين المتخصصين بتنصير المسلمين ١٧٥
- * التآزر بين المبشرّين والمستعمرين ١٧٥
- * الأموال التي تُجمع للتنصير مع إعداد المنصرّين ووسائل التنصير ١٨٤
- (١) «إينا نيويورك» ١٨٤
- (٢) وجاء في مقال كتبه «د. كامل الدقس» ١٨٤
- * ولنختم أخيراً بهذا الخبر «بيت الساحر» ١٨٥
- * دعاة السّفور والتبرجّ والإباحية ١٩٠
- * إن التبرجّ كبيرة مُهلكة ٢٠٤
- * والتبرجّ يجلب اللعن والطرّد من رحمة الله ٢٠٥
- * والتبرجّ من صفات أهل النار ٢٠٥
- * التبرجّ نفاق ٢٠٥
- * والتبرجّ تهتُّكٌ وفضيحة ٢٠٥
- * التبرجّ فاحشة ومقت ٢٠٦
- * لتبرجّ سنة إبليسيّة ٢٠٦
- * التبرجّ طريقة يهودية ٢٠٦
- * «الحُسن أسفر بالحجاب» (قصيدة) ٢٠٧
- * التبرجّ تخلّف وانحطاط ٢١٦
- * «لآلئ الأصداف» (قصيدة) ٢١٧

وهل يخفى القمر؟! .. الشناء على رسول الله ﷺ

٢٢٧ - ٤٤٥

من أكابر مفكّري الغرب

* وهل يخفى القمر ٢٢٩

* جورج برنارد شو ٢٣١

- ٢٣٢ * هاملتون جب
- ٢٣٣ * مايكل هارت
- ٢٣٨ * برنارد لويس
- ٢٤٣ * الفيلسوف الشهير لاون تولستوي الروسي
- ٢٤٥ * توماس كارليل الإنجليزي
- ٢٥٠ * فولتير
- ٢٥٧ * إدوارد جيبون
- ٢٦١ * المسيو «إميل درمنجم»
- ٢٦١ * وليم موير
- ٢٦٢ * دوزي
- ٢٦٣ * المؤرخ سيديو الفرنسي
- ٢٦٥ * المستشرق الإنجليزي «بودلي»
- ٢٦٥ * الكاتبة الإيطالية الدكتورة لورافيتشيا
- ٢٦٧ * الدكتور وغسطون كرسا الإيطالي
- ٢٦٨ * الكونت هنري دي كاستري
- ٢٧٦ * فارس الخوري اللبناني
- ٢٧٧ * بشارة الخوري اللبناني
- ٢٧٨ * الدكتور شبلي شميل اللبناني
- ٢٧٨ * الدكتور نظمي لوقا
- ٢٨٠ * الشاعر بولس سلامة اللبناني
- ٢٨٣ * صموئيل زويمر الإنكليزي
- ٢٨٣ * ديسون الألماني
- ٢٨٤ * برتلمي سانت هليار السويسري
- ٢٨٤ * القس لوزان الفرنسي

- ٢٨٥ * جورج سيمون
- ٢٨٥ * اللورد هيدلي وإسلامه
- ٢٨٦ * كيف أسلم اللورد هيدلي؟
- ٢٩٠ * جون وانتبورت السويسري
- ٢٩١ * البرنس كاتيان الإيطالي
- ٢٩١ * العلامة كارل ماكس الألماني
- ٢٩٢ * ومن ألمانيا:
- ٢٩٢ * الشاعر المعروف جايتي الألماني
- ٢٩٢ * الكاتب الشهير دريتسي الألماني
- ٢٩٢ * الهر ماركوس الألماني
- ٢٩٣ * العلامة برتلي سانت هيلر الألماني
- ٢٩٤ * الدكتور تيودور نولدكه الألماني
- ٢٩٤ * العلامة كارل هينرش بكر الألماني
- ٢٩٥ * ويلكي كولنز الألماني
- ٢٩٥ * القس ميشون الألماني
- ٢٩٥ * شاعر ألمانيا الكبير «جوته»
- ٣٠٤ * العلامة ديسون الفرنسي
- ٣٠٥ * الفيلسوف الألماني شبلنجر
- ٣٠٦ * بول ديورانت
- ٣٠٦ * أنا ماري شمیل أعظم من أنصف الإسلام في ألمانيا
- ٣١٠ * المؤرخ ديكنز
- ٣١١ * المفكر الألماني الدكتور مراد هوفمان
- ٣١١ * وليم سوير الإنكليزي
- ٣١١ * وليم ميو الإنكليزي

- * المؤرخ الكبير فتلي الإنجليزي ٣١٢
- * الليدي إيفيلين كوبرلد ٣١٣
- * جون أروكس الإنجليزي ٣١٣
- * العلامة جون جب الإنجليزي ٣١٤
- * ماركودار الإنجليزي ٣١٤
- * هربرت سبنسر الإنجليزي ٣١٤
- * بالمر الإنكليزي ٣١٥
- * البحّاة ستانلي جيفونس البريطاني ٣١٥
- * صموئيل مارغليوث الإنكليزي ٣١٦
- * موير الإنجليزي ٣١٦
- * العلامّة هيليار بلاون البريطاني ٣١٧
- * تشارلز إرمان البريطاني ٣١٨
- * العلامّة ماكس مولر الإنكليزي ٣١٨
- * بوسورت سميث الإنكليزي ٣١٩
- * جورج بروك عضو البرلمان الإنجليزي ٣٢٠
- * داز الإنكليزي ٣٢٠
- * جون ديفولبوت البريطاني ٣٢٢
- * إدوارد لين الإنجليزي ٣٢٢
- * والفضل ما شهدت به الأعداء ٣٢٣
- * العلامّة لين بول الإنجليزي ٣٢٣
- * كارين أرمسترونج الراهبة البريطانية تدافع عن الإسلام ٣٢٤
- * ومن فرنسا: ٣٤١
- * القس إسحاق تيلر الفرنسي ٣٤١
- * إميل برنامكام الفرنسي ٣٤١

- ٣٤٢ * العلامّة الكبير غوستاف لوبون الفرنسي
- ٣٤٤ * إدوار مونتيه الفرنسي
- ٣٤٥ * ألفونس دي لامارتين الفرنسي
- ٣٤٦ * جول لابوم الفرنسي
- ٣٤٦ * ميسمر الفرنسي
- ٣٤٧ * الأب إسكندر دوماس الفرنسي
- ٣٤٧ * جان بروا الفرنسي
- ٣٤٨ * برتلمي سانت هيليار الفرنسي
- ٣٤٨ * المؤرخ الشهير لاتيس الفرنسي
- ٣٤٩ * العلامّة كليمان هوار الفرنسي
- ٣٤٩ * الكاتب المعروف ديسون الفرنسي
- ٣٥٠ * الأستاذ دافيد دي لويس الفرنسي
- ٣٥٠ * شانليه الفرنسي
- ٣٥٠ * الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي
- ٣٥١ * العلامّة رينيه غروسه الفرنسي
- ٣٥١ * العلامّة لا بلابس الفرنسي
- ٣٥٢ * بوستل غليوم الفرنسي
- ٣٥٢ * ويغان مكسيم الفرنسي
- ٣٥٢ * رينيه ديكارت الفرنسي
- ٣٥٣ * دي سلان ماك غوكين الفرنسي
- ٣٥٤ * سيفتردي ساسي الفرنسي
- ٣٥٤ * هيليار بلوك الفرنسي
- ٣٥٥ * برتلمي هربلو الفرنسي
- ٣٥٥ * الدكتور وايل الفرنسي

- * كوسان دي برسفال الفرنسي ٣٥٦
- * العلامّة ساديو لويس الفرنسي ٣٥٦
- * العلامّة لوزن الفرنسي ٣٥٧
- * الدكتور موريس أندارا الفرنسي ٣٥٨
- * جان تورنون كرو الفرنسي ٣٥٨
- * ديته فنان الفرنسي ٣٦٠
- * البحّاة كاوادوفو الفرنسي ٣٦٠
- * البحّاة ليون دوني الفرنسي ٣٦١
- * الفيلسوف الفرنسي روجية جارودي ٣٦١
- * الدكتور جرينيه ٣٦٩
- * ومن أمريكا ٣٧٠
- * الدكتور ليتنز الأمريكي ٣٧٠
- * أندرا وليامس الأمريكي ٣٧٠
- * العلامّة واشنطن إروينك الأمريكي ٣٧١
- * هارون ماركوس الأمريكي ٣٧١
- * جورج دي تولدز الأمريكي ٣٧٢
- * المؤرخ الكبير المستر أورينج الأمريكي ٣٧٣
- * ستنلي لبن بول الأمريكي ٣٧٣
- * العلامّة ماكس الأمريكي ٣٧٣
- * سنكس الأمريكي ٣٧٤
- * الدكتور بيروودج الأمريكي ٣٧٥
- * المؤرخ إريك بنتام الأمريكي ٣٧٥
- * ومن سويسرا: ٣٧٦
- * الدكتور بندلي جوزي السويسري ٣٧٦

- ٣٧٦ * هربت وايل السويسري
- ٣٧٧ * حناد اكبرت السويسري
- ٣٧٧ * ميسمر السويسري
- ٣٧٨ * سيدللو السويسري
- ٣٧٨ * ر. ف: بودلي السويسري
- ٣٧٩ * العلامة ماكس فان برشم السويسري
- ٣٧٩ * العلامة فونابلس السويسري
- ٣٨١ * ومن سويسرا أيضاً. . إدوار مونته السويسري
- ٣٨١ * ومن كندا:
- ٣٨١ * جيون الكندي
- ٣٨١ * داور أرلوهات الكندي
- ٣٨٢ * زويمر الكندي
- ٣٨٢ * ومن أسبانيا:
- ٣٨٢ * العلامة لبيار الأسباني
- ٣٨٣ * الدكتور تورتو كرو الأسباني
- ٣٨٣ * العلامة جولد تسيهر الأسباني
- ٣٨٤ * المؤرخ الكبير الدكتور ريتين الأسباني
- ٣٨٤ * إريك بتام الأسباني
- ٣٨٥ * ألبيلير إنكولويديا الأسباني
- ٣٨٥ * جان ليك الأسباني
- ٣٨٦ * العلامة سان إليار الأسباني
- ٣٨٧ * ومن روسيا:
- ٣٨٧ * ماكس مايرهوف الروسي
- ٣٨٧ * آرلونوف الروسي

- ٣٨٨ * العلامّة جان ميكائيليس الروسي
- ٣٨٩ * ومن الهند:
- ٣٨٩ * جواهر لال نهرو
- ٣٩٠ * ومن هولندا:
- ٣٩٠ * العلامّة «وٲ» الهولندي
- ٣٩١ * العلامّة فلوتن يان الهولندي
- ٣٩١ * راينهارت دوزي الهولندي
- ٣٩٢ * ومن إيطاليا
- ٣٩٢ * العلامّة لورافكشيا فاليري الإيطالي
- ٣٩٣ * المحامي العلامّة غوسطن كرسنا الإيطالي
- ٣٩٣ * ميخائيل أماري الإيطالي
- ٣٩٤ * ومن بلجيكا:
- ٣٩٤ * الدكتور هنري ماسه البلجيكي
- ٣٩٤ * ألفرد ألفانز البلجيكي
- ٣٩٤ * العلامّة إدوارد جيون البلجيكي
- ٣٩٥ * ومن اسكتلندا
- ٣٩٥ * روبرستن سميث الأسكتلندي
- ٣٩٥ * وليم مور الأسكتلندي
- ٣٩٦ * روبرت اسميث الأسكتلندي
- ٣٩٧ * ومن أيرلندا:
- ٣٩٧ * جون ديفو الأيرلندي
- ٣٩٧ * موير الأيرلندي
- ٣٩٨ * هربرت وايل الأيرلندي
- ٣٩٨ * ومن الأرجنتين

- ٣٩٨ * البَحَّاثَةُ جُون دِيفُو الْأَرْجَنْتِينِي
- ٣٩٨ * دُون بَايْرُون الْأَرْجَنْتِينِي
- ٣٩٩ * وَمَنْ الْمَجْر:
- ٣٩٩ * الدِّكْتُورُ إِيْلْيُوسُ جِرْمَانُوسُ الْمَجْرِي
- ٤٠٠ * وَمَنْ أُسُوج:
- ٤٠٠ * كَاذَانُوفَا الْأُسُوجِي
- ٤٠٠ * الْعَلَامَةُ سِينْرِسْتِنُ الْأُسُوجِي
- ٤٠١ * رُودْلَفُ دِتُورَاكُ الْأُسُوجِي
- ٤٠١ * مَاكْسُ سَايْكَسُ الْأُسُوجِي
- ٤٠٢ * غُوسْتَاْفُ الْأُسُوجِي
- ٤٠٢ * وَمَنْ يُوغْسَلَاْفِيَا
- ٤٠٢ * الدِّكْتُورُ أَلْتْرِبْتِكِينُ الْيُوغْسَلَاْفِي
- ٤٠٢ * الدِّكْتُورُ وِيلْسِنُ الْيُوغْسَلَاْفِي
- ٤٠٣ * وَمَنْ لِبْنَان:
- ٤٠٣ * الْأُسْتَاذُ رَشِيدُ سَلِيمُ الْخُورِي الْلِبْنَانِي
- ٤٠٣ * جُورْجُ جِرْدَاقُ الْلِبْنَانِي
- ٤٠٤ * أَمِينُ بَكُ نَخْلَةُ الْلِبْنَانِي
- ٤٠٥ * لَبِيبُ الرِّيَاشِي الْلِبْنَانِي
- ٤٠٦ * الْكَاتِبُ مِيخَائِيلُ طَعْمَةُ
- ٤٠٦ * الدِّكْتُورُ شَبْلِي شَمِيْلُ الْلِبْنَانِي
- ٤٠٧ * الْأُسْتَاذُ حَنَّاْ خَيْرُ اللَّهِ الْلِبْنَانِي
- ٤٠٧ * شَبْلِي الْمَلَاطُ الْلِبْنَانِي
- ٤٠٨ * الشَّاعِرُ مَحْبُوبُ الْخُورِي الشَّرْتُونِي الْلِبْنَانِي
- ٤٠٨ * وَمَنْ سُورِيَا

- ٤٠٨ * إلياس فامور السوري
- ٤٠٩ * قسطاكي الحمصي السوري
- ٤١٢ * الأستاذ ميشيل عفلق السوري
- ٤١٣ * الدكتور نجيب أرنازي المصري
- ٤١٤ * عبدالمسيح أفندي وزير المصري
- ٤١٥ * البحّثة جرجي زيدان
- ٤١٧ * الدكتور نيس الأندونيسي
- ٤١٧ * «رينيه جينو» «الشيخ عبدالواحد يحيى»
- ٤٢٠ * الفنان الفرنسي «ألفونس إيتين دينيه»
- ٤٢٢ * فاندبرج
- * الكاردينال «أشوك كولن يانق» أمين عام «مجلس الكنائس العالمي» لوسط
وشرق أفريقيا سابقاً يشهر إسلامه
- ٤٢٣ * رسالة عيسى
- ٤٢٥ * اللحظة الفاصلة
- ٤٢٧ * لست مجنوناً
- ٤٢٨ * الكاردينالية
- ٤٢٩ * يا له من دين أتى به محمد ﷺ لو أن له رجالاً
- ٤٣١ * مرجليوث يثني على القرآن
- ٤٣١ * مونجمرى وات
- ٤٣٢ * إدوارد مونتيه
- ٤٣٢ * جرونيباوم
- ٤٣٥ * صفاء العقيدة الإسلامية وقوتها
- ٤٣٥ * إدوارد جيون
- ٤٣٧ * الغرب عاش على تشويه الإسلام

- * الإسلام دين التقدم والحضارة وهو دين المستقبل ٤٣٨
- * برنارد لويس ٤٣٨
- * هربرت فيشر ٤٣٩
- * مارسيل بوازار ٤٣٩
- * عالمية الإسلام ٤٤٢
- * المستقبل للإسلام ٤٤٢
- * روجيه دي باسكيه ٤٤٢

فصل: وقفات فقهية مع حكم سب النبي ﷺ

والاستهزاء به ولمزه والطعن فيه وفي رسالته ٤٤٧ - ٥٩٢

- * سب النبي ﷺ أو تنقصه بتعريض أو نص ٤٤٩
- * تعريف «السب» ٤٤٩
- * الألفاظ ذات الصلة بالسب ٤٤٩
- أ- العيب ٤٤٩
- ب- اللعن ٤٥٠
- ج- القذف ٤٥٠
- * بيان ما هو في حقه ﷺ سب أو نقص من تعريض أو نص ٤٥١
- * حكم من سب النبي ﷺ ٤٦١
- * سب المسلم للنبي ﷺ ٤٦١
- * سب الذمي النبي ﷺ ٤٦١
- * التعريض بسب الأنبياء ٤٦٢
- * سب السكرن النبي ﷺ ٤٦٣
- * المكروه على سب النبي ﷺ ٤٦٤
- * الأدلة على كفر ساب الرسول ﷺ وشاتمته والمستهزئ به والمتنقص ٤٦٥
- * الدليل الأول: [التوبة: ٦١] ٤٦٥

- * الدليل الثاني: [التوبة: ٦٤-٦٦] ٤٦٩
- * الدليل الثالث: [التوبة: ٥٨] ٤٧١
- * الدليل الرابع: [النساء: ٦٥] ٤٧٢
- * الدليل الخامس: [الأحزاب: ٥٧-٥٨] ٤٧٣
- * الدليل السادس: [الحجرات: ٢] ٤٧٥
- * الدليل السابع: [النور: ٦٣] ٤٧٧
- * الدليل الثامن: [الأحزاب: ٥٣] ٤٧٩
- * الأدلة من السنة: ٤٨٢
- * الحديث الأول ٤٨٢
- * الحديث الثاني ٤٨٣
- * الحديث الثالث ٤٨٥
- * الحديث الرابع ٤٨٩
- * الحديث الخامس: قصة العصماء بنت مروان ٤٩٢
- * ووجه الدلالة ٤٩٥
- * الحديث السادس ٤٩٦
- * الحديث السابع ٤٩٦
- * وجه الدلالة ٤٩٨
- * الحديث الثامن ٥٠٠
- * الحديث التاسع ٥٠٩
- * الحديث العاشر ٥١٢
- * الحديث الحادي عشر ٥١٤
- * قصة الحويرث بن نُقيد ٥١٥
- * سُنَّةُ اللَّهِ فيمن لا يقدر المسلمون على الانتقام منه ٥٢٠
- * الحديث الثاني عشر ٥٢٢

- * إجماع الصحابة على كفر سبِّ الرسول ﷺ ٥٢٥
- * حُكْم مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ وَجُوبُ قَتْلِهِ ٥٢٨
- * الأدلة على انتقاض عهد الذمِّ السَّبِّ ٥٣٤
- * أحدها: ٥٣٤
- * الموضوع الثاني: ٥٣٥
- * الموضوع الثالث: ٥٣٦
- * الموضوع الرابع: ٥٤٢
- * الموضوع الخامس: ٥٥٠
- * مسألة: يتعيَّن قتل السابِّ، ولا يجوز استرقاقه ولا المَنُّ عليه، ولا فداؤه ٥٥١
- * الأدلة على أنه يتعيَّن قتل الذمِّيِّ، ولا يجوز استرقاقه ٥٥٣
- * الدليل الأول: ٥٥٤
- * الدليل الثاني: ٥٥٤
- * الدليل الثالث: ٥٥٤
- * الدليل الرابع: ٥٥٥
- * الدليل الخامس: أقاويل الصحابة، فإنها نصوص في تعيين قتله ٥٥٥
- * الدليل السادس: ٥٥٦
- * الدليل السابع: ٥٥٧
- * الدليل الثامن: ٥٦٢
- * الدليل التاسع: ٥٦٢
- * وقفات شرعية مع جريمة الإساءة إلى مقام النبي ﷺ ٥٦٥
- * خصائصه ﷺ ٥٦٩
- * فمن الخصائص الدنيوية ٥٦٩
- * وأما خصائصه الأخروية فمنها ٥٦٩
- * ولنا مع هذا الحديث ووقفات ٥٧١
- * أولاً: مصالح وبشارات ٥٧١

- * اختلاف العلماء وانقسامهم ٥٧١
- * علو الصوت الإسلامي ٥٧٢
- * في الأمة خير كثير ٥٧٢
- * توحيد صفوف المسلمين ٥٧٢
- * إحياء جذوة الإيمان في قلوب المسلمين ٥٧٣
- * ظهر في الأزمة أن أهل التوحيد الخالص هم أهل النصره والمحبة الحقيقية ٥٧٣
- * تبين من الأزمة حرص عددٍ من الغيورين على الدعوة إلى الإسلام، وبيان الصورة المشرفة الحقيقية لهذا الدين ٥٧٣
- * مسايرة الإعلام وبعض كبار المسؤولين لمواقف الشعوب الإسلامية وحركتها المباركة ٥٧٤
- * ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ ٥٧٤
- * ظهور اتحاد الغرب على الإسلام ٥٧٥
- * ظهور الحقد الصليبيّ الدفين ٥٧٥
- * اتضاح غطرسة الغرب وعناده ٥٧٥
- * اتضاح موقف المنافقين ٥٧٥
- * ازدياد أهمية التقليل من الحجم الهائل لمستوردات الدول الإسلامية من العالم الغربي ٥٧٦
- * ظهور جدوى تلك المقاطعة التي قام بها المسلمون لمنتجات المعتدين على مقام الرسول الكريم ﷺ ٥٧٦
- * المقاطعة الاقتصادية ٥٧٦
- * أمّا من ناحية الحكم لشرعي للمقاطعة الاقتصادية ٥٧٧
- * دعوات وشعارات تساقطت ٥٧٩
- * المُخذّلون كُثُر ٥٨١
- * أمر الشارع بإنكار المنكر مثال واقعي لاعتبار ردود الأفعال في الشريعة ٥٨٤
- * الغضب على انتهاك حرّات الله صورة من صور ردود الأفعال المأمور بها ٥٨٤

- * بل إن التعامل بردّ الفعل أمر جبلي ٥٨٥
- * ومن أمثلة ردود الأفعال من السنة ٥٨٥
- * ومن ردود أفعال الصحابة رضي الله عنهم بحضرته صلى الله عليه وسلم ٥٨٦
- * الواجب علينا ٥٨٧
- * ليس من النصرة ٥٩١
- * فليس من النصرة ٥٩١
- ذبُّ الشعراء عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم (إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٥٩٣ - ٧٢٤
- * جمال محمد للدكتور عبدالمعطي الدالاتي ٥٩٥
- * حديث الدموع للدكتور عبدالمعطي الدالاتي ٥٩٦
- * رسالات الحب للدكتور عبدالمعطي الدالاتي ٥٩٦
- * مَنْ أَخْبَرَ الرُّوحَ أَنَّ المِصْطَفَى فِيهِ للدكتور عبدالمعطي الدالاتي ٥٩٧
- * نَجْوَى إِلَى ضَيْفِ حِرَاءِ للدكتور الدالاتي ٥٩٨
- * ومليارُ يسلم يا حبيبي للدكتور الدالاتي ٥٩٩
- * يا رسول الإسلام للدكتور الدالاتي ٦٠٠
- * إنا ليؤلمنا تطاول كافر لعبدالرحمن العشماوي ٦٠١
- * إله رسول الله لعيسى جرابا ٦٠٤
- * قسمًا يا ذا الوجه الأنور لمبارك المحيميد ٦٠٦
- * حاشا لوجهك أن يأتي به القلم للدكتور جهاديني عودة ٦٠٨
- * جلّ من ربّك لمحمد بن عبدالرحمن المقرن ٦١٤
- * في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأحمد محمد سعد ٦١٦
- * دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للدكتور ثامر القحطاني ٦١٧
- * جئنا إليك رسول الله نعتذر لماجد بن عبدالله الغامدي ٦١٩
- * أترى ستفتح في القلوب عظام؟ لسليمان الدويش ٦٢١
- * بأبي وأمي لرمضان عمر ٦٢٣

- ٦٢٧ لزياد بن عبدالغفار * الاعتذارية
- ٦٢٨ لحسن بن زريق القرشي * فذاك
- ٦٣٠ للدكتور عبدالرحمن الأهدل * أنسخرُ من شخص النبي
- ٦٣٢ للدكتور عبدالرحمن الأهدل * أتَهْزَأُ يا غُدْرُ بالمصطفى
- ٦٣٤ للدكتور عبدالرحمن الأهدل * أيها المسلمون في كل قطر
- ٦٣٥ للدكتور الأهدل * طه إمام المرسلين
- ٦٣٦ للدكتور فهد اليحيى * فداه دمي وصاغيتي
- ٦٤٥ لصالح بن علي العمري * إمام المرسلين فذاك روعي
- ٦٤٨ لمحمد محمود أحمد * يا رسول الله عذراً
- ٦٥٢ لعبدالكريم الحميد * لا يضرُّ القمرُ نُباحُ الكلاب!
- ٦٥٧ لسالم الفلق * حبي لأحمد
- ٦٥٩ لعمر البوسعادي * عائدون يا رسول الله
- ٦٦١ لعمر البوسعادي * عاد محمد ﷺ
- ٦٦٣ لعبدالله الحميري * عذراً رسول الهدى
- ٦٦٥ قصيدة * قصيدة
- ٦٦٧ ليعقوب العتيبي * في نصرة خير البرية
- ٦٦٩ ليوسف مسعود قطب * نصر المختار ودحر الفجار
- ٦٧٢ ! كيف يُسبُّ؟! لحسن علي النجار * هذا رسول الله ..
- ٦٧٣ للدكتور جمال بن صالح الجار الله .. * هو الرحمة المهداة
- ٦٧٥ لماجد الجهني * ولقد سمعنا ما يسوء قلوبنا
- ٦٧٨ لعبدالله البصري * واستمطروا غضباً
- ٦٧٩ لعبدالناصر رسلان * يا حبيبي هاك نَحْرِي
- ٦٨٠ لمحمد عبدالله ولد محمد بيّه * الدفاع عن داعية الإسلام
- ٦٨١ لسعد العجمي * الذوادة

- * الرَّدُّ الْمُبْكِي لِلْمَجْرَمِ الدُّنَاكِيِّ لِلشَّيْخِ أَدَمِ الْأَثِيْبِيِّ ٦٨٣
- * الطَّرُقُ الشَّرْعِيَّةُ فِي نَصْرَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لِحَامِدِ الْعَمْرِيِّ ٦٨٦
- * شُلَّتْ يَمِينُكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَدْنِيِّ ٦٨٨
- * دَمَانَا فِدَاكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَدْنِيِّ ٦٩١
- * بَارِي الْقَوْسِ ٦٩٠
- * عِنْدَ الرَّحِيلِ لِبِنْتِ الْبَحْرِ ٦٩٢
- * نَبْعُ الْهَدْيِ لِفَهْدِ الْعَبُودِيِّ ٦٩٣
- * نَاصِرُ الْحَقِّ لَصَالِحِ الْعَوْضِ ٦٩٥
- * غُلَّتْ أَيَادِيهِمْ لِمَاجِدِ الْغَامِدِيِّ ٦٩٦
- * أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا فَاشْهَدْ لِمَالِ الْيَمَانِيِّ ٦٩٨
- * نَفْحَاتُ الْهَجْرِيِّ لَصَالِحِ الْعَمْرِيِّ ٧٠٠
- * سَقَطَ الْقِنَاعُ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْفَقِيِّ ٧٠٢
- * مَقَامُكَ أَعْلَى لِعَبْدِ الْغَنِيِّ الْخَدَّادِ ٧٠٥
- * بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَشَهَابِ غَانِمٍ ٧٠٧
- * فَدَيْتُ أَكْرَمَ هَادٍ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَشْمَاوِيِّ ٧٠٩
- * تَحِيَّةٌ وَدِفَاعٌ عَنْ عَرْضِهِ ﷺ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَائِضِ الْقُرْنِيِّ ٧١١
- * نِدَاءُ اسْتِغَاثَةٍ لَصَالِحِ الْغَزَالِ ٧١٣
- * صرخت ولكن رسول الهدى محمد ﷺ للدكتور عدنان النحوي ٧١٦
- * وختاماً لِعَبْدِ اللَّهِ الْعَفَانِيِّ ٧٢١
- * رسول الله عذراً لِعَبْدِ اللَّهِ الْعَفَانِيِّ ٧٢٢

٧٦٠ - ٧٢٥

فهرس المراجع

٧٨٢ - ٧٦١

فهرس الموضوعات